حَاشِيَةُ الصَّاوِي

على

تفسير الجلالين

شَرح

العلاّمة الشّيخ أحمد بن محمّد الصّاوي المصري الخلوتي المالكي

١١٧٥ - ١٢٤١هـ

ضبطه وصحّحه

محمد عبد السّلام شاهين

الجزء الثاني

المحتوى:

أول سُورَة النّساء - آخر سُورَة الأعراف

منشورات
محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

الطبعة الأولى

١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

العنوان : رمل الظريف . شارع البحتري . بناية ملكارت
هاتف و فاكس : ٣٦٤٣٩٨ . ٣٦٦١٣٥ . ٣٧٨٥٤١ (١ ٩٦١) ٠٠
صندوق البريد : ٩٤٢٤ . ١١ بيروت . لبنان

DAR al-KOTOB al-ILMIYAH
Beirut - Lebanon

Address : Ramel al-Zarif, Bohtory st., Melkart bldg., 1st Floor
Tel.+ Fax : 00 (961 1) -378541 - 366135 - 364398
P.O.Box : 11 - 9424 Beirut - Lebanon

ISBN 2-7451-0707-0
90000
9782745107077

http://www.al-ilmiyah.com/

e-mail: sales@al-ilmiyah.com
info@al-ilmiyah.com
baydoun@al-ilmiyah.com

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سُورَةُ النِّسَاءِ

مدنيّة
وآياتها ست وسبعون ومائة

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ أي أهل مكة ﴿ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ﴾ أي عقابه بأن تطيعوه ﴿ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ﴾ آدم ﴿وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا﴾ حواء بالمد من ضلع من

بسم اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحيم

سورة النساء مدنية
مائة وخمس أو ست أو سبع وسبعون آية

مدنية أي كلها، وإن خوطب بمطلعها أهل مكة، لأن القاعدة أنه متى قيل في القرآن ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ**﴾ كان خطاباً لأهل مكة، ومتى قيل﴿يا أيها الذين آمنوا﴾كان خطاباً لأهل المدينة. قوله: (**وخمس أو ست**) أو لتنويع الخلاف فهي مائة وسبعون جزماً والخلاف فيما زاد. قوله: ﴿**يَا أَيُّها النَّاس**﴾ الخطاب للمكلفين عموماً، ذكوراً وإناثاً، إنساً أو جناً، لأن لهم ما لنا وعليهم ما علينا، وليس مخصوصاً بمن كان موجوداً وقت النزول، لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، قال تعالى: ﴿وقرآناً فرَقْنَاهُ لِتَقرأَهُ علَى النَّاسِ عَلَى مكثٍ﴾.

قوله: ﴿**اتَّقوا ربَّكُم**﴾ أي امتثلوا أوامره واجتبوا نواهيه، ولذلك يحصل بالإسلام، فإنّ المسلم العاصي قد اتّقى الشرك وهو أعظم المنهيات بالإيمان وهو أعظم المأمورات، لكن يقال لها تقوى عامة، وتقوى الخواص هي اجتناب المنهيات جميعها، وامتثال المأمورات على حسب الطاقة، وتقوى خواص الخواص هي الانهماك في طاعة الله، وعدم الشغل بغيره ولو مباحاً، والآية صادقة بهذه المراتب كلها.

قوله: ﴿**الَّذِي خَلَقَكُم**﴾ تأكيد للأمر المتقدم، فالمعنى اتَّقوا الله لأنه مالككم ومربيكم، ومن أوصافه أنه خلقكم وأنشأكم من نفس واحدة، فمن كان بهذه الصفات فهو أحق بأن يتقى، لأنه لا استغناء عنه، بل كان من خلقه مفتقر إليه في كل لمحة وطرفة ولحظة، وفي ذلك إشارة إلى أن التقوى تكون في حق بعضنا بعضاً لأن أصلنا واحد، فواجب علينا اتقاء ربنا لأنه الخالق لنا، واتقاء بعضنا بعضاً لأننا كلنا من أصل واحد.

قوله: ﴿**وخلَقَ منْهَا**﴾ أي من تلك النفس الواحدة. قوله: ﴿**زَوْجَهَا**﴾ يقال في الأنثى زوج

أضلاعه اليسرى ﴿وَبَثَّ﴾ فرق ونشر ﴿مِنْهُمَا﴾ من آدم وحواء ﴿رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً﴾ كثيرة ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ﴾ فيه إدغام التاء في الأصل في السين وفي قراءة بالتخفيف بحذفها أي تتساءلون ﴿بِهِۦ﴾ فيما بينكم حيث يقول بعضكم لبعض أسألك بالله وأنشدك بالله ﴿وَ﴾ اتقوا ﴿ٱلْأَرْحَامَ﴾ أن تقطعوها وفي قراءة بالجر عطفاً على الضمير في به وكانوا يتناشدون بالرحم ﴿إِنَّ

وزوجة، والأفصح الأول. قوله: **(حوّاء)** بالمد سميت بذلك لأنها خلقت من حي. قوله: **(من ضلع من أضلاعه)** أي بعد أن أخذه النوم ولا يشعر بذلك ولم يتألم، فلما استيقظ من النوم وجدها فمال إليها فأراد أن يمد يده إليها، فقالت له الملائكة مه يا آدم حتى تؤدي مهرها، قال فما مهرها؟ قالوا حتى تصلي على النبي ﷺ، في رواية ثلاث صلوات، وفي رواية سبعة عشر، وفي ذلك إشارة إلى أنه عليه الصلاة والسلام الواسطة لكل موجود حتى أبيه آدم. إن قلت: حيث كانت حواء مخلوقة من ضلع آدم فهي أخت لأولاده، فمقتضاه أنه يحل لمن يخلق منها التزوج بها في شرعه. أجيب: بأن تفرع حواء من آدم ليس كتفرع الولد من الوالد، بل نباتها من الضلع كما تنبت النخلة من النواة، فلا يحكم عليها بأنها بنت آدم ويقال لها أخت أولاده، بل هي أمهم لا غير، واختلف هل كان خلق حواء خارج الجنة، وبه قال جماعة، وقال ابن عباس وجماعة أنه كان داخل الجنة، ولا مانع من كونه أخذه النوم فيها، لأن الممنوع النوم بعد دخولها يوم القيامة. قوله: **﴿ونساء﴾ (كثيرة)** أشار بذلك إلى أن في الآية اكتفاء، ورد أن حواء حملت من آدم عشرين بطناً، أو أربعين بطناً في كل بطن ذكر وأنثى، وكان يزوج ذكر هذه البطن لأنثى البطن الأخرى، فنزلت اختلاف البطون منزلة اختلاف الآباء والأمهات، وما مات حتى اجتمع من ذريته مباشرة وبواسطة فوق المائة ألف يشتغلون بأنواع الصنائع والتجارة.

قوله: **﴿واتَّقُوا اللَّهَ﴾** معطوف على قوله: **﴿اتَّقوا رَبَّكُمْ﴾**. قوله: **﴿الَّذِي تَسَاءَلُون بِهِ﴾** أي يقسم بعضكم على بعض به لأنه عظيم جليل، فحيث كان كذلك فهو أحق بأن يتقى. قوله: **(فيه إدغام التاء الخ)** أي فأصله تتساءلون به، قلبت التاء سيناً ثم أدغمت في السين وإنما قلبت التاء سيناً لقرب مخرجيهما. قوله: **(بحذفها)** أي التاء الثانية وحذفت تخفيفاً. قال ابن مالك:

وما بتاءين ابتدى قد يقتصر ... فيه على تا كتبين العبر

قوله: **(حيث يقول بعضكم الخ)** أي فيدخل الحمى ولا يتعرض له، وكان ذلك في الجاهلية، والمعنى اتقوا الله لأنه ربكم وخالقكم من نفس واحدة، ولأنه عظيم يقسم به وتقضى الحوائج باسمه. قوله: **﴿والأَرْحَامَ﴾** هكذا بالنصب معطوف على لفظ الجلالة، والعامل فيه اتقوا، ولذا قدره المفسر، وقوله: **(أن تقطعوها)** إشارة إلى أن الكلام على حذف مضاف تقديره واتقوا قطع الأرحام لما في الحديث: «الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله، ومواصلة الأرحام تختلف باختلاف الناس، فمنهم الغني والفقير، فالواجب على الغني المواصلة بالهدايا والتحف والكلام اللين، وعلى الفقير باللين والسعي لهم ومعاشرتهم بالمعروف، ولا فرق بين الأحياء والأموات». قوله: **(وفي قراءة بالجر)** أي مع تخفيف تساءلون وهي لحمزة، وأما قراءة النصب فبالتشديد والتخفيف، فالقراءات ثلاثة وكلها سبعية. قوله: **(عطفاً على الضمير في به)** أي من غير عود الخافض، وهي وإن كانت لغة فصيحة

﴿ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ۝١﴾ حافظاً لأعمالكم فمجازيكم بها أي لم يزل متصفاً بذلك ونزل في يتيم طلب من وليه ماله فمنعه ﴿وَءَاتُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰٓ﴾ الصغار الألى لا أب لهم ﴿أَمۡوَٰلَهُمۡ﴾ إذا بلغوا ﴿وَلَا تَتَبَدَّلُواْ ٱلۡخَبِيثَ﴾ الحرام ﴿بِٱلطَّيِّبِ﴾ الحلال أي تأخذوه بدله كما تفعلون من أخذ الجيد من مال

إلا أنها خلاف الكثير، وقد أشار لذلك ابن مالك بقوله:

وعود خافض لدى عطف على ... ضمير خفض لازماً قد جعلا
وليس عندي لازماً إذ قد أتى ... والنظم والنثر الصحيح مثبتا

فأشار بالنثر الصحيح إلى الآية، والنظم إلى قول الشاعر:

قد بت تهجونا وتشتمنا ... فاذهب فما بك والأيام من عجب

بجر الأيام. قوله: **(وكانوا يتناشدون بالرحم)** هذا مرتب على القراءة الثانية، أي فالمعنى اتّقوا الله لأنكم تتناشدون به، واتقوا الأرحام لأنكم تتناشدون بها، ومن التناشد بها قول هارون لأخيه موسى صلوات الله وسلامه عليهما: «يا ابن أم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي». قوله: **﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾** هذا تعليل لقوله: **﴿اتقوا ربكم﴾** والرقيب لغة من ينظر في الأمور ويتأمل فيها، واصطلاحاً الحفيظ الذي لا يغيب عن حفظه شيء، وهذا المعنى هو المراد في حق الله تعالى. قوله: **(حافظاً لأعمالكم)** أي جميعها خيرها وشرها، سرها وجهرها، قال تعالى: ﴿سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور﴾. قوله: **(أي لم يزل متصفاً بذلك)** جواب عن سؤال مقدر تقديره أن لفظ كان يفيد الانقطاع، فيفيد أن الله اتّصف بالحفظ فيما مضى وانقطع، فأجاب بأن كان هنا للاستمرار، أي هو متصف بذلك أزلاً وأبداً. قوله: **(ونزل في يتيم)** أي بحسب ما كان، وإلا فوقت طلبه رشيداً. قوله: **(طلب من وليه)** أي وكان عماً لذلك اليتيم. قوله: **(فمنعه)** أي فلما منعه شكا لرسول الله ﷺ فنزلت الآية، فلما سمعها الولي قال أطعت الله وأطعت رسوله، ونعوذ بالله من الحوب الكبير.

قوله: **﴿وآتُوا اليَتَامَى﴾** شروع في ذكر مواطن التقوى، وقدم مال اليتيم لأن فيه وعيداً عظيماً وتحذيراً شديداً، واليتامى جمع يتيم ويجمع أيضاً على أيتام من اليتيم وهو لغة الانفراد، ومنه الدرة اليتيمة بمعنى عديمة المثيل، ومنه يتيم سيد الكائنات عليه أفضل الصلاة والسلام، قال العارف:

أخذ الإله أبا النبي ولم يزل ... برسوله الفرد الكريم رحيما
نفسي الفداء لمفرد في يتمه ... والدر أحسن ما يكون يتيما

واصطلاحاً أشار له المفسر بقوله: **(الألى)** لا أب لهم، أي ولو كانت أمهم موجودة، فاليتيم في الآدمي من كان معدوم الأب وهو صغير، وفي غيره من كان معدوم الأم، فإن مات الأبوان قيل للصغير لطيم، وإن ماتت أمه فقط قيل له عجمي. قوله: **(الآلى)** بضم الهمزة وفتح اللام اسم موصول جمع الذي كالذين. قوله: **(إذا بلغوا)** أي وكانوا راشدين، بدليل قوله تعالى: (فإن آنستم منهم رشداً) الآية.

قوله: **﴿ولَا تَتَبدَّلُوا الخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ﴾** هذا نهي آخر، وكان ولي اليتيم في الجاهلية يأخذ مال اليتيم

اليتيم وجعل الرديء من مالكم مكانه ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَهُمْ﴾ مضمومة ﴿إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْۚ إِنَّهُۥ﴾ أي أكلها ﴿كَانَ حُوبًا﴾ ذنباً ﴿كَبِيرًا﴾ ﴿٢﴾ عظيماً. ولما نزلت تحرجوا من ولاية اليتامى وكان فيهم من تحته العشر أو الثمان من الأزواج فلا يعدل بينهن فنزل ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُواْ﴾ تعدلوا ﴿فِي ٱلْيَتَٰمَىٰ﴾ فتحرجتم من أمرهم فخافوا أيضاً أن لا تعدلوا بين النساء إذا نكحتموهن ﴿فَٱنكِحُواْ﴾ تزوجوا ﴿مَا﴾ بمعنى من ﴿طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾ أي اثنين اثنين وثلاثاً ثلاثاً

الجيد ويدفع بدله الرديء كشاة هزيلة يدفعها ويأخذ شاة سمينة، ودرهم زائف يتركه لليتيم ويأخذ له الجيد، ويقول شاة بشاة ودرهم بدرهم. قوله: **(الحرام)** أي وإن كان جيداً، وقوله: **(الحلال)** أي وإن كان رديئاً. قوله: **(أي تأخذوه بدله)** أشار بذلك إلى أن الباء داخلة على المتروك. قوله: **(مضمومة)** أي بأن تجمعوا ماله على أموالكم وتصرفوا من الجميع، وقصده بذلك أكل الجميع، وهذا نهي ثالث، لأن الأمر الأول تضمن نهياً أي لا تمنعوا اليتامى من أموالهم إذا رشدوا أو لا تتبدلوا الخبيث بالطيب، ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم. إن قلت: مقتضى الآية أن أكل مال اليتيم منفرداً ليس بذنب عظيم، أجيب: بأنه نص على مستقبح الأوصاف زيادة في التشنيع على من يأكله مع الاستغناء، وإلا فأكله منفرداً كأكله مضموماً لماله في ارتكاب الإثم الكبير. قوله: **﴿حُوباً﴾** بضم الحاء باتفاق السبعة، وقرىء شذوذاً بفتح الحاء وسكون الواو وقبلها ألفاً والمعنى واحد. قوله: **(ولما نزلت)** أي آيات اليتيم التي ورد النهي فيها. قوله: **(تحرجوا)** أي شق عليهم وطلبوا الخروج من الحرج الذي هو الإثم. قوله: **(من الأزواج)** أي اليتامى، فكان الواحد منهم إذا وجد يتيمة ذات مال وجمال رغب فيها لأجل مالها، فلما نزلت آية النهي عن أكل مال اليتيم شق عليهم ذلك فنزلت **﴿وإنْ خِفْتُمْ﴾** فالنهي في الأولى عام في اليتامى مطلقاً أزواجاً أو لا، والثاني خاص بالأزواج اليتامى. قوله: **﴿أَنْ لَا تقْسِطُوا﴾** من أقسط بمعنى عدل، وأما القاسط فمعناه الجائر، وقرىء تقسطوا بفتح التاء وتحمل على أن لا زائدة أو لغة في أقسط بمعنى عدل، فتكون مستعملة في الشيء وضده.

قوله: **﴿فِي اليَتَامَى﴾** أي في نكاحهم. قوله: **(فتحرجتم)** أي طلبتم الخروج من الحرج الذي هو الإثم، وقوله: **(فخافوا)** جواب الشرط، **قالت عائشة**: هذه الآية في اليتيمة تكون في حجر وليها فيرغب في جمالها ومالها، ويريد أن ينتقص صداقها، فنهوا عن نكاحهن إلا أن يقسطوا في إكمال الصداق، وأمروا بالنكاح من غيرهن، **قالت عائشة**: فاستفتى الناس رسول الله ﷺ بعد ذلك، فأنزل الله عز وجل: ﴿ويستفتونك في النساء﴾ إلى قوله ﴿وترغبون﴾ أن تنكحوهن، فبيّن الله لهم في هذه الآية أن اليتيمة إذا كانت ذات جمال ومال رغبوا في نكاحها ولم يلحقوها بأمثالها في إكمال الصداق، وبيّن في تلك الآية أن اليتيمة إذا كانت مرغوباً عنها لقلة المال والجمال تركوها والتمسوا غيرها من النساء قال أي الله فكما يتركونها حين يرغبون عنها فليس لهم أن ينكحوها إذا رغبوا فيها، إلا أن يقسطوا لها ويعطوها حقها الأوفى من الصداق، وقال الحسن: كان الرجل من أهل المدينة تكون عنده الأيتام وفيهن من يحل له نكاحها، فيتزوجها لأجل مالها وهي لا تعجبه، وإنما تزوجها كراهية أن يدخل غريب فيشاركها في مالها ثم يسيء صحبتها ويتربص إلى أن تموت فيرثها، فعاب الله عليهم ذلك وأنزل هذه الآية. قوله: **(بين النساء)** أي اليتامى. قوله: **(بمعنى من)** أي الواقعة على العاقل، وهو جواب عن سؤال مقدر تقديره أن ما لغير العاقل

وأربعاً أربعاً ولا تزيدوا على ذلك ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا﴾ فيهن بالنفقة والقسم ﴿فَوَاحِدَةً﴾ انكحوها ﴿أَوْ﴾ اقتصروا على ﴿مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ من الإماء إذ ليس لهن من الحقوق ما للزوجات ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي نكاح الأربع فقط أو الواحدة أو التسري ﴿أَدْنَىٰ﴾ أقرب إلى ﴿أَلَّا تَعُولُوا﴾ ③ تجوروا ﴿وَآتُوا﴾ أعطوا ﴿النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ﴾ جمع صدقة مهورهن ﴿نِحْلَةً﴾ مصدر عطية عن طيب نفس ﴿فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا﴾ تمييز محول عن الفاعل أي طابت أنفسهن لكم

ولا شك أن النساء عقلاء، فأجاب بأن ما بمعنى من، وعبر عنهن بما لنقص عقلهن عن الرجال. وأجيب أيضاً بأن ما واقعة على الأوصاف، والمعنى وانكحوا الوصف الذي يعجبكم من النساء كالحسب والنسب والجمال وفي الحديث: «تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس».

قوله: ﴿مِنَ النِّسَاءِ﴾ أي غير اليتامى، وقد تضمنت هذه الآية النهي عن نكاح اليتامى من أجل أموالهن والزيادة على أربع. قوله: ﴿مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾ بدل من النساء. قوله: **(أي اثنين اثنين)** المعنى أباح لكم في الاختيار اثنين أو ثلاثاً أو أربعاً، فالواو ليست للعطف، وإلا لزم أنه بيان جمع تسع، وبه قالت الظاهرية، ولا بمعنى أو وإلا لزم أن من اختار اثنين لا يجوز له أن ينتقل إلى ثلاث أو أربع. قوله: **(ولا تزيدوا على ذلك)** هذا محط السياق. قوله: **(إذ ليس لهن من الحقوق ما للزوجات)** أي فلا يجب العدل بينهن، لا في القسم، ولا في النفقة، ولا في الكسوة. قوله: ﴿أَدْنَى﴾ يتعدى بإلى واللام، تقول دنوت إليه وله. قوله: ﴿أَلَّا تَعُولُوا﴾ العول في الأصل معناه الميل، من قولهم عال الميزان عولاً أي مال وعال في الحكم إذا جار. قوله: **(تجوروا)** أي تظلموا، وفي الحديث: «من لم يعدل بين نسائه جاء يوم القيامة وشقه ساقط».

قوله: ﴿وَآتُوا النِّسَاءَ﴾ أتى بهذه الآية استطراداً بين أحكام اليتامى لمناسبة ذكر النساء، وآتى بالمد مصدره الإيتاء بمعنى الإعطاء، فلذا فسره به، وأما بالقصر فمصدره الإتيان بمعنى المجيء. قوله: **(جمع صدقة)** أما بضم الدال أو فتحها أو إسكانها، ويقال أيضاً صداق بفتح الصاد وكسرها، ومعنى الجميع المهر الذي يجعل للمرأة في نظير البضع، وأقله عند المالكية ربع دينار شرعي، أو ثلاث دراهم شرعية، أو مقوم بأحدهما، وعند الشافعي يكفي أي شيء متموّل أو خاتماً من حديد، وعند الحنفية عشرة دراهم شرعية، وأكثره لا حد له بل بحسب ما تراضوا عليه، والأمر للأزواج، فالمعنى لا تنكحوا النساء إلا بمهر، وخصصت السنة نكاح التفويض وهو العقد من غير تسمية مهر، فهو صحيح لكن يلزمه بعد الدخول صداق المثل. قوله: **(مصدر)** أي مؤكد لقوله آتوا من معناه كجلست قعوداً، ويسمى ذلك المصدر معنوياً. قوله: **(عن طيب نفس)** أي خالصاً لا منة للزوج به عليها.

قوله: ﴿فَإِنْ طِبْنَ﴾ أي النسوة. وقوله: ﴿مِنْهُ﴾ الضمير عائد على الصداق المعلوم من قوله صدقات، ومن يحتمل أن تكون للتبعيض أو البيان، فيحل للمرأة الرشيدة بعد الدخول أن تعطي زوجها المهر كله أو بعضه عند جميع الأئمة إلا الليث فعنده لا يحل لها أن تعطيه جميعه، فمن على ذلك يتعيّن أن تكون للتبعيض لا للبيان. قوله: **(أي طابت أنفسهن)** هذا بيان لكون نفساً في الأصل فاعلاً. قوله

عن شيء من الصداق فوهبنه لكم ﴿فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا﴾ طيباً ﴿مَّرِيٓـًٔا ﴿٤﴾﴾ محمودة العاقبة لا ضرر فيه عليكم في الآخرة نزلت رداً على من كره ذلك ﴿وَلَا تُؤۡتُواْ﴾ أيها الأولياء ﴿ٱلسُّفَهَآءَ﴾ المبذرين من الرجال والنساء والصبيان ﴿أَمۡوَٰلَكُمُ﴾ أي أموالهم التي في أيديكم ﴿ٱلَّتِي جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمۡ قِيَٰمٗا﴾ مصدر قام أي تقوم بمعاشكم وصلاح أودكم فيضعوها في غير وجهها وفي قراءة قيماً جمع قيمة ما تقوم به الأمتعة ﴿وَٱرۡزُقُوهُمۡ فِيهَا﴾ أطعموهم منها ﴿وَٱكۡسُوهُمۡ وَقُولُواْ لَهُمۡ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ﴿٥﴾﴾ عدوهم عدة جميلة بإعطائهم أموالهم إذا رشدوا ﴿وَٱبۡتَلُواْ﴾ اختبروا ﴿ٱلۡيَتَٰمَىٰ﴾ قبل البلوغ في دينهم وتصرفهم في أحوالهم ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ﴾ أي صاروا أهلاً له بالاحتلام أو السن وهو

(**فوهبنه لكم**) أي اختياراً لا قهراً، وإلا فلا يحل أخذه، ويشترط أيضاً أن تكون المرأة رشيدة بالغة، وإلا فلا يحل أخذه.

قوله: ﴿**فَكُلُوهُ**﴾ أي انتفعوا به، فأطلق الأكل وأراد مطلق الانتفاع. قوله: ﴿**مَرِيئاً**﴾ أي ممروءاً لا غصة فيه ولا عقبة من قولهم جرى الطعام في المريء، أي العرق الأحمر الكائن تحت الحلقوم المسمى بالبلعوم، وهنيئاً مريئاً حالان من مفعول كلوه، والمعنى كلوه حال كونه هنيئاً حلالاً مريئاً سائغاً لا نكد فيه. قوله: (**في الآخرة**) أي ولا في الدنيا، فليس لورثتها طلبه. قوله: (**على من كره ذلك**) أي استنكافاً عنه وجعله كالرجوع في الهبة.

قوله: ﴿**ولاَ تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ**﴾ هذا رجوع لتتميم أحكام اليتامى، وأصل تؤتوا تؤتيوا، استثقلت الضمة على الياء فحذفت، فالتقى ساكنان الياء والواو، حذفت الياء لالتقائهما. قوله: (**والصبيان**) معطوف على المبذرين. قوله: (**أي أموالهم**) أي وإنما نسبها للأولياء لأنهم هم المتصرفون فيها، فالإضافة ليست لذلك وإنما هي لأدنى ملابسة. قوله: ﴿**الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَاماً**﴾ جعل بمعنى صير، ولفظ الجلالة فاعلة، وقياماً مفعول ثان، والمفعول الأول محذوف تقديره جعلها، والضمير عائد على الأموال، ويحتمل أن جعل بمعنى خلق فقياماً حال، والمعنى لا تعطوا المبذرين والصبيان أموالهم التي جعل الله مقومة لمعاشهم وصلاحهم. قوله: (**أودكم**) الأود بفتحتين وبفتح فسكون معناه العوج. قوله: (**وفي قراءة قيما**) أي وهي سبعية أيضاً، وقرىء شذوذاً قواماً بفتح القاف وكسرها وقوماً كعنباً، وعموم الآية يشمل من أعطى مال اليتيم لسفيه مبذر يتجر له فيه وهو مشهور بالسفه والتبذير، فإن الولي منهي عن ذلك ويضمنه لفهمه بالأولى.

قوله: ﴿**وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا**﴾ حكمة التعبير بفي، أنه ينبغي للولي أن يعطي مال اليتيم لرجل أمين يتجر فيه، ويكون مصرفه من الربح لا من أصل المال. وفي الحديث: «اتجروا في أموال اليتامى لا تأكلها الزكاة» فالتجارة في أموال اليتامى مطلوبة عند جميع الأئمة. قوله: (**عدوهم عدة جميلة**) أي كأن يقول له مالك عندي وأنا أمين عليه، فإذا بلغت ورشدت أعطيتك مالك، وهكذا تطييباً لخاطرهم وجدهم في أسباب الرشد.

قوله: ﴿**وَابْتَلُوا الْيَتَامَى**﴾ أي لا تتركوهم هملاً، بل علموهم الصنائع وأمور الدنيا والدين، ولا تفرطوا في ذلك حتى تبلغوا. قوله: (**بالاحتلام**) أي نزول المني. قوله: (**حتى إذا بلغوا**) حتى ابتدائية،

استكمال خمس عشرة سنة عند الشافعي ﴿فَإِنْ ءَانَسْتُم﴾ أبصرتم ﴿مِّنْهُمْ رُشْدًا﴾ صلاحاً في دينهم ومالهم ﴿فَادْفَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَأْكُلُوهَآ﴾ أيها الأولياء ﴿إِسْرَافًا﴾ بغير حق حال ﴿وَبِدَارًا﴾ أي مبادرين إلى إنفاقها مخافة ﴿أَن يَكْبَرُوا۟﴾ رشداء فيلزمكم تسليمها إليهم ﴿وَمَن كَانَ﴾ من الأولياء ﴿غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ﴾ أي يعف عن مال اليتيم ويمتنع من أكله ﴿وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ﴾ منه ﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ بقدر أجرة عمله ﴿فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ﴾ أي إلى اليتامى ﴿أَمْوَٰلَهُمْ فَأَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِمْ﴾ أنهم تسلموها وبرئتم لئلا يقع اختلاف فترجعوا إلى البينة وهذا أمر إرشاد ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ﴾ الباء

وإذا شرطية، وفعل الشرط قوله بلغوا، وجوابها قوله: ﴿فَإِنْ آنَسْتُمْ﴾ الخ، فشرط إعطاء الولي المال لليتيم بلوغ النكاح وعلم الرشد. قوله: **(عند الشافعي)** أي وعند مالك وأبي حنيفة ثمانية عشر. ومن علامات البلوغ: الحيض وكبر الثدي للإناث ونبات العانة ونتن الأبط وفرق الأرنبة وغلظ الحنجرة، فإذا وجدت تلك العلامات حكم ببلوغه عند مالك، وأما عند الشافعي فلا يحكم بالبلوغ إلا بالإحتلام أو الحيض أو بلوغ خمسة عشر سنة، وما عدا ذلك علامة على البلوغ ولا يحكم عليه به. قوله: **(أبصرتم)** المناسب أن يكون علمتم، لأن الرشد يعلم ولا يشاهد بالبصر. قوله: **(صلاحاً في دينهم ومالهم)** هذا مذهب الشافعي، ويكفي عند مالك في الرشد إصلاح المال فقط.

قوله: ﴿**فَادْفَعُوا**﴾ جواب الشرط الثاني. قوله: **(حال)** أي من الواو في تأكلوا مؤولاً بمسرفين. قوله: **(مخافة)** ﴿**أَنْ يَكْبَرُوا**﴾ قدره إشارة إلى أن قوله: ﴿**أَنْ يَكْبَرُوا**﴾ مفعول لأجله، ومفعول ﴿**بِدَاراً**﴾ محذوف تقديره ولا تأكلوها حال كونكم مسرفين فيها مبادرين لأكلها، مخافة كبرهم عليكم فيأخذوها منكم. قوله: ﴿**أَنْ يَكْبَرُوا**﴾ مضارع كبر بوزن علم ومصدره كبر كعنباً. قوله: **(من الأولياء)** أولياء الأيتام. قوله: **(أي يعف عن مال اليتيم)** أي يتباعد عنه لما فيه من الوعيد العظيم الآتي في قوله تعالى: ﴿إنما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً﴾ فالواجب على الولي إن كان غنياً التباعد عن مال اليتيم بالمرة، بل ينبغي له أن لا يخلط ماله بماله، بل يعطيه لغيره ليتجر له فيه، ويكون هو ناظراً عليه. قوله: **(ويمتنع من أكله)** أي فإذا أكله وأطعمه لغيره ولو لمن يصنع سبحاً أو جمعاً لوالد اليتيم ضمنه إذا لم يوص الميت بذلك، وأما إن لم يكن لليتامى ولي وليس فيهم كبير رشيد، حرم الأكل من مالهم وكل من أكل شيئاً لزمه عوضه. قوله: **(بقدر أجرة عمله)** أي ما لم تزد على كفايته، وإلا فله كفايته فقط، وهذا مذهب الشافعي، وعند مالك له أجرة مثله مطلقاً زادت عن كفايته أو لا.

قوله: ﴿**فَإِذَا دَفَعْتُمْ**﴾ مرتب على قوله: ﴿**فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ**﴾ والمعنى فإذا أردتم الدفع فأشهدوا لئلا يقع اختلاف فترجعوا إلى البينة، هذا هو المشهور في المذاهب أن الولي لا يصدق في الدفع إلا ببينة تشهد أنه دفعه لهم بعد رشدهم، فإن لم تكن بينة غرمه، وهناك قول ضعيف عند مالك وهو أنه يصدق في الدفع بيمين، فعلة الإشهاد على هذا القول لئلا يحلف الولي، والفرق بين الأمين والوصي أن الوصي لما كان له التصرف في مال اليتيم كان ضامناً له إلا ببينة تشهد بالدفع، والأمين لا تصرف له في الأمانة فصدق بيمين في الدفع، ولذا إذا انصرف فيها كانت متعلقة بذمته، فلا يصدق في دفعها إلا ببينة كالدين. قوله: **(وهذا أمر إرشاد)** أي تعليم لمصالح الدنيا فهو أمر ندب. قوله: **(الباء زائدة)** أي في

زائدة ﴿حَسِيبًا ۝٦﴾ حافظاً لأعمال خلقه ومحاسبهم. ونزل رداً لما كان عليه الجاهلية من عدم توريث النساء والصغار ﴿لِّلرِّجَالِ﴾ الأولاد والأقرباء ﴿نَصِيبٌ﴾ حظ ﴿مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ﴾ المتوفون ﴿وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ﴾ أي المال ﴿أَوْ كَثُرَ﴾ جعله الله ﴿نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ۝٧﴾ مقطوعاً بتسليمه إليهم ﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ﴾ للميراث ﴿أُوْلُواْ ٱلْقُرْبَىٰ﴾ ذوو القرابة ممن لا يرث ﴿وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ﴾ شيئاً قبل القسمة ﴿وَقُولُواْ﴾ أيها الأولياء ﴿لَهُمْ﴾ إذا كان الورثة صغاراً ﴿قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۝٨﴾ جميلاً بأن تعتذروا إليهم أنكم لا تملكونه وأنه للصغار وهذا قيل إنه منسوخ وقيل لا ولكن تهاون الناس في تركه وعليه فهو ندب وعن ابن عباس واجب ﴿وَلْيَخْشَ﴾ أي ليخف على اليتامى ﴿ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُواْ﴾ أي قاربوا

فاعل كفى، فلفظ الجلالة فاعل مرفوع بضمة مقدرة على آخره منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائدة، وفي قوله: ﴿**وكَفَى بِاللَّهِ حَسِيباً**﴾ وعد حسن لمن كان سليماً ولم يلتمس من مال اليتيم شيئاً، ولو اتهمه اليتيم بأكله ظلماً وعدواناً، ووعيد لمن أكله وظلمه وإن لم يثبت عليه ذلك.

قوله: ﴿**لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ**﴾ سبب نزولها أن أوس بن ثابت توفي وترك امرأته واسمها أم كحة وثلاث بنات، وأقام وصيين واسمهما سويد وعرفجة ولدا عمه، فأخذا المال جميعه فجاءت المرأة للنبي ﷺ وقالت: مات أوس بن ثابت وترك ثلاث بنات، وأنا امرأته ولم يكن عندي ما أنفقه عليهن، وترك مالاً حسناً، فأخذه سويد وعرفجة ولم يعطياني ولا بناته شيئاً، فدعاهما النبي فقالا أولادها يركبن فرساً، ولا يحملن كلًّا، ولا ينكين عدواً، فنزلت هذه الآية، وبيّن أن الإرث غير مختص بالرجال البالغين، وأوقف النبي التركة حتى نزلت ﴿يوصيكم الله﴾ الآية، فأعطى الزوجة الثمن، والبنات الثلثين، وابني عمه ما بقي. قوله: **(الأولاد)** أخذه من قوله: ﴿**الوَالِدَانِ**﴾. وقوله: **(والأقرباء)** أخذه من قوله: ﴿**والأَقْرَبُون**﴾. قوله: ﴿**مِمَّا قَلَّ مِنْهُ**﴾ بدل من قوله: ﴿**مِمَّا تَرَكَ**﴾ قوله: ﴿**نَصِيباً مَفْرُوضاً**﴾ مفعول ثان لفعل محذوف قدره بقوله: **(جعله الله)**.

قوله: ﴿**وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُوا الْقُرْبَى**﴾ معنى ذلك إذا مات الميت وترك من يرث ومن لا يرث، وحضر جميعهم قسمة الميراث، طلب الشارع إعطاء من لا يرث، وكذا المساكين واليتامى شيئاً قبل القسمة جبراً لخاطرهم، باجتهاد من يقسم التركة بحسب قلة المال وكثرته، واختلف هل هذا منسوخ هو الحق، وقيل ليس بمنسوخ، واختلف على هذا هل الأمر للوجوب أو الندب وهو المعتمد على هذا القول. قوله: **(إذا كانت الورثة صغاراً)** أي أو التركة قليلة.

قوله: ﴿**وَلْيَخْشَ**﴾ قرأ السبعة بسكون اللام وغيرهم بكسرها وعلى كل اللام للأمر، وسبب نزولها أنه كان في الجاهلية إذا حضر أحدهم الموت قد حضره جماعة، حملوه على تفرقة ماله للفقراء والمساكين، ويحرمون أولاده منه، فيترتب على ذلك كونهم بعد موته عالة على الناس ويضيعون، فنزلت الآية تحذيراً لمن يحمل الميت على ذلك من وصي أو غيره، فإنه كما يدين الفتى يدان، فكما يتقي الله في يتامى غيره، فجزاؤه أن يقبض الله له من يتقي الله في أولاده. قوله: **(أي ليخفف على اليتامى)** المعنى ليخفف الله على اليتامى. قوله: ﴿**الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا**﴾ لو شرطية بمعنى إن، فنقلت الماضي للاستقبال، كما قال ابن مالك وجماعة،

أن يتركوا ﴿مِنۡ خَلۡفِهِمۡ﴾ أي بعد موتهم ﴿ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا﴾ أولاداً صغاراً ﴿خَافُواْ عَلَيۡهِمۡ﴾ الضياع ﴿فَلۡيَتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ في أمر اليتامى وليأتوا إليهم ما يحبون أن يفعل بذريتهم من بعدهم ﴿وَلۡيَقُولُواْ﴾ للميت ﴿قَوۡلٗا سَدِيدًا﴾ ⁽٩⁾ صواباً بأن يأمروه أن يتصدق بدون ثلثه ويدع الباقي لورثته ولا يتركهم عالة ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا﴾ بغير حق ﴿إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ﴾ أي ملئها ﴿نَارٗاۖ﴾ لأنه يؤول إليها ﴿وَسَيَصۡلَوۡنَ﴾ بالبناء للفاعل والمفعول يدخلون ﴿سَعِيرٗا﴾ ⁽١٠⁾ ناراً شديدة يحترقون فيها ﴿يُوصِيكُمُ﴾ يأمركم ﴿ٱللَّهُ فِيٓ﴾ شأن ﴿أَوۡلَٰدِكُمۡۖ﴾ بما يذكر ﴿لِلذَّكَرِ﴾ منهم ﴿مِثۡلُ حَظِّ﴾ نصيب ﴿ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ﴾ إذا اجتمعتا معه فله نصف المال ولهما النصف فإن كان معه واحدة فلها الثلث وله الثلثان وإن انفرد حاز المال ﴿فَإِن كُنَّ﴾ أي الأولاد ﴿نِسَآءٗ﴾ فقط ﴿فَوۡقَ ٱثۡنَتَيۡنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَۖ﴾ الميت وكذ الاثنتان لأنه للأختين بقوله فلهما الثلثان مما ترك فهما أولى

فتركوا فعل الشرط. قوله: ﴿**خافُوا**﴾ جوابه، وقوله: ﴿**فَلْيَتَّقُوا**﴾ مرتب عليه. قوله: ﴿**خافُوا عَلَيْهِمْ**﴾ (**الضياع**) إن قلت: ما ذنب اليتيم حتى يعاقب بالضياع؟ أجيب بأن ذلك تعذيب لأبيه، لأن ما يؤذي الحي يؤذي الميت، وليس تعذيباً لهم، بل قد يكون رفعة لهم إن اتقوا الله. قوله: (**وليأتوا إليهم ما يحبون الخ**) أي يفعلوا بهم ما يحبون أن يفعل بذريتهم بعد موتهم. قوله: (**للميت**) ويحتمل أن يكون لليتامى، بأن يقولوا لهم لا تخافوا ولا تحزنوا، فنحن مثل آبائكم. قوله: (**ولا يتركهم عالة**) أي فقراء يتكففون وجوه الناس.

قوله: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ**﴾ نزلت في حق رجل من غطفان، مات أخوه وترك ولداً يتيماً فأكل عمه ماله، والمعنى يتلفون أموالهم، فالتعبير بالأكل عن الإتلاف مجاز. قوله: ﴿**ظُلْماً**﴾ يحتمل أن يكون مفعولاً لأجله، أي لأجل الظلم، ويحتمل أن يكون حالاً من يأكلون، أي حال كون الأكل ظلماً. قوله: ﴿**إِنَّما يَأْكُلُونَ**﴾ هذه الجملة خبر إن الأول، والتعبير بالأكل مجاز باعتبار ما يؤول إليه أو المعنى يأكلون بسبب النار. قوله: (**بالبناء للفاعل والمفعول**) أي فيها قراءتان سبعيتان. قوله: (**ناراً شديدة**) أشار بذلك إلى أنه ليس المراد خصوص الطبقة المسماة بذلك، لأنها لعباد الوثن خاصة وربما مات آكل مال اليتيم مسلماً. والحاصل: أنه تارة تطلق تلك الأسماء على ما يعم جميع الطبقات وتارة تطلق على مسمياتها خاصة. قوله: (**يحترقون فيها**) أي إن لم يتوبوا. روي أن آكل مال اليتيم يبعث يوم القيامة، والدخان يخرج من قبره ومن فمه وأنفه وأذنيه وعينيه فيعرف الناس أنه كان يأكل مال اليتيم في الدنيا.

قوله: ﴿**يُوصِيكُم اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ**﴾ هذا شروع في تفصيل ما أجمل أولاً في قوله: ﴿**لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ**﴾ الخ، قوله: (**يأمركم**) أي على سبيل الوجوب. قوله: ﴿**لِلذَّكَرِ مِثْلَ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ**﴾ هذا كلام مستأنف واقع في جواب سؤال مقدر، قوله: (**فله نصف المال الخ**) أي إن لم يكن معهم صاحب فرض، وإلا فيأخذ فرضه، ثم الباقي يقسم مثل **حظ** الأنثيين.

قوله: ﴿**فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً**﴾ إن حرف شرط، وكن فعل الشرط، ونساء خبركن، واسمها النون، وفوق ﴿**اثْنَتَيْنِ**﴾ صفة لنساء، وقوله: ﴿**فَلَهُنَّ**﴾ جواب الشرط. قوله: (**أي الأولاد**) أي بعضهم، ففي الكلام

ولأن البنت تستحق الثلث مع الذكر فمع الأنثى أولى ﴿فوق﴾ قيل صلة وقيل لدفع توهم زيادة النصيب بزيادة العدد لما فهم استحقاق البنتين الثلثين من جعل الثلث للواحدة مع الذكر ﴿وَإِنْ كَانَتْ﴾ المولودة ﴿وَاحِدَةً﴾ وفي قراءة بالرفع فكان تامة ﴿فَلَهَا ٱلنِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ﴾ أي الميت ويبدل منها ﴿لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٌ﴾ ذكراً أو أنثى ونكتة البدل إفادة أنهما لا يشتركان فيه وألحق بالولد ولد الابن وبالأب الجد ﴿فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٌ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ﴾ فقط أو مع زوج ﴿فَلِأُمِّهِ﴾ بضم الهمزة وكسرها فراراً من الإنتقال إلى كسرة لثقله في الموضعين ﴿ٱلثُّلُثُ﴾ أي ثلث المال أو ما يبقى بعد الزوج والباقي للأب ﴿فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ﴾ أي اثنان فصاعداً ذكوراً وإناثاً ﴿فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ﴾ والباقي للأب ولا شيء للإخوة وإرث من ذكر ما ذكر ﴿مِنۢ بَعْدِ﴾ تنفيذ ﴿وَصِيَّةٍ يُوصِي﴾ بالبناء للفاعل والمفعول ﴿بِهَآ أَوْ﴾ قضاء ﴿دَيْنٍ﴾ عليه وتقديم الوصية على الدين

استخدام، فذكر الأولاد بمعنى، وأعاد الضمير عليه بمعنى آخر، نظير قوله تعالى: (وبعولتهن أحق بردهن) بعد قوله: (والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء). قوله: **(لأنه للأختين)** أي الفرض المذكور وهذان وجهان: أحدهما القياس على الأختين. والثاني القياس على البنت الواحدة، وهما على كون فوق ليست صلة. قوله: **(وقيل لدفع توهم زيادة النصيب)** هذا القيل محتمل لأن تكون أصلية أو زائدة، فالمعنى أن ما فوق البنتين حكمها حكم البنتين. قوله: **(وفي قراءة بالرفع)** أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: **(ذكراً أو أنثى)** أي فإن كان الولد ذكراً أخذ ما فضل عن سدسيهما، وإن كانت أنثى أخذت النصف فرضها، والأم سدسها، والأب الباقي فرضاً وتعصيباً. قوله: **(وألحق بالولد ولد الابن الخ)** أي بالقياس المساوي، قوله: **(بضم الهمز وكسرها)** أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: **(فراراً)** راجع للكسر، وقوله: **(في الموضعين)** أي في قوله: **﴿فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ﴾** وقوله: **﴿فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ﴾** أي وما بقي بعد الزوج أي الزوجة وهما الغراوان، وقد أشار لهما صاحب الرحبية بقوله:

وإن يكن زوج وأم وأب ... فثلث الباقي لها مرتب
وهكذا مع زوجة فصاعدا ... فلا تكن عن العلوم قاعدا

ثلث الباقي في الحقيقة، أما ربع أو سدس، وقد انعقد الإجماع على ذلك، قوله: **﴿فإنْ كَانَ لَهُ إخوَةٌ﴾** تقدم أن الأم يفرض لها جميع ثلث المال أو ثلث الباقي، إن لم يكن للميت فرع وارث، وأفاد هنا أنه مع وجود الأخوة يفرض لها السدس، فيفهم منه أنه عند عدم الأخوة أيضاً، يكون لها الثلث، فتحصل أن لها الثلث بشرطين عدميين، وهما عدم الأخوة، وعدم الفرع الوارث، قوله: **(ذكوراً أو إناثاً)** أي أشقاء أو لأب أو لأم. قوله: **(ولا شيء للأخوة)** أي مطلقاً لكونهم محجوبين بالأب، ولذلك قال في التلمسانية:

وفيهم في الحجب أمر عجب ... لكونهم قد حجبوا وحجبوا

فلو كان بدل الأب جد. لكان مثله عند أبي حنيفة. وعند الأئمة الثلاثة يشترك مع الأخوة. على تفصيل في ذلك مذكور في الفروع. قوله: **﴿مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ﴾** متعلق بمحذوف قدره المفسر بقوله: **(وارث من ذكر الخ)** وهو قيد في جميع ما تقدم. قوله: **(تنفيذ)** **﴿وصية﴾** أي تخرج من رأس المال إن حملها

وإن كانت مؤخرة عنه في الوفاء للاهتمام بها ﴿ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ﴾ مبتدأ خبره ﴿لَا تَدۡرُونَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ لَكُمۡ نَفۡعٗاۚ﴾ في الدنيا والآخرة فظان أن ابنه أنفع له فيعطيه الميراث فيكون الأب أنفع وبالعكس وإنما العالم بذلك الله ففرض لكم الميراث ﴿فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ بخلقه ﴿حَكِيمٗا﴾ ﴿١١﴾ فيما دبره لهم أي لم يزل متصفاً بذلك ﴿وَلَكُمۡ نِصۡفُ مَا تَرَكَ أَزۡوَٰجُكُمۡ إِن لَّمۡ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٞۚ﴾ منكم أو من غيركم ﴿فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٞ فَلَكُمُ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكۡنَۚ مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصِينَ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٖۚ﴾ وألحق بالولد في ذلك ولد الابن بالاجماع ﴿وَلَهُنَّ﴾ أي الزوجات تعددن أو لا ﴿ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكۡتُمۡ إِن لَّمۡ يَكُن لَّكُمۡ وَلَدٞۚ﴾ منهن أو من غيرهن ﴿فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكۡتُمۚ مِّنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ تُوصُونَ بِهَآ

الثلث. وشرطها أن تكون في معصية، فلو أوصى بمال يصرف على الكنيسة، أو على من يشرب الخمر. أو غير ذلك. فلا تنفذ. قوله: **(بالبناء للفاعل والمفعول)** أي فيها قراءتان سبعيتان. فعلى الأولى نائب الفاعل الجار والمجرور. وقال ابن مالك:

وقابل من ظرف أو من مصدر   أو حرف جر بنيابة حرى

وعلى الثانية الفاعل ضمير يعود على الميت. قوله: **(وتقديم الوصية)** أي اللفظ، وإلا فأو لأحد الشيئين لا تقتضي ترتيباً ولا تعقيباً. والمعنى وإرث ما ذكر، يحصل من بعد وصية إن كانت، أو دين إن كان. فإن اجتمعت الوصية والدين قدم الدين. قوله: **(للاهتمام بها)** أي وشأن الوارثة الشح بها. ومنازعة الموصى له بخلاف الدين. قوله: **﴿آبَاؤُكُمْ وأَبْنَاؤُكُمْ﴾** هذه الجملة معترضة بين قوله: **﴿مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ﴾** وقوله: **﴿فريضة من الله﴾**. قوله: **﴿أَيُّهُمْ﴾** اسم استفهام مبتدأ و **﴿أَقْرَبُ﴾** خبره. **﴿وَلَكُمْ﴾** جار ومجرور متعلق بأقرب، و **﴿نَفْعاً﴾** تمييز، والجملة في محل نصب سدت مسد مفعولي تدرون، والمعنى لا تدرون أقربية نفعهم لكم ويحتمل أنها اسم مفعول موصول اول لتدرون والمفعول الثاني محذوف، والمعنى لا تدرون هو أقرب لكم نفعاً الآباء والأبناء. قوله: **(في الدنيا)** أي كحسن القيام بالمصالح والإحسان إليه بعد موته، وقوله: **(والآخرة)** أي كالشفاعة أو **(في الدنيا والآخرة)** لما ورد أن أحد الوالدين أو الولدين إذا كان أرفع درجة من الآخر في الجنة، سأل أن يرفع إليه فيرفع الآخر بشفاعته. قوله: **(فظان)** إما بالرفع صفة لموصوف محذوف مبتدأ أي فريق ظان، أو بالجر مجرور برب. وقوله: **(فيكون الأب أنفع)** أي في الواقع ونفس الأمر. قوله: **(وبالعكس)** أي وفريق ظان أن أباه أنفع فيعطيه الميراث، فيكون الابن أنفع.

قوله: **﴿فَرِيضَةً﴾** مفعول لفعل محذوف قدره بقوله: **(ففرض لكم الميراث)** وهو راجع لقوله: **﴿يُوصِيكُمْ﴾** فيحتمل أنه مصدر مؤكد لعامله من لفظه، ودرج على ذلك المفسر، أو من معناه تقدير يوصيكم فريضة، لأن الإيصاء معناه الأمر. قوله: **(أي لم يزل متصفاً بذلك)** دفع به ما قد يتوهم من كان الاتصاف بذلك في الزمن الماضي وانقطع، فأفاد أن صفات الله لا تتقيد بزمان فهي للاستمرار، وبعضهم يجعلها في صفات الله زائدة. قوله: **﴿وَلَكُمْ نُصْفُ﴾** هو أيضاً من جملة التفصيل لما أجمل في قوله أولاً ﴿للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون﴾. قوله: **﴿إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ﴾** أي للزوجات، والمراد الجنس وقوله: **(ولد)** أي واحداً ومتعدد، ذكراً أو أنثى، فالزوج يأخذ النصف بشرط عدمي. قوله: **(أو من غيركم)** أي ولو من زنا، فإن ولد الزنا ينسب لأمه.

قوله: **﴿فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ﴾** هذا مفهوم قوله: **﴿إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ﴾** صرح به لإفادة الحكم

﴿أَوۡ دَيۡنٍۗ﴾ وولد الابن في ذلك كالولد إجماعاً ﴿وَإِن كَانَ رَجُلٞ يُورَثُ﴾ صفة والخبر ﴿كَلَٰلَةً﴾ أي لا والد له ولا ولد ﴿أَوِ ٱمۡرَأَةٞ﴾ تورث كلالة ﴿وَلَهُۥٓ﴾ أي للموروث كلالة ﴿أَخٌ أَوۡ أُخۡتٞ﴾ أي من أم وقرأ به ابن مسعود وغيره ﴿فَلِكُلِّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا ٱلسُّدُسُۚ﴾ مما ترك ﴿فَإِن كَانُوٓاْ﴾ أي الأخوة والأخوات من الأم ﴿أَكۡثَرَ مِن ذَٰلِكَ﴾ أي من واحد ﴿فَهُمۡ شُرَكَآءُ فِي ٱلثُّلُثِۚ﴾ يستوي فيه ذكرهم وأنثاهم ﴿مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصَىٰ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍ غَيۡرَ مُضَآرّٖۚ﴾ حال من ضمير يوصى أي غير مدخل الضرر على الورثة بأن يوصى بأكثر من الثلث ﴿وَصِيَّةٗ﴾ مصدر مؤكد ليوصيكم ﴿مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بما دبره لخلقه من له الفرائض ﴿حَلِيمٞ﴾ ﴿١٢﴾ بتأخير العقوبة عمن خالفه وخصت السنة توريث من ذكر بمن ليس فيه مانع من قتل أو اختلاف دين أو رق ﴿تِلۡكَ﴾ الأحكام المذكورة من

فيه. قوله: ﴿مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ﴾ تقدم أنه متعلق بمحذوف تقديره وهذا الاستحقاق يكون بعد تنفيذ وصية. قوله: **(ولد الابن)** أي ذكراً كان ذلك الولد أو أنثى، فإن بنت الابن كابن الابن، وأما أولاد البنت ذكوراً أو إناثاً، فلا يحجب الزوج بهم عن نصفه ولذلك قال شاعرهم:

بنـانـا بنـو أبـنـائنـا وبنـاتنـا ... بنـوهـن أبنـاء الـرجـال الأبـاعـد

وكلام المفسر في غاية الحسن حيث قال وولد الابن، ولم يقل كالخازن وولد الولد، لأنه يشمل أولاد البنات وهو غير صحيح. قوله: ﴿إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ﴾ أي ذكر أو أنثى، واحد أو متعدد قوله: **(منهن أو من غيرهن)** المناسب تقديمه عند قوله: ﴿إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ﴾ ليكون على منوال ما تقدم له في نظيره، وقوله: **(أو من غيرهن)** أي نسيب، فإن كان ابن زنا فلا يحجب الزوجة من الربع إلى الثمن، لأنه لا يلحق بأبيه ولا يرث منه، ومن لا يرث لا يحجب وارثاً. قوله: **(وولد الابن كالولد)** أي وأما أولاد البنات فليسوا مثلهم، لأنهم من ذوي الأرحام. قوله: ﴿يُورَثُ﴾ **(صفة)** أي ويصح أن يكون خبراً. وقوله: ﴿كَلَالَةً﴾ حال من الضمير في يورث. قوله: **(والخبر)** ﴿كَلَالَةً﴾ أي واسمها رجل، وهذا على أنها ناقصة، وأما على أنها تامة فرجل فاعل، ويورث صفته، وكلالة بحال. قوله: **(أي لا والد له ولا ولد)** هذا هو أرجح الأقوال في تفسير الكلالة. والحاصل أنه اختلف الناس في معنى الكلالة فقال جمهور اللغويين إنه الميت الذي لا ولد له ولا والد، وقيل الذي لا ولد له فقط، وقيل الذي لا ولد له فقط، وقيل هو من لا يرثه أب ولا أم، وعلى هذه الأقوال كلها، فالكلالة واقعة على الميت، وقيل الكلالة الورثة ما عدا الأبوين والولد، سمرا بذلك لأن الميت بذهاب طرفية تكلله الورثة، أي أحاطوا به من جميع نواحيه، ويؤيد القوال الذي مشى عليه المفسر، أن الآية نزلت في جابر رضي الله عنه، ولم يكن له يوم أنزلت أب ولا ابن، قوله: **(وقرأ به ابن مسعود وغيره)** أي قراءة شاذة، وإنما استدل بهذه القراءة، لأنها بمنزلة رواية الآحاد، ورواية الآحاد يستدل بها لأنها منقولة عن النبي ﷺ. قوله: **(أي من واحد)** أي لأن أو في الآية لأحد الشيئين، فإذا اجتمع ذكر وأنثى من ولد الأم كان لهما الثلث، وكذا إن زادوا عن ذلك، ويسقط الأخوة للأم بستة: الابن وابن الابن والبنت وبنت الابن والأب والجد. قوله: **(من ضمير يوصى)** أي هو عائد على الميت. قوله: **(أي غير مدخل الضرر)** أشار بذلك إلى أن مضار اسم فاعل. قوله: **(بأن يوصى بأكثر من الثلث)** هذا تصوير لإدخال الضرر، ويبطل ما زاد على الثلث إن لم يجزه الورثة. قوله:

أمر اليتامى وما بعده ﴿ حُدُودُ ٱللَّهِ ﴾ شرائعه التي حدها لعباده ليعملوا بها ولا يعتدوها ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾ فيما حكم به ﴿ يُدْخِلْهُ ﴾ بالياء والنون التفاتا ﴿ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ ﴿١٣﴾ ﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ ﴾ بالوجهين ﴿ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ ﴾ فيها ﴿ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ ﴿١٤﴾ ذو إهانة روعي في الضمائر في الآيتين لفظ من وفي خالدين معناها ﴿ وَٱلَّٰتِى يَأْتِينَ ٱلْفَٰحِشَةَ ﴾ الزنا ﴿ مِن نِّسَآئِكُمْ فَٱسْتَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ ﴾ أي من رجالكم المسلمين ﴿ فَإِن شَهِدُوا۟ ﴾ عليهن بها ﴿ فَأَمْسِكُوهُنَّ ﴾ احبسوهن ﴿ فِى ٱلْبُيُوتِ ﴾ وامنعوهن من مخالطة الناس ﴿ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلْمَوْتُ ﴾ أي ملائكته ﴿ أَوْ ﴾ إلى أن ﴿ يَجْعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴾ ﴿١٥﴾ طريقاً إلى الخروج منها أمروا بذلك أول الاسلام ثم جعل لهن سبيلاً بجلد البكر مائة وتغريبها . . . .

(من قتل) أي فلا يرث القاتل من تركة المقتول شيئاً كما في الحديث. قوله: **(أو اختلاف دين)** أي بالإسلام والكفر، فلا يرث المسلم الكافر، ولا العكس. قوله: **(أورق)** أي فلا يرث الرقيق من تركة الحر شيئاً ولا العكس. قوله: **(وما بعده)** أي من المواريث والوصايا. قوله: **(التي حدها لعباده)** أي بينها وفصلها. قوله: **(بالياء والنون)** أي فهما قراءتان سبعيتان. وقوله: **(التفاتاً)** راجع للنون وهو التفات من الغيبة للتكلم. قوله: **﴿مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾** أي من تحت قصورها. قوله: **(بالوجهين)** أي الياء والنون. قوله: **﴿خَالِداً فِيهَا﴾** المراد بالخلود طول المكث إن مات مسلماً وعلى حقيقته إن مات كافراً، وحكمة الإفراد في جانب العذاب أنه كما يعذب بالنار يعذب بالغربة وحكمة الجمع في جانب النعيم أنه كما ينعم بالجنة ينعم باجتماعه مع أحبابه فيها ويزورهم ويزورونه. قوله: **(لفظ من)** أي فأفرد في قوله: **﴿يُدْخِلْهُ﴾** في الموضعين، وفي قوله: **﴿وَلَهُ﴾**. قوله: **(وفي خالدين معناها)** أي فجمع. قوله: **﴿وَاللَّاتِي﴾** الخ، جمع التي وهو اسم موصول مبتدأ. وقوله: **﴿يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ﴾** صلته. وقوله: **﴿فَاسْتَشْهِدُوا﴾** خبره وقرن بالفاء لأن المبتدأ أشبه الشرط في العموم، لأن المبتدأ إذا وقع اسماً موصولاً، ووصل بجملة فعلية أشبه الشرط فيقرن خبره بالفاء، خصوصاً إذا أخبر عنه بجملة طلبية. قوله: **﴿مِنْ نِسَائِكُمْ﴾** بيان للاتي. قوله: **﴿أَرْبَعَةً مِنْكُمْ﴾** أي عدولاً، والعدل هو الذكر الحر المكلف الذي لم يرتكب كبيرة ولا صغيرة خسة، ولا ما يخل بالمروءة، وهذه الشهادة على رؤية الزنا وأما الإقرار فيكفي اثنان عليه، والخطاب في قوله: **﴿فَاسْتَشْهِدُوا﴾** لولاة الأمور كالقضاة والحكام. قوله: **(أي من رجالكم المسلمين)** أي الأحرار، وأما النساء والأرقاء والصبيان فلا تقبل شهادتهم، ويشترط في الشهادة أن تكون متحدة وقتاً ورؤية ومكاناً، فلو اختلف شيء من ذلك حد الشهود. قوله: **(وامنعوهن من مخالطة الناس)** أي الرجال، وهو عطف علة على معلول. قوله: **(أي ملائكته)** دفع بذلك ما يقال إن التوفي هو الموت ففيه إسناد الشيء نفسه.

قوله: **﴿أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ﴾** أو حرف عطف، ويجعل معطوف على يتوفى، فهو داخل في الغاية، وأشار المفسر لذلك بقوله: **(إلى أن)** **﴿يَجْعَلَ﴾** ويصح أن تكون أو بمعنى إلا كما في قوله لألزمنك أو تقضيني حقي، فهو مخرج من قوله: **﴿حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ﴾** فالمعنى إلا أن يجعل الله لهن سبيلاً، فلا تمسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت. قوله: **(ثم جعل لهن سبيلاً)** أي بنزول آية النور، واختلف في هذه الآية،

عاماً ورجم المحصنة وفي الحديث لما بين الحد قال خذوا عني خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلاً رواه مسلم ﴿وَٱلَّذَانِ﴾ بتخفيف النون وتشديدها ﴿يَأْتِيَانِهَا﴾ أي الفاحشة الزنا أو اللواط ﴿مِنكُمْ﴾ أي الرجال ﴿فَـَٔاذُوهُمَا﴾ بالسب والضرب بالنعال ﴿فَإِن تَابَا﴾ منها ﴿وَأَصْلَحَا﴾ العمل ﴿فَأَعْرِضُواْ عَنْهُمَآ﴾ ولا تؤذوهما ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابًا﴾ على من تاب ﴿رَّحِيمًا﴾ ﴿١٦﴾ به وهذا منسوخ بالحد إن أريد بها الزنا وكذا إن أريد بها اللواط عند الشافعي لكن المفعول به لا يرجم عنده وإن كان محصناً بل يجلد ويغرب وإرادة اللواط أظهر بدليل تثنية الضمير والأول أراد الزاني والزانية ويرده تبيينهما بمن المتصلة بضمير الرجال واشتراكهما في الأذى والتوبة والإعراض وهو مخصوص بالرجال لما تقدم في النساء من الحبس ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ﴾ أي التي كتب على نفسه قبولها بفضله ﴿لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ﴾ المعصية ﴿بِجَهَٰلَةٍ﴾ حال أي جاهلين إذا عصوا ربهم ﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن﴾ زمن ﴿قَرِيبٍ﴾ قبل أن يغرغروا ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ يقبل توبتهم ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا﴾

قيل منسوخة بآية النور أو مفصلة لها وهو الحق، وقد مشى عليه المفسر. قوله: (**بجلد البكر مائة وتغريبها عاماً**) هذا هو مذهب الإمام الشافعي، وعند مالك التغريب خاص بالذكر، وأما الأنثى فلا تغرب. قوله: (**رواه مسلم**) وتمامه الثيب ترجم، والبكر تجلد. قوله: (**بتخفيف النون وتشديدها**) أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: (**أو اللواط**) أو لتنويع الخلاف في تفسير الفاحشة هنا، وسيرجح الثاني بقوله: وإرادة اللواط أظهر الخ، ويصح أن يراد بالفاحشة بالزنا واللواط معاً الواقعان من الرجال، وأما الزنا من النساء فقد تقدم حكمه.

قوله: ﴿**فَآذُوهُمَا**﴾ أي ما لم يتوبا. قوله: (**وهذا منسوخ بالحد**) أي فالبكر يجلد مائة، ويغرب عاماً، والمحصن يرجم إلى أن يموت. قوله: (**عند الشافعي**) أي وعند مالك يرجم اللائط مطلقاً، فاعلاً أو مفعولاً أحصنا أو لم يحصنا، حيث كانا بالغين مختارين، وعند أبي حنيفة حده، رميه من شاهق أو رمي حائط عليه. قوله: (**لكن المفعول به الخ**) أي وأما الفاعل عنده فكالزاني، إن كان محصناً يرجم، وإن كان غير محصن جلد مائة وغرب عاماً. قوله: (**بل يجلد ويغرب**) أي إن كان بالغاً مختاراً. قوله: (**بدليل تثنية الضمير**) أي في قوله: ﴿**واللَّذانِ**﴾ وقد يقال إن فيه تغليب الذكر على الأنثى. قوله: (**وهو مخصوص**) أي ما ذكر من (**الأذى والتوبة والإعراض**).

قوله: ﴿**إنَّما التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ**﴾ هذا حسن ترتيب، حيث ذكر الذنب ثم أردفه بذكر التوبة. وقوله: ﴿**عَلَى اللَّهِ**﴾ أي التزامها تفضلاً منه وإحساناً، لأن وعد الكريم لا يتخلف على حد كتب ربكم على نفسه الرحمة. قوله: (**المعصية**) أي ولو كانت كفراً. قوله: (**أي جاهلين**) إنما قرن العصيان بالجهل، لأن العصيان لا يتأتى مع العلم، بل حين وقوع المعصية يسلب العلم، لأن أشدّ الناس خشية العلماء. قال تعالى: ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾. قوله: (**قبل أن يغرغروا**) أي قبل أن تبلغ الروح الحلقوم، وإنما كان الزمن الذي بين وقوع المعصية والغرغرة قريباً، لأن كل ما هو آت قريب، والعمر وإن طال قليل، وفيه إشارة إلى أنه ينبغي للإنسان أن يجدد التوبة في كل لحظة، لأن الموت متوقع في كل لحظة، لأن المتوقع

بخلقه﴿حَكِيمًا﴾ ﴿١٧﴾ في صنعه بهم ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ الذنوب ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ﴾ وأخذ في النزع ﴿قَالَ﴾ عند مشاهدة ماهو فيه ﴿إِنِّي تُبْتُ ٱلْـَٔانَ﴾ فلا ينفعه ذلك ولا يقبل منه ﴿وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ إذا تابوا في الآخرة عند معاينة العذاب لا تقبل منهم ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا﴾ أعددنا ﴿لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ ﴿١٨﴾ مؤلماً ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا۟ ٱلنِّسَآءَ﴾ أي ذاتهن ﴿كَرْهًا﴾ بالفتح والضم لغتان أي مكرهيهن على ذلك كانوا في الجاهلية يرثون نساء أقربائهم فإن شاؤوا تزوجوها بلا صداق أو زوجوها وأخذوا صداقها أو عضلوها حتى تفتدي بما ورثته أو تموت فيرثوها فنهوا عن ذلك ﴿وَلَا﴾ أن ﴿تَعْضُلُوهُنَّ﴾ أي تمنعوا أزواجكم

في كل لمحة، ولذا قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: ما خرج مني نفس وانتظرت عوده، وورد أنه ما من نفس يخرج من ابن آدم إلا بإذن من الله في العودة ثانياً وعمر جديد.

قوله: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ﴾ أي قبولها. قوله: **(وأخذ في النزع)** أي بلغت الروح الحلقوم وغرغر الميت، لأن الإنسان عند الغرغرة يرى مقعده في الجنة أو في النار، فيظهر عليه علامة البشرى أو الحزن، فلا ينفعه الندم إذ ذاك. قوله: ﴿وَلَا الَّذِين﴾ معطوف على قوله: ﴿لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾ المعنى ليست التوبة للذين يعملون السيئات الخ، وليست التوبة للذين يموتون وهم كفار فهو محل جر. قوله: ﴿أُولَٰئِكَ اعْتَدْنَا﴾ أصله أعددنا قلبت الدال الأولى تاء، وقد أشار لذلك المفسر بقوله **(أعددنا)** والمعنى أحضرنا وهيأنا.

قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ﴾ الآية الخ، سبب نزولها أنه كان في الجاهلية وصدر الإسلام، إذا مات الرجل وترك امرأة، جاء ابنه من غيرها أو قريبه فرمى عليها ثوبه فيخير فيها بعد ذلك، فإما أن يتزوجها بلا مهر، أو يزوجها لغيره ويأخذ مهرها، أو بعضها حتى تفتدي منه، أو تموت ويأخذ ميراثها، ثم لما توفي أبو قيس، وترك امرأته كبيشة بنت معن الأنصارية، قام ابن له قيل اسمه قيس، فطرح عليها ثوبه ثم تركها، فلم يقربها ولم ينفق عليها، فأتت كبيشة رسول الله ﷺ فقالت يا رسول الله إن أبا قيس توفي وأخذني ابنه، فلم ينفق علي ولم يخل سبيلي، فقال امكثي في بيتك حتى يأتي أمر الله فيك، فنزلت هذه الآية. قوله: **(أي ذاتهن)** دفع بذلك ما يقال إن ميراث الرجل من المرأة قد تقدم، وهو إما النصف أو الربع، وليس بمنهي عنه. قوله: **(لغتان)** المناسب قراءتان وهما سبعيتان. قوله: **(أي مكرهين)** بكسر الراء اسم فاعل، ومفعول محذوف تقديره مكرهين لهن على ذلك. قوله: **(كانوا في الجاهلية)** أي وصدر الإسلام، وهو إشارة لسبب نزول الآية، وقد أجمل فيه. قوله: **(بلا صداق)** أي اتكالاً على الصداق الذي دفعه أبوه.

قوله: ﴿وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾ معطوف على قوله: ﴿لَا يَحِلُّ لَكُمْ﴾ الخ، والمعنى لا يحل لكم ميراث النساء ولا عضلهن، وهو خطاب للأزواج كان الرجل يكره المرأة، ولها عليه المهر، فيسيء عشرتها ويضارها لتفتدي منه. قوله: ﴿أَيْ تَمْنَعُوا أَزْوَاجَكُمْ﴾ أشار بذلك إلى أن الضمير عائد على النساء، لا بالمعنى الأول، فإن المراد بالنساء فيما تقدم نساء غيركم، وفيما هنا نساؤكم، ففي الكلام استخدام قوله:

عن نكاح غيركم بإمساكهن ولا رغبة لكم فيهن ضراراً ﴿لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ﴾ من المهر ﴿إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَـٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾ بفتح الباء وكسرها أي بينت أو هي بينة أي زنا أو نشوز فلكم أن تضاروهن حتى يفتدين منكم ويختلعن ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ أي بالاجمال في القول والنفقة والمبيت ﴿فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ﴾ فاصبروا ﴿فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ (١٩) ولعله يجعل فيهن ذلك بأن يرزقكم منهن ولداً صالحاً ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ﴾ أي أخذها بدلها بأن طلقتموها ﴿وَ﴾ قد ﴿ءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ﴾ أي الزوجات ﴿قِنطَارًا﴾ مالاً كثيراً صداقاً ﴿فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَـٰنًا﴾ ظلماً ﴿وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ (٢٠) بيناً ونصبهما على الحال والاستفهام للتوبيخ وللإنكار في ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ﴾ أي بأي وجه ﴿وَقَدْ أَفْضَىٰ﴾ وصل ﴿بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾ بالجماع المقرر للمهر ﴿وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَـٰقًا﴾ عهداً ﴿غَلِيظًا﴾ (٢١) شديداً وهو ما

﴿لِتَذْهَبُوا﴾ علة لقوله: ﴿وَلَا تَعضُلُوهُنَّ﴾. قوله: ﴿بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ﴾ أي ومن باب أولى أخذ الجميع.

قوله: ﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ﴾ هذا استثناء من عموم الأحوال، والمعنى لا يحل عضل النساء لأجل أخذ بعض ما آتيتموهن في حال من الأحوال، إلا في حال إتيانهن بفاحشة مبينة. قوله: **(بفتح الياء وكسرها)** أي فهم قراءتان سبعيتان. قوله: **(أو نشوز)** أي خروج عن طاعة الزوج. قوله: **(فلكم أن تضاروهن)** إن قلت: إن المضاررة لا تجوز فكيف ذلك؟ أجيب بأن هذا منسوخ، أو بأن المراد بها الوعظ والهجر والضرب على طبق ما يأتي في قوله تعالى: ﴿واللاتي تخافون نشوزهن﴾ الآيات، وتسميته حينئذ مضاررة مشاكلة نظير (فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه). قوله: **(وعاشروهن)** قيل معطوف على قوله فيما تقدم ﴿وأتوا النساء صدقاتهن نحلة﴾ وقيل معطوف على قوله: ﴿**ولا تعضلوهن**﴾ وعليه فالعطف للتوكيد، والمعنى لا تضاروهن وعاشروهن بالمعروف، بأن تطيبوا لهن القول والفعل، ومن ذلك تعليمهن مصالح دينهن ودنياهن. قوله: **(الإجمال في القول)** أي بالقول الجميل الخ.

﴿فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ﴾ أي طبعاً من غير ظهور ما يوجب الكراهة منهن. قوله: **(فاصبروا)** هذا هو جواب الشرط، وقوله: ﴿فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً﴾ علة له. قوله: **(ولداً صالحاً)** أي ذكراً أو أنثى، ففي الحديث: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له» وبالجملة فالإحسان إلى النساء من مكارم الأخلاق، وإن وقعت منهن الإساءة، لما في الحديث «يغلبن كريماً ويغلبهن لئيم، فأحب أن أكون كريماً مغلوباً، ولا أحب أن أكون لئيماً غالباً». قوله: **(بأن طلقتموها)** أي بعد الدخول، وأما قبله فليس لها عنده إلا نصف المهر. قوله: **(مالاً كثيراً)** أشار بذلك إلى أنه ليس المراد بالقنطار التحديد. قوله: **(ظلماً)** أشار بذلك إلى أنه أطلق البهتان وهو في الأصل الكذب، وأراد به الظلم مجازاً. قوله: **(والاستفهام للتوبيخ والإنكار في)** ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ﴾ أي وفيما قبله. قوله: **(بالجماع)** هكذا فسره به الشافعي، وقال مالك بالخلوة التي يتأتى فيها الوطء. قوله: **(بالجماع)** هكذا فسره به الشافعي، وقال مالك بالخلوة التي يتأتى فيها الوطء. قوله: **(المقرر للمهر)** أي وهو الواقع من بالغ في مطيقة، وقال الشافعي بل ولو لم تكن مطيقة. قوله: ﴿وَأَخَذْنَ﴾ أي النساء، والآخذ في الحقيقة هو الله،

أمر الله به من إمساكهن بمعروف أو تسريحهن باحسان ﴿ وَلَا تَنكِحُواْ مَا ﴾ بمعنى من ﴿ نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا ﴾ لكن ﴿ مَا قَدْ سَلَفَ ﴾ من فعلكم ذلك فإنه معفو عنه ﴿ إِنَّهُۥ ﴾ أي نكاحهن ﴿ كَانَ فَٰحِشَةً ﴾ قبيحاً ﴿ وَمَقْتًا ﴾ سبباً للمقت من الله وهو أشد البغض ﴿ وَسَآءَ ﴾ بئس ﴿ سَبِيلًا ﴾ ﴿٢٢﴾ طريقاً ذلك ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ ﴾ أن تنكحوهن وشملت الجدات من قبل الأب أو الأم ﴿ وَبَنَاتُكُمْ ﴾ وشملت بنات الأولاد وإن سفلن ﴿ وَأَخَوَٰتُكُمْ ﴾ من جهة الأب أو الأم ﴿ وَعَمَّٰتُكُمْ ﴾ أي أخوات آبائكم وأجدادكم ﴿ وَخَٰلَٰتُكُمْ ﴾ أي أخوات أمهاتكم وجداتكم ﴿ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ

وإنما أسند للنساء مجازاً عقلياً من الإسناد للسبب.

قوله: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ﴾ شروع منه سبحانه وتعالى في المحرمات من النساء على الرجال، وابتدأ بتحريم زوجة الأب اعتناء بها، فإن الجاهلية كانوا يفعلون ذلك كثيراً، ولما كان ذلك الأمر قبيحاً شرعاً وطبعاً، أفرده بالنهي ولم يدرجه في جملة المحرمات الآتية. قوله: ﴿مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ﴾ المراد بالنكاح العقد، وبالآباء الأصول وإن علوا، فمتى عقد أحد من أصولك على امرأة، فلا يحل لك ولا لأحد من ذريتك تزوجها بحال، وهذه إحدى المحرمات بالصهر، وهن أربع، والباقي زوجة الابن، وأم الزوجة، وبنت الزوجة، وكل ذلك يحصل التحريم فيه بمجرد العقد، إلا بنت الزوجة فلا يحرمها إلا الدخول بأمها، والمراد بالدخول عند مالك التلذذ مطلقاً وإن لم تكن خلوة، وعند الشافعي لا بد من الوطء، وأما جارية الأب فلا تحرم على الابن، إلا إن تلذذ بها الأب، وسيأتي في الآية تحريم باقي الأصهار. قوله: ﴿مِنَ النِّسَاءِ﴾ بيان لما التي بمعنى من، وعبر بما التي لغير العاقل غالباً، إشارة إلى أن النساء ناقصات عقل. قوله: ﴿إِلَّا﴾ (لكن) أشار بذلك إلى أن الاستثناء منقطع، لأن النهي مستقبل، والاستثناء ماض، ولا يستثنى الماضي من المستقبل، وفي الحقيقة الاستثناء من قوله بعد ﴿إِنَّه كَانَ فَاحِشَةً﴾ الخ، وحكمة هذا الاستثناء دفع توهم أن من فعله، ولو قيل بالتحريم يحصل له هذا الوعيد الشديد.

قوله: ﴿إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً﴾ علة لقوله: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا﴾ وكان إمّا صلة، أو مجردة عن معنى الزمان الماضي، فهي بمعنى صار. قوله: ﴿وَسَاءَ سَبِيلاً﴾ مقول لقول محذوف معطوف على فاحشة، أي ومقولاً فيه ساء سبيلاً، ويحتمل أنه كلام مستأنف لإنشاء الذم. قوله: (ذلك) قدره إشارة إلى المخصوص بالذم، والمعنى أن من تزوج بزوجة الأب بعد التحريم، ارتكب أمراً قبيحاً، واستحق أشد البغض من الله، وسلك طريقاً قبيحاً خبيثاً.

قوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ﴾ شروع في ذكر المحرمات بالنسب، وأمهات جمع أم، فالهاء زائدة في الجمع، للفرق بين جمع من يعقل ومن لا يعقل، وهذا على أن المفرد أم، وإما على أن المفرد أمهة فليست زائدة، وقد يتعاكس على الأول، فيقال في العقلاء أمات، وفي غيرهم أمهات. قوله: (تنكحوهن) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف، لأن الذوات لا تحرم، وإنما التحريم متعلق بالفعل. قوله: (وشملت بنات الأولاد) أي ذكوراً وإناثاً. قوله: ﴿وأَخوَاتُكُمْ﴾ جمع أخت، يقال في الأنثى أخت، وفي الذكر أخ، وجمع الأول أخوات، والثاني إخوة. قوله: (من جهة الأب أو الأم) أي ومن باب أولى الشقيقات. قوله: (أي أخوات آبائكم) أي مطلقاً شقيقات أو لأب أو لأم. قوله: (وأجدادكم) أي وإن علوا. قوله: (أي أخوات أمهاتكم) أي مطلقاً شقيقات أو لأب أو لأم. قوله: (وجداتكم) أي وإن

﴿وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ﴾ ويدخل فيهن أولادهم ﴿وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِيٓ أَرْضَعْنَكُمْ﴾ قبل استكمال الحولين خمس رضعات كما بينه الحديث ﴿وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ﴾ ويلحق بذلك بالسنة البنات منها وهن من أرضعتهن موطوأته والعمات والخالات وبنات الأخ وبنات الأخت منها لحديث يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب رواه البخاري ومسلم ﴿وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ﴾ جمع ربيبة وهي بنت الزوجة من غيره ﴿ٱلَّٰتِي فِي حُجُورِكُم﴾ تربونها صفة موافقة للغالب فلا مفهوم لها ﴿مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ﴾ أي جامعتموهن ﴿فَإِن لَّمْ تَكُونُواْ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ في نكاح بناتهن إذا فارقتموهن ﴿وَحَلَٰٓئِلُ﴾ أزواج ﴿أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ﴾ بخلاف من تبنيتموهم فلكم نكاح حلائلهم ﴿وَأَن تَجْمَعُواْ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ﴾ من نسب أو رضاع بالنكاح ويلحق بها بالسنة الجمع بينها وبين عمتها أو خالتها ويجوز نكاح كل واحدة على الانفراد وملكهما معاً ويطأ

علون. قوله: **(ويدخل فيهن بنات أولادهن)** أي الأخوات ذكوراً وإناثاً وإن سفلن، وفيه تغليب الأخت على الأخ لقربها، وفي نسخة أولادهم بميم الجمع، ويكون عائداً على الأخ، وغلبه على الأخت تشريفاً.

قوله: **﴿وأُمَّهَاتُكُمُ اللاَّتِي أَرْضَعْنَكُمْ﴾** شروع في ذكر المحرمات بالرضاع. قوله: **(قبل استكمال الحولين)** ظاهره ولو كان مستغنياً عن اللبن، ولكن يقيد عند مالك بما إذا لم يستغن عن اللبن داخل الحولين، وإلا فلا يحرم كبعد الحولين. قوله: **(خمس رضعات)** أي متفرقات، وهذا مذهب الإمام الشافعي وابن حنبل، وأما مذهب مالك وأبي حنيفة فالمصة الواحدة كافية في التحريم. قوله: **(كما بينه الحديث)** أي الصحيح، لأن من قواعد الشافعي كلما صح الحديث كان مذهباً له، وأما مالك فكذلك ما لم يعارضه عمل أهل المدينة وإجماعهم، وإلا حمل الحديث عنده على أنه منسوخ، فعمل أهل المدينة حجة عند مالك دون غيره.

قوله: **﴿وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرَّضَاعَةِ﴾** أي وسواء كانت تلك الأخت بنتاً لمن أرضعتك أولاً، كما إذا رضعت امرأة ابن عمر وبنت زيد فإنها تصير أختاً له من الرضاعة. قوله: **(ويلحق بذلك)** أي بما ذكر من الأمهات والأخوات من الرضاعة. قوله: **(من أرضعتهن موطوأته)** ظاهره ولو بزنا، وهو كذلك عند مالك، وأما عند الشافعي فيقيد الوطء بكونه من نكاح أو شبهته، أو ملك أو شبهته، وأما بالزنا فلا يحرم عنده. قوله: **﴿اللاَّتِي فِي حُجُورِكُمْ﴾** جمع حجر وهو في الأصل مقدم الثوب، أطلق وأريد به كونهم في تربيته. قوله: **(موافقه للغالب)** أي فإن الغالب عدم استغناء الربيبة عن أمها فهي في حجر زوجها. قوله: **(أي جامعتموهن)** هذا مذهب الشافعي، وعند مالك يكفي مطلق التلذذ في التحريم. قوله: **﴿الَّذِينَ مِنْ أَصْلاَبِكُمْ﴾** نزلت رداً لقول بعض المنافقين حين تزوج النبي ﷺ حليلة زيد وكان متبنياً له، إن محمداً تزوج حليلة ابنه. قوله: **﴿بَيْنَ الأُخْتَيْنِ﴾** أي مطلقاً شقيقتين أو لأب أو لأم. قوله: **(الجمع بينها وبين عمتها الخ)** أي وضابط ذلك أن يقال كل اثنتين لو قدرت آية ذكر ما حرم فإنه يحرم جمعهما، وأما لو كان التقدير في أحد الجانبين يحرم وفي الآخر لا يحرم، فإنه لا يحرم، كجمع المرأة وأم زوجها أو بنته من غيرها، أو المرأة وجاريتها، كما قال الأجهوري:

وَجَمْعُ مَرْأَةٍ وأُمِّ البَعْلِ ... أَوْ بِنْتُهُ أَوْ رِقُّهَا ذُو حَلِّ

واحدة ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿مَا قَدْ سَلَفَ﴾ في الجاهلية من نكاحكم بعض ما ذكر فلا جناح عليكم فيه ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا﴾ لما سلف منكم قبل النهي ﴿رَّحِيمًا﴾ ﴿٢٣﴾ بكم في ذلك ﴿وَ﴾ حرمت عليكم ﴿الْمُحْصَنَاتُ﴾ أي ذوات الأزواج ﴿مِنَ النِّسَاءِ﴾ أن تنكحوهن قبل مفارقة أزواجهن حرائر مسلمات كن أو لا ﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ من الإماء بالسبي فلكم وطؤهن وإن كان لهن أزواج في دار الحرب بعد الاستبراء ﴿كِتَابَ اللَّهِ﴾ نصب على المصدر أي كتب ذلك ﴿عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ﴾ بالبناء للفاعل والمفعول ﴿لَكُم مَّا وَرَاءَ ذَٰلِكُمْ﴾ أي سوى ما حرم عليكم من النساء ﴿أَن تَبْتَغُوا﴾ تطلبوا النساء ﴿بِأَمْوَالِكُم﴾ بصداق أو ثمن ﴿مُّحْصِنِينَ﴾ متزوجين ﴿غَيْرَ مُسَافِحِينَ﴾ زانين ﴿فَمَا﴾ أي من ﴿اسْتَمْتَعْتُم﴾ تمتعتم ﴿بِهِ مِنْهُنَّ﴾ ممن تزوجتم بالوطء ﴿فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ مهورهن التي

قوله: **(ويطأ واحدة)** أي ويحرم الأخرى. قوله: **﴿إِلَّا﴾ (لكن) ﴿مَا قَدْ سَلَفَ﴾** هذا استثناء منقطع كالأول، ولم يقل هنا ﴿إنه كان فاحشة ومقتاً وساء سبيلاً﴾ لعله بالقياس على ما تقدم. قوله: **(بعض ما ذكر)** أي وهو نكاح الأختين. قوله: **﴿والمُحْصَنَاتُ﴾** معطوف على قوله: **﴿أُمَّهَاتُكُمْ﴾** فهو مندرج في سلك المحرمات، ولذا قدر المفسر قوله حرمت عليكم، **﴿وَالمُحْصَنَاتُ﴾** بفتح الصاد هنا باتفاق السبعة، وأما في غير هذا الموضوع فقرأ الكسائي بالكسر، فعلى الفتح هو اسم مفعول، وفاعل الإحصان إما الأزواج أو الأولياء أو الله، وعلى الكسر اسم فاعل بمعنى إنهن أحصن أنفسهن، واعلم أن الإحصان يطلق على التزوج كما في هذه الآية، وعلى الحرية كما في قوله: ﴿ومن لم يستطع منكم طولاً أن ينكح المحصنات﴾ وعلى الإسلام كما في قوله: ﴿فإذا أحصن﴾ وعلى العفة كما في قوله: ﴿محصنات غير مسافحات﴾. قوله: **(أن تنكحوهن)** أي تعقدوا عليهن في العصمة وما ألحق بها كالعدة، وقد أشار لذلك بقوله: **(قبل مفارقة أزواجهن)**. قوله: **(أو لا)** أي بل كن إماء أو كتابيات.

قوله: **﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾** الاستثناء متصل، ويشير له قول المفسر وإن كان لهن أزواج، ولكن فيه شائبة انقطاع من وجهين: الأول أن المستثنى الوطء، والمستثنى منه العقد، الثاني أن المستثنى منه المتزوجات بالفعل، والمستثنى من كن متزوجات، فإنه بمجرد السبي تنقطع عصمة الكافر. قوله: **(نصب على المصدر)** أي المؤكد لعامله المعنوي المستفاد من قوله حرمت، فإن التحريم والفرض والكتب بمعنى واحد. قوله: **(بالبناء للفاعل والمفعول)** أي فهما قراءتان سبعيتان، والفاعل هو الله، وحذف للعلم به. قوله: **﴿مَا وَرَاءَ ذٰلِكُمْ﴾** أي غير ما ذكر لكم، وهذا عام مخصوص بغير ما حرم بالسنة كباقي المحرمات من الرضاع، والجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها، والملاعنة على ملاعنها، والمعتدة، فقوله: **(أي سوء ما حرم عليكم من النساء)** أي كتاباً وسنة.

قوله: **﴿أَنْ تَبْتَغُوا﴾** علة لقوله: **﴿وأُحِلَّ لَكُمْ﴾** أي أحل لكم لأجل أن تبتغوا. قوله: **(بصداق)** أي بالتزوج، وقوله: **(أو ثمن)** أي بالملك. قوله: **(متزوجين)** أي أو متملكين بدليل قوله: **(أو ثمن)**. وقوله: **﴿غَيْرَ مُسَافِحِينَ﴾** حال أخرى، وسمى الزنا سفاحاً، لأن الزانيين لا يقصدان إلا صبّ الماء، ولا يقصدان نسلاً، فإن الأصل في السفح الصب. قوله: **﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ﴾** أشار المفسر بقوله: **(أي من)**

فرضتم لهن ﴿ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُم ﴾ أنتم وهن ﴿ بِهِۦ مِنۢ بَعْدِ ٱلْفَرِيضَةِ ﴾ من حطها أو بعضها أو زيادة عليها ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا ﴾ بخلقه ﴿ حَكِيمًا ﴾ ﴿٢٤﴾ فيما دبره لهم ﴿ وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا ﴾ أي غنى ﴿ أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ﴾ الحرائر ﴿ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾ هو جري على الغالب فلا مفهوم له ﴿ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم ﴾ ينكح ﴿ مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِكُم ﴾ فاكتفوا بظاهره وكلوا السرائر إليه فإنه العالم بتفصيلها ورب أمة تفضل الحرة فيه وهذا تأنيس بنكاح الإماء ﴿ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ﴾ أي أنتم وهن سواء في الدين فلا تستنكفوا من نكاحهن ﴿ فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ ﴾ مواليهن ﴿ وَءَاتُوهُنَّ ﴾ أعطوهن ﴿ أُجُورَهُنَّ ﴾ مهورهن ﴿ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾ من غير مطل

إلى أن ما واقعة على من يعقل وهن الزوجات، والمراد الزوجات اللاتي تمتعتم به منهن، فالآية واردة في النكاح الصحيح، فهو بمعنى قوله تعالى: ﴿وآتوا النساء صدقاتهن نحلة﴾ الآية، وكرره لتتميم حكم الحل، وقيل إن الآية وردت في نكاح المتعة، وكان في صدر الإسلام حلالاً، فكان الرجل ينكح المرأة وقتاً معلوماً ثم يسرحها، وقد نسخ هذا، فعلى هذا الآية منسوخة. قوله: **(بالوطء)** أي ومقدماته. قوله: **(مهورهن)** سمى المهر أجراً لأنه في مقابلة الاستمتاع لا الذات. قوله: **(فرضتم لهن)** أشار بذلك إلى أن فريضة مفعول لمحذوف وهو متصل بما قبله، فإن لم يكن فرض لها شيئاً وقد دخل بها، فإنه يلزمه مهر مثلها. قوله: ﴿**وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ**﴾ أي ولا عليهن. قوله: **(أنتم وهن)** أي إن كن رشيدات، أو أولياؤهن إن كن سفيهات. قوله: **(من حطها الخ)** بيان لما، والكلام موزع، والمعنى فلا جناح عليكم فيما تراضيتم به من الحط، ولا جناح عليهن فيما تراضين من أخذ الزيادة.

قوله: ﴿**وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ**﴾ من شرطية أو موصولة، ويستطع إما فعل الشرط أو صلة الموصول، وقوله: ﴿**وَمِنْكُمْ**﴾ أي الأحرار وهو شروع في بيان حكم نكاح الإماء للأحرار، فأفاد أنه لا يجوز للحر أن ينكح الأمة إلا بشروط ثلاثة: أن لا يجد للحرائر طولاً، وأن تكون تلك الأمة مؤمنة، وأن يخشى على نفسه العنت، وذلك الحكم يخصص ما تقدم في قوله: ﴿فانكحوا ما طاب لكم من النساء﴾. وقوله: ﴿وأحل لكم ما وراء ذلكم﴾ وعلة حرمة نكاح الأمة لئلا يصير الولد رقيقاً لسيد الأمة، فإن كان لا يولد له أو لها أو كان ولده يعتق على سيدها مثل أمة الجد، فإنه يجوز له تزوج الأمة بشرط كونها مؤمنة.

قوله: ﴿**أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ**﴾ أن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مفعول لقوله طولاً على حد، ﴿أو إطعام في يوم ذي مسغبة يتيماً﴾. قوله: **(فلا مفهوم له)** أي فإذا وجد طولاً لحرة كتابية، فلا يجوز له أن يتزوج بالأمة. قوله: ﴿**فَمِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ**﴾ إما جواب الشرط أو خبر المبتدأ، وقدر المفسر العامل مؤخراً لإفادة الحصر. قوله: ﴿**مِنْ فَتَيَاتِكُمُ**﴾ جمع فتاة وهي الشابة من النساء. قوله: **(تفضل الحرة فيه)** أي الإيمان بأن تكون من كبار الأولياء وأرباب الأسرار مثلاً. قوله: ﴿**بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ**﴾ أي من جنس بعض في الدين والنسب، كقول علي كرّم الله وجهه بيت شعر من البسيط:

النَّاسُ مِنْ جِهَةِ التَّمْثِيلِ أَكْفَاءُ ... أَبُوهُمُ آدَمُ وَالأُمُّ حَوَّاءُ

قوله: **(من غير مطل)** أي عدم أداء مع القدرة عليه. قوله: **(حال)** أي من قوله: ﴿**فَانْكِحُوهُنَّ**﴾

ونقص ﴿مُحْصَنَٰتٍ﴾ عفائف حال ﴿غَيْرَ مُسَٰفِحَٰتٍ﴾ زانيات جهراً ﴿وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍ﴾ أخلاء يزنون بهن سراً ﴿فَإِذَآ أُحْصِنَّ﴾ زوجن وفي قراءة بالبناء للفاعل تزوجن ﴿فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ﴾ زنا ﴿فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ﴾ الحرائر الأبكار إذا زنين ﴿مِنَ ٱلْعَذَابِ﴾ الحد فيجلدن خمسين ويغربن نصف سنة ويقاس عليهن العبيد ولم يجعل الإحصان شرطاً لوجوب الحد بل لإفادة أنه لا رجم عليهن أصلاً ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي نكاح المملوكات عند عدم الطول ﴿لِمَنْ خَشِيَ﴾ خاف ﴿ٱلْعَنَتَ﴾ الزنا وأصله المشقة سمي به الزنا لأنه سببها بالحد في الدنيا والعقوبة في الآخرة ﴿مِنكُمْ﴾ بخلاف من لا يخافه من الأحرار فلا يحل له نكاحها وكذا من استطاع طول حرة وعليه الشافعي وخرج بقوله من فتياتكم المؤمنات الكافرات فلا يحل له نكاحها ولو عدم وخاف ﴿وَأَن تَصْبِرُواْ﴾ عن نكاح المملوكات ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ لئلا يصير الولد رقيقاً ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٢٥﴾ بالتوسعة في ذلك ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ شرائع دينكم ومصالح أمركم ﴿وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ﴾ طرائق ﴿ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ من الأنبياء في التحليل والتحريم فتتبعوهم ﴿وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ يرجع بكم

أي حال كونهن عفائف عن الزنا، وهذا شرط كمال على المعتمد. قوله: ﴿غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ﴾ حال مؤكدة. قوله: ﴿وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ﴾ جمع خدن بالكسر وهو الصاحب والخليل، وإنما ذكره بعده لأنه كان في الجاهلية الزنا قسمان: جهراً وسراً، فكان الأكابر منهم يحرمون القسم الأول ويحلون القسم الثاني. قوله: **(وفي قراءة بالبناء للفاعل)** أي فهما قراءتان سبعيتان، والمعنى على هذه القراءة أحصن أنفسهن.

قوله: ﴿فَإِنْ أَتَيْنَ﴾ شرط في الشرط، وقوله: ﴿فَعَلَيْهِنَّ﴾ الخ، جواب الثاني، والثاني وجوابه جواب الأول على حد: إن جئتني فإن لم أكرمك فعبدي حر. قوله: **(الأكابر)** إنما قيد بذلك لأن حد غير البكر من الأحرار الرجم وهو لا ينتصف. قوله: **(ويغرّبن نصف سنة)** هذا مذهب الإمام الشافعي، وأما عند مالك فلا تغريب على الرقيق، ذكراً أو أنثى. قوله: **(ولم يجعل الإحصان الخ)** إنما احتاج للسؤال والجواب، لأنه فسر الإحصان بالتزوج، وإلا فلو فسره بالإسلام كما فعل غيره لما احتاج لذلك كله. قوله: **(وأصله المشقة)** أي أصله الثاني، وإلا فأصله الأول الكسر بعد الجبر، ثم نقل لكل مشقة تحصل للإنسان. قوله: **(والعقوبة في الآخرة)** أي إن لم يقم عليه الحد في الدنيا على المعتمد من أن الحدود جوابر. قوله: **(فلا يحل له نكاحها)** محل ذلك إن لم يخف العنت في أمة معينة ولم يجد ما يكفه عنها من الحرائر، فعند مالك يجوز له نكاحها لأنه عادم للحرائر حكماً. قوله: **(وعليه الشافعي)** أي ومالك وأحمد، وقال أبو حنيفة بجواز نكاح الأمة لمن ليس تحته حرة بالفعل، ولو كان واجداً لمهرها، وخالف في اشتراط إسلام الأمة. قوله: **(ولو عدم)** أي الطول وخاف العنت.

قوله: ﴿وأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ﴾ أي فالصبر أجمل حيث أمكن التحيل على ذلك لقوله في الحديث: «من استطاع منكم الباءة فليتزوج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء»، ولقوله تعالى: ﴿وليستعفف الذين لا يجدون نكاحاً حتى يغنيهم الله من فضله﴾. قوله: **(بالتوسعة في ذلك)** أي في نكاح الأمة. قوله: ﴿لِيُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ أي يفصل ويظهر. قوله: **(فتتبعوهم)** أي على منوال شرعكم. قوله:

عن معصيته التي كنتم عليها إلى طاعته ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بكم ﴿حَكِيمٌ ۝٢٦﴾ فيما دبره لكم ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ﴾ كرره ليبني عليه ﴿وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾ اليهود والنصارى أو المجوس أو الزناة ﴿أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا عَظِيمًا ۝٢٧﴾ تعدلوا عن الحق بارتكاب ما حرم عليكم فتكونوا مثلهم ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمۡۚ﴾ يسهل عليكم الشرع ﴿وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ۝٢٨﴾ لا يصبر عن النساء والشهوات ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ﴾ بالحرام في الشرع كالربا والغصب ﴿إِلَّآ﴾ لكن ﴿أَن تَكُونَ﴾ تقع ﴿تِجَٰرَةً﴾ وفي قراءة بالنصب أي تكون الأموال أموال تجارة صادرة ﴿عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡۚ﴾ وطيب نفس فلكم أن تأكلوها ﴿وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ﴾ بارتكاب ما يؤدي إلى هلاكها أياً كان في الدنيا أو الآخرة بقرينة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمًا ۝٢٩﴾ في

﴿وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ أي يقبل توبتكم إذا تبتم. قوله: **(عن معصيته)** أي اللغوية، وإلا فقبل التشريع لم تكن معصية.

قوله: **﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾** أي يحب ذلك ويرضاه، وليست الإرادة على حقيقتها، لأنه يقتضي أن إرادة الله متعلقة بتوبة كل، مع أنه ليس كذلك، فالمعنى الله يحب توبة العبد فيتوب عليه، ومن هنا قيل إن قبول التوبة قطعي. قوله: **(أو المجوس)** أي فكانوا يجوزون نكاح الأخوات من الأب وبنت الأخ، فلما حرمهن الله صاروا يقولون للمؤمنين إنكم تحلون نكاح بنت العمة وبنت الخالة، فلا فرق بينهما وبين بنت الأخ والأخت. قوله: **(فتكونوا مثلهم)** أي لأن المصيبة إذا عمت هانت. قوله: **(يسهل عليكم أحكام الشرع)** أي فلم يجعلها ثقيلة عسرة كما كان في الأمم السابقة، قال تعالى: ﴿يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر﴾، وقال تعالى: ﴿ما جعل عليكم في الدين من حرج﴾.

قوله: **﴿وَخُلِقَ الإِنْسَانُ﴾** هذا كالتعليل لقوله: **﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ﴾**. قوله: **(لا يصبر عن النساء)** أي لما في الحديث «لا خير في النساء ولا صبر عنهن، يغلبن كريماً ويغلبن لئيماً، فأحب أن أكون كريماً مغلوباً، ولا أحب أن أكون لئيماً غالباً». وقوله: **(أو الشهوات)** أي مطلقاً ومن جملتها النساء، وفي الحديث: «إن لنفسك عليك حقاً». قوله: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾** الخ، لما بين النهي عن بعض الفروج وإباحة بعضها، شرع بين النهي عن بعض الأموال والأنفس. قوله: **﴿لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ﴾** أي بإنفاقها في المعاصي، والمراد بالأكل مطلق الأخذ، وإنما عبر بالأكل لأنه معظم المقصود من الأموال. قوله: **(كالربا والغصب)** أي والسرقة والرشوة وغير ذلك من المحرمات. قوله: **﴿إِلَّا﴾ (لكن)** أشار بذلك إلى أن الاستثناء منقطع. قوله: **(وفي قراءة بالنصب)** أي على أن تكون ناقصة وتجارة خبرها واسمها محذوف، وأما على الرفع فتكون تامة، والقراءتان سبعيتان.

قوله: **﴿عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ﴾** أي وأما إذا لم تكن عن تراض، بل كانت غصباً أو غشاً أو خديعة، فليست حلالاً، ويشترط أن تكون على الوجه المرضي في الشرع، وخص التجارة بالذكر، لأن غالب التصرف في الأموال بها لذوي المروءات. قوله: **(أياً كان في الدنيا الخ)** أي بأن يزني وهو محصن، فيترتب عليه الرجم، أو يقتل أحداً فيقتل، أو يقتل نفسه غماً وأسفاً، لما روي عن أبي هريرة قال: قال

منعه لكم من ذلك ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾ أي ما نهى عنه ﴿عُدْوَانًا﴾ تجاوزاً للحلال حال ﴿وَظُلْمًا﴾ تأكيد ﴿فَسَوْفَ نُصْلِيهِ﴾ ندخله ﴿نَارًا﴾ يحترق فيها ﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾ ﴿٣٠﴾ هيناً ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ وهي ما ورد عليها وعيد كالقتل والزنا والسرقة وعن ابن عباس هي إلى السبعمائة أقرب ﴿نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾ الصغائر بالطاعات ﴿وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا﴾ بضم الميم وفتحها أي إدخالاً أو موضعاً ﴿كَرِيمًا﴾ ﴿٣١﴾ هو الجنة ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا۟ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ من جهة الدنيا أو الدين لئلا يؤدي إلى التحاسد والتباغض ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ﴾ ثواب

رسول الله ﷺ: «من تردّى من جبل فقتل نفسه فهو في نار جهنم يتردى فيها خالداً مخلداً فيها أبداً، ومن تحسى سماً فقتل نفسه فسمه في يده يتحساه في نار جهنم خالداً فيها أبداً، ومن قتل نفسه بحديدة فهو يتوجأ بها في بطنه في نار جهنم خالداً فيها أبداً». قوله: **(أي ما نهى عنه)** أي وهو قتل النفس أو أكل الأموال بالباطل. قوله: **(تأكيد)** أي لأن الظلم والعدوان بمعنى واحد، وهو تجاوز الحد.

قوله: **﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ﴾** أي الإصلاء المذكور. قوله: **(وهي ما ورد عليها وعيد)** أي واحد، ولا تحد بالعد. قوله: **(أقرب)** أي منها للسبعين التي قيل بها. قوله: **(بالطاعات)** أي يفعلها زيادة على الاجتناب كذا قيل، وقيل لا يشترط ذلك، بل تكفر الصغائر باجتناب الكبائر فقط، فإن اجتناب الكبائر من أعظم الطاعات، وهو المعتمد. قوله: **(بضم الميم)** أي فيكون مصدراً على صورة المفعول، لأن مصدر الرباعي يأتي على صورة اسم المفعول ومفعوله محذوف، أي ندخلكم الجنة إدخالاً، وقوله: **(وفتحها)** أي فيكون اسم مكان، فقوله: **(أي إدخالاً أو موضعاً)** لف ونشر مرتب، ويحتمل أن كلاً لكل لكن الأول أقرب، وهما سبعيتان إلا في الإسراء فبالضم لا غير. قوله: **(هو الجنة)** هذا يناسب كونه إسم مكان، وأما على كونه مصدراً، فالمراد أن قرار الإدخال الكريم الجنة، ومعنى كونه كريماً أنه لا نكد فيه ولا تعب، بل فيه ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

قوله: **﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا۟﴾** سيأتي في المفسر سبب نزولها، وهو تمني أم سلمة كونها من الرجال، وذلك لأن الله فضل الرجال على الناس بأمور منها: الجهاد والجمعة والزيادة في الميراث وغير ذلك، والتمني هو التعلق بحصول أمر في المستقبل، عكس التلهف لأنه التعلّق بحصول أمر في الماضي، فإن تعلق بانتقال ما لغيره له أو لغيره مع زواله عنه، فهو حسد مذموم، وهو معنى قوله تعالى: ﴿أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله﴾ وفي ذلك قال ابن حنبل:

أَلَا قُلْ لِمَنْ بَاتَ لِي حَاسِداً ... أَتَدْرِي عَلَى مَنْ أَسَأْتَ الأَدَبْ
أَسَأْتَ عَلَى اللَّهِ فِي فِعْلِهِ ... كَأَنَّكَ لَمْ تَرْضَ لِي مَا وَهَبْ
فَكَانَ جَزَاؤُكَ أَنْ خَصَّنِي ... وَسَدَّ عَلَيْكَ طَرِيقُ الطَّلَبْ

وإن تعلق بمثل ما لغيره مع بقاء نعمته، فإن كان تقوى أو صلاحاً وإنفاق مال في الخير فهو مندوب، وهو المعنى بقوله عليه الصلاة والسلام «لا حد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته في الخير، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها الناس» وأما إن كان تمنى المال لمجرد الغنى فهو جائز.

﴿مِّمَّا ٱكۡتَسَبُواْۖ﴾ بسبب ما عملوا من الجهاد وغيره ﴿وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٞ مِّمَّا ٱكۡتَسَبۡنَۚ﴾ من طاعة أزواجهن وحفظ فروجهن نزلت لما قالت أم سلمة ليتنا كنا رجالاً فجاهدنا وكان لنا مثل أجر الرجال ﴿وَسۡـَٔلُواْ﴾ بهمزة ودونها ﴿ٱللَّهَ مِن فَضۡلِهِۦٓۚ﴾ ما احتجتم إليه يعطكم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا﴾ ﴿٣٢﴾ ومنه محل الفضل وسؤالكم ﴿وَلِكُلّٖ﴾ من الرجال والنساء ﴿جَعَلۡنَا مَوَٰلِيَ﴾ عصبة يعطون ﴿مِمَّا تَرَكَ ٱلۡوَٰلِدَانِ وَٱلۡأَقۡرَبُونَۚ﴾ لهم من المال ﴿وَٱلَّذِينَ عَقَدَتۡ﴾ بألف ودونها ﴿أَيۡمَٰنُكُمۡ﴾ جمع يمين بمعنى القسم أو اليد أي الخلفاء الذين عاهدتموهم في الجاهلية على النصرة والإرث ﴿فَـَٔاتُوهُمۡ﴾ الآن ﴿نَصِيبَهُمۡۚ﴾ حظوظهم من الميراث وهو السدس ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدًا﴾ ﴿٣٣﴾ مطلعاً ومنه حالكم وهذا منسوخ بقوله وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض ﴿ٱلرِّجَالُ

قوله: (وغيره) أي من أنواع البر، كالصلاة والصوم وغيرهما. قوله: (من طاعة أزواجهن) أي لما في الحديث: «لو أمرت أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها». وفي الحديث: «إذا بات الرجل غضباناً على زوجته باتت الملائكة تلعنها إلى الصباح». قوله: (أم سلمة) أي وهي زوج النبي ﷺ، وقد ترتب على تمنيها نزول تلك الآية، ونزول قوله تعالى: ﴿إن المسلمين والمسلمات﴾ إلى قوله: ﴿أعدّ الله لهم مغفرة وأجراً عظيماً﴾. قوله: (ليتنا كنّا رجالاً) أي ينتقل لنا وصفهم، ولا خصوصية لأم سلمة بهذا التمني، فقد تمنى مثلها جماعة من النسوة، وقيل سبب نزولها تمني الرجال أن الله كما فضلهم على النساء في الدنيا، يفضلهم عليهن في الآخرة. قوله: (بهمزة ودونها) أي فهما قراءتان سبعيتان. والحاصل أن هذه المادة إن وردت في القرآن بواو وفاء لغير غائب ففيها القراءتان نحو: ﴿فاسئلوا أهل الذكر﴾ ﴿واسئلوا الله من فضله﴾ وإن وردت بغيرهما فالقراءة بدون الهمزة لا غير، نحو: ﴿سل بني إسرائيل﴾، وإن وردت لغائب مع الواو أو الفاء نحو: ﴿وليسئلوا ما أنفقوا﴾، فالقراءة بالهمزة لا غير.

قوله: ﴿وَلِكُلٍّ﴾ أي لكل من مات من الرجال أو النساء موالي، أي ورثة يرثونهم، وقوله: ﴿مِمَّا تَرَكَ الوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ﴾ أي من المال الذي تركه الوالدان والأقربون إن ماتوا، وهذا حل المفسر، وقال غيره إن قوله: ﴿الوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ﴾ بيان للموالي فيكونون وارثين لا موروثين، وكل صحيح، والأقرب الأول وعليه ابن عباس، والقصد بذلك نسخ ما كانت عليه الجاهلية من توريث الخلفاء، فكان الواحد منهم يأخذ بيمين صاحبه ويقول له دمي دمك وهدمي هدمك، أعقل عنك وتعقل عني، وأرثك وترثني، وقد كان في صدر الإسلام لكل واحد من صاحبه السدس، ثم نسخ بهذه الآية، أو بقوله تعالى: ﴿وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله﴾ كما يأتي، وقوله: دمي دمك أي أنت ولي دمي وأنا ولي دمك، وقوله: هدمي هدمك بفتح الهاء وسكون الدال أي إذا وقع بيننا قتل كان المقتول منا هدراً، وقوله أعقل عنك وتعقل عني، أي إذا ألزمتك دية شاركتك فيها وأنت كذلك.

قوله: ﴿وَالَّذِينَ عَاقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ مبتدأ خبره قوله: ﴿فَآتُوهُمْ﴾ وقد فرضه المفسر في تحالف الجاهلية، وبعضهم فرضه في مؤاخاة النبي بين المهاجرين والأنصار، وكل صحيح، وعلى كل فالميراث لهم منسوخ. قوله: (بألف ودونها) أي فهما قراءتان سبعيتان. وروي عن حمزة التشديد مع حذف الألف. قوله: ﴿فَآتُوهُمْ﴾ (الآن) أي في صدر الإسلام، وقد علمت أن المفسر فرضه في تحالف الجاهلية، ويجوز فرضه في محالفة المهاجرين مع الأنصار. قوله: (وهذا منسوخ) أي قوله: ﴿والذين عقدت أيمانكم﴾ الآية.

قَوَّٰمُونَ﴾ مسلطون ﴿عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾ يؤدبونهن ويأخذون على أيديهن ﴿بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٍ﴾ أي بتفضيله لهم عليهن بالعلم والعقل والولاية وغير ذلك ﴿وَبِمَآ أَنفَقُواْ﴾ عليهن ﴿مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ﴾ منهن ﴿قَٰنِتَٰتٌ﴾ مطيعات لأزواجهن ﴿حَٰفِظَٰتٌ لِّلۡغَيۡبِ﴾ أي لفروجهن وغيرها في غيبة أزواجهن ﴿بِمَا حَفِظَ﴾ بهن ﴿ٱللَّهُۚ﴾ حيث أوصى عليهن الأزواج ﴿وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ﴾ عصيانهن لكم بأن ظهرت أماراته ﴿فَعِظُوهُنَّ﴾ فخوفوهن الله ﴿وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ﴾ اعتزلوا إلى فراش آخر إن أظهرن النشوز ﴿وَٱضۡرِبُوهُنَّۖ﴾ ضرباً غير مبرح إن لم

قوله: (**بقوله وأولوا الأرحام**) وقيل منسوخ بالآية قبلها، والواقع أن كلاً ناسخ لها.

قوله: ﴿**الرِّجَال قوَّامُونَ**﴾ سبب نزولها أن سعد بن الربيع أحد نقباء الأنصار، نشزت زوجته واسمها حبيبة بنت زيد فلطمها، فانطلق بها أبوها إلى النبي ﷺ وقال له قد لطم كريمتي، فقال النبي لتقتص من زوجها، فذهبت مع أبيها، فقال له عليه الصلاة والسلام: ارجعوا إن جبريل أتاني وقرأ الآية، ثم قال أردنا أمراً وأراد الله أمراً، وما أراده الله خير. وهذا كلام مستأنف قصد به بيان تفضيل الرجال على النساء، وأفاد أن التفضيل لحكمتين: الأولى وهبية، والثانية كسبية، واعلم أن بعض الرجال أفضل من جنس النساء، فلا ينافي أن بعض أفراد النساء أفضل من بعض أفراد الرجال، كمريم بنت عمران، وفاطمة الزهراء، وخديجة، وعائشة. قوله: (**مسلطون**) أي قيام سلطنة، كقيام الولاة على الرعايا فالمرأة رعية زوجها، وفي الحديث: «كل راعٍ مسؤول عن رعيته». قوله: (**ويأخذون على أيديهن**) أي يمنعونهن من كل مكروه كالخروج من المنزل.

قوله: ﴿**بِمَا فَضَّلَ**﴾ الباء سببية وما مصدرية، أي بتفضيل الله، والبعض الأول الرجال، والثاني النساء، وأبهم البعض إشارة إلى أن التفضيل بالجملة لا بالتفصيل. قوله: (**بالعلم الخ**) أشار المفسر لبعض الأمور التي فضلت الرجال بها على النساء، ومنها زيادة العقل والدين، والولاية والشهادة والجهاد والجمعة والجماعات، وكون الأنبياء والسلاطين من الرجال، ومنها كون الرجل يتزوج بأربع في الدنيا، وبأكثر في الجنة، دون المرأة، وكون الطلاق والرجعة بيد الرجل.

قوله: ﴿**وَبِمَا أَنْفَقُوا**﴾ يقال فيه ما قيل في قوله: ﴿**بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ**﴾ أي وبإنفاقهم، ومن جملة الإنفاق دفع المهر. قوله: (**مطيعات لأزواجهن**) أي في غير معصية الله. قوله: (**في غيبة أزواجهن**) أي عنهم. قوله: ﴿**بِمَا حَفِظَ اللَّهُ**﴾ أشار المفسر إلى أن ما اسم موصول، أو نكرة موصوفة، والعائد محذوف قدره بقوله هن، والباء سببية أي بسبب الذي، أو شيء حفظهن الله به، ولفظ الجلالة فاعل حفظ، والمعنى أن الله كما أوصى الأزواج بحفظ النساء، كذلك لا تسمى النساء صالحات إلا إذا حفظهن الأزواج، لأنه كما يدين الفتى يدان، ويحتمل أن ما مصدرية، والمعنى بحفظ الله، أي توفيق الله لهن. قوله: (**عصيانهن لكم**) أي فيما تأمرونهن به. قوله: (**بأن ظهرت أماراته**) أي النشوز بأن ظننتم ذلك.

قوله: ﴿**فَعِظُوهُنَّ**﴾ أي بنحو: اتقي الله واحذري عقابه، فإن الرجل له حق على المرأة، وهذا الترتيب واجب، وأخذ وجوبه من السنة. قوله: (غير مبرح) أي وهو الذي لا يكسر عظماً، ولا يشين جارحة، واعلم أن الهجر والضرب لا يسوغ فعلهما إلا إذا تحقق النشوز، ويزاد في الضرب ظن الإفادة،

يرجعن بالهجران ﴿فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ﴾ فيما يراد منهن ﴿فَلَا تَبْغُوا﴾ تطلبوا ﴿عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا﴾ طريقاً إلى ضربهن ظلماً ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾ ﴿٣٤﴾ فاحذروه أن يعاقبكم إن ظلمتموهن ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ﴾ علمتم ﴿شِقَاقَ﴾ خلاف ﴿بَيْنِهِمَا﴾ بين الزوجين والإضافة للاتساع أي شقاقاً بينهما ﴿فَابْعَثُوا﴾ اليهما برضاهما ﴿حَكَمًا﴾ رجلاً عدلاً ﴿مِنْ أَهْلِهِ﴾ أقاربه ﴿وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا﴾ ويوكل الزوج حكمه في طلاق وقبول عوض عليه وتوكل هي حكمها في الاختلاع فيجتهدان ويأمران الظالم بالرجوع أو يفرقان إن رأياه قال تعالى ﴿إِنْ يُرِيدَا﴾ أي الحكمان ﴿إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾ بين الزوجين أي يقدرهما على ما هو الطاعة من إصلاح أو فراق ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ بكل شيء ﴿خَبِيرًا﴾ ﴿٣٥﴾ بالبواطن كالظواهر ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ﴾ وحده ﴿وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَ﴾ أحسنوا ﴿بِالْوَالِدَيْنِ

وأما الوعظ فلا يشترط فيه تحقق النشوز، ولا ظن الإفادة. قوله: **(طريقاً إلى ضربهن ظلماً)** أي كأن توبخوهن على ما كان منهن، فيلجأ الأمر إلى الخصام والضرب، فإن عدن للنشوز رجع الترتيب الأول، ولا يضربن من أول وهلة. قوله: **(فاحذروه أن يعاقبكم إن ظلمتوهن)** أي فالمطلوب أن تستوصوا بهن خيراً، لما في الحديث: «استوصوا بالنساء خيراً، فإن المرأة خلقت من ضلع وإن أعوج ما في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء خيراً».

قوله: **﴿وَإِنْ خِفْتُمْ﴾** الخطاب لولاة الأمور أو لأشراف البلدة التي هما بها. قوله: **(والإضافة للإتِّساع)** أي والأصل شقاقاً بينهما، فأضيف المصدر إلى ظرفه مثل مكر الليل. قوله: **﴿حَكَماً من أَهْلِهِ وَحَكَماً مِنْ أهلها﴾** أي إن وجد كل من الأهلين معاً، فإن لم يوجدا، أو وجد أحدهما دون الآخر، اختار ولي الأمر رجلين، وبعثهما واحداً عنها وواحداً عنه، واعلم أن كون الحكمين من الأهلين عند وجودهما، مندوب عند الشافعي، واجب عند مالك. قوله: **(إن رأياه)** أي صواباً ومصلحة. قوله: **(أي الحكمان)** ويحتمل أن يعود الضمير على الزوجين، والمعنى أن يرد الزوجان إصلاحاً معاشرة بالمعروف وترك ما يسيء تحصل الموافقة بينهما، وقوله: **(بين الزوجين)** ويحتمل أن يعود على الحكمين، والمعنى لا يحصل اختلاف بين الحكمين، بل تحصل الموافقة بينهما، فيحكمان بما أنزل الله، فتحصل أن الضميرين يصح عودهما معاً على الزوجين أو الحكمين، أو الأول للزوجين، والثاني للحكمين وبالعكس، وقوله: **﴿إِصْلَاحاً﴾** أي مصلحة، وإليه يشير قول المفسر بعد ذلك من إصلاح أو فراق.

قوله: **﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ﴾** الخطاب للمكلفين، لأن العبادة تتوقف على معرفة المعبود والنية، ولكن المراد ما يشمل القربة التي هي ما تتوقف على معرفة المتقرب إليه، والطاعة التي لا تتوقف على شيء. قوله: **(وحده)** حيث فسر العبادة بالتوحيد، كان قوله بعد ذلك: **﴿وَلَا تُشْرِكُوا﴾** تأكيداً، ولكن الأولى التعميم كما قدمناه، فيكون قوله: **﴿وَلَا تُشْرِكُوا﴾** تأسيساً، وهذا نظير قوله تعالى: ﴿فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً﴾.

قوله: **﴿وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً﴾** يحتمل أن شيئاً مفعول به، والمعنى لا تشركوا به شيئاً من الأشياء صنماً أو غيره، ويحتمل أنه مفعول مطلق صفة لمصدر محذوف، والمعنى إشراكاً شيئاً جلياً أو خفياً كالرياء والسمعة. قوله: **﴿وَبِالوَالِدَيْنِ﴾** قرن بر الوالدين بعبادة الله، إشارة لتأكد حقهما وتخويفاً من عقوقهما،

﴿إِحْسَـٰنًا﴾ براً ولين جانب ﴿وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ القرابة ﴿وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ القريب منك في الجوار أو النسب ﴿وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ﴾ البعيد عنك في الجوار أو النسب ﴿وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ﴾ الرفيق في سفر أو صناعة وقيل الزوجة ﴿وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ المنقطع في سفره ﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ﴾ من الأرقاء ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا﴾ متكبراً ﴿فَخُورًا﴾ ﴿٣٦﴾ على الناس بما أوتي ﴿ٱلَّذِينَ﴾ مبتدأ ﴿يَبْخَلُونَ﴾ بما يجب عليهم ﴿وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ﴾ به ﴿وَيَكْتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ من العلم والمال وهم اليهود وخبر المبتدأ لهم وعيد شديد ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَـٰفِرِينَ﴾ بذلك وبغيره ﴿عَذَابًا مُّهِينًا﴾ ﴿٣٧﴾ ذا إهانة ﴿وَٱلَّذِينَ﴾ عطف على الذين قبله ﴿يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾ مرائين لهم ﴿وَلَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ كالمنافقين وأهل مكة ﴿وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَـٰنُ

وقدر المفسر أحسنوا إشارة إلى أن ﴿إِحْسَاناً﴾ مفعول مطلق لفعل محذوف، والجار والمجرور يحتمل أن يكون متعلق بأحسنوا المقدر، وإليه يشير المفسر، ويحتمل أنه متعلق بإحساناً؛ ولا يقال إن المصدر لا يعمل في متقدم، لأنه يقال محله في غير الجار والمجرور والظرف. قوله: (**براً ولين جانب**) أي بأن يعظمهما ويخدمهما ويفعل معهما أنواع البر، وقد بين أنواعه في قوله تعالى: ﴿إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أفٍ ولا تنهرهما﴾ الآية، وإنما خص حالة الكبر لأن عندها يثقلان، وإنما تكررت الآيات المتعلقة بالوصية على الوالدين دون العكس، لأن الله جعل الرأفة القائمة بقلوب الوالدين على الأولاد، مغنية عن التكليف بالقيام بحقوق الأولاد بخلاف الأولاد، فلذا شدد على الأولاد دون الوالدين.

قوله: ﴿**وَبِذِي الْقُرْبَى**﴾ كرر الباء إشارة إلى تأكيد حق القرابة لما في الحديث: «الرحم معلقة بالعرش تقول يا رب من وصلني فأوصله ومن قطعني فاقطعه». قوله: ﴿**وَالْيَتَامَى**﴾ جمع يتيم وهو من مات أبوه، ويستمر يتمه إلى البلوغ، فإذا بلغ زال يتمه. قوله: ﴿**وَالمَسَاكِين**﴾ جمع مسكين وهو من التصقت يده بالتراب، والمراد ما يشمل الفقير. قوله: (**أو النسب**) أو مانعة خلو تجوز الجمع، لما في الحديث: «الجيران ثلاثة: فجار له ثلاثة حقوق حق الجوار وحق القرابة وحق الإسلام، وجار له حقان حق الجوار وحق الإسلام، وجار له حق واحد حق الجوار، وهو المشرك من أهل الكتاب». قوله: (**الرفيق في سفر**) ومثله الملاصق لك في نحو درس علم أو صلاة. قوله: (**المنقطع في سفر**) المناسب تفسيره بالغريب كان منقطعاً أو لا. قوله: (**من الأرقاء**) لا مفهوم له بل مثله الدواب المملوكة، إنما خص الأرقاء لقوله تعالى: ﴿ولقد كرمنا بني آدم﴾ فالإحسان إليهم متأكد لقوله في الحديث: «إن الله ملككم إياهم ولو شاء ملكهم إياكم». قوله: ﴿**إِنَّ اللَّهَ**﴾ علة لمحذوف تقديره أمركم الله بذلك فلا تفخروا إن الله الخ. قوله: (**متكبراً**) أي معجباً بنفسه مستحقراً لغيره. قوله: (**بما أوتي**) أي من النعم. قوله: (**بما يجب عليهم**) أي من الزكاة وغيرها. قوله: ﴿**بِالبُخْلِ**﴾ (**به**) أي بما يجب. قوله: (**من العلم**) أي كصفاة النبي الموجودة في التوراة والإنجيل.

قوله: ﴿**وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ**﴾ علة لخبر المبتدأ المحذوف. قوله: (**مرائين لهم**) أشار به إلى أن رئاء

﴿لَهُۥ قَرِينٗا﴾ صاحباً يعمل بأمره كهؤلاء ﴿فَسَآءَ﴾ بئس ﴿قَرِينٗا﴾ ﴿٣٨﴾ هو ﴿وَمَاذَا عَلَيۡهِمۡ لَوۡ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُۚ﴾ أي ضرر عليهم في ذلك والاستفهام للإنكار ولو مصدرية أي لا ضرر فيه وإنما الضرر فيما هم عليه ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمۡ عَلِيمًا﴾ ﴿٣٩﴾ فيجازيهم بما عملوا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ﴾ أحداً ﴿مِثۡقَالَ﴾ وزن ﴿ذَرَّةٖۖ﴾ أصغر نملة بأن ينقصها من حسناته أو يزيدها في سيئاته ﴿وَإِن تَكُ﴾ الذرة ﴿حَسَنَةٗ﴾ من مؤمن وفي قراءة بالرفع فكان تامة ﴿يُضَٰعِفۡهَا﴾ من عشر إلى أكثر من سبعمائة وفي قراءة يضعفها بالتشديد ﴿وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ﴾ أي من عنده مع المضاعفة ﴿أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾ ﴿٤٠﴾ لا يقدره أحد ﴿فَكَيۡفَ﴾ حال الكفار ﴿إِذَا جِئۡنَا مِن كُلِّ أُمَّةِۭ بِشَهِيدٖ﴾ يشهد عليها بعملها وهو نبيها ﴿وَجِئۡنَا بِكَ﴾ يا محمد ﴿عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدٗا﴾ ﴿٤١﴾ ﴿يَوۡمَئِذٖ﴾ يوم المجيء

حال من الواو في ينفقون. قوله: (**كهؤلاء**) أي الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون، ومن ينفق ماله مرائياً، ومن لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر. قوله: ﴿**فَسَاءَ قَرِيناً**﴾ ساء بمعنى بئس تساق للذم فهي نظيرتها في المعنى والعمل، وقريناً تمييز، والأصل فساء القرين قرينهم، وقدر المخصوص بالذم بقوله: (**هو**) واعلم أن كل إنسان له قرين من الشياطين يوسوس له في الدنيا ويكون معه في النار في سلسلة، واختلف فقيل الذم في الدنيا على مطاوعته فيما يأمره به، وقيل في الآخرة على مقارنته له في السلسلة في النار. قوله: (**أي أي ضرر**) أشار بذلك إلى أن ماذا استفهام وهو للإنكار والتوبيخ. قوله: (**ولو مصدرية**) أي والكلام على تقدير في، وإليه يشير المفسر بقوله أي لا ضرر عليهم فيه، فالتقدير وماذا عليهم في إيمانهم.

قوله: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ**﴾ المقصود من ذلك إظهار العدل في المجازاة على السيئات وكمال الفضل في المجازاة على الحسنات. قوله: (**أصغر نملة**) وقيل هو الهباء الذي يكون في الشمس، فقوله: (**من مؤمن**) أي لا من كافر، بل تكون هباءً منثوراً. قوله: (**وفي قراءة بالرفع**) أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: ﴿**يُضَاعِفْهَا**﴾ أي يضاعف ثوابها. قوله: (**لا يقدره**) أي لا يحصره ولا يعده، بل من محض فضله وكرمه.

قوله: ﴿**فَكَيْفَ**﴾ خبر لمبتدأ محذوف، قدره المفسر بقوله: (**حال الكفار**) وهو استفهام تعجبي استعظامي، أي تعجب من حالهم، فإنه بلغ الغاية في الفظاعة والشناعة، لعظيم ما رأوه من الأهوال العظيمة. قوله: (**إذا جئنا**) ظرف متعلق بالمبتدأ المحذوف. قوله: ﴿**عَلَى هَؤُلَاءِ**﴾ أي أمم الأنبياء الكفار حين ينكرون تبليغ أنبيائهم لهم الرسالة. وحاصل ذلك، أنه بعد انفضاض الموقف تحضر الأنبياء مع أممهم، فيقول الله للأمم: ألم تبلغكم الرسل الشرائع، فيقولون: يا ربنا ما بلغونا، فيسأل الله الرسل: ألم تبلغوهم ما أرسلتكم به؟ فيقولون: بلى، فيقول الله للرسل: هل لكم شهود؟ فيقولون: محمد وأمته، فيؤتى بهم فيشهدون على الأمم بالتكذيب وللأنبياء بالبراءة، ثم بعد ذلك إن وقع منهم إنكار تنطق عليهم ألسنتهم، بل وجميع أعضائهم والأزمنة والأمكنة بتكذيبهم، وهذا الاحتمال هو الأظهر، ويحتمل أن اسم الإشارة عائد على المشركين مطلقاً من أول الزمان إلى آخره، أو عائد على الكفار والمنافقين من أمته ﷺ

﴿ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ ﴾ أي أن ﴿ تُسَوَّىٰ ﴾ بالبناء للمفعول وللفاعل مع حذف إحدى التاءين في الأصل ومع إدغامها في السين أي تتسوى ﴿ بِهِمُ الْأَرْضُ ﴾ بأن يكونوا تراباً مثلها لعظم هوله كما في آية أخرى (ويقول الكافر يا ليتني كنت تراباً) ﴿ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا ﴾ ﴿٤٢﴾ عما عملوه وفي وقت آخر يكتمونه ويقولون والله ربنا ما كنا مشركين ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ ﴾ أي لا تصلوا ﴿ وَأَنْتُمْ سُكَارَىٰ ﴾ من الشراب لأن سبب نزولها صلاة جماعة في حال السكر ﴿ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ ﴾ بأن تصحوا ﴿ وَلَا جُنُبًا ﴾ بإيلاج أو إنزال ونصبه على الحال وهو يطلق على المفرد وغيره ﴿ إِلَّا عَابِرِي ﴾ مجتازي ﴿ سَبِيلٍ ﴾ طريق أي مسافرين ﴿ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا ﴾

وإنما رجع للنبي وأمته على الاحتمال الأول، وإن كانت الدعوى من معصوم، تبكيتاً لكفار الأمم السابقة، وإظهاراً لشرف هذه الأمة وعظم قدرها. قوله: **(يوم المجيء)** أشار بذلك إلى أن التنوين في يومئذ عوض عن جملة جئنا من كل أمة إلى آخرها.

قوله: **﴿يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾** أي يتمنى الكفار مطلقاً. قوله: **﴿وَعَصَوُا الرَّسُولَ﴾** أي رسول كل أمة فأل فيه للجنس. قوله: **(أي أن)** أشار بذلك إلى أن **﴿لَوْ﴾** مصدرية. قوله: **(بالبناء للمفعول)** أي مع تخفيف السين، وقوله: **(للفاعل الخ)** هذه قراءة ثانية، وقوله: **(ومع إدغامها)** قراءة ثالثة. فالحاصل أن القراءات ثلاث: البناء للمفعول مع تخفيف السين، والبناء للفاعل مع التخفيف بحذف إحدى التاءين، والتشديد بقلب التاء سيناً وإدغامها في السين. قوله: **(بأن يكون تراباً مثلها)** أو بأن تنشق الأرض وتبتلعها أو يدفنون فيها، والأقرب ما ذكره المفسر، لأن خير ما فسرته بالوارد.

قوله: **﴿وَلَا يَكْتُمُونَ﴾** معطوف على **﴿يَوَدُّ﴾** فأخبر عنهم بأنهم يوم القيامة يقع منهم شيئان: تمني أن الأرض تستوي بهم، وعدم كتمانهم عن الله حديثاً. قوله: **(وفي وقت آخر الخ)** جواب عن سؤال، وهو أن هذه الآية أفادت عدم الكتمان، وآية الأنعام أفادت إثباته. وحاصل الجواب أن الكتمان يقع منهم ابتداء وعدمه انتهاء.

قوله: **﴿لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ﴾** إنما نهى عن القربان للمبالغة في النهي، وقوله: **﴿وَأَنْتُمْ سُكَارَىٰ﴾** إن قلت: إن السكران لا عقل عنده فكيف ينهى؟ أجيب: بأن المراد لا تسكروا في أوقات الصلوات. قوله: **(لأن سبب نزولها)** اختصر المفسر السبب. وحاصله أنه روي عن علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه قال: صنع لنا ابن عوف طعاماً فدعانا، فأكلنا وأسقانا خمراً قبل أن تحرم الخمر، فأخذت منا، وحضرت الصلاة، أي صلاة المغرب، فقدموني فقرأت قل يا أيها الكافرون أعبد ما تعبدون ونحن نعبد ما تعبدون، فنزلت الآية، فحرمت في أوقات الصلاة حتى نزلت آية المائدة فحرمت مطلقاً.

قوله: **﴿حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾** حتى جاره بمعنى إلى، والفعل بعدها منصوب بأن مضمرة، وما يجوز فيها أن تكون بمعنى الذي، أو نكرة موصوفة، والعائد على كل محذوف أو مصدرية ولا حذف. قوله: **(ونصبه على الحال)** أي فهو معطوف على قوله: **﴿وَأَنْتُمْ سُكَارَىٰ﴾**. قوله: **(وهو يطلق)** أي لفظ جنب. قوله: **﴿إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ﴾** الأحسن أن إلا بمعنى غير صفة لجنبا، ومفهومه أن الجنب المسافر يكفيه التيمم

فلكم أن تصلوا واستثناء المسافر لأن له حكماً آخر سيأتي وقيل المراد النهي عن قربان مواضع الصلاة أي المساجد إلا عبورها من غير مكث ﴿ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ ﴾ مرضاً يضره الماء ﴿ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ ﴾ أي مسافرين وأنتم جنب أو محدثون ﴿ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ ﴾ هو المكان المعد لقضاء الحاجة أي أحدث ﴿ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ ﴾ وفي قراءة بلا ألف وكلاهما بمعنى اللمس وهو الجس باليد قاله ابن عمر وعليه الشافعي وألحق به الجس بباقي البشرة وعن ابن عباس هو الجماع ﴿ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً ﴾ تتطهرون به للصلاة بعد الطلب والتفتيش وهو راجع إلى ما عدا المرضى ﴿ فَتَيَمَّمُوا۟ ﴾ اقصدوا بعد دخول الوقت ﴿ صَعِيدًا طَيِّبًا ﴾ تراباً طاهراً فاضربوا به ضربتين ﴿ فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ ﴾ مع المرفقين منه ومسح يتعدى بنفسه وبالحرف ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴾ (٤٣) ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا ﴾ حظاً ﴿ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ وهم اليهود ﴿ يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ ﴾ بالهدى ﴿ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴾ (٤٤) تخطئوا طريق الحق لتكونوا مثلهم ﴿ وَٱللَّهُ

وهو كذلك. قوله: **(سيأتي)** أي في قوله: ﴿**أَوْ عَلَى سَفَرٍ**﴾ الخ. قوله: **(وقيل المراد النهي الخ)** هذا تفسير آخر للآية، وبه أخذ الإمام الشافعي، وقال مالك بحرمة مرور الجنب في المسجد إذا كان غير مضطر. قوله: **(يضره الماء)** أي فيتيمم ويصلي، ولا إعادة عليه عند مالك وأبي حنيفة، وقال الشافعي بالإعادة. قوله: **(أي مسافرين)** أي ولو كان غير قصر. قوله: **(أو محدثون)** أي بالريح مثلاً. قوله: **(وهو المكان المعد لقضاء الحاجة)** أي في الأصل، ثم أطلق على نفس الحاجة من إطلاق المحل، وإرادة الحال يدل عليه. قوله: **(أي أحدث)**. قوله: **(وهو الجس باليد)** أي ولو كان من غير قصد أو وجدان لغير محرم وعليه الشافعي، وقال مالك يقيد بالقصد أو الوجدان، وأخذ أبو حنيفة بكلام ابن عباس، فالجس باليد عنده لا يوجب الوضوء مطلقاً. قوله: **(وهو راجع إلى ما عدا المرضى)** أي وأما المرضى فيتيممون مع وجوده، لأنهم لا يقدرون على استعماله، أو يراد بعدم الوجود حقيقة أو حكماً فيشمل المرضى، لأن المعدوم شرعاً كالمعدوم حساً. قوله: **(بعد دخول الوقت)** إنما قيد بذلك لأن التيمم لا يصح قبله. قوله: **(تراباً طاهراً)** هكذا فسر به الشافعي، وقال مالك الصعيد هو ما صعد على وجه الأرض من أجزائها، ولم يحرق بالنار، ولم يكن من الجواهر النفسية كالتراب أو الرمل أو الحجارة أو غير ذلك. قوله: **(مع المرفقين)** أي فمسحهما واجب وبه أخذ الشافعي، وقال مالك إن التكميل للمرفقين سنة، وإنما الفرض عنده مس اليدين للكوعين كما هو ظاهر الآية. قوله: **(منه)** قدره لبيان الممسوح به، كما صرح به في آية المائدة. قوله: **(ومسح يتعدى بنفسه)** أي فعليه تكون الباء زائدة، وقوله: **(وبالحرف)** أي وعليه تكون الباء للتعدية، لأن سيبويه حكى: مسحت رأسه وبرأسه.

قوله: ﴿**إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوّاً غَفُوراً**﴾ تعليل للترخيص المستفاد مما قبله. قوله: ﴿**أَلَمْ تَرَ**﴾ كلام مستأنف سيق لتعجب النبي والمؤمنين من سوء حالهم. قوله: ﴿**إِلَى الَّذِينَ**﴾ أبهمهم لفظاعة حالهم وشناعته. قوله: ﴿**مِنَ الكِتَابِ**﴾ أي التوراة. قوله: **(وهم اليهود)** أي بعض علمائهم. قوله: **(بالهدى)** قدره إشارة إلى أن المقابل محذوف. والمعنى أنهم يأخذون الضلالة بدل الهدى، والمراد بالضلالة الكفر وتكذيب سيدنا محمد، والمراد بالهدى الإيمان وتصديقه.

﴿أَعْلَمُ بِأَعْدَآئِكُمْ﴾ منكم فيخبركم بهم لتجتنبوهم ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا﴾ حافظاً لكم منهم ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا﴾ ﴿٤٥﴾ مانعاً لكم من كيدهم ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾ قوم ﴿يُحَرِّفُونَ﴾ يغيرون ﴿ٱلْكَلِمَ﴾ الذي أنزل الله في التوراة من نعت محمد ﷺ ﴿عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ التي وضع عليها ﴿وَيَقُولُونَ﴾ للنبي ﷺ إذا أمرهم بشيء ﴿سَمِعْنَا﴾ قولك ﴿وَعَصَيْنَا﴾ أمرك ﴿وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ﴾ حال بمعنى الدعاء أي لا سمعت ﴿وَ﴾ يقولون له ﴿رَٰعِنَا﴾ وقد نهى عن خطابه بها وهي كلمة سب بلغتهم ﴿لَيًّا﴾ تحريفاً ﴿بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا﴾ قدحاً

قوله: ﴿وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ﴾ هذا ترق في التعجيب. والمعنى أنهم اختاروا الضلالة لأنفسهم، ومع ذلك يحبونها لغيرهم، قال تعالى: ﴿ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء﴾ روي عن ابن عباس أن هذه الآية نزلت في حبرين من أحبار اليهود، كانا يأتيان رأس المنافقين عبد الله بن أبي رهطة يثبطانهم عن الإسلام، وعنه أيضاً أنه نزلت في رفاعة بن زيد ومالك بن دخشم، كانا إذا تكلم رسول الله ﷺ لويا لسانهما وعاباه. قوله: **(لتجتنبوهم)** أي لتتحرزوا منهم. قوله: ﴿**وَكَفَى بِاللَّهِ**﴾ الباء حرف جر زائد، ولفظ الجلالة فاعل كفى. قوله: ﴿**وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيراً**﴾ تأكيداً لما قبله وهو معنى قوله تعالى: ﴿ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم﴾.

قوله: ﴿**مِنَ الَّذِينَ هَادُوا**﴾ خبر مقدم لمبتدأ محذوف، قدره المفسر بقوله قوم، وقوله: ﴿**يُحَرِّفُونَ**﴾ نعت لذلك المحذوف، وحذف المنعوت كثير إن تقدمه من التبعيضية على حد: منا ظعن ومنا أقام، أي فريق ظعن، وفريق أقام، وهذا الكلام تفصيل لبعض قبائحهم. قوله: ﴿**الكَلِمَ**﴾ أي الكلام. قوله: **(من نعت محمد)** أي من كونه أبيض مشرباً بحمرة، ليس بالطويل البائن، ولا بالقصير مثلاً، فقد حرفوه وقالوا أسود اللون، طويل جداً، حرصاً على الرياسة، وعلى ما يأخذونه من سفلتهم، ومن جملة ما غيروه آية الرجم بالجلد. ومن ذلك أنه في كتبهم من خالف محمداً خلد في النار، فغيروه وقالوا لن تمسنا النار إلا أربعين يوماً، مدة عبادة العجل.

قوله: ﴿**وَعَصَيْنَا**﴾ **(أمرك)** هذا بحسب باطنهم، وأما بحسب ظاهرهم فمعناه عصينا قول غيرك، وكذا قوله: ﴿**وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ**﴾ أي اسمع الخير منا غير سامع ما يؤذيك، وكذا قوله: ﴿**وَرَاعِنَا**﴾ أي اشملنا بنظرك، فهذا من الكلام الموجه الذي يحتمل معنيين مختلفين في المدح والذم. قوله: **(أي لا سمعت)** يحتمل أن المعنى لا سمعت خيراً ولا سمعت شيئاً أصلاً بأن تبتلى بالصمم أو الموت. قوله: **(وقد نهى عن خطابه بها)** أي في قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا﴾ قوله: **(وهي كلمة سب بلغتهم)** يحتمل أنها موضوعة للسب في لغتهم، ويحتمل أنهم قصدوا بها السب، وإن كانت تحتمل الدعاء بخير من الرعاية وهي الحفظ وبشر ومعناها الرعونة وهي الطيش في العقل، كأنهم يقولون اشملنا برعونتك. قوله: ﴿**لَيّاً بِأَلْسِنَتِهِمْ**﴾ أي صرفاً للكلام عن ظاهره، وأصله لويا، اجتمعت الواو والياء وسبقت إحداهما بالسكون، قلبت الواو ياء أدغمت في الياء، وهو في الأصل فتل الحبل، فشبه به الكلام الذي قصد منه غير ظاهره وطوي، ذكر المشبه به وهو الحبل المفتول، ورمز له بشيء من لوازمه وهو اللي، فإثباته تخييل.

﴿ فِي ٱلدِّينِ ﴾ الإسلام ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ﴾ بدل وعصينا ﴿ وَٱسْمَعْ ﴾ فقط ﴿ وَٱنظُرْنَا ﴾ انظر إلينا بدل راعنا ﴿ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴾ مما قالوه ﴿ وَأَقْوَمَ ﴾ أعدل منه ﴿وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ﴾أبعدهم عن رحمته ﴿ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ ﴿٤٦﴾ منهم كعبدالله بن سلام وأصحابه ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُوا۟ بِمَا نَزَّلْنَا ﴾ من القرآن ﴿ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم ﴾ من التوراة ﴿ مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا ﴾ نمحو ما فيها من العين والأنف والحاجب ﴿ فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ ﴾ فنجعلها كالأقفاء لوحاً واحداً ﴿ أَوْ نَلْعَنَهُمْ ﴾ نمسخهم قردة ﴿ كَمَا لَعَنَّآ ﴾ مسخنا ﴿ أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِ ﴾ منهم ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ قضاؤه ﴿مَفْعُولًا ﴾ ﴿٤٧﴾ ولما نزلت أسلم عبد الله بن سلام فقيل كان وعيداً بشرط فلما أسلم بعضهم رفع وقيل يكون طمس ومسخ قبل قيام الساعة ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ ﴾ أي الإشراك ﴿ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ﴾ سوى ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ من الذنوب ﴿ لِمَن يَشَآءُ ﴾ المغفرة له بأن يدخله الجنة بلا عذاب ومن شاء عذبه من المؤمنين بذنوبه ثم يدخله الجنة ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا ﴾ ذنباً ﴿ عَظِيمًا ﴾ ﴿٤٨﴾ كبيراً ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ﴾ وهم

قوله: ﴿لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ﴾ هذا جواب لو، واسم التفضيل ليس على بابه، ويحتمل أنه على بابه على حسب ما زعموا من أن حرصهم على الكفر يبقي لهم حظ الرياسة والدنيا التي يأخذونها من عوامهم وهو خير دنيوي. قوله: ﴿إِلاَّ قَلِيلاً﴾ صفة الموصوف محذوف، أي إلا فريقاً قليلاً. قوله: **(نمحو)** أي نزيل ما فيها. قوله: **(فقيل كان وعيداً بشرط)** أي لأن رحمة الله تسبق غضبه، والحاصل أنه اختلف في ذلك الوعيد، هل كان معلقاً ثم ارتفع، وقيل إنه واقع لكن في آخر الزمان، وقيل إنه واقع في الآخرة، فيقومون من قبورهم ممسوخة صورهم، ولا مانع من إرادتها كلها، وليس في القرآن وعيد لأمة محمد بتعجيل العقوبة مثل هذا، لأنهم بالغوا في الكفر وإيذاء النبي ﷺ، وقوله: **(بشرط)** أي وهو عدم إيمان أحد منهم، ويؤيده ما روي أن عبد الله بن سلام لما قدم من الشام، وقد سمع بهذه الآية أتى رسول الله ﷺ قبل أن يأتي أهله وقال يا رسول الله وما كنت أرى أن أصل إليك حتى يتحول وجهي إلى قفاي، وكذا ما روي أن عمر بن الخطاب قرأ هذه الآية على كعب الأحبار، فقال كعب الأحبار: يا رب آمنت يا رب أسلمت مخافة أن يصيبه وعيدها. قوله: **(وقيل يكون)** أي يحصل، وقوله: **(قبل قيام الساعة)** أي زمن عيسى. قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَنْ يُشْرِكَ بِهِ﴾ إن وما دخلت عليه في تأويل مصدر أشار له المفسر بقوله: **(أي الإشراك)** والمعنى أن الله لا يغفر للكافر إشراكاً أو غيره، فالمراد بالشرك الكفر، لا الشرك الأصغر الذي هو الرياء، فإنه من جملة الذنوب التي تغفر، وهذا رد على اليهود، حيث زعموا أن الشرك لا يضرهم لكون أجدادهم أنبياء، وزعموا أنهم أبناء الله وأحباؤه. قوله: **(من الذنوب)** بيان لما. قوله: ﴿لِمَنْ يَشَاءُ﴾ **(المغفرة له)** أي إن مات من غير توبة، وإلا فالتائب من الذنب كمن لا ذنب له، هذا معنى قول صاحب الجوهرة:

وَمَـنْ يَمُـتْ وَلَمْ يَـتُـبْ مِـنْ ذَنْـبِـهِ   فَـأَمْـرُهُ مُـفَـوَّضٌ لِـرَبِّـهِ

والغالب المغفرة، لأن فضل الله واسع، ورحمته تغلب غضبه، وكل ذلك ما لم يمت هديماً أو غريقاً أو مقتولاً ظلماً مثلاً، وإلا فيقوم ما ذكر مقام التوبة. قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ كالدليل لما قبله. قوله: **(وهم**

اليهود حيث قالوا نحن أبناء الله وأحباؤه أي ليس الأمر بتزكيتهم أنفسهم ﴿ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي ﴾ يطهر ﴿مَن يَشَآءُ ﴾ بالإيمان ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ﴾ ينقصون من أعمالهم ﴿ فَتِيلًا ﴾ ﴿٤٩﴾ قدر قشرة النواة ﴿ٱنظُرْ﴾ متعجباً ﴿ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ﴾ بذلك ﴿ وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثْمًا مُّبِينًا ﴾ ﴿٥٠﴾ بيناً. ونـزل في كعب ابن الأشرف ونحوه من علماء اليهود لما قدموا مكة وشاهدوا قتلى بدر وحرضوا المشركين على الأخذ بثأرهم ومحاربة النبي ﷺ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ﴾ صنمان لقريش ﴿ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ أبي سفيان وأصحابه حين قالوا لهم أنحن أهدى سبيلاً

اليهود) وقيل هم والنصارى، لأن هذه المقالة وقعت منهما، لقوله تعالى: ﴿وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه﴾. قوله: **(حيث قالوا نحن أبناء الله)** أي كالأبناء من حيث إن منزلتنا عنده عظيمة، وقائل هذه اللفظة كافر، ولو على سبيل المجاز. قوله: **(أي ليس الأمر بتزكيتهم الخ)** أي ليس الأمر منوطاً ومعتبراً بتزكيتهم أنفسهم، وهذا تمهيد لقوله تعالى: ﴿**بَلْ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ**﴾. قوله: **(بالإيمان)** أي وجميع الأعمال الصالحة، وإنما اقتصر عليه لأن مدار النجاة عليه. قوله: ﴿**وَلاَ يُظْلَمُونَ**﴾ يحتمل أن الضمير عائد على المؤمنين، أي فيجازيهم على أعمالهم الصالحة، ولا ينقص منه شيء ولو كان أقل قليل، وهذا هو المتبادر من المفسر، وقيل إنه عائد على الكفار، أي فيعذبهم بذنوبهم، ولا ينقصون شيئاً من أعمالهم، ويحتمل العموم وهو الأولى. قوله: **(قدر قشرة النواة)** هذا سبق قلم، والمناسب قدر الخيط الذي يكون في بطن النواة، وأما القطمير فهو قشر النواة، والنقير النقرة التي تكون في وسطها، والثفروق هو ما بين النواة والقمع، وذكر في القرآن الثلاثة الأول، وعادة العرب تمثل بأحد الأربعة لأقل قليل. قوله: **(متعجباً)** أشار بذلك إلى أن الاستفهام تعجبي.

قوله: ﴿**وَكَفَى بِهِ**﴾ أي الافتراق. قوله: **(ونـزل في كعب بن الأشرف الخ)** حـاصل مـا ذكره الخازن، أنه بعد وقعة بدر، ضاق صدر كعب بن الأشرف، فركب مع سبعين راكباً من اليهود حتى قدموا مكة، فنزلوا على أبي سفيان وأصحابه، فأحسنوا مثواهم، ثم قال لهم أبو سفيان وأصحابه: ماذا تريدون؟ فقالوا: نريد حرب محمد ونقض عهده، فقال أبو سفيان وأصحابه: لا نأمن أن يكون هذا مكراً منكم، فإن كان ما تقولون حقاً، فاسجدوا لهذين الصنمين، ففعلوا، ثم قال كعب: ليأتِ منكم ثلاثون رجلاً ومنا ثلاثون، فنلزق أكبادنا بالكعبة، فنعاهد رب البيت لنجهدن في قتال محمد، ففعلوا، ثم قال أبو سفيان لكعب: إنك امرؤ تقرأ الكتاب ونحن أميون، فأينا أهدى سبيلاً أنحن أم محمد؟ فقال كعب: اعرض علي دينكم، فقال أبو سفيان: نحن ننحر للحجيج ونسقيهم الماء، ونقري الضيف، ونفك العاني ونصل الرحم، ونعمر بيت ربنا ونطوف به، ونحن من أهل الحرم، ومحمد فارق دين آبائه والحرم وقطع الرحم، وديننا القديم، ودين محمد حادث، فقال كعب: أنتم والله أهدى سبيلاً مما عليه محمد، فنزلت الآية. قوله: **(ونحوه من علماء اليهود)** أي وكانوا سبعين راكباً. قوله: **(وحرضوا المشركين)** أي أبا سفيان وأصحابه. قوله: **(بثأرهم)** بالهمز وتركه.

قوله: ﴿**أَلَمْ تَرَ**﴾ أي تعلم وتنظر لفعلهم. قوله: ﴿**مِنَ الكِتَابِ**﴾ أي التوراة. قوله: ﴿**يُؤْمِنُونَ بِالجُبْتِ وَالطَّاغُوتِ**﴾ أي بسجودهم لهما. قوله: **(صنمان لقريش)** وقيل الجبت اسم لكل صنم يعبد،

ونحن ولاة البيت نسقي الحاج ونقري الضيف ونفك العاني ونفعل أم محمد وقد خالف دين آبائه وقطع الرحم وفارق الحرم ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ أي أنتم ﴿ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا ﴾ ﴿٥١﴾ أقوم طريقاً ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ وَمَن يَلْعَنِ ﴾ ـه ﴿ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ﴾ ﴿٥٢﴾ مانعاً من عذابه ﴿ أَمْ ﴾ بل أ ﴿ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلْمُلْكِ ﴾ أي ليس لهم شيء منه ولو كان ﴿ فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا ﴾ ﴿٥٣﴾ أي شيئاً تافهاً قدر النقرة في ظهر النواة لفرط بخلهم ﴿ أَمْ ﴾ بل أ ﴿ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ ﴾ أي النبي ﷺ ﴿ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ من النبوة وكثرة النساء أي يتمنون زواله عنه ويقولون لو كان نبياً لاشتغل عن النساء ﴿ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ جده كموسى وداود وسليمان ﴿ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ ﴾ النبوة ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴾ ﴿٥٤﴾ فكان لداود تسع وتسعون امرأة ولسليمان ألف ما بين حرة وسرية ﴿ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ ﴾ بمحمد ﷺ ﴿ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ ﴾ أعرض ﴿ عَنْهُ ﴾ فلم يؤمن ﴿ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴾ ﴿٥٥﴾ عذاباً لمن لا يؤمن ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ ﴾ ندخلهم ﴿ نَارًا ﴾ يحترقون فيها ﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ ﴾ احترقت ﴿ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا ﴾ بأن تعاد إلى حالها الأول غير محترقة ﴿ لِيَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ ﴾ ليقاسوا شدته ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا ﴾ لا يعجزه شيء ﴿ حَكِيمًا ﴾ ﴿٥٦﴾ في خلقه ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ

والطاغوت الشيطان التي يلبس الصنم ويكلم الناس، فلكل صنم شيطان يغر الناس. قوله: **(ونفك العاني)** أي الأسير. قوله: **(نفعل)** يحتمل أنه بالفاء والعين، أي نفعل غير ما ذكر من الأمور الجميلة المستحسنة، أو بالعين ثم القاف أي نؤدي العقل بمعنى الدية عن حلفائنا. قوله: **(أي أنتم)** أشار بذلك إلى أنه خطاب لهم، وإنما المولى حكاه عنهم بالمعنى. قوله: **(أي ليس لهم)** أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري بمعنى النفي. قوله: **﴿فإذاً﴾** الفاء واقعة في جواب شرط مقدر، أشار له المفسر بقوله: **(ولو كان)** وإنما قدر لو دون أن، لأن الجواب مرفوع لا مجزوم، وهذا ذم لهم بالبخل بعد ذمهم بالجهل، وسيأتي ذمهم بالحسد. قوله: **(بل)** الإضراب انتقالي من صفة لصفة أخرى أقبح منها. قوله: **(أي النبي)** أي فهو من باب تسمية الخاص باسم العام، إشارة إلى أنه جمعت فيه كمالات الأولين والآخرين، قال الشاعر:

وَلَيْسَ عَلَى اللَّهِ بِمُسْتَنْكِرٍ ... أَنْ يَجْمَعَ الْعَالَمَ فِي وَاحِدِ

قوله: **(جده)** بيان لإبراهيم فهو بالجر. قوله: **(تسع وتسعون امرأة)** أي غير امرأة وزيره، فقد أخذها بعد موته، فتكامل له مائة. قوله: **﴿فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ﴾** أي ككعبد الله بن سلام وأضرابه. قوله: **(فلم يؤمن)** أي ككعب بن الأشرف ومالك بن الصيف وأضرابهما. قوله: **(بأن تعاد إلى حالها)** ورد أنها تعاد في الساعة الواحدة مائة مرة، بل ورد أنها تعاد في اليوم الواحد سبعين ألف مرة، وورد أن بين منكبي الكافر مسيرة ثلاثة أيام للراكب المسروع، وورد أن ضرس الكافر يكون كأحد، وغلظ جلده مسيرة ثلاثة أيام. قوله: **﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾** ذكر للمقابل وهو راجع لقوله: **﴿فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ﴾** كما أن قوله: **﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾** راجع لقوله: **﴿وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ﴾** على عادته سبحانه **إذا ذكر الوعيد أعقبه بالوعد**.

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ لَّهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ﴾ من الحيض وكل قذر ﴿وَنُدۡخِلُهُمۡ ظِلّٗا ظَلِيلًا ٥٧﴾ دائماً لا تنسخه شمس هو ظل الجنة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ﴾ أي ما اؤتمن عليه من الحقوق ﴿إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾ نزلت لما أخذ علي رضي الله عنه مفتاح الكعبة من عثمان بن طلحة الحجبي سادنها قسراً لما قدم النبي ﷺ مكة عام الفتح ومنعه وقال لو علمت أنه رسول الله ﷺ لم أمنعه فأمر رسول الله ﷺ برده إليه وقال هاك خالدة تالدة فعجب من ذلك فقرأ له علي الآية فأسلم وأعطاه عند موته لأخيه شيبة فبقي في ولده والآية وإن وردت على سبب خاص فعمومها معتبر بقرينة

قوله: (**وكل قذر**) أي كالنفاس وغيره. قوله: (**لا تنسخه شمس**) أي لعدم وجودها. قال تعالى: ﴿لا يرون فيها شمساً ولا زمهريراً﴾.

قوله: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ**﴾ الخطاب للمكلفين لما سيأتي أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب. قوله: ﴿**أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ**﴾ أن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مفعول ثانٍ ليأمر، والأصل يأمركم تأدية الأمانات، أو منصوب بنزع الخافض، لأن حذفه مع أن وإن مطرد، ويقال في ﴿وإن تحكموا بالعدل﴾ ما قيل فيه لأنه معطوف عليه، وقوله: ﴿إذا حكمتم﴾ ظرف له، ولا يقال يلزم عليه تقديم معمول الصلة عليها، لأنه يقال إنه ظريف ويغتفر فيه ما لا يغتفر في غيره. قوله: (**من الحقوق**) اعلم أن الأمانات ثلاثة أقسام، الأول: عبادات الله بأن يفعل المأمورات ويجتنب المنهيات، الثاني: نعمه التي أنعم بها كالسمع والبصر والعافية وغير ذلك فلا يصرفها فيما يغضب الله، الثالث: حقوق العباد كالودائع وغيرها فيجب على الإنسان تأدية الأمانات مطلقاً، كانت قولية أو فعلية أو اعتقادية، فالقولية كحفظ القرآن، والفعلية كحفظ الودائع والعواري، والاعتقادية كالتوحيد وحسن الظن بالخلق، وبالجملة فهذه الآية من جوامع الكلم، وهي بمعنى قوله تعالى: ﴿إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض﴾ الآية على التحقيق.
قوله: (**نزلت لما أخذ علي مفتاح الكعبة الخ**) قال البغوي قلت في عثمان بن طلحة الحجبي من بني عبد الدار وكان سادن الكعبة، فلما دخل النبي ﷺ مكة والفتح أغلق عثمان باب الكعبة وصعد السطح، فطلب رسول الله ﷺ المفتاح قيل له إنه مع عثمان. فطلب منه فأبى وقال لو علمت أنه رسول الله لم أمنعه المفتاح، فلوى علي بن أبي طالب يده وأخذ المفتاح وفتح الباب، ودخل رسول الله البيت وصلى فيه ركعتين، فلما خرج سأله العباس أن يعطيه المفتاح لتجتمع له السقاية والسدانة، فأنزل الله هذه الآية، فأمر رسول الله علياً أن يرد المفتاح إلى عثمان ويعتذر له، ففعل ذلك، فقال عثمان أكرهت وآذيت ثم جئت ترفق، فقال علي لقد أنزل الله في شأنك قرآناً وقرأ عليه الآية فأسلم، فكان المفتاح معه إلى أن مات، فدفعه إلى أخيه شيبة فهي في أولادهم إلى يوم القيامة. قوله: (**الحجبي**) أي الذي يحجب الناس بمعنى يمنعهم من الدخول. قوله: (**سادنها**) أي خادمها، وقوله: (**قسراً**) أي قهراً. قوله: (**لما قدم النبي**) ظرف لأخذ وكان ذلك في رمضان، وقوله: (**عام الفتح**) أي وهو سنة ثمان. قوله: (**وقال لو علمت الخ**) أي فهو غير مصدق برسالته، وإلا فذاته إذ ذاك غير خافية على أحد. قوله: (**خالدة تالدة**) أي مخلدة في المستقبل كما كانت متأصلة فيكم. قوله: (**فعمومها معتبراً الخ**) أشار بذلك لما قيل العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، ومحل ذلك إن لم توجد قرينة الخصوص فيكون معتبراً، كالنهي عن قتل النساء، فإن

الجمع ﴿ وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ ﴾ يأمركم ﴿ أَن تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا ﴾ فيه إدغام ميم نعم في ما النكرة الموصوفة أي نعم شيئاً ﴿ يَعِظُكُم بِهِۦٓ ﴾ تأدية الأمانة والحكم بالعدل ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًا ﴾ لما يقال ﴿ بَصِيرًا ﴾ ﴿٥٨﴾ بما يفعل ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ﴾ أصحاب ﴿ ٱلْأَمْرِ ﴾ أي الولاة ﴿ مِنكُمْۖ ﴾ أي إذا أمروكم بطاعة الله ورسوله ﴿ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ ﴾ اختلفتم ﴿ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ أي إلى كتابه ﴿ وَٱلرَّسُولِ ﴾ مدة حياته وبعده إلى سنته أي اكشفوا عليه منهما ﴿ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِۚ ذَٰلِكَ ﴾ أي الرد إليهما ﴿ خَيْرٌ ﴾ لكم من التنازع والقول بالرأي ﴿ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ ﴿٥٩﴾ مآلاً ونزل لما اختصم يهودي ومنافق فدعا إلى كعب ابن الأشرف ليحكم بينهما ودعا اليهودي إلى النبي ﷺ فأتياه فقضى لليهودي فلم يرض المنافق وأتيا

سببه أن رسول الله رأى امرأة حربية مقتولة، فذلك يدل على اختصاصه بالحربيات، فلا يدخل فيه المرتدة ولا الزانية. قوله: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُمْ﴾ فيه فصل بين المعطوف والمعطوف عليه وهو جائز إذا كان ظرفاً. قوله: ﴿نِعِمَّا﴾ بكسر النون اتباعاً لكسرة العين، وأصله نعم على وزن علم. قوله: **(أي نعم شيئاً)** أشار بذلك إلى أن ما مميز، ويكون الفاعل مستتراً وجوباً تقديره نعم هذا الشيء شيئاً، والمخصوص بالمدح محذوف قدره بقوله: **(تأدية الأمانة)** وقيل أن ما فاعل، وقد ذكر القولين ابن مالك بقوله:

وَمَـا مُمَـيِّـزٍ وقِـيـلَ فَـاعِـلٍ ... فِي نَحْوِ نعم مَا يَقُولُ الفَاضِلُ

قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ هذا خطاب لسائر الناس، بعد أن خاطب ولاة الأمور بالحكم بالعدل، وفي هذه الآية إشارة لأدلة الفقه الأربعة، فقوله: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ﴾ إشارة للكتاب، وقوله: ﴿وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ إشارة للسنة، وقوله: ﴿وَأُولِي الأَمْرِ﴾ إشارة للإجماع، وقوله: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ﴾ الخ، إشارة للقياس. قوله: ﴿وَأُولِي الأَمْرِ﴾ يدخل فيه الخلفاء الراشدون، والأئمة المجتهدون، والقضاة والحكام. قوله: **(أي إذا أمروكم بطاعة الله ورسوله)** أي لا بمعصية فلا يطاعوا في ذلك، لما في الحديث «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق». قوله: ﴿فِي شَيْءٍ﴾ أي غير منصوص عليه. قوله: **(مدة حياته)** أي بسؤاله، وقوله: **(إلى سنته)** أي فيعرض عليها.

قوله: ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ﴾ أي فردوه. قوله: ﴿ذٰلِكَ خَيْرٌ﴾ اسم التفضيل ليس على بابه بقرينة ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ﴾ فمخالفة ما ذكر ليس فيها خير، بل هي شر وضلال. قوله: **(مآلا)** أي عاقبة. قوله: **(ونزل لما اختصم يهودي الخ)** حاصلها تفصيلاً، قال ابن عباس: نزلت في رجل من المنافقين يقال له بشر، كان بينه وبين يهودي خصومة، فقال اليهودي: تنطلق إلى محمد، وقال المنافق: ننطلق إلى كعب بن الأشرف وهو الذي سماه الطاغوت، فأبى اليهودي أن يخاصمه إلا إلى رسول الله ﷺ، فقضى رسول الله ﷺ لليهودي، فلما خرجا من عنده لزمه المنافق وقال انطلق بنا إلى عمر، فقال اليهودي اختصمت أنا وهذا إلى محمد، فقضى عليه، فلم يرض بقضائه، وزعم أنه يخاصمني إليك، فقال عمر للمنافق: أكذلك؟ فقال نعم، فقال لهما عمر: رويداً حتى أخرج إليكما، فدخل عمر البيت وأخذ السيف واشتمل عليه ثم خرج، فضرب به المنافق حتى برد أي مات، وقال هكذا أقضي بين من لم يرض بقضاء

عمر فذكر له اليهودي ذلك فقال للمنافق أكذلك فقال نعم فقتله ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ﴾ الكثير الطغيان وهو كعب بن الأشرف ﴿وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ﴾ ولا يوالوه ﴿وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ ﴿٦٠﴾ عن الحق ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾ في القرآن من الحكم ﴿وَإِلَى الرَّسُولِ﴾ ليحكم بينكم ﴿رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ﴾ يعرضون ﴿عَنكَ﴾ إلى غيرك ﴿صُدُودًا﴾ ﴿٦١﴾ ﴿فَكَيْفَ﴾ يصنعون ﴿إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ﴾ عقوبة ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ من الكفر والمعاصي أي يقدرون على الإعراض والفرار منها لا ﴿ثُمَّ جَاءُوكَ﴾ معطوف على يصدون ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ﴾ ما ﴿أَرَدْنَا﴾ بالمحاكمة إلى غيرك ﴿إِلَّا إِحْسَانًا﴾ صلحاً ﴿وَتَوْفِيقًا﴾ ﴿٦٢﴾ تأليفاً بين الخصمين بالتقريب في الحكم دون الحمل على مر الحق ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ من النفاق وكذبهم في عذرهم ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ بالصفح ﴿وَعِظْهُمْ﴾ خوفهم الله ﴿وَقُل لَّهُمْ فِي﴾ شأن ﴿أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾ ﴿٦٣﴾ مؤثراً فيهم أي ازجرهم ليرجعوا عن كفرهم ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ﴾ فيما

الله وقضاء رسوله، فنزلت هذه الآية، وقال جبريل: إن عمر فرق بين الحق والباطل، فسمي الفاروق، وإنما دعا المنافق لكعب بن الأشرف لأنه يقبل الرشوة، والنبي لا يقبلها بل يحكم بالحق، وكان الحق إذ ذاك مع اليهودي.

قوله: ﴿**يَزْعُمُونَ**﴾ أي يقولون قولاً كذباً، لأن الزعم مطية الكذب. قوله: ﴿**وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ**﴾ أي وهو جميع الكتب السماوية. قوله: (**الكثير الطغيان**) وقيل إنه صنم يعبد من دون الله، وقيل اسم من يعبد من دون الله صنماً أو غيره. قوله: ﴿**بَعِيداً**﴾ يحتمل أنه صفة كاشفة لأن الضلال هو البعد ويحتمل أنه صفة مخصصة، ويكون معنى بعده أنه لا يهتدي بعد ذلك أصلاً، وهذا هو مراد الشيطان، ويؤيده قول المفسر عن الحق. قوله: ﴿**رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ**﴾ رأى بصرية والمنافقين مفعول لها، وجملة يصدون حال. قوله: (**يعرضون**) أشار بذلك إلى أن الصد هنا بمعنى الإعراض فهو لازم، لا بمعنى المنع فيكون متعدياً، فقوله: ﴿**صُدُوداً**﴾ مفعول مطلق لقوله: ﴿**يَصُدُّونَ**﴾ قوله: ﴿**فَكَيْفَ**﴾ يصح أن تكون مفعولاً لمحذوف تقديره (**يصنعون**) كما قدره المفسر، ويصح أن تكون خبراً لمحذوف تقديره صنعهم.

قوله: ﴿**إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ**﴾ أي عاجلة أو آجلة. قوله: (**لا**) هذا جواب الاستفهام. قوله: ﴿**ثُمَّ جَاؤُوكَ**﴾ أي أهل المنافق، يعتذرون إليك ويسترون على أنفسهم النفاق، ويحتمل أنهم جاؤوا مطالبين بدمه مثبتين إسلامه، فلولا هذه الآية لربما اقتص من عمر، لعدم البينة على كفر المنافق. قوله: (**بالتقريب**) أي التساهل في الحكم، كأن يعمل صلحاً، ويقسم المدعى به بين الخصمين. قوله: ﴿**فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ**﴾ أي ولا تقتلهم، وهذا قبل الأمر بإخراجهم وقتلهم، والفاء واقعة في جواب شرط مقدر تقديره إذا كان حالهم كذلك فأعرض عن قبول عذرهم. قوله: ﴿**فِي**﴾ (**شأن**) ﴿**أَنْفُسِهِمْ**﴾ أي في حقها وما انطوت عليه، ويحتمل أن المعنى حالياً بهم ليس معهم غيرهم. قوله: (**ليرجعوا**) أي لعله أن يترتب

يأمر به ويحكم ﴿بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ بأمره لا ليعصى ويخالف ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ بتحاكمهم إلى الطاغوت ﴿جَآءُوكَ﴾ تائبين ﴿فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ﴾ فيه التفات عن الخطاب تفخيماً لشأنه ﴿لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا﴾ عليهم ﴿رَّحِيمًا﴾ ﴿٦٤﴾ بهم ﴿فَلَا وَرَبِّكَ﴾ لا زائدة ﴿لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ﴾ اختلط ﴿بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا﴾ ضيقاً أو شكاً ﴿مِّمَّا قَضَيْتَ﴾ به ﴿وَيُسَلِّمُواْ﴾ ينقادوا لحكمك ﴿تَسْلِيمًا﴾ ﴿٦٥﴾ من غير معارضة ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ﴾ مفسرة ﴿ٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ أَوِ ٱخْرُجُواْ مِن دِيَٰرِكُم﴾ كما كتبنا على بني إسرائيل ﴿مَّا فَعَلُوهُ﴾ أي المكتوب عليهم ﴿إِلَّا قَلِيلٌ﴾ بالرفع على البدل والنصب على الاستثناء ﴿مِّنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ﴾ من طاعة الرسول ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾ ﴿٦٦﴾ تحقيقاً لإيمانهم ﴿وَإِذًا﴾ أي لو

عن ذلك رجوعهم عما هم عليه. قوله: **(بأمره)** أشار بذلك إلى أنه ليس المراد بالإذن الإرادة، وإلا فيلزم عليه أن لا يتخلف عن طاعة أحد، لأن ما أراده الله وقوعه واقع، ولا بد مع أن الواقع خلافه، فدفع ذلك المفسر بقوله: **(بأمره)** لأنه لا يلزم من الإرادة الأمر ولا عكس. قوله: **(بتحاكمهم)** الباء سببية.

قوله: ﴿**فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ**﴾ أي بالتوبة والإخلاص. قوله: ﴿**وَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ الرَّسُولُ**﴾ أي سامحهم وعفا عنهم وطلب لهم المغفرة، لأنه تعلق بهم حقان: حق الله وحق لرسوله. قوله: **(فيه التفات)** أي وحقه واستغفرت لهم. قوله: **(لا زائدة)** أي لتأكيد القسم، وهو اختيار الزمخشري في الكشاف وهو الأحسن، ولذا اقتصر عليه المفسر. قوله: ﴿**حَتَّى يُحَكِّمُوكَ**﴾ الخ، هذه شروط ثلاثة لكمال الإيمان، وهذه الآية بمعنى قوله تعالى: ﴿وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم إذا فريق منهم معرضون وإن يكن لهم الحق يأتون إليه مذعنين﴾ الآيات. قوله: **(اختلط)** أي أشكل والتبس. قوله: **(من غير معارضة)** أي بأن ينقادوا للأحكام من غير توقف.

قوله: ﴿**وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ**﴾ بيان لسوء حالهم، وأنهم لو شدد عليهم كما شدد على من قبلهم لم يفعل ذلك إلا ما قل منهم. قوله: **(مفسرة)** أي بمعنى أي، وضابطها أن يتقدمها جملة فيها معنى القول دون حروفه نظير: ﴿وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين﴾ وانطلق الملأ منهم أن امشوا، ويحتمل أن تكون مصدرية، وعليه فيكون ﴿كَتَبْنَا﴾ بمعنى ألزمنا، التقدير ولو أنا ألزمناهم قتل أنفسهم. قوله: ﴿**أَنْ اقْتُلُوا**﴾ جمهور القراء على ضم النون والواو من أو اخرجوا، وقرأ حمزة وعاصم بكسرهما، وقرأ أبو عمرو بكسر النون وضم الواو، وأما ضم النون وكسر الواو فلم يقرأ به أحد. قوله: **(على البدل)** أي وهو المختار عند النحاة، قال ابن مالك: وبعد نفي أو كنفي انتخب. اتباع ما اتصل. وقوله: **(والنصب على الاستثناء)** أي فهما قراءتان سبعيتان على حد سواء وإن كان الرفع أرجح عند النحاة من النصب، فالمنزه عنه القرآن كونه ليس على قواعد النحاة، وأما كون بعض القراءات له وجه قوي في العربية دون بعض فلا مانع منه.

قوله: ﴿**لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ**﴾ اسم التفضيل ليس على بابه إذ ما هم عليه ليس بخير. قوله: **(أي لو**

ثبتوا ﴿ لَّآتَيْنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ ﴾ من عندنا ﴿ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ ﴿٦٧﴾ هو الجنة ﴿ وَلَهَدَيْنَٰهُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴾ ﴿٦٨﴾ قال بعض الصحابة للنبي ﷺ كيف نراك في الجنة وأنت في الدرجات العلى ونحن أسفل منك فنزل ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ﴾ فيما أمرا به ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ ﴾ أفاضل أصحاب الأنبياء لمبالغتهم في الصدق والتصديق ﴿ وَٱلشُّهَدَآءِ ﴾ القتلى في سبيل الله ﴿ وَٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ غير من ذكر ﴿ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴾ ﴿٦٩﴾ رفقاء في الجنة بأن يستمتع فيها برؤيتهم وزيارتهم والحضور معهم وإن كان مقرهم في الدرجات العالية بالنسبة إلى غيرهم ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ أي كونهم مع من ذكر مبتدأ خبره ﴿ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ﴾ تفضل به عليهم لا أنهم نالوه بطاعتهم ﴿ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴾ ﴿٧٠﴾ بثواب الآخرة أي فثقوا بما أخبركم به ولا ينبئك مثل خبير ﴿ يَٰٓا

ثبتوا) ليس تفسير إلا ذابل، إشارة إلى أن ﴿**إذًا**﴾ واقعة في جواب سؤال مقدر، وقوله: ﴿**لآتَيْنَاهُمْ**﴾ جواب الشرط، وأصل الكلام فما جزاؤهم لو ثبتوا إذ لآتيناهم الخ، فالحامل للمفسر على تقدير **(لو ثبتوا)** قوله بعد: ﴿**لآتَيْنَاهُمْ**﴾ والحامل لنا على تقدير السؤال قوله: ﴿**إذًا**﴾ وهي هنا ملغاة عن عمل النصب لفقد شرطها. قوله: ﴿**صِرَاطاً مُسْتَقِيماً**﴾ أي ديناً قيماً لا اعوجاج فيه، وهو دين الإسلام، فتحصل أنهم لو امتثلوا لأعطاهم الله خير الدنيا والآخرة. قوله: **(وأنت في الدرجات العلى)** أي التي ليس فوقها درجة، وهذا السؤال كما توجه من الصحابة، يتوجه أيضاً من الأنبياء، فإنه أعلى من جميع المخلوقات على الإطلاق حتى الأنبياء، قال البوصيري:

كَيْفَ تَـرْقَـى رَقِيَّـكَ الأَنْبِيَـاء   يَـا سَـمَاء مَـا طَـاوَلَتْهَـا سَـمَاء

قوله: **(فيما أمرا به)** أي ونهيا عنه، فالطاعة امتثال المأمورات واجتناب المنهيات. قوله: ﴿**مِنَ النَّبِيِّينَ**﴾ الخ، بيان للذين والمعنى أن من أطاع الله كان رفيقاً لمن ذكر، وليس ذلك بسفر ولا مشقة، بل يكشف له عمن ذكر ويحادثه مع كون كل درجته لا يصعد هذا لهذا، ولا ينزل هذا لهذا، قال تعالى ﴿إخواناً على سرر متقابلين﴾ فإذا تمنى الشخص مشاهدة النبي ومحادثته، حصل ذلك من غير مشقة ولا انتقال. قوله: **(أفاضل أصحاب الأنبياء)** أي فالصديقية تحت مرتبة النبوة. قوله: ﴿**وَالصَّالِحِينَ**﴾ أي القائمين بحقوق الله وحقوق عباده. قوله: **(غير من ذكر)** أتى به دفعاً للتكرار، لأن جميع من تقدم صالحون.

قوله: ﴿**وَحَسُنَ أُولئِكَ رَفِيقاً**﴾ حسن كنعم تستعمل للمدح وفيها معنى التعجب، وأولئك فاعل، ورفيقاً تمييز، والمخصوص بالمدح محذوف تقديره هؤلاء. قوله: **(رفقاء)** أشار بذلك إلى أن رفيقاً فعيل يستوي فيه الواحد وغيره، ويحتمل أنه أفرد نظراً لكل واحد مما ذكر. قوله: **(والحضور معهم)** أي مجالستهم حيثما أحب. قوله: **(مبتدأ خبره)** ﴿**الفَضْلُ**﴾ ويحتمل أن ﴿**الفَضْلُ**﴾ نعت لاسم الإشارة أو بدل، قوله: ﴿**مِنَ اللَّهِ**﴾ خبره. قوله: **(لا أنهم نالوه بطاعتهم)** أي نالوا الرفق بسبب طاعتهم، ففي الحقيقة دخول الجنة وارتقاء منازلها ومرافقة من ذكر بمحض فضل الله، وإلا فأي طاعة يستحق بها الإنسان شيئاً من ذلك. قوله: **(أي فثقوا)** أي اعتمدوا على ذلك الخبر ولا تشكوا. قوله: **(ولا ينبئك مثل**

أَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ﴾ من عدوكم أي احترزوا منه وتيقظوا له ﴿فَٱنفِرُواْ﴾ انهضوا إلى قتاله ﴿ثُبَاتٍ﴾ متفرقين سرية بعد أخرى ﴿أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعًا﴾ (٧١) مجتمعين ﴿وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ﴾ ليتأخرن عن القتال كعبد الله بن أبي المنافق وأصحابه وجعله منهم من حيث الظاهر واللام في الفعل للقسم ﴿فَإِنْ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ﴾ كقتل وهزيمة ﴿قَالَ قَدْ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا﴾ (٧٢) حاضراً فأصاب ﴿وَلَئِنْ﴾ لام قسم ﴿أَصَٰبَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ كفتح وغنيمة ﴿لَيَقُولَنَّ﴾ نادماً ﴿كَأَن﴾ مخففة واسمها محذوف أي كأنه ﴿لَّمْ تَكُنۢ﴾ بالياء والتاء ﴿بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُۥ مَوَدَّةٌ﴾ معرفة وصداقة وهذا راجع إلى قوله قد أنعم الله على اعترض به بين القول ومقوله وهو ﴿يَٰا﴾ للتنبيه ﴿لَيْتَنِى كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (٧٣) آخذ حظاً وافراً من الغنيمة قال تعالى ﴿فَلْيُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ لإعلاء دينه ﴿ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ﴾ يبيعون ﴿ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ وَمَن يُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقْتَلْ﴾ يستشهد ﴿أَوْ يَغْلِبْ﴾ يظفر بعدوه ﴿فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (٧٤) ثواباً

خبير) أي لا يخبرك بأحوال الجنة وغيرها، مثل خبير عالم ببواطن الأشياء كظواهرها الذي هو الله تعالى. قوله: **﴿حِذْرَكُمْ﴾** هو والحذر بفتحتين مصدران بمعنى التحفظ والتيقظ وهو مبالغة، كأنه جعل حفظ النفس آلة تؤخذ، وبعضهم فسّر الحذر بآلة الحرب، وعليه فلا مبالغة في قوله: **﴿خُذُوا﴾**.

قوله: **﴿فَانْفِرُوا﴾** فعله نفر ينفر من باب ضرب وقعد، مصدره النفر والنفور والنفير. قوله: **﴿ثُبَاتٍ﴾** جمع ثبة وهي الجماعة من الرجال فوق العشرة إلى المائة، والسرية الجماعة أقلها مائة وغايتها أربعمائة، والمنسر من أربعمائة إلى ثمانمائة، والجيش من ثمانمائة إلى أربعة آلاف، والجحفل ما زاد على ذلك. قوله: **(سرية بعد أخرى)** أي جماعات بعد جماعات، سرية أو غيرها. قوله: **﴿أَوِ انْفِرُوا جَمِيعاً﴾** هذا التخيير لولاة الأمور بحسب اجتهادهم. قوله: **﴿لِمَنْ﴾** اللام لام ابتداء دخلت على اسم إن لوقوع الخبر فاصلاً. وقوله: **(ليتأخرن)** أشار بذلك إلى أن بطأ لازم بمعنى قام به البطء وهو التأخر، ويصح أن يكون متعدياً، والمفعول محذوف أي غيره، فالمعنى يكسلن غيره عن القتال. قوله: **(من حيث الظاهر)** أي وإلا ففي نفس الأمر ليس منهم بل هو عدو لهم. قوله: **(وهزيمة)** أي لبعض الجيش، وإلا فمن قال إن رسول الله هزم، فقد كفر، وما وقع في أحد وهوازن كان لأطراف الجيش من حيث الغنيمة. قوله: **(فأصاب)** هو بالنصب بأن مضمرة بعد فاء السببية بعد الأمر.

قوله: **﴿وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ﴾** هذه الآية معنى قوله تعالى ﴿إن تصبكم حسنة تسؤهم وإن تصبكم سيئة يقولوا قد أخذنا من قبل ويتولوا وهم فرحون﴾ قوله: **(بالياء والتاء)** أي فهما قراءتان سبعيتان، فعلى التاء الأمر ظاهر، وعلى الياء فالمودة بمعنى الود. قوله: **(وهذا راجع)** أي قوله كأن لم يكن بينكم وبينه مودة، والمعنى حاله في الفرح بمصيبة المسلمين، كحال من لم يكن بينكم وبينه مودة. قوله: **(للتنبيه)** أي لدخولها على الحرف، ويحتمل أنها للنداء، والمنادى محذوف أي يا هؤلاء. قوله: **﴿فَأَفُوزَ﴾** منصوب بأن مضمرة في جواب النهي بعد فاء السببية. قوله: **﴿فَلْيُقَاتِلْ﴾** الفاء واقعة في جواب شرط مقدر تقديره إذا ترك المنافقون القتال وتأخروا عنه **فليقاتل** الخ. قول: **(يبيعون)** دفع بذلك ما يقال إن القاعدة دخول الباء في الشراء على المتروك، ولا يصح ذلك هنا لأنه يصير ذماً، فأجاب بأن الشراء بمعنى

جزيلاً ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ﴾ استفهام توبيخ أي لا مانع لكم من القتال ﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَ﴾ في تخليص ﴿ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ﴾ الذين حبسهم الكفار عن الهجرة وآذوهم قال ابن عباس رضي الله عنهما كنت أنا وأمي منهم ﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ﴾ داعين يا ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ﴾ مكة ﴿ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا﴾ بالكفر ﴿وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ﴾ من عندك ﴿وَلِيًّا﴾ يتولى أمورنا ﴿وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا﴾ ﴿٧٥﴾ يمنعنا منهم وقد استجاب الله دعاءهم فيسر لبعضهم الخروج وبقي بعضهم إلى أن فتحت مكة وولى ﷺ عتاب بن أسيد فأنصف مظلومهم من ظالمهم ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ﴾ الشيطان ﴿فَقَٰتِلُوٓاْ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ أنصار دينه تغلبوهم لقوتكم بالله ﴿إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ بالمؤمنين ﴿كَانَ ضَعِيفًا﴾ ﴿٧٦﴾ واهياً لا يقاوم كيد الله بالكافرين ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓاْ أَيْدِيَكُمْ﴾ عن قتال

البيع نظير ﴿وشروه بثمن بخس﴾. قوله: ﴿وَمَنْ يُقَاتِلْ﴾ الخ، من اسم شرط مبتدأ، ويقاتل فعل الشرط، وقوله: ﴿فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ﴾ معطوف على ﴿يُقَاتِلْ﴾ عطف مسبب على سبب، وقوله: ﴿فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً﴾ جواب الشرط وجملة الشرط وجوابه خبر المبتدأ.

قوله: ﴿وَمَا لَكُمْ﴾ الخ، ما اسم استفهام مبتدأ، ولكم جار ومجرور خبره، وجملة ﴿لَا تُقَاتِلُونَ﴾ في محل نصب على الحال، والمعنى أي شيء ثبت لكم حال كونكم غير مقاتلين، وهذا أحسن الأعاريب. قوله: ﴿وَ﴾ (في تخليص) ﴿الْمُسْتَضْعَفِينَ﴾ أشار بذلك إلى أن قوله ﴿الْمُسْتَضْعَفِينَ﴾ معطوف على سبيل الله، لكن على حذف مضاف. وسبب نزولها أنه كان قبل الهجرة لم يشرع الجهاد، فلما هاجر عليه الصلاة والسلام أمر بالجهاد، فتكاسل بعض ضعفاء المؤمنين وجميع المنافقين، فنزلت الآية توبيخاً لهم على ترك القتال، لإعلاء كلمة الله وتخليص المستضعفين. قوله: ﴿وَالوَالِدَانِ﴾ قيل جمع وليد بمعنى ولد، وقيل جمع ولد أي الصغار. قوله: (الذين حبسهم الكفار) أي بمكة. قوله: (كنت أنا وأمي) أي وأخي الفضل. قوله: ﴿الَّذِينَ﴾ صفة للمستضعفين و ﴿يَقُولُونَ﴾ صلة الذين. قوله: ﴿الظَّالِمِ﴾ نعت القرية و ﴿أَهْلُهَا﴾ فاعل الظالم وذكر النعت وإن كان المنعوت مؤنثاً لأنه نعت سببي رفع اسماً ظاهراً، فذكر نظراً لذلك الاسم الظاهر. قوله: (إلى أن فتحت مكة) أي في السنة الثامنة من الهجرة. قوله: (عتاب بن أسيد) أي وكان عمره ثمانية عشر سنة، فكان ينصر المظلومين من الظالمين، ويأخذ للضعيف من القوي، الدعاء بهذه الآية مستجاب لمن وقع في بلدة كثر ظلم أهلها.

قوله: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ الخ، المقصود من ذلك تحريض المؤمنين على القتال وترغيبهم فيه. قوله: ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي في مرضاته لإعلاء دينه. وقوله: ﴿فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ﴾ أي في مرضاته. قوله: (تغلبوهم) مجزوم في جواب الأمر. وقوله: (لقوتكم) علة له. قوله: ﴿كَانَ ضَعِيفاً﴾ أي بالنسبة إلى كيد الله تعالى، وأما عظم كيد النساء في آية يوسف، فبالنسبة إلى الرجال فضعف كيد الشيطان لمقابلته بكيد الله، وعظم كيد النساء لمقابلته بكيد الرجال، وإلا فأصل كيد النساء التقدير من الشيطان، وفي الحديث: «النساء حبائل الشيطان». قوله: (واهياً) أي لا ضرر فيه أصلاً، ولذا خذل الشيطان أولياءه لما رأى الملائكة نزلت يوم بدر، وكان النصر لأولياء الله وحزبه.

الكفار لما طلبوه بمكة لأذى الكفار لهم وهم جماعة من الصحابة ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ﴾ فرض ﴿عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ﴾ يخافون ﴿ٱلنَّاسَ﴾ الكفار أي عذابهم بالقتل ﴿كَخَشْيَةِ﴾ هم عذاب ﴿ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً﴾ من خشيتهم له ونصب أشد على الحال وجواب لما دل عليه إذا وما بعدها أي فاجأتهم الخشية ﴿وَقَالُواْ﴾ جزعاً من الموت ﴿رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ﴾ هلا ﴿أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ﴾ لهم ﴿مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا﴾ ما يتمتع به فيها أو الاستمتاع بها ﴿قَلِيلٌ﴾ آيل إلى الفناء ﴿وَٱلْـَٔاخِرَةُ﴾ أي الجنة ﴿خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ عقاب الله بترك معصيته ﴿وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ بالتاء والياء تنقصون من أعمالكم ﴿فَتِيلًا﴾ ﴿٧٧﴾ قدر قشرة النواة فجاهدوا

قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ الاستفهام تعجبي، أي تعجب يا محمد من قومك كيف يكرهون القتال مع كونهم قبل ذلك كانوا طالبين له وراغبين فيه. قوله: **(وهم جماعة من الصحابة)** منهم عبد الرحمن بن عوف، والمقداد بن الأسود، وسعد بن أبي وقاص، وقدامة بن مظعون، وجماعة كانوا بمكة يتحملون أذى الكفار كثيراً، والله يأمرهم بالتحمل والكف عن القتال في نيف وسبعين آية، فكانوا يقولون لولا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال، فلما هاجر النبي ﷺ وأمر بالقتال كرهوا ذلك فنزلت الآية، وقوله: **(بمكة)** متعلق بـ **(طلبوه)** وليس ذلك نفاقاً منهم، وإنما كراهتهم ذلك، إما لغلبة الرأفة عليهم أو لمحبتهم المعيشة في طاعة الله، وإلا لذمهم الله على ذلك، ولما نزلت الآية، أقلعوا عما خطر ببالهم، وشمروا عن ساعد الجد والاجتهاد، وجاهدوا في الله حق جهاده.

قوله: ﴿وَإِذَا فَرِيقٌ﴾ قيل إذ ظرف مكان وقيل ظرف زمان وقيل حرف والأولى الأول، وعليه فإذا خبر مقدم، وفريق مبتدأ مؤخر، ومنهم صفة لفريق، وكذلك جملة ﴿يَخْشَوْنَ﴾ ويصح أن تكون حالاً لوجود المسوغ، والتقدير ففي الحضرة فريق كائن منهم خاشون أو خاشين. وقوله: ﴿كَخَشْيَةِ اللَّهِ﴾ مفعول مطلق أي خشية كخشية الله. قوله: **(أي عذابهم بالقتل)** ويحتمل أن المراد بخشيتهم احترامهم القرابة. قوله: **(ونصب أشد على الحال)** أي من خشية الثاني، لأنه نعت نكرة تقدم عليها. قوله: **(دل عليه إذا الخ)** المناسب أن يقول وجواب لما إذا وما بعدها. قوله: **(أي فاجأتهم الخشية)** الأوضح أن يقول فاجأ كتب القتال عليهم الخشية، لأن الخشية فاجأت كتب القتال لا ذواتهم. قوله: **(جزعاً من الموت)** يحتمل أنهم قالوا ذلك لاعتقادهم أن القاتل يقطع المقتول أجله، فأعلمهم الله تعالى أن الأجل محتم، لا يزيد بالبعد عن القتال ولا ينقص به، وليس ذلك نقصاً فيهم. قال تعالى: ﴿والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً﴾ وقال تعالى: ﴿وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً﴾ ويحتمل أنهم قالوا ذلك بحسب الطبيعة البشرية، وليس عندهم اعتقاد ذلك. قوله: ﴿قُلْ﴾ (لهم) أي ليزدادوا رغبة في دار البقاء، وزهداً في دار الفناء.

قوله: ﴿خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى﴾ أي لأنه لا كدر فيها ولا نصب، ولذلك حين دخولها يقولون: الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن. قوله: **(بترك معصيته)** أي كالشرك وغيره، ومعلوم أن كل من زادت تقواه، كان نعيمه في الآخرة أكبر. قوله: **(بالتاء والياء)** أي فهما قراءتان سبعيتان، فعلى التاء يكون خطاباً لهم، وعلى الياء يكون تحديثاً عنهم، والمعنى بلغهم يا محمد أنهم لا يظلمون فتيلاً. قوله: **(قدر قشرة النواة)** تقدم أنه

﴿ أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ ﴾ حصون ﴿ مُّشَيَّدَةٍ ﴾ مرتفعة فلا تخشوا القتال خوف الموت ﴿ وَإِن تُصِبْهُمْ ﴾ أي اليهود ﴿ حَسَنَةٌ ﴾ خصب وسعة ﴿ يَقُولُواْ هَـٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ ﴾ جدب وبلاء كما حصل لهم عند قدوم النبي ﷺ المدينة ﴿ يَقُولُواْ هَـٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ﴾ يا محمد أي بشؤمك ﴿ قُلْ ﴾ لهم ﴿ كُلٌّ ﴾ من الحسنة والسيئة ﴿ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾ من قبله ﴿ فَمَالِ هَـٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ ﴾ أي لا يقاربون أن يفهموا ﴿ حَدِيثًا ﴾ ﴿٧٨﴾ يلقى إليهم وما استفهام تعجيب من فرط جهلهم ونفي مقاربة الفعل أشد من نفيه ﴿ مَّآ أَصَابَكَ ﴾ أيها الإنسان ﴿ مِنْ حَسَنَةٍ ﴾ خير ﴿ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾ أتتك فضلاً منه ﴿ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ ﴾ بلية ﴿ فَمِن نَّفْسِكَ ﴾ أتتك حيث ارتكبت ما يستوجبها من الذنوب ﴿ وَأَرْسَلْنَـٰكَ ﴾ يا محمد ﴿ لِلنَّاسِ رَسُولًا ﴾ حال مؤكدة ﴿ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾ ﴿٧٩﴾ على رسالتك ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ وَمَن تَوَلَّىٰ ﴾ أعرض عن

غير مناسب، والمناسب تفسيره بالخيط الذي يكون في باطن نواة.

قوله: ﴿**أَيْنَ مَا تَكُونُوا**﴾ هذا تسلية لهم أيضاً وأين اسم شرط جازم، وما صلة، وتكونوا فعل الشرط مجزوم بحذف النون والواو اسمها و ﴿**يُدْرِكْكُمْ**﴾ جواب الشرط، و ﴿**الْمَوْتُ**﴾ فاعله، والمعنى أن الموت يدرككم أينما تكونوا في أي زمان أو مكان متى حضر الأجل. قوله: ﴿**فِي بُرُوجٍ**﴾ جمع برج وهو القلعة والحصن. قوله: (**مرتفعة**) أي عالية البناء، أو المعنى مطلية بالشيد أي الجص قوله: (**أي اليهود**) أي والمنافقين. قوله: (**عند قدوم النبي المدينة**) أي حيث دعاهم إلى الإيمان فكفروا فحصل لهم الجدب، فقالوا هذا شؤمه، والشؤم ضد اليمن والبركة. قوله: ﴿**مِنْ عِنْدِ اللَّهِ**﴾ أي خلقاً وإيجاداً.

قوله: ﴿**فَمَالِ هٰؤُلَاءِ الْقَوْمِ**﴾ الخ، أي أي شيء ثبت لهؤلاء لا يقربون من فهم الحديث والموعظة. قوله: (**وما استفهام تعجيب**) أي وتوبيخ. قوله: (**أيها الإنسان**) أي فهو خطاب عام لكل أحد وقيل الخطاب للنبي والمراد به غيره. قوله: ﴿**فَمِنْ نَفْسِكَ**﴾ أي من شؤمك وسوء كسبك فنسبة ذلك إلى النفس مجاز، باعتبار سوء الكسب والشؤم من إسناد الشيء لسببه، وبهذا اندفع التنافي بين هذه الآية وبين قوله تعالى﴿قل كل من عند الله﴾فنسبة الأشياء جميعها إلى الله من حيث الإيجاد، ونسبة الشر إلى العبد، فباعتبار أن سوء كسبه سبب ذلك، عن عائشة رضي الله عنها قالت: «ما من مسلم يصيبه وصب ولا نصب، ولا الشوكة يشاكها، وحتى انقطاع شسع نعله إلا بذنب، وما يعفو الله عنه أكثر» وأما حديث «أشدكم بلاء الأنبياء الخ» فمعناه أن الله امتحنهم بالبلايا، وألقى عليهم الصبر والمحبة، فشاهدوا إعطاء الله في تلك البلايا، فصارت البلايا عطايا، فتحصل أن البلاء إما أن يكون من شؤم الذنب، وذلك للعصاة الذين لم يتلقوه بالرضا والتسليم، وإما أن يكون اختباراً أو امتحاناً، وذلك للأنبياء والصالحين ليرقيهم به أعلى الدرجات، ولذلك قال العارف الجيلي:

تَـلَذُّ لِي الآلَامُ مُـذْ أَنْتَ مُسْقِمِي وَإِنْ تَمْتَحِنِّي فَهِيَ عِنْـدِي صَنَـائِـعٍ

قوله: ﴿**وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولا**﴾ والمعنى حيث ثبتت رسالته بشهادة الله، اتضح من ذلك أن من

طاعته فلا يهمنك ﴿ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴾ ﴿٨٠﴾ حافظاً لأعمالهم بل نذيراً وإلينا أمرهم فنجازيهم وهذا قبل الأمر بالقتال ﴿ وَيَقُولُونَ ﴾ أي المنافقين إذا جاؤوك أمرنا ﴿ طَاعَةٌ ﴾ لك ﴿ فَإِذَا بَرَزُواْ ﴾ خرجوا ﴿ مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ ﴾ بإدغام التاء في الطائفة وتركه أي أضمرت ﴿ غَيْرَ ٱلَّذِى تَقُولُ ﴾ لك في حضورك من الطاعة إلى عصيانك ﴿ وَٱللَّهُ يَكْتُبُ ﴾ يأمر بكتب ﴿ مَا يُبَيِّتُونَ ﴾ في صحائفهم ليجازوا عليه ﴿ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ ﴾ بالصفح ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ ثق به فإنه كافيك ﴿ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴾ ﴿٨١﴾ مفوضاً إليه ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ﴾ يتأملون ﴿ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ وما فيه من المعاني البديعة ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ ﴿٨٢﴾ تناقضاً في معانيه وتبايناً في نظمه ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ ﴾ عن سرايا النبي ﷺ بما حصل لهم ﴿ مِّنَ ٱلْأَمْنِ ﴾ بالنصر ﴿ أَوِ ٱلْخَوْفِ ﴾

أطاعه أطاع الله. قوله: **(فلا يهمنك)** بضم الياء من أهم، أو بفتحها من هم، ومعناه لا يحزنك إعراضهم وقدره المفسر إشارة إلى أن جواب الشرط محذوف، وقوله: **﴿فَمَا أَرْسَلْنَاكَ﴾** الخ علة للجواب المحذوف. قوله: **(بل نذيراً)** اقتصر عليه لأنه في سياق من أعرض، ولا يناسبه إلا الإنذار، وإلا فرسول الله بعث بشيراً ونذيراً. قوله: **(أمرنا)** **﴿طَاعَةٌ﴾** أشار بذلك إلى أن طاعة خبر مبتدأ محذوف واجب الحذف، لأن الخبر مصدر بدل من لفظ الفعل، فهو نائب عن أطعنا، ويصح أن يكون مبتدأ والخبر محذوف أي منا طاعة. قوله: **(بإدغام التاء في الطائفة)** أي بعد قلبها طاء. وقوله: **(وتركه)** أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: **(أي أضمرت)** المعنى أظهرت ما أضمرته! وإلا فالإضمار كان واقعاً منهم قبل الخروج من عند النبي ﷺ. قوله: **(من الطاعة)** بيان الذي تقول. قوله **(إلى عصيانك)** تفسير لقوله: **﴿غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ﴾**. قوله: **(ليجازوا عليه)** أي في العاجل والآجل.

قوله: **﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾** أي لا تقتلهم ولا تفضحهم، وهذا قبل الأمر بقتلهم وإخراجهم. قوله: **(ثق به)** أي اعتمد عليه. قوله: **﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ﴾** الهمزة داخلة على محذوف تقديره أيعرضون عنك فلا يتدبرون، وهو استقباح لحالهم وتشنيع عليهم، والتدبر في الأصل النظر في عواقب الأمور، لتقع على الوجه الأكمل، والمراد هنا مطلق التأمل والتفكر. قوله: **(تناقضاً في معانيه)** أي بأن يكون بعض إخباره غير مطابق لبعض. وقوله: **(وتبايناً في نظمه)** أي بأن يكون بعضه فصيحاً بليغاً، وبعضه ليس كذلك، فلما كان جميعه على منوال واحد، ليس بعضه مناقضاً لبعض، بل إخباره كلها متوافقة، وهو فصيح بليغ ليس فيه ما ينافي ذلك ثبت أنه عند الله لأن هذا الأمر لا يقدر عليه غيره، ولو ثبت فرضاً أنه من عند غير الله، لوجدوا فيه اختلافاً في المعنى أو اللفظ. إن قلت إن قوله كثيراً ربما يوهم أن فيه اختلافاً قليلاً، أجيب: أن بالتقييد بالكثرة للمبالغة، والمعنى أن القرآن ليس فيه اختلاف أصلاً، فلو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً فضلاً عن القليل فهو من عند الله، فلم يكن فيه اختلاف أصلاً لا كثير ولا قليل.

قوله: **﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ﴾** الخ، سبب نزولها أن رسول الله ﷺ كان يبعث البعوث والسرايا، فإذا غلبوا الكفار أو غلبوهم بادر المنافقون للاستخبار عن حالهم، ثم يتحدثون بذلك ويشيعونه قبل أن يسمعوه من رسول الله ﷺ أو كبار أصحابه، وقصدهم بذلك افتتان ضعفاء المؤمنين.

بالهزيمة ﴿أَذَاعُواْ بِهِۦ﴾ أفشوه نزل في جماعة من المنافقين أو في ضعفاء المؤمنين كانوا يفعلون ذلك فتضعف قلوب المؤمنين ويتأذى النبي ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ﴾ أي الخبر ﴿إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ﴾ أي ذوي الرأي من أكابر الصحابة أي لو سكتوا عنه حتى يخبروا به ﴿لَعَلِمَهُ﴾ هل هو مما ينبغي أن يذاع أو لا ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ﴾ يتتبعونه ويطلبون علمه وهم المذيعون ﴿مِنْهُمْ﴾ من الرسول وأولي الأمر ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ بالإسلام ﴿وَرَحْمَتُهُۥ﴾ لكم بـالقرآن ﴿لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ﴾ فيما يأمركم به من الفواحش ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ ﴿٨٣﴾ ﴿فَقَٰتِلْ﴾ يا محمد ﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ﴾ فلا

قوله: ﴿مِنَ الأمْنِ﴾ الخ، بيان الأمر. قوله: **(من المنافقين)** أي وقصدهم بذلك فتنة الضعفاء وقوله: **(أو ضعفاء المؤمنين)** أي جهلاً منهم بذلك وهما قولان والراجح الأول. قوله: **(فتضعف قلوب المؤمنين)** هذا ظاهر بالنسبة للهزيمة، وأما إشاعة النصر فالضعف فيه من حيث إن هذا الخبر بما وصل الكفار فيتجهزون ويعيدون الحرب ثانياً، ففيه فتنة للضعفاء على كل حال. قوله: **(من أكابر الصحابة)** أي كأبي بكر وعمر ونظائرهما. قوله: **(حتى يخبروا به)** بالبناء للمفعول، أي حتى يخبرهم النبي به. قوله: **(هل هو مما ينبغي الخ)** أي لعلموا صفته وكيفيته، وإلا فهم عالمون به قبل ذلك. قوله: **(وهم المذيعون)** أي المنافقون أو ضعفاء المؤمنين، وهو تفسير للذين يستنبطونه، وهو إظهار في محل الإضمار أي لعلموه. وقوله: ﴿مِنْهُمْ﴾ من ابتدائية، والجار والمجرور متعلق بيستنبطون، والمعنى يتلقونه من جهة الرسول أو كبار الصحابة. قوله: **(بالإسلام)** أي بسبب إرسال محمد ﷺ.

قوله: ﴿إِلَّا قَلِيلاً﴾ اعلم أن في هذا استثناء ستة أوجه: أحدها أنه مستثنى من فـاعل اتبعتم، والمعنى لاتبعتم الشيطان إلا قليلاً منكم فإنه لم يتبعه، كقس بن ساعدة وعمرو بن نفيل وورقة بن نوفل ممن كان على دين عيسى قبل بعثة محمد، والمراد بالفضل والرحمة المنتفيين على هذا بعثة محمد والقرآن ثانيهما أنه مستثنى من فاعل أتبعتم أيضاً، لكنه واقع على من لم يبلغ التكليف، ويكون الاستثناء منقطعاً. ثالثها أنه مستثنى من فاعل أذاعوا، والمعنى أظهر وأخبر الأمن أو الخوف إلا قليلاً فلم يظهروا. رابعها أنه مستثنى من فاعل علمه، أي علمه الذين يستنبطونه إلا قليلاً فلم يعلموا. خامسها أنه مستثنى من فاعل وجدوا أي إلا قليلاً، فلم يجدوا فيه اختلافاً كثيراً لبلادتهم وعدم معرفتهم. سادسها أن قوله لاتبعتم خطاب لجميع الناس عموماً، والمراد بالقليل أمة محمد ﷺ، وأحسن هذه الأوجه أولها، وهو المأخوذ من سياق المفسر، وأبعدها الأخير تأمل.

قوله: ﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ الفاء واقعة في جواب شرط مقدر تقديره إذا تكاسلوا عن القتال **فقاتل** الخ، فإنك منصور على كل حال، ولو اجتمعت عليك أهل الأرض جميعاً. قوله: ﴿لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ﴾ هذه الجملة حال من فاعل قاتل، والمعنى قاتل في سبيل الله ولا تنظر لكسلهم حال كونك غير مكلف إلا نفسك، فلا يضرك مخالفتهم وتقاعدهم عن القتال، وقد كان رسول الله ﷺ في شدة الحرب لا يتغير وجهه أبداً، بل كان يتبسم إذ ذاك ولا يكترث بملاقاة الأعداء، قال البوصيري:

مُسْفِرٌ يَلْتَقِي الكَتِيبَةَ بِسَّا ... مَا إذَا أَسْهَمَ الوُجُوه اللِّقَاء

تهتم بتخلفهم عنك المعنى قاتل ولو وحدك فإنك موعود بالنصر ﴿وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ حثهم على القتال ورغبهم فيه ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ﴾ حرب ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا﴾ منهم ﴿وَأَشَدُّ تَنكِيلًا ﴿٨٤﴾﴾ تعذيباً منهم فقال ﷺ والذي نفسي بيده لأخرجن ولو وحدي فخرج بسبعين راكباً إلى بدر الصغرى فكف الله بأس الكفار بإلقاء الرعب في قلوبهم ومنع أبي سفيان عن الخروج كما تقدم في آل عمران ﴿مَّن يَشْفَعْ﴾ بين الناس ﴿شَفَٰعَةً حَسَنَةً﴾ موافقة للشرع ﴿يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ﴾ من الأجر ﴿مِّنْهَا﴾ بسببها ﴿وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً﴾ مخالفة له ﴿يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ﴾ نصيب من الوزر

قوله: (**المعنى قاتل ولو وحدك**) أي فكان من خصائصه ﷺ أنه إذا هم بالحرب لا يرجع حتى يحكم الله بينه وبين عدوه. قوله: ﴿**وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ أي بالآيات الواردة في فضل الجهاد، فإن تخلفوا بعد ذلك فلا يضرونك، وإنما وبالهم على أنفسهم. قول: ﴿**عَسَى اللَّهُ**﴾ الخ، هذا وعد من الله بكفهم، وهو وإن ورد بصيغة الترجي، فهو في المعنى محقق لتعلق قدرته وإرادته بذلك، ويستحيل تخلف ما تعلقا به، لأنه يصير عاجزاً، فلا فرق في تحقق وعد الله بين أن يرد بصيغة الترجي أو غيره. قوله: ﴿**وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْساً**﴾ أي قوة وسطوة. قوله: ﴿**تَنْكِيلاً**﴾ من النكل، وهو في الأصل القيد ثم أطلق على العذاب. قوله: (**والذي نفسي بيده**) إنما أقسم بذلك لأنه دائماً في حضرة ربه. وقوله: (**بيده**) أي قدرته، وكان عليه الصلاة والسلام كثيراً ما يحلف بذلك. قوله: (**فخرج بسبعين راكباً**) أي في السنة الرابعة لأن أحداً كانت في الثالثة، فلما انصرف منها أبو سفيان نادى بأعلى صوته يا محمد موعدك العام القابل في بدر، فقال عليه الصلاة والسلام: إن شاء الله تعالى، فلما جاء العام القابل طلب المؤمنين للخروج، فتقاعد المنافقون وتبعهم بعض ضعفاء المؤمنين بسبب تثبيط نعيم بن مسعود الأشجعي لهم، قال تعالى حكاية عنه: ﴿الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم الآيات﴾ وقوله: (**بسبعين راكباً**) تبع في ذلك بعض السير وهو ضعيف، والراجح أنه خرج معه ألف وخمسمائة من أصحابه وعشرة أفراس، واستخلف على المدينة عبد الله بن رواحة، فأقاموا على بدر ينتظرون أبا سفيان، فألقى الله في قلوب الأعداء الرعب، ولم ينتقلوا من محل يسمى الآن بوادي فاطمة فاجتمعت قبائل العرب من كل جهة لإقامة السوق في بدر، فصارت الصحابة يتجرون إلى أن ربحوا ربحاً عظيماً، فمكثوا في بدر ثمانية أيام، فلم تأتِ الكفار ولم يحصل بينهم حرب أصلاً، قال تعالى: ﴿فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء﴾ وتقدم بسط القصة في آل عمران. قوله: (**ومنع أبي سفيان**) معطوف على الفاء فهو مصدر.

قوله: ﴿**مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً**﴾ هذه الجملة أفادت أن تحريض النبي للمؤمنين على القتال شفاعة حسنة، فله حظ وافر في نظير ذلك، والشفاعة هي سؤال الخير للغير، ويندرج في ذلك الدعاء للمسلم بظهر الغيب، فقد ورد «من دعا لأخيه المسلم بظهر الغيب استجيب له وقال له الملك ولك مثل ذلك» وفي الحديث أيضاً «أدعوني بألسنة ما عصيتموني بها» قال العلماء هو الدعاء للغير. قوله: ﴿**وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً**﴾ إنما أطلق عليها شفاعة مشاكلة، لأن حقيقة الشفاعة لا تكون إلا في الخير، قال بعضهم هي النميمة، وهي نقل الكلام لإيقاع العداوة بين الناس، وقيل هي السعي بالفساد مطلقاً. قوله: (**نصيب**)

﴿مِّنْهَا﴾ بسببها ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا﴾ ﴿٨٥﴾ مقتدراً فيجازي كل أحد بما عمله ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ﴾ كأن قيل لكم سلام عليكم ﴿فَحَيُّوا۟﴾ المحيي ﴿بِأَحْسَنَ مِنْهَآ﴾ بأن تقولوا له عليك

أشار بذلك إلى أن الكفل مرادف للنصيب وإنما غاير تفننا. قوله: ﴿مُقِيتاً﴾ هو في الأصل معناه الموصل لكل أحد قوته، ومعلوم أن هذا لا يكون إلا من المقتدر أطلق وأريد منه المقتدر بمعنى القادر الذي لا يعجزه شيء. قوله: (**بما عمله**) أي من خير أو شر.

قوله: ﴿**وَإِذَا حُيِّيْتُمْ بِتَحِيَّةٍ**﴾ هذا من جملة أفراد الشفاعة الحسنة، وفيه تعليم محاسن الأخلاق، وهو أنه ينبغي للإنسان أن يجازي على المعروف بأحسن منه أو بمثله، والتحية في الأصل الدعاء بطول الحياة، وكانت العرب إذا لقي بعضهم بعضاً يقول له حياك الله، ثم استعملت في الإسلام وإنما اختير لفظ السلام على لفظها الأصلي لأنه أتم وأنفع، لأن السلام معناه السلامة من الآفات الدنيوية والأخروية، ورحمة الله إنعامه وإحسانه وبركاته حفظه من الزوال، وأما طول الحياة فلا يلزم منه السلامة، من الآفات، بل قد يكون طول الحياة مذموماً كما إذا كان في المعاصي، فكان السلام بهذا المعنى أتم وأكمل، وأصل تحية تحيية كتزكية، نقلت حركة الياء الأولى إلى ما قبلها ثم أدغمت فيها بعدها. قوله: (**كأن قيل لكم سلام عليكم**) أي بهذا اللفظ وما شابهه، كالسلام عليكم، أو سلامي عليكم، أو سلام الله عليكم والأولى أن يأتي بميم الجمع، ولو كان المسلم عليه واحداً أو مثنى أو جمع نسوة نظراً للملائكة المصاحبين للمسلم عليه، فإذا سلم بغير هذا اللفظ كأمان الله عليكم أو غير ذلك، فلا يجب عليه الرد، ومن المطلوب المصافحة، لما ورد أنها تذهب الغل من القلوب، وأما تقبيل اليد فهو مكروه إلا لمن ترجى بركته كشيخ أو والد، وأما المعانقة فمكروهة إلا لشوق، كقدوم من سفر ونحوه. واعلم أن ابتداء السلام سنة، ورده فرض كفاية، ولكن الابتداء أفضل من الرد، لما ورد «أن للبادىء تسعين حسنة، وللراد عشرة» ومثله الوضوء قبل الوقت فإنه مندوب، لكنه أفضل من الوضوء بعده الواجب، وإبراء المعسر مندوب، وهو أفضل من أنظاره الواجب. وجمع ذلك بعضهم في قوله:

الْفَرْضُ أَفْضَلُ مِنْ تَطَوّعِ عَابِدٍ ... حَتَّى وَلَوْ قَدْ جَاءَ مِنْهُ بِأَكْثَرِ
إِلَّا التَّطَهُّرِ قَبْلَ وَقْتٍ وَابْتداء ... لِلْسَّلَامِ كَذَاكَ إِبرا المُعْسر

وقد تقدم في آخر البقرة. قوله: ﴿**فَحَيُّوا**﴾ أصله حييوا، استثقلت الضمة على الياء فحذفت الضمة فالتقى ساكنان الياء والواو، فحذفت الياء وضم ما قبل الواو. قوله: (بأن تقولوا عليك السلام ورحمة الله وبركاته) أي فإذا اقتصر البادىء على السلام وزاد الراد الرحمة والبركة، روي أن رجلاً، قال لرسول الله ﷺ: السلام عليك، فقال: وعليك السلام ورحمة الله وقال آخر: السلام عليك ورحمة الله، فقال: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته. وقال آخر: السلام عليك ورحمة الله وبركاته، فقال: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته، فقال الرجل: نقصتني الفضل على سلامي، فأين ما قال الله؟ فقال ﷺ: لم تترك لي فضلاً فرددت عليك مثله، ولا يزاد على البركة شيء لا من البادي ولا من الراد، لما ورد أن رجلاً سلم على ابن عباس فقال له السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ثم زاد شيئاً، فقال ابن عباس إن السلام انتهى إلى البركة.

السلام ورحمة الله وبركاته ﴿أَوْ رُدُّوهَآ﴾ بأن تقولوا له كما قال أي الواجب أحدهما والأول أفضل ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾ ﴿٨٦﴾ محاسباً فيجازي عليه ومنه رد السلام وخصت السنة الكافر والمبتدع والفاسق والمسلم على قاضي الحاجة ومن في الحمام والآكل فلا يجب الرد عليهم بل يكره في غير الأخير ويقال للكافر وعليك ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ والله ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ﴾ من قبوركم ﴿إِلَىٰ﴾ في ﴿يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ﴾ شك ﴿فِيهِ وَمَنْ﴾ أي لا أحد ﴿أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾ ﴿٨٧﴾ قولاً ولما رجع ناس من أحد اختلف الناس فيهم فقال فريق اقتلهم وقال فريق لا فنزل ﴿فَمَا لَكُمْ﴾ أي ما شأنكم صرتم ﴿فِي ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ﴾ فرقتين ﴿وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم﴾ ردهم ﴿بِمَا كَسَبُوٓاْ﴾

قوله: ﴿**أَوْ رُدُّوهَا**﴾ أي ردوا مثلها على حد واسأل القرية لأن رد عينها محال. قوله: (**والمبتدع**) أي صاحب البدعة التي تخالف الشرع. قوله: (**والفاسق**) أي بالجارحة المتجاهر. قوله: (**على قاضي الحاجة**) أي ومن في حكمه كمن في محل مستقذر، أو في حال الاستنجاء. قوله: (**ومن في الحمام**) أي في محل الحرارة لا خارجه في محل نزع الثياب. قوله: (**والآكل**) أي بالفعل بأن كان فمه مشغولاً بالمضغ لا وقت خلوه منه فيجب الرد. قوله: (**بل يكره في غير الأخير**) أي الآكل بالفعل. قوله: (**ويقال للكافر وعليك**) أي لأنه يقول في سلامه السام عليك، والسام الموت، فيرد عليه بقوله وعليك، ومحل ذلك ما لم يتحقق منه النطق بالسلام بلفظه وإلا فيرد.

قوله: ﴿**اللَّهُ**﴾ مبتدأ، ﴿**وَلَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ**﴾ خبر أول، ﴿**وَلَيَجْمَعَنَّكُمْ**﴾ خبر ثان، ورد بالخبر الأول على منكري التوحيد، وبالثاني على منكري البعث. قوله: (**والله**) أشار بذلك إلى أن اللام في ﴿**لَيَجْمَعَنَّكُمْ**﴾ موطئة لقسم محذوف. قوله: ﴿**لَيَجْمَعَنَّكُمْ**﴾ أي يحشركم بعد تفرقكم، قال تعالى: ﴿وهو على جمعهم إذا يشاء قدير﴾. قوله: ﴿**إِلَى**﴾ (في) أشار بذلك إلى أن ﴿**إِلَى**﴾ مضمنة معنى (في) ويصح بقاؤها على أصلها، ويضمن الفعل معنى يحشر، وهو الأقرب، لأن التجوز في الفعل أكثر من التجوز في الحرف. قوله: ﴿**لَا رَيْبَ فِيهِ**﴾ أي لا تردد ولا تحير في ذلك اليوم. قوله: (**أي لا أحد**) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري بمعنى النفي. قوله: ﴿**حَدِيثاً**﴾ تمييز. قوله: (**ولما رجع ناس**) هذا إشارة لسبب نزول الآية، والمراد بالناس عبد الله بن أبي وأصحابه الثلثمائة وكانوا منافقين. قوله: (**اختلف الناس**) أي الصحابة، وقوله: (**اقتلهم**) أي للأمارة الدالة على كفرهم، وقوله: (**وقال فريق لا**) أي لنطقهم بالشهادتين، واللوم في الحقيقة راجع على الفريق الثاني القائل لا تقتلهم.

قوله: ﴿**فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ**﴾ ما مبتدأ ولكم جار ومجرور خبر، وفي المنافقين متعلق بما تعلق به الخبر، أو متعلق بمحذوف حال من فئتين، لأنه نعت نكرة تقدم عليها، أو متعلق بفئتين لتأوله بمشتق أي مفترقين، وقوله: ﴿**فِئَتَيْنِ**﴾ خبر لصار المحذوفة كما قدره المفسر. قوله: ﴿**وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ**﴾ الركس في الأصل النكس، وهو قلب الشيء على رأسه، فمعناه على هذا ردهم من حالة العلو وهو عز الإسلام، إلى السفل وهو ذل الكفر بالسبي والقتل. قوله: (ردهم) أي عن القتال ومنعهم منه، ولم يجر على أيديهم خير بسبب كسبهم، لما في الحديث «إن العبد ليحرم الخير بالذنب يصيبه» وفي نسخة بددهم أي فرق شملهم

من الكفر والمعاصي ﴿ أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُواْ مَنْ أَضَلَّ ﴾ ـه ﴿ ٱللَّهُ ﴾ أي تعدوهم من جملة المهتدين والاستفهام في الموضعين للإنكار ﴿ وَمَن يُضْلِلِ ﴾ ـه ﴿ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴾ ﴿٨٨﴾ طريقاً إلى الهدى ﴿ وَدُّواْ ﴾ تمنوا ﴿ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ ﴾ أنتم وهم ﴿ سَوَآءً ﴾ في الكفر ﴿ فَلَا تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ أَوْلِيَآءَ ﴾ توالونهم وإن أظهروا الإيمان ﴿ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ هجرة صحيحة تحقق إيمانهم ﴿ فَإِن تَوَلَّوْاْ ﴾ وأقاموا على ما هم عليه ﴿ فَخُذُوهُمْ ﴾ بالأسر ﴿ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ وَلِيًّا ﴾ توالونه ﴿ وَلَا نَصِيرًا ﴾ ﴿٨٩﴾ تنصرون به على عدوكم ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ ﴾ يلجؤون ﴿ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ ﴾ عهد بالأمان لهم ولمن وصل اليهم كما عاهد النبي ﷺ هلال بن عويمر الأسلمي ﴿ أَوْ ﴾ الذين ﴿ جَآءُوكُمْ ﴾ ﴿ وَقَدْ حَصِرَتْ ﴾ ضاقت ﴿ صُدُورُهُمْ ﴾ عن ﴿ أَن يُقَٰتِلُوكُمْ ﴾ مع قومهم ﴿ أَوْ يُقَٰتِلُواْ قَوْمَهُمْ ﴾ معكم أي ممسكين عن قتالكم وقتالهم فلا

وجمعهم. قوله: **(من الكفر الخ)** بيان لما كسبوا، وقوله: **(والمعاصي)** عطف عام على خاص. قوله: **(للإنكار)** أي مع التوبيخ، والمعنى لا تفترقوا في قتلهم، أو لا تجعلوهم من المهتدين، ولا تعدوهم منهم، وهذا إشارة لليأس من هداهم، فلم يهتدوا بعد ذلك أبداً. قوله: **﴿كَمَا كَفَرُوا﴾** نعت لمحذوف، والتقدير ودوا لو تكفرون كفراً مثل كفرهم. قوله: **﴿فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ﴾** مفرع على قوله: **﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ﴾** والجمع باعتبار الأفراد.

قوله: **﴿حَتَّى يُهَاجِرُوا﴾** غاية في عدم اتخاذ الأولياء منهم، والمعنى امتنعوا من اتخاذ الأولياء منهم إلى أن تقع منهم الهجرة، بمعنى الجهاد في سبيل الله مخلصين له الدين. واعلم أن الهجرة ثلاثة أقسام: هجرة للمؤمنين في أول الإسلام وهي قوله تعالى للفقراء المهاجرين، وهجرة المنافقين وهي خروجهم للقتال مع رسول الله صابرين محتسبين لا لأغراض الدنيا وهي المرادة هنا، وهجرة عن جميع المعاصي وهي التي قال فيها عليه الصلاة والسلام: «المهاجر من هجر ما نهى الله عنه»، قوله: **﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾** أي أعرضوا عن عما أمرتهم به، وقوله: **(وأقاموا على ما هم عليه)** دفع به ما يتوهم من قوله: **﴿تَوَلَّوْا﴾** أنه كان حصل منهم إقبال ثم أعرضوا، فأجاب بأن المراد أقاموا وداموا على ما هم. قوله: **﴿حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾** أي في حل أو في حرم لأنهم من جملة الكفار، فيفعل بهم ما فعل بسائر الكفار.

قوله: **﴿إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ﴾** هذا استثناء من الأخذ والقتل فقط، ولا يرجع للموالاة فإنها لا تجوز مطلقاً. قوله: **﴿إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ﴾** أي وهم الأسلميون، فكان رسول الله ﷺ وقت خروجه إلى مكة، قد وقع بينه وبين هلال بن عويمر الأسلمي عهد، أن لا يعين على النبي ولا يعينه، وعلى أن من لجأ إليه لا يتعرض له، وكذلك بنو بكر بن زيد وخزاعة.

قوله: **﴿أَوْ جَاؤُكُمْ﴾** معطوف على **﴿يَصِلُونَ﴾** كما قدر الموصول المفسر، فالمستثنى فريقان: فريق التجؤوا للمعاهدين، وفريق ترك قتالنا مع قومه، وقتال قومه معنا. قوله: **﴿وَقَدْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ﴾** أي وهم بنو مدلج جاؤوا لرسول الله غير مقاتلين. قوله: **(وهذا)** أي قوله: **﴿إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ﴾** وقوله:

تتعرضوا إليهم بأخذ ولا قتل وهذا وما بعده منسوخ بآية السيف ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ﴾ تسليطهم عليكم ﴿لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ﴾ بأن يقوي قلوبهم ﴿فَلَقَٰتَلُوكُمْ﴾ ولكنه لم يشأه فألقى في قلوبهم الرعب ﴿فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا۟ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ﴾ الصلح أي انقادوا ﴿فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾ ﴿٩٠﴾ طريقاً بالأخذ والقتل ﴿سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ﴾ بإظهار الإيمان عندكم ﴿وَيَأْمَنُوا۟ قَوْمَهُمْ﴾ بالكفر إذا رجعوا إليهم وهم أسد وغطفان ﴿كُلَّ مَا رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱلْفِتْنَةِ﴾ عدا إلى الشرك ﴿أُرْكِسُوا۟ فِيهَا﴾ وقعوا أشد وقوع ﴿فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ﴾ بترك قتالكم ﴿وَ﴾ لم ﴿يُلْقُوٓا۟ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ وَ﴾ لم ﴿يَكُفُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ﴾ عنكم ﴿فَخُذُوهُمْ﴾ بالأسر ﴿وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأُو۟لَٰٓئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا﴾ ﴿٩١﴾ برهاناً بيناً ظاهراً على قتلهم وسبيهم لغدرهم ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا﴾ أي ما ينبغي أن يصدر منه قتل له ﴿إِلَّا خَطَـًٔا﴾ مخطئاً في قتله من غير قصد ﴿وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا﴾ بأن قصد رمي غيره كصيد أو شجرة فأصابه أو ضربه بما لا يقتل غالباً

﴿أَوْ جَاؤُكُمْ﴾ وقوله: **(وما بعده)** أي وهو قوله: ﴿فَإِنْ اعْتَزَلُوكُمْ﴾ الخ. قوله: **(منسوخ بآية السيف)** أي التي نزلت في براءة وهي قوله تعالى: ﴿فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم﴾ الآيات فصار بعد نزول آية السيف لا يقبل منهم عهد أبداً، إلى أن انتشر الإسلام، فخصصت آية السيف بالجزية والعهود. قوله: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ﴾ الخ، هذا تسلية للمؤمنين وتذكير لنعم الله عليهم. قوله: ﴿لَسَلَّطَهُمْ﴾ هذا تمهيد لجواب ﴿لَوْ﴾ وجوابها. قوله: ﴿فَلَقَاتَلُوكُمْ﴾ قوله: **(ولكنه لم يشأه الخ)** أشار بهذا الاستدراك إلى تتميم القياس، لأنه ذكر المقدم بقوله: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ﴾ والتالي بقوله: ﴿لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ﴾ فذكر المفسر نقيض المقدم بقوله لكن، والنتيجة بقوله: **(فألقى في قلوبهم الرعب)**.

قوله: ﴿فَإِنْ اعْتَزَلُوكُمْ﴾ أي بوجه من الوجوه المتقدمة، وهي التجاؤهم إلى من بيننا وبينه عهد، وهي التجاؤهم، أو تركهم القتال معنا ومع قومهم. قوله: **(أي انقادوا)** للصلح والأمان ورضوا به. قوله: ﴿آخَرِينَ﴾ أي قوماً آخرين من المنافقين، وسيأتي أنهم أسد وغطفان، كانوا حول المدينة فأسلموا ظاهراً ليأمنوا من القتل والأسر، وكانوا إذا خلوا بالكفار يقولون آمنا بالقرد والعقرب والخنفساء، وإذا لقوا النبي وأصحابه يقولون إنا على دينكم ليأمنوا من الفريقين. قوله: **(وقعوا أشد وقوع)** أي رجعوا إلى الشرك أعظم رجوع. قوله: **(لغدرهم)** أي خيانتهم.

قوله: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ﴾ أي لا يسوغ ولا يصلح لمتصف بالإيمان أن يقتل أخاه في الإيمان، والمعنى يبعد كل البعد، لأن شأن الإيمان الرأفة والرحمة بالإخوان، قال تعالى مدحاً في أصحاب رسول الله (أشداء على الكفار رحماء بينهم). قوله: ﴿إِلَّا خَطَأً﴾ الاستثناء منقطع لأن ما قبله محمول على العمد، والمعنى لكن قد يقع خطأ، ويصح أن يقع متصلاً، والمعنى لا ينبغي أن يقع القتل من المؤمن للمؤمن في حال من الأحوال إلا في حالة الخطأ. قوله: **(مخطئاً)** أشار بذلك إلى أن خطأ حال، إلا أنه مؤول باسم الفاعل. قوله: **(من غير قصد)** أي للضرب من أصله، أو ضرب من يجوز له ضربه فصادف غيره.

قوله: ﴿وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِناً خَطَأً﴾ الخ، حاصل ما ذكره في الخطأ ثلاثة أقسام: لأن المقتول إما مؤمن

﴿فَتَحْرِيرُ﴾ عتق ﴿رَقَبَةٍ﴾ نسمة ﴿مُّؤْمِنَةٍ﴾ عليه ﴿وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ﴾ مؤداة إلى أهله أي ورثة المقتول ﴿إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُواْ﴾ يتصدقوا عليه بها بأن يعفوا عنها وبينت السنة أنها مائة من الإبل عشرون بنت مخاض وكذا بنات لبون وبنو لبون وحقاق وجذاع وأنها على عاقلة القاتل وهم عصبته إلا الأصل والفرع موزعة عليهم على ثلاث سنين على الغني منهم نصف دينار والمتوسط ربع كل سنة فإن لم يفوا فمن بيت المال فإن تعذر فعلى الجاني ﴿فَإِن كَانَ﴾ المقتول ﴿مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ﴾ حرب ﴿لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ على قاتله كفارة ولا دية تسلم إلى أهله لحرابتهم ﴿وَإِن كَانَ﴾ المقتول ﴿مِن قَوْمِۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ﴾ عهد كأهل الذمة ﴿فَدِيَةٌ﴾ له ﴿مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ﴾ وهي ثلث دية المؤمن إن كان يهودياً أو نصرانياً وثلثا عشرها إن كان مجوسياً ﴿وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾

ورثته وورثته مسلمون، أو مؤمن وورثته حربيون، أو معاهد، فالأول فيه الدية والكفارة وكذا الثالث، وأما الثاني ففيه الكفارة فقط، ومن إما اسم موصول مبتدأ وقتل صلتها، وقوله: ﴿فَتَحْرِيرُ﴾ خبره وقرن بالفاء لشبهه بالشرط، وإما اسم الشرط وقتل فعله، وقوله فتحرير جوابه والجملة خبره من حيث كونه مبتدأ. قوله: **(عليه)** أشار بذلك إلى أن قوله فتحرير مبتدأ خبره محذوف، ويصح أن يكون خبر المحذوف، والتقدير فالواجب **عليه** تحرير الخ، أو فاعل بفعل محذوف أي فيجب عليه تحرير.

قوله: ﴿**وَدِيَةٌ**﴾ معطوف على تحرير، والدية مصدر في الأصل أطلقت على المال المأخوذ في نظير القتل، وهو والمراد هنا، ولذا وصفها بمسلمة، وأصلها ودي حذفت الواو وعوض عنها تاء التأنيث. قوله: ﴿**إِلَّا أَنْ يَصَّدَّقُوا**﴾ أصله يتصدقوا قلبت التاء صاداً وأدغمت في الصاد هو حال من أهله، والمعنى إلا متصدقين. قوله: **(بأن يعفو)** أي أهله وسمي العفو عنها صدقة تنبيهاً على فضله، لأن كل معروف صدقة. قوله: **(أنها مائة من الإبل)** هذا مخصوص بأهل الإبل، وأما على أهل الذهب فألف دينار، وعلى أهل الورق اثنا عشر ألف درهم. قوله: **(بنت مخاض)** أي وهي ما أوفت سنة ودخلت في الثانية. قوله: **(وكذا بنات لبون)** أي وابن اللبون ما أوفى سنتين ودخل في الثالثة. قوله: **(وحقاق)** الحقة ما أوفت ثلاث سنين ودخلت في الرابعة، وقوله: **(وجذاع)** الجذعة ما أوفت أربع سنين ودخلت في الخامسة. قوله: **(وأنها على عاقلة القاتل)** أي وهو إن كان غنياً كواحد منهم عند مالك، وعند الشافعي ليس **عليه** شيء منها، وهذه دية الخطأ، وأما دية العمد فمغلظة من أربعة أنواع: بإسقاط ابن اللبون من كل نوع خمس وعشرون عند مالك، إلا إذا قتل الأب ابنه عمداً غير قاصد إزهاق روحه بأن لم يذبحه، فعليه ثلاثون حقة وثلاثون جذعة وأربعون خلفة، والخلفة: الناقة الحامل، والتغليظ عند الشافعي يكون بتلك الأنواع الثلاثة لا غير. قوله: **(إلا الأصل والفرع)** هذا مذهب الشافعي، وأما عند مالك فلا فرق بين الأصل والفرع وغيرهما، في أن كلاً منهما يدفع كغيره. قوله: **(على الغني منهم نصف دينار)** يؤخذ منه أن العاقلة غير محدودة بعدد، وهو مذهب الشافعي، وعند مالك تفرض الدية على ما زاد على ألف من أقاربه، وقيل على سبعمائة. قوله: ﴿**فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ**﴾ أي بأن جاء من بلاد الكفر وأسلم عندنا ثم قتل خطأ. قوله: **(حرب)** بكسر الحاء أي محارب. قوله: ﴿**فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ**﴾ الخ، أي بأن كان يهودياً أو نصرانياً أو مجوسياً. قوله: **(وهي ثلث دية المؤمن)** هذا مذهب الإمام الشافعي، وأما عند مالك فهو على

على قاتله ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ﴾ الرقبة بأن فقدها وما يحصلها به ﴿فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ﴾ عليه كفارة ولم يذكر الله تعالى الانتقال إلى الطعام كالظهار وبه أخذ الشافعي في أصح قوليه ﴿تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ﴾ مصدر منصوب بفعله المقدر ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا﴾ بخلقه ﴿حَكِيمًا﴾ ﴿٩٢﴾ فيما دبره لهم ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا﴾ بأن يقصد قتله بما يقتل غالباً عالماً بإيمانه ﴿فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ﴾ أبعده من رحمته ﴿وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ ﴿٩٣﴾ في النار وهذا مؤول

النصف من الحر المسلم، كأنثى الحر المسلم. قوله: (**وثلثا عشرها إن كان مجوسياً**) هذا باتفاق بين مالك والشافعي، وأنثاه على النصف منه. قوله: (**الرقبة**) قدره إشارة إلى أن مفعول يجد محذوف. قوله: ﴿**فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ**﴾ يقال فيه من الإعراب ما قيل في ﴿**فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ**﴾. قوله: (**وبه أخذ الشافعي**) أي ومالك. قوله: (**المقدر**) أي وتقديره تاب الله عليكم توبة، ويصح أن يكون مفعولاً لأجله، أي شرع لكم ذلك لأجل التوبة عليكم وهو الأحسن، إن قلت: إن الخطأ ليس بذنب فما معنى التوبة منه؟ أجيب: بأن ذلك لجبر الخلل الذي حصل منه في عدم إمعان النظر والتحفظ.

قوله: ﴿**وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً**﴾ مقابل قوله من قتل مؤمناً خطأ، وقوله متعمداً أي عدواناً ليخرج المقتول قصاصاً أو حداً، كالزاني المحصن والمحارب. وسبب نزولها: أن رجلاً يقال له مقيس بن صبابة أسلم هو وأخوه هشام على يد رسول الله ﷺ بالمدينة، ثم إن مقيساً وجد أخاه مقتولاً في بني النجار، فقال لهم: إن رسول الله ﷺ بذلك، فأرسل معه رجلاً يقال له فهر من بني مهران إلى بني النجار، فقال لهم: إن رسول الله ﷺ يأمركم أنكم إذا عرفتم عين القاتل فسلموه لمقيس، وإن لم تعرفوه فأعطوا له الدية، فقالوا سمعاً وطاعة إنا لا نعرف عين القاتل وأعطوه مائة بعير! فلما ذهب من عندهم سول الشيطان لمقيس أن يقتل فهراً بدل أخيه، فتأخر عنه وضربه فقتله وركب بعيراً وساق باقيها راجعاً إلى مكة، وقال شعراً في ذلك:

قَتَلْتُ بِهِ فِهْراً وَأَحْمَلْتُ عَقْلَه سَرَاةَ بَنِي النَّجَارِ أَرْبَابَ قَارِع
وَأَدْرَكْتُ ثَأْرِي وَاضْطَجَعْتُ تَوَسُّدا وَكُنْتُ إِلَى الأَصْنَامِ أَوَّلَ رَاجِع

فنزلت فيه الآية، ولما كان عام الفتح استثناه النبي ممن أمنه! فقتله الصحابة وهو متعلق بأستار الكعبة، فعلى هذا الخلود في الآية على ظاهره. قوله: ﴿**خَالِداً**﴾ حال من الضمير في جزاؤه. قوله: ﴿**وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ**﴾ معطوف على محذوف، والتقدير حكم الله عليه بذلك وغضب الله عليه. قوله: ﴿**وَلَعَنَهُ**﴾ عطف على ﴿**غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ**﴾ مرادف لأن اللعنة هي الغضب. قوله: (**وهذا مؤول الخ**) يشرع في ذكر الأجوبة عن السؤال الوارد على الآية. وحاصله أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، وظاهر الآية يقتضي أن جزاء القاتل عمداً الخلود في النار، ولو مات مؤمناً، وليس كذلك فأجاب المفسر عن ذلك بثلاثة أجوبة: الأول أنه محمول على المستحل لذلك، الثاني أن هذا جزاؤه إن جوزي، أي إن عامله الله بعد له، جازاه بذلك، وإن عامله بفضله فجائز أن لا يدخله النار، ولكن في هذا الجواب شيء، لأن فيه تسليم أنه إذا جوزي يخلد في النار، وهو غير سديد للقواطع الدالة على أنه لا يخلد في النار إلا من مات على الكفر، وقد أجاب البيضاوي بجواب آخر: أن يحمل الخلود على طول المكث،

بمن يستحله أو بأن هذا جزاؤه إن جوزي ولا بدع في خلف الوعيد لقوله ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وعن ابن عباس أنها على ظاهرها وأنها ناسخة لغيرها من آيات المغفرة وبينت آية البقرة أن قاتل العمد يقتل به وأن عليه الدية إن عفى عنه وسبق قدرها وبينت السنة أن بين العمد والخطأ قتلاً يسمى شبه العمد وهو أن يقتله بما لا يقتل غالباً فلا قصاص فيه بل دية كالعمد في الصفة والخطأ في التأجيل والحمل وهو والعمد أولى بالكفارة من الخطأ. ونزل لما مر نفر من الصحابة برجل من بني سليم وهو يسوق غنماً فسلم عليهم فقالوا ما سلم علينا إلا تقية فقتلوه واستاقوا غنمه ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ ﴾ سافرتم للجهاد ﴿ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ ﴾ وفي قراءة بالمثلثة في الموضعين ﴿ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنۡ

الثالث أشار له المفسر بقوله: **(وعن ابن عباس الخ)**. قوله: **(وأنها ناسخة)** الأولى مخصصة، وكلام ابن عباس خارج مخرج الزجر والتشديد، وليس على حقيقته على مقتضى مذهب أهل السنة. قوله: **(وسبق قدرها)** أي في تفسير الآية التي قبلها. قوله: **(أن بين العمد والخطأ الخ)** سبق للمفسر أنه أدخله في الخطأ بقوله أو ضربه بما لا يقتل غالباً. قوله: **(يسمى شبه العمد)** أي فأشبه العمد من حيث تغليظ الدية بكونها من ثلاثة أنواع: ثلاثين حقة وثلاثين جذعة وأربعين خلفة، وأشبه الخطأ من حيث كونه لا قصاص فيه وهذا مذهب الشافعي، وعند أبي حنيفة لا يقتص من القاتل إلا إذا قتله بآلة محددة كسيف وبندق وإلا فيلزمه الدية، وعند مالك يقتص من القاتل إذا قتل بأي آلة ولو بضرب كف أو سوط لا بكمروحة. قوله: **(في الصفة)** أي من حيث كونها من ثلاثة أنواع. قوله: **(في التأجيل)** أي كونها على ثلاث سنين وقوله: **(والحمل)** أي كون العاقلة تحملها. قوله: **(وهو)** أي شبه العمد، وقوله: **(أولى بالكفارة)** أي فتجب وهذا مذهب الشافعي، وعند مالك ليس كالخطأ، بل تستحب الكفارة فقط. قوله: **(ونزل لما مر نفر الخ)** هذه رواية ابن عباس في سبب نزول الآية، روي عنه أيضاً أنها نزلت في رجل من بني مرة بن عون يقال له مرداس بن نهيك، وكان من أهل فدك، لم يسلم من قومه غيره! فلما سمعوا بسرية رسول الله ﷺ هربوا وبقي ذلك الرجل، فلما رأى الخيل خاف أن لا يكونوا مسلمين، فألجأ غنمه إلى عاقول من الجبل وصعد هو الجبل، فلما تلاحقت الخيل سمعهم يكبرون، فعرف أنهم من أصحاب رسول الله، فكبّر ونزل وهو يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله السلام عليكم، فتغشاه أسامة بن زيد بسيفه فقتله واستاق غنمه، ثم رجعوا إلى رسول الله فأخبروه الخبر، فوجد رسول الله من ذلك وجداً شديداً، وكان قد سبقهم الخبر، فقال عليه الصلاة والسلام أقتلتموه إرادة ما معه، ثم قرأ رسول الله ﷺ على أسامة هذه الآية، فقال أسامة: استغفر لي يا رسول الله، فقال: كيف أنت بلا إله إلا الله يقولها ثلاث مرات، قال أسامة: فما زال رسول الله يكررها حتى وددت أني لم أكن أسلمت إلا يومئذٍ، ثم استغفر له رسول الله وقال اعتق رقبة. وروي عن أسامة أنه قال: قلت يا رسول الله إنما قالها خوفاً من السلاح، فقال: أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها خوفاً أم لا.

قوله: ﴿فتبيَّنُوا﴾ أي تمهلوا حتى يكشف لكم حقيقة الأمر، وما وقع من الصحابة اجتهاد، غير أنهم مخطئون فيه، حيث اعتمدوا على مجرد الظن، فلذا عاتبهم الله على ذلك، وهذا مرتب على وعيد القاتل عمداً، أي حيث ثبت الوعيد العظيم للقاتل عمداً، فالواجب التثبت والتحفظ، فرتب على ذلك

﴿أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ﴾ بالألف ودونها أي التحية أو الانقياد بقوله كلمة الشهادة التي هي أمارة على الإسلام ﴿لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾ وإنما قلت هذا تقية لنفسك ومالك فتقتلوه ﴿تَبْتَغُونَ﴾ تطلبون بذلك ﴿عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ متاعها من الغنيمة ﴿فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ﴾ تغنيكم عن قتل مثله لما له ﴿كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ﴾ تعصم دماؤكم وأموالكم بمجرد قولكم الشهادة ﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ بالاشتهار بالإيمان والاستقامة ﴿فَتَبَيَّنُوٓا۟﴾ أن تقتلوا مؤمناً وافعلوا بالداخل في الإسلام كما فعل بكم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ ﴿٩٤﴾ فيجازيكم به ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ عن الجهاد ﴿غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ﴾ بالرفع صفة والنصب استثناء من زمانه أو عمى أو نحوه ﴿وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ﴾ لضرر ﴿دَرَجَةً﴾ فضيلة لاستوائهما في النية وزيادة المجاهدين بالمباشرة ﴿وَكُلًّا﴾ من الفريقين ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ الجنة ﴿وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ﴾ لغير ضرر ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ ﴿٩٥﴾ ويبدل منه ﴿دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ﴾ منازل بعضها فوق بعض من الكرامة ﴿وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً﴾ منصوبان بفعلهما المقدر

ما وقع من الصحابة. قوله: **(في الموضعين)** أي هنا، وقوله فيما يأتي: ﴿فمن الله عليكم فتبيّنوا﴾، وبقي موضع ثالث في الحجرات وهو قوله تعالى: ﴿إن جاءكم فاسق بنبأ فتبيّنوا﴾ وفيه القراءتان، ويحتمل أن قوله في الموضعين أي ما هنا بشقيه والحجرات والأول أقرب. قوله: **(بالألف ودونها)** أي فهما قراءتان سبعيتان، وروي عن عاصم كسر السين وسكون اللام وهي بمعنى المفتوحة. قوله: **(أي التحية أو الانقياد)** لف ونشر مرتب. قوله: **(التي هي أمارة على إسلامه)** تقدم أنه وقع منه الأمران.

قوله: ﴿**تَبْتَغُونَ**﴾ النهي منصب على القيد والمقيد، وليس كقولهم لا تطلب العلم تبتغي به الدنيا قوله: ﴿**فَعِنْدَ اللَّهِ**﴾ تعليل للنهي المذكور. قوله: ﴿**كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ**﴾ أي كنتم مثله في مبدإ الإسلام. قوله: ﴿**فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ**﴾ أي قبل منكم النطق بالشهادتين، ولم يأمر بالبحث عن سرائركم. قوله: ﴿**فَتَبَيَّنُوا**﴾ أي في المستقبل في مثل هذه الوقعة فهو تأكيد لفظي، وقيل ليس تأكيد الاختلاف متعلقيهما، لأن الأول فيمن تقتلونه، والثاني في شأن نعمة الله عليكم بالإسلام لتشكروه.

قوله: ﴿**مِنَ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ متعلق بمحذوف حال من ﴿**القَاعِدُونَ**﴾. قوله: **(بالرفع صفة)** أي لقوله: ﴿**القَاعِدُونَ**﴾ إما لأن غير إذا وقعت بين ضدين قد تتعرف، أو لأن أل في القاعدون للجنس فأشبه النكرة، والأظهر أنه مرفوع على البدلية من القاعدون! لأنه لا يشترط استواء البدل والمبدل منه تعريفاً أو تنكيراً. قوله: **(والنصب استثناء)** أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: (من زمانه) بيان للضرر وهي المرض، وقوله: **(أو نحوه)** أي كالعرج. قوله: **(فضيلة)** أي في الآخرة، والمعنى أن من تقاعد عن القتال لمرض ونحوه، فهو ناقص عن المباشرين للجهاد درجة لأنهم استووا معهم في الجهاد بالنية، وإنما زاد المجاهدون بالمباشرة، وكل من القسمين وعده الله بالجنة. قوله: **(الجنة)** أي لحسن عقيدتهم وخلوص نيتهم.

قوله: ﴿**درَجَاتٍ**﴾ قيل سبعة وقيل سبعون وقيل سبعمائة، كل درجة كما بين السماء والأرض.

﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا ﴾ لأوليائه ﴿ رَّحِيمًا ﴾ ﴿٩٦﴾ بأهل طاعته. ونزل في جماعة أسلموا ولم يهاجروا فقتلوا يوم بدر مع الكفار ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ ﴾ بالمقام مع الكفار وترك الهجرة ﴿ قَالُواْ ﴾ لهم موبخين ﴿ فِيمَ كُنتُمْ ﴾ أي في أي شيء كنتم في أمر دينكم ﴿ قَالُواْ ﴾ معتذرين ﴿ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ ﴾ عاجزين عن إقامة الدين ﴿ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ أرض مكة ﴿ قَالُوٓاْ ﴾ لهم توبيخاً ﴿ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا ﴾ من أرض الكفر إلى بلد آخر كما فعل غيركم، قال تعالى ﴿ فَأُوْلَـٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾ ﴿٩٧﴾ هي ﴿ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ﴾ الذين ﴿ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً ﴾ ولا قوة لهم على الهجرة، ولا نفقة ﴿ وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴾ ﴿٩٨﴾ طريقاً إلى أرض الهجرة ﴿ فَأُوْلَـٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴾ ﴿٩٩﴾

قوله: **(بفعلها المقدر)** أي غفر لهم مغفرة ورحمهم رحمة. قوله: **(فقتلوا يوم بدر)** أي وهل ماتوا عصاة أو كفاراً خلاف، لأن الهجرة كانت ركناً أو شرطاً في صحة الإسلام. قال تعالى: ﴿والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا﴾ وهذا كان قبل الفتح، ثم نسخ بعده، والقاتل لهؤلاء الملائكة لعلمهم بأن الله لم يقبل منهم الإسلام لفقد شرطه، وهو الهجرة مع قدرتهم عليها، وليس التخلف ومن أجل صيانة المال والعيال عذراً، والمتبادر من ذلك أنهم ماتوا كفاراً.

قوله: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ**﴾ يصح أن يكون ماضياً ولم يؤت فيه بعلامة التأنيث، لأن التأنيث مجازي، ويصح أن يكون مضارعاً حذفت منه إحدى التاءين، والأصل تتوفاهم. قال ابن مالك:

وَمَا بِتَاءَيْنِ ابْتَدَى قَدْ يَقْتَصِر فِيهِ عَلَى تَا كَتَبَيَّن العِبَر

قوله: ﴿**المَلَائِكَةُ**﴾ يعني ملك الموت وهو عزرائيل، وإنما جمع تعظيماً، وقيل المراد أعوانه وهم ستة: ثلاثة منهم يقبضون أرواح المؤمنين، وثلاثة منهم يقبضون أرواح الكفار. قوله: ﴿**قَالُوا**﴾ **(لهم موبخين)** أي عند قبض أرواحهم. قوله: ﴿**فِيمَ كُنْتُمْ**﴾ ما اسم استفهام حذفت ألفها لجرها بالحرف. قال ابن مالك:

وَمَا فِي الاسْتِفْهَامِ إنْ جرّت حُذِفْ أَلِفُهَا وَأَوْلِهَا الهَا إنْ تَقِفْ

قوله: **(في أي شيء كنتم)** أي أكنتم مؤمنين أم كفاراً. قوله: ﴿**قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ**﴾ هذا اعتذار غير صحيح، فلذا ردت الملائكة عليهم هذا الاعتذار. قوله: ﴿**فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ**﴾ هذا هو خبر إن، وقرن بالفاء لأن في الأصل خبر عن الموصول وهو يشبه الشرط. قوله: **(هي)** هذا هو المخصوص بالذم. قوله: ﴿**إِلَّا المُسْتَضْعَفِينَ**﴾ هذا الاستثناء منقطع على التحقيق. قوله: ﴿**مِنَ الرِّجَالِ**﴾ هو وما بعده بيان للمستضعفين، وذلك كعباس بن ربيعة وسلمة بن هشام وغيرهما، وقوله: ﴿**وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ**﴾. قال ابن عباس: كنت أنا وأمي من المستضعفين من النساء والولدان. قوله: ﴿**لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً**﴾ هذه الجملة إما مستأنفة مبينة للاستضعاف جواب سؤال مقدر تقديره ما وجه استضعافهم، أو صفة للمستضعفين.

قوله: ﴿**فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ**﴾ عسى في كلام الله بمنزلة التحقيق، لعلمه بعواقب

﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا﴾ مهاجراً ﴿كَثِيرًا وَسَعَةً﴾ في الرزق ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ﴾ في الطريق كما وقع لجندع بن ضمرة الليثي ﴿فَقَدْ وَقَعَ﴾ ثبت ﴿أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ (١٠٠) ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ﴾ سافرتم ﴿فِي ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ في ﴿أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ بأن تردوها من أربع إلى اثنتين ﴿إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ﴾ أي ينالكم بمكروه ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾ بيان للواقع إذا ذاك فلا مفهوم له وبينت

الأمور، وقدرته على كل شيء، وأما في كلام غيره فللرجاء، لجهله بعواقب الأمور وعجزه. قوله: ﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ﴾ هذا ترغيب في الهجرة. قوله: (**مهاجراً**) بالفتح أي أماكن يهاجر إليها، وعبر عنها بالمراغم إشارة إلى أن من فعل ذلك أرغم الله به أنف عدوه: أي يقهره ويذله، والرغام في الأصل التراب، فأطلق وأريد لازمه، وهو الذل والهوان، لأن من التصق أنفه بالتراب فقد ذل وصغر. قوله: (**كما وقع لجندع بن ضمرة الليثي**) وذلك أنه لما نزل قوله تعالى:﴿إن الذين توفاهم الملائكة﴾الآيات، بعث بها ﷺ إلى مكة، فتليت على المسلمين الذين كانوا فيها إذ ذاك، فسمعها رجل من بني ليث، شيخ مريض كبير يقال له جندع بن ضمرة فقال: والله ما أنا ممن استثنى الله، فإني لأجد حيلة ولي من المال ما يبلغني إلى المدينة وأبعد منها، والله لا أبيتن بمكة، أخرجوني، فخرجوا به على سرير حتى أتوا به التنعيم، فأدركه الموت فصفق بيمينه على شماله ثم قال: اللهم هذه لك وهذه لرسولك، أبايعك على ما بايعك رسولك، ثم مات، فبلغ خبره أصحاب رسول الله فقالوا: لو وافى المدينة لكان أتم وأوفى أجراً، وضحك منه المشركون وقالوا: ما أدرك ما طلب، فنزلت الآية.

قوله: ﴿**فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ**﴾ أي تفضلاً منه وكرماً ويدخل في ذلك من قصد أي طاعة ثم عجز عن إتمامها، فيكتب له ثوابها كاملاً. وقوله: ﴿**عَلَى اللَّهِ**﴾ أي عنده وفي علمه. قوله: ﴿**وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الأَرْضِ**﴾ ذكر هذه عقب الهجرة للترغيب، فكأنه قال لا بأس في الهجرة ولا مشقة فيها لكون الصلاة تقصر فيها فهذا من جملة السعة التي يرونها في السفر. قوله: (**سافرتم**) أي سفراً طويلاً وسيأتي أن أقله أربعة برد عند الشافعي، والبريد أربعة فراسخ، والفرسخ ثلاثة أميال، والميل ستة آلاف ذراع، والذراع ستة وثلاثون أصبعاً، والأصبع ست شعيرات، والشعيرة ست شعرات من شعر البرذون، وكذا عند مالك، وعند أبي حنيفة ثلاثة أيام من أقصر الأيام مع الاستراحات، فلا يصح القصر في أقل من أربعة برد عند مالك والشافعي، ولا في أقل من ثلاثة أيام عند أبي حنيفة إلا في مناسك الحج، فإنهم يقصرون في أقل من ذلك للسنة. قوله: (**في**) ﴿**أَنْ تَقْصُرُوا**﴾ أن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بالحرف، والجار والمجرور متعلق بجناح، أي ليس عليكم جناح في القصر.

قوله: ﴿**مِنَ الصَّلَاةِ**﴾ يصح أن تكون تبعيضية، وأل في الصلاة للجنس أي وهو الرباعيات، ويصح أن تكون زائدة على مذهب الأخفش وأل للجنس، والمراد جنس مخصوص وهو الرباعية، وقد بين بالسنة. قوله: (**بأن تردوها من أربع إلى اثنتين**) هذا أحد أقوال ثلاثة، لأنه اختلف هل فرضت الصلاة كاملة ثم نقصت في السفر وبقيت في الحضر على حالها أو فرضت ناقصة فبقيت في السفر وزيدت في الحضر، وقيل فرض كل مستقلاً. قوله: (**بيان للواقع**) أي قوله: ﴿**إِنْ خِفْتُمْ**﴾ الخ، أي لأن غالب

السنة أن المراد بالسفر الطويل وهو أربعة برد وهي مرحلتان ويؤخذ من قوله فليس عليكم جناح أنه رخصة لا واجب وعليه الشافعي ﴿إِنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ كَانُوا۟ لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ ﴿١٠١﴾ بين العداوة ﴿وَإِذَا كُنتَ﴾ يا محمد حاضراً ﴿فِيهِمْ﴾ وأنتم تخافون العدو ﴿فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ وهذا جري على عادة القرآن في الخطاب فلا مفهوم له ﴿فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ﴾ وتتأخر طائفة ﴿وَلْيَأْخُذُوٓا۟﴾ أي الطائفة التي قامت معك ﴿أَسْلِحَتَهُمْ﴾ معهم ﴿فَإِذَا سَجَدُوا۟﴾ أي صلوا ﴿فَلْيَكُونُوا۟﴾ أي الطائفة الأخرى ﴿مِن وَرَآئِكُمْ﴾ يحرسون إلى أن تقضوا الصلاة وتذهب هذه الطائفة تحرس ﴿وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا۟ فَلْيُصَلُّوا۟ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا۟ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ﴾ معهم إلى أن تقضوا الصلاة وقد فعل ﷺ كذلك ببطن نخل رواه الشيخان ﴿وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ تَغْفُلُونَ﴾ إذا قمتم إلى

أسفار نبينا وأصحابه لم تخل من خوف العدو لكثرة المشركين حينئذٍ، وقوله: **(فلا مفهوم له)** أي لأنه يكون في سفر التجارة وغيرها من كل سفر مأذون فيه واجباً كان أو مندوباً أو مباحاً. قوله: **وهي مرحلتان)** أي سير يومين معتدلين، كل يوم اثنا عشر ساعة بسير الجمال المثقلة بالأحمال. قوله: **(إنه رخصة)** أي جائز ما لم يبلغ سفره ثلاث مراحل، وإلا كان أفضل للخروج من خلاف أبي حنيفة فإنه قال بوجوبه، وعند مالك سنة مؤكدة. قوله: **﴿عَدُوًّا مُبِيناً﴾** العدو يقع بلفظ واحد على المذكر والمؤنث والمجموع والمثنى.

قوله: **﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ﴾** شروع في ذكر صلاة القسمة في الخوف. واعلم أن صلاة الخوف على أقسام، فتارة يكون العدو في غير تجاه القبلة، وفي هذا القسم تكون صلاة القسمة، وهي على كيفيتين: الأولى: أن يقسم الجيش طائفتين، فطائفة تقف تجاه العدو، وطائفة تصلي مع الإمام بتمامها، فبعد السلام تنصرف للعدو، ويأتي الطائفة الثانية فيعيد الإمام بهم الصلاة ثانياً فصلاة الطائفة الأولى فرض خلف فرض، والثانية فرض خلف نفل، وهذه الكيفية انفرد بها الإمام الشافعي. الثانية: أن يصلي بكل طائفة ركعة في الثنائية وركعتين في الرباعية، وبالطائفة الأولى ركعتين في الثلاثية والثانية ركعة، وبها قال مالك والشافعي أيضاً، لكن مالك يقول بها وإن كان العدو تجاه القبلة، وتارة يكون العدو تجاه القبلة، وهي على قسمين أيضاً: إما أن يتقدم الإمام ويقف الجيش خلفه صفوفاً، فعند ركوع الإمام تركع طائفة مع الإمام وتسجد معه، فبعد وقوفهم تركع الطائفة الأخرى وتسجد، وبهذه الكيفية أخذ الإمام الشافعي، وإما أن يتقدم الإمام ويصلون جميعاً معه ويركعون ويسجدون، وبها أخذ مالك، وتارة يلتحم القتال فيصلون كيف شاؤوا، وحل للضرورة مشي وركض وإمساك ملطخ، وهذه الكيفية عند مالك والشافعي، وعند أبي حنيفة إن ضاق الوقت قدموا القتال وأخّروا الصلاة ثم يقضونها، وتفاصيل هذه الأقسام مبينة عند أرباب المذاهب. قوله: **(وتتأخر طائفة)** أي بإزاء العدو. قوله: **(أي صلوا)** أي شرعوا في الصلاة.

قوله: **﴿طَائِفَةٌ أُخْرَى﴾** أي وهي الواقعة تجاه العدو. قوله: **﴿فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ﴾** أي صلاة ثانية، أو يتمموا معك الصلاة فالأولى. قوله: **﴿وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ﴾** إنما زاد هنا الأمر بالحذر لكونها مظنة تنبه الكفرة على تلك الطائفة، وأما في الطائفة الأولى فلم يتنبهوا لهم. قوله: **(ببطن نخل)** سببه أن رسول الله ﷺ صلى مع أصحابه جميعاً الظهر، فتنبه المشركون وقال بعضهم لبعض إنا نظفر بهم في أوقات الصلاة، وتحزب المشركون على ذلك، فنزل جبريل على رسول الله بالآية، وعلمه صلاة القسمة ففعلها في

الصلاة ﴿عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً﴾ بأن يحملوا عليكم فيأخذوكم وهذا علة الأمر بأخذ السلاح ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓاْ أَسْلِحَتَكُمْ﴾ فلا تحملوها وهذا يفيد إيجاب حملها عند عدم العذر وهو أحد قولين للشافعي والثاني أنه سنة ورجح ﴿وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ﴾ من العدو أي احترزوا منه ما استطعتم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ ﴿١٠٢﴾ ذا إهانة ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ فرغتم منها ﴿فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ﴾ بالتهليل والتسبيح ﴿قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾ مضطجعين أي في كل حال ﴿فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ﴾ أمنتم ﴿فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ أدوها بحقوقها ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا﴾ مكتوباً أي مفروضاً ﴿مَّوْقُوتًا﴾ ﴿١٠٣﴾ أي مقدراً وقتها فلا تؤخر عنه. ونزل لما بعث ﷺ طائفة في طلب أبي

صلاة العصر، وقد مشى المفسر على أن هذه الآية في صلاة بطن نخل، وهو موضع من نجد إلى أرض غطفان، بينه وبين المدينة يومان، وقال غيره إنها في صلاة أرض عسفان، وقال آخرون إنها في ذات الرقاع.

قوله: ﴿وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الخ، سبب نزولها كما قال ابن عباس، أن رسول الله ﷺ غزا بني محارب وبني أنمار، فنزلوا ولا يرون من العدو أحداً، فوضع الناس السلاح، فخرج رسول الله ﷺ لحاجته حتى قطع الوادي، والسماء ترش بالمطر، فسال الوادي فحال السيل بين رسول الله وبين أصحابه فجلس تحت شجرة، فبصر به غورث بن الحرب المحاربي فقال: قتلني الله إن لم أقتله، ثم انحدر من الجبل ومعه السيف، ولم يشعر به رسول الله إلا وهو قائم على رأسه، وقد سل سيفه من غمده وقال: يا محمد من يمنعك مني الآن، فقال رسول الله ﷺ: الله، ثم قال: اللهم اكفني غورث بن الحرب بما شئت، فأهوى غورث بالسيف ليضرب رسول الله، فأكب بوجهه من زلخة زلخها فندر السيف من يده فقام رسول الله وأخذ السيف ثم قال: يا غورث من يمنعك مني الآن، فقال: لا أحد، فقال: أتشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، فقال: لا ولكن أشهد أن لا أقاتلك ولا أعين عليك عدواً فأعطاه رسول الله سيفه، فقال غورث: أنت خير مني، فقال رسول الله: أنا أحق بذلك منك، فرجع غورث إلى أصحابه فقالوا له: ويلك يا غورث ما منعك منه، فقال: والله لقد أهويت إليه بالسيف لأضربه به، فوالله ما أدري من زلخني بين كتفي فخررت، وذكر لهم حاله مع رسول الله. قال وسكن الوادي، فقطع رسول الله الوادي إلى أصحابه وأخبرهم الخبر وقرأ هذه الآية، والزلخة الدفعة. قوله: ﴿لَوْ تَغْفُلُونَ﴾ أي غفلتكم.

قوله: ﴿فَيَمِيلُونَ﴾ أي يشتدون. قوله: ﴿مِنْ مَطَرٍ﴾ أي لأنه يفسد بالماء. قوله: ﴿أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى﴾ أي لا طاقة لكم على حمله.

قوله: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ﴾ أي صلاة الخوف أي تممتموها على الوجه المبين. قوله: ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ﴾ الأمر للندب لأنه في الفضائل، وقوله: (بالتهليل والتسبيح) أي والتحميد والتكبير. قوله: (في كل حال) أي فالمراد من قوله: ﴿قِياماً وقُعُوداً وعَلَى جُنُوبِكُمْ﴾ الأحوال. قوله: ﴿فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ أي التي دخل وقتها حينئذ، ومعنى إقامتها أداؤها بالشروط والأركان. قوله: (مقدراً وقتها) أي مفروضاً وقتاً بعد وقت. قوله: (لما بعث) المناسب أن يقول لما خرج رسول الله ﷺ وأمر من حضر بالخروج لطلب أبي

سفيان وأصحابه لما رجعوا من أحد فشكوا الجراحات ﴿وَلَا تَهِنُوا﴾ تضعفوا ﴿فِي ٱبْتِغَآءِ﴾ طلب ﴿ٱلْقَوْمِ﴾ الكفار لتقاتلوهم ﴿إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ﴾ تجدون ألم الجراح ﴿فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ﴾ أي مثلكم ولا يجبنوا عن قتالكم ﴿وَتَرْجُونَ﴾ أنتم ﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾ من النصر والثواب عليه ﴿مَا لَا يَرْجُونَ﴾ هم فأنتم تزيدون عليهم بذلك فينبغي أن تكونوا أرغب منهم فيه ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا﴾ بكل شيء ﴿حَكِيمًا﴾ ﴿١٠٤﴾ في صنعه وسرق طعمة بن أبيرق درعاً وخبأها عند يهودي فوجدت عنده فرماه طعمة بها وحلف أنه ما سرقها فسأل قومه النبي ﷺ أنه يجادل عنه ويبرئه فنزل ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ القرآن ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ متعلق بأنزل ﴿لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ﴾ أعلمك ﴿ٱللَّهُ﴾ فيه ﴿وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ﴾ كطعمة ﴿خَصِيمًا﴾ ﴿١٠٥﴾ مخاصماً عنهم ﴿وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ﴾ مما هممت به ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ

سفيان وأصحابه، وقوله: (طائفة) أي وهي جميع من حضر أحداً من المؤمنين الخالصين وكانوا ستمائة وثلاثين. قوله: (لما رجعوا من أحد) أي فرغوا من وقعتها، والضمير عائد على الصحابة، فحينئذٍ همَّ أبو سفيان وتشاور مع أصحابه في العود إلى المدينة ليستأصلوا المسلمين، فبلغ ذلك رسول الله، فنادى في اليوم الثاني من وقعة أحد، ليخرج من كان معنا بالأمس ولا يخرج معنا غيرهم، فخرجوا حتى بلغوا إلى حمراء الأسد، وتقدم ذلك في آل عمران.

قوله: ﴿وَلَا تَهِنُوا﴾ الجمهور على كسر الهاء، وقرىء شذوذاً بفتحها من وهن بالكسر أو الفتح قوله: ﴿فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ﴾ أي قتالهم. قوله: ﴿إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ﴾ تعليل للنهي وتشجيع لهم، والمعنى ليس الألم مختصاً بكم بل هم كذلك. قوله: (ولا يجبنوا) المناسب يجبنون بالنون إلا أن يقال حذفت تخفيفاً. قوله: (والثواب عليه) أي على الجهاد، فإنكم تقاتلون في سبيل الله، وهم يقاتلون في سبيل الطاغوت، فأنتم أحق بالشجاعة والقدوم عليهم. قوله: (وسرق طعمة) بتثليث الطاء والكسر أفصح (أبيرق) بضم الهمزة وفتح الباء بعدها راء مكسورة تصغيراً برق، وطعمة من الأنصار من بني ظفر سرق الدرع من دار جاره قتادة، وكان في جراب فيه دقيق فصار الدقيق يتناثر منه، فاتهم طعمة بها، فحلف كاذباً أنه ما أخذها وما له بها علم، وكان ودعها عند يهودي يقال له زيد بن السمين، فقال أصحاب الدرع نتبع أثر الدقيق فتتبعوه حتى وصل إلى دار اليهودي، فأخبر أنه ودعه عنده طعمة وشهد به قومه، فقال قوم طعمة نذهب إلى رسول الله ﷺ نشهد أن اليهودي هو السارق، فذهبوا وشهدوا زوراً ولم يظهروا زوراً، ولم يظهر ﷺ قادح فيهم، فهم بقطع اليهودي فنزلت الآية، فأراد أن يقطع طعمة فهرب إلى مكة وارتد، فنقب حائطاً ليسرق متاع أهله فوقع عليه فمات مرتداً. قوله: (وخبأها) أي الدرع. قوله: (عند يهودي) أي واسمه زيد بن السمين. قوله: (متعلق بأنزل) أي على أنه حال منه.

قوله: ﴿لِتَحْكُمَ﴾ متعلق بأنزلنا. قوله ﴿بِمَا أَرَاكَ﴾ أي عرفانية تتعدى بالهمزة لمفعولين الكاف مفعول، والمفعول الثاني محذوف تقديره إياه إذا علمت ذلك، فالمناسب للمفسر أن يقول عرفك. قوله: ﴿لِلْخَائِنِينَ﴾ اللام للتعليل، ومفعول ﴿خَصِيماً﴾ محذوف تقديره شخصاً بريئاً، فاللام على بابها لا بمعنى عن، فقول المفسر: (مخاصماً عنهم) إيضاح للمعنى. قوله: (مما هممت به) أي من القضاء على اليهودي فإنه ذنب صورة على حد: (وعصى آدم ربه فغوى) فهو من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين. قوله:

غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ ﴿١٠٦﴾ ﴿وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ﴾ يخونونها بالمعاصي لأن وبال خيانتهم عليهم ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا﴾ كثير الخيانة ﴿أَثِيمًا﴾ ﴿١٠٧﴾ أي يعاقبه ﴿يَسْتَخْفُونَ﴾ أي طعمة وقومه حياء ﴿مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ﴾ بعلمه ﴿إِذْ يُبَيِّتُونَ﴾ يضمرون ﴿مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ﴾ من عزمهم على الحلف على نفي السرقة ورمي اليهودي بها ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾ ﴿١٠٨﴾ علماً ﴿هَا أَنتُمْ﴾ يا ﴿هَٰؤُلَاءِ﴾ خطاب لقوم طعمة ﴿جَادَلْتُمْ﴾ خاصمتم ﴿عَنْهُمْ﴾ أي عن طعمة وذويه وقرىء عنه ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَن يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ إذا عذبهم ﴿أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾ ﴿١٠٩﴾ يتولى أمرهم ويذب عنهم أي لا أحد يفعل ذلك ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا﴾ ذنباً يسوء به غيره كرمي طعمة اليهودي ﴿أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ﴾ بعمل ذنب قاصر عليه ﴿ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ﴾ منه أي يتب ﴿يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا﴾ له ﴿رَّحِيمًا﴾ ﴿١١٠﴾ به ﴿وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا﴾ ذنباً ﴿فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَىٰ نَفْسِهِ﴾ لأن وباله عليها ولا يضر غيره ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ ﴿١١١﴾ في صنعه ﴿وَمَن يَكْسِبْ خَطِيئَةً﴾ ذنباً صغيراً ﴿أَوْ إِثْمًا﴾ ذنباً كبيراً ﴿ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا﴾ منه ﴿فَقَدِ احْتَمَلَ﴾ تحمل ﴿بُهْتَانًا﴾ برميه ﴿وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ ﴿١١٢﴾ بيناً بكسبه ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿وَرَحْمَتُهُ﴾ بالعصمة ﴿لَهَمَّت﴾ أضمرت ﴿طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ﴾ من قوم طعمة ﴿أَن يُضِلُّوكَ﴾ عن

﴿عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ﴾ أي كطعمة وقومه المعينين فإنهم شركاء في الإثم. قوله: ﴿مَنْ كَانَ خَوَّاناً﴾ صيغة مبالغة بمعنى كثير الخيانة، لأنه وقعت منهم خيانات كثيرة، أولاً السرقة، ثم اتهام اليهودي، ثم الحلف كاذباً، ثم الشهادة زوراً. إن قلت: إن مقتضى الآية إن الله يحب من كان عنده أصل الخيانة مع أنه ليس كذلك. أجيب: بأن ذلك بالنظر لمن نزلت فيهم وهو طعمة وقومه، فالواقع أن عندهم خيانات كثيرة. قوله: (أي يعاقبه) تفسير لعدم محبة الله له. قوله: ﴿يَسْتَخْفُونَ﴾ أي يطلبون الخفاء والستر، وهذه الجملة مستأنفة بيان لطلبهم الستر من الناس. قوله: ﴿وَهُوَ مَعَهُمْ﴾ الجملة حالية. قوله: (يضمرون) هذا هو المراد من التبييت هنا، وإلا فهو في الأصل تدبير الأمر ليلاً. قوله: (علماً) تمييز محول عن الفاعل.

قوله: ﴿هَا أَنْتُمْ﴾ ها للتنبيه أي تنبهوا يا مخاطبون في المجادلة عن السارق. قوله: (وقرىء) أي شذوذاً. قوله: (أي لا أحد) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري بمعنى النفي. قوله: ﴿مَنْ يَعْمَل سُوءاً﴾ حث وتحريض لطعمة على التوبة، ومع ذلك لم يتب. قوله: (اليهودي) مفعول لرمي وطعمة فاعلة. قوله: (قاصر عليه) كاليمين الكاذبة. قوله: (أي يتب) المراد التوبة الصادقة بشروطها، فليس المراد مجرد الاستغفار باللسان مع الإصرار، فإنه توبة الكذابين. قوله: (ذنباً) أي متعلقاً به أو بغيره. قوله: (ولا يضر غيره). إن قلت: إن معصية طعمة أصابت قومه فضرتهم. أجيب: بأن ضررهم إنما جاء من كسبهم، لمعاونتهم له، وشهادتهم الزور معه، وعزمهم على الحلف كذباً. قوله: ﴿ثُمَّ يَرْمِ بِهِ﴾ أي بالخطيئة والإثم، وإنما أفرد الضمير لأن العطف بأو. قوله: ﴿بَرِيئاً﴾ صفة لموصوف محذوف، أي شخصاً بريئاً.

قوله: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ﴾ الخ جوابها قوله: ﴿لَهَمَّتْ﴾. واستشكل بأن الوهم قد وقع منهم،

القضاء بالحق بتلبيسهم عليك ﴿وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن﴾ زائدة ﴿شَيْءٍۚ﴾ لأن وبال إضلالهم عليهم ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ القرآن ﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾ ما فيه من الأحكام ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُۚ﴾ من الأحكام والغيب ﴿وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ﴾ بذلك وغيره ﴿عَظِيمًا﴾ ﴿١١٣﴾ ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ﴾ أي الناس أي ما يتناجون فيه ويتحدثون ﴿إِلَّا﴾ نجوى ﴿مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ﴾ عمل بر ﴿أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿ٱبْتِغَآءَ﴾ طلب ﴿مَرْضَاتِ ٱللَّهِ﴾ لا غيره من أمور الدنيا ﴿فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ﴾ بالنون والياء أي الله

والمأخوذ من لولا أنه لم يقع لوجود فضل الله ورحمته، وأجيب بأن المراد هم يحصل معه الإضلال، فالمعنى انتفى إضلالك الذي هموا به لوجود فضل الله ورحمته. قوله: (**بالعصمة**) أي الحفظ من المعاصي والمخالفات صغيرها وكبيرها. قوله: (**زائدة**) أي في مفعول ﴿**يَضُرُّونَكَ**﴾ المطلق. قوله: (**والغيب**) أي علم الغيب وهو ما غاب عنا. قوله: (**بذلك**) أي بإنزال الكتاب والحكمة، وتعليمه ما لم يكن يعلم، وقوله: (**وغيره**) أي كالفضائل التي اختص بها مما لا يعلم كنهه إلا الله تعالى.

قوله: ﴿**لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ**﴾ لا نافية للجنس وخير اسمها، وفي كثير متعلق بمحذوف خبرها، وقوله: ﴿**مِنْ نَجْوَاهُمْ**﴾ بمحذوف حال من متعلق الخبر. قوله: (**أي الناس**) أشار بذلك إلى أن الآية عامة وليست مخصوصة بقوم طعمة المتقدم. قوله: (**أي ما يتناجون فيه ويتحدثون**) أشار بذلك إلى أن معنى النجوى المحادثة من بعض القوم لبعض اثنان ففوق، قال تعالى: ﴿ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم﴾ الآية، والنجوى ضد السر، وهو محادثة الإنسان نفسه، وعطف قوله: (**يتحدثون**) على (**يتناجون**) للتفسير.

قوله: ﴿**إِلَّا مَنْ أَمَرَ**﴾ يحتمل أنه استثناء منقطع إن أبقينا الكلام على ظاهره، لأن المستثنى الشخص، والمستثنى منه الكلام، ولا شك أنه غيره، ويحتمل أنه متصل وهو على حذف مضاف، وإليه يشير المفسر بقوله: ﴿**إِلَّا**﴾ (**نجوى**) الخ. قوله: ﴿**بِصَدَقَةٍ**﴾ أي واجبة أو مندوبة. قوله: ﴿**أَوْ مَعْرُوفٍ**﴾ المراد به كل طاعة لله، فيدخل فيه جميع أعمال البر، فهو من عطف العام على الخاص، وقوله: ﴿**أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ**﴾ معطوف على قوله: ﴿**أَوْ مَعْرُوفٍ**﴾ من عطف الخاص على العام اعتناءاً بشأنه واهتماماً به، وإنما خصت الثلاثة لأن الأمر المرضي لله، إما إيصال نفع وهو إما جسماني أو روحاني، فالأول كالصدقات، والثاني كالأمر بالمعروف، أو دفع ضرر كالإصلاح بين الناس، لأن المفاسد مترتبة على التشاحن، وبالإصلاح يحصل الخير والبركة ودفع الشرور، ولذا حثّ عليه ﷺ بقوله: «امش ميلاً عد مريضاً، امش ميلين أصلح بين اثنين» وبالجملة فكثرة الكلام لا خير فيها، قال بعضهم: من كثر لغطه كثر سقطه، وفي الحديث: «وهل يكب الناس في النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم». قوله: ﴿**وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ**﴾ اسم الإشارة عائد على الثلاثة، وإنما أفرد لأن العطف بأو إن قلت مقتضى السياق ومن يأمر بذلك، أجيب بأن هذا راجع للمأمور به، فاسم الإشارة عائد على المأمور به تقديره ومن يفعل المأمور به من صدقة أو معروف أو إصلاح، فاستفيد من الآية أولاً وآخراً ثواب الأمر والفاعل، وفي الحديث: «الدال على الخير كفاعله». وأجيب أيضاً بأنه عبر عن الأمر بالفعل لأنه فعل لساني والأقرب الأول. قوله: (**لا غيره من أمور الدنيا**) أي لأن ثواب الأعمال الصالحة منوط بالإخلاص كان من الآمر والفاعل، فلو

﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ ﴿١١٤﴾ ﴿وَمَن يُشَاقِقِ﴾ يخالف ﴿الرَّسُولَ﴾ فيما جاء به ﴿مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ﴾ ظهر له الحق بالمعجزات ﴿وَيَتَّبِعْ﴾ طريقاً ﴿غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي طريقهم الذي هم عليه من الدين بأن يكفر ﴿نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ﴾ نجعله والياً لما تولاه من الضلال بأن نخلي بينه وبينه في الدنيا ﴿وَنُصْلِهِ﴾ ندخله في الآخرة ﴿جَهَنَّمَ﴾ فيحترق فيها ﴿وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ ﴿١١٥﴾ مرجعاً هي ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ ﴿١١٦﴾ عن الحق ﴿إِن﴾ ما ﴿يَدْعُونَ﴾ يعبد المشركون ﴿مِن دُونِهِ﴾ أي الله أي غيره ﴿إِلَّا إِنَاثًا﴾ أصناماً مؤنثة كاللات والعزى ومناة ﴿وَإِن﴾ ما ﴿يَدْعُونَ﴾ يعبدون بعبادتها ﴿إِلَّا شَيْطَانًا مَّرِيدًا﴾ ﴿١١٧﴾

كان الفعل أو الأمر رياء وسمعة أو لغرض دنيوي لم يستحق به عند الله أجراً. قوله: (**بالنون والياء**) أي فيها قراءتان سبعيتان، وفي قراءة النون التفات من الغيبة للتكلم، لأن الاسم الظاهر من قبيل الغيبة. قوله: ﴿**أجراً عظيماً**﴾ أي وهو الجنة وما فيها، قال تعالى: ﴿وللذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾ وفي التعبير بسوف إشارة إلى أن جزاء الأعمال الصالحة في الآخرة لا الدنيا، لأنها ليست دار جزاء، بل عطاء الدنيا لكل من وجد فيها أطاع أو عصى كلف أو لا.

قوله: ﴿**وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ**﴾ الخ، لما ذكر سبحانه وتعالى المطيعين وما أعد لهم في الآخرة، ذكر وعيد الكفار وعاقبه أمرهم على عادته سبحانه في كتابه. قوله: (**فيما جاء من الحق**) أي من الأمور التكليفية والأحكام الشرعية. قوله: ﴿**وَيَتَّبِعْ**﴾ عطف لازم على ملزوم. قوله: (**أي طريقهم**) أي اعتقاداً وعملاً. قوله: ﴿**نُوَلِّهِ**﴾ هو ﴿**وَنُصْلِهِ**﴾ إما بسكون الهاء أو كسرها بدون إشباع، وهو المسمى بالاختلاس أو بالإشباع، فالقراءات ثلاث وكلها سبعية. قوله: (**بأن نخلي بينه**) أي المشاقق، وقوله: (**وبينه**) أي الضلال، والمعنى أن من خالف ما أمر الله به، فإن الله يستدرجه بالنعم ويمهله ولا يعجل عقوبته، قال تعالى: ﴿قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مداً﴾ الآية.

قوله: ﴿**وَسَاءَتْ مَصِيراً**﴾ ساء كبئس للذم فاعلها مستتر وجوباً يعود على جهنم ومصيراً تمييز، والمخصوص بالذم محذوف قدره المفسر بقوله هي. قوله: ﴿**أَنْ يُشْرَكَ بِهِ**﴾ أي إذا مات على ذلك لقوله تعالى: ﴿قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف﴾. قوله: ﴿**لِمَنْ يَشَاءُ**﴾ أي إن مات من غير توبة. قوله: ﴿**فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً بَعِيداً**﴾ أي فالشرك أعظم أنواع الضلال، إن قلت قد قال فيما سبق فقد افترى إثماً عظيماً، وهنا فقد ضل ضلالاً بعيداً، فما الحكمة في ذلك؟ قلت: إن ما تقدم في شأن أهل الكتاب وهم عندهم علم بأن رسول الله ﷺ على الحق، وإنما كفرهم عناد، فسماه الله افتراء أي كذباً، وما هنا في شأن مشركي العرب وهم ليس لهم علم بذلك إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل، فلذا سماه الله ضلالاً بعيداً.

وقوله: ﴿**إِنْ يَدْعُونَ**﴾ هذا كالدليل، والتعليل لقوله: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ**﴾ قوله: (**ما**) ﴿**يَدْعُونَ**﴾ أشار بذلك إلى أن إن نافية بمعنى ما. قوله: (**يعبد المشركون**) أطلق الدعاء على العبادة لأنه منها، وكثيراً ما يطلق الدعاء عليها. قوله: (**أصناماً مؤنثة**) أي لتأنيث أسمائها، ورد أنه ما من مشرك إلا وكان له صنم قد سماه باسم أنثى من العرب، وحلاه بأنواع الحلى، وكانوا يقولون هم بنات الله. قوله:

خارجاً عن الطاعة لطاعتهم له فيها وهو إبليس ﴿لَّعَنَهُ ٱللَّهُ﴾ أبعده عن رحمته ﴿وَقَالَ﴾ أي الشيطان ﴿لَأَتَّخِذَنَّ﴾ لأجعلن لي ﴿مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا﴾ حظاً ﴿مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾﴾ مقطوعاً أدعوهم إلى طاعتي ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ﴾ عن الحق بالوسوسة ﴿وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ﴾ ألقى في قلوبهم طول الحياة وأن لا بعث ولا حساب ﴿وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ﴾ يقطعن ﴿ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ وقد فعل ذلك بالبحائر ﴿وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ﴾ دينه بالكفر وإحلال ما حرم الله وتحريم ما أحل ﴿وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا﴾ يتولاه ويطيعه ﴿مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي غيره ﴿فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾﴾ بيناً لمصيره إلى النار المؤبدة عليه ﴿يَعِدُهُمْ﴾ طول العمر ﴿وَيُمَنِّيهِمْ﴾ نيل الآمال في الدنيا وأن لا بعث ولا جزاء ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ بذلك ﴿إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾﴾ باطلاً ﴿أُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿١٢١﴾﴾ معدلاً ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا﴾ أي وعدهم الله ذلك وعداً وحقه حقاً ﴿وَمَنْ﴾ أي لا أحد

(كاللات والعزى ومناة) اللات مأخوذ من إله والعزى من العزيز، ومناة من المنان، فاقتطعوها وسموا بها أصنامهم. قوله: **(بعبادتها)** الباء سببية أي فالمسؤول لهم على عبادتها الشيطان، فعبادتها لازمة لعبادة الشيطان لأنه يحضر عندهم، فهم في الصورة يعبدون الأصنام، وفي الحقيقة العبادة للشيطان. قوله: **﴿مَرِيداً﴾** أي متمرداً بمعنى بلغ الغاية في العتو والفجور لخروجه عن طاعة ربه، حتى أمر الناس بعبادة غير الله. قوله: **﴿لَعَنَهُ اللَّهُ﴾** صفة ثانية لشيطاناً. قوله: **(عن رحمته)** أي جنته وما فيها.

قوله: **﴿وَقَالَ﴾** الخ، الجملة إما صفة لشيطاناً أو حال منه، أي ما يدعون إلا شيطاناً بكونه مريداً، وبكونه مطروداً عن رحمته، بكونه قائلاً أو حال كونه قائلاً، وهذا القول قد وقع منه عند قول الله تعالى: ﴿فاخرج إنك من الصاغرين﴾. قوله: **﴿نَصِيباً مَفْرُوضاً﴾** ورد أنهم تسعمائة وتسعة وتسعون من كل ألف، لما في الحديث: «ما أنتم فيمن سواكم إلا كالشعرة البيضاء في الثور الأسود» وورد أن يوم القيامة يقول الله لآدم: أخرج من ذريتك بعث النار، فيقول: يا رب وما بعث النار، فيقول الله تعالى: أخرج من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين، فعند ذلك تشيب الأطفال من شدة الهول.

قوله: **﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ﴾** **(عن الحق)** أي أميلن قلوبهم عن طريق الهدى والرشاد. قوله: **(وقد فعل ذلك بالبحائر)** جمع بحيرة وهي أن تلد الناقة أربعة بطون وتأتي في الخامس بذكر، فكانوا لا يحملون عليها، ولا يأخذون نتاجها، ويجعلون لبنها للطواغيت، ويشقون آذانها علامة على ذلك. قوله: **﴿فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ﴾** أي ما خلقه، ومن ذلك تغيير صفات نبينا الواقع من اليهود والنصارى، وتغيير كتبهم، ومن ذلك تغيير الجسم بالوشم، وتغيير للشعر بالوصل، لما في الحديث: «لعن الله الواشمة والمستوشمة والواصلة والمستوصلة». قوله: **﴿خُسْرَاناً مُبِيناً﴾** أي لأنه ضيع رأس ماله وهي طاعة الله وعبادته. قوله: **﴿إِلَّا غُرُوراً﴾** أي مزين الظاهر فاسد الباطن. قوله: **﴿أُولَئِكَ﴾** أي أولياء الشيطان. قوله: **(معدلاً)** أي منفذاً ومهرباً.

قوله: **﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾** بيان لوعد المؤمنين إثر بيان وعيد الكفار. قوله: **(أي وعدهم الله ذلك وعداً)** أشار بذلك إلى أن وعداً وحقاً منصوبان بفعلين محذوفين من لفظهما، ويصح أن يكون حقاً صفة

﴿أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلٗا﴾ ﴿١٢٢﴾ أي قولاً. ونزل لما افتخر المسلمون وأهل الكتاب ﴿لَّيۡسَ﴾ الأمر منوطاً ﴿بِأَمَانِيِّكُمۡ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِۗ﴾ بل بالعمل الصالح ﴿مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ﴾ إما في الآخرة أو في الدنيا بالبلاء والمحن كما ورد في الحديث ﴿وَلَا يَجِدۡ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي غيره ﴿وَلِيّٗا﴾ يحفظه ﴿وَلَا نَصِيرٗا﴾ ﴿١٢٣﴾ يمنعه منه ﴿وَمَن يَعۡمَلۡ﴾ شيئاً ﴿مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ﴾ بالبناء للمفعول والفاعل ﴿ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ نَقِيرٗا﴾ ﴿١٢٤﴾ قدر نقرة النواة

لوعداً. قوله: (**أي لا أحد**) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري بمعنى النفي، وهو كالدليل لما قبله: قوله: (**لما افتخر المسلمون وأهل الكتاب**) أي حيث قال المسلمون: نبينا خاتم الأنبياء، وكتابنا يقضي على سائر الكتب، ونحن آمنّا بكتابكم ولم تؤمنوا بكتابنا، فنحن أولى بالله منكم، وقال أهل الكتاب: كتابنا قبل كتابكم، ونبينا قبل نبيكم فنحن أولى منكم، وقيل سبب نزول الآية افتخار أهل الكتاب ومشركي العرب، وعليه فلا يحتاج لتأويل في قوله: ﴿**يُجْزَ بِهِ**﴾ بل يحمل الجزاء لكل من الفريقين على الخلود في النار.

قوله: ﴿**لَيْسَ**﴾ (**الأمر منوطاً**) أشار بذلك إلى أن إسم ليس ضمير عائد على الأمر، وقوله: ﴿**بِأَمَانِيِّكُمْ**﴾ متعلق بمحذوف خبرها أي منوطاً بمعنى متعلقاً ومرتبطاً. قوله: ﴿**مَنْ يَعْمَلَ سُوءاً**﴾ أي من مؤمن أو كافر. قوله: (**إما في الآخرة**) أي وهو محتم في حق من مات كافراً، وأما من مات عاصياً ولم يتب فتحت المشيئة. قوله: (**كما ورد في الحديث**) أي وهو أن أبا بكر لما نزلت قال: يا رسول الله وأينا لم يعمل السوء، وإنا لمجزيون بكل سوء عملناه، فقال ﷺ: «أما أنت وأصحابك المؤمنون فتجزون بذلك في الدنيا حتى تلقوا الله وليس عليكم ذنوب، وأما الآخرون فيجمع لهم ذلك حتى يجزوا به يوم القيامة»، وفي رواية قال أبو بكر: فمن ينجو من هذا؟ فقال عليه الصلاة والسلام: أما تمرض أو يصيبك البلاء؟ قال: بلى، قال: هو ذلك.

قوله: ﴿**وَمَنْ يَعْمَلْ**﴾ هذا مقابل قوله: ﴿**وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ**﴾ قوله: (**شيئاً**) أشار بذلك إلى أن من للتبعيض، لأنه لا يمكن استيفاء جميع الأعمال الصالحة. قوله: ﴿**مِنَ الصَّالِحَاتِ**﴾ الجار والمجرور متعلق بشيئاً الذي قدره المفسر. قوله: ﴿**مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى**﴾ حال من الضمير في ﴿**يَعْمَلْ**﴾ وكذا قوله: ﴿**وَهُوَ مُؤْمِنٌ**﴾ وأما الكافر فأعماله الصالحة ضائعة، قال تعالى: ﴿وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثوراً﴾ قوله: ﴿**فَأُولَئِكَ**﴾ هذه الجملة جواب الشرط. قوله: (**بالبناء للمفعول**) أي والجنة مفعول ثان، والواو نائب الفاعل مفعول أول، لأنه من أدخل الرباعي فهو ينصب مفعولين، وقوله: (**والفاعل**) أي من دخل فهو ينصب مفعولاً واحداً فمفعوله الجنة والواو فاعله، وهما قراءتان سبعيتان. قوله: ﴿**وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيراً**﴾ أي لا ينقصون شيئاً أبداً لا قليلاً ولا كثيراً، ويؤخذ من الآية أن جزاء الأعمال الصالحة في الآخرة، وأما النعم التي يعطاها المؤمن في الدنيا من عافية ورزق وغير ذلك، فليست جزاء لأعماله الصالحة، بل تكفل الله بها لكل حي في الدنيا مسلماً أو كافراً، بل بعض العبيد من أهل المحبة في الله لا ينتظر بعمله الجنة، بل يقول إنما عبدناك لذاتك لا لشيء آخر، قال العارف بن الفارض حين كشف له عن الجنة وما أعد له فيها في مرض موته:

﴿وَمَنْ﴾ أي لا أحد ﴿أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ﴾ أي انقاد وأخلص عمله ﴿لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ موحد ﴿وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾ الموافقة لملة الإسلام ﴿حَنِيفًا﴾ حال أي مائلاً عن الأديان كلها إلى الدين القيم ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ ﴿١٢٥﴾ صفياً خالص المحبة له ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ ملكاً وخلقاً وعبيداً ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا﴾ ﴿١٢٦﴾ علماً وقدرة أي لم يزل متصفاً بذلك ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ﴾ يطلبون منك الفتوى ﴿فِي﴾ شأن ﴿النِّسَاءِ﴾ وميراثهن ﴿قُلِ﴾ لهم ﴿اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ﴾ القرآن من آية الميراث ويفتيكم أيضاً ﴿فِي يَتَامَى

إِنْ كَـانَ مَـنْـزِلَتِي فِي الْحُـبِّ عِـنْـدَكُـمْ   مَـا قَـدْ رَأَيْـتُ فَقَـدْ ضَـيَّعْـتُ أَيَّـامِي

قوله: **(أي لا أحد)** أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري بمعنى النفي. قوله: **﴿مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ﴾** أي نفسه وذاته، وعبر عنها بالوجه لأنه أشرف أعضاء الإنسان. قوله: **(وهو محسن)** الجملة حال من ضمير أسلم. قوله: **﴿وَاتَّبَعَ﴾** إما عطف لازم على ملزوم، وعلة على معلول، أو حال ثانية، والقصد بذلك إقامة الحجة على المشركين جميعاً في عدم اتباعهم لمحمد ﷺ، لأن إبراهيم متفق على مدحه حتى من اليهود والنصارى، فالمعنى ما تقولون فيمن اتبع ملة إبراهيم، فيقولون لا أحد أحسن منه، فيقال لهم إن محمداً على ملة إبراهيم فلِمَ لم تتبعوه وتتركوا ما أنتم عليه من عبادة غير الله. قوله: (حال) أي إما من ضمير اتبع أو من إبراهيم، ولصحة هذين المعنيين أجمل المفسر في الحال. قوله: **(خالص المحبة له)** أي لم يجعل في قلبه غير محبة ربه، لتخللها في حشاشته وانطباعها في مهجته، وقوله: **﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً﴾** كالدليل لما قبله، أي من اتخذه الله خليلاً فهو جدير بأن تتبع ملته.

قوله: **﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾** هذا دليل ما تقدم، أي حيث كانت السموات وما فيها، والأرض وما فيها لله وحده ولا مشارك له في شيء من ذلك، فما معنى إشراك من لا يملك لنفسه شيئاً، مع من له جميع المخلوقات، وهو آخذ بناصيتها، وقيل أتى بهذه الآية دفعاً لما يتوهم أن اتخاذ ابراهيم خليلاً عن احتياج كما هو شأن الآدميين، بل ذلك من فضله وكرمه. قوله: **(علماً وقدرة)** أشار بذلك لقولين في تفسير قوله: **﴿مُحِيطاً﴾** قيل علماً وقيل قدرة وكل صحيح. قوله: **(أي لم يزل)** أشار بذلك إلى أن كان للاستمرار لا للانقطاع. قوله: **(يطلبون منك الفتوى)** أي بيان ما حكم الله به في شأنهن، والفتوى بالواو فتفتح الفاء والياء فتضم وجمعها فتاوي بكسر الواو، ويجوز الفتح للخفة. قوله: **﴿فِي﴾** **(شأن)** **﴿النِّسَاءِ﴾** أي ما يتعلق بهن من دفع المهر لهن وعدم إيذائهن. قوله: **(وميراثهن)** عطف خاص رداً على من كان يمنعه من الجاهلية. قوله: **﴿يُفْتِيكُمْ﴾** أي يبين لكم تلك الأحكام. قوله: **﴿وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ﴾** يحتمل أن ما معطوف على لفظ الجلالة، أو على الضمير المستتر في يفتيكم، والفاصل موجود وهو الكاف، لقول ابن مالك:

وَإِنْ عَـلَى ضَـمِـيرِ رَفْـعٍ مُـتَّـصِـلِ   عَـطفت فَـافْصِـلْ بِـالضَّمِـيرِ الْمُنْفَصِـلِ

أو فاصل ما، وعلى كل فيكون المفتي اثنين: الله سبحانه وتعالى وكتابه والتغاير بالاعتبار، فالمعنى يفتيكم بنفسه على لسان نبيه، وبكتابه على لسان نبيه، فتأمل، وفيه مزيد اعتناء بتلك الفتوى. قوله: **(من آية الميراث)** أي وهي قوله تعالى: ﴿يوصيكم الله في أولادكم﴾ الآيات، وكذلك الوصية التي تقدمت في

﴿ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِي لَا تُؤۡتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ﴾ فرض ﴿لَهُنَّ﴾ من الميراث ﴿وَتَرۡغَبُونَ﴾ أيها الأولياء عن ﴿أَن تَنكِحُوهُنَّ﴾ لدمامتهن وتعضلوهن أن يتزوجن طمعاً في ميراثهن أي يفتيكم أن لا تفعلوا ذلك ﴿وَ﴾ في ﴿ٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ﴾ الصغار ﴿مِنَ ٱلۡوِلۡدَٰنِ﴾ أن تعطوهم حقوقهم ﴿وَ﴾ يأمركم ﴿أَن تَقُومُواْ لِلۡيَتَٰمَىٰ بِٱلۡقِسۡطِۚ﴾ بالعدل في الميراث والمهر ﴿وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمٗا ١٢٧﴾ فيجازيكم به ﴿وَإِنِ ٱمۡرَأَةٌ﴾ مرفوع بفعل يفسره ﴿خَافَتۡ﴾ توقعت ﴿مِنۢ بَعۡلِهَا﴾ زوجها

أوائل السورة كقوله: ﴿وعاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً﴾ فالمناسب للمفسر أن لا يقتصر على آية الميراث. قوله: **(ويفتيكم أيضاً)** أشار بذلك إلى أن قوله: **﴿فِي يَتَامَى النِّسَاءِ﴾** متعلق بمحذوف معطوف على الضمير في قوله: **﴿فِيهِنَّ﴾** العاطف محذوف، التقدير الله وكتابه يفتيكم في شأن النساء عموماً، والله وكتابه يفتيكم في يتامى النساء، فهو من عطف الخاص على العام والنكتة الاعتناء بشأنهن.

قوله: **﴿فِي يَتَامَى النِّسَاءِ﴾** الإضافة على معنى من أي اليتامى من النساء، أو من إضافة الصفة للموصوف أي النساء اليتامى. قوله: **(من الميراث)** أي وباقي الحقوق كالمهور. قوله: **(عن) ﴿أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ﴾** معلوم أن حذف الجار مع أن وإن مطرد، وإنما قدر عن إشارة إلى أن الرغبة بمعنى الزهد فتعدى بعن، وبعضهم قدر في إشارة إلى أن الرغبة بمعنى الحب، والمعنى تحبون وترغبون في نكاحهن لمالهن، ولولا ذلك ما تزوجتموهن، وهو مذموم أيضاً، بل الواجب تقوى الله فيهن، فإن أكل مال اليتيم فيه الوعيد الشديد، فضلاً عن كون اليتيم امرأة لا ناصر لها، روى مسلم عن عائشة قالت: هذه اليتيمة تكون في حجر وليها، فيرغب في جمالها ومالها، ويريد أن ينقص صداقها. فنهوا عن نكاحهن إلا أن يقسطوا لهن في إكمال الصداق، وأمروا بنكاح من سواهن، قالت عائشة رضي الله عنها: فاستفتى الناس رسول الله ﷺ فأنزل الله عز وجل: **﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ﴾** إلى قوله: **﴿وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ﴾** فبين لهم أن اليتيمة إذا كانت ذات جمال ومال رغبوا في نكاحها، ولم يلحقوا بسنتها في إكمال الصداق، وإذا كانت مرغوباً عنها في قلة المال والجمال والتمسوا غيرها قال: فكما يتركونها حين يرغبون عنها، فليس لهم أن ينكحوها إذا رغبوا فيها، إلا أن يقسطوا لها ويعطوها حقها الأوفى من الصداق، وقد تقدم بسط ذلك أول السورة. قوله: **(لدمامتهن)** أي فقرهن. قوله: **(وتعضلوهن)** أي تمنعوهن، وهذا التخويف للأولياء كما هو مقتضى المفسر، وفي الحقيقة هو عام للأولياء، ومن يتزوج بها فتخويف الولي من حيث عضلهن عن الزواج لأخذ مالهن، وتخويف الزوج من حيث تزوجها لأخذ مالها، أو بغير مهر مثلها وعدم إعطائها إياه، وبالجملة فلا يجوز لولي ولا زوج أكل مال اليتيم ميراثاً أو مهراً.

قوله: **﴿وَالْمُسْتَضْعَفِينَ﴾** معطوف على يتامى عطف عام على خاص. قوله: **﴿مِنَ الْوِلْدَانِ﴾** أي ذكوراً أو إناثاً، وكانوا في الجاهلية لا يورثون الصبيان مطلقاً ولا النساء، وإنما كانوا يقولون: لا نورث إلا من يحمي الحوزة ويذب عن الحرم، فيحرمون المرأة والصبي. قوله: **﴿وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى﴾** معطوف على قوله: **﴿فِي يَتَامَى﴾** من عطف العام أيضاً، ويصح نصبه بإضمار فعل، وهو الذي مشى عليه المفسر بقوله: **﴿وَ﴾ (يأمركم)** وهو خطاب للأولياء والحكام، والمراد باليتامى مطلقاً ذكوراً أو إناثاً. قوله: **﴿مِنْ خَيْرٍ﴾** بيان لما. قوله: **(مرفوع بفعل يفسره) ﴿خَافَتْ﴾** أي فهو من باب الاشتغال، ولا يصح جعله

﴿نُشُوزًا﴾ ترفعاً عليها بترك مضاجعتها والتقصير في نفقتها لبغضها وطموح عينه إلى أجمل منها ﴿أَوْ إِعْرَاضًا﴾ عنها بوجهه ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا﴾ فيه إدغام التاء في الأصل في الصاد وفي قراءة يصلحا من أصلح ﴿بَيْنَهُمَا صُلْحًا﴾ في القسم والنفقة بأن تترك له شيئاً طلباً لبقاء الصحبة فإن رضيت بذلك وإلا فعلى الزوج أن يوفيها حقها أو يفارقها ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ من الفرقة والنشوز والإعراض قال تعالى في بيان ما جبل عليه الإنسان ﴿وَأُحْضِرَتِ الْأَنفُسُ الشُّحَّ﴾ شدة البخل أي جبلت عليه فكأنها حاضرته لا تغيب عنه والمعنى أن المرأة لا تكاد تسمح بنصيبها من زوجها

مبتدأ، لأن أداة الشرط لا يليها إلا الفعل ولو تقديراً، ونظيره وإن أحد من المشركين استجارك.

قوله: ﴿خَافَتْ﴾ الخوف توقع الأمر المكروه، فقوله: **(توقعت)** أي انتظرته. قوله: **(زوجها)** أي ويقال له سيد أيضاً، قال تعالى: ﴿وألفيا سيدها﴾ والسيد والبعل مختصان بالرجل، والزوج كما يطلق على الرجل يطلق على المرأة. قوله: **(بترك مضاجعتها)** الباء سببية، والمراد بالترك التقليل من ذلك. قوله: **(والتقصير في نفقتها)** أي التقليل منها، مع كونه لم يكن ترك الحقوق الواجبة، وإلا فصلحه بالمال على ترك الحقوق الواجبة يحرم عليه ولا يحل له أخذه، مع أن الموضوع أنه لا جناح عليه ولا عليها فيه فتأمل. قوله: **(وطموح عينه)** أي تلفته ونظره إلى غيرها قوله: **(إلى أجمل منها)** أي ولو بحسب ما عنده. قوله: ﴿**أَوْ إِعْرَاضاً**﴾ معطوف على ﴿**نُشُوزاً**﴾ والمراد بالإعراض عنها بوجهه عدم البشاشة معها ولقاؤها بوجه عبوس، قال الشاعر:

وَلِلْغَـدْرِ عَـيْنٌ لَنْ تَـزَالَ عبـوسَـةً وَعَـيْنُ الـرِّضَـا مَصْحُوبَـةٌ بِـالتَبَسُّمِ

قوله: ﴿**فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا**﴾ أي لا إثم في ذلك على المرأة إذا صالحته على ترك القسم أو النفقة أو الكسوة، ولا على الرجل في قبول ذلك منها، ونفي الجناح على الرجل ظاهر لأنه يأخذ منها شيئاً، فهو مظنة الجناح، وأما نفي الجناح عن المرأة فمن حيث دفع ذلك، لأنه ربما يقال إنه كان كالربا، فإنه حرام على الدافع والآخذ. قوله: **(فيه إدغام التاء)** أي بعد قلبها صاداً وتسكينها. قوله: **(وفي قراءة يصلحا)** أي وهي سبعية، وقوله: ﴿**صُلْحاً**﴾ مفعول مطلق على كلا القراءتين، ويصح على القراءة الثانية جعله مفعولاً به إن ضمن يصلحا معنى يوفقا، وقوله: ﴿**بَيْنَهُمَا**﴾ حال من قوله: ﴿**صُلْحاً**﴾ لأنه نعت نكرة قدم عليها، وأقحمه إشارة إلى أنه ينبغي أن يكون ذلك الصلح سراً لا يطلع عليه إلا أهلها. قوله: **(بأن تترك له شيئاً)** أي بما لها عليه من الحقوق، كالنفقة والكسوة والمبيت، قوله: **(فإن رضيت بذلك)** جواب الشرط محذوف تقديره لزمها ذلك، قوله: ﴿**وَالصُّلْحُ خَيْرٌ**﴾ هذه الجملة كالتي بعدها معترضة بين جملة الشرط الأولى والثانية، وقوله: ﴿**خَيْرٌ**﴾ اسم تفضيل والمفضل عليه محذوف، قدره المفسر بقوله: **(من الفرقة)** لا يقال الفرقة لا خير فيها إلا أن يقال قد يكون في الفرقة خير أيضاً لكنه متوهم، وأما خيرية الصلح فمحققة، وقيل إنه ليس على بابه، بل على الصلح خير من الخيور، كما أن النشوز شر من الشرور. قوله: ﴿**وَأُحْضِرَتِ الأَنْفُسِ الشُّحِّ**﴾ الأنفس نائب فاعل، أحضرت مفعول أول، والشح مفعول ثان، والمعنى أحضر الله الأنفس الشح أي كل ما عليه، فمتى تعلقت الأنفس بشيء فلا ترجع عنه إلا بمشقة. قوله:

والرجل لا يكاد يسمح عليها بنفسه إذا أحب غيرها ﴿وَإِن تُحْسِنُواْ﴾ عشرة النساء ﴿وَتَتَّقُواْ﴾ الجور عليهن ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ ﴿١٢٨﴾ فيجازيكم به ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ﴾ تسووا ﴿بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ في المحبة ﴿وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾ على ذلك ﴿فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلْمَيْلِ﴾ إلى التي تحبونها في القسم والنفقة ﴿فَتَذَرُوهَا﴾ أي تتركوا المهال عليها ﴿كَٱلْمُعَلَّقَةِ﴾ التي لا هي أيم ولا ذات بعل ﴿وَإِن تُصْلِحُواْ﴾ بالعدل في القسم ﴿وَتَتَّقُواْ﴾ الجور ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا﴾ لما في قلبكم من الميل ﴿رَّحِيمًا﴾ ﴿١٢٩﴾ بكم في ذلك ﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا﴾ أي الزوجان بالطلاق ﴿يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا﴾ عن صاحبه ﴿مِّن سَعَتِهِۦ﴾ أي فضله بأن يرزقها زوجاً غيره ويرزقه غيرها ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا﴾ لخلقه في الفضل ﴿حَكِيمًا﴾ ﴿١٣٠﴾ فيما دبره لهم ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ﴾ بمعنى الكتب ﴿مِن قَبْلِكُمْ﴾ أي اليهود والنصارى ﴿وَإِيَّاكُمْ﴾ يا أهل القرآن ﴿أَنِ﴾ أي بأن ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ خافوا عقابه بأن تطيعوه ﴿وَ﴾ قلنا لهم ولكم ﴿إِن تَكْفُرُواْ﴾ بما وصيتم به ﴿فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ خلقاً وملكاً وعبداً فلا يضره كفركم ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا﴾ عن خلقه وعبادتهم ﴿حَمِيدًا﴾ ﴿١٣١﴾ محموداً في صنعه بهم ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ كرره تأكيداً لتقرير موجب التقوى ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ ﴿١٣٢﴾ شهيداً بأن ما فيهما له ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ يا ﴿أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأْتِ بِـَٔاخَرِينَ﴾ بدلكم ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا﴾ ﴿١٣٣﴾ ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ﴾

(**والمعنى**) أي المراد من المعنى في ذلك ترغيب في الصلح، وترك هوى النفس. قوله: (**عِشرة النساء**) قدره إشارة إلى أن مفعول ﴿**تُحْسِنُوا**﴾ محذوف. قوله: ﴿**بِمَا تَعْمَلُونَ**﴾ أي بعلمكم مع النساء خيراً أو شراً. قوله: (**في المحبة**) أي والمحادثة والمضاجعة. قوله: ﴿**فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ المَيْلِ**﴾ أي فلا تعرضوا كل الإعراض، بل يلزمكم العدل في المبيت وتركه حرام لما في الحديث: «من لم يعدل بين نسائه جاء يوم القيامة وشقه ساقط» وأما الميل القلبي إلى إحداهما فلا حرج فيه، ولذا قال عليه الصلاة والسلام: «اللَّهُم إن هذا قسمي فيما أملك فلا تؤاخذني فيما لا أملك». قوله: (**المهال عنها**) على بمعنى عن، أي المهال عنها بمعنى المبغوضة. قوله: ﴿**كَالمُعَلَّقَةِ**﴾ الكاف بمعنى مثل مفعول ثان لتذروا، والهاء مفعول أول، لأنها إذا كانت بمعنى ترك تنصب مفعولين. قوله: (**التي لا هي أيم**) الأيم هي التي لا زوج لها، كأن سبق لها زواج أو لم تتزوج أصلاً. قوله: ﴿**وَإِنْ يَتَفَرَّقَا**﴾ مقابل قوله: ﴿**فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصَالِحَا**﴾. بقوله: (**بأن يرزقها زوجاً غيره**) أي وإن كان لأحدهما عشق في الآخر، يغنيه الله بأن يبرد قلبه من ذلك. قوله: (**في الفضل**) متعلق بواسعاً. قوله: (**وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوَاتِ**﴾ الخ، هذا كالعلة والدليل لقوله: ﴿**وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعاً حَكِيماً**﴾. قوله: (**فلا يضره كفركم**) أي فليس أمرهم بالطاعة عن احتياج تنزه الله عن أن يصل له نفع من طاعتهم أو ضر من كفرهم، وهذا هو جواب الشرط، وقوله: ﴿**وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ**﴾ دليل الجواب قوله: ﴿**إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ**﴾ أي يستأصلكم بالمرة، وقوله: ﴿**وَيَأْتِ بِآخَرِينَ**﴾ أي يقوم آخرين دفعة مكانكم.

بعمله ﴿ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ ﴾ لمن أراده لا عند غيره فلم يطلب أحدهما الأخس وهلا طلب الأعلى بإخلاصه له حيث كان مطلبه لا يوجد إلا عنده ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ﴾ ﴿١٣٤﴾ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ ﴾ قائمين ﴿ بِٱلۡقِسۡطِ ﴾ بالعدل ﴿ شُهَدَآءَ ﴾ بالحق ﴿لِلَّهِ وَلَوۡ﴾ كانت الشهادة ﴿عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ﴾ فاشهدوا عليها بأن تقروا بالحق ولا تكتموه ﴿أَوِ﴾ على ﴿ ٱلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَۚ إِن يَكُنۡ ﴾ المشهود عليه ﴿غَنِيًّا أَوۡ فَقِيرٗا فَٱللَّهُ أَوۡلَىٰ بِهِمَاۖ ﴾ منكم وأعلم بمصالحهما ﴿ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلۡهَوَىٰٓ ﴾ في شهادتكم بأن تحابوا الغني لرضاه أو الفقير رحمة له ﴿أَن﴾ لا

قوله: ﴿**مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابُ الدُّنْيَا**﴾ جواب الشرط محذوف تقديره فقد ساء عمله وخاب نظره، وقوله: ﴿**فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ**﴾ مرتب على محذوف التقدير، فلا يقصر نظره وطلبه على إحداهما فعند الله الخ، قوله: (**لمن أراده**) متعلق بقوله: ﴿**فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ**﴾ وهذا معنى قوله تعالى: ﴿فمن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا وما له في الآخرة من خلاق﴾ الآية. قوله: (**وهلا طلب الأعلى بإخلاصه**) أي فالواجب على المكلف أن لا يطلب بعمله الصالح إلا الآخرة، لأن الدنيا مضمونة لكل حيوان.

قوله: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا**﴾ قيل سبب نزولها أن غنياً وفقيراً اختصما إلى رسول الله ﷺ وكان النبي ﷺ يرى أن الفقير لا يظلم الغني، فنزلت الآية، فالخطاب للنبي وأمته. قوله: (**قائمين**) هذا بيان لأصل المادة، وإلا فالمراد مد يمين القيام، لأن صيغة المبالغة لا تتحقق إلا بالدوام على القيام بالقسط، يقال قسط يقسط، جار وعدل، والمراد هنا العدل بقرينة المقام، وأما أقسط فمعناه عدل لا غير، واسم الفاعل من الأول قاسط، ومن الثاني مقسط. وقوله: ﴿**شُهَدَاءَ**﴾ خبر ثان لكونوا، والواو اسمها، وقوامين خبر أول. قوله: (**بالحق**) أي لا بالباطل فلا تجوز الشهادة به، وقوله الله أي لمحض وجهه لا لغرض آخر. قوله: ﴿**وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ**﴾ الجار والمجرور متعلق بمحذوف خبر لكان المحذوفة، لأن حذف كان مع اسمها بعد لو كثير، قال ابن مالك:

وَيَحْذِفُونَهَا وَيُبْقُونَ الخَبَرْ　　　وَبَعْدَ أَنْ وَلَوْ كَثِيراً ذَا اشْتَهَرْ

أي هذا إذا كانت الشهادة على الغير، بل ولو على النفس. قوله: ﴿بأن تقروا بالحق﴾ أي فالمراد بالشهادة الإقرار، ويحتمل أن تكون الشهادة على حقيقتها، وهي الإخبار عن الغير بأمر، كأن يكون شاهداً على ابنه مثلاً بحق، فالواجب اداؤها ولو حصل منها ضرر للنفس. قوله: ﴿**وَالوَالِدَيْنِ**﴾ في حيز المبالغة، ولا عبرة بغضبهما حينئذٍ إذا كان الولد شاهداً عليهما بحق. قوله: ﴿**إِنْ يَكُنْ**﴾ (**المشهود عليه**) أي من الوالدين والأقربين والأجانب. قوله: ﴿**فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا**﴾ استشكل تثنية الضمير مع كون العطف بأو، أجيب بأن الضمير ليس عائداً على الغني والفقير المتقدمين، بل هو عائد على جنسهما المدلول عليه بالمذكورين، ويدل على ذلك قراءة أبي فالله أولى بهم، وأجيب أيضاً بأن أو للتقسيم للمشهود له والمشهود عليه، لأنهما إما أن يكونا غنيين أو فقيرين، والمشهود له غنياً، والمشهود عليه فقيراً، أو بالعكس، فالضمير في الحقيقة عائد على المشهود له والمشهود عليه، وقد يجاب أيضاً بأن أو بمعنى الواو. قوله: (**لرضاه**) أي الغني فربما واساكم. وقوله: (**بأن تحابوا**) تصوير للمنفي.

﴿تَعۡدِلُواْ﴾ تميلوا عن الحق ﴿وَإِن تَلۡوُۥٓاْ﴾ تحرفوا الشهادة وفي قراءة بحذف الواو الأولى تخفيفاً ﴿أَوۡ تُعۡرِضُواْ﴾ عن أدائها ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا﴾ ﴿١٣٥﴾ فيجازيكم به ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ﴾ داوموا على الإيمان ﴿بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾ محمد ﷺ وهو القرآن ﴿وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ﴾ على الرسل بمعنى الكتب وفي قراءة بالبناء للفاعل في الفعلين ﴿وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا﴾ ﴿١٣٦﴾ عن الحق ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بموسى وهم اليهود ﴿ثُمَّ كَفَرُواْ﴾ بعبادة العجل ﴿ثُمَّ ءَامَنُواْ﴾ بعده ﴿ثُمَّ كَفَرُواْ﴾ بعيسى ﴿ثُمَّ ٱزۡدَادُواْ كُفۡرٗا﴾ بمحمد ﴿لَّمۡ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغۡفِرَ لَهُمۡ﴾ ما أقاموا عليه ﴿وَلَا لِيَهۡدِيَهُمۡ

قوله: ﴿أَنْ﴾ (لا) ﴿تَعْدِلُوا﴾ تعليل للنهي، لأن من اتّبع الهوى فقد اتصف بالجور، ومن ترك أتباعه فلا يتصف به فيصير المعنى انتهوا عن اتباع الهوى لأجل أن لا يحصل منكم جور، وهذا ما مشى عليه المفسر، من أن العدل بمعنى الجور، فاحتاج إلى تقدير لا، وقال في الكشاف أن العدل ضد الجور، وعليه فليس فيه تقدير لا، ولا يصير المعنى انتهوا عن اتباع الهوى لأجل اتصافكم بالعدل وكل صحيح، والثاني أقرب لعدم لكلفة. قوله: **(تحرفوا الشهادة)** أي بأن يشهد على خلاف ما يعلم من الدعوى. قوله: **(وفي قراءة)** أي وهي سبعية أيضاً، وأصل تلووا تلويون استثقلت الضمة على الياء، فنقلت للواو قبلها بعد سلب حركتها، حذفت الياء التي هي لام الكلمة، وحذفت النون للجازم، فصار وزنه تفعوا، وعلى القراءة الثانية حذفت عين الكلمة التي هي الواو الأولى بعد نقل ضمتها إلى اللام، فصار وزنه تفوا، وفيه إجحاف، لأنه لم يبق إلا فاؤها.

قوله: ﴿أَوْ تُعْرِضُوا﴾ أي بأن تنكروها من أصلها، فالعطف مغاير خلافاً لمن قال بالترادف. قوله: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ﴾ دليل الجواب، والجواب محذوف تقديره يعاقبكم على ذلك لأن الله كان بما تعلمون خبيراً. قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ الخ، ذكر هذه الآية بعد الأمر بالعدل من ذكر السبب بعد المسبب، لأن الإيمان سبب للعدل. قوله: **(داوموا)** الخ دفع بذلك ما يقال إن فيه تحصيل الحاصل والمعنى داوموا على الإيمان بفعل الطاعات، لأن فعلها يزيد في الإيمان، ولا تكونوا ممن بدل وغير ممن سيأتي ذكرهم والتشنيع عليهم. قوله: **(بمعنى الكتب)** أي فأل للجنس. قوله: **(في الفعلين)** أي نزل وأنزل، وفاعل الإنزال هو الله تعالى.

قوله: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ﴾ أي بشيء من ذلك بأن أنكر صفة من صفات الله أو سب ملائكته، أو أنكر الكتب السماوية، أو سبّ رسله أو أنكر رسالتهم أو لم يصدق باليوم الآخر، فالكفر بواحد من هذه المذكورات كاف في استحقاق الوعيد، لأن الإيمان بكل واحد أصل من أصول الدين. قوله: **(بعده)** أي بعد رجوعه إليهم من المناجاة. قوله: **(أقاموا عليه)** أي مدة إقامتهم عليه، ودفع بذلك ما يقال إن ظاهر الآية يقتضي عدم المغفرة لهم ولو تابوا فأفاد أن عدم المغفرة لهم مقيد بمدة إقامتهم على الكفر، أما إن تابوا ورجعوا عنه فإن الله يقبل توبتهم، قال تعالى: ﴿وقل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف﴾ وخبر كان في الآية محذوف وهو متعلق اللام تقديره لم يكن الله مريداً ليغفر لهم، **والفعل**

سَبِيلًا ﴾ ﴿١٣٧﴾ طريقاً إلى الحق ﴿ بَشِّرِ ﴾ أخبر يا محمد ﴿ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ ﴿١٣٨﴾ مؤلماً هو عذاب النار ﴿ ٱلَّذِينَ ﴾ بدل أو نعت للمنافقين ﴿ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ لما يتوهمون فيهم من القوة ﴿ أَيَبْتَغُونَ ﴾ يطلبون ﴿ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ ﴾ استفهام إنكاري أي لا يجدونها عندهم ﴿ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾ ﴿١٣٩﴾ في الدنيا والآخرة ولا ينالها إلا أولياؤه ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ ﴾ بالبناء للفاعل والمفعول ﴿ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ ﴾ القرآن في سورة الأنعام ﴿ أَنْ ﴾ مخففة واسمها محذوف أي أنه ﴿ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ﴾ القرآن ﴿ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ ﴾ أي الكافرين والمستهزئين ﴿ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ إِنَّكُمْ إِذًا ﴾ إن قعدتم معهم ﴿ مِّثْلُهُمْ ﴾ في الإثم ﴿ إِنَّ

منصوب بأن مضمرة بعد هذه اللام لأنها لام الجحود، والفعل تأويل مصدر مفعول لمريد التقدير لم يكن الله مريداً غفران كفرهم.

قوله: ﴿بَشِّرِ﴾ البشارة في الأصل هي الخبر السار، سمي بذلك لأنه يغير البشرة أي الجلدة. قوله: **(أخبر)** أشار بذلك إلى أن المراد بالبشارة هنا مطلق الإخبار، وسماه بشارة تهكماً بها وإشارة إلى أن وعيدهم بالعذاب لا يخلف، كما أن وعيد المؤمن بالخير لا يخلف، وفي الكلام استعمل تبعية، حيث شبهت النذارة بالبشارة، واستعير اسم المشبه به للمشبه، واشتق من البشارة بشر بمعنى أنذر، والجامع التأثر في كل، لأن من سمع الخبر الضار تأثّر به، ومن سمع الخبر السار تأثر به. قوله: ﴿**المُنَافِقِينَ**﴾ أي وهم الذين يسرون الكفر، ويظهرون الإسلام، والنفاق قسمان: عملي واعتقادي. فالعملي أشار له ﷺ بقوله: «إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان». والاعتقادي هو إظهار الإسلام وإخفاء الكفر. قوله: ﴿**أَوْلِيَاءَ**﴾ أي أصحاباً يوالونهم ويستعزون بهم، لزعمه أن الكفار لهم اليد العليا، وأن الإسلام سيهدم لقلة أهله. قوله: **(استفهام إنكاري)** أي بمعنى النفي. قوله: **(إلا أولياءه)** أي المؤمنون، قال تعالى: ﴿ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون﴾.

قوله: ﴿**وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ**﴾ أي يا أيها المؤمنون، والذي نزل هو قوله تعالى: ﴿وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره﴾ وهذا نزل بمكة، لأن المشركين كانوا يخوضون في القرآن يستهزؤون به، فلما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة، صار اليهود يفعلون مثل المشركين وكان المنافقون يجلسون إليهم، ويسمعون منهم الخوض، ويستهزؤون معهم، فنهى الله تعالى المؤمنين عن مجالستهم والقعود معهم. قوله: **(بالبناء للفاعل)** أي والفاعل ضمير يعود على الله تعالى، وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مفعوله وهذا على كونه مشدداً، وقرىء بالبناء للفاعل مخففاً، فأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر فاعل، وقوله: **(والمفعول)** أي مشدداً، وأن ما دخلت عليه في تأويل مصدر نائب فاعل. قوله: ﴿**يُكْفَرُ بِهَا**﴾ أي إما من غير استهزاء وهو الواقع من المشركين واليهود، أو مع الاستهزاء وهو الواقع من المنافقين. قوله: **(أي الكافرين)** أي كالمشركين واليهود، وقوله: **(والمستهزئين)** أي وهم المنافقون، وسموا مستهزئين لقولهم: **(إذا خلوا بشياطينهم إنا معكم إنما نحن مستهزؤون)**. قوله: ﴿**فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ**﴾ أي غير الحديث المتقدم من الكفر والاستهزاء قوله: ﴿**إِنَّكُمْ إِذاً مِثْلُهُمْ**﴾ أي مشاركون لهم في الإثم، قال بعضهم:

﴿ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾ ﴿١٤٠﴾ كما اجتمعوا في الدنيا على الكفر والاستهزاء ﴿ٱلَّذِينَ﴾ بدل من الذين قبله ﴿يَتَرَبَّصُونَ﴾ ينتظرون ﴿بِكُمْ﴾ الدوائر ﴿فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ﴾ ظفر وغنيمة ﴿مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓاْ﴾ لكم ﴿أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ﴾ في الدين والجهاد فاعطونا من الغنيمة ﴿وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ﴾ من الظفر عليكم ﴿قَالُوٓاْ﴾ لهم ﴿أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ﴾ نستول ﴿عَلَيْكُمْ﴾ ونقدر على أخذكم وقتلكم فأبقينا عليكم ﴿وَ﴾ ألم ﴿نَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أن يظفروا بكم بتخذيلهم ومراسلتكم بأخبارهم فلنا عليكم المنة قال تعالى ﴿فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾ وبينهم ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ بأن يدخلكم الجنة ويدخلهم النار ﴿وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴾ ﴿١٤١﴾ طريقاً بالاستئصال ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ﴾ بإظهارهم خلاف ما أبطنوه من الكفر ليدفعوا عنهم أحكامه الدنيوية ﴿وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾ مجازيهم على خداعهم فيفتضحون في الدنيا باطلاع الله نبيه على ما أبطنوه ويعاقبون في الآخرة ﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾ مع المؤمنين ﴿قَامُواْ كُسَالَىٰ﴾ متثاقلين

وَسَمعكَ صَنّ عَنْ سِمَاعِ القَبِيحِ ... كَصَوْنِ اللِّسَانِ عَنِ النُّطْقِ بِهِ
فَإنَّكَ عِنْدَ سِمَاعِ القَبِيحِ ... شَرِيكٌ لِقَائِلِهِ فَانْتَبِهِ

قوله: **(في الإثم)** أي كفر أو غيره، فالراضي بالكفر كافر، والراضي بالمحرم عاص، وبالجملة فجليس الطائع مثله، وجليس العاصي مثله. قوله: **﴿إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ﴾** الخ، هذا كالعلة والدليل لقوله: **﴿إِذاً مِثْلُهُمْ﴾**. قوله: **(من الذين قبله)** أي وهو قوله: (الذين يتخذون الكافرين أولياء) والأحسن أنه نعت ثان للمنافقين. قوله: **﴿فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ﴾** أي بأن كانت الغلبة للمؤمنين، والخذلان للكفار. قوله: **(من الظفر عليكم)** أي كما وقع في أحد. قوله: **﴿أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ﴾** الاستحواذ الاقتدار والاستيلاء. قوله: **(فأبقينا عليكم)** أي رفقنا بكم ورحمناكم. قوله: **(فلنا عليكم المنة)** أي فأعطونا نصيباً من الدنيا، فهم لا حظ لهم غير أخذ المال. قوله: **(بالاستئصال)** دفع بذلك ما يقال إن الكفار بالمشاهدة لهم سبيل على المؤمنين في الدنيا، فأجاب المفسر: بأن معنى ذلك أن الكفار لا يستأصلون المؤمنين ويجاب أيضاً: بأن المراد في القيامة فلا يطالبونا بشيء يوم القيامة، أو المراد سبيلاً بالشرع، فإن شريعة الإسلام ظاهرة إلى يوم القيامة، فمن ذلك أن الكافر لا يرث المسلم، وليس له أن يملك عبداً مسلماً، ولا يقتل المسلم بالذمي.

قوله: **﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ﴾** أي رسوله، وهذا بيان لبعض قبائحهم. قوله: **(بإظهارهم خلاف ما أبطنوه)** أي من إظهار الإيمان وإخفاء الكفر. قوله: **(فيفتضحون في الدنيا)** أي يفتضحون في الآخرة أيضاً لما روي أنه يوم القيامة حين يمتاز الكفار من المؤمنين، تبقى هذه الأمة وفيها منافقوها فيتجلى الله لهم، فيخرّ المؤمنون سجداً، والمنافقون يصير ظهورهم طبقاً، فلا يستطيعون السجود، وروي أنهم يعطون على الصراط نوراً كما يعطى المؤمنون، فيمضون بنورهم ثم يطفأ نورهم، ويبقى نور المؤمنين فينادون المؤمنين: انظرونا نقتبس من نوركم، وهو معنى قوله تعالى: ﴿يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم﴾ الآية. قوله: **﴿كُسَالَى﴾** أي لعدم الداعية في قلوبهم وهو نصب على الحال، والكسل

﴿ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ ﴾ بصلاتهم ﴿ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ ﴾ يصلون ﴿ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ ﴿١٤٢﴾ رياء ﴿ مُّذَبْذَبِينَ ﴾ مترددين ﴿ بَيْنَ ذَٰلِكَ ﴾ الكفر والإيمان ﴿ لَآ ﴾ منسوبين ﴿ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ أي الكفار ﴿ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ أي المؤمنين ﴿ وَمَن يُضْلِلِ ﴾ ـه ﴿ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴾ ﴿١٤٣﴾ طريقاً إلى الهدى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾ بموالاتهم ﴿ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴾ ﴿١٤٤﴾ برهاناً بيناً على نفاقكم ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ﴾ المكان ﴿ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ وهو قعرها ﴿ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴾ ﴿١٤٥﴾ مانعاً من العذاب ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ ﴾ من النفاق ﴿ وَأَصْلَحُوا۟ ﴾ عملهم ﴿ وَٱعْتَصَمُوا۟ ﴾ وثقوا ﴿ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ ﴾ من الرياء ﴿ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ ﴾ فيما يؤتونه ﴿ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ ﴿١٤٦﴾ في الآخرة هو الجنة ﴿ مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ ﴾ نعمه ﴿ وَءَامَنتُمْ ۚ ﴾ به والاستفهام بمعنى النفي أي لا يعذبكم ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا ﴾ لأعمال المؤمنين بالإثابة ﴿ عَلِيمًا ﴾ ﴿١٤٧﴾ بخلقه ﴿ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ ﴾ من

الفتور والتواني، قوله: ﴿**يُرَاؤُونَ النَّاسَ**﴾ أي النبي وأصحابه، والمعنى أنهم يقصدون بصلاتهم النجاة من النبي وأصحابه، والجملة حال من كسالى. قوله: (**يصلون**) إنما سميت الصلاة ذكراً، لأنها اشتملت عليه. قوله: ﴿**مُذَبْذَبِينَ**﴾ حال من فاعل يراؤون، وحقيقة المذبذب ما يذب ويدفع عن كلا الجانبين مرة بعد أخرى، وقد أفاده المفسر بقوله: (**مترددين**) قوله: ﴿**لَا إِلَى هَؤُلَاءِ**﴾ الخ، متعلق في الموضعين بمحذوف حال من مذبذبين، قدره المفسر بقوله: (**منسوبين**). قوله: (**أي الكفار**) أي فيقتلون ويترتب عليهم أحكامه. وقوله: (**أي المؤمنين**) أي فينجون في الدنيا والآخرة.

قوله: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا**﴾ خطاب للمؤمنين الخلص. قوله: ﴿**لَا تَتَّخِذُوا الكَافِرِينَ**﴾ أي كما فعل المنافقون، فيترتب عليه الوعيد العظيم فاحذروا ذلك. قوله: ﴿**أَتُرِيدُونَ**﴾ الاستفهام إنكاري بمعنى النفي، أي لا تريدون ذلك. قوله: ﴿**فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ**﴾ الدركات بالكاف منازل أهل النار، والدرجات بالجيم منازل أهل الجنة. قوله: (**وهو قعرها**) أي لأنها سبع طبقات، العليا لعصاة المؤمنين وتسمى جهنم، والثانية لظى للنصارى، والثالثة الحطمة لليهود، والرابعة السعير للصابئين، والخامسة سقر للمجوس، والسادسة الجحيم للمشركين، والسابعة الهاوية للمنافقين وفرعون وجنوده، لقوله تعالى: ﴿أدخلوا آل فرعون أشد العذاب﴾.

قوله: ﴿**إِلَّا الَّذِينَ**﴾ استثناء من قوله: ﴿**إِنَّ المُنَافِقِينَ**﴾. قوله: ﴿**مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ**﴾ ما استفهامية، الباء سببية، والاستفهام إنكاري بمعنى النفي. أي لا يفعل بعذابكم شيئاً حيث حسنت توبتكم، ويصح أن تكون ما نافية والباء زائدة ومدخولها مفعول لقوله يفعل، والمعنى ما يفعل عذابكم، أي لا يعذبكم حين صدقت التوبة، فالمآل في المعنيين واحد. قوله: ﴿**وَآمَنْتُمْ**﴾ عطف خاص على عام، أو مسبب على سبب، لأن الشكر سبب في الإيمان، فإن الإنسان إذا تذكر نعم الله حملته على الإيمان.

قوله: ﴿**لَا يُحِبُّ اللَّهُ الجَهْرَ بِالسُّوءِ**﴾ هذا مرتب على ما تقدم من ذكر أحوال المنافقين، أي فلا تتوهم أيها العاقل من تقبيح الله لبعض عبيده، إنه يجوز لكل أحد التقبيح لمن علم منه سوءاً، أو ظنه فيه،

أحد أي يعاقب عليه ﴿ إِلَّا مَن ظُلِمَ ﴾ فلا يؤاخذه بالجهر به بأن يخبر عن ظلم ظالمه ويدعو عليه ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا ﴾ لما يقال ﴿عَلِيمًا﴾ ﴿١٤٨﴾ بما يفعل ﴿إِن تُبْدُواْ﴾ تظهروا ﴿خَيْرًا﴾ من أعمال البر ﴿أَوْ تُخْفُوهُ﴾ تعملوه سراً ﴿ أَوْ تَعْفُواْ عَن سُوٓءٍ ﴾ ظلم ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴾ ﴿١٤٩﴾ ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ﴾ بأن يؤمنوا به دونهم ﴿ وَيَقُولُونَ

وسبب نزولها: أن رجلاً استضاف قوماً فلم يحسنوا ضيافته، فلما خرج تكلم فيها جهراً بسوء، وقيل إن سبب نزولها أن رجلاً نال من أبي بكر والنبي ﷺ حاضر، فسكت عنه مراراً ثم رد عليه فقام النبي ﷺ، فقال أبو بكر: يا رسول الله شتمني فلم تقل شيئاً، حتى إذا رددت عليه قمت، فقال له إن ملكاً كان يجيب عنك، فلما رددت عليه ذهب الملك وجاء الشيطان فقمت فنزلت، وقوله: ﴿بِالسُّوءِ﴾ هو اسم جامع لكل فحش، كالبر فإنه اسم جامع لكل خير، وقوله: ﴿مِنَ الْقَوْلِ﴾ بيان للجهر بالسوء ومثل القول الفعل، فلا مفهوم للجهر ولا للقول، وإنما خصا لأنهما سبب النزول ولكونهما الغالب. قوله: **(من أحد)** قدره إشارة إلى أن فاعل المصدر محذوف، وهو من المواضع التي ينقاس فيها حذف الفاعل، وقد جمعها بعضهم بقوله:

عِنْـدَ النِّيَـابَـةِ مَصْـدَرٌ وَتَعَجُّب وَمُفْـرِغٌ يَنْقَـاسُ حَـذْفَ الْفَـاعِـلِ

قوله: **(أي يعاقب)** دفع بذلك ما يقال إن الحب والبغض معنى قائم بالقلب وهو مستحيل على الله تعالى، فأجاب بأن المراد لازمه وهو العقاب، لأن من غضب من أحد عاقبه، ودخل في الجهر بالسوء التعريض والسخرية به والغيبة والنميمة، قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم﴾ الآية. وقال تعالى: ﴿ولا يغتب بعضكم بعضاً﴾ إلى غير ذلك، وفي الحديث: «إن الرجل ليتكلم بالكلمة الواحدة يهوي بها في النار سبعين خريفاً». قوله: **(بأن يخبر عن ظلم ظالمه)** أي لمن ينصفه بأن يقول: شتمني، أو غصبني، أو أخذ مالي، أو ضربني مثلاً. قوله: **(ويدعو عليه)** أي بدعاء جائز مثل: اللهم خلِّص حقي منه، أو جازه، أو انتقم ممن ظلمني، أو خذ لي بثاري منه، ولا يجوز الدعاء على الظالم بسوء الخاتمة على المعتمد، ولو بلغ في الظلم مهما بلغ، ولا بخراب دياره أو هلاكه مثلاً، والصبر وعدم الدعاء أجمل، وهو مقام عظيم، ولذا أمر به ﷺ بقوله تعالى: ﴿فاصفح الصفح الجميل﴾ وقوله: ﴿إِلَّا مَنْ ظُلِمَ﴾ أي مثلاً، ومثله المستفتي والمستغيث والمحذر والمعرف والمتجاهر، وقد جمعها بعضهم بقوله:

تـظلم واستغث واستفت حـذر وعـرف بـدعـة فسق المجـاهـر

وجمعت أيضاً في قول بعضهم:

لـقب ومستفت وفسقٌ ظـاهـر مُـتَـظلِّم ومـعـرف ومحـذر

قوله: **(لما يقال)** أي من الظالم والمظلوم. وقوله: **(بما يفعل)** أي من الظالم والمظلوم. قوله: **(من أعمال البر)** أي كالصلاة والصدقة وفعل المعروف وحسن الظن. قوله: ﴿أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ﴾ هذا هو محط الفائدة بدليل قوله: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيراً﴾ وهذا بيان للخلق الكامل، فالعفو والمسامحة أجل وأعلى من الانتصار. قوله: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ﴾ الخ، دليل الجواب، والجواب محذوف تقديره يعفو عنكم. قوله: ﴿وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا﴾ الخ، عطف سبب على مسبب، أي فكفرهم بالتفرقة لا باعتقاد للشريك لله

نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ﴾ من الرسل ﴿وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ﴾ منهم ﴿وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ الكفر والإيمان ﴿سَبِيلًا﴾ ﴿١٥٠﴾ طريقاً يذهبون إليه ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا﴾ مصدر مؤكد لمضمون الجملة قبله ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ ﴿١٥١﴾ ذا إهانة هو عذاب النار ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ كلهم ﴿وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُولَٰئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ﴾ بالنون والياء ﴿أُجُورَهُمْ﴾ ثواب أعمالهم ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا﴾ لأوليائه ﴿رَّحِيمًا﴾ ﴿١٥٢﴾ بأهل طاعته ﴿يَسْأَلُكَ﴾ يا محمد ﴿أَهْلُ الْكِتَابِ﴾ اليهود ﴿أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾ جملة كما أنزل على موسى تعنتاً فإن استكبرت ذلك ﴿فَقَدْ سَأَلُوا﴾ أي آباؤهم ﴿مُوسَىٰ أَكْبَرَ﴾ أعظم ﴿مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً﴾ عياناً ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ﴾ الموت عقاباً لهم ﴿بِظُلْمِهِمْ﴾ حيث تعنتوا في السؤال ﴿ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ﴾

مثلاً. قوله: **(من الرسل)** أي كموسى وعيسى. قوله: **﴿وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ﴾** أي كمحمد. قوله: **(طريقاً يذهبون إليه)** أي واسطة بين الإيمان والكفر، وهو الإيمان ببعض الأنبياء والكفر ببعض. قوله: **(مصدر مؤكد)** أي وعامله محذوف ويقدر مؤخراً عن الجملة المؤكدة لها تقديره أحقه حقاً، نظير زيد أبوك عطوفاً. قال ابن مالك:

وَإِنْ تُـؤَكِّـدْ جُمْلَةً فَـمُـضْـمَـرُ ... عَـامِلُهَـا وَلَفْـظُهَـا يُـؤَخَّـرُ

ويصح أن يكون حالاً من قوله: **﴿هُمُ الْكَافِرُونَ﴾** أي حال كون كفرهم حقاً أي لا شك فيه. قوله: **﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾** مقابل قوله: **﴿الَّذِينَ يَكْفُرُونَ﴾** وقوله: **﴿وَلَمْ يُفَرِّقُوا﴾** مقابل قوله: **﴿وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا﴾**. قوله: **﴿بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ﴾** أي في الإيمان بأن يؤمنوا بجميعهم. قوله: **(بالنون والياء)** أي فهما قراءتان سبعيتان، وعلى النون فيكون فيه التفات من الغيبة للتكلم، لأن الاسم الظاهر من قبيل الغيبة.

قوله: **﴿يَسْأَلُكَ﴾** أي سؤال تعنت ذو عناد، فلذا لم يبلغهم الله مرادهم، ولو كان سؤالهم لطلب الاسترشاد لأجيبوا. قوله: **(اليهود)** أي أحبارهم. قوله: **﴿أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَاباً مِنَ السَّمَاءِ﴾** أي فقالوا إن كنت نبياً فائتنا بكتاب محرر بخط سماوي في ألواح كما نزلت التوراة. قوله: **(تعنتاً)** مفعول لأجله أي فالحامل لهم على السؤال التعنت والعناد لا الاسترشاد، وإلا لأجيبوا. قوله: **(فإن استكبرت ذلك)** قدره إشارة إلى أن قوله: **﴿فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى﴾** جواب شرط محذوف، والمعنى إن استعظمت سؤالهم، فقد وقع من أصولهم ما هو أعظم من ذلك. قوله: **(أي آباؤهم)** أي وإنما نسب السؤال لهم لأنهم راضون بها فكأنها وقعت منهم. قوله: **﴿فَقَالُوا﴾** تفسير لسألوا على حد توضأ فغسل وجهه. قوله: **(عياناً)** أي معاينين له، وذلك أن موسى عليه السلام اختار من قومه سبعين من بني إسرائيل، فخرج معهم إلى الجبل ليستغفروا لقومهم حيث عبدوا العجل **﴿فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً﴾**. قوله: **﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ﴾** أي ثم أحيوا بعد ذلك حين قال موسى: رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإياي.

قوله: **﴿ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ﴾** ثم للترتيب الذكري الإخباري، لأن عبادة العجل كانت قبل ذلك

إلهاً ﴿ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ ﴾ المعجزات على وحدانية الله ﴿ فَعَفَوۡنَا عَن ذَٰلِكَۚ ﴾ ولم نستأصلهم ﴿ وَءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ سُلۡطَٰنٗا مُّبِينٗا ﴾ ﴿١٥٣﴾ تسلطاً بيناً ظاهراً عليهم حيث أمرهم بقتل أنفسهم توبة فأطاعوه ﴿ وَرَفَعۡنَا فَوۡقَهُمُ ٱلطُّورَ ﴾ الجبل ﴿ بِمِيثَٰقِهِمۡ ﴾ بسبب أخذ الميثاق عليهم ليخافوا فيقبلوه ﴿ وَقُلۡنَا لَهُمُ ﴾ وهو مظل عليهم ﴿ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ ﴾ باب القرية ﴿ سُجَّدٗا ﴾ سجود انحناء ﴿ وَقُلۡنَا لَهُمۡ لَا تَعۡدُواْ ﴾ وفي قراءة بفتح العين وتشديد الدال وفيه إدغام التاء في الأصل في الدال أي لا تعتدوا ﴿ فِي ٱلسَّبۡتِ ﴾ باصطياد الحيتان فيه ﴿ وَأَخَذۡنَا مِنۡهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظٗا ﴾ ﴿١٥٤﴾ على ذلك فنقضوه ﴿ فَبِمَا نَقۡضِهِم ﴾ ما زائدة والباء للسببية متعلقة بمحذوف أي لعناهم بسبب نقضهم ﴿ مِّيثَٰقَهُمۡ وَكُفۡرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتۡلِهِمُ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَقَوۡلِهِمۡ ﴾ النبي ﷺ ﴿ قُلُوبُنَا غُلۡفُۢۚ ﴾ لا تعي كلامك ﴿ بَلۡ طَبَعَ ﴾ ختم ﴿ ٱللَّهُ عَلَيۡهَا بِكُفۡرِهِمۡ ﴾ فلا تعي وعظاً ﴿ فَلَا يُؤۡمِنُونَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾ ﴿١٥٥﴾ منهم كعبد الله

قوله: (**المعجزات**) أي كالعصا واليد البيضاء والسنين وفلق البحر. قوله: ﴿**فَعَفَوْنَا عَنْ ذٰلِكَ**﴾ أي قبلنا توبتهم، فتوبوا أنتم أيضاً حتى يعفو عنكم. قوله: ﴿**سُلْطَاناً**﴾ أي قهراً عظيماً وسلطنة جليلة. قوله: (**فأطاعوه**) أي فقتل منهم سبعون ألفاً في يوم واحد.

قوله: ﴿**بِمِيثَاقِهِمْ**﴾ أي حين جاءهم موسى بالتوراة، وفيها الأحكام فامتنعوا من قبولها، فرفع الله فوقهم الطور، فخافوا من وقوعه عليهم فقبلوه وسجدوا على جبينهم وأعينهم تنظر له، فصار ذلك فيهم إلى الآن. قوله: (**فيقبلوه**) أي الميثاق ولا ينقضوه. قوله: (**وهو مظل عليهم**) أي مرفوع عليهم، والتقييد بذلك سبق قلم، لأن القول لهم حين دخول القرية كان بعد مدة التيه، وتلك القرية قيل هي بيت المقدس وقيل أريحا، والقول قيل على لسان يوشع بن نون وهي قرية الجبارين، وأما رفع الجبل فكان قبل دخولهم التيه حين جاءتهم التوراة فلم يؤمنوا بها. قوله: (**سجود انحناء**) أي خضوع وتذلل، فخافوا ودخلوا يزحفون على أستاههم، وتقدم بسط ذلك في البقرة. قوله: ﴿**لَا تَعْدُوا**﴾ بسكون العين وضم الدال من عدا يعدو بمعنى جار، وأصله تعدووا بضم الواو الأولى وهي لام الكلمة، استثقلت الضمة عليها فحذفت فالتقى ساكنان، حذفت الواو لالتقائهما ووزنه تفعوا. قوله: (**وفي قراءة بفتح العين**) أي فأصله تعتدوا قلبت التاء دالاً ثم أدغمت في الدال، والمعنى أنهم نهوا عن الاعتداء في السبت بصيد السمك، فخالف بعضهم واصطاد وامتنع بعضهم من غير نهي للآخرين وامتنع بعضهم مع نهي من اصطاد، فحل بمن اصطاد العذاب ونجا من نهي، وسيأتي بسط ذلك في سورة الأعراف. قوله: ﴿**مِيثَاقاً غَلِيظاً**﴾ أي أنهم إن خالفوا عذبهم الله بأي نوع من العذاب أراده. قوله: ﴿**بِآيَاتِ اللَّهِ**﴾ أي القرآن أو كتابهم. قوله: ﴿**بِغَيْرِ حَقٍّ**﴾ أي حتى في زعمهم، أي فهم مقرون بأن القتل بغير وجه.

قوله: ﴿**بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا**﴾ أي غشيت وغطيت بغطاء معنوي لا حسي كما قالوا تهكماً، بمعنى أنهم صم بكمٌ عمي لا يهتدون للحق ولا يعونه. قوله: ﴿**إِلَّا قَلِيلاً**﴾ قيل إنه مستثنى من فاعل ﴿**يُؤْمِنُونَ**﴾ ورد بأن من آمن لم يطبع على قلبه، والأحسن أنه مستثنى من الهاء في قوله: ﴿**بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا**﴾ أي إلا قليلاً

ابن سلام وأصحابه ﴿وَبِكُفْرِهِمْ﴾ ثانياً بعيسى وكرر الباء للفصل بينه وبين ما عطف عليه ﴿وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا﴾ ﴿١٥٦﴾ حيث رموها بالزنا ﴿وَقَوْلِهِمْ﴾ مفتخرين ﴿إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ﴾ في زعمهم أي بمجموع ذلك عذبناهم قال تعالى تكذيباً لهم في قتله ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ المقتول والمصلوب وهو صاحبهم بعيسى أي ألقى الله عليه شبهه فظنوه إياه ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ أي في عيسى ﴿لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ﴾ من قتله حيث قال بعضهم لما رأوا المقتول: الوجه وجه عيسى والجسد ليس بجسده فليس به. وقال آخرون بل هو هو ﴿مَا لَهُم بِهِ﴾ بقتله ﴿مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ﴾ استثناء منقطع أي لكن يتبعون فيه الظن الذي تخيلوه ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ ﴿١٥٧﴾ حال مؤكدة لنفي القتل ﴿بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا﴾ في ملكه ﴿حَكِيمًا﴾ ﴿١٥٨﴾ في صنعه ﴿وَإِن﴾ ما ﴿مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ أحد ﴿إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ﴾ بعيسى ﴿قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ أي الكتابي حين يعاين ملائكة الموت فلا ينفعه إيمانه أو قبل موت عيسى لما ينزل قرب

فلم يطبع على قلوبهم. قوله: **(ثانياً بعيسى)** أي وأولاً بموسى. قوله: **(وكرر الباء)** أي في قوله: **﴿وَبِكُفْرِهِمْ﴾**. قوله: **(للفصل)** أي بأجنبي وهو قوله: **﴿بَلْ طَبَعَ اللَّهُ﴾**. قوله: **(حيث رموها بالزنا)** أي منكرين تعلق قدرة الله تعالى بخلق ولد من غير والد، ومعتقد ذلك كافراً لأنه يلزم عليه القول بقدم العالم، لأن كل ولد لا بد له من والد وهكذا.

قوله: **﴿رَسُولَ اللَّهِ﴾** إن قلت: أنهم لم يعترفوا برسالته! بل كفروا به وقالوا هو ساحر ابن ساحرة. وأجيب: بأنهم قالوا ذلك تهكماً به، نظير قول فرعون لموسى إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون، وقول مشركي العرب في حق محمد: يا أيها الذي نزل عليه الذكر إنك لمجنون. وأجيب أيضاً: بأنه من كلامه تعالى مدحاً له وتنزيهاً له عن مقالتهم، فيكون منصوباً بفعل محذوف، أي أمدح رسول الله. قوله: **(في زعمهم)** متعلق بقوله: **﴿قَتَلْنَا﴾** والمناسب حذفه لأن تكذيبهم في القتل معلوم من قوله بعد: **﴿وَمَا قَتَلُوهُ﴾** وفي نسخة في زعمه بالإفراد، ويكون متعلقاً بقوله: **﴿رَسُولَ اللَّهِ﴾** وهي أولى.

قوله: **﴿وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ﴾** روي أن رهطاً من اليهود سبوه وأمه! فدعا عليهم فمسخهم الله قردة وخنازير، فاجتمعت اليهود على قتله، فأخبره الله بذلك، وكان له صاحب منافق، فقالوا له: اذهب إلى عيسى وأخرجه لنا، فلما دخل دار عيسى ألقى شبهه عليه، ورفع عيسى إلى السماء، فلما خرج إليهم قتلوه. قوله: **(بعيسى)** متعلق بشبه، وقوله: **(عليه)** أي الصاحب، وقوله: **(شبهه)** أي شبه عيسى. قوله: **(استثناء منقطع)** أي لأن إتباع الظن ليس من جنس العلم. قوله: **(مؤكدة لنفي القتل)** أي انتفى قتلهم له انتفاءً يقيناً لا شك فيه، فيلاحظ القيد بعد وجود النفي، فهو من باب تيقن العدم لا من عدم التيقن، ومحصله أنه نفي للقيد الذي هو اليقين، والمقيد الذي هو القتل، ويصح أن يكون حالاً من فاعل قتلوه أي ما فعلوا القتل في حال تيقنهم له، بل فعلوه شاكين فيه، وقيل منصوب بما بعد بل من قوله: **﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾** ورد بأن ما بعد بل لا يعمل فيما قبلها. قوله: **﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾** أي إلى محل رضاه وانفراد حكمه وهو السماء الثالثة، كما في الجامع الصغير، أو الثانية كما في بعض المعاريج. قوله: **(حين يعاين**

الساعة كما ورد في الحديث ﴿ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ ﴾ عيسى ﴿ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾ ﴿١٥٩﴾ بما فعلوه لما بعث إليهم ﴿ فَبِظُلْمٍ ﴾ أي فبسبب ظلم ﴿ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ ﴾ هم اليهود ﴿ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ ﴾ هي التي في قوله تعالى حرمنا كل ذي ظفر الآية ﴿وَبِصَدِّهِمْ ﴾ الناس ﴿ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ دينه صداً ﴿ كَثِيرًا ﴾ ﴿١٦٠﴾ في التوراة ﴿ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَقَدْ نُهُوا۟ عَنْهُ ﴾ في التوراة ﴿ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ ﴾ بالرشا في الحكم ﴿ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ ﴿١٦١﴾ مؤلماً ﴿ لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ ﴾ الثابتون ﴿ فِى ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ ﴾ كعبد الله بن سلام ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ المهاجرون والأنصار ﴿ يُؤْمِنُونَ بِمَآ

ملائكة الموت) روي أن اليهودي إذا حضره الموت ضربت الملائكة وجهه ودبره وقالوا له: يا عدو الله أتاك عيسى نبياً فكذبت به، فيقول آمنت بأنه عبد الله ورسوله، ويقال للنصراني: أتاك عيسى نبياً فزعمت أنه الله وابن الله، فيقول آمنت بأنه عبد الله، فأهل الكتاب يؤمنون به، ولكن لا ينفعهم إيمانهم لحصوله وقت معاينة العذاب. قوله: **(أو قبل موت عيسى)** هذا تفسير آخر وهو صحيح أيضاً، والمعنى أن عيسى حين ينزل إلى الأرض ما من أحد يكون من اليهود أو النصارى، أو ممن يعبد غير الله إلا آمن بعيسى، حتى تصير الملة كلها إسلامية. قوله: **﴿شَهِيداً﴾** أي فيشهد على اليهود بالتكذيب، وعلى النصارى بأنهم اعتقدوا فيه أنه ابن الله.

قوله: **﴿فَبِظُلْمٍ﴾** الجار والمجرور متعلق بحرمنا والباء سببية. قوله: **(هم اليهود)** سموا بذلك لأنهم هادوا بمعنى تابوا، ورجعوا عن عبادة العجل. قوله: **﴿أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾** صفة لطيبات، أي طيبات كانت حلال لهم، فلما حرمت عليهم، صاروا يقولون: لسنا بأول من حرمت عليه، بل كانت حراماً على من قبلنا! فرد الله عليهم بقوله: (كل الطعام كان حلاً لبني إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل على نفسه) الآية.
قوله: **﴿وَبِصَدِّهِمْ﴾** هذا تفصيل لبعض أنواع الظلم، وكرر الجار للفصل بين العاطف والمعطوف بقوله: **﴿حَرَّمْنَا﴾** ولم يكرره في قوله: ﴿وأخذهم الربا وأكلهم أموال الناس﴾ لعدم الفاصل. قوله: **(صداً)** **﴿كَثِيراً﴾** أشار بذلك إلى أن كثيراً صفة لموصوف محذوف مفعول مطلق لقوله صدهم، ويصح أن يكون المحذوف مفعولاً به والتقدير خلقاً كثيراً.
قوله: **﴿وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ﴾** الجملة حالية. قوله: **(بالرشا في الحكم)** جمع رشوة، وهي ما يعطيه الشخص للحاكم ليحكم له؟ والمقصود من ذكر هذه الأمور الاتعاظ بها؟ وبيان أنها حرام في شرعنا أيضاً، ففي الحديث: «كل لحم نبت من السحت فالنار أولى به، قالوا: وما السحت؟ قال: الرشوة في الحكم» فالحاكم لا يجوز له أن يأخذ شيئاً على حكمه، ومثله الضامن، وذو الجاه، والمقرض، ففي الحديث: «ثلاثة لا تكون إلا لله: القرض، والضمان، والجاه». قوله: **﴿مِنْهُمْ﴾** أي وممن حذا حذوهم. قوله: **﴿عَذَاباً أَلِيماً﴾** أي وهو الخلود في النار.

قوله: **﴿لَكِنِ الرَّاسِخُونَ﴾** استدراك على قوله: ﴿وأعتدنا للكافرين منهم عذاباً أليماً﴾ والمعنى من كان من اليهود، وفعل تلك الأفعال المتقدمة، وأصر على الكفر، ومات عليه، أعتدنا لهم عذاباً أليماً، وأما من كان من اليهود، غير أنه رسخ في العلم، وآمن وعمل صالحاً، فأولئك سنؤتيهم أجراً عظيماً، و **﴿الرَّاسِخُونَ﴾** مبتدأ، و **﴿فِي الْعِلْمِ﴾** متعلق به، وقوله: **﴿مِنْهُمْ﴾** متعلق بمحذوف حال من

﴿أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾ من الكتب ﴿وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ نصب على المدح وقرىء بالرفع ﴿وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ أُوْلَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ﴾ بالنون والياء ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ ﴿١٦٢﴾ هو الجنة ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ وَ ﴿ كما ﴿أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ﴾ ابنيه ﴿وَيَعْقُوبَ﴾ ابن اسحاق ﴿وَٱلْأَسْبَاطِ﴾ أولاده ﴿وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ

الراسخون. وقوله: ﴿أُولَئِكَ﴾ مبتدأ، و ﴿سَنُؤتِيهِمْ﴾ خبره، والجملة خبر الراسخون.

قوله: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ عطف على الراسخون عطف مفصل على مجمل، لأن الإيمان وما بعده متنوع ولازم للرسوخ في العلم، فنزل التغاير الاعتباري منزلة التغاير الذاتي، وهذا على أن المراد المؤمنون منهم وأما على أن المراد المؤمنون من غيرهم، أو ما هو أعم، فالمغايرة ظاهرة، وقوله: ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ الخ حال من المؤمنون والراسخون. قوله: ﴿بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾ أي وهو القرآن، وهذه الصفات للإيمان الكامل، فلا يكون الإنسان كامل الإيمان حتى يتصف بجميعها. قوله: **(نصب على المدح)** أي فتكون جملة معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه، وإنما نصبهم تعظيماً لشأنهم، وما قاله المفسر هو أحسن الأجوبة عن الآية، ويصح أنه معطوف على الكاف في إليك، ويكون المراد بالمقيمين الأنبياء، ويصح أنه معطوف على ما أنزل، ويكون المراد بالمقيمين الأنبياء والملائكة، ويصح أن يكون معطوفاً على الهاء في منهم، أي لكن الراسخون في العلم منهم ومن المقيمين. قوله: **(وقرىء بالرفع)** أي وعليها، فلا إشكال وهي شاذة وإن وردت عن كثير.

قوله: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ أي المصدقون بأن الله يجب له كل كمال، ويستحيل عليه كل نقص، وقوله: ﴿وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ أي يصدقون بأنه حق وما يقع فيه صدق. قوله: **(هو الجنة)** أي الخلود فيها، وهو مقابل قوله: **(واعتدنا لهم عذاباً أليماً)**.

قوله: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ قيل سبب نزولها أن مسكيناً وعدي بن زيد قالا: يا محمد ما نعلم أن الله أنزل على بشر من شيء من بعد موسى، وقيل هو جواب لقولهم: ﴿لن نؤمن لك حتى تنزل علينا كتاباً من السماء جملة واحدة﴾ فالمعنى أنكم تقرون بنبوة نوح وجميع الأنبياء المذكورين في الآية ولم ينزل على أحد من هؤلاء كتاباً جملة مثل ما أنزل على موسى، فقدم إنزال الكتاب جملة ليس قادحاً في نبوتهم، فكذلك محمد ﷺ.

قوله: ﴿كَمَا أَوْحَيْنَا﴾ يحتمل أن تكون ما مصدرية، والمعنى كوحينا، وأن تكون اسم موصول والعائد محذوف، والتقدير كالذي أوحيناه أي الأحكام التي أوحيناها إلى نوح الخ. قوله: ﴿إِلَى نُوحٍ﴾ قدمه لأنه أول نبي أرسله الله لينذر الناس من الشرك، وعاش ألف سنة وخمسين عاماً وهو صابر على أذى قومه، لم يشب فيها ولم تنقص قواه، وهو أول الأنبياء أولي العزم، وكان أبا البشر بعد آدم لانحصار الناس في ذريته. قوله: ﴿إِلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ خصه بعد نوح، لأن أكثر الأنبياء من ذريته وهو ابن تارخ، وقيل هو آزر، وقيل هو أخوه فآزر عم ابراهيم. قوله: ﴿وَإِسْمَاعِيلَ﴾ كان نبياً ورسولاً بمكة، ثم لما مات نقل إلى الشام. قوله: ﴿وَإِسْحَقَ﴾ كان رسولاً بالشام بعد اسماعيل ومات بها.

قوله: ﴿وَيَعْقُوبَ﴾ هو إسرائيل، ثم يوسف ابنه، ثم شعيب بن نويب، ثم هود بن عبد الله، ثم

وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ وَءَاتَيْنَا﴾ أباه ﴿دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾ ﴿١٦٣﴾ بالفتح اسم للكتاب المؤتى وبالضم مصدر بمعنى مزبوراً أي مكتوباً ﴿وَ﴾ أرسلنا ﴿رُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾ روي أنه تعالى بعث ثمانية آلاف نبي أربعة آلاف من بني إسرائيل وأربعة آلاف من سائر الناس قاله الشيخ في سورة غافر ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ﴾ بلا واسطة ﴿تَكْلِيمًا﴾ ﴿١٦٤﴾ ﴿رُّسُلًا﴾ بدل من رسلاً قبله

صالح بن آسف، ثم موسى وهارون ابنا عمران، ثم أيوب، ثم الخضر، ثم داود بن أيشا، ثم سليمان بن داود، ثم يونس بن متى، ثم الياس، ثم ذو الكفل، وكل نبي ذكر في القرآن فهو من ولد ابراهيم غير إدريس ونوح وهود ولوط وصالح، ولم يكن نبي من العرب إلا خمسة: هود وصالح واسماعيل وشعيب ومحمد ﷺ. قوله: **(ابنيه)** أي ابراهيم، اسماعيل من هاجر وإسحاق من سارة. قوله: **(أولاده)** أي أولاد يعقوب منهم يوسف نبي ورسول باتفاق وباقيهم فيه اختلاف، والصحيح نبوتهم وليسوا رسلاً مشرعين، ولذلك وقع منهم ما يخالف الشرع الظاهر للمصالح التي ترتبت على تلك المخالفة، وسيأتي ذلك في سورة يوسف.

قوله: **﴿وَيُونُسَ﴾** أي ابن متى، وفيه لغات ست بالواو والهمزة مع تثليث النون، والذي قرىء به في السبع ضم النون أو كسرها مع الواو، وقوله: **﴿وَهٰرُونَ﴾** أي أخي موسى. قوله: **(اسم للكتاب المؤتى)** أي وهو مائة وخمسون سورة، ليس فيها حكم ولا حلال ولا حرام، بل هو تسبيح وتقديس وتحميد وثناء ومواعظ، وكان داود عليه السلام يخرج إلى البرية فيقوم ويقرأ الزبور، وتقوم علماء بني إسرائيل خلفه، ويقوم الناس خلف العلماء، وتقوم الجن خلف الناس، والشياطين خلف الجن، وتجيء الدواب التي في الجبال فيقمن بين يديه، وترفرف الطيور على رؤوس الناس هم يستمعون لقراءة داود ويتعجبون منها، لأن الله أعطاه صوتاً حسناً، وقد ورد أن أبا موسى الأشعري كان يقرأ القرآن ليلاً بصوت حسن، فلما أصبح قال له رسول الله ﷺ قد أعجبتني قراءتك الليلة، كأنك أعطيت مزماراً من مزامير داود، فقال أبو موسى: لو علمت بك لحبرته لك تحبيراً. قوله: **(وبالضم)** أي فهما قراءتان سبعيتان.

قوله: **﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ﴾** الخ، هذا رد لقول اليهود للمصطفى عليه الصلاة والسلام: إنك لم تذكر موسى مع ما عددته من الأنبياء، فهذا دليل على عدم رسالتك، فرد ذلك الله بهذه الآية وبما بعدها. قوله: **(روي أنه تعالى الخ)** هذه الرواية ضعيفة، فلذا تبرأ منها المفسر، والرواية المشهورة أن الأنبياء مائة ألف، وفي رواية مائتا ألف وأربعة وعشرون ألفاً الرسل منهم ثلثمائة وثلاثة عشر أو أربعة عشر أو خمسة عشر، وبعد ذلك فالحق أنه لم يبلغنا عددهم على الصحيح، وإنما هي أحاديث مختلفة تقبل الطعن كما أفاده الأشياخ. قوله: **(قاله الشيخ)** أي الجلال المحلي، وقوله: **(في سورة غافر)** أي في قوله تعالى: ﴿ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك﴾.

قوله: **﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى﴾** أي أزال عنه الحجاب فسمع كلام الله، وليس المراد أن الله كان ساكتاً ثم تكلم، لأن ذلك مستحيل على الله تعالى. قوله: **﴿تَكْلِيماً﴾** مصدر مؤكد لقوله كلم، وإنما أكد رفعاً لاحتمال المجاز، لأن الله كلم موسى بكلامه الأزلي القديم، من غير حرف ولا صوت ولا كيف ولا انحصار، ولا يعلم الله إلا الله. قوله: **﴿لِئَلَّا يَكُونَ﴾** هذه اللام لام كي متعلقة بمنذرين وأضمر في الأول

﴿ مُبَشِّرِينَ ﴾ بالثواب من آمن ﴿ وَمُنذِرِينَ ﴾ بالعقاب من كفر أرسلناهم ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌ ﴾ تقال ﴿بَعْدَ﴾ إرسال ﴿ٱلرُّسُلِ﴾ إليهم فيقولوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولاً فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين فبعثناهم لقطع عذرهم ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا﴾ في ملكه ﴿ حَكِيمًا ﴾ ﴿١٦٥﴾ في صنعه. ونزل لما سئل اليهود عن نبوته ﷺ فأنكروه ﴿ لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ ﴾ يبين نبوتك ﴿ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ ﴾ من القرآن المعجز ﴿أَنزَلَهُۥ﴾ ملتبساً ﴿بِعِلْمِهِۦ ﴾ أي عالماً به أو وفيه علمه ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ

وحذف، وهذا هو الأولى، ويحتمل أنه متعلق بمحذوف تقديره (**أرسلناهم**) وعلى ذلك درج المفسر، إلا أن يقال إنه حل معنى لا حل إعراب. قوله: ﴿**حُجَّةٌ**﴾ أي معذرة يعتذرون بها، وسماها الله حجة تفضلاً منه وكرماً، فأهل الفترة ناجون ولو بدلوا وغيروا، قال تعالى: ﴿وما كنّا معذبين حتى نبعث رسولاً﴾ وقال تعالى: ﴿ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولاً﴾ الآية، وما ورد من تعذيب بعض أفراد من أهل الفترة، فأحاديث آحاد لا تقاوم القطعيات، كما أفاده أشياخنا المحققون.

قوله: ﴿**بَعْدَ الرُّسُلِ**﴾ أي وإنزال الكتب، والمعنى لو لم يرسل الله رسولاً لكان للناس عذر في ترك التوحيد فقطع الله عذرهم بإرسال الرسل، والظرف متعلق بالنفي، أي انتفت حجتهم واعتذارهم بعد إرسال الرسل، وأما قبل الإرسال فكانوا يعتذرون، فإن قلت: كيف يكون للناس حجة قبل الرسل، مع قيام الأدلة التي تدل على معرفة الله ووحدانيته كما قيل:

وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ الْوَاحِدُ

أجيب: بأن الله لا يكلفنا بذلك بمجرد العقل، بل لا بد من ضميمة الرسل التي تنبه على الأدلة، وشاهده هذه الآية، وقوله تعالى: ﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً﴾ فلذلك قال أهل السنة: إن معرفة الله لا تثبت إلا بالشرع، خلافاً للمعتزلة. قوله: (**لولا أرسلت**) لولا للتحضيض وهو الطلب بحث وإزعاج، ولكن المراد بها هنا العرض وهو الطلب بلين ورفق. قوله: ﴿**عَزِيزاً**﴾ أي غالباً قاهراً لغيره منفرداً بالإيجاد والإعدام، وقوله: ﴿**حَكِيماً**﴾ أي يضع الشيء في محله. قوله: (**ونزل لما سئل اليهود**) أي حين قال النبي ﷺ لليهود: «أنتم تشهدون بأني مذكور في كتبكم»، فقالوا: لا نشهد بذلك، وما نعلم من بشر أوحي إليه بعد موسى، وقيل إن السائل مشركو العرب حيث قالوا للنبي: إنّا نسأل اليهود عنك وعن صفتك في كتابهم، فزعموا أنهم لا يعرفونك فنزلت، والمعنى أن أنكروك وكفروا ما أنزل إليك، فقد كذبوا فيما قالوا، لأن الله يشهد لك بالنبوة والرسالة، ويشهد بما أنزل إليك.

قوله: ﴿**لٰكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ**﴾ استدراك على ما ذكر في سبب النزول. قوله: (**من القرآن المعجز**) أي لكل مخلوق، ولم ينزل كتاب معجز يتحدى به على نبي من الأنبياء غير نبينا. قوله: ﴿**أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ**﴾ أشار المفسر إلى أن الباء للملابسة أو بمعنى في، والمعنى على الأول أنزله ملتبساً بعلمه، أي وهو عالم به، لأن التأليف يحسن على قدر علم مؤلفه، فحيث كان هذا القرآن ناشئاً عن علم الله التام المتعلق بكل شيء، كان في أعلى طبقات البلاغة، فلا يمكن أحداً غيره الإتيان بشيء منه، والمعنى على الثاني أنزله، والحال أن فيه علمه أي معلوماته الغيبية، بمعنى أنه مشتمل على المغيبات، وعلى مصالح الخلق وما يحتاجون إليه، فحيث اشتمل على ذلك فهو شاهد صدق على

يَشْهَدُونَ﴾ لك أيضاً ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ ﴿١٦٦﴾ على ذلك ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بالله ﴿وَصَدُّواْ﴾ الناس ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ دين الإسلام بكتمهم نعت محمد ﷺ وهم اليهود ﴿قَدْ ضَلُّواْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ ﴿١٦٧﴾ عن الحق ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بالله ﴿وَظَلَمُواْ﴾ نبيه بكتمان نعته ﴿لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا﴾ ﴿١٦٨﴾ من الطرق ﴿إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ﴾ أي الطريق المودي إليها ﴿خَٰلِدِينَ﴾ مقدرين الخلود ﴿فِيهَآ﴾ إذا دخلوها ﴿أَبَدًاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾ ﴿١٦٩﴾ هيناً ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ أي أهل مكة ﴿قَدْ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ﴾ محمد ﷺ ﴿بِٱلْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَـَٔامِنُواْ﴾ به واقصدوا ﴿خَيْرًا لَّكُمْۚ﴾ مما أنتم فيه ﴿وَإِن تَكْفُرُواْ﴾ به ﴿فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ﴾ ملكاً وخلقاً وعبيداً فلا يضره كفركم ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا﴾ بخلقه ﴿حَكِيمًا﴾ ﴿١٧٠﴾ في صنعه بهم ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ الإنجيل ﴿لَا تَغْلُواْ﴾ تتجاوزوا الحد ﴿فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا﴾ القول ﴿ٱلْحَقَّۚ﴾ من تنزيهه عن الشريك والولد ﴿إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ﴾

أنه من عند الله، وإنما خص القرآن بالذكر لأن إنكارهم وتعرضهم كان له، ولأنه أكبر معجزاته.

قوله: ﴿**وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً**﴾ لفظ الجلالة فاعل كفى، والباء زائدة، وشهيداً حال، وقوله: (**على ذلك**) أي على صحة نبوتك، والمعنى أن شهادة الله تغنيك وتكفيك. قوله: ﴿**وَصَدُّوا عن سبيل الله**﴾ أي منعوا الناس من طريق الهدى. قوله: ﴿**ضَلالاً بَعِيداً**﴾ أي لأنهم ضلوا في أنفسهم وأضلوا غيرهم، ومن كان هذا وصفه يبعد عنه الهدى. قوله: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا**﴾ أي وهم اليهود. قوله: ﴿**لَمْ يَكُنْ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ**﴾ أي مريداً ليغفر لهم حيث ماتوا على الكفر. قوله: ﴿**إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ**﴾ استثناء متصل لأنه مستثنى من عموم الطرق، والمراد بجهنم الدار المسماة الحطمة، والمعنى أنهم لا يهتدون إلى طريق الرشاد أبداً، بل دائماً أعمالهم تجرهم إلى طريق جهنم. قوله: ﴿**وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيراً**﴾ رد بذلك عليهم حيث زعموا وقالوا: ﴿نحن أبناء الله وأحباؤه﴾ ولا يهون عليه أن يعذب أحباؤه. قوله: (**أي أهل مكة**) جري على القاعدة، وهو أن المخاطب بيا أيها الناس أهل مكة، ولكن المراد العموم.

قوله: ﴿**بِالحَقِّ**﴾ متعلق بجاء، وقوله: ﴿**مِنْ رَبِّكُمْ**﴾ متعلق بمحذوف حال من الحق، أي جاءكم بالحق حال كونه من ربكم. قوله: (**واقصدوا**) ﴿**خَيْراً**﴾ أشار بذلك إلى أن قوله خيراً مفعول لمحذوف، ويصح أن يكون خبراً لكان المحذوفة، والتقدير آمنوا يكن الإيمان خيراً وهو الأقرب. وقوله: (**مما أنتم فيه**) أي وهو الكفر على حسب زعمكم أن فيه خيراً، وإلا فالكفر لا خير فيه. قوله: (**لا يضره كفركم**) قدره إشارة إلى أن جواب الشرط محذوف، وقوله: ﴿**فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ**﴾ دليل الجواب. قوله: ﴿**حَكِيماً**﴾ (**في صنعه**) أي لا يصنع شيئاً إلا محكماً متقناً. قوله: (**الإنجيل**) أي فالخطاب للنصارى فقط، ويحتمل أنه خطاب لليهود والنصارى، لأن غلو اليهود بتنقيص عيسى حيث قالوا إنه ابن زانية، وغلو النصارى بالمبالغة في تعظيمه حيث جعلوه ابن الله. قوله: ﴿**إِلَّا**﴾ (**القول**) ﴿**الْحَقَّ**﴾ أشار بذلك إلى أنه صفة لمصدر محذوف.

أوصلها الله ﴿إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ﴾ أي ذو روح ﴿مِّنْهُ﴾ أضيف إليه تعالى تشريفاً له وليس كما زعمتم أنه ابن الله أو إلهاً معه أو ثالث ثلاثة لأن ذا الروح مركب والإله منزه عن التركيب وعن نسبة المركب إليه ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُوا۟﴾ الآلهة ﴿ثَلَٰثَةٌ﴾ الله وعيسى وأمه ﴿ٱنتَهُوا۟﴾ عن ذلك وائتوا ﴿خَيْرًا لَّكُمْ﴾ منه وهو التوحيد ﴿إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ﴾ تنزيهاً له عن ﴿أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ خلقاً وملكاً وعبيداً والملكية تنافي النبوة ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ ﴿١٧١﴾ شهيداً على ذلك ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ﴾ يتكبر ويأنف ﴿ٱلْمَسِيحُ﴾ الذي زعمتم أنه إله عن ﴿أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ عند الله لا يستنكفون أن يكونوا عبيداً وهذا من أحسن الاستطراد ذكر للرد على من زعم أنها آلهة أو بنات الله كما رد بما قبله على النصارى الزاعمين ذلك

قوله: ﴿**إِنَّمَا المَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ**﴾ المسيح مبتدأ، وعيسى بدل أو عطف بيان عليه، وابن مريم صفته، ورسول الله خبره. قوله: ﴿**وَكَلِمَتُهُ**﴾ أي أنه نشأ بكلمة كن، من غير واسطة أب ولا نطفة، وقوله: ﴿**أَلْقَاهَا**﴾ أي بنفخ جبريل في جيب درعها، فحصل النفخ إلى فرجها فحملت به. قوله: ﴿**وَرُوحٌ مِنْهُ**﴾ سمي بذلك لأنه حصل من الريح الحاصل من نفخ جبريل، روي أن الله تعالى لما خلق أرواح البشر جعلها في صلب آدم عليه السلام، وأمسك عنده روح عيسى، فلما أراد الله أن يخلقه، أرسل بروحه مع جبريل إلى مريم، فنفخ في جيب درعها فحملت بعيسى. قوله: ﴿**مِنْهُ**﴾ أي نشأت وخلقت، فمن ابتدائية لا تبغيضية كما زعمت النصارى. حكي أن طبيباً حاذقاً نصرانياً جاء للرشيد، فناظر علي بن الحسين الواقدي ذات يوم، فقال له: إن في كتابكم ما يدل على أن عيسى جزء من الله وتلا هذه الآية، فقرأ الواقدي له: ﴿وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه﴾ فقال: إذن يلزم أن تكون جميع الأشياء جزءاً منه سبحنه، فبهت النصراني وأسلم، وفرح الرشيد فرحاً شديداً، وأعطى الواقدي صلة فاخرة. قوله: (**أنه ابن الله الخ**) أشار بذلك إلى أنهم فرق ثلاثة: فرقة تقول إنه ابن الله، وفرقة تقول إنهما إلهان الله وعيسى، وفرقة تقول الآلهة ثلاثة: الله وعيسى وأمه. قوله: (**لأن ذا الروح مركب**) أشار بذلك إلى قياس من الشكل الأول، وتقريره أن تقول عيسى ذو روح، وكل ذي روح مركب، وكل مركب لا يكون إلهاً ينتج عيسى لا يكون إلهاً. قوله: (**الآلهة**) ﴿**ثَلَاثَةٌ**﴾ أشار بذلك إلى أن ثلاثة خبر لمحذوف، والجملة مقول القول. قوله: (**وائتوا**) ﴿**خَيْراً**﴾ أي اقصدوه، ويصح أن يكون خبراً لكان المحذوفة، أي يكن الانتهاء خيراً قوله: (**منه**) أي مما ادعيتموه، وقوله: (**وهو التوحيد**) بيان للخير.

قوله: ﴿**لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ**﴾ أي فإذا كان يملك جميع ما فيهما ومن جملة ذلك، عيسى، فكيف يتوهم كون عيسى ابن الله، فهذه الجملة تعليل لقوله سبحانه. قوله: ﴿**لَنْ يَسْتَنْكِفَ المَسِيحُ**﴾ سبب نزولها أن وفد نجران قالوا يا محمد إنك تعيب صاحبنا فتقول إنه عبد الله، فقال رسول الله: إنه ليس بعار على عيسى أن يكون عبد الله، فنزلت. قوله: (**عن**) ﴿**أَنْ يَكُونَ**﴾ أشار بذلك إلى أنه حذف الجار من أن، والمعنى لن يستنكف المسيح عن كونه عبد الله. قوله: (**وهذا من أحسن الاستطراد**) أي قوله: ﴿**وَلَا المَلَائِكَةُ المُقَرَّبُونَ**﴾ لأن الاستطراد ذكر الشيء في غير محله لمناسبة، والمناسبة هنا الرد على النصارى في عيسى، فناسب أن يرد على المشركين في قولهم الملائكة بنات الله.

المقصود خطابهم ﴿وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا﴾ ﴿١٧٢﴾ في الآخرة ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ﴾ ثواب أعمالهم ﴿وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾ ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْتَنكَفُوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟﴾ عن عبادته ﴿فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ مؤلماً هو عذاب النار ﴿وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي غيره ﴿وَلِيًّا﴾ يدفعه عنهم ﴿وَلَا نَصِيرًا﴾ ﴿١٧٣﴾ يمنعهم منه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ﴾ حجة ﴿مِّن رَّبِّكُمْ﴾ عليكم وهو النبي ﷺ ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ ﴿١٧٤﴾ بيناً وهو القرآن ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِهِۦ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَٰطًا﴾ طريقاً ﴿مُّسْتَقِيمًا﴾ ﴿١٧٥﴾ هو دين الإسلام ﴿يَسْتَفْتُونَكَ﴾ في الكلالة ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ ۚ إِنِ

قوله: **﴿وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ﴾** من اسم شرط، ويستنكف فعل الشرط، ويستكبر معطوف عليه، وقوله: **﴿فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعاً﴾** جوابه، ولكن لما كان فيه إجمال فصله بما بعده، وجميعاً حال من الهاء في يحشرهم، والمعنى أنه يحشر المستنكفين وغيرهم. قوله: **﴿وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾** أي فوق مضاعفة أعمالهم. قوله: **﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾** العبرة بعموم اللفظ، وإن كان السياق لأهل مكة. قوله: **﴿مِنْ رَبِّكُمْ﴾** الجار والمجرور متعلق بمحذوف صفة لبرهان، أو ظرف لغو متعلق بجاء. قوله: **(عليكم)** أي إن خالفتم ولكم إن أطعتم. قوله: **(وهو القرآن)** أي فالعطف مغاير، ويصح أن يراد بالبرهان النبي وما جاء به، ويراد بالنور المبين القرآن، ويكون عطف خاص على عام، والنكتة الاعتناء بشأن القرآن، وما مشى عليه المفسر أسهل لعدم الكلفة.

قوله: **﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا﴾** الخ، أي فمنهم من آمن ومنهم من كفر، فأما الذين آمنوا الخ، وترك الشق الثاني لأنهم مهملون ولا يعتني بهم، وأيضاً قد تقدم ذكرهم فتركهم اتكالاً على ما تقدم، وأعاد ذكر المؤمنين ثانياً تعجيلاً للمسرة والفرح، وتعظيماً لشأنهم. قوله: **﴿وَاعْتَصِمُوا بِهِ﴾** أي تمسكوا به. قوله: **﴿فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ﴾** أي وهي الجنة، من باب تسمية المحل باسم الحال فيه، وقوله: **﴿وَفَضْلٍ﴾** أي إحسان وإكرام وزيادة إنعام، وهو رؤية وجه الله الكريم ودوام رضاه. قوله: **﴿وَيَهْدِيهِمْ﴾** عطف سبب على مسبب، لأن سبب الجنة هو الهدى في الدنيا.

قوله: **﴿يَسْتَفْتُونَكَ﴾** ختم هذه السورة بهذه الآية لاشتمالها على الميراث، كما ابتدأها بذلك للمشاكلة بين المبدأ والختام، وجملة ما ذكر في هذه السورة من المواريث ثلاثة مواضع، الأول: في ميراث الأصول والفروع وهو قوله: ﴿يوصيكم الله في أولادكم﴾ إلى آخر الربع. الثاني: ميراث الزوجين والإخوة والأخوات للأم وهو قوله: ﴿ولكم نصف ما ترك﴾ إلى قوله: ﴿غير مضار﴾. الثالث: ميراث الإخوة والأخوات الأشقاء أو لأب وهو هذه الآية، وأما أولو الأرحام فسيأتي ذكرهم في آخر الأنفال. وسبب نزول هذه الآية أن جابر بن عبد الله تمرض، فذهب رسول الله ﷺ وأبو بكر ليعوداه ماشيين، فلما دخلا عليه وجداه مغمى عليه، فتوضأ رسول الله ثم صب عليه من وضوئه فأفاق، فقال: يا رسول الله كيف أصنع في مالي: فلم يرد عليه حتى نزلت الآية، وكان له تسع أخوات وقيل سبع. قوله: **﴿فِي الكَلَالَةِ﴾** تنازعه

﴿ٱمۡرُؤٌاْ﴾ مرفوع بفعل يفسره ﴿هَلَكَ﴾ مات ﴿لَيۡسَ لَهُۥ وَلَدٞ﴾ أي ولا والد وهو الكلالة ﴿وَلَهُۥٓ أُخۡتٞ﴾ من أبوين أو أب ﴿فَلَهَا نِصۡفُ مَا تَرَكَۚ وَهُوَ﴾ أي الأخ كذلك ﴿يَرِثُهَآ﴾ جميع ماتركت ﴿إِن لَّمۡ يَكُن لَّهَا وَلَدٞۚ﴾ فإن كان لها ولد ذكر فلا شيء له أو أنثى فله ما فضل عن نصيبها ولو كانت الأخت أو الأخ من أم ففرضه السدس كما تقدم أول السورة ﴿فَإِن كَانَتَا﴾ أي الأختان ﴿ٱثۡنَتَيۡنِ﴾ أي فصاعداً لأنها نزلت في جابر وقد مات عن أخوات ﴿فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَۚ﴾ الأخ ﴿وَإِن كَانُوٓاْ﴾ أي الورثة ﴿إِخۡوَةٗ رِّجَالٗا وَنِسَآءٗ فَلِلذَّكَرِ﴾ منهم ﴿مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۗ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ﴾ شرائع دينكم ﴿أَن﴾ لا ﴿تَضِلُّواْۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ﴾ ﴿١٧٦﴾ ومنه الميراث روى الشيخان عن البراء أنها آخر آية

كل من يستفتونك ويفتيكم فأعمل الثاني وأضمر في الأول وحذف، وهكذا كل ما جاء في القرآن من التنازع كقوله تعالى: ﴿أتوني أفرغ عليه قطراً﴾ ﴿هاؤم اقرؤوا كتابيه﴾ وبهذا أخذ البصريـون، وتقدم أن الكلالة هي أن يموت الميت وليس له فرع ولا أصل، وهو أصح الأقوال فيها.

قوله: ﴿إِنَّ امْرُؤٌ﴾ هذه الجملة مستأنفة واقعة في جواب سؤال مقدر تقديره وما تفسير الكلالة وما الحكم فيها، فالوقف على الكلالة. قوله: (مرفوع بفعل يفسره) ﴿هَلَكَ﴾ أي فهو من باب الاشتغال، وإنما لم يجعل امرؤ مبتدأ أو جملة **هلك** خبره، لأن إن الشرطية لا يليها إلا الفعل ولو تقديراً. قوله: ﴿لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ﴾ الجملة في محل رفع صفة لامرؤ، ولا يصح أن تكون حالاً منه لأنه نكرة، ولم يوجد له مسوغ لأن **هلك** ليس صفة له، وإنما هو مفسر للفعل المحذوف فتأمل. قوله: **(أي ولا والد)** أخذ هذا من توريث الأخت لأنها لا ترث مع وجوده. قوله: **(من أبوين)** أي وهي الشقيقة. قوله: ﴿وَهُوَ﴾ الضمير عائد على لفظ امرؤ لا على معناه، على حد: عندي درهم ونصفه، والمعنى أن ذلك على سبيل الفرض والتقدير، أي أن فرض موته دونها فلها النصف، وإن فرض موتها دونه فله المال كله، إن لم يكن لها فرع وارث. قوله: **(أو أنثى)** أي واحدة أو متعددة، وقوله: **(فله ما فضل عن نصيبها)** أي وهو النصف في الأولى والثلث في الثانية. قوله: **(كما تقدم أول السورة)** أي في قوله: ﴿وإن كان رجل يورث كلالة﴾ الآية. قوله: **(وقد مات عن أخوات)** جملة مستأنفة مقيدة لما قبلها لا أنها حالية، لأن جابراً عاش بعده ﷺ، بل قيل إنه آخر الصحابة موتاً بالمدينة، وقوله: **(عن أخوات)** قيل تسع وقيل سبع.

قوله: ﴿وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً﴾ أي وأخوات ففيه تغليب الذكور على الإناث. قوله: **(شرائع دينكم)** قدره إشارة إلى أن مفعول ﴿يُبَيِّنُ﴾ محذوف. قوله: ﴿أَنْ﴾ **(لا)** ﴿تَضِلُّوا﴾ إشارة بذلك إلى أنه مفعول لأجله ولا مقدرة، والمعنى يبين لكم الشرائع لأجل عدم ضلالكم، نظير قوله تعالى: ﴿إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا﴾ أي لئلا تزولا، ويصح أن يكون المحذوف مضافاً، والتقدير كراهة أن تضلوا. قوله: ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ كالعلة لما قبله، وقد ختم هذه السورة ببيان كمال العلم وسعته، كما ابتدأها بسعة قدرته وكمال تنزهه، وذلك يدل على اختصاصه بالربوبية والألوهية. قوله: **(أي من الفرائض)** دفع بذلك ما يقال إن آخر آية نزلت على الإطلاق (واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله) فإنها نزلت

نزلت أي من الفرائض.

قبل موت رسول الله بأحد وعشرين يوماً، ونزل قبلها آية الربا، وقبلها ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾ وقبلها آية الكلالة فهي من الأواخر، إذا علمت ذلك فقول المفسر: **(أي من الفرائض)** غير متعين، بل يصح أن يكون آخراً نسبياً.

* * *

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سُورَةُ المَائِدَةِ

مدنيّة

وآياتها عشرون ومائة

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ﴾ العهود المؤكدة التي بينكم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سورة المائدة مدنية
مائة وعشرون أو وثنتان أو وثلاث آية

وجه المناسبة بينها وبين ما قبلها أنه حيث وعدنا الله بالبيان كراهة وقوع الضلال منا، تمّم ذلك الوعد بذكر هذه السورة، فإن فيها أحكاماً لم تكن في غيرها، قال البغوي عن ميسرة قال: إن الله تعالى أنـزل في هذه السـورة ثمانية عشر حكماً، لم تنزل في غيرها من سورة القرآن، وهي: ﴿المنخنقة والموقـوذة والمتردية وما أكل السبع إلا مـا ذكيتم وما ذبح على النصب وأن تستقسموا بـالأزلام﴾، ﴿وما علمتم من الجـوارح مكلبين﴾، ﴿وطعـام الذين أوتوا الكتاب حل لكم﴾، ﴿والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب﴾، وتمام بيان الطهـر في قولـه: ﴿إذا قمتم إلى الصلاة﴾، ﴿والسارق والسارقة﴾، ﴿ولا تقتلوا الصيد وأنتم حرم﴾، ﴿مـا جعل الله من بحـيرة ولا سائبـة ولا وصيلة ولا حام﴾، وقوله: ﴿شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت﴾.

قوله: (مدنية) أي نزلت بعد الهجرة، وإن كان بعضها نزل بمكة، كقوله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله﴾ فإنها نزلت عام الفتح، وقوله تعالى: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾ فإنها نزلت بعرفة في حجة الوداع، والنبي ﷺ واقف بعرفة فقرأها النبي في خطبته وقال: «يا أيها الناس إن سورة المائدة من آخر القرآن نزولاً، فأحلوا حلالها، وحرموا حرامها»، وإنما خصها بذلك، وإن كان كل سورة يجب تحليل حلالها، وتحريم حرامها اعتناء بشأنها.

قوله: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا**﴾ العبرة بعموم اللفظ، وإن كان الخطاب لأهل المدينة. قوله: ﴿**أَوْفُوا بِالْعُقُودِ**﴾ أي ما عقده الله وعهده عليكم من التكاليف والأحكام الدينية، ومن هنا قالوا أمـور الدين أربعة: الصحة في العقد، والصدق في القصد، والوفاء بالعهد، واجتناب الحد. قوله: (**العهود**) أشار بذلك إلى أن المراد بالعقد، العقد المعنوي، وهو العهد المشبه بعقد الحبل، وقوله: (**المؤكدة**) أخذ ذلك

وبين الله والناس ﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ الإبل والبقر والغنم أكلاً بعد الذبح ﴿إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ تحريمه في حرمت عليكم الميتة الآية فالاستثناء منقطع ويجوز أن يكون متصلاً والتحريم لما عرض من الموت ونحوه ﴿غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ﴾ أي محرمون ونصب غير على الحال من ضمير لكم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ ۝١ من التحليل وغيره لا اعتراض عليه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟

من قوله العقود، لأن معنى العقد هو العهد المؤكد. قوله: **(التي بينكم وبين الله)** أي كالمأمورات والمنهيات، فالوفاء بالمأمورات فعلها، والوفاء بالمنهيات تركها، ودخل في قوله: **(وبين الله)** العهد الواقع بين العبد وبين رسول الله ﷺ، فيجب على الإنسان الوفاء به، بأن يؤمن به، ويصدق بما جاء به، ويعظمه ويحترمه، ولا يخالف ما أمره به أصلاً. قوله: **(وبين الناس)** أي كالمعاملات: من بيع وشراء ونكاح وطلاق وتمليك وتخيير وعتق ودين ووديعة وصلح، ومن ذلك أيضاً: احترام المؤمنين وتعظيمهم وعدم غيبتهم وإيذائهم والنميمة والكذب عليهم، ومن ذلك أيضاً: وفاء المريدين بعهود المشايخ على مصطلح الصوفية.

قوله: **﴿أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الأَنْعَامِ﴾** كلام مستأنف مسوق لبيان امتنان الله علينا، حيث أحل لنا أشياء لم تكن لليهود، وبنى الفعل للمجهول للعلم بفاعله وهو الله، وإضافة بهيمة للأنعام على معنى من كثوب خز، لأن البهيمة كما في القاموس كل ذات أربع قوائم، ولو من حيوان الماء أو كل حي لا يميز. قوله: **(بعد الذبح)** مراده ما يشمل النحر، ولو قال بعد التزكية لكان أشمل.

قوله: **﴿إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ﴾** أي وهو عشرة أشياء، أولها الميتة، وآخرها وما ذبح على النصب فقوله: **(الآية)** أي إلى قوله وما ذبح على النصب. قوله: **(فالاستثناء منقطع)** أي لأن ما قبل إلا فيها أحل، وما بعدها فيها حرم، وقوله: **(والتحريم لما عرض)** أي فهو كان حلالاً بحسب الأصل، فهو استثناء حلال من حلال، هكذا يؤخذ من عبارة المفسر، وفيه أنه يلزم عليه أن كل استثناء منقطع لأن ما بعد إلا دائماً مخالف لما قبلها، منقطعاً أو متصلاً، مع أنهم قالوا إن الاستثناء المتصل أن يكون المستثنى من جنس المستثنى منه، والمنقطع أن يكون من غير جنسه، والمخالفة في الحكم لا بد منها على كل، فالأحسن أن يقال إن الانقطاع من حيث إن المستثنى لفظ وهو قوله: **﴿مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ﴾** المستثنى منه ذات وهو بهيمة الأنعام، ولا شك أنه من غير جنسه، ويمكن أن يكون متصلاً بتقدير مضاف، والتقدير إلا محرم ما يتلى.

قوله: **﴿غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ﴾** أي غير محلين للصيد بمعنى معتقدين حله، وقوله: **(أي محرمون)** أي أو في الحرم، فيحرم صيد الأنعام الوحشية، بل الصيد مطلقاً أنعاماً أو غيرها، وهو تقييد لقوله: **﴿أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الأنعامِ﴾** كأن الله قال أحل الله لكم بهيمة الأنعام كلها، والوحشية أيضاً، من الظباء والبقر والحمر، إلا صيد الوحشي منها أو من غيرها وأنتم محرمون، فلا يجوز فعله ولا اعتقاد حله. قوله: **(ونصب غير على الحال من ضمير لكم)** أي وقوله: **﴿وَأَنْتُمْ حُرُمٌ﴾** حال من الضمير في **﴿مُحِلِّي﴾**.

قوله: **﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾** كالعلة لما قبله، أي فالأحكام صادرة من الله على حسب إرادته، فلا اعتراض عليه، ولا معقب لحكمه، وهذا مما يرد على المعتزلة القائلين بوجوب الصلاح والأصلح.

﴿لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ﴾ جمع شعيرة أي معالم دينه بالصيد في الإحرام ﴿وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ﴾ بالقتال فيه ﴿وَلَا الْهَدْيَ﴾ ما أهدى إلى الحرم من النعم بالتعرض له ﴿وَلَا الْقَلَائِدَ﴾ جمع قلادة وهي ما كان يقلد به شجر الحرم ليأمن أي فلا تتعرضوا لها ولا لأصحابها ﴿وَلَا﴾ تحلوا ﴿آمِّينَ﴾ قاصدين ﴿الْبَيْتَ الْحَرَامَ﴾ بأن تقاتلوهم ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا﴾ رزقاً ﴿مِنْ رَبِّهِمْ﴾ بالتجارة ﴿وَرِضْوَانًا﴾ منه بقصده بزعمهم الفاسد وهذا منسوخ بآية براءة ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ﴾ من الإحرام ﴿فَاصْطَادُوا﴾ أمر

قوله: (**أي معالم دينه**) أي العلامات الدالة على دينه من مأمورات ومنهيات، والمعنى لا تتهاونوا بمعالم دينه، وقوله: (**بالصيد في الإحرام**) خصه لقرينة ما قبله وما بعده، وإلا فاللفظ عام كقوله: (أوفوا بالعقود) فأولاً أمرنا بالوفاء بها، وثانياً نهانا عن التفريط والتهاون بالشعائر، وهي كناية عن معالم الدين والإحلال، تارة يكون بالفعل أو الاعتقاد.

قوله: ﴿**وَلَا الشَّهْرَ الحَرَامَ**﴾ هو وما بعده من عطف الخاص على العام، اعتناء بشأن تلك الأمور. قوله: (**بالقتال فيه**) سيأتي للمفسر أنه منسوخ بآية براءة، وإن حمل على غير القتال كالظلم مثلاً فليس بمنسوخ، قال تعالى: ﴿فلا تظلموا فيهن أنفسكم﴾. قوله: (**ما أهدى إلى الحرام**) إن حمل على هدايا الكفار فهو منسوخ بقوله تعالى: ﴿فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا﴾ وبقوله: ﴿فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم﴾ وسبب ذلك أن رجلاً من ربيعة يقال له الحطم سريح بن هند أتى المدينة وترك خيله وجيوشه، وجاء رسول الله بنفسه، وقد كان أخبرهم النبي به فقال: الوجه وجه كافر والقفا قفا غادر، فلما وصل النبي ﷺ قال له: يا محمد ما تأمرنا به؟ فقال: «شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة». فقال حسن إلا أن لي أمراء لا أقطع أمراً دونهم، ولعلي أسلم وآتي بهم، فلما خرج استاق جملة من غنم أهل المدينة وإبلهم، فلما كان في العام القابل، جاء ومعه تلك الإبل والغنم قد ساقها وهو مع بني بكر، وهم أصحاب حلف للنبي عليه الصلاة والسلام، فأحب أصحاب رسول الله أن يأخذوها منه، فنزلت الآية. قوله: (**أي فلا تتعرضوا لها**) أي للقلائد، وهي ما قلد به من شجر الحرم، وقوله: (**ولا لأصحابها**) أي الهدايا المقلدات، والنهي عن التعرض للقلائد مبالغة عن التعرض للهدايا على حد، ولا يبدين زينتهن، لأنه إذا نهى عن إبداء الزينة، فما بالك بالجسم الموضع فيه الزينة، ويحتمل أن معنى قوله أو لأصحابها أي الرجال المقلدين، لأنهم كانوا في الجاهلية إذا أرادوا الخروج من الحرم، قلدوا أنفسهم بخشبة من شجر الحرم فلا يتعرض لهم، فتحصل أن المعنى لا تتعرضوا للهدي وإن لم يكن مقلداً، ولا للقلادة من المقلد، بل ولا للمقلد من الهدايا أو الرجال. قوله: ﴿آمِّينَ﴾ أي قوماً آمين.

قوله: ﴿**يَبْتَغُونَ فَضْلاً**﴾ حال من الضمير في آمين. قوله: (**وهذا منسوخ**) أي قوله: ولا الشهر الحرام، ولا الهدي، ولا القلائد، ولا آمين البيت الحرام. وقوله: (**بآية براءة**) أي جنسها، إذ الناسخ أكثر من آية، فالمنسوخ ما عدا قوله: ﴿لا تحلوا شعائر الله﴾ فليست منسوخة إن حملت على معالم دينه كما تقدم، وأما إن حملت على شعائر الكفار وإحرامهم، بمعنى لا تبطلوه ولا تهدموه كان أيضاً منسوخاً، وليس

إباحة ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ﴾ يكسبنكم ﴿شَنَـَٔانُ﴾ بفتح النون وسكونها بغض ﴿قَوْمٍ﴾ لأجل ﴿أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُواْ﴾ عليهم بالقتل وغيره ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ﴾ فعل ما أمرتم به ﴿وَٱلتَّقْوَىٰ﴾ بترك ما نهيتم عنه ﴿وَلَا تَعَاوَنُواْ﴾ فيه حذف إحدى التاءين في الأصل ﴿عَلَى ٱلْإِثْمِ﴾ المعاصي ﴿وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ التعدي في حدود الله ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ خافوا عقابه بأن تطيعوه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ ۝٢ لمن خالفه ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ﴾ أي أكلها ﴿وَٱلدَّمُ﴾ أي المسفوح كما في الأنعام ﴿وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ بأن ذبح على اسم غيره ﴿وَٱلْمُنْخَنِقَةُ﴾ الميتة خنقاً ﴿وَٱلْمَوْقُوذَةُ﴾

في المائدة منسوخ غير هذه الآية. قوله: **(أمر إباحة)** دفع بذلك ما يقال إن الأمر يقتضي الوجوب على المحرم إذا حل من إحرامه أن يصطاد.

قوله: **﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ﴾** هذه الآية نزلت عام الفتح حين تمكن النبي ﷺ وأصحابه من مكة وأهلها، فنهاهم الله تعالى عن التعرض للكفار بالقتال والإيذاء، والمعنى لا تعاملوهم مثل ما كانوا يعاملونكم به، ولذا ورد أن رسول الله لما دخل مكة قال: «اذهبوا أنتم الطلقاء. أنا قائل لكم كما قال أخي يوسف لإخوته: ﴿لا تثريب عليكم اليوم﴾». وبسبب ذلك صاروا مؤمنين، ولذا قال البوصيري:

وَلَوْ أَنَّ انْتِقَامَهُ لِهَوَى النَّفْـ ... ـسِ لَدَامَتْ قَطِيعَةٌ وَجَفَاءُ

وقرأ الجمهور بفتح الياء من جرم الثلاثي واختلفوا في معناه، فقيل معناه لا يكسبنكم، وقيل معناه لا يحملنكم. قوله: **(بفتح النون وسكونها)** أي فهو مصدر شنيء كعلم فهو سماعي، ومن المادة قول العرب: مشنوء من يشنؤك، أي مبغوض من يبغضك، وقوله تعالى: ﴿إن شانئك هو الأبتر﴾ أي باغضك. قوله: **(لأجل) ﴿أَنْ صَدُّوكُمْ﴾** أشار بذلك إلى أنه مفعول لأجله، فهو علة للشنآن، أي لا يحملنكم بغضكم لقوم لأجل صدهم إياكم عن المسجد الحرام. قوله: **﴿أَنْ تَعْتَدُوا﴾** أي بأن تعتدوا وعلى أن تعتدوا، فمتى أسلموا فهم إخوانكم فلا تتعرضوا لهم. قوله: **(فعل ما أمرتم به)** قال ابن عباس: البر متابعة السنة. قوله: **﴿إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾** في الآية وعيد وتهديد عظيم.

قوله: **﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ﴾** هذا شروع في بيان ما أجمل أولاً في قوله: ﴿إلا ما يتلى عليكم﴾ وذكر في هذه الجملة العظيمة أحد عشر كلها محرمة، منها عشرة مطعومة وواحد غير مطعوم، وهو قوله وأن تستقسموا بالأزلام. قوله: **﴿الْمَيْتَةُ﴾** فيه رد على جاهلية العرب حيث قالوا كما حكى الله عنهم، وقالوا ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا، وإن يكن ميتة فهم فيه شركاء، وعلى المشركين حيث أحلّوا أكلها مطلقاً. قوله: **(أي المسفوح)** أي السائل. قوله: **(كما في الأنعام)** أي في قوله تعالى: ﴿إلا أن يكون ميتة أو دماً مسفوحاً﴾ الآية، وأما غير المسفوح كالكبد والطحال والدم الباقي في العروق فهو طاهر، ويجوز أكله.

قوله: **﴿وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ﴾** أي ولو ذكي وهو نجس كله، ما عدا الشعر إن جز، عند مالك، فهو طاهر ويجوز استعماله. قوله: **﴿وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾** الإهلال رفع الصوت، والأظهر أن اللام بمعنى الباء، والباء بمعنى عند، والمعنى وما رفع الصوت عند ذكاته بغير الله، أي باسم غير الله، كما إذا قال باسم

المقتولة ضرباً ﴿وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ﴾ الساقطة من علو إلى سفل فماتت ﴿وَٱلنَّطِيحَةُ﴾ المقتولة بنطح أخرى لها ﴿وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ﴾ منه ﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾ أي أدركتم فيه الروح من هذه الأشياء فذبحتموه ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى﴾ اسم ﴿ٱلنُّصُبِ﴾ جمع نصاب وهي الأصنام ﴿وَأَن تَسْتَقْسِمُواْ﴾ تطلبوا القسم والحكم ﴿بِٱلْأَزْلَٰمِ﴾ جمع زلم بفتح الزاي وضمها مع فتح اللام قدح بكسر القاف صغير لا ريش له ولا

اللات أو العزى، قال تعالى: ﴿ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وإنه لفسق﴾ فإن جمع بين اسم الله واسم غيره غلب اسم الله وتؤكل، لأنه يعلو ولا يعلى عليه، والموضوع أن ذلك وقع من كتابي، وأما من مسلم فهو مرتد لا تؤكل ذبيحته، وهذا مذهب مالك بن أنس، ومراد مالك بأهل الكتاب الذين تؤكل ذبيحتهم، إن لم يذكروا اسم غير الله عليه اليهود والنصارى، ولو غيروا وبدلوا. قوله: (**بأن ذبح على اسم غيره**) المناسب أن يقول بأن صرح عند ذبحها باسم غيره، ليندفع التكرار بين ما هنا وبين ما يأتي في قوله: **﴿وما ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ﴾**.

قوله: **﴿وَالمُنْخَنِقَةُ﴾** كانوا في الجاهلية يخنقون الشاة، حتى إذا ماتت أكلوها، فحرم الله ذلك. قوله: **﴿وَالمَوْقُوذَةُ﴾** كانوا في الجاهلية يضربون الشاة بنحو العصا حتى تموت ويأكلونها. قوله: **﴿وَالنَّطِيحَةُ﴾** فعيلة بمعنى مفعولة. قوله: **﴿وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ﴾** كانوا في الجاهلية إذا جرح السبع شيئاً وأكل منه أكلوا ما بقي، والسبع اسم لكل ما يفترس من ذي الناب، كالأسد والذئب ونحوهما وقوله: (**أي أدركتم فيه الروح**) أي مع بقاء الحياة المستقرة، بحيث يتحرك بالاختيار أو يبصر بالاختيار، ولو نفذت مقاتله، وهذا مذهب الشافعي، ومذهب مالك لا بد من استقرار الحياة مع عدم إنفاذ المقاتل، فما أدرك بذكاة وهو مستقر الحياة، وكان قبل إنفاذ مقتله أكل، وإلا فلا يؤكل، ولو ثبتت له حياة مستقرة، والمقاتل هي: قطع النخاع، ونثر الدماغ، وفري الودج، وثقب المصران، ونثر الحشوة. وفي شق الودج قولان، والاستثناء راجع للمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة، وما أكل السبع وهو متصل على كلا المذهبين مع مراعاة الشرط المتقدم عند كل.

قوله: **﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ﴾** أي ذكر اسم الصنم على ذلك المذبوح، فإن فعل ذلك مسلم لولي، وقصد التقريب له كما يتقرب لله فهو مرتد لا تؤكل ذبيحته، وأما إن قصد أن الذبح لله وثوابه للولي فلا بأس بذلك، فإن نذر ذبيحته لولي ميت كالسيد البدوي مثلاً، فإن قصد انتفاعه بها كالحي فهو نذر باطل، وأما إن قصد أنها تذبح في محله من غير قصد فقراء ذلك المحل، فلا يسوقها لذلك المحل، بل يذبحها بأي محل شاء، قال مالك: سوق الهدايا لغير مكة ضلال، وأما إن قصد بسوقها فقراء ذلك المحل لزمه سوقها. قوله: (**وهي الأصنام**) سميت الأصنام نصباً، لأنها تنصب وترفع لتعظم وتعبد. قوله: (**تطلبوا القسم**) بالكسر ما قسم لكم من خير أو شر، وبالفتح أي تمييزه، لأن القسم بالفتح تمييز الأنصباء، وبالكسر الحظ والنصيب. قوله: (**مع فتح اللام**) راجع لكل منهما. قوله: (**وكانت سبعة**) أي وكانت أزلامهم سبعة قداح مستوية، مكتوب على واحد منها أمرني ربي، وعلى واحد منها نهاني ربي، وعلى واحد منكم، وعلى واحد من غيركم، وعلى واحد ملصق، وعلى واحد العقل، وواحد غفل، أي ليس عليه شيء، وكانوا في الجاهلية إذا أرادوا أمراً من سفر أو غيره، جاؤوا إلى هبل، وهو أعظم صنم بمكة،

نصل وكانت سبعة عند سادن الكعبة عليها أعلام وكانوا يحكمونها فإن أمرتهم ائتمروا وإن نهتهم انتهوا ﴿ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ﴾ خروج عن الطاعة. ونزل يوم عرفة عام حجة الوداع ﴿ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمْ ﴾ أن ترتدوا عنه بعد طمعهم في ذلك لما رأوا من قوته ﴿ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ أحكامه وفرائضه فلم ينزل بعدها حلال ولا حرام ﴿ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ

وكان في الكعبة، وأعطوا صاحب القداح مائة درهم، فإن خرج أمرني ربي فعلوا ذلك الأمر، وإن خرج نهاني ربي لم يفعلوا، وإذا كان ذلك لنسب، فإن خرج منكم، ألحقوا بهم، وإن خرج من غيركم لم يلحقوه، وإن خرج ملصق، كان على حاله، وإن اختلفوا في العقل وهو الدية، فمن خرج عليه العقل تحمله، وإن خرج الغفل فعلوا ثانياً حتى يخرج المكتوب، فنهاهم الله عن ذلك. قوله: **(عند سادن الكعبة)** أي خادمها. قوله: **(عليها أعلام)** أي كتابة. قوله: **(وكانوا يحكمونها)** في نسخة يجيبونها أي يجيبون حكمها.

قوله: **﴿ذٰلِكُمْ فِسْقٌ﴾** أي الاستقسام المذكور خروج عن طاعة الله. إن قلت: إن هذه بعينها هي القرعة الجائزة في الإسلام. أجيب بأن تحريم هذه إنما جاء من إحالتها للصنم وتفويض الأمر له، ولذا وقعت القرعة بحضرة ولي ميت مثلاً، وفوض الأمر له، لكان الحكم الحرمة، كالاستقسام بالأزلام، واسم الإشارة مبتدأ، وفسق خبر، وهو راجع إلى الاستقسام بالأزلام، كما هو مروي عن ابن عباس، وقيل راجع إلى جميع ما تقدم، وكل صحيح. قوله: **(ونزل يوم عرفة)** أي والنبي قائم يخطب بها فأل في اليوم للعهد الحضوري، والمعنى اليوم الحاضر، وهو يوم عرفة، وكان يوم جمعة، وعاش النبي ﷺ بعد نزولها أحداً وثمانين يوماً. قوله: **﴿يَئِسَ﴾** اليأس ضد الرجاء، والمعنى انقطع طمع الكفار في إبطال دينكم لما شاهدوا من دخول الناس فيه أفواجاً، وذلك أن قبل الوداع حجة أبو بكر بالناس، وأرسل النبي ﷺ علياً خلفه ينادي: لا يحج بعد هذا العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان، ففي حجة الوداع تفرد النبي وأصحابه بالحج، فحينئذ نزلت الآية المشرفة. قوله: **(لما رأوا)** علة لقوله يئس، وقوله: **(بعد طمعهم)** متعلق بيئس أيضاً. قوله: **﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ﴾** أي لا تخافوهم لا ظاهراً ولا باطناً. قوله: **﴿وَاخْشَوْنِ﴾** بحذف الياء وصلاً ووقفاً، بخلاف واخشوني في البقرة فإنها بثبوت الياء وصلاً ووقفاً اتفاقاً، وبخلاف الآتية في﴿يا أيها الرسول لا يحزنك﴾ ففيها الحذف والإثبات، والمعنى لا تخافوا من الكفار وخافون، لأني مالك الدنيا والآخرة عزاً وذلاً، ولا يملك ذلك غيري، فمن شهد ذلك وكمل دينه، فلا يخاف إلا مولاه، ولا يرجو سواه، فإنه المعطي المانع، الضار النافع.

قوله: **﴿الْيَوْمَ﴾** بدل من اليوم قبله. قوله: **(أحكامه وفرائضه)** دفع بذلك ما يقال إنه قد نزل بعدها ﴿واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله﴾ فيكون حينئذٍ الكمال نسبياً. فأجاب بأن المراد إكمال الأحكام والفرائض التي أرسل بها رسول الله، وأما آية﴿واتقوا يوماً﴾فهي موعظة ولا حكم فيها. إن قلت إن قوله: **﴿أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾** يقتضي نقصانه قبل ذلك. وأجيب: بأن القرآن نزل جملة في بيت العزة في سماء الدنيا، وصار ينزل بعد ذلك مفرقاً، فحين نزول هذه كأن الله تعالى يقول لا تنتظروا بعد ذلك حكماً، فإني قد أتممت لكم ما قدرته لكم وادخرته عندي، ولذلك حين نزلت بكى عمر، فقال له رسول الله: «ما

نِعۡمَتِي ﴾ بإكماله وقيل بدخول مكة آمنين ﴿ وَرَضِيتُ ﴾ أي اخترت ﴿ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ فِي مَخۡمَصَةٍ ﴾ مجاعة إلى أكل شيء مما حرم عليه فأكله ﴿ غَيۡرَ مُتَجَانِفٖ ﴾ مائل ﴿ لِّإِثۡمٖ ﴾ معصية ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ ﴾ له ما أكل ﴿ رَّحِيمٞ ﴾ ﴿٣﴾ به في إباحته له بخلاف المائل لإثم أي الملتبس به كقاطع الطريق والباغي مثلاً فلا يحل له الأكل ﴿ يَسۡـَٔلُونَكَ ﴾ يا محمد ﴿ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمۡۖ ﴾ من الطعام ﴿ قُلۡ

يبكيك»؟فقال: إذا تم شيء بدا نقصه. فقال له: صدقت، فكانت هذه الآية نعي رسول الله ﷺ. روي عن عمر بن الخطاب أن رجلاً يهودياً قال له: يا أمير المؤمنين آية في كتابكم لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيداً، فقال له: أي آية؟ قال: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ الآية، فقال عمر: قد عرفنا ذلك اليوم والمكان الذي أنزلت فيه على رسول الله ﷺ وهو قائم بعرفة يوم الجمعة بعد العصر اهـ. وقد تضمن جواب عمر أنهم جعلوا صبيحتها عيداً. قوله: (بإكماله) أي الدين، والأحسن أن يراد بإتمام النعمة ما هو أعم.

قوله: ﴿وَرَضِيتُ﴾ هذه الجملة مستأنفة لبيان الحال، وليست معطوفة على أكملت، لأنه يقتضي أنه لم يرض الإسلام ديناً إلا اليوم، ولم يرضه قبل ذلك، وليس كذلك، لأن الإسلام لم يرض مرضياً لله وللنبي وأصحابه منذ أرسله، ورضي متعد لواحد، الإسلام مفعوله وديناً تمييز. قوله: ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ﴾ مفرع على حرمت عليكم الميتة، فقوله اليوم: ﴿وبئس الذين كفروا من دينكم﴾ إلى قوله: ﴿دِيناً﴾ معترض بينهما لبيان أن الإسلام حنيفية سمحاء لا صعوبة فيه كالأديان المتقدمة، ومن اسم شرط، واضطر فعل الشرط، وجوابه محذوف تقديره فلا إثم عليه، وقد صرح به في آية البقرة. قوله: (إلى أكل شيء) أي بقدر الضرورة وسد الرمق، وبذلك قال الشافعي، وقال مالك: يأكل المضطر من الميتة ويشبع ويتزود، فإن استغنى عنها طرحها وقدم مال الغير على الميتة، عند مالك إن لم يخف الضرر وقدم المختلف فيه على المتفق على حرمته.

قوله: ﴿غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ﴾ أي بأن كان اضطراره ناشئاً عن إثمه، فلا يجوز له الأكل، هكذا حمل الآية مالك، وقال الشافعي غير متجانف لإثم، بأن كان عاصياً بسفره كالآبق وقاطع الطريق، فقول المفسر كقاطع الطريق والباغي أي المسافرين. وأما الحاضرون فيباح لهم أكل الميتة، وأما عند مالك فلا فرق بين العاصي بالسفر والطائع به فإنهما كالحاضر، فيأكلان منها إذا اضطرا، حيث لم يكن إصراره على المعصية موقعاً له في الاضطرار.

قوله: ﴿يَسْأَلُونَكَ﴾ هذه الآية مرتبة على قوله: ﴿حرمت عليكم الميتة الخ﴾ فلما بين المحرمات سألوا عن الحلال، وصورة السؤال ماذا أحل الله لنا، وروي في سبب نزولها أن جبريل أتى رسول الله ﷺ يستأذن عليه، فأذن له، فلم يدخل، فقال له النبي: قد أذنا لك يا رسول الله، قال: أجل ولكنا لا ندخل بيتاً فيه كلب، فأمر ﷺ أبا رافع بقتل كل كلب في المدينة ففعل، حتى انتهى إلى امرأة عندها كلب ينبح عليها فتركه رحمة لها، ثم جاء رسول الله ﷺ فأمره بقتله فرجع إلى الكلب فقتله، فجاؤوا إلى رسول الله فقالوا له: ما يحل لنا من هذه الأمة التي أمرت بقتلها، قال: فسكت رسول الله، فنزل ﴿يَسْئَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ﴾ الآية، فعند ذلك أذن رسول الله في اقتناء الكلاب التي ينتفع بها، ونهى عن إمساك ما لا نفع

﴿أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ﴾ المستلذات ﴿وَ﴾ صيد ﴿مَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ﴾ الكواسب من الكلاب والسباع والطير ﴿مُكَلِّبِينَ﴾ حال من كلبت الكلب بالتشديد أي أرسلته على الصيد ﴿تُعَلِّمُونَهُنَّ﴾ حال من ضمير مكلبين أي تؤدبوهن ﴿مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ﴾ من آداب الصيد ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ﴾ وإن قتلنه بأن لم يأكلن منه بخلاف غير المعلمة فلا يحل صيدها وعلامتها أن تسترسل إذا أرسلت وتنزجر إذا زجرت وتمسك الصيد ولا تأكل منه وأقل ما يعرف به ذلك ثلاث مرات فإن أكلت منه فليس مما أمسكن على صاحبها فلا يحل أكله كما في حديث الصحيحين وفيه أن صيد السهم إذا أرسل وذكر اسم الله عليه كصيد المعلم من الجوارح ﴿وَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾ عند

فيه منها، وروى الشيخان عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من أمسك كلباً فإنه ينقص من عمله كل يوم قيراط»، وفي رواية قيراطان، إلا كلب حرث أو ماشية، ويؤخذ من هذا الحديث أن قتل غير النافع من الكلاب مندوب، إن لم يكن عقوراً يخشى منه الضرر ولا يندفع إلا بالقتل، وإلا وجب قتله عند مالك. قوله: **(المستلذات)** أي الشرعية وهي ما لم يثبت تحريمها بكتاب أو سنة، فلا يرد لحم الخنزير مثلاً إذا أتقن طبخه. قوله: **﴿وَ﴾ (صيد) ﴿مَا عَلَّمْتُمْ﴾** قدره إشارة إلى أن ما معطوف على الطيبات لكن على حذف مضاف، وصيد بمعنى مصيد، ومن الجوارح بيان لما.

قوله: **﴿مُكَلِّبِينَ﴾** حال أي من التاء في علمتم. قوله: **(من كلبت)** أي مأخوذ من كلبت. قوله: **(أرسلته على الصيد)** أي فمعنى مكلبين مرسلين بمعنى قاصدين إرساله احترازاً عما لو ذهبت من غير إرسال وأتى بصيد فلا يؤكل، وفسره غيره بالتعليم، فيكون حالاً مؤكدة لعاملها، وما قاله المفسر أوجه، وإن رد بأنه لا مستند له في ذلك، لأن المفسر حجة، وعبر عن الإرسال بالتكليب، إما إشارة إلى أن ذلك غالب في الكلاب، أو أن الكلب يطلق على كل ما يصاد به سبع وطير. قوله: **(حال من ضمير مكلبين)** أي مؤكدة إن فسر مكلبين بمعلمين، ومؤسسة إن فسر بمرسلين، ويصح أن يكون جملة مستأنفة موضحة لما قبلها. قوله: **﴿مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ﴾** من للتبعيض، وقوله: **(من آداب الصيد)** بيان لما.

قوله: **﴿فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ﴾** نتيجة قوله: **﴿وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ﴾** وقوله: **﴿عَلَيْكُمْ﴾** أي لكم قوله: **(بأن لم يأكلن منه)** أي فإن أكلن منه فلا يؤكل وهو داخل في قوله ما أكل السبع، وهذا الشرط اعتبره الشافعي، وعند مالك يؤكل، ولو أكل منه الجارح، فإن أدرك حياً فلا بد من ذكاته الشرعية، فقوله: **(بأن لم يأكلن)** تفسير لقوله: **﴿أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ﴾** لأنه إن أكل منه فليس ممسكاً لصاحبه بل لنفسه، وقد علمت أن هذا التقييد مذهب الشافعي، وسيأتي إيضاحه في آخر عبارة المفسر، قوله: **(وعلامتها الخ)** ذكر أربع علامات وهي معتبرة في الكلب والسبع، وأما في الطير كالصقر فلا يعتبر فيه إلا قيدان، أن لا يأكل منه، وأنه إذا أرسل استرسل. والحاصل أن المدار عند مالك في الصقر أنه إذا أرسل استرسل، وزاد الشافعي فيه أن لا يأكل مما أمسك، وأما في الكلب والسبع ففيه القيود الأربعة التي ذكرها المفسر، ما عدا الأكل عند مالك قوله: **(كما في حديث الصحيحين)** أي ولكن هذا الحديث لم يأخذ به مالك قوله: **(وفيه)** أي في الحديث قوله: **(وذكر اسم الله عليه)** أي وهو سنّة عند الشافعي، وعند مالك واجب مع الذكر والقدرة، وأما النية فلا بد منها لأنها شرط صحة قوله: **(كصيد المعلم من الجوارح)** ألحق

إرساله ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ ﴿٤﴾ ﴿ الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ ﴾ المستلذات ﴿ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ﴾ أي ذبائح اليهود والنصارى ﴿ حِلٌّ ﴾ حلال ﴿ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ ﴾ إياهم ﴿ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ ﴾ الحرائر ﴿ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ حل لكم أن تنكحوهن ﴿ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ﴾ مهورهن ﴿ مُحْصِنِينَ ﴾ متزوجين ﴿ غَيْرَ مُسَافِحِينَ ﴾ معلنين بالزنا بهن ﴿ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ ﴾ منهن تسرون بالزنا بهن ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ ﴾ أي يرتد ﴿ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ ﴾ الصالح قبل ذلك فلا يعتد به ولا يثاب عليه ﴿ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ ﴿٥﴾ إذا مات عليه ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ ﴾ أي أردتم القيام ﴿ إِلَى الصَّلَاةِ ﴾

مالك بالسهم ما صيد ببندق الرصاص، لأن قوته تقوم مقام حد السهم. قوله: ﴿**عَلَيْهِ**﴾ اختلف في مرجع الضمير، فقيل عائد على ما علمتم من الجوارح، وإليه يشير المفسر بقوله عند إرساله، وقيل عائد على ما أمسكن عليكم، أي سموا الله إذا أدركتم ذكاته.

قوله: ﴿**وَاتَّقُوا اللَّهَ**﴾ أي امتثلوا أوامره واجتنبوا نواهيه، حيث بيّن لكم الحلال والحرام قوله: ﴿**سَرِيعُ الْحِسَابِ**﴾ ورد أنه يحاسب الخلق في قدر نصف يوم من أيام الدنيا. قوله: ﴿**الْيَوْمَ**﴾ يحتمل أن المراد باليوم المتقدم في قوله: ﴿اليوم يئس الذين كفروا﴾ وهو يوم عرفة، ويحتمل أن المراد يوم نزولها، ويحتمل أن المراد به الزمن مطلقاً. قوله: (**أي ذبائح اليهود والنصارى**) أي إن ذبح ما هو حل لهم في شرعنا، ولم يذكر اسم غير الله عليه وتؤكل ذبائحهم، ولو غيروا اليهودية بالنصرانية وعكسه عند مالك، واشترط الشافعي عدم التغيير والتبديل. قوله: ﴿**وَطَعَامُكُمْ**﴾ (**إياهم**) أي بمعنى إطعامكم إياهم، ومعنى (**حل لهم**) أي لا يحرم عليهم بشرعهم، ولا يحرم علينا أن نطعمهم من ذبائحنا.

قوله: ﴿**وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ**﴾ أي الحرائر منهن، وأما الإماء فتقدم أنهن حل بالشروط. قوله: (**الحرائر**) أي وأما الإماء فلا يحل نكاحهن إلا بالملك، وأما حرائرنا فلا يحل لهم نكاحهن، بل ولا إماؤنا، فتحصل أن طعامنا حل لهم، وطعامهم حل لنا، ونساؤهم حل لنا، ونساؤنا لسن حلالهم. قوله: ﴿**إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ**﴾ بيان للأكمل، واحترز عن الدخول على إسقاطه فلا يحل، والظرف متعلق بالخبر المحذوف الذي قدره المفسر بقوله حل لكم.

قوله: ﴿**مُحْصِنِينَ**﴾ حال من ﴿**آتَيْتُمُوهُنَّ**﴾ أي حال كونكم محصنين، وقوله: ﴿**غَيْرَ مُسَافِحِينَ**﴾ نعت لمحصنين. قوله: ﴿**أَخْدَانٍ**﴾ جمع خدن وهو الخليل والصاحب الذي يزني بالمرأة سراً. قوله: ﴿**بِالإِيمَانِ**﴾ الباء بمعنى عن، والكفر بمعنى الردة، أي يرتد عن الإيمان. قوله: ﴿**حَبِطَ عَمَلُهُ**﴾ (**الصالح**) أي والسيىء إن عاد للإسلام بمعنى بطل كل منهما، فلو عاد للإسلام فلا عقاب عليه في السيىء، ولا ثواب له في الصالح، والمرتد لا يقضي الصلاة ولا الصوم ولا الزكاة، إذا فاته جميع ذلك في زمن الردة أو قبل زمنها ما لم يرتد بقصد إسقاط ذلك، ولا يقضي إلا ما أسلم في وقته لعموم آية ﴿قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف﴾ عند مالك، وعند الشافعي يقضي جميع ذلك، وأما الحج فوقته وهو العمر باق فيقضيه. قوله: (**إذا مات عليه**) أي الكفر وهو راجع لقوله: ﴿**وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾ لا لما قبله، فإنه يحبط عمله زمن الردة مطلقاً، مات على الكفر أو الإسلام.

وأنتم محدثون ﴿فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ﴾ أي معها كما بينته السنة ﴿وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ﴾ الباء للإلصاق أي ألصقوا المسح بها من غير إسالة ماء وهو اسم جنس فيكفي أقل ما يصدق عليه وهو مسح بعض شعره وعليه الشافعي ﴿وَأَرۡجُلَكُمۡ﴾ بالنصب عطفاً على أيديكم

قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ إنما وجه الخطاب للمؤمنين، وإن كان الكفار مخاطبين بفروع الشريعة أيضاً على الصحيح لعدم صحتها منهم إلا بالإسلام. قوله: ﴿إِذَا قُمْتُمْ﴾ أي اشتغلتم بها قولاً وفعلاً من قيام أو غيره. قوله: **(أي أردتم القيام)** دفع بذلك ما يقال إن مقتضى الآية أن الطهارة لا تجب إلا بعد الشروع في الصلاة، فأجاب بأن المراد أردتم القيام، أي قصدتموه وعزمتم عليه، وشرعت الطهارة قبل الصلاة، لأن المصلي يناجي ربه وهو في حضرته، فيحتاج قبل ذلك للنظافة من الحدثين الأصغر والأكبر، ومن الخبثين الحسي والمعنوي كالذنوب، ليترتب على ذلك قبول طاعته. قوله: **(وأنتم محدثون)** أي حدثاً أصغر، وأخذ المفسر هذا من قوله فيما يأتي ﴿وإن كنتم جنباً﴾ وفيه إشارة للجواب عن إشكال البيضاوي حيث قال ظاهر الآية أن كل قائم إلى الصلاة يجب عليه الوضوء وإن لم يكن محدثاً، وقوله: **(وأنتم محدثون)** أي ممنوعون من الصلاة لعدم وجود الطهارة فيشمل من ولد، ولم يحصل منه ما يوجب الوضوء إلى أن بلغ فيجب عليه الوضوء، لأنه كان ممنوعاً من الصلاة قبل ذلك لعدم وجود الطهارة، ولذا علق الوضوء بالقيام للصلاة. قوله: ﴿وُجُوهَكُمْ﴾ أي ليغسل كل منكم وجهه ولو تعدد وحده، طولاً من منابت شعر الرأس المعتاد لآخر الذقن، وعرضاً ما بين وتدي الأذنين، ويخلل لحيته إن كانت خفيفة وإلا غسل ظاهرها فقط، ويتتبع أسارير جبهته والوترة ولا يلزمه غسل داخل العينين، وأما المضمضة والاستنشاق ومسح الأذنين فسنة. قوله: **(أي معها)** أشار بذلك إلى أن إلى بمعنى مع، وهذا أسهل ما قيل، وقيل إن إلى على بابها من الانتهاء، والغاية داخلة، وقيل خارجة، وقيل إن كان ما بعدها من جنس ما قبلها دخلت وإلا فلا، والأصح أن إلى لا يدخل ما بعدها فيما قبلها عكس حتى، قال سيدي علي الأجهوري:

وَفِي دُخُولِ الْغَايَةِ الأَصَحّ لاَ تَدْخُل مَع إِلَى وَحَتَّى دَخَلاَ

وأما في الآية فإما أن يقال إنها بمعنى مع، أو الغاية داخلة على خلاف القاعدة لوجود القرينة، فغسل المرافق واجب لذاته، وليس من باب ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب. قوله: **(كما بينته السنة)** أي فبينت السنة أن المرافق تغسل مع الأيدي، ويجب تخليل أصابع الأيدي عند مالك لوجوب الدلك عنده. قوله: **(الباء للإلصاق)** وقيل للتبعيض لدخولها على متعدد، وأما في وليطوفوا بالبيت فللإلصاق، لدخولها على غير متعدد، وأورد على ذلك آية التيمم، فإن قيل إنها للإلصاق يقال أي فرق بينهما، ولما كان هذا المعنى معترضاً، عدل عنه المفسر وجعلها للإلصاق في كل، وأحال بيان ذلك للسنّة. قوله: **(أي ألصقوا المسح بها)** لعل في كلام المفسر تسامحاً، لأن المسح معنى من المعاني لا يلصق، لأن الإلصاق لا يكون إلا بين جسمين، إلا أن يقال المراد بالمسح آلته وهو اليد. قوله: **(من غير إسالة ماء)** بيان لحقيقة المسح من حيث هو، لا لما لا يكفي في الوضوء، فإن الغسل يكفي أيضاً. قوله: **(وهو)** أي المسح. قوله: **(وهو مسح بعض شعره)** وقال أبو حنيفة يجب مسح ربع الرأس، وقال مالك وأحمد يجب مسح الجميع، كما يجب مسح الوجه في التيمم. قوله: **(بالنصب)** أي لفظاً وهي قراءة نافع وابن عامر والكسائي وحفص

وبالجر على الجوار ﴿إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ﴾ أي معهما كما بينته السنة وهما العظمان الناتئان في كل رجل عند مفصل الساق والقدم والفصل بين الأيدي والأرجل المغسولة بالرأس الممسوح يفيد وجوب الترتيب في طهارة هذه الأعضاء وعليه الشافعي ويؤخذ من السنة وجوب النية فيه كغيره من العبادات ﴿وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُواْ﴾ فاغتسلوا ﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ﴾ مرضاً يضره الماء ﴿أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾ أي مسافرين ﴿أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ﴾ أي أحدث ﴿أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ سبق مثله في آية النساء ﴿فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً﴾ بعد طلبه ﴿فَتَيَمَّمُواْ﴾ اقصدوا ﴿صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ تراباً طاهراً ﴿فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم﴾ مع المرفقين ﴿مِّنْهُ﴾ بضربتين والباء للإلصاق وبينت السنة أن المراد استيعاب العضوين بالمسح ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ﴾ ضيق بما فرض عليكم

عن عاصم، وقوله: **(والجر)** أي وهي لباقي السبعة. قوله: **(على الجوار)** أي فهو في المعنى منصوب بفتحة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة المجاورة، واعترض هذا الحمل بأنه لم يرد الجر بالمجاورة إلا في النعت، ومع ذلك هو ضعيف، والأولى أن يقال إنه مجرور لفظاً، ومعنى معطوف على الرؤوس والمسح مسلط عليه، ويحمل على حالة لبس الخف، أو يقال إن المراد بالمسح الغسل الخفيف، وسماه مسحاً رداً على من يتبع الشك ويسرف في الماء وهو بعيد. قوله: **(وهما)** أي الكعبان. قوله: **(عند مفصل)** بفتح الميم وكسر الصاد، وأما بكسر الميم وفتح الصاد فهو اللسان، ويجب على الإنسان في غسل رجليه أن يتتبع العقب بالغسل لما في الحديث: «ويلٌ للأعقاب من النار» وتسن الزيادة على محل الفرض عند الشافعي، وفسر بها الغرة والتحجيل الواردين في الحديث، وكره مالك ذلك، وفسر الغرة والتحجيل بإدامة الطهارة. قوله: **(والفصل)** هو مبتدأ وخبره **(يفيد)** وقصده بذلك تتميم الفرائض السنة عند الشافعي، ومحصل ذلك أن الواو وإن كانت لا تقتضي ترتيباً لكن وجدت قرينة تفيد الترتيب وهو الفصل بين المغسولات بالرأس الممسوح، لكن يقال إن ذلك ظاهر في غير الوجه مع الأيدي، وعند مالك ليس الترتيب فرضاً. وإنما هو سنة إبقاء للواو على ظاهرها ولم يعتبر تلك القرينة. قوله: **(وجوب النية فيه)** أي لأنه عبادة، وكل عبادة تحتاج لنية، فتحصل أن فرائض الوضوء عند الإمام الشافعي ستة: الأربعة القرآنية، والنية، والترتيب. وعند مالك سبعة: الأربعة، والنية، والموالاة بأن لا يفرق بين أجزائه تفريقاً متفاحشاً، والتدليك وهو إمرار باطن الكف على الأعضاء. وعند الحنفية الأربعة القرآنية لا غير.

قوله: **﴿وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُباً﴾** أي بمغيب الحشفة، أو خروج المني بلذة معتادة في اليقظة، أو مطلقاً في النوم، أو الحيض، أو النفاس، لأن الخطاب عام للذكور والإناث. قوله: **(أي أحدث)** أي فالمجيء من الغائط كناية عن الحدث، وعبر عنه بالغائط، لأن العادة قضاء الحاجة في الغائط، بمعنى المكان المنخفض. قوله: **(سبق مثله)** أي فيقال هنا جامعتم أو جسستم باليد. قوله: **(مع المرفقين)** أي فهو فرض عند الشافعي حملاً على آية الوضوء، وعند مالك مسح المرفقين سنّة، وإنما الفرض للكوعين. قوله: **(بضربتين)** أي فهما فرض عند الشافعي، وعند مالك الأولى فرض والثانية سنّة. قوله: **(وبينت السنة**

من الوضوء والغسل والتيمم ﴿وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ﴾ من الأحداث والذنوب ﴿وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ﴾ بالإسلام ببيان شرائع الدين ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝٦﴾ نعمه ﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ بالإسلام ﴿وَمِيثَٰقَهُ﴾ عهده ﴿ٱلَّذِى وَاثَقَكُم بِهِۦٓ﴾ عاهدكم عليه ﴿إِذْ قُلْتُمْ﴾ للنبي ﷺ حين بايعتموه ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ في كل ما تأمر به وتنهي عما نحب ونكره ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ في ميثاقه أن تنقضوه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝٧﴾ بما في القلوب فبغيره أولى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ﴾ قائمين ﴿لِلَّهِ﴾ بحقوقه ﴿شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ﴾ بالعدل ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ﴾ يحملنكم

الخ) جواب من الشافعية والحنفية عن التعارض الواقع بين آية الوضوء وآية التيمم. قوله: (**من الوضوء والغسل والتيمم**) أي فأوجب ما ذكر عند القدرة عليه، ووجود الماء أو الصعيد، فإن فقدا معاً سقطت عنه الصلاة، وقضاؤها على المعتمد عند مالك، ويصلي ويقضي عند الشافعي. قوله: (**من الأحداث والذنوب**) أي فإذا تطهر الإنسان فقد خلص من الحدث والذنوب، لأنه ورد أن الذنوب تتساقط مع غسل الأعضاء. قوله: (**بالإسلام**) الباء للتعدية، والجار والمجرور متعلق بنعمة، فهو أعظم النعم، لأنه به ينال كل خير.

قوله: **﴿إِذَا قُلْتُمْ﴾** ظرف لقوله: **﴿وَاثَقَكُمْ بِهِ﴾**. قوله: (**حين بايعتموه**) أي عند العقبة سنة الهجرة، لما جاءه سبعون من الأنصار، ورئيسهم إذ ذاك البراء بن معرور، وكان له اليد البيضاء في الميثاق، حتى أنه قال: والذي بعثك بالحق، لنمنعنك مما نمنع منه أزرنا، فبايعنا يا رسول الله، فنحن والله أبناء الحرب كابراً عن كابر، وبايعوه على أن يقاتلوا معه الأسود والأبيض، وكذلك بيعة الرضوان تحت الشجرة، حين صده المشركون عن البيت، أشاع إبليس أن عثمان قتل، فبايع النبي ﷺ الصحابة على عدم الرجوع حتى يقتلوا أو يدخلوا مكة، وهكذا حمل المفسر على عهد النبي أصحابه، ويحتمل أن المراد العهد الواقع يوم ألست بربكم، فيكون المعنى: اذكروا نعمة الله عليكم، حيث خلقكم على التوحيد في عالم الأرواح، وجعل عالم الأجساد موافقاً له، فالإيمان نعمة عظيمة لموافقته للإجابة الواقعة يوم ألست بربكم، وكل صحيح، لكن إن كان المراد عهد الله الأزلي فالنسبة له ظاهرة، وإن كان المراد عهد النبي لأصحابه، فإسناد العهد لله، لأنه هو المعاهد حقيقة، قال تعالى: ﴿إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله﴾ الآية.

قوله: **﴿سمِعْنَا﴾** أي سماع قبول. قوله: (**مما نحب**) أي بأن كان موافقاً لما تهواه نفوسهم، وقوله: (**ونكره**) أي بأن لم يكن موافقاً، كالجهاد وأداء الزكاة مثلاً. قوله: (**بما في القلوب**) أي من الإخلاص وغيره، فذات الصدور صفة لموصوف محذوف تقديره الأمور الخفية صاحبات الصدور التي لا يطلع عليها إلا الله.

قوله: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا الخ﴾** شروع في بيان الحقوق الواجبة على العباد، وهي قسمان: متعلق بالخالق وهو قوله: **﴿قَوَّامِينَ لِلَّهِ﴾** وبالمخلوق وهو قوله: **﴿شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ﴾**، وقد تقدمت هذه الآية في النساء، وكررها اعتناء بشأنها، فإن مقام القيام بحق الله وحق عباده عظيم، وهو حقيقة التوفيق، فليس كل من آمن قام بالحقين، وقوله قوامين خبر لكونوا، وشهداء خبر ثان. قوله: (**بحقوقه**) أي الخاصة به،

﴿شَنَـَٔانُ﴾ بغض ﴿قَوۡمٍ﴾ أي الكفار ﴿عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ﴾ فتنالوا منهم لعداوتهم ﴿ٱعۡدِلُواْ﴾ في العدو والولي ﴿هُوَ﴾ أي العدل ﴿أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ ﴿٨﴾ فيجازيكم به ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ﴾ وعداً حسناً ﴿لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٞ﴾ ﴿٩﴾ هو الجنة ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَآ أُوْلَـٰٓئِكَ أَصۡحَـٰبُ ٱلۡجَحِيمِ﴾ ﴿١٠﴾ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ

كالصلاة والصوم والحج وغير ذلك. قوله: ﴿**شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ**﴾ أي فلا تشهدوا بخلاف الواقع، بل بما في نفس الأمر، وهو المراد بقوله: (**بالعدل**). قوله: (**يحملنكم**) هو معنى ﴿**يَجْرِمَنَّكُمْ**﴾ ومن ثم عداه بعلى، ويجوز أن يفسر بيكسبنكم وهما متقاربان. قوله: ﴿**شَنَآنُ**﴾ بفتح النون وسكونها سبعيتان. قوله: (**أي الكفار**) أشار به إلى أنها نزلت في قريش لما صدوا النبي ﷺ عن المسجد الحرام، ولكن العبرة بعموم اللفظ.

قوله: ﴿**عَلَى أَنْ لَا تَعْدِلُوا**﴾ أن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بعلى، أي على عدم العدل، كنقض العهد، وإيذاء من أسلم منهم. قوله: (**فتنالوا منهم**) أي مقصودكم من القتل وأخذ المال. قوله: (**في العدو والولي**) أي فسووا بين المحب والمبغض في العدل، ولا تؤثروا المحب. قوله: ﴿**اعْدِلُوا**﴾ تصريح بما علم من النهي عن ترك العدل، اعتناء بشأن العدل. قوله: (**أي العدل**) أي المأخوذ من قوله: ﴿**اعْدِلُوا**﴾ فإن الضمير لا بد أن يرجع لمذكور، ولو ضمناً كما هنا.

قوله: ﴿**أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى**﴾ أي أقرب ما يدل على التقوى لأنها في القلب، والعدل أكبر دليل عليها، فعند القدرة يظهر الحال، فمن ظهر العدل على يديه، كان دليلاً على تقواه، ومن لا فلا، ومنه ما ورد: الظلم كمين في النفس، القوة تظهره، والعجز يخفيه. قوله: ﴿**وَاتَّقُوا اللَّهَ**﴾ أي امتثلوا أوامره، واجتنبوا نواهيه. قوله: ﴿**إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ**﴾ فيه وعد ووعيد، وبين الوعد بقوله: ﴿**وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا**﴾، وبين الوعيد بقوله: ﴿**وَالَّذِينَ كَفَرُوا**﴾ الخ.

قوله: ﴿**وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا**﴾ تفصيل لما أجمل في قوله: ﴿**إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ**﴾ والذين مفعول أول لوعد، وقدر المفسر المفعول الثاني بقوله: (**وعداً حسناً**) أي موعوداً، فأطلق المصدر، وأراد اسم المفعول. وقوله: (**لهم مغفرة وأجرٌ عظيم**) جملة مستأنفة بيان للموعود به الحسن. قوله: (**الجنة**) تفسير للأجر العظيم، فيكون عطف الأجر العظيم على المغفرة من عطف المسبب على السبب. قوله: ﴿**وَالَّذِينَ كَفَرُوا**﴾ مبتدأ، و ﴿**أُولَئِكَ**﴾ مبتدأ ثان، ﴿**وَأَصْحَابُ**﴾ خبر الثاني، والثاني وخبره خبر الأول، والجملة مستأنفة لبيان وعيد الكفار، ولم يقل في جانب الكفار لهم عذاب الجحيم مثلاً قطعاً لرجائهم، لأن صاحب الشيء لا ينفك عنه.

قوله: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا**﴾ سبب نزولها أن رسول الله ﷺ لما خرج هو وأصحابه لعسفان في غزوة ذي أنمار، وهي غزوة ذات الرقاع، قاموا إلى الظهر جميعاً، فلما صلوا ندم المشركون على عدم المكر بهم في الصلاة، فقالوا إن لهم بعدها صلاة هي أحب إليهم من آبائهم وأبنائهم، يعنون بها صلاة العصر، وهموا أن يقعوا بهم إذا قاموا إليها، فرد الله كيدهم بنزول آية صلاة الخوف، وقيل ما روي أن رسول الله ﷺ أتى بني قريظة، ومعه أبو بكر وعمر وعلي، يستقرض منهم دية مسلمين قتلهما عمرو بن أمية الضمري خطأ

نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ هَمَّ قَوۡمٌ﴾ هم قريش ﴿أَن يَبۡسُطُوٓاْ﴾ يمدوا ﴿إِلَيۡكُمۡ أَيۡدِيَهُمۡ﴾ ليفتكوا بكم ﴿فَكَفَّ أَيۡدِيَهُمۡ عَنكُمۡۖ﴾ وعصمكم مما أرادوا بكم ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ ﴿١١﴾ ﴿وَلَقَدۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ بما يذكر بعد ﴿وَبَعَثۡنَا﴾ فيه التفات عن الغيبة أقمنا ﴿مِنۡهُمُ ٱثۡنَيۡ عَشَرَ نَقِيبٗاۖ﴾ من كل سبط نقيب يكون كفيلاً على قومه بالوفاء بالعهد توثقة عليهم ﴿وَقَالَ﴾ لهم ﴿ٱللَّهُ

بحسبها مشركين، فقالوا: يا أبا القاسم اجلس حتى نطعمك ونعطيك ما سألت، فأجلسوه في صفة وهموا بالفتك به، وعمد عمرو بن جحاش إلى رحى عظيمة يطرحها عليه، فأمسك الله تعالى يده ونزل جبريل عليه وأخبره، فخرج هو وأصحابه ونقض عهدهم حينئذٍ، وأقام الحرب عليهم، وقيل هو ما روي أن رسول الله ﷺ نزل منزلاً، وتفرق أصحابه في الشجر يستظلون به، فجلس رسول الله ﷺ تحت شجرة وعلق سيفه بها ونام، فجاء أعرابي وأخذ السيف من الشجرة وسله، فاستيقظ النبي ﷺ فوجده في يده، فقال له الأعرابي: يا محمد من يمنعك مني؟ فقال: الله، فسقط السيف من يده، فأخذه رسول الله ﷺ وقال له: «من يمنعك مني»؟ فقال: لا أحد، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، والأحسن أن يراد بقوله: ﴿**إِذْ هَمَّ قَوْمٌ**﴾ ما هو أعم فيشمل هذه الوقائع وغيرها كواقعة السم. قوله: ﴿**أَنْ يَبْسُطُوا**﴾ الخ، يقال بسط إليه يده إذا بطش به، وبسط إليه لسانه إذا شتمه، والمراد مدوا إليكم أيديهم بالقتل.

قوله: ﴿**واتَّقُوا اللَّهَ**﴾ أي دوموا على امتثال أوامره واجتناب نواهيه. قوله: ﴿**وَعَلَى اللَّهِ**﴾ أي لا على غيره، فلا يعتمد الإنسان على سبب ولا غيره، بل يثق بالله ويفوض أمره إليه. قوله: ﴿**وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ**﴾ كلام مستأنف مسوق لبيان تحريض المؤمنين على الوفاء بالعقود، فإن المقصود من ذكر الأمم السابقة، ونقضهم عهود أنبيائهم، تذكير هذه الأمة بأن الوفاء بالعهود أمره عظيم وأجره جسيم، ونقضه فيه الوبال الكبير، ولذا قال العارف أبو الحسن الشاذلي: فالويل لمن لم يعرفك، بل الويل ثم الويل لمن أقر بوحدانيتك ولم يرض بأحكامك. قوله: (**بما يذكر بعد**) أي من قوله: ﴿إني معكم لئن أقمتم الصلاة﴾ الخ، فعهد الله هو امتثال المأمورات واجتناب المنهيات، والدال على ذلك تجب مطاوعته، فالشيخ المتمسك بشرع رسول الله، القائم بحقوق الله وحقوق عباده، إذا أخذ العهد بذلك على إنسان، وجب عليه اتباعه ونقض عهده، إما كفر إذا قصد نقض ما هو عليه من التوحيد وغيره، أو ضلال مبين إذا قصد عدم الإلتزام بأوراده، وأما من خالف الشرع، واتبع هوى نفسه، فالواجب نقض عهده، لأن من لا عهد له مع الله، لا عهد له مع خلقه، قال تعالى: ﴿فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى﴾ هكذا ينبغي. قوله: (**فيه التفات عن الغيبة**) أي وكان مقتضى الظاهر وبعث، وإنما التفت اعتناء بشأن البعث قوله: (**أقمنا**) أشار بذلك إلى أن المراد بالبعث الجعل والإقامة، لا الإرسال، إلا لكانوا معصومين من النقض.

قوله: ﴿**مِنْهُمْ**﴾ إما متعلق ببعثنا، أو بمحذوف حال من اثني عشر، وقوله: ﴿**نَقِيباً**﴾ تمييزه، والنقيب فعيل، إما بمعنى فاعل لأنه يفتش على أحوال القوم، أو بمعنى مفعول لأنهم فتشوا عليه، واختاروه نقيباً عليهم مشتق من التنقيب وهو التفتيش، ومنه فنقبوا في البلاد، سمي بذلك لأنه يفتش عن أحوال القوم ويسعى في مصالحهم. قوله: (**من كل سبط نقيب**) أي فالنقباء على عدد الأسباط، وهم أولاد يعقوب، وكانوا اثني عشر كل واحد منهم سبط. قوله: (**توثقة عليهم**) أي تأكيداً عليهم.

﴿إِنِّي مَعَكُمْ﴾ بالعون والنصرة ﴿لَئِنْ﴾ لام قسم ﴿أَقَمْتُمُ الصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ الزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ﴾ نصرتموهم ﴿وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ بالانفاق في سبيله ﴿لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَٰرُ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ الميثاق منكم ﴿فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ السَّبِيلِ﴾ ﴿١٢﴾ أخطأ طريق الحق والسواء في الأصل الوسط فنقضوا الميثاق قال الله تعالى ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم﴾ ما زائدة ﴿مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ﴾ أبعدناهم عن رحمتنا ﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً﴾ لا تلين

قوله: ﴿وَقَالَ﴾ (لهم) أي للنقباء، وعهد النقباء هو عهد بني إسرائيل، أو الضمير عائد على بني إسرائيل عموماً، وسبب ذلك أن بني إسرائيل لما رجعوا إلى مصر بعد هلاك فرعون، أمرهم الله تعالى بالسير إلى أريحاء بأرض الشام، وكان يسكنها الجبابرة الكنعانيون، وقال لهم: إني كتبتها لكم داراً وقراراً، فأخرجوا من فيها وإني ناصركم، وأمر موسى أن يأخذ من كل سبط نقيباً أميناً يكون كفيلاً على قومه بالوفاء بما أمروا به، فاختار النقباء، وأخذ الميثاق على بني إسرائيل وسار بهم، فلما دنا من أرض كنعان، بعث النقباء إليهم يتجسسون أحوالهم، فرأوا خلقاً أجسامهم عظيمة، ولهم قوة وشوكة فهابوهم فرجعوا، وكان موسى قد نهاهم أن يتحدثوا بما يرون من أحوال الكنعانيين، فنكثوا الميثاق وتحدثوا، إلا اثنين منهم، قيل لما توجه النقباء لتجسس أحوال الجبارين، لقيهم عوج بن عنق، وعنق أمه إحدى بنات آدم لصلبه، وكان عمره ثلاثة آلاف سنة، وطوله ثلاثة آلاف وثلثمائة وثلاثين ذراعاً، وكان على رأسه حزمة حطب، فأخذ النقباء وجعلهم في الحزمة، وانطلق بهم إلى امرأته، فطرحهم بين يديها، وقال اطحنيهم بالرحى، فقالت لا بل نتركهم حتى يخبروا قومهم بما رأوا، فجعلوا يتعرفون أحوالهم، وكان من أحوالهم أن عنقود العنب عندهم لا يحمله إلا خمسة رجال منهم، وأن قشرة الرمانة تسع خمسة منهم، فلما خرج النقباء من أرضهم، قال بعضهم لبعض: إن أخبرتم بني إسرائيل بخبر القوم، ارتدوا عن نبي الله، ولكن اكتموه إلا عن موسى وهارون، ثم انصرفوا إلى موسى، وكان معهم حبة من عنبهم، فنكثوا عهدهم، وجعل كل واحد منهم ينهي سبطه عن القتال ويخبره بما رأى، إلا كالب ويوشع، وكان عسكر موسى فرسخاً في فرسخ، فجاء عوج بن عنق حتى نظر إليهم، فجاء إلى جبل وأخذ منه صخرة على قدر عسكر موسى، ثم حملها على رأسه ليطبقها عليهم، فبعث الله الهدهد فنقر وسط الصخرة المحاذي لرأسه، فوقعت في عنقه وطوقته فصرعته، وأقبل موسى فقتله، فأقبلت جماعته حتى حزوا رأسه، وهذه القصة ذكرها كثير من المفسرين، قال المحققون: إنه لا عوج ولا عنق، وإنما الصحيح من القصة وجود الجبارين وقريتهم، وأنهم عظام الأجسام، وبالجملة فالصحيح هو ما قصه الله علينا فيما يأتي في هذا الربع. قوله: **(لام قسم)** أي والله، وجوابه هو قوله لأكفرن، وحذف جواب الشرط لتأخره عن القسم اكتفاء بجواب القسم، قال ابن مالك: واحذف لدى اجتماع شرط وقسم، جواب ما أخرت.

قوله: ﴿**وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي**﴾ أخره عن الصلاة والزكاة، مع أنهما من الفروع، لأن بعضهم كان يفعلهما مع كونه يكذب ببعض الرسل، فأفاد الله تعالى أن عدم الإيمان لا ينفع مع فعل الطاعات قوله: ﴿**وَعَزَّرْتُمُوهُمْ**﴾ من التعزيز، يطلق على التعذيب، وعلى التعظيم والتوفير والنصرة، وهو المراد هنا. قوله: **(بالإنفاق في سبيله)**، أي واجباً أو مندوباً، وهو أعم من الزكاة. قوله: **(فنقضوا الميثاق)** أي بتكذيبهم الرسل، وقتلهم الأنبياء، وتضييعهم الفرائض.

لقبول الإيمان ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ﴾ الذي في التوراة من نعت محمد وغيره ﴿عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ التي وضعه الله عليها أي يبدلونه ﴿وَنَسُواْ﴾ تركوا ﴿حَظًّا﴾ نصيباً ﴿مِّمَّا ذُكِّرُواْ﴾ أمروا ﴿بِهِۦ﴾ في التوراة من اتباع محمد ﴿وَلَا تَزَالُ﴾ خطاب للنبي ﷺ ﴿تَطَّلِعُ﴾ تظهر ﴿عَلَىٰ خَآئِنَةٍ﴾ أي خيانة ﴿مِّنْهُمْ﴾ بنقض العهد وغيره ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ ممن أسلم ﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾﴾ وهذا منسوخ بآية السيف ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ﴾ متعلق بقوله ﴿أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ﴾ كما أخذنا على بني إسرائيل اليهود ﴿فَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ﴾ في الإنجيل من الإيمان وغيره ونقضوا الميثاق ﴿فَأَغْرَيْنَا﴾ أوقعنا ﴿بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ بتفرقهم واختلاف أهوائهم فكل فرقة تكفر الأخرى ﴿وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ﴾ في الآخرة ﴿بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ ﴿١٤﴾﴾ فيجازيهم عليه ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ اليهود والنصارى ﴿قَدْ جَآءَكُمْ

قوله: ﴿**يُحَرِّفُونَ الكَلِمَ**﴾ بيان لقسوة قلوبهم. قوله: (**تركوا**) أشار بذلك إلى أن المراد بالنسيان، الترك من إطلاق الملزوم وإرادة اللازم. قوله: (**خيانة**) أشار بذلك إلى أن خائنة بمعنى خيانة، فالتاء للتأنيث بدليل القراءة الأخرى خيانة. قوله: (**وهذا**) أي الأمر بالعفو والصفح، منسوخ إن أريد مع بقائهم على الكفر، وأما إن أريد إن تابوا فلا نسخ.

قوله: ﴿**وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى**﴾ شروع في بيان قبائح النصارى إثر بيان قبائح اليهود، والحكمة في قوله قالوا، ولم يقل ومن النصارى، أن هذه التسمية واقعة منهم لأنفسهم، ولم يسمهم الله تعالى بذلك، والجار والمجرور متعلق بأخذنا، والأصل وأخذنا من الذين قالوا إنا نصارى ميثاقهم وهو الأحسن، ولذا مشى عليه المفسر، وقدم الجار والمجرور على قوله: ﴿**مِيثَاقَهُمْ**﴾ هروباً من عود الضمير على متأخر لفظاً ورتبة، وهو غير جائز إلا في مواضع ليس هذا منها، ونصارى نسبة للنصر، لأنهم يزعمون أنهم أنصار الله، ومفرده نصران ونصرانة، ولكن ياء النسب لا تفارقه، وقيل نسبة لقرية اسمها نصرة، فيكون مفرده نصري، ثم أطلق على كل من تعبد بهذا الدين. قوله: ﴿**مِيثَاقَهُمْ**﴾ أي عهدهم المؤكد.

قوله: ﴿**فَنَسُوا حَظًّا**﴾ أي تركوه. قوله: (**من الإيمان**) أي بمحمد وبجميع الأنبياء، وقوله: (**وغيره**) أي غير الإيمان كبشارة عيسى بمجيء محمد بعده رسولاً. قوله: (**ونقضوا الميثاق**) أي تكذيب الأنبياء، وتحريف ما في الإنجيل، وهذا مرتب على قوله: ﴿**فَنَسُوا حَظّاً**﴾ وكذا قوله: ﴿**فَأَغْرَيْنَا**﴾ وهو من غرا بالشيء إذا لصق به، يقال غروت الجلد ألصقته بالغراء، وهو كناية عن إيقاع العداوة بينهم، والتعبير بالإغراء أبلغ كأن العداوة لاصقة بهم كالغراء اللاصق بالجلد. قوله: ﴿**بَيْنَهُمْ**﴾ متعلق بأغرينا والضمير عائد على اليهود والنصارى، أي ألقينا العداوة بين اليهود والنصارى، فكل من الفرقتين تلعن الأخرى، وقيل الضمير عائد على النصارى فقط باعتبار فرقهم، لأنهم ثلاث فرق: الملكانية واليعقوبية والنسطورية فكل فرقة تلعن الأخرى، وإنما لم يظهروا ذلك بين المسلمين، خوفاً من الشماتة بهم فكل فرقة تكفر الأخرى، أي في الدنيا وفي الآخرة ﴿كلما دخلت أمة لعنت أختها﴾. قوله: ﴿**وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ**﴾ (**في الآخرة**) أي بقوله يوم القيامة: ﴿وامتازوا اليوم أيها المجرمون﴾ الآية.

رَسُولُنَا ﴾ محمد ﴿ يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ ﴾ تكتمون ﴿ مِنَ الْكِتَابِ ﴾ التوراة والانجيل كآية الرجم وصفته ﴿وَيَعْفُوا عَن كَثِيرٍ﴾ من ذلك فلا يبينه إذا لم يكن فيه مصلحة إلا افتضاحكم ﴿ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ ﴾ هو نور النبي ﷺ ﴿ وَكِتَابٌ ﴾ قرآن ﴿ مُّبِينٌ ﴾ ﴿١٥﴾ بيِّن ظاهر ﴿ يَهْدِي بِهِ ﴾ أي بالكتاب ﴿ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ ﴾ بأن آمن ﴿سُبُلَ السَّلَامِ ﴾طرق السلامة ﴿وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ ﴾ الكفر ﴿ إِلَى النُّورِ ﴾ الايمان ﴿ بِإِذْنِهِ ﴾ بإرادته ﴿ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ ﴿١٦﴾ دين الاسلام ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ﴾ حيث جعلوه إلهاً وهم اليعقوبية فرقة من النصارى ﴿ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ ﴾ أن يدفع ﴿ مِنَ ﴾ عذاب ﴿ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾ أي لا أحد يملك ذلك ولو كان المسيح إلهاً لقدر عليه ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ شاءه ﴿ قَدِيرٌ ﴾ ﴿١٧﴾ ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ ﴾ أي كل منهما ﴿ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ ﴾ أي كأبنائه في القرب والمنزلة وهو كأبينا في الرحمة والشفقة ﴿ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ ﴾ لهم يا محمد ﴿ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ﴾ إن صدقتم في ذلك ولا يعذب

قوله: ﴿يَا أَهْلَ الكِتَابِ﴾ خطاب للفريقين جميعاً، بعد أن ذكر كل فرقة على حدة. قوله: **(كآية الرجم وصفته)** أي فقد أخفوهما، وأطلع الله نبيه على أنهما في التوراة، فبين ذلك وأظهره، وهو معجزة لرسول الله ﷺ، لأنه لم يقرأ كتابهم، ولم يجلس بين يدي معلم، وهذا مثال لما في التوراة، ولم يمثل لما في الإنجيل، ولو مثل له لقال: وكبشارة عيسى بمحمد.

قوله: ﴿**وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ**﴾ أي من قبائحهم كسبه فيما بينهم، والكلام في شأنه هو والقرآن، فلم يتعرض لهم في ذلك. قوله: **(هو نور النبي)** أي وسمي نوراً لأنه ينوّر البصائر ويهديها للرشاد، ولأنه أصل كل نور حسي ومعنوي. قوله: ﴿**مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ**﴾ أي من سبق في علم الله أنه يتبع رضوانه. قوله: **(طرق السلامة)** أي من العذاب والنجاة من العقاب، و ﴿**سُبُلَ السَّلَامِ**﴾ منصوب بنزع الخافض وإنما حقه أن يتعدى إلى المفعول الثاني بإلى أو باللام، قال تعالى:﴿إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم﴾. قوله: **(وهم اليعقوبية)** أي القائلون بالاتحاد. قوله: ﴿**وَمَنْ فِي الأَرْضِ جَمِيعاً**﴾ هذا ترق في الرد عليهم. قوله: **(أي لا أحد)** أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري بمعنى النفي.

قوله: ﴿**وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ**﴾ ترق في الرد عليهم أيضاً. قوله: (شاءه) أي تعلقت به إرادته وهي الممكنات، خرج بذلك ذاته وصفاته والمستحيلات فلا تتعلق القدرة والإرادة بشيء من ذلك. قوله: **(أي كأبنائه في القرب)** أي فالمعنى على التشبيه، وهذا هو الصحيح، وقيل المعنى أبناء أنبياء الله، فالكلام على حذف مضاف. وسبب نزولها أن رسول الله ﷺ دعا جماعة من اليهود إلى الإسلام، وخوفّهم بعقاب الله تعالى، فقالوا: كيف تخوفنا به ونحن أبناء الله وأحباؤه؟ وهذه مقالة اليهود، وأما النصارى فقالوا مثلهم، زاعمين أن الله قال في الإنجيل: إن المسيح قال لهم إني ذاهب إلى أبي وأبيكم. قوله: ﴿**قُلْ**﴾ **(لهم يا محمد)** أي إلزاماً لهم وتبكيتاً، إن صح ما زعمتم، فلأي شيء يعذبكم في الدنيا بالقتل

الأب ولده ولا الحبيب حبيبه وقد عذبكم فأنتم كاذبون ﴿بَلۡ أَنتُم بَشَرٞ مِّمَّنۡ﴾ من جملة من ﴿خَلَقَۚ﴾ من البشر لكم ما لهم وعليكم ما عليهم ﴿يَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ﴾ المغفرة له ﴿وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۚ﴾ تعذيبه لا اعتراض عليه ﴿وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾ ﴿١٨﴾ المرجع ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا﴾ محمد ﴿يُبَيِّنُ لَكُمۡ﴾ شرائع الدين ﴿عَلَىٰ فَتۡرَةٖ﴾ انقطاع ﴿مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾ إذ لم يكن بينه وبين عيسى رسول ومدة ذلك خمسمائة وستون سنة ﴿أَن﴾ لا ﴿تَقُولُواْ﴾ إذا عذبتم ﴿مَا جَآءَنَا مِنۢ﴾ زائدة ﴿بَشِيرٖ وَلَا نَذِيرٖۖ فَقَدۡ جَآءَكُم بَشِيرٞ وَنَذِيرٞۗ﴾ فلا عذر لكم إذاً ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ ﴿١٩﴾ ومنه تعذيبكم إن لم تتبعوه ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَعَلَ فِيكُمۡ﴾ أي منكم ﴿أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكٗا﴾ أصحاب خدم وحشم ﴿وَءَاتَىٰكُم مَّا

والمسخ، وقد اعترفتم بأنه تعالى سيعذبكم في الآخرة بالنار أياماً بعدد أيام عبادة العجل، ولو كان الأمر كما زعمتم، لما صدر منكم ما صدر، ولما وقع عليكم ما وقع. قوله: **(لا اعتراض عليه)** أي لأنه القادر الفعال بالاختيار.

قوله: **﴿عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ﴾** أي في وقت لا تعرفون فيه توحيداً، فعليكم باتباعه. قوله: **(إذا لم يكن بينه وبين عيسى رسول الخ)** هذا هو الصحيح، وقيل كان بين محمد وعيسى أربعة رسل، ثلاثة من بني إسرائيل، وواحد من حمير، وهو خالد بن سنان. قوله: **(ومدة ذلك خمسمائة وستون سنة)** وقيل خمسمائة وخمسة وستون، وقيل خمسمائة وأربعون، وقيل أربعمائة وبضع وثلاثون، والصحيح أنها ستمائة ومدة ما بين موسى وعيسى ألف وسبعمائة سنة، لكنها ليست فترة لبعثة كثيرين من الأنبياء بينهما ويتعبدون بشريعة موسى، كداود وسليمان وزكريا ويحيى. قوله: **﴿أَنْ﴾ (لا) ﴿تَقُولُوا﴾** أشار بذلك إلى أنَّ **﴿أَنْ﴾** المصدرية دخلت عليها اللام ولا النافية مقدرة بعدها، والتقدير لعدم قولكم ما جاءنا الخ. قوله: **(زائدة)** أي في فاعل جاء.

قوله: **﴿وَ﴾ (اذكر) ﴿إِذْ قَالَ مُوسَى﴾** أشار بذلك إلى أن إذ ظرف لمحذوف، قدره المفسر بقوله اذكر، والمقصود من ذلك توبيخ اليهود الذين في زمنه ﷺ وتسليته على عدم إيمانهم به وبيان نقضهم العهد تفصيلاً، والمعنى تسل ولا تحزن من عدم إيمانهم بك ومن تكذيبك، فإنهم كذبوا من يدعون أنه نبيهم إلى الآن. قوله: **﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ﴾** أي تذكّروها واشكروا عليها. قوله: **﴿إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ﴾** أي بكثرة ولم تكن في غيركم.

قوله: **﴿جَعَلَكُمْ مُلُوكاً﴾** أي ببسط الدنيا لكم، وذلك بعد إغراق فرعون. قوله: **(خدم)** جمع خادم، وهو صادق بالذكر والأنثى، وقوله: **(وحشم)** هم الخدم لكن من الرجال، ورد أن أول من ملك الخدم بنو إسرائيل، وكان يقال عندهم من كانت عنده دابة وجارية وزوجة فهو ملك، وقيل الملك من اتسعت داره وكان فيها النهر يجري، وقيل جعلكم ملوكاً أي أحراراً بعد استرقاق فرعون لكم. قوله:

﴿لَمۡ يُؤۡتِ أَحَدٗا مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ ﴿٢٠﴾ من المن والسلوى وفلق البحر وغير ذلك ﴿يَٰقَوۡمِ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ﴾ المطهرة ﴿ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ﴾ أمركم بدخولها وهي الشام ﴿وَلَا تَرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَارِكُمۡ﴾ تنهزموا خوف العدو ﴿فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ﴾ ﴿٢١﴾ في سعيكم ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوۡمٗا جَبَّارِينَ﴾ من بقايا عاد طوالاً ذوي قوة ﴿وَإِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَا حَتَّىٰ يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ﴾ ﴿٢٢﴾ لها ﴿قَالَ﴾ لهم ﴿رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ﴾ مخالفة أمر الله وهما يوشع وكالب من النقباء الذين بعثهم موسى في كشف أحوال الجبابرة ﴿أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمَا﴾ بالعصمة فكتما ما اطلعا عليه من حالهم إلا عن موسى بخلاف بقية النقباء فأفشوه فجبنوا ﴿ٱدۡخُلُواْ عَلَيۡهِمُ ٱلۡبَابَ﴾ باب

﴿مِنَ العَالَمِينَ﴾ أي مطلقاً، لأن فلق البحر والمن والسلوى لم يكن لأحد غيرهم، ولا لأمة محمد ﷺ، ولا حاجة هنا للتأويل بعالمي زمانهم. قوله: **(من المن والسلوى)** بيان لما. إن قلت: إن هذه المقالة وقعت حين أخذ الميثاق عليهم في قتال الجبارين، فلا يظهر قول المفسر من المن والسلوى، لأنه لم ينزل عليهم إلا في التيه، وذلك بعد توجههم من مصر لقتال الجبارين، فحينئذٍ كان المناسب للمفسر أن يقول من النبوة والملك وفلق البحر، وقد يجاب: بأنه لا مانع من ذكر هذه الكلمة في التيه أيضاً.

قوله: ﴿**يَا قَوْمِ**﴾ الجمهور على كسر الميم من غير ياء، وقرىء بضم الميم إجراء له مجرى المفرد، وبالياء مفتوحة لأنه منادى مضاف لياء المتكلم، قال ابن مالك:

واجْعَلْ مُنَادِي صَحّ أَنْ يَضِفِ لِيَا ... كَعَبْدَ عَبْدِي عَبْدَ عَبْداً عَبْدِيَا

قوله: **(المطهرة)** إنما سميت مطهرة لسكنى الأنبياء المطهرين فيها، فشرفت وطهرت بهم، فالظرف طاب بالمظروف، إن قلت: إن الجبارين كانوا فيها وهم غير مطهرين أجيب: بأن الخير يغلب الشر، والنور يغلب الظلمة. قوله: **(أمركم بدخولها)** دفع بذلك ما يقال: كيف الجمع بين الكتابة التي تفيد تحتم الدخول، وبين قوله قال فإنها محرمة عليهم أربعين سنة، فأجاب: بأن المراد بالكتب الأمر بالدخول، وأجيب أيضاً بأن قوله التي كتب الله لكم أي قدرها في اللوح المحفوظ، إن لم تقع منكم مخالفة، وقد وقعت فحرمت عليهم أربعين سنة، فهو قضاء معلق.

قوله: ﴿**وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ**﴾ أي ترجعوا إلى مصر، فإنهم لما سمعوا بأخبار الجبارين، قالوا تجعل لنا رئيساً ينصرف بنا إلى مصر، وصاروا يبكون ويقولون ليتنا متنا بمصر. قوله: ﴿**فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ**﴾ أي لأن الفرار من الزحف من الكبائر. قوله: ﴿**قَالَ رَجُلَانِ**﴾ وصفهما بصفتين: الأولى قوله: ﴿**مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ**﴾ والثانية قوله: ﴿**أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا**﴾ وهو حسن، لأن فيه الوصف بالجملة بعد الوصف بالجار والمجرور، وهو من قبيل المفرد. قوله: **(وهما يوشع)** أي ابن نون وهو الذي نبيء بعد موسى، وقوله: **(وكالب)** بكسر اللام وفتحها ابن يوقنا. قوله: **(بقية النقباء)** أي الاثني عشر، وقوله: **(فأفشوه)** أي خبر الجبارين، وقوله: **(فجبنوا)** أي بنو إسرائيل.

قوله: ﴿**ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ**﴾ أي امنعوهم من الخروج، لئلا يجدوا في أنفسهم قوة للحرب،

القرية ولا تخشوهم فإنهم أجساد بلا قلوب ﴿ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ ﴾ قالا ذلك تيقناً بنصر الله وإنجاز وعده ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ ﴿٢٣﴾ ﴿ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ ﴾ هم ﴿ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴾ ﴿٢٤﴾ عن القتال ﴿ قَالَ ﴾ موسى حينئذ ﴿ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَ ﴾ إلا ﴿ أَخِي ﴾ ولا أملك غيرهما فأجبرهم على الطاعة ﴿ فَٱفْرُقْ ﴾ فافصل ﴿ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ ﴿٢٥﴾ ﴿ قَالَ ﴾ تعالى له ﴿ فَإِنَّهَا ﴾ أي الأرض المقدسة ﴿ مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ ﴾ أن يدخلوها ﴿ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ ﴾ يتحيرون ﴿ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ وهي تسعة فراسخ قاله ابن عباس ﴿ فَلَا تَأْسَ ﴾ تحزن ﴿ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ ﴿٢٦﴾ روي أنهم كانوا يسيرون الليل جادين فإذا أصبحوا إذا هم في الموضع الذي ابتدؤوا منه ويسيرون النهار كذلك حتى انقرضوا كلهم إلا من لم يبلغ العشرين قيل وكانوا ستمائة ألف ومات هارون وموسى في التيه وكان

بخلاف ما إذا دخلتم عليهم القرية بغتة، فإنهم لا يقدرون على الكر والفر. قوله: **(بلا قلوب)** أي قوية نافعة. قوله: **(تيقنا بنصر الله)** أي فإنهما مصدقان بذلك، لإخبار موسى لهما بذلك. قوله: **﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا﴾** أي بعد ترتيب الأسباب، ولا تعتمدوا عليها فإنها غير مؤثرة. قوله: **﴿مَا دَامُوا فِيهَا﴾** أي مدة إقامتهم فيها. قوله: **﴿أَنْتَ وَرَبُّكَ﴾** قيل إن الواو للعطف، وربك معطوف على الضمير المستتر في اذهب، وقد وجد الفاصل بالضمير المنفصل، قال ابن مالك:

وَإِنْ عَلَى ضَمِيرِ رَفْعٍ مُتَّصِلٍ عَطَفْت فَافْصِل بِالضَّمِيرِ الْمُنْفَصِلِ

أي ليذهب ربك، واختلف في الرب، فقيل هو المولى جل وعلا، فإسنادهم الذهاب إليه على حقيقته، لأنهم كانوا يعتقدون التجسيم، وقيل المراد به هارون وسموه رباً لأنه كان أكبر من موسى بسنة، وهو الأحسن، ويدل عليه السياق، وقيل الواو للحال، وربك مبتدأ خبره محذوف تقديره يعينك. قوله: **(لا أملك غيرهما)** إن قلت: إن يوشع وكالب كانا في طاعته أيضاً. أجيب بأنه لم يثق بهما. قوله: **﴿فَافْرُقْ بَيْنَنَا﴾** أي احكم لنا بما نستحقه، واحكم لهم بما يستحقونه، وكان الأمر كذلك، فصار التيه رحمة لموسى وهارون، وعذاباً على بني إسرائيل. قوله: **﴿أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾** يصح أن يكون ظرفاً لقوله: **﴿يَتِيهُونَ﴾** وعلى هذا فهي محرمة عليهم أبداً لأنهم انقرضوا، وما دخلها إلا من لم يبلغ العشرين حين الميثاق، وقيل ظرف لقوله: **﴿مُحَرَّمَةٌ﴾** وعلى هذا فالتحريم مقيد بتلك المدة، وقيل ظرف لهما معاً. قوله: **(وهي تسعة فراسخ)** أي عرضاً، وطولها ثلاثون فرسخاً.

قوله: **﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾** أي وذلك أنه ندم على دعائه عليهم، فقيل له لا تأس فإنهم أحق بذلك. قوله: **(ومات هارون وموسى في التيه)** ومات موسى بعد هارون بسنة، وقيل إن موسى هو الذي ملك الشام، وكان يوشع على مقدمته، وعاش فيها زمناً طويلاً، ومات ولم يعلم له قبر، وهما طريقتان: قيل إن موسى وهارون توجها إلى البرية، فمات هارون فدفنه أخوه موسى، ثم رجع إلى قومه فقالوا قتله لحبنا إياه، فتضرع موسى إلى ربه، فأوحى الله إليه أن انطلق بهم إلى هارون فإني باعثه، فانطلق بهم إلى قبره، فناداه يا هارون فخرج من قبره ينفض رأسه، قال: أنا قتلتك؟ قال: لا، ولكني

رحمة لهما وعذاباً لأولئك وسأل موسى ربه عند موته أن يدنيه من الأرض المقدس رمية بحجر فأدناه كما في الحديث ونبىء يوشع بعد الأربعين وأمر بقتال الجبارين فسار بمن بقي معه وقاتلهم وكان يوم الجمعة ووقفت له الشمس ساعة حتى فرغ من قتالهم وروى أحمد في مسنده حديث إن

مت، قال: فعد إلى مضجعك. وروي أن موسى خرج ليقضي حاجته، فمر برهط من الملائكة يحفرون قبراً لم ير شيئاً أحسن منه، ولا مثل ما فيه من الخضرة والنضرة والبهجة، فقال لهم: يا ملائكة الله لِمَ تحفرون هذا القبر؟ فقالوا: لعبد كريم على ربه، فقال: إن هذا العبد لمن الله بمنزلة ما رأيت كاليوم أحسن منه مضجعاً، فقالت الملائكة: يا صفي الله أتحب أن يكون لك؟ قال: وددت، قالوا فانزل واضطجع فيه وتوجّه إلى ربك، قال: فنزل فاضطجع فيه وتوجه إلى ربه، ثم تنفس أسهل نفس، فقبض الله تعالى روحه، ثم سوت عليه الملائكة التراب، وقيل إن ملك الموت أتاه بتفاحة من الجنة فشمّها فقبض الله روحه، وقيل إنه روي أن ملك الموت جاءه وقال له: أجب أمر ربك، فلطم موسى عين ملك الموت ففقأها، فقال ملك الموت: يا رب إنك أرسلتني إلى عبد لا يريد الموت وقد فقأ عيني، قال فرد الله تعالى عينه وقال له ارجع إلى عبدي فقل له: الحياة تريد؟ فإن كنت تريد الحياة، فضع يدك على متن ثور، فما وارت يدك من شعره فإنك تعيش بكل شعرة سنة، قال: ثم ماذا؟ قال: ثم تموت، قال: فالآن من قريب، قال: رب أدنني من الأرض المقدسة رمية حجر، قال رسول الله ﷺ: لو أني عنده لأريتكم قبره إلى جانب الطور عند الكثيب الأحمر. ورواية فقء عين ملك الملك متكلم فيها، وعلى فرض ورودها، ففقء عين الملك من خصوصيات موسى، لأن الملك لا تحكم عليه الصورة، ولا يقال إن هذا جناية حرام، لأننا نقول إنه فقأ عين الصورة المتشكل فيها، لا الصورة الأصلية، وقصده بتلك الفعلة نهيه عن أن يأتي للمؤمن في صورة فظيعة، كما قرره أشياخنا قوله: **(وكان رحمة لهما)** أي وكذا يوشع وكالب، وذلك كنار إبراهيم، فإنها جعلت عليه برداً وسلاماً. قوله: **(وعذاباً لأولئك)** أي من حيث السير، وقد أنعم الله عليهم في التيه بنعم عظيمة، منها أنهم شكوا لموسى حالهم من الجوع والعري، فدعا الله تعالى فأنزل عليهم المن والسلوى، وأعطاهم من الكسوة ما يكفيهم كل واحد على مقدار هيئته، وشكوا له العطش، فأتى موسى بحجر من جبل الطور، فكان يضربه بعصاه فيخرج منه اثنتا عشرة عيناً، وشكوا الحرّ، فأرسل الله عليهم الغمام يظلهم، وكان يطلع عمود من نور يضيء لهم بالليل ولا تطول شعورهم، وإذا ولد لهم مولود كان عليه ثوب كالظفر، يطول بطوله ويتسع بقدره. قوله: **(أن يدنيه)** أي يقربه من الأرض المباركة، أي يدفن بقربها لكونها مطهرة مباركة، ويؤخذ من ذلك، أن الإنسان ينبغي له أن يتحرى الدفن في الأرض المباركة بقرب نبي أو ولي، وإنما لم يسأل الدفن فيها خوفاً من أن يعرف قبره فيفتتن به الناس. قوله: **(بعد الأربعين)** أي مدة التيه. قوله: **(بمن بقي)** أي وهم أولادهم الذين لم يبلغوا العشرين سنة حين أخذ الميثاق. قوله: **(وقاتلهم)** روي أن الله نبأ يوشع بعد موت موسى، وأخبرهم أن الله قد أمرهم بقتال الجبابرة فصدقوه وبايعوه، فتوجه ببني إسرائيل إلى أريحا ومعه تابوت الميثاق، وأحاط بمدينة أريحا ستة أشهر، وفتحوها في الشهر السابع ودخلوها، فقاتلوا الجبارين وهزموهم وهجموا عليهم يقتلونهم، وكانت العصابة من بني إسرائيل يجتمعون على عنق الرجل يضربونها، وكان القتال يوم الجمعة، فبقيت منهم بقية، وكادت الشمس تغرب وتدخل ليلة السبت، فقال: اللهم أردد الشمس علي، وقال للشمس: إنك

الشمس لم تحبس على بشر إلا ليوشع ليالي سار إلى بيت المقدس ﴿وَٱتْلُ﴾ يا محمد ﴿عَلَيْهِمْ﴾ على قومك ﴿نَبَأَ﴾ خبر ﴿ٱبْنَيْ ءَادَمَ﴾ هابيل وقابيل ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ متعلق باتل ﴿إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا﴾ إلى الله وهو كبش لهابيل وزرع لقابيل ﴿فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا﴾ وهو هابيل بأن نزلت نار من السماء فأكلت قربانه

في طاعة الله، وأنا في طاعة الله، فسأل الشمس أن تقف، والقمر أن يقيم، حتى ينتقم من أعداء الله قبل دخول السبت، فردت عليه الشمس وزيد في النهار ساعة حتى قتلهم أجمعين، ثم تتبع ملوك الشام فقتل منهم إحدى وثلاثين ملكاً، حتى غلب على جميع أرض الشام، وصارت الشام كلها لبني إسرائيل، وفرق عماله في نواحيها، ثم مات يوشع ودفن بجبل إبراهيم، وكان عمره مائة وستاً وعشرين سنة، وتدبيره أمر بني إسرائيل بعد موسى سبعاً وعشرين سنة. قوله: (لم تحبس على بشر) أي قبل يوشع، وإلا فقد حبست لنبينا مرتين يوم الخندق، حين شغل هو وأصحابه عن صلاة العصر حتى غربت الشمس، فردها الله عليه حتى صلى العصر، وصبيحة ليلة الإسراء حين انتظر قدوم العير، وزيد في رواية مرة لعلي بن أبي طالب حين كان النبي نائماً على فخذه، ولم يكن صلى العصر، فما استيقظ حتى غربت الشمس، فقال النبي ﷺ: «اللهم علياً في طاعتك وطاعةرسولك، فاردد عليه الشمس حتى يصلي العصر». قوله: (ليالي سار) أي أيام سيره، أي توجهه لقتالهم.

قوله: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ﴾ معطوف على العامل المحذوف في قوله: ﴿وإذ أخذ الله ميثاق بني إسرائيل﴾ عطف قصة على قصة، أي اذكر ما وقع من بني إسرائيل، واتل عليهم نبأ ابني آدم الخ. قوله: (على قومك) أي سواء كانوا يهوداً أو نصارى أو مشركين. قوله: (خبر) ﴿ابْنَيْ آدَمَ﴾ أي قصتهما وما وقع لهما. قوله: (هابيل) هو السعيد المقتول، وقابيل هو الشقي القاتل، وظاهر الآية أنهما من أولاد آدم لصلبه وهو التحقيق، ويؤيده قوله فيما يأتي، فبعث الله غراباً، وقيل لم يكونا لصلبه بل هما رجلان من بني إسرائيل، بدليل قوله في آخر القصة، : ﴿من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل﴾، والأول هو الصحيح، وقابيل هو أول أولاده، وهابيل بعده بسنة، وكلاهما بعد هبوطه إلى الأرض بمائة سنة، وقيل إن قابيل هو وأخته ولدا في الجنة، ولم تر حواء لهما وحماً ولا وصباً ولا دم نفاس، وأما بقية أولاده فبالأرض، ولذا كان يفتخر قابيل على هابيل ويقول له: إني ابن الجنة وأنت ابن الأرض، فأنا خير منك، وحاصل ذلك أن حواء ولدت لآدم عشرين بطناً في كل بطن ذكر وأنثى، فصار الذكور عشرين والإناث كذلك، فلما قتل قابيل هابيل، نقصت الذكور عن الإناث فرزقه الله بشيث ومعناه هبة الله، فتماثل الذكور مع الإناث.

قوله: ﴿بِالْحَقِّ﴾ الجار والمجرور ويحتمل أن يكون متعلقاً بمحذوف صفة لمصدر محذوف تقديره اتل تلاوة ملتبسة بالحق، أو حال من فاعل أتل عليهم حال كونك ملتبساً بالحق أي الصدق أو حال من المفعول وهو نبأ أي اتل نبأهما حال كونه ملتبساً بالحق، وكل صحيح، والمقصود من ذكر هذه القصص الأخبار بما في الكتب القديمة، لتقوم الحجة على أربابها وغيرهم، فالأخبار بها من جملة المعجزات.

قوله: ﴿إِذْ قَرَّبَا قُرْبَاناً﴾ أي قرب كل واحد قرباناً، والقربان ما يقرب به إلى الله. وذلك أنه كان في شرع آدم، إذا كبر أولاده زوج ذكر هذه البطن لأنثى بطن أخرى، فأمره الله أن يزوج قابيل أخت هابيل وكانت دميمة، وهابيل أخت قابيل وكانت جميلة، فرضي هابيل وأبى قابيل، وقال: إنك تأمرنا برأيك لا

﴿ وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْآخَرِ ﴾ وهو قابيل فغضب وأضمر الحسد في نفسه إلى أن حج آدم ﴿ قَالَ ﴾ له ﴿ لَأَقْتُلَنَّكَ ﴾ قال لم قال لتقبل قربانك دوني ﴿ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ ﴿٢٧﴾ ﴿ لَئِنۢ ﴾ لام قسم ﴿ بَسَطتَ ﴾ مددت ﴿ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ ﴿٢٨﴾ في قتلك ﴿ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ ﴾ ترجع ﴿ بِإِثْمِى ﴾ بإثم قتلي ﴿ وَإِثْمِكَ ﴾ الذي ارتكبته من قبل ﴿ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ﴾ ولا أريد أن أبوء بإثمك إذا قتلتك فأكون منهم قال تعالى ﴿ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ ﴿٢٩﴾ ﴿ فَطَوَّعَتْ ﴾ زينت ﴿ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ ﴾ فصار ﴿ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ ﴿٣٠﴾ بقتله ولم يدر ما يصنع به لأنه أول ميت على وجه الأرض من بني آدم فحمله على ظهره ﴿ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ ينبش في التراب بمنقاره وبرجليه ويثيره على غراب

من عند الله. فقال لهما: قربا قرباناً، فأيكما تقبل منه فهو أحق بالجميلة، فذهب هابيل وأخذ كبشاً من أحسن غنمه وقربه، وذهب قابيل لصبرة قمح من أردأ ما عنده، وقيل قت رديء، حتى أنه وجد سنبلة جيدة ففركها وأكلها، وكان علامة قبول القربان نزول نار من السماء تحرقه، فنزلت على كبش هابيل فأحرقته، وقيل رفع إلى السماء حتى نزل فداء للذبيح ولم يتقبل من قابيل. قوله: **(فغضب)** أي لأمرين: فوزه بالجميلة وبقبول قربانه. قوله: **﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾** أي ولم يكن عندك تقوى لعقوقك لأبيك، وعدم إخلاصك في القربان. قوله: **﴿لِتَقْتُلَنِي﴾** اللام للتعليل أي لأجل قتلي. قوله: **﴿مَا أَنَا بِبَاسِطٍ﴾** جواب للقسم لتقدمه، وحذف جواب الشرط لتأخره، قال ابن مالك:

وَاحْذِفْ لَدَى اجْتِمَاعِ شَرْطٍ وَقَسَمٍ ... جَوَابَ مَا أخرت فَهُوَ مُلْتَزَم

والباء في بباسط زائدة في خبر ما، على أنها حجازية، وفي خبر المبتدأ على أنها تميمية. قوله: **﴿إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ﴾** أي فالمانع لي من قتلك خوف الله، وكان في شرعهم لا يجب دفع الصائل بل يجب الاستسلام له، وما في شرعنا فعند الشافعي يسنّ الاستسلام للمسلم الصائل، ويجب قتل الكافر، وعند مالك دفع الصائل واجب ولو بالقتل مسلماً أو كافراً. قوله: **﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي﴾** هذا تخويف من هابيل لقابيل لعله ينزجر. إن قلت: إنه لا تحل إرادة المعصية من الغير. أجيب بأجوبة منها: أن الهمزة محذوفة والاستفهام للإنكار، والأصل إني أريد، والمعنى لا أريد، ويؤيده هذا قراءة أني بفتح النون بمعنى كيف. ومنها: أن لا محذوفة أي أن لا تبوء على حد: ﴿إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا﴾. قوله: **(والذي ارتكبته)** أي كالحسد ومخالفة أمر أبيه.

قوله: **﴿وَذٰلِكَ﴾** أي المذكور وهو النار. قوله: **(زينت)** أي سهلت عليه القتل. قوله: **﴿فَقَتَلَهُ﴾** قيل لما قصد قتله لم يدر كيف يقتله، فتمثل له إبليس وقد أخذ طيراً فوضع رأسه على حجر ثم رضخه بحجر آخر، وقابيل ينظر فتعلم القتل، فوضع قابيل رأس هابيل بين حجرين وهو صابر، واختلف في موضع قتله، فقيل على عقبة حراء، وقيل بالبصرة عند مسجدها الأعظم. قوله: **(فحمله على ظهره)** أي في جراب، قيل أربعين يوماً وقيل سنة، روي لما قتل ابن آدم أخاه، رجفت بمن عليها سبعة أيام، وشربت الأرض دم المقتول كما تشرب الماء، فناداه الله: يا قابيل أين أخوك هابيل؟ فقال: ما أدري ما كنت عليه

ميت معه حتى وأراه ﴿لِيُرِيَهُۥ كَيۡفَ يُوَٰرِي﴾ يستر ﴿سَوۡءَةَ﴾ جيفة ﴿أَخِيهِۚ قَالَ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ أَعَجَزۡتُ﴾ عن ﴿أَنۡ أَكُونَ مِثۡلَ هَٰذَا ٱلۡغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوۡءَةَ أَخِيۖ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴾ ﴿٣١﴾ على حمله وحفر له ووراه ﴿مِنۡ أَجۡلِ ذَٰلِكَ﴾ الذي فعله قابيل ﴿كَتَبۡنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ﴾ أي الشأن ﴿مَن قَتَلَ نَفۡسَۢا بِغَيۡرِ نَفۡسٍ﴾ قتلها ﴿أَوۡ﴾ بغير ﴿فَسَادٖ﴾ أتاه ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ من كفر أو زنا أو قطع طريق أو نحوه ﴿فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا وَمَنۡ أَحۡيَاهَا﴾ بأن امتنع من قتلها ﴿فَكَأَنَّمَآ أَحۡيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعٗاۚ﴾ قال ابن عباس من حيث انتهاك حرمتها وصونها ﴿وَلَقَدۡ جَآءَتۡهُمۡ﴾ أي بني إسرائيل ﴿رُسُلُنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾ المعجزات ﴿ثُمَّ إِنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُم بَعۡدَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡأَرۡضِ لَمُسۡرِفُونَ ﴾ ﴿٣٢﴾ مجاوزون الحد بالكفر والقتل وغير ذلك ونزل في العرنيين لما قدموا المدينة وهم مرضى فأذن لهم

رقيباً، فقال الله له: إن دم أخيك ليناديني من الأرض، فلم قتلت أخاك؟ فقال: فأين دمه إن كنت قتلته، فحرم الله على الأرض من يومئذٍ أن تشرب دماً بعده أبداً. ويروى أنه لما قتل قابيل هابيل كان آدم بمكة، فاشتاك الشجر أي ظهر له شوك، وتغيرت الأطعمة وحمضت الفواكه، واغبرت الأرض، فقال آدم: قد حدث في الأرض حادث، فلما رجع آدم سأل قابيل عن أخيه فقال: ما كنت عليه وكيلاً، فقال: بل قتلته ولذلك اسود جلدك، فغضب عليه فذهب قابيل مطروداً، فأخذ أخته وهرب بها إلى عدن، فأتاه إبليس وقال له: إنما أكلت من النار قربان هابيل لأنه كان يعبد النار، فانصب أنت ناراً تكون لك ولعقبك، فبنى بيت النار فهو أول من عبد النار، وكان قابيل لا يمر به أحد إلا رماه بالحجارة، فأقبل ابن لقابيل أعمى ومعه ابنه، فقال ابن الأعمى لأبيه: هذا أبوك قابيل، فرماه بحجارة فقتله، فقال ابن الأعمى لأبيه: قتلت أباك قابيل، فرفع الأعمى يده ولطم ابنه فمات، فقال الأعمى: ويل لي قتلت أبي برميتي، وابني بلطمتي، واستمرت ذرية قابيل يفسدون في الأرض، إلى أن جاء طوفان نوح فأغرقهم جميعاً، فلم يبق منهم أحد ولله الحمد، وأبقى الله ذرية شيث إلى يوم القيامة، وما مات آدم حتى رأى من ذريته أربعين ألفاً. قوله: (**ويثيره على غراب ميت معه**) أي بعد أن وضعه في الحفرة التي نبشها.

قوله: ﴿**يَا وَيْلَتِي**﴾ كلمة تحسر، والألف بدل من ياء المتكلم، أي هذا أوانك فاحضري. قوله: ﴿**أَعَجَزْتُ**﴾ تعجب من عدم اهتدائه إلى ما اهتدى إليه الغراب. قوله: ﴿**فَأَصْبَحَ**﴾ أي صار من النادمين على حمله، أي أو على عدم اهتدائه للدفن أو لا، فلا يقال إن الندم توبة، فيقتضي أنه تاب فلا يخلد في النار. قوله: (**الذي فعله قابيل**) أي من الفساد. قوله: ﴿**كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ**﴾ إنما خصهم بالذكر، وإن كان القصاص في كل ملة، لأن اليهود مع علمهم بهذه المبالغة العظيمة، أقدموا على قتل الأنبياء والأولياء، وذلك يدل على قسوة قلوبهم.

قوله: ﴿**وَمَنْ أَحْيَاهَا**﴾ أي تسبب في بقائها، إما بنهي قاتلها عن قتلها، أو بإطعامها وحفظها من الأسباب المهلكة. قوله: (**أي من حيث انتهاك حرمتها**) أي النفوس المقتولة، ولذا ورد في الحديث: «**من سنّ سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة**» فقابل عليه وزر كل من وقع منه القتل من بني آدم لتسببه في ذلك، فإنه أول من وقع منه القتل. قوله: (**ونزل**) وجه المناسبة بينها وبين قصة ابني آدم ظاهرة، لأن قابيل قتل وأفسد في الأرض هو وذريته. قوله: (**في العرنيين**) جمع عرني نسبة لعرينة قبيلة من العرب، كجهني نسبة لجهينة، وكانوا ثمانية رجال قدموا المدينة وأظهروا الإسلام وكانوا مرضى، فاشتكوا

النبي ﷺ أن يخرجوا إلى الإبـل ويشربوا من أبـوالها وألبـانها فلما صحوا قتلوا راعي النبي ﷺ واستاقوا الإبل ﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾ بمحاربة المسلمين ﴿ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ﴾ بقطع الطريق ﴿ أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ ﴾ أي أيديهم اليمنى وأرجلهم اليسرى ﴿ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ ٱلْأَرْضِ ﴾ أو لترتيب الأحـوال فالقتـل لمن قتـل فقط والصلب لمن قتل وأخذ المال والقطع لمن أخذ المال ولم يقتل والنفي لمن أخاف فقط قاله ابن عباس وعليه الشافعي وأصح قوليه أن الصلب ثلاثاً بعد القتل وقيل قبله قليلاً ويلحق بالنفي ما أشبهه

له ﷺ من مرضهم، فأمرهم أن يخرجوا إلى إبل الصدقة، وكانت خمسة عشر ترعى في الجبل مع عتيق للمصطفى يقال له يسار النوبي، فلما صحوا قتلوا الراعي واستاقوا الإبل وارتدوا عن الإسلام، فقد وقع منهم المحاربة والقتل والسرقة والارتداد، فبلغ رسول الله خبرهم، فأرسل خلفهم نحو عشرين فارساً، فأتوا بهم فأمر رسول الله ﷺ بقطع أيـديهم وأرجلهم من خلاف، وسمـر أعينهم أي كحلهم بالنـار، وتركهم بالحرة يعضون الحجارة ويستسقون فلم يسقهم أحد. إن قلت: تسمير الأعين وموتهم بالجوع والعطش مثلة ورسول الله نهى عنها. أجيب بأجوبة منها: أنهم فعلوا بالراعي كذلك، ومنها أن ذلك خصوصية له ﷺ فيهم، ومنها أن ذلك كان جائزاً ثم نسخ. قوله: **(ويشربوا من أبوالها)** أخذ مالك من ذلك طهارة فضلة مأكول اللحم. قوله: **(بمحاربة المسلمين)** أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف تقديره يحاربون أولياء الله وأولياء رسوله وهم المسلمون، وأفاد به أن هذا الأمر مستمر إلى يوم القيامة.

قوله: ﴿**وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ**﴾ هذا تصوير للمحاربة، وقوله: ﴿**فَسَـاداً**﴾ مفعول لأجله، أي يسعون لأجل الفساد. قوله: **(بقطع الطريق)** أي لأخذ المال أو هتك الحريم أو قتل النفوس. قوله: ﴿**أَنْ يُقَتَّلُوا**﴾ أي من غير صلب، وقوله: ﴿**أَوْ يُصَلَّبُوا**﴾ أي مع القتل في محل مشهور لزجر غيره، والتفعيل للتكثير لكثرة المحاربين.

قوله: ﴿**أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الأَرْضِ**﴾ أي إلى مسافة القصر فما فوقها. قوله: **(أو لترتيب الأحوال)** أي التقسيم فيها، والمعنى أن هذه العقوبات على حسب أحوال المحاربين، وبيَّن المفسر ذلك، قال بعض العلماء أوفى جميع القرآن للتخيير إلا هذه الآية. قوله: **(وعليه الشافعي)** أي موافقاً في الاجتهاد لابن عباس لا مقلداً له، وعند مالك أو على بابها للتخيير لكن بحسب ما يراه الحاكم، فحدود المحارب أربعة لا يجوز الخروج عنها، وإنما الإمام مخير في فعل أيها شاء بالمحارب ما لم يقتل المحارب مسلماً مكافئاً ولم يعف وليه فإنه يتعين قتله، فإن عفا الولي رجع التخيير للإمام، فما أوجبه الشافعي استحسنه مالك للإمام وجاز غيره، مثلاً يجب على الإمام قتل القاتل، ولا يجوز غيره من الصلب والقطع من خلاف عند الشافعي، واستحسنه مالك للإمام ويجوز غيره من الحدود. قوله: **(إن الصلب ثلاثاً)** أي لا أقل إلا أن يخاف التغير، وقيل يطال به حتى ينقطع جسده. قوله: **(وقيل قبله قليلاً)** أي بحيث يحصل الزجر به، وهذا مشهور مذهب مالك وأبي حنيفة وعليه فيقتل وهو مصلوب. قوله: **(ويلحق بالنفي ما أشبهه)** أي لأن المقصود من النفي البعد عن الخلق، وذلك كما يحصل بإبعاده من الأرض التي هو بها يحصل بحبسه، ولو في الأرض التي هو بها، وهذا مذهب الشافعي ووافقه أبو حنيفة، وقال مالك النفي إبعاده من الأرض على مسافة القصر، ولا يكفي حبسه بأرضه.

في التنكيل من الحبس وغيره ﴿ذَٰلِكَ﴾ الجزاء المذكور ﴿لَهُمْ خِزْيٌ﴾ ذل ﴿فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (٣٣) هو عذاب النار ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾ من المحاربين والقطاع ﴿مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ لهم ما أتوا ﴿رَّحِيمٌ﴾ (٣٤) بهم عبر بذلك دون فلا تحدوهم ليفيد أنه لا يسقط عنه بتوبته إلا حدود الله دون حقوق الآدميين كذا ظهر لي ولم أر من تعرض له والله أعلم فإذا قتل وأخذ المال يقتل ويقطع ولا يصلب وهو أصح قولي الشافعي ولا تفيد توبته بعد القدرة عليه شيئاً وهو أصح قوليه أيضاً ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾ خافوا عقابه بأن تطيعوه ﴿وَابْتَغُوا﴾ اطلبوا ﴿إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ ما يقربكم اليه من طاعته ﴿وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ﴾

قوله: ﴿**ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ**﴾ اسم الإشارة مبتدأ، ولهم خبر مقدم، وخزي مبتدأ مؤخر، والجملة خبر المبتدأ، و ﴿**فِي الدُّنْيَا**﴾ صفة الخزي، وهذا أحسن الأعاريب. قوله: ﴿**وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ**﴾ هذا محمول على من مات كافراً، وأما حدود المسلمين فالمعتمد أنها جوابر. قوله: ﴿**إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا**﴾ استثناء منقطع أي لكن التائب يغفر له. قوله: (**ليفيد إنه لا يسقط الخ**)حاصل ذلك أنه إن كان كافراً أو تاب، سقطت عنه جميع التبعات حدوداً أو غيرها، وأما إن كان مسلماً سقط عنه حقوق الله لا حقوق الآدميين، مثلاً إن قتل وجاء تائباً، فالنظر للولي إن شاء عفا وإن شاء اقتص. قوله: (**كذا ظهر لي**) أي فهمه من الآية، وقوله: (**ولم أر من تعرض له**) أي من المفسرين وإن كان مذكوراً في كتب الفقه. قوله: (**يقتل ويقطع**) هذا سبق قلم والمناسب حذف قوله ويقطع، والحاصل عند الشافعي أنه إذا قتل وتاب، فإن عفا الولي سقط القتل وإلا فيقتل فقط، وأما إن كان أخذ المال وتاب، فإنه يؤخذ منه المال ولا يقطع، خلافاً لما ذكره المفسر من أنه إذا قتل وأخذ المال ثم تاب فإنه يجمع له بين القتل والقطع، وإنما المنفي عنه الصلب، وما ذكرناه من المعتمد عند الشافعي يوافقه مالك. قوله: (**وهو أصح قولي الشافعي**) أي ومقابله أنه يصلب.

قوله: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ**﴾ لما ذكر سبحانه وتعالى أن التوبة من الذنوب نافعة، وكانت التوبة من جملة التقوى حث على طلبها هنا. قوله: ﴿**إِلَيْهِ**﴾ متعلق بابتغوا. قوله: (**ما يقربكم إليه**) أي يوصلكم إليه، وقوله: (**من طاعته**) بيان لما، سواء كانت تلك الطاعة فرضاً أو نفلاً لما في الحديث: «وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به» الحديث. فالتقوى هنا ترك المخالفات، وابتغاء الوسيلة فعل المأمورات، ويصحّ أن المراد بالتقوى امتثال المأمورات الواجبة وترك المنهيات المحرمة، وابتغاء الوسيلة ما يقربه إليه مطلقاً، ومن جملة ذلك: محبة أنبياء الله وأوليائه، والصدقات، وزيارة أحباب الله، وكثرة الدعاء، وصلة الرحم، وكثرة الذكر وغير ذلك، فالمعنى كل ما يقربكم إلى الله فالزموه، واتركوا ما يبعدكم عنه، إذا علمت ذلك، فمن الضلال البين والخسران الظاهر، تكفير المسلمين بزيارة أولياء الله، زاعمين أن زيارتهم من عبادة غير الله، كلا بل هي من جملة المحبة في الله التي قال فيها رسول الله ﷺ: «ألا لا إيمان لمن لا محبة له والوسيلة له التي قال الله فيها وابتغوا إليه الوسيلة».

قوله: ﴿**وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ**﴾ عطف خاص على عام، إشارة إلى أن الجهاد من أعظم الطاعات،

لإعلاء دينه ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ ﴿٣٥﴾ تفوزون ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ﴾ ثبت ﴿أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُوا۟ بِهِۦ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ﴿٣٦﴾ ﴿يُرِيدُونَ﴾ يتمنون ﴿أَن يَخْرُجُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَـٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ ﴿٣٧﴾ دائم ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ﴾ أل فيهما موصولة مبتدأ ولشبهه بالشرط دخلت الفاء في خبره وهو ﴿فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا﴾ أي يمين كل منهما من الكوع وبينت السنة أن الذي يقطع فيه ربع دينار فصاعداً وأنه إذا عاد قطعت رجله اليسرى من مفصل القدم ثم اليد اليسرى ثم الرجل اليمنى وبعد ذلك يعزر

وهو قسمان: أصغر وهو قتال المشركين، وأكبر وهو الخروج عن الهوى والنفس والشيطان، وكان قتال المشركين جهاداً أصغر لأنه يحضر تارة ويغيب أخرى، وإذا قتلك الكافر كنت شهيداً، وإن قتلته صرت سعيداً، بخلاف النفس فلا تغيب عنك وإذا قتلتك صرت من الأشقياء، نسأل الله السلامة. قوله: **(تفوزون)** أي تظفرون بسعادة الدارين.

قوله: **﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾** هذا كالدليل لما قبله، كأن الله يقول الزموا التقوى ليحصل لكم الفوز، لأن من لم تكن عنده التقوى كالكفار، لا ينفعه الفداء من العذاب الخ. قوله: **﴿لَوْ أَنَّ لَهُمْ﴾** لو شرطية، وفعل الشرط محذوف قدره المفسر بقوله: **(ثبت)** **﴿أَنَّ﴾** وما دخلت عليه فاعل ثبت، و **﴿لَهُمْ﴾** خبر أن مقدم، و **﴿مَا فِي الْأَرْضِ﴾** اسمها مؤخر، و **﴿جَمِيعاً﴾** توكيد له أو حال منه، و **﴿مِثْلَهُ﴾** معطوف على اسم **﴿أَنَّ﴾** وقوله: **﴿لِيَفْتَدُوا﴾** علة له، وقوله: **﴿بِهِ﴾** أي بما ذكر وهو **﴿مَا فِي الْأَرْضِ﴾** ومثله أو حذفه من الأول لدلالة الثاني عليه على حد: فإني وقيار بها لغريب، والتقدير لو أن لهم ما في الأرض جميعاً ليفتدوا به، ومثله معه ليفتدوا به، وقوله: **﴿مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ﴾** جواب الشرط، و **﴿لَوْ﴾** مع مدخولها في محل رفع خبر أن الأولى. والمعنى لو ثبت أن للكفار ما في الأرض جميعاً، ومثله معه، ويريدون الافتداء بذلك من العذاب ما نفعهم ذلك، وهو كناية عن عدم قبولهم، وعدم نفع عز الدنيا لهم. قوله: **(يتمنون)** أي حيث يقولون يا مالك ليقض علينا ربك. قوله: **﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾** دفع بذلك ما يتوهم من قوله: **﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾** أنه ربما ينقطع.

قوله: **﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ﴾** جمهور القراء على الرفع على الابتداء، ولا يصح النصب على الاشتغال، لأن ما بعد فاء الجزاء لا يعمل فيما قبلها، وما لا يعمل لا يفسر عاملاً، وهذه الفاء تشبه فاء الجزاء، وصرح بالسارقة لكون السرقة معهودة منهن أيضاً، وقدم سبحانه وتعالى السارق على السارقة هنا، وقدم الزانية على الزاني في سورة النور، لأن الرجال في السرقة أقوى من النساء، والزنا من النساء أقوى من الرجال. قوله: **(أل فيهما موصولة)** أي وصلتها الصفة الصريحة، أي الذي سرق والتي سرقت. قوله: **(مبتدأ)** أي وهو مرفوع بضمة ظاهرة، لأن إعرابها ظهر فيما بعدهما. قوله: **(دخلت الفاء في خبره وهو)** **﴿فَاقْطَعُوا﴾** أي فجملة **﴿فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾** خبر المبتدأ، ولا يضر كونه جملة طلبية على المعتمد، وقيل الخبر محذوف وتقديره مما يتلى عليكم حكمهما، وما بعد الفاء تفصيل له. قوله: **(ربع دينار)** أي أو ثلاثة دراهم شرعية، أو مقوم بهما، ويشترط في القطع إخراجه من حرز مثله، غير مأذون له في دخوله، ويثبت القطع ببينة أو بإقراره طائعاً، فإن أقر ثم رجع لزمه المال دون القطع، فإن سرق ولم تثبت عليه

﴿ جَزَآءً ﴾ نصب على المصدر ﴿ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا ﴾ عقوبة لهما ﴿ مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ﴾ غالب على أمره ﴿ حَكِيمٌ ﴾ ﴿٣٨﴾ في خلقه ﴿ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ ﴾ رجع عن السرقة ﴿ وَأَصْلَحَ ﴾ عمله ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ ﴿٣٩﴾ في التعبير بهذا ما تقدم فلا يسقط بتوبته حق الآدمي من القطع ورد المال نعم بينت السنة أنه إن عفا عنه قبل الرفع إلى الامام سقط القطع وعليه الشافعي ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ ﴾ الاستفهام فيه للتقرير ﴿ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ﴾ تعذيبه ﴿ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ ﴾ المغفرة له ﴿ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ ﴿٤٠﴾ ومنه التعذيب والمغفرة ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ﴾ صنع ﴿ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ ﴾ يقعون فيه بسرعة أي يظهرونه إذا وجدوا فرصة ﴿ مِنَ ﴾ للبيان ﴿ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ ﴾ بألسنتهم متعلق بقالوا ﴿ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ﴾

السرقة، وجب عليه الستر على نفسه ورد المال والتوبة منه، وكذا كل معصية، فمن الجهل قول بعض من يدعي التصوف: لو اطلعتم علي لرجمتموني، وبالجملة من ستر على نفسه ستره الله. قوله: **(نصب على المصدر)** أي والعامل محذوف تقديره جازاه الله جزاء، ويصح أن يكون مفعولاً لأجله، أي اقطعوا أيديهما لأجل الجزاء، وقوله: **﴿بِمَا كَسَبَا﴾** الباء سببية أي بسبب كسبهما، وقوله: **﴿نَكَالاً﴾** علة للعلة فالعامل فيه جزاء. قوله: **(غالب على أمره)** أي فلا معقب لحكمه، لأنه القاهر على كل شيء. قوله: **(حكيم)** أي يضع الشيء في محله، فلا يحكم بقطع يده ظلماً لأن السارق لما خان هان، ولذا أورد بعض اليهود على القاضي عبد الوهاب البغدادي سؤالاً حيث:

يَـدٌ بِخَمْس مئـين عَسْجَـدٍ وديـت ... مَـا بَـالُهَـا قـطعَت فِي رُبْـعِ دِينـار

فأجابه رضي الله عنه بقوله:

عِــزُّ الأَمَـانَــةِ أَغْـلاَهَــا وَأَرْخَصَهَــا ... ذلُّ الخِيَـانَـةِ فَـافْهَمْ حِكْمَـةَ البَـارِي

قوله: **﴿مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ﴾** أي من بعد تعديه وأخذه المال وظلمه للناس. قوله: **(في التعبير بهذا)** أي قوله: **﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ﴾** دون أن يقول فلا تحدوه. قوله: **(وعليه الشافعي)** أي وعند مالك فلا ينفع عفوه عنه مطلقاً قبل الرفع أو بعده، حيث ثبتت السرقة ببينة أو إقرار، ولم يرجع بل يقطع لأنه حق الله، وقوله: **(قبل الرفع)** أي وأما بعده فلا بد من قطعه اتفاقاً. قوله: **﴿يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾** أي إن لم يتب فالميت المصر على الذنب تحت المشيئة خلافاً للمعتزلة. قوله: **(ومن التعذيب والمغفرة)** أي من الشيء المقدور عليه.

قوله: **﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ﴾** أل للعهد الحضوري، أي الرسول الحاضر وقت نزول القرآن وهو محمد ﷺ، ولم يخاطب بيا أيها الرسول إلا في موضعين هذا وما يأتي في هذه السورة. قوله: **﴿لَا يَحْزُنْكَ﴾** قرأ نافع بضم الياء وكسر الزاي، والباقون بفتح الياء وضم الزاي، والمقصود نهي النبي ﷺ عن الحزن الناشىء عن مسارعتهم إلى الكفر، رفقاً به وتسلية له. قوله: **(إذا وجدوا فرصة)** أي زمناً يتمكنون فيه من الظفر بمطلوبهم، فالكفر حاصل منهم على كل حال، غير أنهم إذا وجدوا زمناً أو مكاناً يتمكنون فيه من إظهاره فعلوا قال تعالى: ﴿قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر﴾ قوله: **﴿مِنَ﴾ (للبيان)** أي لقوله: **﴿الَّذِينَ يُسَارِعُونَ﴾** على حد: ﴿فاجتنبوا الرجس من الأوثان﴾. قوله: **(متعلق بقالوا)**

وهم المنافقون ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟﴾ قوم ﴿سَمَّـٰعُونَ لِلْكَذِبِ﴾ الذي افترته أحبارهم سماع قبول ﴿سَمَّـٰعُونَ﴾ منك ﴿لِقَوْمٍ﴾ لأجل قوم ﴿ءَاخَرِينَ﴾ من اليهود ﴿لَمْ يَأْتُوكَ﴾ وهم أهل خيبر زنى فيهم محصنان فكرهوا رجمهما فبعثوا قريظة ليسألوا النبي ﷺ عن حكمهما ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ﴾ الذي في التوراة كآية الرجم ﴿مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ﴾ التي وضعه الله عليها أي يبدلونه ﴿يَقُولُونَ﴾ لمن أرسلوهم ﴿إِنْ أُوتِيتُمْ هَـٰذَا﴾ الحكم المحرف أي الجلد أي أفتاكم به محمد ﴿فَخُذُوهُ﴾ فاقبلوه ﴿وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ﴾ بل أفتاكم بخلافه ﴿فَٱحْذَرُوا۟﴾ أن تقبلوه ﴿وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ﴾ إضلاله ﴿فَلَن

أي لا بآمنا، والمعنى أن إيمانهم لم يجاوز أفواههم، وقوله: ﴿وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ﴾ الجملة حالية. قوله: **(وهم المنافقون)** أي ويسمون الآن زنادقة.

قوله: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا﴾ يحتمل أنه معطوف على ﴿مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا﴾ فيكون بياناً للذين يسارعون في الكفر أيضاً وهو الأقرب، وعليه فقوله: ﴿سَمَّاعُونَ﴾ حال من الذين ﴿هَادُوا﴾ ويحتمل أنه خبر مقدم، وقوله ﴿سَمَّاعُونَ﴾ صفة لموصوف محذوف هو المبتدأ المؤخر، فيكون كلاماً مستأنفاً، وقد مشى عليه المفسر، وعلى كل فقوله: ﴿لهم في الدنيا خزي﴾ الخ راجع للفريقين.

قوله: ﴿سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ﴾ أي من أحبارهم، وسبب نزولها أن رسول الله ﷺ لما هاجر إلى المدينة، وقع بينه وبين قريظة صلح، فصاروا يترددون عليه، وبينه وبين يهود خيبر حرب، فاتفق أنه زنى منهم محصنان شريف بشريفة، فأفتوهم الأحبار بأنهما يجلدان مائة سوط، ويسودان بالفحم، ويركبان على حمار مقلوبين، ثم إنهم بعثوا قريظة للنبي ﷺ يسألونه عن ذلك، وقالوا لهم: إن قال لكم مثل ذلك فهو صادق، وقوله حجة لنا عند ربنا، وإلا فهو كذاب. فأتوه فأخبرهم بأنهما يرجمان، وفي التوراة كذلك، فقالوا إن أحبارنا أخبرونا بأنهما يجلدان، فقال جبريل للنبي ﷺ اجعل بينك وبينهم ابن صوريا ووصفه له، فقال النبي ﷺ: هل تعرفون شاباً أبيض أعور يقال له ابن صوريا؟ قالوا: نعم هو أعلم يهودي على وجه الأرض بما في التوراة، قال: فأرسلوا إليه فأحضروه، ففعلوا فأتاهم، فقال له النبي ﷺ: أنت ابن صوريا؟ قال: نعم، قال: وأنت أعلم اليهود؟ قال: كذلك يزعمون، قال النبي: أترضون به حكماً؟ قالوا: نعم، قال النبي: أنشدك الله الذي لا إله إلا هو الذي فلق البحر وأنجاكم وأغرق آل فرعون؛ هل تجدون في كتابكم الرجم على من أحصن؟ قال: نعم والذي ذكرتني به لولا خشيت أن تحرقني التوراة إن كذبت أو غيّرت ما اعترفت، فوثب عليه سفلة اليهود، فقال: أنا خفت إن كذبت ينزل علينا العذاب، ثم سأل النبي عن أشياء كان يعرفها من أعلامه، فأجابه عنها فأسلم، وأمر النبي بالزانيين فرجما عند باب المسجد. هكذا ذكر شيخنا الشيخ الجمل عن أبي السعود ولم نرها فيه، ولكن تقدم لنا أن ابن صوريا أتى بالتوراة وقرأ ما قبل آية الرجم وما بعدها ووضع يده عليها ولم يقرأها، فنبهه عليها عبد الله بن سلام فافتضح هو وأصحابه، فلعلهما روايتان في إسلامه وعدمه. قوله: **(أي يبدلونه)** أي بأن يضعوا مكانه غيره.

قوله: ﴿يَقُولُونَ﴾ أي يهود خيبر، وقوله: (لمن أرسلوهم) أي وهم قريظة. قوله: **(الحكم المحرف)**

تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ﴾ في دفعها ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ﴾ من الكفر ولو أراده لكان ﴿ لَهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٌ ﴾ ذل بالفضيحة والجزية ﴿ وَلَهُمْ فِي ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (٤١) هم ﴿ سَمَّـٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّـٰلُونَ لِلسُّحْتِ ﴾ بضم الحاء وسكونها أي الحرام كالرشا ﴿ فَإِن جَآءُوكَ ﴾ لتحكم بينهم ﴿ فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ ﴾ هذا التخيير منسوخ بقوله وأن احكم بينهم الآية فيجب الحكم بينهم إذا ترافعوا إلينا وهو أصح قولي الشافعي فلو ترافعوا إلينا مع مسلم وجب إجماعاً ﴿ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْـًٔا ۖ وَإِنْ حَكَمْتَ ﴾ بينهم ﴿ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ﴾ بالعدل ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ (٤٢) العادلين في الحكم أي يثيبهم ﴿ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ﴾ بالرجم استفهام تعجيب أي لم يقصدوا بذلك معرفة الحق بل ما هو أهون عليهم ﴿ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ ﴾ يعرضون عن حكمك بالرجم الموافق لكتابهم ﴿ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ﴾ التحكيم ﴿ وَمَآ أُوْلَـٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٤٣) ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى ﴾ من الضلالة ﴿ وَنُورٌ ﴾ بيان للأحكام ﴿ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ﴾ من بني إسرائيل ﴿ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُواْ ﴾ انقادوا لله ﴿ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ ﴾

أي في الواقع وليس المراد أنهم يقولون لهم ذلك، بل التحريف واقع من الأحبار سراً. قوله: ﴿**فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً**﴾ فيه رد على المعتزلة القائلين بأن العبد يخلق أفعال نفسه. قوله: (**ذل بالفضيحة**) أي للمنافقين بظهور نفاقهم بين المسلمين، وقوله: (**والجزية**) أي لليهود.

قوله: ﴿**سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ**﴾ خبر لمحذوف قدره المفسر بقوله هم وكرره تأكيداً. قوله: (**بضم الحاء وسكونها**) أي فيهما قراءتان سبعيتان، وسمي سحتاً لأنه يسحت البركة أي يمحقها ويذهبها. قوله: (**كالرشا**) أي والربا. قوله: ﴿**أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ**﴾ أي بأن تردهم لأهل دينهم. قوله: (**منسوخ الخ**) وليس في هذه السورة منسوخ إلا هذا، وقوله: ﴿ولا آمين البيت الحرام﴾. قوله: (**وهو أصح قولي الشافعي**) أي ومقابله التخيير باق وليس بمنسوخ، وهو مشهور مذهب مالك. قوله: (**مع مسلم**) أي بأن كانت الدعوى بين مسلم وكافر. قوله: (**وجب إجماعاً**) أي بإجماع الأئمة. قوله: ﴿**فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئاً**﴾ أي لأن الله عاصمك وحافظك من الناس. قوله: ﴿**وَعِنْدَهُمُ**﴾ خبر مقدم، و﴿**التَّوْرَاةُ**﴾ مبتدأ مؤخر، والجملة حال من الواو في ﴿**يُحَكِّمُونَكَ**﴾. قوله: (**استفهام تعجيب**) أي إيقاع للمخاطب في العجب. قوله: (**بل ما هو أهون عليهم**) أي وهو الجلد. قوله: ﴿**وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ**﴾ أي لا بكتابهم لإعراضهم عنه وتحريفه، ولا بك لعدم الانقياد لك في أحكامك. قوله: ﴿**إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ**﴾ كلام مستأنف مسوق لبيان فضل التوراة، وأنها كتاب عظيم كله هدى ونور. قوله: ﴿**فِيهَا هُدًى**﴾ أي لمن أراد الله هدايته، وأما من أراد الله شقاوته فلا تنفعه التوراة ولا غيرها، قال البوصيري:

وإذا ضلت العقول على علـ ـم فماذا تقوله النصحاء

قوله: ﴿**وَنُورٌ**﴾ في الكلام استعارة مصرحة، حيث شبهت الأحكام بالنور بجامع الاهتداء في كل، واستعير اسم المشبه به للمشبه، وحيث أريد بالنور الأحكام، فالمراد بالهدى التوحيد، فالعطف مغاير. قوله: ﴿**يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ**﴾ كلام مستأنف لبيان المنتفع بالتوراة، وهم الأنبياء والعلماء والمراد بالأنبياء ما

العلماء منهم ﴿ وَٱلْأَحْبَارُ ﴾ الفقهاء ﴿ بِمَا ﴾ أي بسبب الذي ﴿ ٱسْتُحْفِظُواْ ﴾ استودعوه أي استحفظهم الله إياه ﴿ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ ﴾ أن يبدلوه ﴿ وَكَانُواْ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ﴾ أنه حق ﴿ فَلَا تَخْشَوُاْ ٱلنَّاسَ ﴾ أيها اليهود في إظهار ماعندكم من نعت محمد ﷺ والرجم غيرهما ﴿ وَٱخْشَوْنِ ﴾ في كتمانه ﴿ وَلَا تَشْتَرُواْ ﴾ تستبدلوا ﴿ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ من الدنيا تأخذونه على كتمانها ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ ﴿٤٤﴾ ﴿ وَكَتَبْنَا ﴾ فرضنا ﴿ عَلَيْهِمْ فِيهَآ ﴾ أي التوراة ﴿ أَنَّ ٱلنَّفْسَ ﴾ تقتل ﴿ بِٱلنَّفْسِ ﴾ إذا قتلتها ﴿ وَٱلْعَيْنَ ﴾ تفقأ ﴿ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ ﴾ يجدع ﴿ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ ﴾

يشمل المرسلين، فحكم المرسلين ظاهر، وحكم الأنبياء بالقضاء بها لا على أنها شرع لهم. قوله: ﴿**الَّذِينَ أَسْلَمُوا**﴾ أي كمل إسلامهم، وهو وصف كاشف، لأن كل نبي منقاد لله، وحكمة الوصف بذلك التعريض باليهود، حيث افتخروا بأصولهم ولم يسلموا، بل حرفوا التوراة وبدلوها.

قوله: ﴿**لِلَّذِينَ هَادُوا**﴾ اللام للاختصاص، أي أحكام التوراة مختصة بالذين هادوا، أعم من أن تكون أحكاماً لهم أو عليهم. قوله: ﴿**وَالرَّبَّانِيُّونَ**﴾ معطوف على ﴿**النَّبِيُّونَ**﴾. قوله: (**العلماء منهم**) وقيل الزهاد، وقيل الذين يربون الناس بصغار العلم قبل كباره، وهذا لا ينافي كلام المفسر، بل يقال سموا ربانيين لكونهم منسوبين للرب لزهدهم ما سواه، أو للتربية لكونهم يربون الخلق.

قوله: ﴿**وَالْأَحْبَارُ**﴾ جمع حبر بالفتح والكسر، وأما المداد فبالكسر لا غير من التحبير وهو التحسين، يقال حبره إذا حسنه، سموا بذلك لأنهم يزينون الكلام ويحسنونه، وهو عطف على النبيون أيضاً، وقد وسط بين المعطوفات الذين هم الحكام بالمحكوم لهم، وذكر الأحبار بعد الربانيين من ذكر العام بعد الخاص، لأن الحبر العالم كان ربانياً أو لا. قوله: (**أي بسبب الذي**) أشار بذلك إلى أن الباء سببية، وما اسم موصول بمعنى الذي، والعائد محذوف أي بسبب الذي استحفظوه، وفاعل الحفظ هو الله أي بسبب الشرع الذي أمرهم الله بحفظه، وقوله: ﴿**مِنْ كِتَابِ اللَّهِ**﴾ بيان لما فالأنبياء والعلماء أمناء الله على خلقه، يحكمون بين الناس بأحكام الله التي علمها الله لهم، ومن لم يحكم بذلك فقد خان الله في أمانته وكذب على ربه، فحينئذٍ يستحق الوعيد.

قوله: ﴿**فَلَا تَخْشَوا النَّاسَ**﴾ تفريع على قوله: ﴿**وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ**﴾ والخطاب لعلماء اليهود الذين في زمنه ﷺ. قوله: (**وغيرهما**) أي كقوله تعالى: ﴿**أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ**﴾ فغيروها وقالوا ما لم يكن القاتل شريفاً وإلا فلا يقتل بالوضيع. قوله: ﴿**وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ**﴾ نزلت في قريظة وبني النضير، فكان الواحد من بني النضير إذا قتل واحداً من قريظة أدى إليهم نصف الدية، وإذا قتل الواحد من قريظة واحداً من بني النضير أدى إليهم الدية كاملة، فغيروا حكم الله الذي أنزله في التوراة، وكل آية وردت في الكفار تجرّ بذيلها على عصاة المؤمنين.

قوله: ﴿**وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا**﴾ هذا شرع من قبلنا وهو شرع لنا ولم يرد ما ينسخه، ففي هذه الآية دليل لمذهب مالك حيث قال: شرع من قبلنا شرع لنا ما لم يرد ناسخ. قوله: ﴿**أَنَّ النَّفْسَ**﴾ أن حرف توكيد ونصب، والنفس اسمها، وقوله: ﴿**بِالنَّفْسِ**﴾ الجار والمجرور متعلق بمحذوف خبر أن، قدره المفسر بقوله: (**تقتل**) وهو حل معنى لا حل إعراب، لأن الخبر يقدر **كوناً عاماً لا** خاصاً، فالمناسب تقديره

تقطع ﴿بِٱلۡأُذُنِ وَٱلسِّنَّ﴾ تقلع ﴿بِٱلسِّنِّ﴾ وفي قراءة بالرفع في الأربعة ﴿وَٱلۡجُرُوحَ﴾ بالوجهين ﴿قِصَاصٌ﴾ أي يقتص فيها إذا أمكن كاليد والرجل والذكر ونحو ذلك وما لا يمكن فيه الحكومة وهذا الحكم وإن كتب عليهم فهو مقرر في شرعنا ﴿فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ﴾ أي بالقصاص بأن مكن من نفسه ﴿فَهُوَ كَفَّارَةٞ لَّهُۥ﴾ لما أتاه ﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ في القصاص وغيره ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ ﴿٤٥﴾ ﴿وَقَفَّيۡنَا﴾ أتبعنا ﴿عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم﴾ أي النبيين ﴿بِعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ﴾ قبله ﴿مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡإِنجِيلَ فِيهِ هُدٗى﴾ من الضلالة ﴿وَنُورٞ﴾ بيان للأحكام

تؤخذ ليصلح للجميع، والجملة من أن واسمها وخبرها في محل نصب على المفعولية بكتبنا، واعلم أنه قرىء بنصب الجميع وهو ظاهر لأنه معطوف على اسم أن، وقرىء برفع الأربعة مبتدأ وخبر معطوف على جملة أن واسمها وخبرها ويؤول كتبنا بقلنا، فالجمل كلها في محل نصب مقول القول وهو الأحسن، وقرىء بنصب الجميع ما عدا الجروح فبالرفع مبتدأ وخبر معطوف على أن واسمها وخبرها.

قوله: ﴿**وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ**﴾ بضم الذال وسكونها قراءتان سبعيتان. قوله: (**بالوجهين**) أي الرفع والنصب عند نصب الجميع، وأما عند رفع ما قبله فبالرفع لا غير. قوله: (**وما لا يمكن**) ما اسم موصول مبتدأ، وقوله: (**فيه الحكومة**) خبر قوله: (**فيه الحكومة**) أي بأن يقدر رقيقاً سالماً من العيوب، ثم ينظر لما نقصه فيؤخذ بنسبته من الدية، وظاهر المفسر أن كل ما لا يمكن فيه القصاص فيه الحكومة ولعله مذهبه، وإلا فمذهب مالك الحكومة في كل ما لم يرد فيه شيء مقرر في الخطأ، وإلا ففيه ما قرر في الخطأ كرض الأنثيين وكسر الصلب ففيه الدية كاملة، وفي نحو الجائفة والآمة ثلثها على ما هو مبين في المذاهب. قوله: (**بأن مكن**) أي القاتل من نفسه للقصاص، ويحتمل أن المعنى فمن تصدق به أي القصاص بأن عفا الولي عن القاتل فهو كفارة لما عليه من الذنوب، والحاصل أن القاتل تعلق به ثلاث حقوق: حق لله وحق للولي وحق للمقتول، فإن سلم القاتل نفسه طوعاً تائباً سقط حق الله وحق الولي ويرضي الله المقتول من عنده، وأما إن أخذ القاتل كرهاً وقتل من غير توبة فقد سقط حق الولي وبقي حق الله وحق المقتول، هكذا ذكره ابن القيم وهو مبني على أن الحدود زواجر، أما على ما مشى عليه مالك من أن الحدود جوابر، فمتى قتل ولو من غير توبة فقد سقطت الحقوق كلها، لأن السيف يجب ما قبله.

قوله: ﴿**فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ**﴾ أي لمخالفة شرع الله مع عدم استحلاله لذلك، وعبر فيما تقدم بالكافرون لتبديلهم وتغييرهم ما أنزل الله واستحلالهم لذلك. قوله: ﴿**وَقَفَّيْنَا**﴾ شروع في ذكر ما يتعلق بفضل عيسى وكتابه، بعد ذكر فضل موسى وكتابه، وقفينا من التقفيه وهي الإتيان في القفا، ومعناه العقب، وقد ضمن قفينا معنى جئنا فلا يقال يلزم عليه أن التضعيف كالهمزة، فمقتضاه أن يتعدّى لمفعولين، بأن يقال مثلاً وقفيناهم عيسى. قوله: (**أتبعنا**) أي جئنا بعيسى تابعاً لآثارهم. قوله: (**أي النبيين**) أي المتقدم ذكرهم في قوله يحكم بها النبيون، فالأنبياء الذين بين موسى وعيسى يعملون بالتوراة ويحكمون بها بين الناس، فلما جاء عيسى نسخ العمل بالتوراة، وصار الحكم للإنجيل قوله: ﴿**مُصَدِّقاً**﴾ حال من عيسى، وقوله: ﴿**مِنَ التَّوْرَاةِ**﴾ بيان لما. قوله: ﴿**وَآتَيْنَاهُ الإِنْجِيلَ**﴾ معطوف على قفينا. قوله: ﴿**فِيهِ**﴾ خبر مقدم، و ﴿**هُدًى**﴾ مبتدأ مؤخر ﴿**وَنُورٌ**﴾ معطوف عليه، والجملة حال من الإنجيل، والمراد

﴿ وَمُصَدِّقًا ﴾ حال ﴿ لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ﴾ لما فيها من الأحكام ﴿ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ وَ ﴾ قلنا ﴿ لِيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ﴾ من الأحكام وفي قراءة بنصب يحكم وكسر لامه عطفاً على معمول آتيناه ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ﴾ يا محمد ﴿ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ القرآن ﴿ بِٱلْحَقِّ ﴾ متعلق بأنزلنا ﴿ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ قبله ﴿ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا ﴾ شاهداً ﴿ عَلَيْهِ ﴾ والكتاب بمعنى الكتب ﴿ فَٱحْكُم بَيْنَهُم ﴾ بين أهل الكتاب إذا ترافعوا إليك ﴿ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾ إليك ﴿ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ﴾ عادلاً ﴿ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا

بالهدى التوحيد، وبالنور الأحكام، فالعطف مغاير.

قوله: ﴿وَمُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ أي معترفاً بأنها من عند الله وإن نسخت أحكامها، لأن الله سبحانه وتعالى كلف أمة كل عصر بأحكام تناسبها، فالنسخ في الأحكام الفرعية لا الأصول، كالتوحيد فلا نسخ فيه، بل ما كان عليه آدم من التوحيد، هو ما عليه باقي الأنبياء. قوله: ﴿وَهُدًى﴾ أي ذو هدى، أو يولغ فيه حتى جعل نفس الهدى مبالغة، على حد زيد عدل، وعبر أولاً بقوله فيه هدى وثانياً بقوله وهدى مبالغة. قوله: ﴿وَمُوعِظَةً﴾ أي أحكام يتعظون بها، والحكمة في زيادة الموعظة في الإنجيل دون التوراة، لأن التوراة كان فيها الأحكام الشرعية فقط، وإنما المواعظ كانت في الألواح وقد تكسرت، وأما الإنجيل فهو مشتمل على الأحكام والمواعظ.

قوله: ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ خصهم لأنهم المنتفعون بذلك. قوله: ﴿وَ﴾ **(قلنا)** قدره المفسر إشارة إلى أن الواو حرف عطف، والمعطوف محذوف، وقوله: ﴿لِيَحْكُمْ﴾ اللام لام الأمر والفعل مجزوم بها، والجملة مقول القول، والمحذوف معطوف على آتينا، والمعنى آتينا عيسى ابن مريم الإنجيل وأمرناه ومن تبعه بالحكم به. قوله: **(وفي قراءة)** أي وهي سبعية أيضاً. قوله: **(بنصب يحكم)** أي بأن مضمرة بعد لام كي. قوله: **(عطفاً على معمول آتيناه)** فيه شيء لأنه إن أراد معموله الذي هو الإنجيل فهو غير ظاهر، وإن أراد معموله الذي هو قوله هدى وموعظة، والمعنى آتيناه الإنجيل لأجل الهدى والموعظة، ولحكم أهل الإنجيل فهو صعب التركيب، والأحسن أن قوله ليحكم متعلق بمحذوف، والواو للاستئناف، والمعنى وآتيناه ذلك ليحكم. قوله: ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ عبر بالفسق هنا لأنه خروج عن أمره تعالى وطاعته، لأنه تقدمه أمر وهو قوله ليحكم، وفي الحقيقة الفسق يرجع للظلم لأنه مخالفة الأمر، فتعبيره بالظلم أولاً، وبالفسق ثانياً تفنن.

قوله: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ﴾ معطوف على أنزلنا التوراة. قوله: **(متعلق بأنزلنا)** المناسب أن يقول متعلق بمحذوف حال من الكتاب، وقوله: ﴿مُصَدِّقاً﴾ حال ﴿مِنَ الْكِتَابِ﴾ أيضاً. قوله: ﴿مِنَ الْكِتَابِ﴾ بيان لما وأل في الكتاب للجنس، فيشمل جميع الكتب السماوية. قوله: ﴿وَمُهَيْمِناً﴾ المهيمن معناه الحاضر الرقيب، فالقرآن شاهد على سائر الكتب، وعلى من آمن من أصحابها ومن كفر. قوله: **(والكتاب بمعنى الكتب)** أي فأل للجنس.

قوله: ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ الخطاب للنبي والمراد غيره، والمعنى لا يميل الحاكم بين الناس

مِنكُمْ ﴾ أيها الأمم ﴿ شِرْعَةً ﴾ شريعة ﴿ وَمِنْهَاجاً ﴾ طريقاً واضحاً في الدين يمشون عليه ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾ على شريعة واحدة ﴿وَلَٰكِن﴾ فرقكم فرقاً ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾ ليختبركم ﴿فِي مَا آتَاكُمْ﴾ من الشرائع المختلفة لينظر المطيع منكم والعاصي ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ سارعوا إليها ﴿ إِلَى اللَّهِ﴾ مرجعكم جميعاً بالبعث ﴿ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ ﴿٤٨﴾ من أمر الدين ويجزي كلاً منكم بعمله ﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ ﴾ ﴿ أَن ﴾ لا ﴿ يَفْتِنُوكَ ﴾

لأهوائهم بأن يحكم بها ويترك ما أنزل الله. قوله: ﴿مِنَ الْحَقِّ﴾ بيان لما. قوله: (أيها الأمم) أي من لدن آدم إلى محمد، فكل أمة لها شرع مختص بها، والاختلاف إنما هو في الفروع لا الأصول، فكل ما ورد دالاً على اختلاف الشرائع كهذه الآية، فباعتبار الفروع وما ورد دالاً على الاتحاد، كقوله: ﴿شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً﴾وقوله: ﴿أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده﴾ فمحمول على الأصول. قوله: ﴿شِرْعَةً﴾ أي أحكاماً شرعها وبيَّنها للتعبد بها، والشريعة في كلام العرب مورد الماء الذي يقصد للشرب منه، استعير للطريقة الإلهية، قال بعضهم: للشريعة والمنهاج عبارة عن معنى واحد، التكرار للتأكيد. قوله: ﴿أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ أي جماعة متفقة على دين واحد من غير نسخ.

قوله: ﴿وَلٰكِنْ لِيَبْلُوكُمْ﴾ هذا هو حكمة تفرق الشرائع في الفروع. قوله: (لينظر المطيع) أي ليظهر أمر المطيع من العاصي. قوله: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ أي بادروا إلى وجوه البر والطاعات قوله: (جميعاً) حال من الكاف في مرجعكم، ولا يقال هو حال من المضاف إليه وهو لا يجوز، لأنه يقال المضاف مقتض للعمل في المضاف إليه، قال ابن مالك:

وَلَا تُجِزْ حَالاً مِنَ الْمُضَافِ لَهُ إِلَّا إِذَا اقْتَضَى الْمُضَافُ عَمَلَهُ

قوله: ﴿فَيُنَبِّئُكُمْ﴾ أي يخبركم بالذي كنتم تختلفون فيه، فيترتب على ذلك الثواب للمطيع والعقاب للعاصي. قوله: ﴿وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ﴾ الواو حرف عطف، وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر معطوف على الكتاب، التقدير وأنزلنا إليك الكتاب والحكم والفعل وإن كان أمراً لفظاً، إلا أنه في معنى المضارع ليفيد استمرار الحكم، وليس هذا مكرراً مع قوله فاحكم بينهم بما أنزل الله، لأن ما تقدم في شأن رجم المحصنين، وما هنا في شأن الدماء والديات، لأن سبب نزولها، أن بني النضير كانوا إذا قتلوا من قريظة قتيلاً أعطوهم سبعين وسقاً من تمر، وإذا قتلت قريظة قتيلاً من بني النضير أعطوهم مائة وأربعين وسقاً، فقال لهم رسول الله: «أنا أحكم أن دم القرظي كدم النضري، ليس لأحدهم فضل على الآخر في دم ولا عقل ولا جراحة»، فغضب بنو النضير وقالوا لا نرضى بحكمك فإنك تريد صغارنا.

قوله: ﴿وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ﴾ سبب نزولها، أن كعب بن أسيد وعبد الله بن صوريا وشاس بن قيس قال بعضهم لبعض: اذهبوا بنا إلى محمد لعلنا نفتنه عن دينه، فأتوه فقالوا يا محمد قد عرفت أنا أحبار اليهود وأشرافهم وساداتهم، وأنا إن اتبعناك اتبعنا اليهود ولم يخالفونا، وأن بيننا وبين قومنا خصومة فنتحاكم إليك، فاقض لنا عليهم نؤمن بك ونصدقك، فأبى رسول الله، فنزلت الآية، وقوله: ﴿أَنْ يَفْتِنُوكَ﴾ مفعول لأجله على تقدير لام العلة ولا النافية، وهو ما مشى عليه المفسر، ويحتمل أنه بدل اشتمال من الهاء في احذرهم، والمعنى احذرهم فتنتهم، والخطاب له ﷺ، والمراد غيره لعصمته من الفتنة.

يضلوك ﴿عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ﴾ عن الحكم المنزل وأرادوا غيره ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم﴾ بالعقوبة في الدنيا ﴿بِبَعۡضِ ذُنُوبِهِمۡۗ﴾ التي أتوها ومنها التولي ويجازيهم على جميعها في الأخرى ﴿وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ﴾ ﴿٤٩﴾ ﴿أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ﴾ بالياء والتاء يطلبون من المداهنة والميل إذا تولوا استفهام إنكاري ﴿وَمَنۡ﴾ أي لا أحد ﴿أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ﴾ عند قوم ﴿يُوقِنُونَ﴾ ﴿٥٠﴾ به خصوا بالذكر لأنهم الذين يتدبرونه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ﴾ توالونهم وتوادونهم ﴿بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ﴾ لاتحادهم في الكفر ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ﴾ من جملتهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ ﴿٥١﴾ بموالاتهم الكفار

قوله: ﴿بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ﴾ أي لا بجميعها، فعقابهم في الدنيا بالقتل والسبي والجلاء، إنما هو ببعض ذنوبهم، وأما في الآخرة فيجازيهم على الجميع كما قال المفسر، لأن العذاب المنقضي وإن طال لا يكفي جزاء لذنوب الكافر جميعها، كما أن نعيم الدنيا وإن كثر ليس جزاء لأعمال المؤمن الصالحة، وإن عذب في الدنيا بمرض أو غيره، فهو جزاء لأعمال المؤمن السيئة، والنعيم في الدنيا للكافر قد يكون جزاء لما عمل من الصالحات كالصدقات مثلاً. قوله: **(ومنها التولي)** أي الإعراض عن حكمه ﷺ.

قوله: ﴿**وَإِنْ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ**﴾ أي خارجون عن دائرة الحق، وتقدم أن بعث النار من كل ألف واحد ناج، والباقي خارج عن حدود الله، والمعنى تسل يا محمد فإن الغالب في الناس الفسق، فلا خصوصية لليهود بذلك. قوله: ﴿**أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ**﴾ الهمزة داخلة على محذوف، والفاء عاطفة على ذلك المحذوف، والتقدير أيتولون عنك فيبتغون حكم الجاهلية، فحكم مفعول ليبغون. قوله: **(بالياء والتاء)** أي فيها قراءتان سبعيتان. قوله: **(استفهام إنكاري)** أي فهو بمعنى النفي، والمعنى لا يبغون حكم الجاهلية منك على سبيل الظفر به لعصمتك. قوله: **(أي لا أحد)** أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري بمعنى النفي، والآية كالدليل لما قبلها. قوله: **(عند قوم)** أشار بذلك إلى أن اللام بمعنى عند. قوله: ﴿**بِهِ**﴾ قدره إشارة إلى أن مفعول يوقنون محذوف، والضمير عائد على حكم الله.

قوله: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا**﴾ الخ، النهي لكل من أظهر الإيمان وإن كان في الباطن خالياً من الإيمان، وسبب نزولها أن عبادة بن الصامت رضي الله عنه وعبد الله بن أبي سلول رأس المنافقين اختصما فقال عبادة إن لي أولياء من اليهود كثيراً عددهم، شديدة شوكتهم، وإني أبرأ إلى الله وإلى رسوله من ولاية اليهود ولا مولى لي إلا الله ورسوله، فقال عبد الله بن أبي إني لا أبرأ من ولاية اليهود، فإني أخاف الدوائر ولا بد لي منهم، فقال رسول الله ﷺ: «يا أبا الحباب ما نفست به من ولاية اليهود على عبادة بن الصامت هو لك دونه»، فقال إذاً أقبل فنزلت، واتخذ ينصب مفعولين: اليهود والنصارى مفعول أول، وأولياء مفعول ثان. قوله: ﴿**بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ**﴾ جملة مستأنفة، والمعنى بعض كل فريق أولياء البعض الآخر من ذلك الفريق، لأن بين اليهود والنصارى العداوة الكبرى. قوله: ﴿**فَإِنَّهُ مِنْهُمْ**﴾ أي لأنه لا يوالي أحد أحداً إلا وهو عنه راض، فإذا رضي عنه وعن دينه صار من أهل ملته، وأما معاملتهم مع كراهتهم فلا ضرر في ذلك.

﴿ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾ ضعف اعتقاد كعبد الله بن أبي المنافق ﴿ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ ﴾ في موالاتهم ﴿ يَقُولُونَ ﴾ معتذرين عنها ﴿ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ﴾ يدور بها الدهر علينا من جدب أو غلبة ولا يتم أمر محمد فلا يميرونا قال تعالى ﴿ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ ﴾ بالنصر لنبيه بإظهار دينه ﴿أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ ﴾ بهتك ستر المنافقين وافتضاحهم ﴿ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ ﴾ من الشك وموالاة الكفار ﴿ نَٰدِمِينَ ﴾ ﴿٥٢﴾ ﴿ وَيَقُولُ ﴾ بالرفع استئنافاً بواو ودونها وبالنصب عطفاً على يأتي ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ﴾ لبعضهم إذا هتك سترهم تعجباً ﴿ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ﴾ غاية اجتهادهم فيها ﴿ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ ﴾ في الدين قال تعالى ﴿حَبِطَتْ﴾ بطلت ﴿أَعْمَٰلُهُمْ﴾ الصالحة

قوله: **﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾** علة لكون من يواليهم منهم. قوله: **(كعبد الله بن أبي)** أي وأصحابه. قوله: **(معتذرين عنها)** أي الموالاة. قوله: **﴿دَائِرَةٌ﴾** أي أمر مكروه، فالدوائر هي حوادث الدهر وشروره، والدولة هي العز والنصر، فالمؤمن لا ينتظر إلا الدولة لا الدائرة. قوله: **(أو غلبة)** أي للكفار على المسلمين. قوله: **(فلا يميرونا)** أي يعطونا الميرة وهي الطعام. قوله: **(قال تعالى)** أي رداً لقول المنافقين: **﴿نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ﴾** وبشارة للمؤمنين لاعتقادهم أن الله ناصرهم، ففي الحديث: «أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما يشاء».

قوله: **﴿أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ﴾** أو مانعة خلو تجوز الجمع، وقد حصل الأمران معاً، فقد روي أن رسول الله أمر وهو على المنبر بإخراجهم من المسجد واحداً واحداً، ونزلت سورة براءة بفضيحتهم وذمهم ظاهراً وباطناً، ولذا تسمى الفاضحة وعسى وإن كانت للترجي إلا أنها في كلام الله للتحقيق، لأن كلامه موافق لعلمه وهو لا يتخلف.

قوله: **﴿فَيُصْبِحُوا﴾** عطف على يأتي، وفاء السببية مغنية عن الربط. قوله: **﴿نَادِمِينَ﴾** أي على تخلف مرادهم وحسرتهم، من أجل نصر محمد وأصحابه، وخذلان الكفار، وليس المراد نادمين على ما تقدم منهم من الذنوب، تائبين من ذلك، وإلا فيكون حينئذٍ ندماً محموداً لغلبة رحمة الله على غضبه. قوله: **(بالرفع استئنافاً)** أي نحوياً أو بيانياً واقعاً في جواب سؤال مقدر تقديره ماذا يقول المؤمنون حينئذٍ بناء على جواز اقتران البياني بالواو، وأما على قراءة عدم الواو فيكون بيانياً لا غير قوله: **(عطفاً على يأتي)** أي مسلط عليه عسى، والمعنى فعسى الله أن يأتي بالفتح ويقول: **﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾** تعجباً من كذب المنافقين، هكذا ذكر المفسر، والمناسب أن يقول عطفاً على فيصبحوا، لأنه نتيجة ما قبله، لأن تعجب المؤمنين ناشيء عن الفتح لهم والفضيحة للمنافقين.

قوله: **﴿أَهؤُلاَءِ﴾** الهمزة للاستفهام التعجبي، والهاء للتنبيه، وأولاء اسم إشارة مبتدأ، و**﴿الَّذِينَ﴾** خبره، و **﴿أَقْسَمُوا﴾** صلته، وقوله: **﴿إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ﴾** جملة تفسيرية لمعنى أقسموا، لأن يمينهم إنا معكم. قوله: **(غاية اجتهادهم)** أشار بذلك إلى أن جهد صفة لمصدر محذوف مفعول مطلق لأقسموا، والتقدير إقساماً. **﴿جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾** أي أغلظها. قوله: **(تعالى)** أشار بذلك إلى أن قوله: **﴿حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾** من كلامه تعالى إخبار عن المنافقين، لا من كلام المؤمنين، لأنهم لا علم لهم بذلك. قوله: **(الصالحة)** أي بحسب الظاهر.

﴿فَأَصْبَحُواْ﴾ صاروا ﴿خَٰسِرِينَ﴾ ﴿٥٣﴾ الدنيا بالفضيحة والآخرة بالعقاب ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ﴾ بالفك والإدغام يرجع ﴿مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ﴾ إلى الكفر إخبار بما علم الله تعالى وقوعه وقد ارتد جماعة بعد موت النبي ﷺ ﴿فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ﴾ بدلهم ﴿بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ قال ﷺ هم قوم هذا

قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ هذا تحذير عام لكل مؤمن من موالاة الكفار، وبيان عاقبة من والاهم ومال إلى دينهم. قوله: ﴿مَنْ يَرْتَدَّ﴾ من اسم شرط جازم، ويرتد فعل الشرط، وجوابه قوله: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ﴾ الخ، والجملة خبر المبتدأ. قوله: **(بالفك والإدغام)** أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: **(قد ارتدّ جماعة بعد موت النبي)** أي وهم ثمان فرق: سبعة في خلافة أبي بكر، وفرقة في زمن عمر، وارتد ثلاث فرق أيضاً في زمن رسول الله، بنو مدلج ورئيسهم ذو الحمار لقب به لأنه كان له حماراً يأتمر بأمره وينتهي بنهيه، وهو الأسود العنسي بفتح العين وسكون النون، وكان كاهناً تنبأ باليمن واستولى على بلاده، وأخرج عمال رسول الله، فكتب رسول الله ﷺ إلى معاذ بن جبل وسادات اليمن، فأهلكه الله تعالى على يد فيروز الديلمي فبيته وقتله، فأخبر رسول الله بقتله ليلة قتله، فسُرَّ المسلمون بذلك، وقبض رسول الله من الغد، وأتى خبر قتله في آخر ربيع الأول، وبنو حنيفة وهم قوم مسيلمة الكذاب، تنبأ وكتب إلى رسول الله: من مسيلمة رسول الله، إلى محمد رسول الله، أما بعد فإن الأرض نصفها لي، ونصفها لك، فكتب إليه رسول الله: من محمد رسول الله، إلى مسيلمة الكذاب، أما بعد، فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده، والعاقبة للمتقين، وهلك في خلافة أبي بكر على يد وحشي غلام مطعم بن عدي قاتل حمزة فكان يقول قتلت خير الناس في الجاهلية، وشر الناس في الإسلام، وبنو أسد وهم قوم طلحة بن خويلد تنبأ، فبعث إليه رسول الله خالد بن الوليد فقاتله، فانهزم بعد القتال إلى الشام ثم أسلم بعد ذلك وحسن إسلامه، والسبع اللاتي في خلافة أبي بكر الصديق هم: فزارة قوم عيينة بن حصن الفزاري، وغطفان قوم قرة بن سلمة القشيري، وبنو سليم وبنو يربوع قوم مالك بن بريدة اليربوعي، وبعض تميم وكندة قوم الأشعث بن قيس الكندي، وبنو بكر بن وائل، فكفى الله أمرهم على يد أبي بكر الصديق حين خرج لقتالهم حيث منعوا الزكاة، فكره ذلك الصحابة وقالوا هم أهل القبلة فكيف نقاتلهم؟ فتقلد أبو بكر سيفه وخرج وحده، فلم يجدوا بداً من الخروج على أثره، فقال ابن مسعود: كرهنا ذلك في الابتداء وحمدناه في الانتهاء، وقال بعض الصحابة: ما ولد بعد النبيين أفضل من أبي بكر، لقد قام مقام نبي من الأنبياء في قتال أهل الردة. والفرقة التي ارتدت في زمن عمر بن الخطاب هم غسان، فكفى الله أمرهم على يد عمر رضي الله عنه. قوله: **(بدلهم)** أي بدل المرتدين، فالضمير عائد على من باعتبار معناها، وأشار به إلى الرابط بين المبتدأ وخبره، وهذا لا يحتاج له إلا على قول بأن الجزاء وحده هو الخبر، وأما على القول بأن الخبر هو مجموع فعل الشرط والجزاء أو الفعل وحده، فلا حاجة لتقديره، لأنه موجود في يرتد. قوله: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ معنى محبة الله لهم إقامتهم له في خدمته مع الرضا والإثابة، ومعنى محبتهم لله موالاة طاعته وتقديم خدمته على كل شيء، ولما كانت محبتهم لله ناشئة عن محبة الله لهم، قدم محبة الله لهم. قال العارف رضي الله عنه على لسان الحضرة العلية:

أَيُّهَا المُعْرِضُ عَنَّا إِنَّ أَعْرَاضَكَ مِنَّا
لَوْ أَرَدْنَاكَ جَعَلْنَا كُلَّ مَا فِيكَ يُرِدْنَا

وأشار إلى أبي موسى الأشعري رواه الحاكم في صحيحه ﴿ أَذِلَّةٍ ﴾ عاطفين ﴿ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ ﴾ أشداء ﴿ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ﴾ فيه كما يخاف المنافقون لوم الكفار ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ المذكور من الأوصاف ﴿ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ ﴾ كثير الفضل ﴿ عَلِيمٌ ﴾ ﴿٥٤﴾ بمن هو أهله ونزل لما قال ابن سلام يا رسول الله إن قومنا هجرونا ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴾ ﴿٥٥﴾ خاشعون أو يصلون صلاة التطوع ﴿ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ فيعينهم وينصرهم ﴿ فَإِنَّ حِزْبَ

قوله: (**وأشار إلى أبي موسى الأشعري**) أي فالقوم الأشعريون، وقيل هم أبو بكر وأصحابه الذين باشروا قتال المرتدين، والأقرب أن الآية عامة لأصحاب رسول الله ومن كان على قدمهم إلى يوم القيامة بقرينة التسويف. قوله: ﴿**أَذِلَّةٍ**﴾ جمع ذليل وقوله: (**عاطفين**) أشار به إلى أن أذلة مضمن معنى عاطفين لتعديته بعلى، والمعنى متواضعين لأنهم مغلظين على الكفار، ومن هذا المعنى قوله تعالى: ﴿أشداء على الكفار رحماء بينهم﴾. قوله: ﴿**يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ**﴾ أي لإعلاء دينه. قوله: ﴿**وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ**﴾ تعريف بالمنافقين، فإنهم كانوا إذا خرجوا في جيش المسلمين خافوا أولياءهم اليهود لئلا يحصل منهم اللوم لهم. قوله: ﴿**ذَٰلِكَ**﴾ (**المذكور**) أي من الأوصاف الستة. قوله: (**ونزل لما قال ابن سلام الخ**) أي لما أسلم هجره قومه قريظة وبنو النضير.

قوله: ﴿**إِنَّمَا وَلِيُّكُمْ**﴾ الخطاب لعبد الله بن سلام وأتباعه الذين هداهم الله إلى الإسلام، فلما نزلت هذه الآية، قال عبد الله بن سلام: رضيت بالله رباً، وبرسوله نبياً، وبالمؤمنين أولياء، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فكل من انتسب لله فهو وليه، قال تعالى: ﴿الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور﴾. قوله: ﴿**وَرَسُولُهُ**﴾ أي لأنه الواسطة العظمى في كل نعمة، وقوله: ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا**﴾ أي لكونهم الإخوان، فمن تخلى عنه رسول الله أو المؤمنون فهو هالك، لأن موالاة الثلاثة شرط في صحة الإيمان. قوله: ﴿**الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ**﴾ بدل من الذين قبله، ومعنى إقامة الصلاة أداؤها بشروطها وأركانها وآدابها. قوله: ﴿**وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ**﴾ أي الحقوق التي عليهم في أموالهم.

قوله: ﴿**وَهُمْ رَاكِعُونَ**﴾ الجملة حالية من يقيمون ويؤتون، وقوله: (**خاشعون**) أي فأطلق الركوع وأراد لازمه وهو الخشوع. قوله: (**أو يصلون صلاة التطوع**) أي فالمراد بالركوع صلاة النوافل وخصها بالذكر، لأن نفل الصلاة أفضل من نفل غيرها، وعليه فجملة وهم راكعون معطوفة على ما قبلها، فتحصل أنه وصفهم بأوصاف ثلاثة: إقامة صلاة الفرائض، وإيتاء الزكاة، وصلاة النوافل، وقيل قوله وهم راكعون حال من فاعل يؤتون الزكاة، والمراد بها ما يشمل صدقة التطوع والركوع على حقيقته، والمراد كمال رغبتهم في الإحسان ومسارعتهم إليه، روي أنها نزلت في علي كرّم الله وجهه حين سأله سائل وهو في الصلاة فنزع خاتمه وأعطاه له.

قوله: ﴿**وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا**﴾ من اسم شرط، يتول فعله، والله مفعول يتول والمعنى يختار الله ولياً يعبده ويلتجىء إليه، ويختار رسوله ولياً بأن يؤمن به ويتوسل به ويعظمه ويوقره، ويختار الذين آمنوا أولياء بأن يعينهم وينصرهم ويوقرهم إذا حضروا ويحفظهم إذا غابوا، وقوله: ﴿**فَإِنَّ**

ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَـٰلِبُونَ ﴾ ﴿٥٦﴾ لنصره إياهم أوقعه موقع فإنهم بياناً لأنهم من حزبه أي أتباعه ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَكُمْ هُزُوًا ﴾ مهزوءاً به ﴿ وَلَعِبًا مِّنَ ﴾ للبيان ﴿ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ ﴾ المشركين بالجر والنصب ﴿ أَوْلِيَآءَ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ﴾ بترك موالاتهم ﴿ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ ﴿٥٧﴾ صادقين في إيمانكم ﴿ وَ ﴾ الذين ﴿ إِذَا نَادَيْتُمْ ﴾ دعوتم ﴿ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ﴾ بالأذان ﴿ ٱتَّخَذُوهَا ﴾ أي الصلاة ﴿ هُزُوًا وَلَعِبًا ﴾ بأن يستهزؤوا بها ويتضاحكوا ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ الاتخاذ ﴿ بِأَنَّهُمْ ﴾ أي بسبب أنهم ﴿ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴾ ﴿٥٨﴾ ونزل لما قال اليهود للنبي ﷺ بمن تؤمن من الرسل فقال بالله

حِزْبَ اللَّهِ﴾ الخ، يحتمل أنها جواب الشرط، وإنما أوقع الظاهر موقع المضمر لنكتة التشريف، ويؤخذ ذلك من عبارة المفسر، ويحتمل أنها دليل الجواب، والجواب محذوف تقديره يكن من حزب الله. قوله: ﴿**هُمُ الْغَالِبُونَ**﴾ أي القاهرون لأعدائهم.

قوله: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا**﴾ لا ناهية، وتتخذوا مجزوم بلا الناهية، والذين مفعول أول للاتتخذوا الأولى، واتخذوا الثانية صلة الذين، ومفعولها الأول قوله دينكم، ومفعولها الثاني هزواً ولعباً، وقوله: ﴿**أَوْلِيَاءَ**﴾ مفعول ثان للاتتخذوا الأولى. قله: ﴿**مِنْ**﴾ (**للبيان**) أي فهو بيان للذين اتخذوا دينكم، فالمعنى لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزواً ولعباً وهم الذين أوتوا الكتاب. قوله: (**المشركين**) إنما اقتصر عليهم وإن كان الجميع كفاراً، لتحصل المغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه. قوله: (**بالجر**) أي عطف على مجرور من، وقوله: (**والنصب**) أي عطف على الذين الواقع مفعولاً به، فعلى الأول الاستهزاء واقع من الفريقين، وعلى الثاني واقع من أهل الكتاب فقط، وثبوت الاستهزاء لغيرهم مأخوذ من آية أخرى له. قوله: ﴿**إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ**﴾ أي فاتركوا موالاتهم، فيؤخذ من الآية أن من والاهم فليس بمؤمن، فهو وعيد عظيم لمن اتخذ الكفار أولياء من دون المؤمنين. قوله: ﴿**وَإِذَا نَادَيْتُمْ**﴾ يحتمل أنه معطوف على الـذين المجرور بمن، وعليه فالمستهزؤون ثلاث فرق، ويحتمل أنه معطوف على الذين الواقع مفعولاً به، فيكون من جملة أوصاف الفريق الأول. قوله: (**بالأذان**) ورد أن المنافقين والكفار كانوا إذا سمعوا الأذان ضحكوا وقالوا: يا محمد لقد ابتدعت شيئاً لم يسمع بمثله فيما مضى قبلك من الأمم، فإن كنت تدعي النبوة فقد خالفت الأنبياء قبلك، ولو كان فيك خير لكان أولى الناس به الأنبياء، فمن أين لك صياح العير، فما أقبح هذه الصوت وهذا الأمر، فنزلت آية ﴿ومن أحسن قـولاً﴾ وهذه الآية.

قوله: ﴿**لاَ يَعْقِلُونَ**﴾ أي لا يعون ولا يتأملون جلال الله وهيبته، ولو عقلوه ما ساعهم الاستهزاء، ولذا ورد أن رسول الله كان إذا نودي بالصلاة تغيرت حالته، قال بعض الصحابة، كأنه لا يعرفنا ولا نعرفه، وكان علي إذا سمع للنداء ينتقع لونه، وهذا الوعيد يجر بذيله على من يتعاطى الضحك وأسبابه في الصلاة، ولذلك جعله أبو حنيفة من مبطلات الوضوء والصلاة، وجعله غيره من مبطلات الصلاة فقط، وإنما لم يكفروا فاعله، لأنه لم يكن مستهزئاً بأمر الله حقيقة، وإلا كان كافراً إجماعاً وداخـلاً في عموم الكفار. قوله: (**ونزل لما قال اليهود**) أي سبب نزولها، قول طائفة من اليهود، كأبي يسار ورافع بن أبي رافع وآزر بن آزر، وقصدهم بهذا السؤال اختباره ﷺ، قل هو مؤمن بعيسى فيخالفوه، أولاً فيتبعـوه لكراهتهم له. قوله: (**بمن تؤمن من الرسل**) أي بأي رسول تؤمن؟ قوله: (**فقال بالله**) متعلق بمحذوف

وما أُنزل إلينا الآية فلما ذكر عيسى قالوا لا نعلم ديناً شراً من دينكم ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ ﴾ تنكرون ﴿ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ ﴾ إلى الأنبياء ﴿ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ ﴾ ﴿٥٩﴾ عطف على أن آمنا المعنى ما تنكرون إلا إيماننا ومخالفتكم في عدم قبوله المعبر عنه بالفسق اللازم عنه وليس هذا مما ينكر ﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم ﴾ أخبركم ﴿ بِشَرٍّ مِّن ﴾ أهل ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ الذي تنقمونه ﴿ مَثُوبَةً ﴾ ثواباً بمعنى جزاء ﴿ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ هو ﴿ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ ﴾ أبعده عن رحمته

تقديره أؤمن بالله، وقوله: (الآية) أي إلى قوله: (مسلمون) وتلك الآية هي آية البقرة التي أولها (قولوا آمنا) الآية.

قوله: ﴿هَلْ تَنْقِمُونَ﴾ جمهور القراء على كسر القاف من نقم بفتحها وهو الفصيح، وقرىء شذوذاً بفتح القاف، وماضيه نقم بكسرها، وهو في الأصل النقض، ثم أطلق على الكراهية والإنكار، ولذا عدى بمن دون على. قوله: ﴿مِنَّا﴾ أي من أوصافنا وأخلاقنا. قوله: ﴿إلَّا أَنْ آمَنَّا﴾ استثناء مفرغ، وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مفعول لتنقموا، والاستفهام إنكاري بمعنى النفي، والمعنى لا تنكرون ولا تكرهون من أوصافنا إلا إيماننا بالله الخ. قوله: ﴿وَمَا أُنْزِلَ مِن قَبْلُ﴾ أي من سائر الكتب السماوية.

قوله: ﴿وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ﴾ قرأ الجمهور بفتح الهمزة، وقرىء شذوذاً بكسرها على الاستئناف. قوله: (عطف على أن آمنا) أي فهو في محل نصب على حذف مضاف تقديره واعتقادنا أن أكثركم فاسقون، وإنما قدرنا المضاف لصحة العطف، فإن المعطوف على الصفة صفة، وكون أكثرهم فاسقين وصف لهم لا لنا، فقدر المضاف لذلك، ويصح أنه منصوب على المعية، والمعنى إلا إيماننا مع كون أكثركم فاسقين، مع تقدير المضاف، أي مع اعتقادنا أن أكثركم فاسقون، ويحتمل أنَّ أن وما دخلت عليه في تأويل مصدر في محل رفع مبتدأ، والخبر محذوف تقديره وفسق أكثركم ثابت عندنا، ويحتمل أنه في محل جر معطوف على لفظ الجلالة مسلّط عليه آمنا، التقدير وما تكرهون منا إلا إيماننا بالله، وإيماننا بأن أكثركم فاسقون. قوله: (المعنى ما تنكرون الخ) إنما أتى بذلك جواباً عن سؤال مقدر، تقديره إن. قوله: ﴿وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ﴾ وصف لهم، وأما الإيمان فهو وصف لنا، فيشكل عطف ما ليس وصفاً لنا على ما هو وصف لنا، فلذلك حول المفسر العبارة. قوله: (ومخالفتكم) من إضافة المصدر لمفعوله، والفاعل محذوف تقديره مخالفتنا إياكم. قوله: (المعبر عنه بالفسق) أي فأطلق اللازم وهو الفسق، وأراد الملزوم وهو عدم قبول الإيمان، ثم أطلق وأريد لازمه، وهو مخالفتنا لهم في اتصافنا بقبول الإيمان وهم بعدمه، وقوله: (في عدم قبوله) أي الإيمان. قوله: (وليس هذا مما ينكر) تتميم للكلام، إشارة إلى أن الاستفهام إنكاري.

قوله: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ﴾ هذا الكلام من باب المقابلة، لأنه في مقابلة اليهود لا نعلم ديناً شراً من دينكم. قوله: (الذي تنقمونه) أي وهو ديننا. قوله: ﴿مَثُوبَةً﴾ تمييز لشر. قوله: (بمعنى جزاء) أي بالعقاب، وكان على المفسر أن يزيده، فتسمية الجزاء بالعقاب ثواباً تهكم بهم على حد (فبشرهم بعذاب أليم). قوله: (هو) ﴿مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ﴾ أشار بذلك إلى أن قوله من لعنه خبر لمحذوف قدره المفسر بقوله هو، وهو جواب عن سؤال مقدر تقديره ومن الأشر.

﴿ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ ﴾ بالمسخ ﴿ وَ ﴾ من ﴿ عَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ بطاعته الشيطان وراعى في منهم معنى من وفيما قبله لفظها وهم اليهود وفي قراءة بضم باء عبد وإضافته إلى ما بعده اسم جمع لعبد ونصبه بالعطف على القردة ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا ﴾ تمييز لأن مأواهم النار ﴿ وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ ﴿٦٠﴾ طريق الحق وأصل السواء الوسط وذكر شر وأضل في مقابلة قولهم لا نعلم ديناً شراً من دينكم ﴿ وَإِذَا جَآءُوكُمْ ﴾ أي منافقو اليهود ﴿ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَقَد دَّخَلُواْ ﴾ إليكم متلبسين ﴿ بِٱلْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُواْ ﴾ من عندكم متلبسين ﴿ بِهِۦ ﴾ ولم يؤمنوا ﴿ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُواْ يَكْتُمُونَ ﴾ ﴿٦١﴾ ـه من النفاق ﴿ وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ ﴾ أي اليهود ﴿ يُسَٰرِعُونَ ﴾ يقعون سريعاً ﴿ فِي ٱلْإِثْمِ ﴾ الكذب ﴿ وَٱلْعُدْوَٰنِ ﴾ الظلم ﴿ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ﴾ الحرام كالرشا ﴿ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ ﴿٦٢﴾ عملهم هذا ﴿ لَوْلَا ﴾ هلا ﴿ يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ ﴾ منهم ﴿ عَن قَوْلِهِمُ

قوله: ﴿**وَغَضِبَ عَلَيْهِ**﴾ أي انتقم منه على سبيل الأبد. قوله: (**بالمسخ**) أي فجعل شبابهم قردة ومشايخهم خنازير. قوله: (**الشيطان**) تقدم أنه أحد تفاسير في الطاغوت، وقيل هو كل ما أوقع في الضلال، وعابده هو التابع له في الضلال. قوله: (**وفيما قبله**) أي وهو لعنه وغضب عليه، وكذلك راعى لفظها في ﴿**وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ**﴾. قوله: (**وفي قراءة**) أي سبعية لحمزة، وقوله: (**اسم جمع لعبد**) أي لا جمع له بل جمعه أعبد، قال ابن مالك: لفعل اسماً صح عيناً أفعل. قوله: (**ونصبه بالعطف على القردة**) أي فتكون الصلات ثلاثاً وهي: لعنه، وغضب عليه، وجعل الرابعة على القراءة الأولى عبد. قوله: (**تمييز**). أي تمييز نسبة، ونسب الشر للمكان، وحقه لأهله كناية عن نهايتهم في ذلك. قوله: (**وذكر شر**) أي المجرور في قوله بشر، والمرفوع في قوله أولئك شر، وقوله: (**في مقابلة قولهم الخ**) جواب عن سؤال مقدر، تقديره كيف ذلك مع أن المؤمنين لا شر عندهم، فأجاب بما ذكر، وأجيب أيضاً بأن شر المؤمنين باعتبار تعبهم في الدنيا، فعذاب الآخرة للكفار، أشر من ضيق الدنيا على المؤمنين، وأجيب أيضاً: بأن المفضل عليه جماعة من الكفار، فيكون المعنى: هؤلاء المتصفون بتلك الأوصاف، شر من غيرهم من الكفرة الذين لم يجمعوا بين هذه الخصال.

قوله: ﴿**وإذْ جَاؤُكُمْ**﴾ الخطاب للنبي، فجمعه للتعظيم أوله، ومن عنده من المؤمنين، فالجمع ظاهر. قوله: ﴿**وَقَدْ دَخلُوا**﴾ الجملة حالية من فاعل ﴿**قَالُوا**﴾، وكذا. قوله: ﴿**وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ**﴾. قوله: (**متلبسين**) قدره إشارة إلى أن قوله: ﴿**بِالْكُفْرِ**﴾ متعلق بمحذوف حال من فاعل دخلوا، وكذا قوله به حال من فاعل خرجوا.

قوله: ﴿**وَتَرَى كَثِيراً**﴾ رأى بصرية تنصب مفعولاً واحداً وهو قوله كثيراً، وقوله: ﴿**يُسَارِعُونَ**﴾ حال من قوله كثيراً. قوله: (**كالرشا**) بضم الراء وكسرها من الرشوة بضم وكسر، فالمضموم للمضموم، والمكسور للمكسور، وأدخلت الكاف الربا. قوله: (**عملهم هذا**) قدره إشارة للمخصوص بالذم. قوله: (**هلا**) أشار بذلك إلى أن لولا للتخضيض والتوبيخ لعلمائهم، حيث لم ينهوهم عما ارتكبوه من المخالفات. قوله: ﴿**لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ**﴾ عبر في جانب العوام بيعملون، وفي جانب العلماء بيصنعون، لأن

﴿ٱلۡإِثۡمَ﴾ الكذب ﴿وَأَكۡلِهِمُ ٱلسُّحۡتَۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ۝٦٣﴾ ـه ترك نهيهم ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ﴾ لما ضيق عليهم بتكذيبهم النبي ﷺ بعد أن كانوا أكثر الناس مالاً ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ﴾ مقبوضة عن إدرار الرزق علينا كنوا به عن البخل تعالى الله عن ذلك قال تعالى ﴿غُلَّتۡ﴾ أمسكت ﴿أَيۡدِيهِمۡ﴾ عن فعل الخيرات دعاء عليهم ﴿وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْۘ بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ﴾ مبالغة في الوصف بالجود وثني اليد لإفادة الكثرة إذا غاية ما يبذله السخي من ماله أن يعطي بيديه ﴿يُنفِقُ كَيۡفَ يَشَآءُۚ﴾ من

الصنع أبلغ من العمل، إذ هو عمل مع إتقان، فذمهم بأبلغ وجه، وكل آية وردت في الكفار فإنها تجر بذيلها على عصاة المؤمنين، قال ابن عباس: هذه أشد آية في القرآن، يعني في حق العلماء. وقال الضحاك: ما في القرآن أخوف آية عندي منها.

قوله: ﴿**وَقَالَتِ الْيَهُودُ**﴾ أي بعضهم وهو فنحاص بن عازوراء، وإنما نسب القول لهم عموماً لرضاهم به ولم ينهوا عنه. قوله: (**بتكذيبهم**) الباء سببية. قوله: (**بعد أن كانوا أكثر الناس مالاً**) أي وأخصب أرضاً. قوله: (**مقبوضة**) أي ممسوكة عن بسط العطاء لنا. قوله: (**كنوا به عن البخل**) أي لأنه يلزم من قبض اليد عن الإعطاء للمستحقين البخل. قوله: (**تعالى الله عن ذلك**) أي تنزه سبحانه عن ما وصفوه به من البخل، لأن البخل هو منع المستحق من حقه، وليس لأحد حق على الله تعالى، بل هو الكريم الحقيقي الذي عم عطاؤه والطائع والعاصي لا لغرض ولا لعوض. قوله: (**دعاء**) إما بالرفع خبر لمحذوف والتقدير هو دعاء، أي طلب من نفسه بنفسه غلول أيديهم، ويصح النصب على أنه مفعول لأجله، أي قال تعالى لأجل الدعاء عليهم.

قوله: ﴿**وَلُعِنُوا**﴾ معطوف على ﴿**غُلَّتْ**﴾ فهو في حين الدعاء، فبسبب هذه المقالة صاروا أشقياء آيسين من رحمة الله، فلم يوفقوا لفعل خير بعد ذلك أبداً، وطردوا عن رحمة الله في الدنيا والآخرة. قوله: ﴿**بَلْ يَدَاهُ**﴾ إضراب إبطالي، ويداه مبتدأ، و﴿**مَبْسُوطَتَانِ**﴾ خبره، وجملة ينفق: إما خبر ثان أو استئناف بياني، وكيف اسم شرط، ويشاء فعل الشرط، ومفعوله محذوف تقديره الإنفاق له، وجوب الشرط محذوف دل عليه قوله ينفق. قوله: (**مبالغة في الوصف بالجود**) أي الإعطاء الكثير الذي عم الطائع والعاصي، واعلم أن معاملة الله للمؤمنين بالفضل إعطاء أو منعاً، لأنه ما منعهم عطاء الدنيا إلا لكونه ادخر لهم ما هو أعظم منه في الآخرة، وأما معاملته للكفار، فبالفضل عند الإعطاء، وبالعدل عند المنع، فلا يوصف بالبخل على كل حال تنزه الله عنه، لأن البخل هو منع المستحق من حقه، وتعالى الله عن أن يكون لأحد حق عليه. قوله: (**وثني اليد الخ**) أي فذكر اليدين مشاكلة، والتثنية كناية عن كثرة العطاء، لكن على مراده هو، لا على مراد عبيده، لأنه ليس لأحد حق عليه يطلبه منه، ثم في إطلاق اليد على الله طريقتان: طريقة السلف أن اليد صفة من صفاته أزلية، كالسمع والبصر، ينشأ عنها الخير لا الشر، فهي أخص من القدرة، لأن القدرة ينشأ عنها جميع الممكنات، إيجاداً وإعداماً، خيراً أو شراً، ولا يعلمها إلا هو، ويشهد لما قلنا. قوله تعالى: ﴿قال ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي﴾ أي اصطفيته، ولم يقل بقدرتي، وطريقة الخلف أن اليد تطلق بمعنى الجارحة، وهي مستحيلة على الله، وتطلق على القدرة والنعمة والملك، ويصح إرادة كل منها في حق الله. إن قلت: على تفسيرها بالقدرة أو النعمة، فلم ثنيت

توسيع وتضييق لا اعتراض عليه ﴿ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ﴾ من القرآن ﴿ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴾ لكفرهم به ﴿ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ فكل فرقة منهم تخالف الأخرى ﴿ كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ ﴾ أي لحرب النبي ﷺ ﴿ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ﴾ أي كلما أرادوه ردهم ﴿ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ﴾ أي مفسدين بالمعاصي ﴿ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ ﴿٦٤﴾ بمعنى أنه يعاقبهم ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ءَامَنُوا۟ ﴾ بمحمد ﷺ ﴿ وَٱتَّقَوْا۟ ﴾ الكفر ﴿ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَٰهُمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ ﴿٦٥﴾ ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴾ بالعمل بما فيهما ومنه الإيمان بالنبي ﷺ ﴿ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم ﴾ من الكتب ﴿ مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم ﴾ بأن يوسع عليهم الرزق ويفيض من كل جهة ﴿ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ ﴾ جماعة ﴿ مُّقْتَصِدَةٌ ﴾ تعمل به ومنهم من

ثانياً بعد إفرادها أولاً؟ أجيب: بأن التثنية لإفادة كثرة الكرم والعطاء كما قال المفسر إن قلت: على تفسيرها بالنعمة فمقتضاه جمعها لأن النعم كثيرة، قال تعالى: ﴿وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها﴾ أجيب: بأن التثنية بحسب الجنس، لأن النعم جنسان مثل: نعمة الدنيا ونعمة الدنيا، ونعمة الظاهر ونعمة الباطن، ونعمة الإعطاء ونعمة المنع، وتحت كل واحد من الجنسين أنواع كثيرة، وما قلناه عقائد المؤمنين، وعقيدة اليهود أنها الجارحة لأنهم مجسمة. قوله: **(من توسيع وتضييق)** أي على مقتضى المصلحة والحكمة الإلهية، ففي الحديث «إن من عبادي من لا يصلح له إلا الفقر، فلو أغنيته لفسد حاله، وإن عبادي من لا يصلح له إلا الغنى، فلو أفقرته لفسد حاله». قوله: **(فكل فرقة منهم)** أي اليهود كالجبرية والقدرية والمشبهة والمرجئة، والنصارى كذلك فرق كالملكانية والنسطورية واليعقوبية والماردانية. إن قلت: إن المسلمين فرق أيضاً؟ أجيب: بأن افتراق المسلمين في الفروع لا الأصول، وكلهم على خير مسلمين لبعضهم، وأما من خرج عن ذلك فهو ضال مضل.

قوله: **﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَاراً لِلْحَرْبِ﴾** أي بتعاطي أسبابه ومبادئه. قوله: **(ردهم)** أي قهرهم وجعلهم أذلة خاشعين. قوله: **(أي مفسدين)** أشار بذلك إلى أنه حال من فاعل يسعون، ويصح أن يكون مصدراً مؤكداً ليسعون من معناه.

قوله: **﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ﴾** بيان لحالهم في الآخرة، فهو ترد لهم لعلهم يهتدون، ومن هنا لا يجوز لعن كافر معين حي، لأنه يحتمل أنه يهتدي. قوله: **(من الكتب)** أي ككتاب شعياء، وكتاب دانيال، وكتاب أرمياء، ففي هذه الكتب أيضاً ذكر محمد ﷺ، فالمراد بإقامة الكتب الإيمان به ﷺ، وقيل المراد بما أنزل إليهم من ربهم القرآن، لأنهم مأمورون بالإيمان به، لأنهم من جملة أمته ﷺ، ولعل هذا هو الأقرب. قوله: **(بأن يوسع عليهم الرزق)** أي بأن يفيض عليهم بركات السماء والأرض، ويؤخذ من هذه الآية أن طاعة الله سبب في الرزق، ومعاصيه سبب في قبضه، قال تعالى: ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾ وقال تعالى: ﴿من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة﴾. وقال عليه الصلاة والسلام: «إذا رأيت قساوة في قلبك وحرماناً في رزقك ووهناً في بدنك فاعلم أنك تكلمت فيما لا يعنيك». قوله: **﴿مُقْتَصِدَةٌ﴾** أي معتدلة ليست مفرطة ولا مفرطة، وقوله: **(تعمل به)**

آمن بالنبي ﷺ كعبد الله بن سلام وأصحابه ﴿ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ ﴾ بئس ﴿ مَا ﴾ شيئاً ﴿ يَعْمَلُونَ ﴾ ﴿٦٦﴾ ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ ﴾ جميع ﴿ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ﴾ ولا تكتم شيئاً خوفاً أن تنال بمكروه ﴿ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ ﴾ أي لم تبلغ جميع ما أنزل إليك ﴿ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ﴾ بالإفراد والجمع لأن كتمان بعضها ككتمان كلها ﴿ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ أن يقتلوك وكان ﷺ يحرس

أي بالقرآن أو بما ذكر من التوراة وما بعدها. قوله: (ومنهم من آمن) الأوضح أن يحذف قوله ومنهم من آمن، ويقتصر على قوله كعبد الله الخ، كما قال غيره من المفسرين، وفي نسخة وهم من آمن وهي الصواب. قوله: ﴿وَكَثِيرٌ﴾ مبتدأ وجملة ﴿سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾ خبره، وساء كلمة ذم. وما مميز وقيل فاعل. وجملة يعملون: إما صلة إن جعلت ما موصولة أو صفة إن جعلت نكرة، والعائد محذوف قدره المفسر.

قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ﴾ سبب نزولها: أن رسول الله ﷺ لما بعث ضاق ذرعاً لعلمه أن قوماً يكذبونه ولا بد، فنزلت الآية تسلية له، وفي ندائه بيا أيها الرسول شهادة له بالرسالة، وأل في الرسول للعهد الحضوري، أي الرسول الحاضر وقت نزولها، وهو محمد ﷺ. قوله: (جميع) قدره إشارة إلى أن ما اسم موصول بمعنى الذي، ولا يصح تقديرها نكرة، لأنه يصدق بتبليغ البعض مع أنه غير مكلف، واعلم أن ما أوحي إلى رسول الله، ينقسم إلى ثلاثة أقسام: ما أمر بتبليغه وهو القرآن والأحكام المتعلقة بالخلق عموماً فقد بلغه ولم يزد عليه حرفاً ولم يكتم منه حرفاً ولو جاز عليه الكتم لكتم آيات العتاب الصادرة له من الله، كآية عبس وتولى، وآية ما كان لنبي أن يكون له أسرى، وسورة تبت يدا أبي لهب، ولفظ قل يا أيها الكافرون، وقل هو الله أحد، وقل أعوذ برب الفلق، وقل أعوذ برب الناس، وقد شهد الله له بتمام التبليغ، حيث أنزل قبيل وفاته ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾ وورد أنه قال لعزرائيل حين قبض روحه: اقبض فقد بلغت، وما أمر بكتمه فقد كتمه ولم يبلغ منه حرفاً، وهو جميع الأسرار التي لا تليق بالأمة، وما خير في تبليغه وكتمه، فقد كتم البعض وبلغ البعض، وهو الأسرار التي تليق بالأمة، ولذا ورد عن أبي هريرة أنه قال: أعطاني حبيبي جرابين من العلم، لو بثثت لكم أحدهما لقطع مني هذا الحلقوم. قوله: (خوفاً أن تنال بمكروه) أي يمنعك عن مطلوبك، كالقتل والأسر ومنع الخلق عنك فإنك معصوم من ذلك، وأما مثل السب فتحمله، ولا يكن مانعاً لك من التبليغ، وهذا إخبار من الله بأن رسوله لم يكتم شيئاً، فهو معصوم من الكتمان لاستحالته عليه. قوله: (بالإفراد والجمع) أي فهما قراءتان سبعيتان، وعلى كل فهو مفعول لبلغت، فعلى الإفراد منصوب بالفتحة الظاهرة، وعلى الجمع منصوب بالكسرة لأنه جمع مؤنث سالم، والمعنى واحد على كل، لأن المفرد المضاف يفيد العموم. قوله: (لأن كتمان بعضها الخ) أشار بذلك إلى دفع سؤال ورد على الآية. وحاصله أن ظاهر قوله: ﴿وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ اتحاد الشرط، والجواب لأنه ينحل المعنى إن لم تبلغ فما بلغت. وحاصل الجواب أن المعنى وإن تركت شيئاً مما أمرت بتبليغه ولو حرفاً، فقد تركت الكل وصار ما بلغته غير معتد به، لأن كتمان بعضه ككتمان كله.

قوله: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ﴾ أي يحفظك وهو من تمام الأمر بالتبليغ. قوله: (أن يقتلوك) دفع ما قيل إنه أوذي أشد الإيذاء قولاً فأجاب بأن المراد العصمة من القتل، وما في معناه من كل ما يعطل عليه التبليغ وهكذا كل نبي أمر بالقتال، وما ورد من قتل بعض الأنبياء، فلم يكونوا مأمورين بالقتال. قوله:

حتى نزلت فقال انصرفوا فقد عصمني الله رواه الحاكم ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ ﴿٦٧﴾ ﴿ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَسۡتُمۡ عَلَىٰ شَيۡءٍ ﴾ من الدين معتد به ﴿ حَتَّىٰ تُقِيمُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡۗ ﴾ بأن تعملوا بما فيه ومنه الإيمان بي ﴿ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ﴾ من القرآن ﴿ طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗاۖ ﴾ لكفرهم به ﴿ فَلَا تَأۡسَ ﴾ تحزن ﴿ عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ ﴿٦٨﴾ إن لم يؤمنوا بك أي لا تهتم بهم ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ ﴾ هم اليهود مبتدأ ﴿ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ ﴾ فرقة منهم ﴿ وَٱلنَّصَٰرَىٰ ﴾ ويبدل من المبتدأ ﴿ مَنۡ ءَامَنَ ﴾ منهم ﴿ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴾ ﴿٦٩﴾ في الآخرة خبر المبتدأ ودال على خبر إن ﴿ لَقَدۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ

(وكان ﷺ يحرس الخ) عن عائشة رضي الله عنها قالت: سهر رسول الله ﷺ في مقدمة المدينة ليلة فقال: «ليت رجلاً صالحاً من أصحابي يحرسني الليلة»، قال فبينما نحن كذلك سمعنا خشخشة سلاح، قال من هذا؟ قال سعد بن أبي وقاص، فقال له رسول الله ﷺ: ما جاء بك؟ فقال وقع في نفسي خوف على رسول الله ﷺ فجئت أحرسه، فدعا له رسول الله ثم نام، وفي رواية إن الذي جاء سعد وحذيفة بن اليمان قالا: جئنا نحرسك، فنام عليه السلام حتى سمعت غطيطه، ونزلت هذه الآية فأخرج رأسه من قبة آدم وقال: انصرفوا أيها الناس فقد عصمني الله، ورد أنه كان يحفظه سبعون ألف ملك، لا يفارقونه في نوم ولا يقظة. قوله: **﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾** أي لبلوغ مطلوبهم فيك لعصمتك منهم، ولذلك في بعض الغزوات حين احتاطت به الأعداء صار يقول: أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب، ويرميهم بالتراب في وجوههم، وكان يمر بين صفي القتال على بغلة لا تصلح لكر ولا فر.

قوله: **﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾** أي اليهود والنصارى. قوله: **(معتد به)** أي عند الله وهو الهدى والخير، وهذا جواب عن سؤال: كيف يقول لستم على شيء، مع أنهم على شيء وهو الدين الباطل. قوله: **﴿حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ﴾** أي تأتمرون بأمرهما وتنتهون بنهيهما، لأن فيهما بيان أن دينه هو الدين القيم، وأن وجوده ناسخ لجميع الشرائع. قوله: **﴿كَثِيراً مِنْهُمْ﴾** أي كعلمائهم ورؤسائهم، وأما القليل منهم كعبد الله بن سلام والنجاشي وأضرابهما، فقد زادهم القرآن اهتداء ونوراً. قوله: **﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾** نسب الإنزال أولاً إليهم، لأنهم مأمورون بإتباعه، ونسب الإنزال ثانياً إليه، لأنه منزّل إليه حقيقة، فيصح نسبة الإنزال إليهم باعتبار أنهم مأمورون بالعمل به وإليه باعتبار أنه يبلغه. قوله: **﴿طُغْيَاناً وَكُفْراً﴾** قيل الطغيان والكفر مترادفان، وقيل الطغيان أعم لأنه مجاوزة الحد.

قوله: **﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾** إن حرف توكيد ونصب، والذين اسمها، وآمنوا صلته، وخبرها محذوف دل عليه قوله: **﴿فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾** الخ، وقوله: **﴿وَالَّذِينَ هَادُوا﴾** الواو للاستئناف أو عطف جمل، والذين مبتدأ **﴿وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى﴾** معطوفان عليه، وقوله: **﴿مَنْ آمَنَ﴾** بدل من الذين هادوا، وما عطف عليه بدل بعض من كل، وقوله: **﴿فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾** خبر المبتدأ، وهذا أحد أوجه تسعة وهو أحسنها، ولذا درج عليه المفسر. قوله: **﴿آمَنُوا﴾** أي حقيقة بقلوبهم وألسنتهم خرج المنافقون. قوله: **(فرقة منهم)** أي اليهود، وقيل من النصارى، وقيل طائفة يعبدون الكواكب السبعة، وقيل يعبدون الملائكة. قوله: **(وعمل صالحاً)** أي فإن مات ولم يكن عمل صالحاً غير الإيمان فهو تحت المشيئة. قوله:

إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ على الإيمان بالله ورسله ﴿وَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمۡ رُسُلٗاۖ كُلَّمَا جَآءَهُمۡ رَسُولُۢ﴾ منهم ﴿بِمَا لَا تَهۡوَىٰٓ أَنفُسُهُمۡ﴾ من الحق كذبوه ﴿فَرِيقٗا﴾ منهم ﴿كَذَّبُواْ وَفَرِيقٗا﴾ منهم ﴿يَقۡتُلُونَ ٧٠﴾ كزكريا ويحيى والتعبير به دون قتلوا حكاية للحال الماضية للفاصلة ﴿وَحَسِبُوٓاْ﴾ ظنوا ﴿أَلَّا تَكُونَ﴾ بالرفع فأن مخففة والنصب فهي ناصبة أي تقع ﴿فِتۡنَةٞ﴾ عذاب بهم على تكذيب الرسل وقتلهم ﴿فَعَمُواْ﴾ عن الحق فلم يبصروه ﴿وَصَمُّواْ﴾ عن استماعه ﴿ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ﴾ لما تابوا ﴿ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ﴾

(منهم) قدره إشارة إلى أن العائد محذوف. قوله: ﴿**لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ**﴾ أي في التوراة، والمقصود من ذلك إقامة الحجة على من كان في زمنه ﷺ من اليهود والنصارى، وتقدم أن الميثاق هو العهد المؤكد باليمين.

قوله: ﴿**وَأَرْسَلْنَا**﴾ معطوف على أخذنا. قوله: ﴿**رُسُلاً**﴾ أي كشعياء وأرمياء ويوشع. قوله: ﴿**كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ**﴾ كلما شرطية وجاءهم فعل الشرط، وقوله: ﴿**بِمَا لَا تَهْوَى**﴾ متعلق بجاء وما اسم موصول، وقوله: ﴿**لَا تَهْوَى**﴾ صلته، والعائد محذوف تقديره لا تهواه، وجواب الشرط محذوف قدره المفسر بقوله: **(كذبوه)** والأوضح له أن يقول عادوه وعصوه، وقوله: ﴿**فَرِيقاً كَذَّبُوا**﴾ الخ مستأنف بيان لوجه العصيان والمعاداة. قوله: **(منهم)** قدره إشارة إلى أن الجملة الشرطية صفة لرسلاً، والعائد محذوف ولو جعلت استئنافية لما احتيج لتقديره. قوله: **(من الحق)** بيان لما. قوله: ﴿**كَذَّبُوا**﴾ أي غير قتل، كداود وسليمان ويوشع وعيسى ومحمد. قوله: **(كزكريا ويحيى)** أي وشعياء. قوله: **(دون قتلوا)** أي لمراعاة كذبوا. قوله: **(حكاية للحال الماضية)** أي كأنها حاصلة الآن. قوله: **(للفاصلة)** أي المحافظة على رؤوس الآي وتناسبها مع بعضها، ولعل فيه حذف الواو ويكون علة ثانية.

قوله: ﴿**وَحَسِبُوا**﴾ سبب هذا الحسبان، أنهم كانوا يعتقدون أنهم يقربون لكونهم من ذرية الأنبياء، فلا يضرهم تكذيب الأنبياء وقتلهم إياهم، بل سلفهم يدفعون عنهم عذاب الآخرة. قوله: **(بالرفع فأن مخففة)** أي واسمها محذوف تقديره أنه، وقوله: ﴿**لَا تَكُونَ**﴾ خبرها، قال ابن مالك:

وَإِنْ تُخَفَّفْ أَنْ فَاسْمُهَا اسْتَكَنْ ... وَالخَبَرَ اجْعَلْ جُمْلَةً مِنْ بَعْدَ أَنْ

قوله: **(والنصب)** أي فيها قراءتان سبعيتان. واعلم أن إن وقعت بعد ما يفيد اليقين، كانت مخففة من الثقيلة لا غير، نحو علم أنه سيكون، وإن وقعت بعد ما يفيد الظن، كانت ناصبة لا غير، نحو ﴿وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه﴾، وإن وقعت بعد ما يحتملها كان فيه الأمران كهذه الآية، فالرفع على تأويل حسب بمعنى علم، والنصب على تأويلها بالظن. إن قلت: مقتضى هذه القاعدة أن كل ما يفيد الأمرين يجوز فيه الرفع والنصب، مع أنه لم يسمع في أحسب الناس أن يتركوا الرفع ولا النصب في أفلا يرون أن لا يرجع. أجيب بأن القراءة سنّة متّبعة، لأنه ليس كلما جاز نحواً جاز قراءة، وجملة ﴿**أَنْ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ**﴾ في محل نصب سدت مسد مفعولي حسب على كلا القراءتين عند جمهور البصريين، وقيل مسد مفعولها الثاني محذوف تقديره حاصلة. قوله: ﴿**فِتْنَةٌ**﴾ بالرفع فاعل تكون لأنها بمعنى توجد فهي تامة.

قوله: ﴿**فَعَمُوا وَصَمُّوا**﴾ معطوف على حبسوا، وهذا إشارة إلى ما وقع منهم في المرة الأولى من الفساد والقتل في زمن شعياء وأرمياء، حتى قتلوا شعياء وحبسوا أرمياء، فسلط الله عليهم بختنصر، ففرق

ثانياً ﴿كَثِيرٌ مِّنْهُمْ﴾ بدل من الضمير ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ ﴿٧١﴾ فيجازيهم به ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ سبق مثله ﴿وَقَالَ﴾ لهم ﴿الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾ فإني عبد ولست بإله ﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ﴾ في العبادة غيره ﴿فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ﴾ منعه أن يدخلها ﴿وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ﴾ زائدة ﴿أَنصَارٍ﴾ ﴿٧٢﴾ يمنعونهم من عذاب الله ﴿لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ﴾ آلهة ﴿ثَلَاثَةٍ﴾ أي أحدها والآخران عيسى وأمه وهم فرقة من النصارى ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ﴾ من التثليث ويوحدوا ﴿لَيَمَسَّنَّ

جمعهم وأسرهم، وخرب بيت المقدس، وصاروا في غاية الذل والهوان، فلما تابوا توجه ملك من ملوك فارس، فعمر بيت المقدس، وقتل بختنصر، وردهم إلى وطنهم، فكثروا وكانوا أحسن ما كانوا عليه، فمكثوا ثلاثين سنة ثم عموا وصموا ثانياً وقتلوا زكريا ويحيى، وإلى هذه القصة الإشارة بقوله تعالى في سورة الإسراء ﴿لتفسدن في الأرض مرتين﴾ الآيات، وهذا هو الصحيح، فالمراد ببني إسرائيل من كان في زمن شعياء وأرمياء، لا من كان في زمن موسى وهارون قوله: (**بدل من الضمير**) أي قوله: ﴿**وَعَمُوا وَصَمُّوا**﴾ والضمير هو الفاعل، وهذا هو هروب من تخريج الآية على لغة أكلوني البراغيث فإنها ضعيفة، ودفع بقوله ﴿**كَثِيرٌ مِنْهُمْ**﴾ ما يتوهم أنهم عموا وصموا جميعهم وعطف قوله ﴿**ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا**﴾ بثم المفيدة للتراخي، لأن بين التوبة والعمى ثلاثين سنة.

قوله: ﴿**لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا**﴾ وهم اليعقوبية من النصارى، وهو شروع في ذكر قبائح النصارى بعد ذكر قبائح اليهود. قوله: ﴿**إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ**﴾ معنى ذلك عندهم أن الله حل في ذات عيسى واتحد بها. قوله: ﴿**وَقَالَ الْمَسِيحُ**﴾ الجملة حالية من الواو في قالوا، وهو رد لما ادعوه من ألوهيته، أي فلا عذر لهم في تلك الدعوة، فإن تبرأ منها وبين لهم طريق الهدى.

قوله: ﴿**إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ**﴾ كالعلة لقوله: ﴿**اعْبُدُوا اللَّهَ**﴾. قوله: (**منعه أن يدخلها**) أي فالمراد بالتحريم مطلق المنع. قوله: ﴿**وَمَا لِلظَّالِمِينَ**﴾ أي المشركين. قوله: ﴿**أَنْصَارٍ**﴾ أي أعوان يحفظونهم من غضب الله. قوله: (**والآخران عيسى الخ**) هذا وجه في التثليث عندهم، وهناك وجه آخر عندهم وهو أن الإله مركب من ثلاثة: الأب والابن وروح القدس، فمرادهم بالأب ذات الله، وبالابن صفة الكلام، وبروح القدس الحياة، فاختلطت صفة الكلام بجسد عيسى كاختلاط الماء باللبن، وزعموا أن الأب إله، والابن إله، والروح إله، والكل إله واحد. واعلم أن النصارى في اعتقاد التثليث على أربع فرق، واحدة تقول: كل من ذات الله تعالى وذات عيسى وذات مريم إله، وأخرى تقول: الإله مجموع صفات ثلاث: الوجود والعلم والحياة وعيسى ابنه، وأخرى تقول: الإله مجموع ذات وصفتين، ذات الله ويسمونها الأب وصفة كلامه ويسمونها الابن وصفة الحياة ويسمونها روح القدس، والكل إله واحد، وأخرى تقول: الإله مجموع ذاتين وصفة الله وذات عيسى والحياة الحالة في جسد عيسى. قوله: (**وهم فرقة من النصارى**) أي وهم النسطورية والمرقوسية.

قوله: ﴿**وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ**﴾ الواو إما حالية أو استئنافية، وما نافية، ومن زائدة لاستغراق النفي، وإله مبتدأ والخبر محذوف تقديره كائن في الوجود، وإلا ملغاة، وإله بدل من الضمير في الخبر نظير لا إله إلا الله، والمقصود من ذلك التشنيع والرد عليهم في دعواهم التثليث، لأن حقيقة الإله هو المستغني

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ أي ثبتوا على الكفر ﴿مِنۡهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٧٣﴾ مؤلم وهو النار ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسۡتَغۡفِرُونَهُۥ﴾ مما قالوه استفهام توبيخ ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ﴾ لمن تاب ﴿رَّحِيمٌ ۝٧٤﴾ به ﴿مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدۡ خَلَتۡ﴾ مضت ﴿مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾ فهو يمضي مثلهم وليس بإله كما زعموا وإلا لما مضى ﴿وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ﴾ مبالغة في الصدق ﴿كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَ﴾ كغيرهما من الحيوانات ومن كان كذلك لا يكون إلهاً لتركبه وضعفه وما ينشأ منه من البول والغائط ﴿ٱنظُرۡ﴾ متعجباً ﴿كَيۡفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ﴾ على وحدانيتنا ﴿ثُمَّ ٱنظُرۡ أَنَّىٰ﴾ كيف ﴿يُؤۡفَكُونَ ۝٧٥﴾ يصرفون عن الحق مع قيام البرهان ﴿قُلۡ أَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي غيره ﴿مَا لَا يَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗاۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لأقوالكم ﴿ٱلۡعَلِيمُ ۝٧٦﴾ بأحوالكم والاستفهام للإنكار ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ اليهود والنصارى ﴿لَا تَغۡلُواْ﴾ تجاوزوا الحد ﴿فِي دِينِكُمۡ﴾ غلواً ﴿غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ﴾ بأن تضعوا عيسى أو ترفعوه

عما سواه، المفتقر إليه كل ما عداه، وليس شيء من ذلك وصفاً لعيسى ولا لأمه، ولا لأحد أبداً سواه سبحانه وتعالى. قوله: ﴿**لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا**﴾ جواب لقسم محذوف، وجواب الشرط محذوف لدلالة هذا عليه، والتقدير والله إن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا الخ، نظير قوله تعالى: ﴿وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين﴾. قوله: (**أي ثبتوا على الكفر**) أشار بذلك إلى أن من في ﴿**مِنْهُمْ**﴾ للتبعيض لأن كثيراً منهم تابوا. قوله: (**توبيخ**) أي وإنكار وهذا استدعاء لهم إلى التوبة. قوله: ﴿**وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾ الجملة حالية كالتعليل لما قبلها.

قوله: ﴿**مَا المَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ**﴾ الخ، هذا استئناف مسوق لبيان إقامة الحجة عليهم وبطلان دعاويهم الباطلة، وما نافية والمسيح مبتدأ، وإلا أداة حصر ورسول خبره، وهو من حصر المبتدأ في الخبر، أي أن عيسى محصور في وصف الرسالة وليس بإله، فالمقصود من ذلك نفي الألوهية عنه. قوله: ﴿**قَدْ خَلَتْ**﴾ أي ذهبت وفنيت. قوله: ﴿**صِدِّيقَةٌ**﴾ أي ملازمة للصدق، وهذان الوصفان لعيسى وأمه، مختصان بها شرفهما الله بهما، ثم وصفهما بعد ذلك بوصف البشر الذين لا يميزهم عن الحيوانات الغير العاقلة فضلاً عن العاقلة. قوله: ﴿**كَيْفَ نُبَيِّنُ**﴾ كيف معمول لنبين لا لأنظر، لأن اسم الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله لأن له الصدارة. قوله: ﴿**ثُمَّ انْظُرْ**﴾ هذا ترق في التعجب، ولذا أتى بثم المفيدة للتراخي. قوله: (**مع قيام البرهان**) أي الدليل الواضح على باهر قدرتنا وكمال صفاتنا.

قوله: ﴿**قُلْ أَتَعْبُدُونَ**﴾ هذا تبكيت لهم وإلزامهم الحجة. قوله: ﴿**مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا**﴾ أي وهو عيسى، والمعنى لا يملك بذاته شيئاً أصلاً لا ضراً ولا نفعاً، وأما إجراء النفع أو الضر على يديه فبخلق الله لذلك ولو شاء لم يخلقه. قوله: ﴿**وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**﴾ أي فهو أحق بالعبادة. قوله: (**للإنكار**) أي مع التوبيخ.

قوله: ﴿**قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ**﴾ شروع في ذكر قبائحهم جميعاً، بعد أن ذكر كل فريق منهم على حدة. قوله: (**غلوا**) قدره المفسر إشارة إلى أن غير الحق صفة لمصدر محذوف مفعول مطلق لقوله ﴿**تَغْلُوا**﴾، ويصح أن يكون غير الحق حالاً من فاعل تغلوا. قوله: ﴿**غَيْرَ الْحَقِّ**﴾ أي وأما الغلوا في الحق كالتشديد

فوق حقه ﴿وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ﴾ بغلوهم وهم أسلافهم ﴿وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا﴾ من الناس ﴿وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ ﴿٧٧﴾ عن طريق الحق والسواء في الأصل الوسط ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ﴾ بأن دعا عليهم فمسخوا قردة وهم أصحاب أيلة ﴿وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾ بأن دعا عليهم فمسخوا خنازير وهم أصحاب المائدة ﴿ذَٰلِكَ﴾ اللعن ﴿بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ﴾ ﴿٧٨﴾ ﴿كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ﴾ أي لا ينهى بعضهم بعضاً ﴿عَن﴾ معاودة ﴿مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ ﴿٧٩﴾ ـه فعلهم هذا ﴿تَرَىٰ﴾ يا محمد ﴿كَثِيرًا

على النفس، بأن يصوم النهار ويقوم الليل مثلاً فليس بحرام ولا ضلال. قوله: (**بأن تضعوا عيسى**) أي تنقصوه عن مرتبته، كقول اليهود إنه ابن زنا. وقوله: (**أو ترفعوه فوق حقه**) كقول النصارى إنه ابن الله، أو هو الله، فكل من الفريقين قد غلا في دينه غير الحق. قوله: ﴿**أَهْوَاءَ قَوْمٍ**﴾ الأهواء جمع هوى وهو ما تدعو شهوة النفس إليه، وما ذكر في القرآن إلا على وجه الذم، لأنه لا يقال فلان يهوى الخير، وإنما يقال يحبه ويريده. قوله: ﴿**مِنْ قَبْلُ**﴾ أي من قبل بعثة النبي ﷺ فالخطاب لمن كان في زمنه. قوله: (**بغلوهم**) الباء سببية أي بسبب غلوهم في عيسى حيث رفعوه جداً ووضعوه جداً. قوله: (**وهم أسلافهم**) جمع سلف وهو المتقدم عليهم في الزمن وهم اليهود والنصارى.

قوله: ﴿**وَأَضَلُّوا كَثِيراً**﴾ أي بهذا الاعتقاد الفاسد. قوله: ﴿**عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ**﴾ السواء في الأصل الوسط، والسبيل الطريق، والمراد الدين الحق، فشبه التمسك بالدين الحق بالمشي في وسط الطريق بجامع أن كلاً سالم من العطب. قوله: (**عن طريق الحق**) أي وهو دين الإسلام. إن قلت: إنه قد تقدم ضلالهم في قوله: ﴿**قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ**﴾ أجيب: بأنه يحمل الضلال الأول على الكفر بموسى وعيسى، والضلال الثاني على الكفر بمحمد.

قوله: ﴿**لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا**﴾ أي اليهود والنصارى، فلعن اليهود على لسان داود، ولعن النصارى على لسان عيسى. قوله: ﴿**عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ**﴾ اختلف في المراد باللسان، فقيل هو الجارحة فداود وعيسى صرحا بلعنهم وقيل هو الكتاب، والمعنى أنزل الله لعنتهم في كتاب داود وعيسى وهو الأقرب، وكلام المفسر يفيد الأول. قوله: (**فمسخوا قردة**) أي وخنازير. وقوله: (**وهم أصحاب أيلة**) الذين اعتدوا في السبت واصطادوا السمك فيه، وستأتي قصتهم في سورة الأعراف. قوله: (**فمسخوا خنازير**) أي وقردة، فقد حذف من كل نظير ما أثبته في الآخر، وهذا على المشهور من أن كلاً مسخوا قردة وخنازير، وقيل أصحاب السبت مسخوا قردة، وأصحاب المائدة مسخوا خنازير وهو ظاهر المفسر. قوله: (**وهم أصحاب المائدة**) أي وسيأتي أنهم ثلثمائة وثلاثون رجلاً. قوله: ﴿**بِمَا عَصَوْا**﴾ الباء سببية وما مصدرية، وقوله: ﴿**وَكَانُوا يَعْتَدُونَ**﴾ معطوف على عصوا، والمعطوف على الصلة صلة، والمعنى ذلك بسبب عصيانهم وكونهم معتدين. قوله: ﴿**عَنْ**﴾ (**معاودة**) ﴿**مُنْكَرٍ**﴾ إنما قدر المفسر هذا المضاف لدفع ما أورد بأن المنكر الذي فعل لا معنى للنهي عنه، لأن رفع الواقع محال، فأجاب بأن المعنى النهي عن المعاودة. قوله: (**فعلهم**) هذا هو المخصوص بالذم.

﴿مِّنۡهُمۡ يَتَوَلَّوۡنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ﴾ من أهل مكة بغضاً لك ﴿لَبِئۡسَ مَا قَدَّمَتۡ لَهُمۡ أَنفُسُهُمۡ﴾ من العمل لمعادهم الموجب لهم ﴿أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَفِي ٱلۡعَذَابِ هُمۡ خَٰلِدُونَ ۝٨٠﴾ ﴿وَلَوۡ كَانُواْ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِيِّ﴾ محمد ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمۡ﴾ أي الكفار ﴿أَوۡلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ۝٨١﴾ خارجون عن الإيمان ﴿لَتَجِدَنَّ﴾ يا محمد ﴿أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةٗ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ﴾ من أهل مكة لتضاعف كفرهم وجهلهم وانهماكهم في اتباع الهوى ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقۡرَبَهُم مَّوَدَّةٗ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ ذَٰلِكَ﴾ أي قرب مودتهم للمؤمنين ﴿بِأَنَّ﴾ بسبب أن ﴿مِنۡهُمۡ قِسِّيسِينَ﴾ علماء ﴿وَرُهۡبَانٗا﴾ عباداً ﴿وَأَنَّهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ۝٨٢﴾ عن

قوله: ﴿تَرَى﴾ أي تبصر وقوله: ﴿كَثِيراً مِنْهُمْ﴾ أي أهل الكتاب. قوله: ﴿يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي يوالونهم ويصادقونهم. قوله: **(بغضاً لك)** مفعول لأجله أي من أجل بغضك. قوله: ﴿لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ﴾ اللام موطئة للقسم وبئس كلمة ذم وما فاعل **قدمت** صلته، والعائد محذوف أي قدمته، وأنفسهم فاعل قدمت، وقوله: ﴿أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ هو المخصوص بالذم، لكن على حذف مضاف تقديره موجب أن سخط الله، والمعنى أن ما قدمت لهم أنفسهم من الضلال تسبب عن سخط الله، وتسبب عن سخط الله الخلود في النار. قوله: **(من العمل)** بيان لما. قوله: ﴿وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ﴾ هذه الجملة معطوفة على جملة أن سخط الله عليهم، فهي من جملة المخصوص بالذم، فالمعنى موجب سخط الله والخلود في النار.

قوله: ﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ﴾ أي وهو القرآن. قوله: ﴿مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ أي أنصاراً يوالونهم وقد فعلوا ذلك، فكانوا يأخذون الهدايا لكفار مكة ويصادقونهم ويتوددون إليهم خوفاً من زوال عزهم ورياستهم. قوله: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً﴾ كلام مستأنف سيق للتقبيح على اليهود والتشنيع عليهم، واللام موطئة لقسم محذوف، وأشد مفعول أول لتجدن، وعداوة منصوب على التمييز، و ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ متعلق بعداوة أو بمحذوف صفة لعداوة، واليهود مفعول ثان هكذا أعربوا، والأقرب أن أشد مفعول ثان مقدم، واليهود مفعول أول مؤخر. قوله: ﴿وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ معطوف على اليهود. وقوله: **(لتضاعف كفرهم)** علة لقوله أشد. وقوله: **(وجهلهم)** أي وتضاعف جهلهم. قوله: **(وانهماكهم في اتباع الهوى)** عطف على تضاعف عطف علة على معلول، والهوى بالقصر ما تهواه النفس وتميل إليه.

قوله: ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ﴾ يقال في إعرابه ما قيل في الذي قبله من أن أقرب مفعول ثان، والذين قالوا مفعول أول، ومودة تمييز، وللذين صفة للمودة أو متعلق به. قوله: ﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى﴾ أي أنصار دين الله. إن قلت: مقتضى الآية مدح النصارى وذم اليهود، مع أن كفر النصارى أشد لأنهم ينازعون في الربوبية واليهود أخف منهم لأنهم ينازعون في النبوة، أجيب بأن مدح النصارى من جهة قرب مودتهم للمسلمين، وذم اليهود من حيث إنهم أشد عداوة للمسلمين، وذلك لا يقتضي شدة الكفر ولا عدمها، وأيضاً الحرص في اليهود دون النصارى، وأيضاً مذهب اليهود أن إيصال الشر والأذى إلى من خالفهم في الدين قربة، ومذهب النصارى أنه حرام. قوله: ﴿ذَلِكَ﴾ اسم الإشارة مبتدأ، و ﴿بِأَنَّ مِنْهُمْ﴾ خبر، و ﴿قِسِّيسِينَ﴾ اسم إن، ومنهم متعلق بمحذوف خبر إن ﴿وَرُهْبَاناً﴾ معطوف على قسيسين

اتباع الحق كما يستكبر اليهود وأهل مكة نزلت في وفد النجاشي القادمين عليهم من الحبشة قرأ ﷺ سورة

وقوله: ﴿وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ معطوف على قسيسين. قوله: **(أي قرب مودتهم)** أشار بذلك إلى مرجع اسم الإشارة. قوله: **(بسبب)** أشار بذلك إلى أن الباء سببية.

قوله: ﴿قِسِّيسِينَ﴾ جمع قسيس من يقيس الشيء إذا تتبعه، يقال قس الأثر وقصه فهو أعجمي معرب، ويقال قس، وقس بفتح القاف وكسرها وهو عالم النصارى. قوله: ﴿وَرُهْبَاناً﴾ جمع راهب وهو الزاهد التارك للدنيا وشهواتها. قوله: **(نزلت في وفد النجاشي)** أي واسمه أصحمة وقيل صحمة. وحاصل ذلك: أنه سنة خمس من البعثة، اشتد أذى الكفار لرسول الله ﷺ ولمن أسلم، ولم يكن أمر بجهاد، فأمر الصحابة الذين لا غزوة لهم بالخروج إلى أرض الحبشة، وهي الهجرة الأولى، وقال إن بها ملكاً صالحاً لا يظلم عنده أحد، فأخرجوا إليه حتى يجعل الله للمسلمين فرجاً، فخرج إليها أحد عشر رجلاً وأربع نسوة سراً، منهم عثمان بن عفان وزوجته رقية بنت رسول الله ﷺ فخرجوا إلى البحر، وأخذوا سفينة بنصف دينار إلى أرض الحبشة، وذلك في رجب، ثم تتابع المسلمون فكانوا اثنين وثمانين رجلاً سوى النساء والصبيان، فلما كانت وقعة بدر وقتل فيها صناديد الكفار، قال كفار قريش: إن ثأركم بأرض الحبشة فأهدوا إلى النجاشي، وابعثوا إليه رجلين من ذوي رأيكم لعله يعطيكم من عنده لتقتلوهم بمن قتل منكم ببدر، فبعث كفار قريش عمرو بن العاص وعبد الله بن ربيعة، فقالا له: أيها الملك إنه قد خرج فينا رجل سفه عقول قريش وأحلامهم وزعم أنه نبي، وأنه قد بعث إليك برهط من أصحابه ليفسدوا عليك قومك، فأحببنا أن نأتيك ونخبرك خبرهم، وإن قومنا يسألونك أن تردهم إليهم، فقال: حتى نسألهم، فأمر بهم فاحضروا، فلما أتوا باب النجاشي قالوا يستأذن أولياء الله فقال: ائذنوا لهم فمرحباً بأولياء الله، فلما دخلوا عليه سلموا، فقال الرهط من المشركين أيها الملك ألا ترى أنا صدقناك إنهم لم يحيوك بتحيتك التي تحيا بها، فقال لهم الملك: ما منعكم أن تحيوني؟ قالوا: إنا حييناك بتحية أهل الجنة وتحية الملائكة، فقال لهم النجاشي: ما يقول صاحبكم في عيسى وأمه؟ فقال جعفر بن أبي طالب: يقول هو عبد الله ورسوله وكلمة الله وروح منه ألقاها إلى مريم العذراء، ويقول في مريم إنها العذراء البتول، قال فأخذ النجاشي عوداً من الأرض وقال: والله ما زاد صاحبكم على ما قال عيسى قدر هذا العود فكره المشركون قوله وتغيرت وجوههم، فقال: هل تعرفون شيئاً مما أنزل على صاحبكم؟ قالوا نعم، قال: اقرؤوا فقرأ جعفر سورة مريم، وهناك قسيسون ورهبانيون وسائر النصارى، فعرفوا ما قرأ فانحدرت دموعهم مما عرفوا من الحق، فأنزل الله تعالى فيهم ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ﴾ الخ الآيتين، فقال النجاشي لجعفر وأصحابه: اذهبوا فأنتم بأرضي آمنون، وفي بعض الروايات أن عمراً أسلم على يد النجاشي. وبذلك يلغز فيقال صحابي أسلم على يد تابعي، لأن النجاشي لم يجتمع برسول الله ﷺ وعمرو اجتمع به بعد مقدمه من الحبشة، وأقام المسلمون عند النجاشي بخير دار وخير جوار، إلى أن هاجر رسول الله إلى المدينة وعلا أمره وقهر أعداءه، وذلك سنة ست من الهجرة، وكتب رسول الله ﷺ إلى النجاشي على يد عمرو بن أمية الضمري أن يزوجه أم حبيبة بنت أبي سفيان وكانت هاجرت مع زوجها ومات عنها، فأرسل النجاشي جارية يقال لها أبرهة إلى أم حبيبة يخبرها أن رسول الله قد خطبها فسرت بذلك وأعطت الجارية أوضاحاً كانت لها، وأذنت لخالد بن سعيد في نكاحها فأنكحها لرسول الله على

يس فبكوا وأسلموا وقالوا ما أشبه هذا بما كان ينزل على عيسى قال تعالى ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ ﴾ من القرآن ﴿ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا ﴾ صدقنا بنبيك وكتابك ﴿ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾ ﴿٨٣﴾ المقرين بتصديقهما ﴿ وَ ﴾ قالوا في جواب من غيرهم بالإسلام من اليهود ﴿ مَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ ﴾ القرآن أي لا مانع لنا من الإيمان مع وجود مقتضيه ﴿ وَنَطْمَعُ ﴾ عطف على نؤمن ﴿ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ ﴾ ﴿٨٤﴾ المؤمنين الجنة قال تعالى ﴿ فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ

صداق مبلغه أربعمائة دينار، وكان الخاطب لرسول الله النجاشي، فأرسل إليها بجميع الصداق على يد جاريته أبرهة، فلما جاءتها بالدنانير وهبتها منها خمسين ديناراً فلم تأخذها وقالت إن الملك أمرني أن لا آخذ منك شيئاً، وقالت أنا صاحبة ذهب الملك وثيابه، وقد صدَّقت بمحمد وآمنت به، وحاجتي إليك مني أن تقرئيه مني السلام، قالت: نعم، وقد أمر الملك نساءه أن يبعثن إليك بما عندهن من دهن وعود، وكان رسول الله ﷺ يحاصر خيبر، قالت أم حبيبة: فخرجنا إلى المدينة ورسول الله بخيبر، فخرج من قدم معي وأقمت بالمدينة حتى قدم رسول الله فدخلت عليه، فكان يسألني عن النجاشي فقرأت عليه السلام من أبرهة جارية الملك، فرد رسول الله عليها السلام، وأنزل الله ﴿عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة﴾ يعني أبا سفيان وذلك بتزوج رسول الله أم حبيبة ولما بلغ أبا سفيان تزوج رسول الله بأم حبيبة قال: ذلك الفحل لا يجدع أنفه، وبعث النجاشي بعد خروج جعفر وأصحابه إلى رسول الله ابنه أزهى في ستين من أصحابه وكتب إليه: يا رسول الله، إني أشهد أنك رسول الله صادقاً مصدقاً، وقد بايعتك وبايعت ابن عمك جعفراً وأسلمت لله رب العالمين، وقد بعثت إليك ابني أزهى، وإن شئت أن آتيك بنفسي فعلت، والسلام عليك يا رسول الله، فركبوا في سفينة في أثر جعفر. حتى إذا كانوا في وسط البحر غرقوا، ووافى جعفر وأصحابه رسول الله وهو بخيبر، ووافى جعفر في سبعين رجلاً، عليهم الثياب الصوف، منهم اثنان وستون رجلاً من الحبشة وثمانية من الشام، فقرأ عليهم رسول الله سورة يس إلى آخرها، فبكى القوم حين سمعوا القرآن وآمنوا وقالوا: ما أشبه هذا بما كان ينزل على عيسى عليه السلام، فأنزل الله هذه الآية فيهم، ولذلك قال قتادة: نزلت في ناس من أهل الكتاب كانوا على شريعة من الحق مما جاء بها عيسى عليه السلام، فلما بعث ﷺ آمنوا به وصدقوه فأثنى الله عليهم.

قوله: ﴿**وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ**﴾ صنيع المفسر يقتضي أنه مستأنف حيث قال: قال تعالى ولذلك جعله بعضهم أول الربع، ويصح أن يكون عطفاً على لا يستكبرون. قوله: ﴿**تَفِيضُ**﴾ أي تمتلىء بالدمع حتى يسيل. قوله: ﴿**مِنَ الدَّمْعِ**﴾ من ابتدائية. قوله: ﴿**مِمَّا عَرَفُوا**﴾ من تعليلية و ﴿**مِنَ الْحَقِّ**﴾ بيانية. قوله: ﴿**يَقُولُونَ**﴾ استئناف مبني على سؤال، كأنه قيل فماذا يقولون. قوله: ﴿**وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ**﴾ جملة مستأنفة جواباً للسؤال الوارد عليهم. قوله: ﴿**وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ**﴾ معطوف على لفظ الجلالة، أي لا مانع لنا من الإيمان بالله وبما جاءنا من الحق، ويراد بالحق القرآن. قوله: (**عطف على نؤمن**) أي مسلطة عليه لا على سبيل الاستفهام الإنكاري، والمعنى أي شيء ثبت لنا في كوننا لا نؤمن بالله ولا بالقرآن، ولا نطمع في أن يدخلنا ربنا الخ، مع وجود مقتضى ما ذكر. قوله: ﴿**بِمَا قَالُوا**﴾ أي بسبب

﴿ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿٨٥﴾ بالإيمان ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾ ﴿٨٦﴾ ونزل لما هم قوم من الصحابة أن يلازم الصوم والقيام ولا يقربوا النساء والطيب ولا يأكلوا اللحم ولا يناموا على الفراش ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ﴾ تتجاوزوا أمر الله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ ﴿٨٧﴾ ﴿وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا﴾ مفعول والجار والمجرور قبله حال متعلق به ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ﴾ ﴿٨٨﴾ ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ﴾ الكائن ﴿فِيٓ

قولهم، ورتب الثواب على القول، لأنه قد سبق بما يدل على إخلاصهم فيه.

قوله: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ لما ذكر الله تعالى الوعد لمؤمني النصارى، وذكر الوعيد لمن بقي منهم على الكفر جمعاً بين الترغيب والترهيب. قوله: (ونزل لما هم قوم) أي وهم عشرة اجتمعوا في بيت عثمان بن مظعون الجمحي، وسبب اجتماعهم أن رسول الله ﷺ، وعظ الناس يوماً حتى أبكاهم، فرقت أفئدتهم وعزموا على الترهب، وهم: أبو بكر وعلي بن أبي طالب وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عمر وأبو ذر الغفاري وسالم مولى أبي حذيفة والمقداد بن الأسود وسلمان الفارسي ومعقل بن مقرن وعثمان بن مظعون، فتشاوروا واتفقوا على أنهم يلبسون المسوح، ويجبون مذاكيرهم، ويصومون الدهر، ويقومون الليل، ولا ينامون على الفراش، ولا يأكلون اللحم والودك ولا يقربون النساء ولا الطيب، وأن يسيحوا في الأرض، فبلغ ذلك النبي ﷺ فأتى دار عثمان بن مظعون فلم يصادفه، فقال لامرأته: أحق ما بلغني عن زوجك وأصحابه؟ فكرهت أن تكذب، وكرهت أن تفشي سر زوجها، فقالت: يا رسول الله إن كان قد أخبرك عثمان فقد صدق، فانصرف رسول الله ﷺ فلما جاء عثمان أخبرته بذلك فأتى هو وأصحابه العشرة إلى رسول الله ﷺ فقال لهم: ألم أخبر أنكم اتفقتم على كذا وكذا؟ فقالوا: يا رسول الله وما أردنا إلا الخير، فقال رسول الله: «إني لم أؤمر بذلك ثم قال ﷺ: إن لأنفسكم عليكم حقاً، فصوموا وافطروا، وقوموا وناموا، فإني أقوم وأنام، وأصوم وأفطر، وآكل اللحم والدسم، وآتي النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني، ثم جمع الناس وخطبهم فقال: ما بال أقوام حرموا النساء والطعام والطيب وشهوات الدنيا، وإني لست آمركم أن تكونوا قسيسين ورهباناً، فإنه ليس في ديني ترك اللحم والنساء ولا اتخاذ الصوامع، وإن سياحة أمتي ورهبانيتهم الجهاد، واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، وحجوا واعتمروا، وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة، وصوموا رمضان، واستقيموا يستقم لكم، فإنما هلك من كان قبلكم بالتشديد، شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم، فتلك بقاياهم في الديارات والصوامع»، فنزلت تلك الآية.

قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ هذا هو فاعل نزل. قوله: ﴿لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾ أي لا تجعلوها حراماً على أنفسكم، فمن حرم حلالاً فلا يحرم عليه إلا الزوجة، لأن الله جعل بيده تحريمها وتحليلها دون ما سواها، واعتقاد التحريم من غير إنشاء منه كفر. قوله: (تتجاوزوا أمر الله) أي ونهيه فلا تفعلوا ما نهى الله عنه، ولا تفرطوا فيما أمر به. قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ أي المتجاوزين الحد، ومن جملة ذلك قطع المذاكير والشهوة والإسراف في المطاعم والمشارب قال تعالى: ﴿وكلوا واشربوا ولا تسرفوا﴾. قوله: (حال) أي من حلالاً لأنه في الأصل نعت نكرة قدم عليها وطيباً صفته.

قوله: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ أي امتثلوا أوامره واجتنبوا نواهيه، فتقوى الله لا تتوقف على الرهبانية كما كان

﴿أَيْمَٰنِكُمْ﴾ هو ما يسبق اليه اللسان من غير قصد الحلف كقول الإنسان لا والله وبلى والله ﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ﴾ بالتخفيف والتشديد وفي قراءة عاقدتم ﴿ٱلْأَيْمَٰنَ﴾ عليه بأن حلفتم عن قصد ﴿فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ﴾ أي اليمين إذا حنثتم فيه ﴿إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ﴾ لكل مسكين مد ﴿مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ﴾ منه ﴿أَهْلِيكُمْ﴾ أي أقصده وأغلبه لا أعلاه ولا أدناه ﴿أَوْ كِسْوَتُهُمْ﴾ بما يسمى كسوة كقميص وعمامة وإزار ولا يكفي دفع ما ذكر إلى مسكين واحد وعليه الشافعي ﴿أَوْ تَحْرِيرُ﴾ عتق

في الأمم السابقة. قوله: ﴿**لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ**﴾ هذا مرتب على قوله: ﴿**لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ**﴾ لأن بعض الصحابة حلف على الترهب لظن أنه قربة، فلما نزلت الآية شكوا لرسول الله ﷺ من اليمين، فنزلت هذه الآية. قوله: (**هو ما يسبق إليه اللسان من غير قصد الحلف**) أي بل بقصد التبرر أو لا قصد له وهذا مذهب الشافعي، وأما عند مالك وأبي حنيفة فاللغو أن يحلف على ظنه فيتبين خلافه. وهذا في غير الطلاق، وأما هو فلا ينفع فيه اللغو واللغو عند مالك وأبي حنيفة تكفر إن تعلقت بمستقبل فقط، لا إن تعلقت بحال أو ماض. والحاصل أنه إن قصد باليمين التبرر فهو لغو عند الشافعي لا عند مالك وأبي حنيفة، وأما إن سبق لسانه باليمين من غير قصد أصلاً فهو لغو اتفاقاً، والحلف على ظن شيء فتبين خلافة اتفاقاً أيضاً. قوله: (**وفي قراءة عاقدتم**) والثلاث سبعيات، فالتخفيف ظاهر، والتشديد للمبالغة، وما مصدرية أي بتعقيدكم الأيمان.

قوله: ﴿**فَكَفَّارَتُهُ**﴾ مبتدأ، و ﴿**إِطْعَامُ**﴾ خبره وهو مضاف لمفعوله الأول، والمفعول الثاني قوله: ﴿**مِنْ أَوْسَطِ**﴾ والفاعل محذوف قياساً يعود على الحالف تقديره إطعامه عشرة مساكين. قوله: (**أي اليمين**) إن قلت: إن اليمين مؤنثة فلم عاد الضمير عليها مذكراً؟ أجيب: بأنها تذكر بمعنى الحلف. قوله: (**إذا حنثتم فيه**) أي وهو الحلف بالله أو بصفة من صفاته القديمة، وأما الحلف بغير ذلك فلا حنث فيه، ثم هو إن كان مما يعظم شرعاً كالكعبة والنبي فقيل مكروه وقيل حرام، وإلا فهو ممنوع لما في الحديث: «من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت». قوله: ﴿**عَشْرَةِ مَسَاكِينَ**﴾ المراد ما يشمل الفقراء، والفقير هو من لا يملك قوت عامه، والمسكين من التصقت يده بالتراب عند مالك. قوله: (**لكل مسكين مد**) أي وهو رطل وثلث بالبغدادي، وبالمصري رطل وأوقيتان وربع أوقية.

قوله: ﴿**مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ**﴾ قدر المفسر المفعول الثاني بقوله منه والأوضح أن يقدره متصلاً به وأهليكم مفعوله الأول. قوله: (**أغلبه**) هذا تفسير لأوسط، فإن كان القمح غالب اقتياتهم مثلاً أخرج منه. ولو كان هو يفتات ذرة مثلاً. وهل المراد بالغالب وقت الإخراج وهو مذهب مالك أو في السنة وهو مذهب الشافعي. وقوله: (**لا أعلاه ولا أدناه**) أي لا تفهم أن المراد بالأوسط ما قابل الأعلى كالقمح. والأدنى كالدخن. بل المراد به الغالب في الاقتيات. كان هو في نفسه أعلى أو أدنى أو أوسط. ويكفي بدل الإمداد عند مالك، لكل واحد رطلان من خبز، أو إطعام العشرة غداء وعشاء. أو غداءين أو عشاءين. قوله: (**بما يسمى كسوة**) أي وإن لم يكن من غالب كسوة الناس لأن قيد الأوسطية مخصوص بالإطعام. واشترط مالك كون الكسوة تستر البدن للرجل ثوب، وللمرأة درع وخمار. قوله: (**وعمامة وإزار**) الواو

﴿رَقَبَةٍ﴾ أي مؤمنة كما في كفارة القتل والظهار حملاً للمطلق على المقيد ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ﴾ واحداً مما ذكر ﴿فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ﴾ كفارته وظاهره أنه لا يشترط التتابع وعليه الشافعي ﴿ذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿كَفَّٰرَةُ أَيْمَٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ﴾ وحنثتم ﴿وَاحْفَظُوٓا۟ أَيْمَٰنَكُمْ﴾ أن تنكثوها ما لم تكن على فعل بر أو إصلاح بين الناس كما في سورة البقرة ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي مثل ما يبين لكم ما ذكر ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ﴿٨٩﴾ ـه على ذلك ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ﴾ المسكر الذي يخامر العقل ﴿وَٱلْمَيْسِرُ﴾ القمار ﴿وَٱلْأَنصَابُ﴾ الأصنام ﴿وَٱلْأَزْلَٰمُ﴾ قداح الاستقسام ﴿رِجْسٌ﴾ خبيث مستقذر

بمعنى أو، ويكفي المنديل عند الشافعي. قوله: **(وعليه الشافعي)** أي ومالك. قوله: **(كما في كفارة القتل والظهار)** أي كما ثبت عند الفقهاء في كفارة القتل بالتصريح بمؤمنة، والظهار بحمل المطلق على المقيد، وهذا مذهب مالك والشافعي، وعند أبي حنيفة لا يحمل المطلق على المقيد إلا إذا اتحد السبب، وأما هنا فقد اختلف السبب فلا حمل فيكفي في اليمين والظهار عنده عتق الكافرة.

قوله: **﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ﴾** أي بأن لم يكن عنده ما يباع على المفلس بأن لم يكن عنده أزيد من قوت يومه، وهو مذهب مالك والشافعي في القديم، وقال في الجديد ينتقل للصيام إن لم يكن عنده ما يكفيه العمر الغالب. قوله: **﴿فَصِيَامُ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ﴾** أي فالكفارة مخير فيها ابتداء في الثلاثة مرتب انتهاء في الصيام، وأفضلها في التخيير عند مالك الإطعام ثم الكسوة ثم العتق، وعند الشافعي العتق ثم الكسوة ثم الإطعام. قوله: **(كفارته)** أشار بذلك إلى أن صيام مبتدأ خبره محذوف، والأوضح أن يقدر المحذوف هو المبتدأ. قوله: **(وعليه الشافعي)** أي ومالك خلافاً لأبي حنيفة في اشتراطه التتابع. قوله: **(ما لم يكن على فعل بر)** أي فالحنث أفضل. قوله: **(كما في سورة البقرة)** أي في قوله تعالى: ﴿ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم أن تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس﴾ فمن حلف على شيء، وكان فعله خيراً من تركه، فالأفضل حنثه كما كان رسول الله ﷺ يفعل ذلك. قوله: **(ما ذكر)** أي وهو حكم اليمين. قوله: **(على ذلك)** أي البيان فإنه من أعظم النعم.

قوله: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾** سبب نزولها دعاء عمر رضي الله عنه بقوله: اللهم بيّن لنا في الخمر بياناً شافياً، وذلك أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿يسألونك عن الخمر والميسر﴾ الآية أحضر رسول الله عمر وقرأها عليه فقال: اللهم بيّن لنا في الخمر بياناً شافياً ثم نزلت ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى﴾ فأحضره رسول الله وقرأها عليه فقال: اللهم بيّن لنا في الخمر بياناً شافياً فنزلت هذه الآية، فأحضره وقرأها عليه فقال: انتهينا يا رب، وذكرت عقب ما قبلها، لأنه لما نهي فيما قبلها عن تحريم الطيبات مما أحلّ الله، وكانت الخمر والميسر مما يستطاب عندهم، ربما يتوهم أنهما داخلان في جملة الطيبات، فأفاد أنهما ليسا كذلك. قوله: **(الذي يخامر العقل)** أي يستره ويغطيه ولو كان متخذاً من غير العنب. قوله: **(القمار)** من المقامرة وهي المغالبة، لأن كلاً يريد المغالبة لصاحبه، والمراد بالقمار اللعب بالملاهي، كالطاب والطولة والمنقلة، فيحرم اللعب بذلك إذا كان بمال إجماعاً، وبغيره ففيها الخلاف بين العلماء بالكراهة والحرمة ما لم يضيع بسببها الفرائض، وإلا فحرام إجماعاً، وسمي ميسراً، لأن فيه أخذ المال بيسر.

﴿ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ﴾ الذي يزينه ﴿ فَٱجْتَنِبُوهُ ﴾ أي الرجس المعبر به عن هذه الأشياء أن تفعلوه ﴿ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ ﴿٩٠﴾ ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ﴾ إذا أتيتموهما لما يحصل فيهما من الشر والفتن ﴿ وَيَصُدَّكُمْ ﴾ بالاشتغال بهما ﴿ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ﴾ خصها بالذكر تعظيماً لها ﴿ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ ﴿٩١﴾ عن إتيانهما أي انتهوا ﴿ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُوا۟ ﴾ المعاصي ﴿ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ ﴾ عن الطاعة ﴿ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾ ﴿٩٢﴾ الإبلاغ البين وجزاؤكم علينا ﴿ لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟ ﴾ أكلوا من الخمر والميسر قبل التحريم ﴿ إِذَا مَا ٱتَّقَوا۟ ﴾ المحرمات ﴿ وَّءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟

قوله: ﴿وَالأَنْصَابُ﴾ جمع نصب، سميت بذلك لأنها تنصب وترفع للعبادة. قوله: (**قداح الاستقسام**) تقدم أنها سبعة. قوله: ﴿رِجْسٌ﴾ خبر عن كل واحد مما تقدم من الخمر وما بعده، وحيث قرن الخمر والميسر بالأنصاب والأزلام، فهو دليل على أنهما من الكبائر، وقوله: (**خبيث مستقذر**) تفسير للرجس، وأما الرجز فهو العذاب، وأما الركس فهو العذرة والشيء النتن. قوله: (**الذي يزينه**) أي يأمر به ويحسنه، وليس المراد من عمل يده. قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ الترجي في كلام الله تعالى للتحقيق. قوله: ﴿فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسَرِ﴾ إنما أعادهما ثانياً لأنها اللذان كانا في المسلمين، بخلاف الأنصاب والأزلام، وذكرهما أولاً لمزيد التنفير عنهما، وأكد التحريم بأمور، وإنما جمعهما مع الأنصاب والأزلام، وكونهما رجساً من عمل الشيطان، وكون اجتنابهما موجباً للفلاح، وكونهما يصدان عن ذكر الله وعن الصلاة، ويوقعان في العداوة والبغضاء والاستفهام التهديدي. قوله: (**خصها بالذكر**) أي الصلاة مع دخولها في الذكر. قوله: (**أي انتهوا**) أشار بذلك إلى أن الاستفهام بمعنى الأمر، وهو استفهام تهديدي، وهو أبلغ من الأمر صريحاً كأنه قيل: قد بينت لكم ما في هذه الأمور من القبائح، فهل أنتم منتهون عنها، أم أنتم مقيمون عليها فلكم الوعيد.

قوله: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ﴾ معطوف على معنى الاستفهام، أي انتهوا وأطيعوا. قوله: ﴿وَاحْذَرُوا﴾ (**المعاصي**) أي فإنها تجر إلى الكفر. قوله: ﴿إِنَّما عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ أي وقد فعله، فلم ينتقل رسول الله ﷺ للرفيق الأعلى، حتى بلغ ما أمر بتبليغه، ففي الحديث: «تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها، ونهارها كليلها، لا يضل عنها إلا هالك». قوله: (**وجزاؤكم علينا**) أشار بذلك إلى أن جواب الشرط محذوف.

قوله: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا﴾ سبب نزولها أنه لما نزل تحريم الخمر والميسر، قال أبو بكر وبعض الصحابة: يا رسول الله كيف بإخواننا الذين ماتوا وقد شربوا الخمر وفعلوا القمار فنزلت. قوله: (**أكلوا من الخمر والميسر**) أي تناولوا ذلك شرباً للخمر وانتفاعاً بمال القمار عاشوا أو ماتوا. قوله: ﴿إِذَا مَا اتَّقَوْا﴾ ظرف لقوله: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ﴾ والحاصل أنه كرر سبحانه وتعالى قوله اتقوا ثلاثاً، فقيل الأول محمول على مبدأ العمر، والثاني على وسطه، والثالث على آخره، وقيل الأول اتقوا المحرمات خوف الوقوع في الكفر، والثاني الشبهات خوف الوقوع في المحرمات، والثالث بعض المباحات

﴿ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ﴾ ثبتوا على التقوى والإيمان ﴿ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحْسَنُواْ﴾ العمل ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٣﴾﴾ بمعنى أنه يثيبهم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَيَبْلُوَنَّكُمُ﴾ ليختبرنكم ﴿ٱللَّهُ بِشَيْءٍ﴾ يرسله لكم ﴿مِّنَ ٱلصَّيْدِ تَنَالُهُۥٓ﴾ أي الصغار منه ﴿أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ﴾ الكبار منه وكان ذلك بالحديبية وهم محرمون فكانت الوحش والطير تغشاهم في رحالهم ﴿لِيَعْلَمَ ٱللَّهُ﴾ علم ظهور ﴿مَن يَخَافُهُۥ بِٱلْغَيْبِ﴾ حال أي غائباً لم يره فيجتنب الصيد ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ النهي عنه فاصطاده ﴿فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٤﴾﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْتُلُواْ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ﴾ محرمون بحج أو عمرة ﴿وَمَن

خوف الوقوع في الشبهات. وقيل الأول تقوى العبد بينه وبين ربه، والثاني تقوى العبد بينه وبين نفسه، والثالث تقوى العبد بينه وبين الناس، لأن العبد لا يكمل إلا إذا كان طائعاً فيما بينه وبين ربه، مجاهداً فيما بينه وبين نفسه، محافظاً على حقوق العباد. قوله: **(ثبتوا على التقوى)** هذا إشارة للمعنى الأول، وهو أن المراد بالأول التقوى في أول العمر الخ.

قوله: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾** نزلت عام الحديبية حين أحرم رسول الله ﷺ وأصحابه، وكانوا ألفاً وأربعمائة بالعمرة من ذي الحليفة، وأرسل عثمان لأهل مكة يخبرهم بأن رسول الله قاصد زيارة بيت الله، فجلسوا ينتظرون عثمان، فكانت وحوش البر والطيور تأتي إليهم من كل فج، فنزلت الآية. قوله: **(ليختبرنكم)** أي يعاملكم معاملة المختبر. قوله: **﴿مِنَ الصَّيْدِ﴾** أي المصيد وهو وحوش البر والطيور، وهذا الابتلاء نظير ابتلاء قوم موسى بتحريم صيد السمك يوم السبت، ولكن الله حفظ الأمة المحمدية من الوقوع فيما يخالف أمر ربهم، فتم له السعد والعز في الدنيا والآخرة، وأما أمة موسى فتعدوا واصطادوا فمسخوا قردة وخنازير، قوله: **﴿أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ﴾** هو على التوزيع، فالأيدي راجع للصغار والرماح راجع للكبار. قوله: **(بالحديبية)** أي سنة ست، وقوله: **(وهم محرمون)** أي بالعمرة، وأشيع قتل عثمان فبايع النبي أصحابه تحت الشجرة على أنهم يدخلون مكة حرباً ثم حصل صلح بين الكفار وبين رسول الله، فأمرهم رسول الله بالتحلل من العمرة بالحلاق وذبح الهدايا. قوله: **(علم ظهور)** أي للخلق أي ليظهر لهم المطيع من العاصي. قوله: **(حال)** أي من فاعل يخاف، أي حال كون العبد غائباً عن الله أي محجوباً عنه لم يره. قوله: **﴿بَعْدَ ذَلِكَ﴾** **(النهي)** أي المستفاد من قوله: **﴿لَيَبْلُوَنَّكُمْ﴾** مع علته التي هي قوله: **﴿لِيَعْلَمَ اللَّهُ﴾**.

قوله: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ﴾** لما كان قتل الصيد في حال الإحرام مشدداً في النهي عنه، كرر في هذه السورة أربع مرات أولها في قوله: ﴿غير محلي الصيد وأنتم حرم﴾ ثانيها ﴿ليبلونكم الله بشيء من الصيد﴾ الآية. ثالثها ﴿لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم﴾. رابعها ﴿وحرم عليكم صيد البر﴾ الآية. قوله: **﴿لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ﴾** أتى به وإن علم من قوله: **﴿فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾** ليرتب عليه قوله: **﴿مَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّداً﴾** الآية. قوله: **﴿وَأَنْتُمْ حُرُمٌ﴾** الجملة حالية من فاعل تقتلوا، وحرم جمع حرام، يقع على المحرم وإن كان في الحل، وعلى من في الحرام وإن كان حلالاً، فهما سيان في النهي عن قتل الصيد.

قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ﴾ بالتنوين ورفع ما بعده أي فعليه جزاء هو ﴿مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ﴾ أي شبهه في الخلقة وفي قراءة بإضافة جزاء ﴿يَحْكُمُ بِهِۦ﴾ أي بالمثل رجلان ﴿ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ لهما فطنة يميزان بها أشبه الأشياء به وقد حكم ابن عباس وعمر وعلي رضي الله عنهم في النعامة ببدنة، وابن عباس وأبو عبيدة في بقر الوحش وحماره ببقرة، وابن عمر وابن عوف في الظبي بشاة، وحكم بها ابن عباس وعمر وغيرهما في الحمام لأنه يشبهها في العب ﴿هَدْيًا﴾ حال من جزاء ﴿بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ﴾ أي يبلغ به الحرم فيذبح فيه ويتصدق به على مساكينه ولا يجوز أن يذبح حيث كان ونصبه نعتاً لما قبله وإن أضيف لأن إضافته لفظية لا تفيد تعريفاً فإن لم يكن للصيد مثل من النعم كالعصفور والجراد فعليه قيمته ﴿أَوْ﴾ عليه ﴿كَفَّٰرَةٌ﴾ غير الجزاء وإن وجده هي ﴿طَعَامُ مَسَٰكِينَ﴾ من غالب قوت البلد ما يساوي قيمة الجزاء لكل مسكين مد وفي قراءة بإضافة كفارة لما بعده وهي للبيان ﴿أَوْ﴾ عليه ﴿عَدْلُ﴾ مثل ﴿ذَٰلِكَ﴾ الطعام ﴿صِيَامًا﴾ يصومه عن كل مد يوماً وإن وجده

قوله: ﴿وَمَنْ قَتَلَهُ﴾ من اسم شرط جازم، وقتل فعل الشرط، وقوله: ﴿فَجَزاءٌ﴾ مبتدأ خبره محذوف قدره المفسر بقوله: **(فعليه)** وقوله: ﴿مِثْلُ﴾ خبر لمحذوف تقديره هو مثل، والجملة جواب الشرط، والمعنى أن ما قتله المحرم أو من في الحرم، أو له مدخل في قتله، فعليه جزاؤه، وهو ميتة لا يجوز أكله، ويقدم المضطر ميتة غيره عليه. قوله: ﴿مُتَعَمِّداً﴾ سيأتي للمفسر أنه لا مفهوم وله، بل الخطأ والنسيان كذلك، إلا أن الحرمة مختصة بالمتعمد. قوله: ﴿مِنَ النَّعَمِ﴾ أي الإنسية وهي الإبل والبقر والغنم، والجار والمجرور حال من مثل أو صفة له. قوله: **(وفي قراءة)** أي وهي سبعية أيضاً. قوله: **(بإضافة جزاء)** إن قلت على هذه القراءة يقتضي أن الجزاء لمثل المقتول لا للمقتول نفسه مع أنه ليس كذلك. أجيب بأجوبة منها: أن الإضافة بيانية، ومنها أن مثل زائدة، ومنها أن جزاء مصدر مضاف لمفعوله، أي أن يجازى القاتل مثل المقتول حال كون المثل من النعم. قوله: **(رجلان)** قدره إشارة إلى أن ذوا صفة لموصوف محذوف.

قوله: ﴿ذَوَا عَدْلٍ﴾ أي عدل شهادة. قوله: **(يميزان بها)** أي بتلك الفطنة أي العقل الزكي قوله: **(وقد حكم ابن عباس)** أي وحكم الصحابة المذكور بين أصول المماثلة، وأما جزئيات الوقائع، فلا بد لكل واحدة من حكم إلى يوم القيامة، لاختلاف الصيد بالكبر والصغر، ولا بد من كون الجزاء المحكوم به يجزىء ضحية عند مالك. قوله: **(في النعامة)** أي ومثلها الزرافة والفيل، وقوله: **(في الظبي)** أي ومثله الضب. قوله: **(لأنه يشبهها في العب)** أي شرب الماء بلا مص، وهذا التعليل للإمام الشافعي، وقال مالك بوجوب الشاة في خصوص حمام مكة ويمامة تعبداً، فإن لم يكن شاة فصيام عشرة أيام من غير تقويم ولا حكم، وحمام غيرها وسائر الطيور ليس فيه إلا قيمته طعاماً أو عدله صياماً. قوله: **(حال من جزاء)** ويصح أن يكون تمييزاً، وأن يكون مفعولاً مطلقاً والتقدير يهديه هدياً. قوله: **(فعليه)** أي طعاماً لكل مسكين مد، أو يصوم عن كل مد يوماً، فهو مخير بين أمرين فيما لا مثل له، وبين ثلاثة فيما له مثل. قوله: **(وإن وجده)** أي الجزاء وهو مبالغة في الكفارة، أي الكفارة عليه، هذا إذا لم يجد الجزاء، بل وإن وجده. قوله: **(لكل مسكين)** أي من مساكين المحل الذي هو به، وأما الصيام فلا يختص بزمان ولا مكان. قوله:

وجب ذلك عليه ﴿ لِيَذُوقَ وَبَالَ ﴾ ثقل جزاء ﴿ أَمْرِهِۦ ﴾ الذي فعله ﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَ ﴾ من قتل الصيد قبل تحريمه ﴿وَمَنْ عَادَ﴾ إليه ﴿فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ﴾ غالب على أمره ﴿ذُو ٱنتِقَامٍ﴾ ٩٥ ممن عصاه وألحق بقتله متعمداً فيما ذكر الخطأ ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ ﴾ أيها الناس حلالاً كنتم أو محرمين ﴿ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ ﴾ أن تأكلوه وهو ما لا يعيش إلا فيه كالسمك بخلاف ما يعيش فيه وفي البر كالسرطان ﴿وَطَعَامُهُۥ﴾ ما يقذفه ميتاً ﴿مَتَٰعًا﴾ تمتيعاً ﴿لَّكُمْ﴾ تأكلونه ﴿ وَلِلسَّيَّارَةِ ﴾ المسافرين منكم يتزودونه ﴿ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ ﴾ وهو ما يعيش فيه من الوحش المأكول أن تصيدوه ﴿ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا ﴾ فلو صاده حلال فللمحرم أكله كما بينته السنة ﴿وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ ٩٦ ﴿ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ ﴾ المحرم ﴿ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ ﴾ يقوم به أمر دينهم بالحج إليه ودنياهم

(وجب ذلك) أي الجزاء بأقسامه الثلاثة، وقوله: **﴿لِيَذُوقَ﴾** متعلق بقوله: **(وجب)** وكان المناسب أن يأتي بالواو ليفيد أنه كلام مستأنف، وليس جواباً لقوله فإن وجده لفساد ذلك. قوله: **﴿وَبَالَ أَمْرِهِ﴾** أي جزاء ذنبه الصادر منه، ويؤخذ من ذلك أن قتل الصيد متعمداً للمحرم أو من في الحرم كبيرة، ولو أخرج الجزاء فيحتاج لتوبة. قوله: **(ثقل جزاء)** **﴿أَمْرِهِ﴾** أي لأن إخراج المال ثقيل على النفس، والصوم فيه إنهاك للبدن فهو ثقيل أيضاً.

قوله: **﴿عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ﴾** أي لا يؤاخذ به، فلا يرد أن ما قبل التحريم لا ذنب في قتله. قوله: **﴿فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ﴾** أي يعاقبه. قوله: **(فيما ذكر)** أي في لزوم الجزاء، وإن كان لا إثم فيه. قوله: **(الخطأ)** أي والغلط والنسيان. قوله: **(كالسمك)** أي وغيره من دواب البحر، وإن كان على صورة آدمي أو خنزير. قوله: **(كالسرطان)** أي والضفدع والتمساح. قوله: **(وهو ما يعيش فيه)** الأولى ما لا يعيش إلا فيه. قوله: **(من الوحش)** استثنى الشارع الفأرة والحية والعقرب والكلب العقور والحدأة والعادي من السباع. قوله: **(فلو صاده حلال)** أي لنفسه أو لحلال، وأما ذبحه لمحرم من غير دلالة من المحرم عليه، فميتة عند **مالك**، وعند الشافعي ليس بميتة. قوله: **(كما بينته السنة)** أي كما روي عن أبي قتادة الأنصاري قال: كنت جالساً مع رجال أصحاب النبي ﷺ في منزل في طريق مكة، ورسول الله ﷺ أمامنا، والقوم محرمون، وأنا غير محرم، وذلك عام الحديبية، فأبصروا حماراً وحشياً، وأنا مشغول أخصف النعل، فلم يؤذنوني وأحبوا لو أبصرته، فالتفت فأبصرته، فقمت إلى الفرس فأسرجته ثم ركبت، ونسيت السوط والسرع والرمح، فقلت لهم: ناولوهما لي، فقالوا: لا والله لا نعينك عليه، فغضبت ونزلت فأخذتهما ثم ركبت، فشددت على الحمار فعقرته، ثم جئت به وقد مات، فوقعوا فيه يأكلون، ثم إنهم شكوا في أكلهم إياه وهم حرم، فرحنا وخبأت العضد، فأدركنا رسول الله ﷺ فسألته عن ذلك فقال: هل معكم شيء منه؟ فقلت نعم، فناولته العضد فأكل منها وهو محرم، زاد في رواية أن النبي قال لهم إنما هي طعمة أطعمكموها الله. قوله: **﴿الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾** أي لا إلى غيره، فلا أحد غير الله يُلتجأ إليه حتى يتوهم الفرار من وعيد الله.

قوله: **﴿جَعَلَ اللَّهُ الكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَاماً لِلنَّاسِ﴾** يحتمل أن جعل بمعنى صير، فيكون قوله الكعبة مفعول أول، وقياماً مفعول ثاني، ويحتمل أنها بمعنى خلق فيكون قياماً حالاً، والبيت الحرام عطف

بأمن داخله وعدم التعرض له وجبي ثمرات كل شيء إليه، وفي قراءة قيماً بلا ألف مصدر قام غير معل ﴿ وَٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ ﴾ بمعنى الأشهر الحرم ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب قياماً لهم بأمنهم القتال فيها ﴿ وَٱلۡهَدۡيَ وَٱلۡقَلَٰٓئِدَۚ ﴾ قياماً لهم بأمن صاحبهما من التعرض له ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ الجعل المذكور ﴿ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ﴾ ﴿٩٧﴾ فإن جعله

بيان على الكعبة. إن قلت. . إن عطف البيان إنما يكون مبيناً أو موضحاً، وهنا ليس كذلك، إذ من المعلوم أن الكعبة هي البيت الحرام. أجيب بأنه للاحتراز عن بيت خثعم الذي سموه الكعبة اليمانية، فهو هنا للتوضيح لدفع الإلباس بغيره. وأجيب أيضاً بأنه جيء به لمجرد المدح، إذ الكعبة عند العرب لا تنصرف إلّا للبيت الحرام على حد ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ إذ من المعلوم أن الله هو رب العالمين. إن قلت: إن البيت جامد والمدح لا يكون إلا بمشتق. أجيب بأنه وصف بمشتق وهو الحرام، والكعبة لغة بيت مربع، فسميت الكعبة بذلك.

قوله: ﴿قِيَاماً﴾ أصله قواماً وقعت الواو بعد كسرة قلبت ياء. قوله: **(بالحج إليه)** أي فهو أحد أركان الدين، فلا يكمل إلا به، لأن من أتى بأركان الدين ما عداه مع القدرة عليه، فلم يكمل دينه، وقد حرم نفسه من الرحمات المشار إليها بقوله ﷺ: «ينزل من السماء كل يوم وليلة مائة وعشرون رحمة، ستون للطائفين، وأربعون للمصلين، وعشرون للناظرين». قوله: **(بأمن داخله)** أي الحرم لا خصوص الكعبة. قوله: **(وعدم التعرض له)** أي للداخل عاقلاً أو غيره. قوله: **(وجبى ثمرات كل شيء إليه)** أي نقلها له وذلك بدعوة ابراهيم عليه السلام حين قال: ﴿وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون﴾ وقال تعالى في مقام الامتنان ﴿يجبى إليه ثمرات كل شيء﴾. قوله: **(وفي قراءة)** أي وهي سبعية أيضاً. قوله: **(قيماً)** أي على وزن عنب. قوله: **(مصدر قام)** أي أيضاً إذ قياماً مصدر له أيضاً. قوله: **(غير معل)** أي الآن بقلب واوه ياء، فلا ينافي أن أصله معل وهو قياماً، فالياء الثابتة في قياماً هي الموجودة في قيماً غير أن ألفه حذفت، فيلاحظ أن قيماً فرع عن قياماً، فلم يحصل فيه تغير إلا حذف الألف.

قوله: ﴿وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ﴾ معطوف على الكعبة، وأل فيه للجنس فيشمل الأشهر الأربعة، ولهذا أشار المفسر بقوله: **(يعني الأشهر الخ)**. قوله: **(قياماً)** قدره إشارة إلى أنه محذوف من الثاني لدلالة الأول عليه. قوله: **(بأمنهم القتال فيها)** أي فكانت العرب يغير بعضهم على بعض، ويقتل بعضهم بعضاً، إلا في الأشهر الحرم. قوله: ﴿وَالْهَدْيَ﴾ أي فهو من مصالح الدين لجبره نقص الحج، والدنيا لحصول البركة فيما بقي من ماله بسبب إنفاقه الهدي في سبيل الله، وهكذا كل صدقة بها مصالح الدين بتكفير الذنوب، ومصالح الدنيا بنمو المال، ووقاية صاحبها مصارع السوء. قوله: ﴿وَالْقَلاَئِدَ﴾ أي التي كانوا يقلدون بها أنفسهم إذا خرجوا من مكة لمصالحهم، فكانوا يأخذون من شجر الحرم شيئاً ويضعونه في عنقهم إذا خرجوا، ليأمنوا على أنفسهم وأموالهم.

قوله: ﴿ذٰلِكَ لِتَعْلَمُوا﴾ اسم الإشارة مبتدأ، ولتعلموا خبره، وأن واسمها وخبرها في محل نصب سدت مسد مفعولي تعلموا، وقوله: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ معطوف على أن الأولى من عطف العام

ذلك لجلب المصالح لكم ودفع المضار عنكم قبل وقوعها دليل على علمه بما هو في الوجود وما هو كائن ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ لأعدائه ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ﴾ لأوليائه ﴿رَّحِيمٞ﴾ ﴿٩٨﴾ بهم ﴿مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُۗ﴾ الإبلاغ لكم ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ﴾ تظهرون من العمل ﴿وَمَا تَكۡتُمُونَ﴾ ﴿٩٩﴾ تخفون منه فيجازيكم به ﴿قُل لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡخَبِيثُ﴾ الحرام ﴿وَٱلطَّيِّبُ﴾ الحلال ﴿وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ﴾ أي سرك ﴿كَثۡرَةُ ٱلۡخَبِيثِۚ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ في تركه ﴿يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ ﴿١٠٠﴾ تفوزون. ونزل لما أكثروا سؤاله ﷺ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ إِن تُبۡدَ﴾ تظهر ﴿لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡ﴾ لما فيها من المشقة ﴿وَإِن تَسۡـَٔلُواْ عَنۡهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلۡقُرۡءَانُ﴾ أي في زمن

على الخاص. قوله: **(فإن جعله ذلك)** أي المتقدم ذكره وهو الكعبة والشهر الحرام والهدي والقلائد. قوله: **(لجلب المصالح)** علة لما قبله، وقوله: **(دليل الخ)** خبر إن. قوله: **(وما هو كائن)** أي الآن أو في المستقبل. قوله: **﴿شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾** **(لأعدائه)** أي الذين بطروا نعمته، وسماهم أعداء لمخالفتهم أمره، فكل من خالفه فهو كالعدو له، والمعنى يعامله معاملة العدو. قوله: **(لأوليائه)** أي أحبابه الذين يشكرون نعمه، وإنما قدم شديد العقاب لأنه تقدم ذكر النعم، فحذر من الاغترار بها والطغيان فيها، لأن الفقر مع الشكر خير من الغنى مع البطر.

قوله: **﴿مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾** هو بالرفع فاعل لفعل محذوف، أو مبتدأ خبره الجار والمجرور قبله، والمعنى ليس على الرسول إلا تبليغ أمر دينكم لا جزاؤكم. قوله: **(الإبلاغ)** أشار بذلك إلى أنه استعمل مصدر المجرد موضع المزيد في الآية لمزيد البلاغة، لأن زيادة البنية تدل على زيادة المعنى، ففيه الإشارة إلى أنه بلغ البلاغ الكامل. قوله: **(فيجازيكم به)** أي إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، قوله: **﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ﴾** معطوف على محذوف تقديره هذا إذا لم يعجبك بل ولو أعجبك، وجواب الشرط محذوف تقديره فلا يستويان، لأن الله طيب لا يقبل إلا طيباً، والمقصود من ذلك أمره ﷺ أن يخاطب بذلك أمته، فليس الخطاب له، لأنه قد زهد الحلال، فضلاً عن كونه يعجبه كثرة الحرام.

قوله: **﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾** **(في تركه)** أي ولا تتعرضوا لأخذ الحرام، فإنه يورث غضب الله، ولا لأخذ الشبهات أيضاً، فإنها تورث قسوة القلب. قوله: **(تفوزون)** أي تظفرون برضا الله، فإن العز كل العز للمتقي. قوله: **(ونزل لما أكثروا سؤاله)** أي عن أمور لو أجابهم عنها لشق عليهم، وعن أمور لو أجابهم بها لساءتهم. فالأول كسؤالهم عن الحج، هل هو واجب في العمر مرة أو كل عام مرة؟ والثاني كسؤال رجل عن أبيه بعد موته أين هو؟ فقال له رسول الله ﷺ: إنه في النار. قوله: **﴿عَنْ أَشْيَاءَ﴾** أصله شيآء على وزن فعلاء كحمراء استثقلت العرب النطق في كلمة يكثر استعمالها بألف بين همزتين، خصوصاً قبل الهمزة الأولى ياء فقلبوها قلباً مكانياً، فقدموا الهمزة الأولى التي هي لام الكلمة قبل الشين فصار وزنه لفعاء، وهو ممنوع من الصرف لألف التأنيث الممدودة. قوله: **(لما فيها من المشقة)** علة لقوله: **﴿تَسُؤْكُمْ﴾** والمشقة إما لحصول التكليف بها، أو لحصول الإساءة والفضيحة بها ففي الحديث: «إن الله أحل لكم أشياء وحرم أشياء وسكت عن أشياء رحمة بكم غير نسيان فلا تسألوا عنها».

قوله: **﴿وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا﴾** إن حرف شرط، وتسألوا فعل الشرط، وعنها متعلق بتسألوا، والضمير

النبي ﷺ ﴿تُبْدَ لَكُمْ﴾ المعنى إذا سألتم عن أشياء في زمنه ينزل القرآن بإبدائها ومتى أبداها ساءتكم فلا تسألوا عنها قد ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا﴾ عن مسألتكم فلا تعودوا ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ ﴿١٠١﴾ ﴿قَدْ سَأَلَهَا﴾ أي الأشياء ﴿قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ﴾ أنبياءهم فأجيبوا ببيان أحكامها ﴿ثُمَّ أَصْبَحُوا﴾ صاروا ﴿بِهَا كَٰفِرِينَ﴾ ﴿١٠٢﴾ بتركهم العمل بها ﴿مَا جَعَلَ﴾ شرع ﴿ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ﴾ كما كان أهل الجاهلية يفعلونه روى البخاري عن سعيد بن المسيب قال البحيرة التي يمنع درها للطواغيت فلا يحلبها أحد من الناس، والسائبة كانوا يسيبونها لآلهتهم فلا يحمل

عائد على الأشياء المتقدمة، وقوله: ﴿حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ﴾ ظرف متعلق بتسألوا، وقوله: ﴿تُبْدَ لَكُمْ﴾ جواب الشرط. قوله: **(المعنى إذا سألتم الخ)** حاصل ما أفاده المفسر أن هنا جملتين شرطيتين ونهي، فالأصل تأخير النهي عن الجملتين، وتأخير الجملة الأولى عن الثانية، وإنما قدم النهي ونتيجته وهي الإساءة اعتناء بزجر عباده، وهذا التقديم والتأخير باعتبار المعنى، وإلا قالوا ولا تقتضي ترتيباً ولا تعقيباً.

قوله: **(إذا سألتم عن أشياء)** هو معنى الجملة الثانية، وقوله: **(متى أبداها ساءتكم)** هو معنى الجملة الأولى، وقوله: **(فلا تسألوا عنها)** هو معنى النهي، وما ذكره المفسر أحد احتمالات في الآية وهو أحسنها، قوله: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْهَا﴾ أي لم يؤاخذكم بذلك. قوله: **(عن مسألتكم)** أي عن جوابها، والمعنى لم يجبكم بالتشديد مع استحقاقكم إياه بالسؤال عما لا يعنيكم، فضلاً منه ولطفاً بكم. قوله: **(فلا تعودوا)** أي لمثل هذه الأسئلة.

قوله: ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ في معنى العلة لقوله ﴿عفا الله عنها﴾ أي عفا عنها، لأنه غفور يستر الذنوب ويمحوها، حليم لا يعجل بالعقوبة على من عصاه. قوله: **(قد سألها)** هذا امتنان من الله تعالى على هذه الأمة، حيث لم يشدد عليهم كما شدد على من قبلهم، رحمة منه وزجراً لهم عن وقوع مثل ذلك منهم. قوله: **(أي الأشياء)** أي نوع الأشياء وهو ما فيه الإساءة، كسؤال قوم صالح أن يأتي لهم من الجبل بناقة، وكسؤال قوم عيسى المائدة، وكسؤال قوم موسى رؤية الله جهرة، فأجاب سؤالهم بالتشديد عليهم في التكاليف فخالفوا فحل بهم ما حل من العذاب، وإنما قال هنا قد سألها ولم يقل عنها إشارة إلى أن السؤال كما يتعدى بالحرف يتعدى بنفسه. قوله: **(بيان أحكامها)** أي أحكام الأشياء التي سألوها مع التشديد عليهم. قوله: **(بتركهم العمل)** أشار بذلك إلى أن الكفر إنما هو بترك العمل لا بنفس تلك الأشياء، فالكلام على حذف مضاف.

قوله: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ﴾ رد إبطال لما كان عليه الجاهلية. قوله: (شرع) إن قلت إنه لم يرد في اللغة بمعنى شرع، فالمناسب أن يفسرها بصير، ويكون المفعول الثاني محذوفاً، والتقدير مشروعاً. قوله: ﴿مِنْ بَحِيرَةٍ﴾ من زائدة في المفعول، ووجد شرطها، وهو كون مدخولها نكرة في سياق نفي. قوله: **(درها)** أي لبنها، وقوله: **(للطواغيت)** أي خدمتها وهذا أحد أقوال في تفسير البحيرة وما بعدها وهو أصحها، وقيل البحيرة هي الناقة متى تنتج خمسة أبطن في آخرها ذكر، فتشق أذنها وتترك، فلا تركب ولا تحلب ولا تطرد عن مرعى ولا ماء، وإذا لقيها الضعيف لم يركبها، وقيل هي الأنثى الخامسة في النتاج، وقيل هي بنت السائبة، وسبب هذا الاختلاف اختلاف العرب في البحيرة، فبعضهم يطلقها على واحد من الأمور

عليها شيء والوصيلة الناقة البكر تبكر في أول نتاج الإبل بأنثى ثم تثني بعد بأنثى وكانوا يسيبونها لطواغيتهم إن وصلت إحداهما بأخرى ليس بينهما ذكر، والحام فحل الإبل يضرب الضراب المعدود فإذا قضى ضرابه ودعوه للطواغيت وأعفوه من الحمل عليه فلا يحمل عليه شيء وسموه الحامي ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾ في ذلك ونسبته إليه ﴿وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ ﴿١٠٣﴾ أن ذلك افتراء لأنهم قلدوا فيه آباءهم ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ﴾ أي إلى حكمه من تحليل ما حرمتم ﴿قَالُوا۟ حَسْبُنَا﴾ كافينا ﴿مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ﴾ من

المتقدمة، وبعضهم على واحد آخر منها وهكذا. قوله: (**والسائبة كانوا الخ**) وقيل هي الناقة تنتج عشر إناث، فلا تركب ولا يشرب لبنها إلا ضعيف أو ولد، وقيل هي الناقة تترك ليحج عليها حجة. قوله: (**والوصيلة الناقة البكر الخ**) وقيل هي الشاة التي تنتج سبعة أبطن عناقين عناقين، فإذا ولدت في آخرها عناقاً وجدياً قيل وصلت أخاها فجرت مجرى السائبة وقيل هي الشاة تنتج سبعة أبطن، فإذا كان السابع أنثى لم ينتفع النساء منها بشيء إلا أن تموت، فيأكلها الرجال والنساء، وإن كان ذكراً ذبحوه وأكلوه جميعاً، وإن كان ذكراً وأنثى قالوا وصلت أخاها فيتركونها معه، فلا ينتفع بها إلا الرجال دون النساء، وقالوا خالصة لذكورنا، ومحرم على أزواجنا، وقيل هي الشاة تنتج عشر إناث متواليات في خمسة أبطن، ثم ما ولدت بعد ذلك فللذكور دون الإناث، وقيل غير ذلك. قوله: (**والحام فحل الإبل**) وقيل هو الفحل ينتج له سبع أناث متواليات فيحمي ظهره، وقيل هو الفحل الذي ينتج من بين أولاده ذكورها وإناثها عشر إناث، وقيل غير ذلك، وقد علمت أن اختلاف تلك الأقوال لاختلاف اصطلاح الجاهلية فيها، ولم يجعل الله سبحانه وتعالى شيئاً منها في دين الإسلام على جميع الأقوال. قوله: (**الضراب المعدود**) أي وهو عشر مرات ينشأ عن كل مرة حمل.

قوله: ﴿**وَلَٰكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا**﴾ أي علماؤهم، وقوله: ﴿**وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ**﴾ أي عوامهم، فهم كالأنعام بل هم أضل. قوله: ﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ**﴾ الضمير عائد على قوله وأكثرهم الذين هم عوامهم، والقائل يحتمل أنه النبي ﷺ أو أصحابه. قوله: ﴿**تَعَالَوْا**﴾ فعل أمر بمعنى أقبلوا، وأصله تعالوون، تحركت الواو الأولى وانفتح ما قبلها قلبت ألفاً فصار تعالاون التقى ساكنان حذفت الألف لالتقائهما، وحذفت النون لأن فعل الأمر يبنى على ما يجزم به مضارعه وهو يجزم بحذف النون، وهو بفتح اللام لكل مخاطب ولو أنثى، قال تعالى: ﴿فتعالين﴾. قوله: ﴿**إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ**﴾ أي إلى الذي أنزله الله وهو القرآن، وقوله: ﴿**وَإِلَى الرَّسُولِ**﴾ معطوف على ما، أي وتعالوا إلى الرسول، أي ليبين لكم أحكام الله. قوله: (**أي إلى حكمه**) أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿**وَإِلَى الرَّسُولِ**﴾ على حذف مضاف، وقوله: (**من تحليل ما حرمتم**) بيان لحكمه، وهو البحيرة والسائبة والوصيلة والحام ومثل ذلك في الحرمة ما يفعله بعض سفهاء العوام، من كونهم يرسلون عجلاً أو شاة على اسم ولي من الأولياء تأكل من أموال الناس ولا يتعرض لهما أحد، فإذا نصحهم إنسان وقال لهم إن ذلك حرام، أساؤوا الظن وقالوا إنه لا يحب الأولياء، فإذا اعتقدوا أن ذلك قربة وطاعة فقد كفروا، وإلا فهو من جملة المحرمات ويحسبون أنهم على شيء إلا أنهم هم الكاذبون.

الـدين والشريعة قـال تعـالى ﴿أ﴾ حسبهم ذلـك ﴿وَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ ﴿١٠٤﴾ إلى الحق والاستفهام للأنكار ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ أي احفظوها وقوموا بصلاحها ﴿لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ﴾ قيل المراد لا يضركم من ضـل من أهل الكتاب وقيل المراد غيرهم لحديث أبي ثعلبه الخشني سألت عنها رسـول الله ﷺ فقال ائتمـروا

قوله: ﴿قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا﴾ حسبنا مبتدأ وما وجدناه خبره. قوله: ﴿أ﴾ (حسبهم ذلك) ﴿وَلَوْ كَانَ﴾ الخ الواو في أو لو للحال، وهمزة الإنكار الواقعة قبلها داخلة على محذوف قـدره المفسر والمعنى أكافيهم دين آبائهم ولو كانوا الخ، ويصح أن تكون للعطف على جملة شرطية مقدرة قبلها، والتقدير أيقولون ذلك ولو كان آباؤهم يعلمون شيئاً ويهتدون، بل ولو كانوا لا يعلمون الخ، نظير أحسن إلى فلان وإن أساء إليك، أي أحسن إليه في حال عدم إساءته، بل ولو في حال إساءته. قوله: ﴿لاَ يَعْلَمُونَ شَيْئاً﴾ عبر هنا بيعلمون، وفي البقرة بيعقلون، وقال هنا ما وجدنا، وهناك ما ألفينا تفنناً. قوله: (للإنكار) أي والتوبيخ.

قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ قيل إنه مرتبط بما قبله فيكون قوله لا يضركم من ضل يعني من أهل الكتاب، والمعنى أن الله كلفنا بقتال الكفار حتى يسلموا أو يؤيدوا الجزية، فإذا أدوها كففنا أنفسنا عنهم ولا يضرنا كفرهم، وقيل مستأنفة نزلت في العصاة، فالمعنى عليك بحفظ نفسك ولا تتعرض لغيرك، فلا يضرك ضلال من ضل. إن قلت: إن هذا يوهم أن المدار على هدى الإنسان في نفسه، ولا يلزمه الأمر بالمعـروف ولا النهي عن المنكر، وهـو خلاف النصـوص الشرعية من الآيـات والأحاديث النبوية. وأجيب: يحمل ذلك على من عجز عن ذلك، وإلى هذين القولين أشار المفسر فيما يأتي بقوله قيل المراد الخ، وفي الحقيقة المراد ما هو أعم، فإذا امتثل العبد ما أمره الله به وترك ما نهاه عنه فلا يضره مخالفة من خالف.

قوله: ﴿عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ بنصب أنفسكم على الإغراء، لأن عليكم اسم فعـل بمعنى الزمـوا، والفاعل مستتر وجوباً تقديره أنتم، والمعنى الزموا حفظ أنفسكم وهدايتها ووقايتها من النار، والكاف في عليكم ونظيره من أسماء الأفعال كإليك ولديك، قيل في محل جر بعلى بحسب الأصل، وقيل في محل نصب ولا وجه له، وقيل في محل رفع توكيد للضمير المستتر، وذهب ابن بأبشاذ إلى أنها حرف خطاب، وقرىء شذوذاً برفع أنفسكم، وخرجت على أحد وجهين: الأول كونها مبتدأ وعليكم خبر مقدم، والمعنى على الإغراء على كل حال، فإن الإغراء جاء بالجملة الابتدائية، ومنه قراءة بعضهم ﴿ناقة الله وسقياها﴾. والرفع الثاني أنه توكيد للضمير المستتر في عليكم وإن كان خلاف القياس، لأن القياس لا يؤكد بالنفس الضمير المتصل إلا بعد الضمير المنفصل لقول ابن مالك:

وَإِنْ تُـؤَكِّـدِ الضَّمِـيرَ المُتَّصِـلْ ... بِـالنَّفْسِ وَالعَيْنِ فَبَعْـدَ المُنْفَصِـلْ

قوله: (وقيل المراد غيرهم) أي غير أهل الكتاب من العصاة، ليس فيها دليـل على تـرك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إذ قد ورد أن الصديق قال يوماً على المنبر: يا أيها الناس، إنكم تقرؤون هذه الآية، وتضعونها في غير موضعها، ولا تدرون ما هي، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الناس إذا

بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى إذا رأيت شحاً مطاعاً وهوى متبعاً ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك نفسك رواه الحاكم وغيره ﴿إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ ١٠٥ فيجازيكم به ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ شَهَٰدَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ ﴾ أي أسبابه ﴿ حِينَ ٱلْوَصِيَّةِ ٱثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ ﴾ خبر بمعنى الأمر أي ليشهد وإضافة شهادة لبين على الإتساع وحين بدل من إذا أو ظرف لحضر ﴿ أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ ﴾ أي غير ملتكم ﴿ إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ ﴾ سافرتم

رأوا منكراً فلم يغيروه عمهم الله بعقاب، فامروا بالمعروف وأنهوا عن المنكر، ولا تغتروا بقول الله عز وجل: ﴿يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم﴾ فيقول أحدكم علي نفسي، والله لتأمرون بالمعروف ولتنهون عن المنكر، أو ليستعملن الله عليكم شراركم فيسومونكم سوء العذاب، ثم ليدعون خياركم فلا يستجاب لهم» وعنه ﷺ قال: «ما من قوم عمل فيهم منكر وسن فيهم قبيح فلم يغيروه ولم ينكروه إلا وحق الله أن يعمهم بالعقوبة جميعاً ثم لا يستجاب لهم». وقال الصديق أيضاً إن هذه الآية تعدونها رخصة، والله ما أنزل آية أشد منها. قوله: **(سألت عنها)** أي عن هذه الآية، وقوله: **(فقال)** أي في بيان معناها. قوله: **(شحاً مطاعاً)** الشح نهاية البخل، وقوله مطاعاً أي يطيعه صاحبه. قوله: **(وهوى)** بالقصر ما تميل إليه النفس من القبائح. قوله: **(متبعاً)** أي يتبعه صاحبه. قوله: **(ودنيا مؤثرة)** بهمزة ودونها، أي يقدمها صاحبها على الآخرة. قوله: **(وإعجاب كل ذي رأي برأيه)** أي فلا يعجبه رأي غيره، ولا يقبل نصيحته، زاد الخائن في تلك الرواية بعد قوله فعليك بنفسك: ردع العوام فإن من ورائكم أيام الصبر، فمن صبر فيهن قبض على الجمر، للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلاً يعملون مثل عملكم اهـ. قوله: **﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً﴾** فيه وعد لمن أطاع ووعيد لمن اغتر وعصى.

قوله: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾** لما بين سبحانه ما يتعلق بمصالح الدين شرع يبين ما يتعلق بمصالح الدنيا، إشارة إلى أن الإنسان ينبغي له أن يضبط مصالح دينه ودنياه لأنه مكلف بحفظهما. قوله: **﴿شَهَادَةُ﴾** مبتدأ، وبينكم مضاف إليه، إذا ظرف بشهادة، وحضر فعل ماض، واحكم مفعول مقدم، والموت فاعل مؤخر، وحين بدل من الظرف قبله، وقوله اثنان خبره. إن قلت: إن الذات لا يخبر بها عن المعنى ولا عكسه. أجيب: بأن الكلام على حذف مضاف، أما في الأول تقديره ذوا شهادة أحدكم اثنان أو في الثاني تقديره شهادة اثنين، وقوله ذوا عدل صفة لاثنان، والعدل هو الذكر البالغ غير مرتكب كبيرة ولا صغيرة خسة وغير مصر على صغيرة غيرها. قوله: **(خبر بمعنى الأمر)** أي فهي جملة خبرية لفظاً إنشائية معنى. قوله: **(أي ليشهد)** بضم الياء من أشهد الرباعي، وتلك الشهادة يحتمل أن تكون حقيقية، واشتراط العدالة ظاهرة، ويحتمل أن المراد بالشهادة الوصية، المعنى إذا حضر أحدكم الموت فليوص اثنين، وعلى هذا فاشتراط العدالة من حيث الوصية، أي كونه عدلاً في الوصية، بأن يحسن التصرف فيما ولي عليه، وأما كونهما اثنين فشرط كمال، ولكون سبب النزول كذلك كما سيأتي. قوله: **(على الاتساع)** أي التسمح والتجوز، وكان حقها أن تضاف إلى الأموال، وإنما أضيفت إلى البين لأن الشهادة على الأموال تمنع فساد البين. قوله: **(بدل من إذا)** أي فكل منهما ظرف لشهادة، وقوله: **(أو ظرف لحضر)** أي فقوله إذا ظرف لشهادة، أي فعلى هذا تغاير متعلق الظرفين.

قوله: **﴿أَوْ آخَرَانِ﴾** معطوف على اثنان، أي فإن لم يجد العدلين لكون رفقته في السفر كفاراً كما هو

﴿ فِي ٱلْأَرْضِ فَأَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةُ ٱلْمَوْتِۚ تَحْبِسُونَهُمَا ﴾ توقفونهما صفة آخران ﴿ مِنۢ بَعْدِ ٱلصَّلَوٰةِ ﴾ أي صلاة العصر ﴿ فَيُقْسِمَانِ ﴾ يحلفان ﴿ بِٱللَّهِ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ ﴾ شككتم فيها ويقولان ﴿ لَا نَشْتَرِي بِهِۦ ﴾ بالله ﴿ ثَمَنًا ﴾ عوضاً نأخذه بدله من الدنيا بأن نحلف به أو نشهد كذباً لأجله ﴿ وَلَوْ كَانَ ﴾ المقسم له أو المشهود له ﴿ ذَا قُرْبَىٰ ﴾ قرابة منه ﴿ وَلَا نَكْتُمُ شَهَٰدَةَ ٱللَّهِ ﴾ التي أمرنا بها ﴿ إِنَّآ إِذًا ﴾ إن كتمناها ﴿ لَّمِنَ ٱلْءَاثِمِينَ ﴾ (١٠٦) ﴿ فَإِنْ عُثِرَ ﴾ اطلع بعد حلفهما ﴿ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسْتَحَقَّآ إِثْمًا ﴾ أي فعلاً ما يوجبه من خيانة أو كذب في الشهادة بأن وجد عندهما مثلاً ما اتهما به وادعيا أنهما ابتاعاه من الميت أو وصى لهما به ﴿ فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا ﴾ في توجه اليمين عليهما ﴿ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ ﴾ الوصية وهم

سبب النزول فليشهد أو يوص آخرين، وحاصله لأجل اتضاح المعنى، أن بزيلا السهمي مولى عمرو بن العاص وقيل بديل بالدال، وعدي بن بداء، وتميماً الداري، سافروا من المدينة إلى الشام بتجارة، فحضرت بزيلا السهمي الوفاة وكان مسلماً، وعدي وتميم نصرانيان، فكتب متاعه في وثيقة، ومن جملة ما كتب في الوثيقة: جام من الفضة قدره ثلثمائة مثقال مخوص بالذهب، وأمرهما أن يسلما متاعه لورثته، ثم قضي عليه، ففتشا متاعه فوجدا ذلك الجام فأخذاه وباعاه بألف درهم، فلما حضرا سلما متاعه لورثته فوجدوا فيه صحيفة مكتوباً فيها جميع المتاع، ومن جملته جام من فضة، ففتشوا عليه فلم يجدوه، فجاؤوهما فقالوا لهما صاحبنا قد تمرض وأنفق على نفسه، قالا لا، قالوا: فهل باع من متاعه شيئاً، قالا: لا قالوا: فأين الجام؟ قالا: لا علم لنا به، فارتفع أقارب بزيل إلى رسول الله ﷺ وأخبروه بالواقعة، فأحضر عدياً وتميماً فسألهما عنه فقالا: لا علم لنا به، فنزلت الآية، فأحضرهما بعد صلاة العصر عند المنبر وحلفهما، ثم بعد ذلك ظهر الجام، قيل بمكة مع رجل وقيل بيدهما، فأخبروا رسول الله ﷺ بذلك، فنزلت الآيتان الأخيرتان، فأحضر رسول الله عمرو بن العاص والمطلب بن أبي وداعة وحلفهما، فحلفا لشهادتنا أحق من شهادتهما وما اعتدينا، فأعطي الجام لهما.

قوله: ﴿إِنْ أَنْتُمْ﴾ شرط في المعطوف، وقوله أنتم فاعل بفعل محذوف يفسره قوله: ﴿ضَرَبْتُمْ﴾ فجملة ضربتم لا محل لها من الإعراب، لأنها مفسرة للمحذوف، وقوله: ﴿فَأَصَابَتْكُمْ﴾ معطوف على ضربتم. قوله: **(صفة آخران)** أي وجملة الشرط، وجوابه معترضة بين الصفة والموصوف. قوله: **(أي صلاة العصر)** أي فأل للعهد لأن وقت العصر معظم في جميع الملل، وإنما كان معظماً لأنه وقت نزول ملائكة الليل وصعود ملائكة النهار. قوله: ﴿إِنِ ارْتَبْتُمْ﴾ شرط في تحليفهما. قوله: **(ويقولان)** ﴿لَا نَشْتَرِي﴾ الخ، بيان لكيفية يمينهما. قوله: **(بأن نحلف به أو نشهد الخ)** أشار بذلك إلى قولين: قيل قالوا لا علم لنا به، وقيل قالوا أوصى به لغيركم وأعطيناه له، وسياق الآية في يمينهما يشهد للثاني. قوله: **(كاذباً)** المناسب كذباً.

قوله: ﴿وَلَا نَكْتُمُ﴾ معطوف على لا نشتري. قوله: **(بأن وجد عندهما)** أي وقيل عند رجل مكي باعاه له بألف درهم كما سيأتي. قوله: **(وادعيا أنهما ابتاعاه الخ)** إشارة لوجهين في دعواهما، وسيأتي الثالث في قوله ودفعه إلى شخص زعما أن الميت أوصى له به. قوله: ﴿مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ﴾ أي لهم ونائب

الورثة ويبدل من آخران ﴿ٱلْأَوْلَيَـٰنِ﴾ بالميت أي الأقربان إليه وفي قراءة الأولين جمع أول صفة أو بدل من الذين ﴿فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ﴾ على خيانة الشاهدين ويقولان ﴿لَشَهَـٰدَتُنَآ﴾ يميننا ﴿أَحَقُّ﴾ أصدق ﴿مِن شَهَـٰدَتِهِمَا﴾ يمينهما ﴿وَمَا ٱعْتَدَيْنَآ﴾ تجاوزنا الحق في اليمين ﴿إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ ﴿١٠٧﴾ المعنى ليشهد المحتضر على وصيته اثنين أو يوصي إليهما من أهل دينه أو غيرهم إن فقدهم لسفر ونحوه فإن ارتاب الورثة فيهما فادعوا أنهما خانا بأخذ شيء أو دفعه إلى شخص زعماً أن الميت أوصى له به فليحلفا إلى آخره فإن اطلع على امارة تكذيبهما فادعيا دافعاً له حلف أقرب الورثة على كذبهما وصدق ما ادعوه والحكم ثابت في الوصيين منسوخ في الشاهدين وكذا شهادة غير أهل الملة منسوخة واعتبار صلاة العصر للتغليظ وتخصيص الحلف في الآية باثنين من أقرب الورثة لخصوص الواقعة التي نزلت لها وهي ما رواه البخاري أن رجلاً من بني سهم خرج مع تميم الداري وعدي ابن بداء أي وهما نصرانيان فمات السهمي بأرض ليس فيها مسلم فلما قدما بتركته فقدوا جاماً من فضة مخوصاً بالذهب فرفعا إلى النبي ﷺ فنزلت فأحلفهما ثم وجد الجام بمكة فقال ابتعناه من تميم وعدي فنزلت الآية الثانية فقام رجلان من أولياء السهمي فحلفا وفي رواية الترمذي فقام عمرو ابن العاص ورجل آخر منهم فحلفا وكانا أقرب إليه وفي رواية فمرض فأوصى إليهما وأمرهما أن يبلغا ما ترك أهله فلما مات أخذا الجام ودفعا إلى أهله ما بقي ﴿ذَٰلِكَ﴾ الحكم المذكور من رد

الفاعل قدره المفسر بقوله الوصية أي الإيصاء. قوله: ﴿**الْأَوْلَيَانِ**﴾ تثنية أولى بمعنى أقرب كما قال المفسر. قوله: (**جمع أول**) بمعنى أسبق وهي بمعنى أسبق، وهي بمعنى القراءة الأولى من حيث إنهم أقارب الميت. قوله: ﴿**فَيُقْسِمَانِ**﴾ عطف على ﴿**يَقُومَانِ**﴾. قوله: (**يميننا**) أي فالمراد بالشهادة اليمين.

قوله: ﴿**وَمَا اعْتَدَيْنَا**﴾ هذا من جملة اليمين. قوله: (**المعنى**) أي معنى الآيتين. قوله: (**أو يوصي**) إشارة إلى التفسير الثاني. قوله: (**إن فقدهم**) أي أهل دينه. قوله: (**بأخذ شيء**) أي وقد ادعيا أنهما اشترياه من الميت أو أنه أوصى لهما به. قوله: (**دافعاً له**) أي لما الشهود ادعى عليهما به من الخيانة. قوله: (**منسوخ في الشاهدين**) أي عند من يشترط الشاهد في الإسلام، ولو عند فقد المسلمين، وأما عند من لم يشترط ذلك عند الفقد فلا نسخ. قوله: (**للتغليظ**) أي لأن اليمين تغلظ بالزمان ككونها بعد العصر، والمكان ككونها في المسجد في الحقوق المهمة من الأموال وغيرها. قوله: (**وتخصيص الحلف في الآية باثنين**) أي مع أنه يصح من واحد أو أكثر ممن يظن به العلم من المستحقين. قوله: (**أنّ رجلاً**) تقدم أن اسمه بزيل وقيل بديل بالزاي أو الدال. قوله: (**مع تميم**) أي وقد أسلم بعد ذلك، وصار من مشاهير الصحابة، وكان يحدث بالواقعة. قوله: (**وعدي بن بداء**) ولم يثبت إسلامه، وبداء بفتح الموحدة والدال المشددة بعدها ألف ثم همزة. قوله: (**جاماً**) الجام في الأصل الكأس، ولكن المراد به هنا إناء كبير من فضة وزنه ثلثمائة مثقال. قوله: (**مخوصاً بالذهب**) أي منقوشاً به. قوله: (**فأحلفهما**) أي بعد العصر عند المنبر. قوله: (**فقال**) أي الرجل، وقوله: (**ابتعناه**) أي بألف درهم. قوله: (**فقام رجلان**) سيأتي في الرواية الأخرى

اليمين على الورثة ﴿ أَدْنَىٰٓ ﴾ أقرب إلى ﴿ أَن يَأْتُوا۟ ﴾ أي الشهود أو الأوصياء ﴿ بِٱلشَّهَـٰدَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَآ ﴾ الذي تحملوها عليه من غير تحريف ولا خيانة ﴿ أَوْ ﴾ أقرب إلى أن ﴿ يَخَافُوٓا۟ أَن تُرَدَّ أَيْمَـٰنٌۢ بَعْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ ﴾ على الورثة المدعين فيحلفون على خيانتهم وكذبهم فيفتضحون ويغرمون فلا يكذبوا ﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ﴾ بترك الخيانة والكذب ﴿ وَٱسْمَعُوا۟ ﴾ ما تؤمرون به سماع قبول ﴿ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴾ ﴿١٠٨﴾ الخارجين عن طاعته إلى سبيل الخير اذكر ﴿ يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ ﴾ هو يوم القيامة ﴿فَيَقُولُ﴾ لهم توبيخاً لقومهم ﴿ مَاذَآ ﴾ أي الذي ﴿أُجِبْتُمْ﴾ به حين دعوتم إلى التوحيد ﴿ قَالُوا۟ لَا عِلْمَ لَنَآ ﴾ بذلك ﴿ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾ ﴿١٠٩﴾ ما غاب عن العباد وذهب عنهم علمه

اسم أحدهما وهو عمرو بن العاص، والثاني هو المطلب بن وداعة. قوله: (**من رد اليمين على الورثة**) أي توجهها عليهم بعد أن حلف تميم وعدي وظهر كذبهما.

قوله: ﴿**أَنْ يَأْتُوا**﴾ المقام للتثنية، وكذا قوله: ﴿**أَوْ يَخَافُوا**﴾ أيضاً وإنما جمع لأن المراد ما يعم الشاهدين المذكورين وغيرهما، وإنما ردت اليمين على الوارث، مع أن حقها أن تكون من الوصي لا غير، لأنه مدعى عليهما، إما لظهور خيانتهما فبطل تصديقهما باليمين، أو لتغير الدعوى أي انقلابها لأنه صار المدعى عليه مدعياً حيث ادعى الملك. قوله: (**فلا يكذبوا**) أي فلا يأتوا باليمين كاذبة، والمعنى أنه إنما شرع الله رد اليمين على الورثة في مثل هذه الواقعة، ليتحفظ الشاهد أو الوصي من اليمين الكاذبة أو يبنى على حصول الفضيحة. قوله: (**إلى سبيل الخير**) متعلق بيهدي، وفي بعض النسخ إلى سبيل الشر، فيكون متعلقاً بالخارجين.

ـ **تنبيه** ـ ما كتبناه في تفسير تلك الآيات الثلاث هو جهل المقل، وإلا فلم يزل العلماء يستشكلونها، إعراباً وتفسيراً وأحكاماً، وقالوا إنها من أصعب آي القرآن وأشكله.

قوله: (**اذكر**) قدره المفسر إشارة إلى أن يوم ظرف متعلق بمحذوف. قوله: ﴿**يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ**﴾ أي الثلثمائة وثلاثة عشر أو أربعة عشر، أو خمسة، والحق أنه لا يعلم عدتهم إلا الله تعالى. قوله: ﴿**فَيَقُولُ**﴾ مقتضى الآية أنه يجمعهم في سؤال واحد، ولكن يرى كل واحد منهم أنه المسؤول لا غيره، وترى كل أمة أن رسولها هو المسؤول، ولا مانع من ذلك، فإن الله يحول بين المرء وقلبه. قوله: (**توبيخاً لقومهم**) دفع بذلك ما يقال: كيف يسأل الله الرسل مع أنه العالم بالحقيقة؟ فأجاب: بأن حكمة السؤال توبيخ الأمم على ما وقع منهم من الكفر والعصيان، وليس المقصود أن الله يعلم شيئاً لم يكن عالماً به من قبل، تنزه الله عن ذلك، يوضح هذا الجواب قوله تعالى: ﴿فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد﴾ إلى أن قال: ﴿يومئذٍ يودّ الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الأرض ولا يكتمون الله حديثاً﴾. قوله: (**أي الذي**) أشار بذلك إلى أن ما اسم استفهام مبتدأ، وذا اسم موصول خبر، وأجبتم صلته، والعائد محذوف قدره المفسر بقوله به، قال ابن مالك:

وَمِثْلُ مَاذَا بَعْدَ مَا اسْتِفْهَام ... أَوْ مَنْ إِذَا لَمْ تُلْغَ فِي الْكَلَامِ

قوله: (**بذلك**) أي بما أجبنا به. قوله: ﴿**إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ**﴾ علة لما قبله، أي فعلمنا في

لشدة هول يوم القيامة وفزعهم ثم يشهدون على أممهم لما يسكتون اذكر ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ﴾ بشكرها ﴿إِذْ أَيَّدتُّكَ﴾ قويتك ﴿بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ جبريل ﴿تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ﴾ حال من الكاف في أيدتك ﴿فِي ٱلْمَهْدِ﴾ أي طفلاً ﴿وَكَهْلًا﴾ يفيد نزوله قبل الساعة لأنه رفع قبل الكهولة كما سبق في آل عمران ﴿وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ

جانب علمك كل شيء، لأنك تعلم ما غاب عنا وما ظهر، وأما علمنا فهو قاصر على بعض ما ظهر، قوله: **(وذهب عنهم علمه الخ)** جواب عما يقال كيف يقولون لا علم لنا مع أنهم عالمون بذلك، فيلزم عليه الإخبار بخلاف الواقع. فأجاب: بأن في ذلك الوقت يتجلى الله بالجلال على كل أحد حتى ينسى الرسل العصمة والمغفرة، وتذهل كل مرضعة عما أرضعت، وأما قوله تعالى: ﴿لا يحزنهم الفزع الأكبر﴾ أي انتهاء، وأما في ابتداء الموقف فلشدة الهول يكونون جثياً على الركب يقولون رب سلم سلم ثم يحصل لهم ذهول ونسيان لما أجيبوا به، فإذا آمنوا وسكن روعهم شهدوا على أممهم فلا منافاة، وأجيب أيضاً: بأن معنى قولهم: ﴿لَا عِلْمَ لَنَا﴾ تفويض الحكم والعلم لله تعالى، كأنهم يقولون: أنت الحكم العدل وهم عبيدك فلا علاقة لنا بهم، وأجيب أيضاً: بأن المراد نفي العلم الحقيقي، إذ هو لا يكون إلا لله تعالى، لأنه المطلع على السرائر والظواهر، وأما نحن فإنما نعلم منهم ما ظهر، وما ذكره المفسر من أن الأنبياء يحصل لهم الفزع ابتداء حتى يذهلوا عن جواب أممهم لهم ثم يسكنون أحد الطريقين، والطريق الثانية وعليها المحققون أن الرسل ومن كان على قدمهم آمنون ابتداء وانتهاء، وإنما الفزع والهول للكفار والفساق، وأما قول الرسل حينئذ نفسي نفسي لا أملك غيرها، فلا يقتضي حصول الفزع، وإنما معنى ذلك أنه يقول ليست الشفاعة العظمى لي وإنما هي لغيري، فلا أملك إلا نفسي، ولم يجعل الله لي الشفاعة العامة، وذهاب الأمم للرسل وردهم إياهم إنما هو إظهار لفضله ﷺ وذلك هو المقام المحمود، فالأحسن الجواب الثاني أو الثالث. قوله: **(اذكر)** قدره إشارة إلى أن إذ ظرف متعلق بمحذوف وليس متعلقاً بما قبله، لأن هذه قصة مستقلة.

قوله: ﴿**يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ**﴾ يا حرف نداء، وعيسى منادى مبني على ضم مقدر على الألف منع من ظهوره التعذر في محل نصب، وابن نعت له باعتبار المحل. قوله: ﴿**اذْكُرْ نِعْمَتِي**﴾ المقصود من ذلك توبيخ الكفرة حيث فرطوا في حقه وأفرطوا، وليس المراد تكليفه بالشكر في ذلك اليوم لانقطاع التكليف بالموت. قوله: **(قويتك)** ﴿**بِرُوحِ الْقُدُسِ**﴾ أي فكان يسير معه حيث سار، يعينه على الحوادث التي تقع ويلهمه العلوم والمعارف. قوله: ﴿**فِي الْمَهْدِ**﴾ تقدم أن المهد فراش الصبي، ولكن المراد منه الطفولية، فتكلم بقوله ﴿إني عبدالله﴾ إلى آخر ما في سورة مريم. قوله: ﴿**وَكَهْلًا**﴾ إنما ذكر ذلك إشارة إلى أن كلامه على نسق واحد في ذكاء العقل وغزارة العلم. قوله: **(كما سبق في آل عمران)** الذي سبق له فيها أنه رفع وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وهو سن الكهولة، لأن من الثلاثين للأربعين هو سن الكهولة، فقول الله تعالى: ﴿**وَكَهْلًا**﴾ صادق بكلامه قبل الرفع وبعده، فلا يصح قوله هنا لأنه رفع قبل الكهولة، ولكن الذي تقدم لنا أنه بعث على رأس الأربعين كغيره، ومكث ثمانين بعد البعثة، ورفع وهو ابن مائة وعشرين سنة، فإذا نزل عاش أربعين، فيكون مدة عمره مائة وستين سنة، فيكون معنى قوله: ﴿**فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا**﴾ صغيراً أو كبيراً، فعلى هذا ليس في الآية دليل على نزوله، وإنما نزوله مأخوذ من غير هذا المحل. قوله: ﴿**الْكِتَابَ**﴾

وَٱلْإِنجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ﴾ كصورة ﴿ ٱلطَّيْرِ ﴾ والكاف اسم بمعنى مثل مفعول ﴿ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ﴾ بإرادتي ﴿ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ من قبورهم أحياء ﴿ بِإِذْنِى وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ ﴾ حين هموا بقتلك ﴿ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ﴾ المعجزات ﴿ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ ﴾ ما ﴿ هَٰذَآ ﴾ الذي جئت به ﴿ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ ﴿١١٠﴾ وفي قراءة ساحر أي عيسى ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّۦنَ ﴾ أمرتهم على لسانه ﴿ أَنْ ﴾ أي بأن ﴿ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى ﴾ عيسى ﴿ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا ﴾ بهما ﴿ وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴾ ﴿١١١﴾ اذكر ﴿ إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ ﴾ أي يفعل ﴿ رَبُّكَ ﴾ وفي قراءة بالفوقانية ونصب ما بعده أي تقدر أن تسأله ﴿ أَن يُنَزِّلَ

أي الكتابة، وقوله: ﴿**وَالْحِكْمَةَ**﴾ أي العلم النافع، وقوله: ﴿**وَالتَّوْرَاةَ**﴾ أي كتاب موسى ﴿**وَالإِنْجِيلَ**﴾ كتابه هو، وهو ناسخ لبعض ما في التوراة، وهو مكلف بالعمل بما في التوراة، ما عدا ما نسخه الإنجيل منها، فيكون العمل بما في الإنجيل. قوله: ﴿**كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ**﴾ تقدم أنه الخفاش. قوله: ﴿**الأَكْمَهَ**﴾ هو من خلق من غير بصر.

قوله: ﴿**وَإِذَا تُخْرِجُ الْمَوْتَى**﴾ تقدم أنه أحيا سام بن نوح ورجلين وامرأة قيل وجارية، فيكون جميع من أحياهم خمسة. قوله: (**حين هموا**) أي اليهود بقتلك، فرفعتك إلى السماء، وألقيت شبهك على صاحبهم فقتلوه. قوله: (**الذي جئت به**) أي ويحتمل أن اسم الإشارة عائد على عيسى مبالغة على حد زيد عدل. قوله: (**أمرتهم على لسانه**) دفع بذلك ما يقال إن الإيحاء لا يكون إلا للرسل، والحواريون ليسوا رسلاً، فأجاب بأن المراد بالوحي الأمر على لسان عيسى، وأجاب غيره بأن المراد بالوحي الإلهام على حد وأوحينا إلى أم موسى. قوله: ﴿**أَنْ آمِنُوا**﴾ أن تفسيرية بمعنى أي لأنه تقدمها جملة فيها معنى القول دون حروفه.

قوله: ﴿**إِذْ قَالَ**﴾ ظرف لمحذوف قدره المفسر بقوله اذكر، وهو كلام مستأنف لا ارتباط له بما قبله، لأن المقصود مما تقدم تعداد النعم على عيسى، والمقصود مما هنا إعلام هذه الأمة بما وقع لأمة عيسى من التعنّت في السؤال وما ترتّب عليه، وإن كان فيها نعمة لعيسى أيضاً، لكنها غير مقصودة بالذكر. قوله: ﴿**الحَوَارِيُّونَ**﴾ هم أول من آمن بعيسى. قوله: (**أي يفعل**) أي فأطلق اللازم وهو الاستطاعة، وأراد الملزوم وهو الفعل، ودفع بذلك ما يقال إن الحواريين مؤمنون، فكيف يشكون في قدرة الله تعالى. وشذ من قال بكفرهم كالزمخشري. قوله: (**وفي قراءة**) وهي سبعية أيضاً. قوله: (**ونصب ما بعده**) أي على التعظيم. قوله: (**أي تقدر أن تسأله**) أي فالكلام على حذف مضاف في هذه القراءة الثانية، والتقدير هل تستطيع سؤال ربك، وإنما قالوا ذلك خوفاً من أن تكون هذه المسألة كسؤال موسى الرؤية فلم تحصل، وكسؤال قومه الرؤية أيضاً فأخذتهم الصاعقة، وهذه القراءة للكسائي وكانت عائشة رضي الله عنها تقرأ بها وتقول جل الحواريون عن كونهم يشكون في قدرة الله تعالى.

قوله: ﴿**مَائِدَةً**﴾ هي ما يبسط على الأرض من المناديل ونحوها، وأما الخوان فهو ما يوضع على

عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ قَالَ﴾ لهم عيسى ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ في اقتراح الآيات ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ ﴿١١٢﴾ ﴿قَالُواْ نُرِيدُ﴾ سؤالها من أجل ﴿أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ﴾ تسكن ﴿قُلُوبُنَا﴾ بزيادة اليقين ﴿وَنَعْلَمَ﴾ نزداد علماً ﴿أَن﴾ مخففة أي أنك ﴿قَدْ صَدَقْتَنَا﴾ في ادعاء النبوة ﴿وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ ﴿١١٣﴾ ﴿قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا﴾ أي يوم نزولها ﴿عِيدًا﴾ نعظمه ونشرفه ﴿لِّأَوَّلِنَا﴾ بدل من لنا بإعادة الجار ﴿وَءَاخِرِنَا﴾ ممن يأتي بعدنا ﴿وَءَايَةً مِّنكَ﴾ على قدرتك ونبوتي ﴿وَٱرْزُقْنَا﴾ إياها ﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ ﴿١١٤﴾ ﴿قَالَ ٱللَّهُ﴾ مستجيباً له ﴿إِنِّي مُنَزِّلُهَا﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ﴾ أي بعد نزولها ﴿مِنكُمْ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ ﴿١١٥﴾ فنزلت الملائكة بها من السماء عليها سبعة أرغفة وسبعة أحوات

الأرض وله قوائم، وأما السفرة فهي ما كانت من جلد مستدير، فالخوان فعل الملوك، والمناديل فعل العجم، والسفرة فعل العرب، والمقصود هنا الطعام الذي يؤكل كل على خوان أو غيره، والمائدة إما من الميد وهو التحرك كأنها تميد بما عليها من الطعام، وعليه فهي اسم فاعل على أصلها، أو من مادة بمعنى أعطاه فهي فاعلة بمعنى مفعولة أي معطاة. قوله: ﴿ٱتَّقُوا﴾ أي تأدبوا في السؤال، ولا تخترعوا أموراً خارجة عن العادة، فإن الأدب في السؤال أن تسأل أمراً معتاداً، ومن هنا حرم العلماء الدعاء بما تحيله العادة. قوله: (في اقتراح الآيات) أي اختراعها. قوله: ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ جواب الشرط محذوف دل عليه قوله: ﴿ٱتَّقُوا ٱللهَ﴾ . قوله: ﴿أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا﴾ قيل اقتياتاً وقيل تبركاً وهو المتبادر. قوله: (بزيادة اليقين) أي لأن الانتقال من علم اليقين إلى عين اليقين أقوى في الإيمان. قوله: (أي أنك) ﴿قَدْ صَدَقْتَنَا﴾ قدر المفسر اسم أن غير ضمير شأن وهو شاذ، فالمناسب أن يقول أي أنه أن أن إذا خففت كان اسمها ضمير شأن. قوله: ﴿عَلَيْهَا﴾ متعلق بالشاهدين والمعنى ونكون من الشاهدين عليها عند من لم يحضرها ليزداد من آمن بشهادتنا يقيناً وطمأنينة. قوله: ﴿قَالَ عِيسَى﴾ أي حين أبدوا هذه الأمور، فقام واغتسل ولبس المسح وصلى ركعتين فطأطأ رأسه وغض بصره وقال اللهم ربنا الخ، وهذه الآداب لا تخص عيسى، بل ينبغي لكل داع فعلها، لأن إظهار الذل والفاقة في الدعاء من أسباب الإجابة. قوله: (أي يوم نزولها) أي وقد نزلت يوم الأحد فاتخذه النصارى عيداً. قوله: ﴿عِيداً﴾ هو مشتق من العود وهو الرجوع لأنه يعود، وجمعه أعياد، وتصغيره عييد، وكان قياسه أعواداً وعويداً، وإنما فعلوا ذلك فرقاً بينه وبين عود الخشب. قوله: (بدل من لنا) أي بدل كل من كل. قوله: ﴿وارزقنا﴾ أي انفعنا بها، وهو مغاير لما قبله لأنه لا يلزم من الإنزال انتفاعهم بها. قوله: ﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ تتميم لما قبله على وجه الاستدلال، كأنه قال وارزقنا لأنك خير الرازقين، واسم التفضيل على بابه من حيث إن أسباب الرزق كثيرة والله خير من يأتي بالرزق لأنه الخالق والموجد له، وأما غيره فهو رازق باعتبار أنه سبب في الرزق وجار على يديه. قوله: ﴿قَالَ ٱللهُ﴾ أي على لسان ملك أو إلهاماً له. قوله: (بالتخفيف والتشديد) أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: ﴿بَعْدَ﴾ مبني على الضم لحذف المضاف إليه ونية معناه. قوله: (بعد نزولها) إشارة إلى تقدير المضاف إليه. قوله: ﴿لَا أُعَذِّبُهُ﴾ الضمير عائد على العذاب، والمعنى لا يكون ذلك العذاب لأحد من العالمين من حيث شدته وقبحه، والجملة صفة لعذاباً. قوله: ﴿مِنَ ٱلْعَالَمِينَ﴾ أي

فأكلوا منها حتى شبعوا قاله ابن عباس وفي حديث أنزلت المائدة من السماء خبزاً ولحماً فأمروا أن لا يخونوا ولا يدخروا لغد فخانوا وادخروا فمسخوا قردة وخنازير ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ قَالَ﴾ أي يقول ﴿ٱللَّهُ﴾ لعيسى في القيامة توبيخاً لقومه ﴿يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ﴾ عيسى وقد أرعد ﴿سُبْحَـٰنَكَ﴾ تنزيهاً لك عما لا يليق بك من الشريك وغيره

عالمي زمانهم أو مطلقاً، والشدة في الدنيا والآخرة، لما قيل إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة المنافقون، ومن كفر من أصحاب المائدة، وآل فرعون. قوله: **(فنزلت الملائكة)** روي أنها نزلت سفرة حمراء مدورة وعليها منديل بين غمامتين: غمامة من فوقها، وغمامة من تحتها، وهم ينظرون إليها حتى سقطت بين أيديهم، فبكى عيسى وقال: اللهم اجعلني من الشاكرين، ثم قام وتوضأ وصلى وبكى ثم كشف المنديل وقال: بسم الله خير الرازقين كلوا مما سألتم، فقالوا يا روح الله كن أنت أول من يأكل منها، فقال معاذ الله أن آكل منها يأكل منها ما سألها، فخافوا أن يأكلوا منها، فدعا لها أهل الفاقة والمرض والبرص والجذام والمقعدين فقال: كلوا من رزق الله، لكم الهناء ولغيركم البلاء، فأكلوا منها وهم ألف وثلثمائة رجل وامرأة، وفي رواية سبعة آلاف وثلثمائة، فلما أتموا الأكل طارت المائدة وهم ينظرون حتى توارت عنهم، ولم يأكل منها مريض أو زمن أو مبتلي إلا عوفي، ولا فقيراً إلا استغنى، وندم من لم يأكل منها، فمكثت تنزل أربعين صباحاً متوالية، وقيل يوماً بعد يوم. قوله: **(عليها سبعة أرغفة الخ)** هذه أشهر الروايات، وفي رواية خمسة أرغفة، على واحد زيتون، وعلى الثاني عسل، وعلى الثالث سمن، وعلى الرابع جبن، وعلى الخامس قديد وسمكة مشوية بلا فلوس ولا شوك، تسيل دسماً، وعند رأسها ملح، وعند ذنبها خل، وحولها من أصناف البقول ما خلا الكراث، فقال شمعون رأس الحواريين: يا روح الله أمن طعام الدنيا أم من طعام الآخرة؟ قال ليس منهما، ولكنه شيء اخترعه الله بالقدرة العالية، وفي رواية نزلت سمكة من السماء فيها طعم كل شيء. قوله: **(خبزاً ولحماً)** جمع بأن اللحم لحم سمك. قوله: **(فخانوا وادخروا الخ)** أي فسبب مسخهم خيانتهم وادخارهم أي مع كفرهم، وفي رواية إن سبب مسخهم أنه بعد تمام الأربعين يوماً من نزولها، أوحى الله إلى عيسى أن اجعل مائدتي هذه للفقراء دون الأغنياء، فتمارى الأغنياء في ذلك وعادوا الفقراء. قوله: **(فمسخوا)** أي فمسخ الله منهم ثلثمائة وثلاثين رجلاً باتوا ليلتهم مع نسائهم ثم أصبحوا خنازير، فلما أبصرت الخنازير عيسى بكت وجعل يدعوهم بأسمائهم فيشيرون برؤوسهم ولا يقدرون على الكلام، فعاشوا ثلاثة أيام وقيل سبعة وقيل أربعة ثم هلكوا. قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ﴾ معطوف على قوله: ﴿إذا قال الحواريون﴾ عطف قصة على قصة، وفي الحقيقة هو من أفراد سؤال الرسل فهو داخل تحت قوله ﴿يوم يجمع الله الرسل﴾ الخ، وإنما خصه بالذكر تقبيحاً وتشنيعاً عليهم لبشاعة عقيدتهم في نبيهم. قوله: **(في القيامة)** مشى المفسر والجمهور على أن ذلك القول إنما يقع يوم القيامة، وعليه فإذا بمعنى إذا، وقال بمعنى يقول، وإنما عبر بالماضي لاستواء الأزمان في علمه حالها وماضيها ومستقبلها، لأنه أحاط بكل شيء علماً، فلذا أتى بالماضي الذي يدل على تحقق الحصول، وقيل إن السؤال وقع في الدنيا بعد رفعه إلى السماء، وعليه فإذ، وقال على بابهما. قوله: **(توبيخاً لقومه)** جواب عما يقال إن الله تعالى عالم بكل شيء، فلم كان هذا السؤال؟ فأجاب بأن المقصود منه توبيخ من كفر، وهذا يؤيد ما قاله الجمهور، ويضعف الاحتمال الثاني. قوله: ﴿مِنْ دُونِ ٱللَّهِ﴾ متعلق بمحذوف صفة

﴿ مَا يَكُونُ ﴾ ما ينبغي ﴿ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ﴾ خبر ليس ولي للتبيين ﴿ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥۚ تَعْلَمُ مَا ﴾ أخفيه ﴿ فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَۚ ﴾ أي ما تخفيه من معلوماتك ﴿ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾ ﴿١١٦﴾ ﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ ﴾ وهو ﴿ أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾ رقيباً أمنعهم مما يقولون ﴿ مَّا دُمْتُ فِيهِمْۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي ﴾ قبضتني بالرفع إلى السماء

لإلهين، أي إلهين كائنين من غير الله، فالله ثالثهما، وليس المعنى أن عيسى وأمه إلهان فقط، والله ليس بإله، فإنهم لم يقولوا ذلك. قوله: **(قد أرعد)** أي أخذته الرعدة حتى خرج من كل شعرة عين دم كما في رواية. قوله: **(من الشريك وغيره)** أي كالصاحبة والولد. قوله: **﴿مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾** ما نافية، ويكون فعل مضارع، ولي جار ومجرور خبرها مقدم، وأن أقول في محل رفع اسمها مؤخر، وما اسم موصول وليس فعل ماض ناقص، واسمها مستتر هو عائد الموصول تقديره هو، وبحق خبرها، ولي للتبيين على حد سقياً لك ورعياً، والمعنى لا ينبغي ولا يجوز علي لأنك عصمتني أن أقول ما ليس حقاً منسوباً لي، وهذا أحسن الأعاريب. قوله **﴿إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ﴾** إن قلت: إن مدخول إن لا بد من كونه مستقبلاً، والقول والعلم متعلقهما ماض. أجيب: بأن الكلام على التقدير والمعنى أن يثبت أني قلته فقد تبين وظهر أن علمك متعلق به، لأنه يستحيل وقوع شيء لم يتعلق علم الله به، فحيث لم يتعلق علمه بما قال فلم يحصل ذلك منه، لأنه لا يقع شيء في ملكه إلا وهو عالم به. قوله: **﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي﴾** ليست علم هنا عرفانية، لأن المعرفة تستدعي سبق الجهل فهي هنا على بابها، ومفعولها الثاني محذوف تقديره منطوياً وثابتاً، والنفس بمعنى الذات، والمعنى تعلم حقيقة ذاتي وما انطوت عليه. قوله: **﴿وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾** أي لا أعلم حقيقة ذاتك وما احتوت عليه من الصفات، لأن من جهل ما قام بالذات فقد جهل الذات، فلا يعلم الله إلا الله، واعلم أنهم اختلفوا في إطلاق النفس على الله تعالى، فقيل لا يجوز إطلاقها عليه إلا في مقام المشاكلة، والحق أنه يجوز إطلاق النفس على الله من غير مشاكلة، إذ ورد إطلاقها في غير المشاكلة، قال تعالى: ﴿كتب ربكم على نفسه الرحمة ويحذركم الله نفسه﴾. قوله: **(أي ما تخفيه من معلوماتك)** أي كذاتك وصفاتك، فإن معلومات الله منها ما هو ظاهر لنا كالحوادث، ومنها ما هو خفي عنا، ولا يحيط بجميع ذلك إلا الله تعالى. قوله: **﴿إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ ٱلْغُيُوبِ﴾** دليل لمدليل، لأن قوله: **﴿إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَد عَلِمْتَهُ﴾** دعوى من عيسى ثم استدل عليها بقوله: **﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾** ودليل هذا أنه علام الغيوب، وأكد هذه الجملة بأن والضمير المنفصل وصيغة المبالغة والجمع مع أل الاستغراقية. قوله: **﴿إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ﴾** هذا استثناء مفرغ، وما اسم موصول في محل نصب هي وصلتها بالقول. قوله: **(وهو) ﴿أَنِ اعْبُدُوا ٱللَّهَ﴾** أشار بذلك إلى أن قوله أن اعبدوا الله في محل رفع خبر لمحذوف تقديره وهو أن اعبدوا. قوله: **﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً﴾** الجملة حالية. قوله: **(أمنعهم مما يقولون)** أي فلم تقع هذه المقالة منهم وهو بينهم وإنما ابتدعوها بعد رفعه. قوله: **﴿مَا دُمْتُ فِيهِم﴾** ما مصدرية ظرفية تقدر بمصدر مضاف إلى زمان وصلتها دام، ويجوز فيها التمام والنقصان، فإن كانت تامة كان معناها الإقامة، وفيهم متعلق بها وإن كانت ناقصة يكون قوله فيهم خبرها، فعلى الأول يصير المعنى وكنت عليهم شهيداً مدة إقامتي فيهم، وعلى الثاني وكنت عليهم شهيداً مدة دوامي مستقراً فيهم. قوله: **﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾** يستعمل التوفي في أخذ الشيء وافياً أي كاملاً، والموت

﴿ كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيۡهِمۡۚ ﴾ الحفيظ لأعمالهم ﴿ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ ﴾ من قولي لهم وقولهم بعدي وغير ذلك ﴿شَهِيدٌ﴾ ﴿١١٧﴾ مطلع عالم به ﴿ إِن تُعَذِّبۡهُمۡ ﴾ أي من أقام على الكفر منهم ﴿ فَإِنَّهُمۡ عِبَادُكَۖ ﴾ وأنت مالكهم تتصرف فيهم كيف شئت لا اعتراض عليك ﴿ وَإِن تَغۡفِرۡ لَهُمۡ ﴾ أي لمن آمن منهم ﴿ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ﴾ الغالب على أمره ﴿ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ ﴿١١٨﴾ في صنعه ﴿ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا ﴾ أي يوم القيامة ﴿ يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ في الدنيا كعيسى ﴿ صِدۡقُهُمۡۚ ﴾ لأنه يوم الجزاء ﴿ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ ﴾ بطاعته ﴿ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ﴾ بثوابه ﴿ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾ ﴿١١٩﴾ ولا ينفع الكاذبين في الدنيا صدقهم فيه كالكفار لما يؤمنون عند رؤية العذاب ﴿ لِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ خزائن المطر والنبات والرزق وغيرها ﴿ وَمَا فِيهِنَّۚ ﴾ أتى بما تغليباً لغير

نوع منه، قال تعالى: ﴿الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها﴾ وليس المراد الموت، بل المراد الرفع كما قال المفسر. قوله **(قبضتني بالرفع إلى السماء)** حاصل ما في المقام، أن هذه العقيدة، وقعت منهم بعد رفعه إلى السماء وتستمر إلى نزوله، ولم تقع منهم قبل رفعه، وأما بعد نزوله فلم يبق نصراني أبداً، بل إما الإسلام أو السيف، فتعين أن يكون معنى توفيتني رفعتني إلى السماء، ولو على القول بأن هذا السؤال واقع يوم القيامة، بل ذلك مما يؤيده تأمل. قوله: **(أي لمن آمن منهم)** دفع بذلك ما يقال إن المغفرة لا تكون للمشركين، فأجاب بأن المعنى وإن تغفر لمن آمن منهم، ولذا قال عيسى فيما تقدم: بأنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار. قوله: ﴿**يَوْمُ يَنْفَعُ**﴾ قرأ الجمهور برفعه من غير تنوين، وقرأ نافع بنصبه من غير تنوين، ونقل عن الأعمش النصب مع التنوين، وعن الحسن الرفع مع التنوين، فتوجيه القراءة الأولى: أن هذا مبتدأ، ويوم خبره، وجملة ينفع الصادقين صدقهم في محل جر بإضافة يوم إليها، وكذا القراءة الثانية، غير أن الظرف مبني لإضافته إلى الجملة الفعلية، وهو مذهب الكوفيين، ومذهب البصريين أنه منصوب على الظرفية متعلق بمحذوف خبره تقديره يقع يوم ينفع، وأما قراءة التنوين فالرفع على الخبرية والنصب على الظرفية كما قال البصريون، والجملة في محل رفع على الأول أو نصب على الثاني صفة لما قبلها. قوله: ﴿**الصَّادِقِينَ**﴾ **(في الدنيا)** أي فالصدق في الدنيا نافع في الآخرة، وأما الصدق في الآخرة فلا يفيد شيئاً، لتقدم الكذب في الدنيا كما سيأتي. قوله **(بطاعته)** أي بإقامته لهم في الطاعة، أو بسبب تلبسهم بامتثال مأموراته واجتناب منهياته، فالطاعة سبب لرضا الله ودليل عليه. قوله: ﴿**ورضوا عنه**﴾ أي بأن شكروا على نعمائه وصبروا على بلوائه، فرضا الله على عبد، توفيقه لخدمته في الدنيا وإدخاله جنته في الآخرة، ورضا العبد عن ربه في الدنيا صبره على أحكام ربه، وفي الآخرة قناعته بما أعطاه له من النعيم الدائم. قوله: **(بثوابه)** أي برؤية ثوابه لهم في الجنة، حيث أعطاهم ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. قوله: ﴿**ذٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ**﴾ اسم الإشارة يعود على الجنات وما بعدها. قوله: **(لما يؤمنون الخ)** أي كما في قوله تعالى: ﴿فلما رأوا بأساً قالوا آمنا بالله وحده﴾.

قوله: ﴿**مُلْكُ السَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ**﴾ تنبيه على فساد زعم الكفار أن لله شريكاً، فالمعنى أن الله مالك للسماوات والأرض وما فيهن فأين الشريك له، ولا يليق أن يكون شيء من ملكه شريكاً له. قوله:

العاقل ﴿ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌۢ ﴾ ﴿١٢٠﴾ ومنه إثابة الصادق وتعذيب الكاذب وخص العقل ذاته فليس عليها بقادر.

(تغليباً لغير العاقل) أي وإشارة إلى أن ما سواه في رتبة العبودية سواء ﴿إن كل من في السموات والأرض إلا آتى الرحمن عبداً﴾ فلا فرق بين عاقل وغيره في كونه مملوكاً لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً. قوله: **(وخص العقل ذاته الخ)** دفع بذلك ما يقال إن من جملة الأشياء ذاته فيقتضي أنه قادر على ذاته. فأجاب بذلك لأن القدرة إنما تتعلق بالممكنات لا بالواجبات ولا بالمستحيلات، فالمراد بالشيء الموجود الممكن.

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

سُورَةُ الأَنْعَامِ

مكيّة

إلا (وما قدروا الله) الآيات الثلاث وإلا (قل تعالوا) الآيات الثلاث وهي مائة وخمس أو ست وستون آية

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ ﴿ٱلۡحَمۡدُ﴾ وهو الوصف بالجميل ثابت ﴿لِلَّهِ﴾ وهل المراد

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الأنعام مكية

إلا (وما قدروا الله) الآيات الثلاث وإلا (قل تعالوا) الآيات الثلاث وهي مائة وخمس أو ست وستون آية

سميت بذلك لذكر الأنعام فيها، من باب تسمية الكل باسم الجزء، وهذه السورة نزلت جملة واحدة ما عدا الست آيات، ونزل معها سبعون ألف ملك، ولهم زجل بالتسبيح، ونزلت ليلاً فأمر ﷺ بكتابتها حينئذ، وحين نزولها صار ﷺ يسبح ويسجد حينئذ وكل ذلك تعظيماً لشأنها، لأن ما اشتملت عليه من التوحيد، وعدة جملة من الرسل تبين الحلال من الحرام في الأنعام لم يوجد في غيرها وورد أنها فاتحة التوراة، وخاتمتها قيل آخر هود، وقيل آخر الإسراء، وفيها آية نزلت ومعها أربعون ألف ملك وهي ﴿وعنده مفاتح الغيب﴾ الآية. وعن جابر أن رسول الله ﷺ قال: من قرأ ثلاث آيات من أول سورة الأنعام إلى ﴿ويعلم ما تكسبون﴾، وكل الله له أربعين ألف ملك يكتبون له مثل عبادتهم إلى يوم القيامة، وينزل ملك من السماء السابعة ومعه مرزبة من حديد، فإذا أراد الشيطان أن يوسوس له أو يوحي في قلبه شيئاً ضربه ضربة فيكون بينه وبينه سبعون حجاباً، فإذا كان يوم القيامة قال الله: امش في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي، وكل من ثمار جنتي، واشرب من الكوثر، واغتسل من السلسبيل، فأنت عبدي وأنا ربك. قوله: **(الآيات الثلاث)** أي إلى قوله ﴿تستكبرون﴾. قوله: **(وإلا)** ﴿قل تعالوا﴾ أي إلى قوله ﴿لعلكم تتقون﴾ هكذا مشى المفسر.

﴿**الْحَمْدُ**﴾. قوله: **(وهو)** أي الحمد بالمعنى اللغوي، وأما بالمعنى الاصطلاحي، فهو فعل ينبىء

الإعلام بذلك للإيمان به أو الثناء به أو هما احتمالات أفيدها الثالث قاله الشيخ في سورة الكهف ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾ خصهما بالذكر لأنهما أعظم المخلوقات للناظرين ﴿ وَجَعَلَ ﴾ خلق ﴿ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ﴾ أي كل ظلمة ونور وجمعها دونه لكثرة أسبابها وهذا من دلائل وحدانيته ﴿ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ مع قيام هذا الدليل ﴿ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ ⑴ يسوون غيره في العبادة ﴿هُوَ ٱلَّذِى

عن تعظيم المنعم بسبب كونه منعماً على الحامد أو غيره. قوله: (**الوصف بالجميل**) زاد بعضهم على جهة التعظيم والتبجيل لإخراج التهكم كقوله تعالى: ﴿ذق إنك أنت العزيز الكريم﴾. قوله: (**ثابت**) قدره إشارة إلى أن ﴿لله﴾ جار ومجرور متعلق بمحذوف خبر المبتدأ الذي هو الحمد. قوله: (**وهل المراد به الإعلام بذلك**) أي فتكون الجملة خبرية لفظاً ومعنى، وقوله (**أو الثناء به**) أي فهي خبرية لفظاً إنشائية معنى. قوله: (**أو هما**) أي فهي مستعملة في حقيقتها ومجازها، فالقصد إعلام العبيد للإيمان به، وإنشاء الثناء به، وهذا هو حمد القديم للقديم، وأل في الحمد يصح أن تكون للاستغراق أو الجنس أو العهد، واللام في لله للاستحقاق. قوله: (**قاله الشيخ**) أي الجلال المحلي.

قوله: ﴿**الَّذِي خَلَقَ**﴾ صفة لله، وتعليق الحكم بالمشتق يؤذن بالعلية، كأنه قيل الوصف بالجميل ثابت له لأنه الخالق للسماوات والأرض، والمراد بالسماوات ما علا، فيشمل العرش، والمراد بالأرض ما سفل، فيشمل ما تحتها، وقدم السماوات لأنها أشرف من الأرض، لكونها مسكن المطهرين لا غير، والأرض وإن كان فيها الأنبياء لكنها احتوت على الأشرار والمفسدين، ولأنها سابقة على الأرض كما في سورة النازعات، قال تعالى: ﴿أأنتم أشد خلقاً أم السماء بناها﴾ إلى أن قال: ﴿والأرض **بعد ذلك دحاها**﴾ ولا منافاة بين آية فصلت، وبين آية النازعات، فإن الأرض خلقت أولاً كرة، ثم خلقت السماوات من دخان كما دلت عليه آية فصلت، ثم بنى السماء ورفعها، وأغطش ليلها وأخرج ضحاها، والأرض بعد ذلك دحاها، وإنما جمع السماوات لاختلاف أجناسها، فإن الأولى من موج مكفوف، والثانية مرمرة بيضاء، والثالثة من حديد، والرابعة من نحاس، والخامسة من فضة، والسادسة من ذهب والسابعة من ياقوتة حمراء. وأما الأرض وإن كانت سبعاً أيضاً إلا أنها من جنس واحد. واختلف هل الأرض مداد وهو الصحيح، فالتعداد باعتبار أقطارها، وقيل طباق كالسماء، وأما السماء فهي طباق باتفاق. قوله: (**خلق**) أشار بذلك إلى أن ﴿**جَعَلَ**﴾ بمعنى خلق، فتنصب مفعولاً واحداً. قوله: (**أي كل ظلمة**) أي حسية كظلمة الليل والأجرام الكثيفة أو معنوية كالشرك والمعاصي. قوله: (**ونور**) أي حسي كالشمس والقمر والنجوم ومعنوي كالإسلام. قوله: (**لكثرة أسبابها**) أي الظلمة وأما النور فسببه واحد لا يتعدد، لأنه إما معنوي وسببه الإسلام، أو حسي وسببه النار.

قوله: ﴿**ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا**﴾ ثم للترتيب الرتبي أي فبعد أن عرفوا الحق سووا به غيره فهو استبعاد لما وقع منهم. قوله: ﴿**بِرَبِّهِمْ**﴾ يحتمل أنه متعلق بكفروا، وقوله ﴿**يَعْدِلُونَ**﴾ مفعوله محذوف قدره المفسر بقوله غيره ومعناه التسوية كما قاله المفسر، ويحتمل أن بربهم متعلق بيعدلون والباء بمعنى عن، والتقدير يميلون عن ربهم لغيره، من العدول وهو الميل عن طريق الهدى.

خَلَقَكُم مِّن طِينٍ﴾ بخلق أبيكم آدم منه ﴿ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا﴾ لكم تموتون عند انتهائه ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ مضروب ﴿عِندَهُۥ﴾ لبعثكم ﴿ثُمَّ أَنتُمْ﴾ أيها الكفار ﴿تَمْتَرُونَ﴾ ② تشكون في البعث بعد علمكم أنه ابتدأ خلقكم ومن قدر على الإبتداء فهو على الإعادة أقدر ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ﴾ مستحق للعبادة

قوله: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾ هذا من جملة الأدلة على كونه مستحقاً للحمد، كأنه قيل الوصف بالجميل لله لا لغيره، لأنه خلق السماوات والأرض والظلمات والنور، ولأنه خلقكم الخ. قوله: ﴿مِنْ طِينٍ﴾ من لابتداء الغاية، أي مبتدئاً نشأتكم من الطين. قوله: (**بخلق أبيكم آدم منه**) دفع بذلك ما يقال إنهم مخلوقون من النطفة لا من الطين، فأجاب بأن الكلام على حذف مضاف، وذلك الطين الذي خلق منه آدم فيه من كل لون، وعجن بكل ماء، فخلق الله أولاده مختلفة الألوان والأخلاق، فاختلاف الألوان من اختلاف ألوان طينة أبيهم، واختلاف الأخلاق من اختلاف المياه التي عجنت بها تلك الطينة، فما من أحد إلا وله جزء سرى له من أبيه، فالطبائع والأخلاق أصلها من آدم، فنسبة الطين لأولاده باعتبار نشأتها منه وسريانها فيهم، وقيل لا حذف في الآية بل كل إنسان مخلوق من الطين، لأنه ورد ما من مولود إلا ويذر على نطفته شيء من تراب تربته، فالنطفة عجنت بذلك التراب، فصدق على كل إنسان أنه مخلوق من الطين، وقيل إنه من الطين باعتبار أن النطفة ناشئة عن الغذاء، وهو ناشيء عن الطين.

قوله: ﴿ثُمَّ قَضَى﴾ يصح أن يكون بمعنى أظهر، فثم للترتيب الزماني، أي فبعد تمام خلقه يظهر أجله للملك الموكل بالرحم، أو بمعنى قدر فثم للترتيب الذكري، لأن للتقدير هو الإرادة المتعلقة بالأجل أزلاً فهي متقدمة على وجوده فالترتيب في الذكر فقط، واعلم أن كل إنسان له أجلان، أجل ينقضي بموته، وأجل ينقضي ببعثه، فابتداء أجل الموت من حين وجوده، وابتداء أجل البعث من حين موته، ومجموع الأجلين محتم لا يزيد ولا ينقص، وما ورد من زيادة العمر للبار الواصل للرحم، ونقصه للعاصي القاطع للرحم، قيل محمول على البركة وعدمها، وقيل بتداخل أحدهما في الآخرة، فالطائع يزداد له في أجل الدنيا وينقص من أجل البرزخ، وبالعكس للعاصي، وبه فسر قوله تعالى ﴿وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا في كتاب﴾ ويؤيد ذلك ما حكي أن داود عليه السلام كان له صديق قد دنا أجله، فأخبره جبريل بأنه لم يبق من أجله إلا خمسون يوماً، فأخبر داود صديقه بذلك، فتأهب حتى إذا جاء اليوم المتمم للخمسين، أخذ غذاءه وذهب لداود ليودعه، فمر بفقير فأعطاه غذاءه، فنزل جبريل على داود وأخبره بأن الله زاد في عمره خمسين سنة بسبب صدقته في ذلك اليوم، فلما ذهب إليه وجده مسروراً فأخبره بذلك.

قوله: ﴿وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ﴾ أجل مبتدأ ومسمى صفته وعنده خبره، وأضيف له سبحانه لأنه لا يعلم انتهاءه أحد غيره، وأما أجل الدنيا فهو في علم الملك، وبانقضائه يظهر للمخلوقات أيضاً. قوله: (**لبعثكم**) أي ينتهي اليه، وراء ذلك لا نهاية له. قوله: ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ﴾ أي ثم بعد ظهور تلك الآيات العظيمة، تشكون في البعث وتنكرونه، وأفاد المفسر أن هذه الآية رد لما أنكروه من البعث، وما قبلها رد للشرك الواقع من الكفار. قوله: (**فهو على الإعادة أقدر**) هذا بحسب العادة الجارية بأن القادر على الإبتداء قادر على الإعادة بالأولى، وإلا فالكل في قبضة قدرته سواء لا مزية للإعادة على الابتداء، لأنه إذا أراد شيئاً قال له كن فيكون.

﴿ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ ﴾ ما تسرون وما تجهرون به بينكم ﴿ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴾ ﴿٣﴾ تعملون من خير وشر ﴿وَمَا تَأْتِيهِم﴾ أي أهل مكة ﴿ مِّنْ ﴾ زائدة ﴿ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ ﴾ من القرآن ﴿ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴾ ﴿٤﴾ ﴿ فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ ﴾ بالقرآن ﴿ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنبَٰٓؤُا ﴾ عواقب ﴿ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ ﴿٥﴾ ﴿ أَلَمْ يَرَوْا ﴾ في أسفارهم إلى الشام وغيرها ﴿كَمْ ﴾ خبرية بمعنى كثيراً ﴿ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ ﴾ أمة من الأمم الماضية ﴿ مَّكَّنَّٰهُمْ ﴾

قوله: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ﴾ مبتدأ وخبر، والضمير عائد على المتصف بالأوصاف المتقدمة، و ﴿فِي السَّمٰوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ﴾ متعلق بوصف تضمنه ذلك العلم، لأن الله موضوع للذات الواجبة الوجود المستحقة لجميع المحامد، فيكون المعنى والله المستحق للعبادة في السماوات الخ، وهذا ما درج عليه المفسر، وبذلك يجاب عن آية﴿وهو الذي في السماء إله في الأرض إله﴾وقيل متعلق بنعت محذوف تقديره وهو الله المعبود في السماوات الخ، على حد قول ابن مالك: ومن المنعوت والنعت عقل.

يجوز حذفه. وقيل متعلق بيعلم والتقدير: يعلم سركم في السماوات والأرض وقيل متعلق بسركم وجهركم، ولكن يلزم عليه تقديم معمول المصدر عليه، إلا أن يقال يغتفر في الظروف والمجرورات ما لا يغتفر في غيرها. قوله: ﴿وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾ إن قلت إن الكسب لا يخرج عن السر والجهر والعطف يقتضي المغايرة أجيب: بأن المراد بالكسب ما يترتب عليه من الثواب والعقاب، والمعنى يعلم أفعالكم وأقوالكم السرية والجهرية، ويعلم جزاءها من ثواب وعقاب.

قوله: ﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ مِن آيَةٍ﴾ كلام مستأنف بيان لزيادة قبحهم وكفرهم بعد ظهور الآيات البينات. قوله: ﴿مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ من تبعيضية والآيات يحتمل أن يكون المراد بها القرآن، فإتيانها نزولها على رسول الله وعليه اقتصر المفسر أو الكونية كالمعجزات فالمراد بإتيانها ظهورها، والأحسن أن يراد ما هو أعم. قوله: ﴿إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ الجملة حالية من الضمير في تأتيهم، وقوله معرضين ضمنه معنى غافلين فعداه بعن، وإلا فالإعراض بمعنى الترك لا يتعدى بعن. قوله: ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا﴾ تفريع على ما قبله وتفصيل لبعضه. قوله (بالقرآن) أي وغيره من بقية المعجزات.

قوله: ﴿لَمَّا جَاءَهُمْ﴾ ظرف لقوله كذبوا. قوله: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ﴾ وعيد عظيم مرتب على تكذيبهم وهو لا يتخلف، لأن وعيد الكفار وعد حسن للمؤمنين فهو وعد باعتبار، ووعيد باعتبار آخر فعدم تخلفه باعتبار كونه وعداً، قال تعالى﴿وكان حقاً علينا نصر المؤمنين﴾. قوله: ﴿أَنْبَاءُ﴾ جمع نبأ وهو الخبر العظيم المزعج، وجمعه إشارة إلى تكرر الجزاء لهم في الدنيا ويوم القيامة. قوله: ﴿مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ﴾ ما اسم موصول وكانوا صلته، والمعنى فسوف يأتيهم جزاء الذي كانوا يستهزؤون به في العاجل بالقتل والأسر، والآجل بالعذاب الدائم في النار.

قوله: ﴿أَلَمْ يَرَوْا﴾ هذا إخبار من الله ببذل النصح لهم، ومع ذلك فلم يهتدوا، والهمزة داخلة على محذوف تقديره أعموا ورأى إما بصرية، وعليه درج المفسر حيث قال في أسفارهم إلى الشام وغيرها، وعليه فقوله ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا﴾ سدت مسد مفعولها أو علمية فتكون الجملة سدت مسد مفعوليها، والأحسن

أعطيناهم مكاناً ﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾ بالقوة والسعة ﴿مَا لَمْ نُمَكِّن﴾ نعط ﴿لَّكُمْ﴾ فيه التفات عن الغيبة ﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ﴾ المطر ﴿عَلَيْهِم مِّدْرَارًا﴾ متتابعاً ﴿وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَٰرَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ﴾ تحت مساكنهم ﴿فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ﴾ بتكذيبهم الأنبياء ﴿وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ﴾ ﴿٦﴾ ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا﴾ مكتوباً ﴿فِي قِرْطَاسٍ﴾ رق كما اقترحوه ﴿فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ﴾ أبلغ من عاينوه لأنه أنفى للشك ﴿لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ﴾ ما ﴿هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ ﴿٧﴾ تعنتاً وعناداً ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَآ﴾ هلا ﴿أُنزِلَ عَلَيْهِ﴾ على محمد ﷺ ﴿مَلَكٌ﴾ يصدقه ﴿وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا﴾ كما اقترحوا فلم يؤمنوا

الأول. قوله: **(وغيرها)** أي كاليمن، فإنه كان لهم رحلتان: رحلة في الصيف للشام، ورحلة في الشتاء لليمن، كما يأتي في سورة قريش. قوله: **(خبرية)** أي وهي مفعول مقدم لأهلكنا. قوله: **﴿مِنْ قَبْلِهِمْ﴾** أي قبل وجودهم أو قبل زمانهم، فالكلام على حذف مضاف. قوله: **﴿مِنْ قَرْنٍ﴾** بيان لكم، والقرن يطلق على الأمة وعليه درج المفسر، ويطلق على الزمان، واختلف في حده، فقيل مائة سنة وهو الأشهر، وقيل مائة وعشرون، وقيل ثمانون، وقيل ستون، وقيل أربعون، وقيل غير ذلك.

قوله: **﴿مَكَّنَّاهُمْ﴾** وصف للقرن، وجمعه باعتبار معناه، لأن القرن اسم جمع كرهط، وقوم لفظه مفرد، ومعناه جمع. قوله: **(بالقوة والسعة)** أي في الدنيا حتى صاروا ذوي شهامة وغنى عظيم، ومع ذلك فلم تغن عنهم أموالهم ولا أنفسهم من الله شيئاً. قوله: **(فيه التفات عن الغيبة)** أي ونكتته الاعتناء بشأن المخاطبين حيث خاطبهم مشافهة. قوله: **﴿وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَاراً﴾** وصف ثان للقرن. قوله: **﴿وَجَعَلْنَا الأَنْهَارَ﴾** وصف ثالث له، والمعنى أن من مضى من قبلكم من الأمم أعطيناهم القوة الشديدة في الجسم والسعة في الأموال والأولاد ومع ذلك فلم ينفعهم من ذلك شيء، فلا تأمنوا سطوتي بالأولى منهم. وقال الشاعر:

لا يأمن الدهر ذو بغي ولو ملكاً ... جنوده ضاق عنها السهل والجبل

قوله: **﴿وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِم قَرْناً﴾** كلام مستأنف دفع به ما يقال حيث هلك من هلك فقد خرب الكون، فأجاب بأنه كلما أهلك جماعة أتى بغيرهم، فإنه قادر على ذلك والقادر لا يعجزه شيء. قوله: **﴿قَرْناً﴾** هنا بالأفراد، وفي بعض الآيات بالجمع، والمعنى واحد، فإن المراد به الجنس وجمع آخرين باعتبار معنى القرن. قوله: **﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا﴾** شروع في بيان زيادة كفرهم وتسلية له ﷺ على عدم إيمانهم به، وهو رد لقول النضر بن الحرث، وعبد الله بن أبي أمية، ونوفل بن خويلد ﴿لن نؤمن لك حتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه﴾ ومعه أربعة من الملائكة يشهدون بأنك صادق. قوله: **(مكتوباً)** إشارة إلى أنه أطلق المصدر، وأراد اسم المفعول. قوله: **﴿قِرْطَاسٍ﴾** القراءة بكسر القاف لا غير، ويجوز في غير القرآن فتح القاف وضمها؛ ويقال قرطس كجعفر ودرهم، ما يكتب فيه مطلقاً رقاً أو غيره، فتفسيره له بالرق بفتح الراء على الأفصح تفسير بالأخص. قوله: **(كما اقترحوه)** أي اخترعوه من الآيات. قوله: **﴿إِنْ هٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾** إن نافية بمعنى ما، وهذا مبتدأ، وسحر خبره، ومبين صفته، والجملة مقول القول.

قوله: **﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ﴾** هذا من جملة عنادهم وكفرهم. قوله: **(فلم يؤمنوا)** مرتب على قوله: **﴿وَلَوْ أَنْزَلْنَا﴾** فهو من تتمة الشرط، والمعنى أن الله لو أجابهم بإنزال ملك ولم يؤمنوا لأهلكهم

﴿ لَّقُضِيَ ٱلْأَمْرُ ﴾ بهلاكهم ﴿ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴾ ﴿٨﴾ يمهلون لتوبة أو معذرة كعادة الله فيمن قبلهم من إهلاكهم عند وجود مقترحهم إذا لم يؤمنوا ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ﴾ أي المنزل إليهم ﴿ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ ﴾ أي الملك ﴿رَجُلًا ﴾ أي على صورته ليتمكنوا من رؤيته إذ لا قوة للبشر على رؤية الملك ﴿ وَ ﴾ لو أنزلناه وجعلناه رجلاً ﴿لَلَبَسْنَا ﴾ شبهنا ﴿عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴾ ﴿٩﴾ على أنفسهم بأن يقولوا ما هذا إلا بشر مثلكم ﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ ﴾ فيه تسلية للنبي ﷺ ﴿ فَحَاقَ ﴾ نزل ﴿ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ ﴿١٠﴾ وهو العذاب فكذا يحيق بمن استهزأ بك ﴿قُلْ ﴾ لهم ﴿سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴾ ﴿١١﴾ الرسل من هلاكهم بالعذاب ليعتبروا ﴿ قُل لِّمَن مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُل لِّلَّهِ ﴾ إن لم يقولوه لا جواب غيره ﴿ كَتَبَ ﴾ قضى ﴿عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ﴾

كمن قبلهم مع أنه قال ﴿وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم﴾فعدم إجابتهم رحمة بهم. قوله: ﴿**وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكاً**﴾ رد لقوله هلا كان رسولنا من الملائكة لا من البشر. قوله: (**أي على صورته**) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف أي صورة رجل، فالشبه في الصورة فقط. قوله: (**إذ لا قوة للشر على رؤية الملك**) أي ولذلك كان يأتي الأنبياء على صورة رجل، ولم ير الملك على صورته الأصلية أحد من البشر إلا رسول الله ﷺ مرتين: مر في الأرض عند غار حراء، ومرة في السماء عند سدرة المنتهى ليلة الإسراء. قوله: ﴿**وَلَلَبَسْنَا**﴾ جعله المفسر جواب شرط محذوف والواو داخلة على فعل الشرط المحذوف قدره بقوله: (**ولو جعلناه رجلاً**) والمناسب للمفسر الاقتصاد على ذلك، ويحذف قوله ﴿وَ﴾ (**لو أنزلناه**) ولبس بفتح الباء يلبس بكسرها، خلط يخلط والتبس اختلط واشتبه، وأما لبس بكسر الباء يلبس بفتحها سلك الثوب في العنق.

قوله: ﴿**وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ**﴾ فلا تحزن واصبر على أذاهم، فإن الله كافيك شرهم. قوله: (**فكذا يحيق بمن استهزأ بك**) أي لكن لا على الوجه الذي حاق بهم من عموم العذاب، بل بأخذ المتمرد بخصوصه، وقد فعل الله له ذلك. قال تعالى: ﴿وإنا كفيناك المستهزئين﴾. قوله: ﴿**قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ**﴾ هذا استشهاد على ما تقدم، كأنه قيل إن لم تصدقوا خبر ربكم بأنه حاق بالذين سخروا وكذبوا أنبياءهم العذاب فسيروا وعاينوا آثارهم. قوله: ﴿**ثُمَّ ٱنْظُرُوا**﴾ أتى بثم لأنه لا يحسن التفكر والاستدلال، ولا بثم إلا بعد تمام السير ومعاينة الآثار. قوله: ﴿**كَيْفَ**﴾ اسم استفهام خبر كان وعاقبة اسمها، وإنما قدم الخبر عليها وعلى اسمها، لأن اسم الاستفهام له الصدارة. قوله: (**ليعتبروا**) أي يتعظوا فبالسير والتفكر يحصل الاستدلال والنور التام، ومن هنا أخذت الصوفية السياحة، لأن من جملة ما يعين على الوصول إلى الله والترقي إلى المعارف النظر والتفكر في مصنوعاته، قال تعالى ﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق﴾.

قوله: ﴿**قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَٱلأَرْضِ**﴾ الجار والمجرور خبر مقدم، وما اسم موصول مبتدأ مؤخر، وفي السماوات والأرض صلة الموصول والأصل قل ما في السماوات والأرض لمن، وإنما قدم الخبر لأن اسم الاستفهام له الصدارة، وهذه حجة قاطعة لا يمكن ردها أبداً. قوله: ﴿**قُلْ لِلَّهِ**﴾ أي تقرير لهم وتنبيه على أنه المتعين للجواب بالإتفاق لقوله تعالى: ﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن

فضلاً منه وفيه تلطف في دعائهم إلى الإيمان ﴿لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ ليجازيكم بأعمالكم ﴿لَا رَيۡبَ﴾ شك ﴿فِيهِۚ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ﴾ بتعريضها للعذاب مبتدأ خبره ﴿فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ ﴿١٢﴾ ﴿وَلَهُۥ﴾ تعالى ﴿مَا سَكَنَ﴾ حل ﴿فِي ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ﴾ أي كل شيء فهو ربه وخالقه ومالكه ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لما يقال ﴿ٱلۡعَلِيمُ﴾ ﴿١٣﴾ بما يفعل ﴿قُلۡ﴾ لهم ﴿أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيّٗا﴾ أعبده ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ مبدعهما ﴿وَهُوَ يُطۡعِمُ﴾ يرزق ﴿وَلَا يُطۡعَمُۗ﴾ يرزق، لا ﴿قُلۡ إِنِّيٓ

الله﴾. قوله: (**لا جواب غيره**) في معنى التفريع أو التعليل، فالمناسب أن يقول فلا، أو لأنه لا جواب غيره.

قوله: ﴿**كَتَبَ ربكم عَلَى نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ**﴾ أي ألزم الرحمة لأنه وعد بها، ووعده لا يتخلف، فهي واجبة شرعاً لا عقلاً والرحمة هي النعمة، وهي عامة لكل مخلوق في الدنيا، قال تعالى ﴿ورحمتي وسعت كل شيء﴾ فمن رحمته إمهال العصاة والكفار، وترادف الرزق عليهم، وأما بعد استقرار الخلق في الدارين فتختص الرحمة بأهل الجنة، ويختص غضب الله بأهل النار. قوله: (**فضلاً منه**) رد بذلك على المعتزلة القائلين بأن الرحمة واجبة عقلاً على الله يستحيل تخلفها، إذ هو نقص، والنقص عليه محال. قوله: (**وفيه تلطف في دعائهم إلى الإيمان**) أي في ذكر الرحمة بهذا العنوان، فلا تقنطوا بل إذا تبتم قبلكم.

قوله: ﴿**لَيَجْمَعَنَّكُمْ**﴾ اللام موطئة لقسم محذوف، وهو كلام مستأنف مؤكد بالقسم والنون إشارة إلى أن ذلك الأمر لا بد منه. قوله: ﴿**إِلَى يَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ**﴾ يحتمل أن إلى على بابها متعلقة بمحذوف تقديره ليجمعنكم في القبور ويحشرنكم إلى يوم القيامة، ويحتمل أنها بمعنى اللام أو في أو زائدة. قوله: ﴿**لَا رَيْبَ فِيهِ**﴾ أي في الجمع يوم القيامة، أو في يوم القيامة الذي يحصل فيه الجمع. قوله: ﴿**ٱلَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ**﴾ الذين مبتدأ، وخسروا صلته، وأنفسهم مفعول لخسروا، وقوله: ﴿**فَهُمْ لَا يُؤمِنُونَ**﴾ مبتدأ وخبر، والجملة خبر المبتدأ. إن قلت: إن ظاهر الآية أن عدم الإيمان مسبب عن الخسران، مع أن الخسران مسبب عن عدم الإيمان. أجيب: بأن المعنى الذين خسروا أنفسهم في علم الله أي قضى عليهم بالخسران أزلاً، فهم لا يؤمنون فيها لا يزال، فالآية باعتبار ما في علم الله، وأما تسبب الخسران عن عدم الإيمان فبحسب ما يظهر للعباد. قوله: ﴿**وَلَهُ مَا سَكَنَ**﴾ هذا أيضاً من جملة أدلة التوحيد، زيادة في التشنيع على من كفر. قوله: (**حل**) أشار بذلك إلى أنه لا حذف في الآية، وعليه جمهور المفسرين، فمعنى حل وجد فيشمل الساكن والمتحرك، وقيل إن سكن من السكون ضد الحركة، وعليه ففي الآية حذف تقديره وما تحرك.

قوله: ﴿**قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ**﴾ رد لقولهم له كيف تترك دين آبائك، وغير مفعول أول لاتخذوا قدمه اعتناء بنفي الغيرية، ووليا مفعول ثان. قوله: (**أعبده**) تفسير لأتخذ، فالمراد بالولي هنا المعبود، ويطلق باشتراك على معان منها المعبود ولا يكون إلا الله، وهو قوله تعالى: ﴿فالله هو الولي﴾، ﴿الله ولي الذين آمنوا﴾ ويطلق على القريب والصاحب وعلى المنهمك في طاعة الله.

قوله: ﴿**فَاطِرِ**﴾ بدل من لفظ الجلالة أو نعت. إن قلت إن فاطر اسم فاعل وإضافته لفظية لا تفيده التعريف، ولفظ الجلالة أعرف المعارف، وشرط النعت موافقته لمنعوته في التعريف. أجيب بأن محل كون

أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ﴾ لله من هذه الأمة ﴿وَ﴾ قيل لي ﴿لَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ ﴿١٤﴾ به ﴿قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي﴾ بعبادة غيره ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ ﴿١٥﴾ هو يوم القيامة ﴿مَّن يُصْرَفْ﴾ بالبناء للمفعول أي العذاب وللفاعل أي الله والعائد محذوف ﴿عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُۥ﴾ تعالى أي أراد له الخير ﴿وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ﴾ ﴿١٦﴾ النجاة الظاهرة ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ﴾ ببلاء كمرض وفقر ﴿فَلَا كَاشِفَ﴾ رافع ﴿لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ﴾ كصحة وغنى ﴿فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ

إضافته لفظية إن كان معناه التجدد والحدوث، وأما هنا فهو من قبيل الصفة المشبهة، فيكون وصفاً ثابتاً له، وهذه الجملة كالدليل لما قبلها. قوله: (**مبدعهما**) أي موجدهما على غير مثال سبق، ففاطر من الفطرة وهي الخلقة، وفطر خلق وأنشأ، قال ابن عباس: ما كنت أدري ما معنى فطر وفاطر، حتى اختصم إلي أعرابيان في بئر، فقال أحدهما أنا فطرتها أي أنشأتها وابتدأتها. قوله: (**أي يرزق**) تفسير بالأعم، لأن المعنى يرزق مطعوماً أو غيره، فليس المراد من الآية قصره على المطعوم.

قوله: ﴿**وَلَا يُطْعَمُ**﴾ أي لأن المرزوق محتاج لمن يرزقه، وتنزه الله عن الاحتياج. قوله: ﴿**أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ**﴾ يحتمل أن من نكرة موصوفة، فجملة أسلم صفة. والمعنى أن أكون أول فريق أسلم، أو اسم موصول وما بعدها صلة، والتقدير أول الفريق الذي أسلم. وقوله: ﴿**أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ**﴾ الخ أي أمرني ربي أن أكون أول المسلمين، لأنه يجب عليه الإيمان بأنه رسول، وبما جاء به من الشرع والأحكام، فهو أول المسلمين على الاطلاق. قوله: ﴿**وَ**﴾ (**قيل لي الخ**) أشار بذلك إلى أن قوله ﴿**وَلَا تَكُونَنَّ**﴾ معمول لقول محذوف، والجملة معطوفة على جملة أمرت، والمعنى أمرني ربي بأن أكون أول من أسلم، ونهاني بقوله ﴿**وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ**﴾، وهذه الجملة لازمة لما قبلها. قوله: ﴿**عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ**﴾ معمول لأخاف، وجملة ﴿**إِنْ عَصَيْتُ**﴾ شرطية وجوابها محذوف دل عليه قوله: ﴿**أَخَافُ**﴾ وهي معترضة بين الفعل وهو أخاف، ومعموله وهو عذاب.

قوله: ﴿**من يصرف عنه**﴾ من اسم شرط، ويصرف فعل الشرط، ونائب الفاعل مستتر يعود على العذاب على القراءة الأولى، والفاعل الله على القراءة الثانية، وعنه جار ومجرور متعلق بيصرف. وقوله: ﴿**فَقَدْ رَحِمَهُ**﴾ جواب الشرط، وهو معنى قوله تعالى: ﴿فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز﴾. قوله: (**وللفاعل**) أي والمفعول محذوف تقديره العذاب، والمعنى من يصرف الله العذاب عنه يوم القيامة فقد رحمه، في ذلك تعريض بأن الكفار لا يرحمون لأنه لا يصرف عنهم العذاب قوله: (**والعائد محذوف**) الأوضح أن يقول والمفعول محذوف، وهو ضمير يعود على العذاب، لأن الضمير العائد على من مذكور بقوله عنه، وأيضاً لا يحتاج للعائد إلا الموصول، ومن هنا شرطية لا موصولة. قوله: ﴿**وَذَٰلِكَ**﴾ أي النجاة يوم القيامة.

قوله: ﴿**وَإِنْ يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ**﴾ هذا تأييد من الله لرسوله، فالمعنى لا تخش لومهم بل بلغ ما انزل اليك من ربك، فإن الله متولي أمرك، بيده الضر والنفع والمنع والإعطاء، فهم عاجزون ولا يقدرون على إيصال ضر ولا جلب نفع. قوله: (**كمرض وفقر**) أي وغلبة واحتياج. قوله: ﴿**فَلَا كَاشِفَ لَهُ**﴾ جواب الشرط، وفعله قوله يمسسك، ولا نافية للجنس، وكاشف اسمها مبني معها على الفتح في محل نصب،

شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ ⑰ ومنه مسك به ولا يقدر على رده عنك غيره ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ﴾ القادر الذي لا يعجزه شيء مستعلياً ﴿ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ﴾ في خلقه ﴿ ٱلْخَبِيرُ ﴾ ⑱ ببواطنهم كظواهرهم. ونزل لما قالوا للنبي ﷺ إيتنا بما يشهد لك بالنبوة فإن أهل الكتاب أنكروك ﴿ قُلْ ﴾ لهم ﴿ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ﴾ تمييز محول عن المبتدأ ﴿ قُلِ ٱللَّهُ ﴾ إن لم يقولوه لا جواب غيره هو ﴿ شَهِيدُۢ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ﴾ على صدقي ﴿ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم ﴾ أخوفكم يا أهل مكة ﴿ بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ﴾ عطف على ضمير أنذركم أي بلغه القرآن من الإنس والجن ﴿ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ ﴾

وخبرها محذوف تقديره أحد. قوله: ﴿إِلَّا هُوَ﴾ إلا أداة حصر وهو بدل من الضمير المستتر. قوله: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ﴾ جواب الشرط محذوف تقديره فلا راد لفضله، كما في آية يونس وإن يردك بخير فلا راد لفضله.

قوله: ﴿فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ دليل لكل من الجملتين. قوله: (**ومنه مسك به**) أي من النبوة وغيرها. قوله: (**مستعلياً**) أشار بذلك إلى أن قوله ﴿فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ ظرف متعلق بمحذوف حال من القاهر. قوله: ﴿فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ أي فوقية مكانة لا مكان، والمعنى أن صفاته فوق صفات غيره، لأن أوصافه كمالية، وأوصاف غيره ناقصة، فوصفه العز والعلم والاقتدار، ووصف غيره الذل والجهل والعجز، فكل وصف شريف كامل فهو لله، وكل وصف خسيس ناقص فهو لغيره. قوله: ﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ﴾ (**في خلقه**) أي يضع الشيء في محله. قوله: ﴿ٱلْخَبِيرُ﴾ أي فيعامل كل شخص بما يليق به. قوله: (**ونزل لما قالوا**) أي أهل مكة، فقالوا يا محمد ارنا من يشهد لك بالرسالة، فإننا سألنا اليهود والنصارى عنك فزعموا أنه ليس لك عندهم ذكر. قوله: (**إيتنا**) بقلب الهمزة الثانية ياء، قال ابن مالك:

ومدا ابدل ثاني الهمزين من ... كلمة إن يسكن كآثر وائتمن

قوله: (**تمييز محول عن المبتدأ**) أي والأصل شهادة أي شيء ما أكبر، فحذف المضاف، وأقيم المضاف اليه مقامه، وجعل مبتدأ وجعل المضاف تمييزاً. قوله: ﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾ مبتدأ خبره محذوف أي أكبر شهادة. وقوله: ﴿شَهِيدٌ﴾ خبر لمحذوف قدره المفسر فالكلام جملتان، ويحتمل أن الله مبتدأ خبره شهيد، فالكلام جملة واحدة. قوله: ﴿شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ المراد بشهادة الله إظهار المعجزات على يده، فإن المعجزات منزلة منزلة قول الله صدق عبدي في كل ما يبلغ عني.

قوله: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْآنُ﴾ هذا دليل لشهادة الله، والمعنى أن الله شهيد، لأن القرآن ناطق بالحجج القاطعة، وهو من عنده فلا يرد كيف اكتفى منه عليه الصلاة والسلام بقوله الله شهيد، مع أن ذلك لا يكفي من غيره والاقتصار على الانذار لأن الكلام مع الكفار، وبنى اوحي للمجهول للعلم بفاعله. قوله: (**عطف على ضمير أنذركم**) أي ﴿وَمَنْ﴾ موصولة، و﴿بَلَغَ﴾ صلتها، والتقدير وأنذر الذي بلغه القرآن. (**من الانس والجن**) أي إلى يوم القيامة، وفيه دلالة على عموم رسالته، واستمرارها من غير ناسخ إلى يوم القيامة.

استفهام إنكاري ﴿ قُل ﴾ لهم ﴿ لَّآ أَشْهَدُ ﴾ بذلك ﴿ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ معه من الأصنام ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ ﴾ أي محمداً بنعته في كتابهم ﴿ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ﴾ منهم ﴿ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ به ﴿ وَمَنْ ﴾ أي لا أحد ﴿ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴾ بنسبة الشريك إليه ﴿ أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ﴾ القرآن ﴿ إِنَّهُۥ ﴾ أي الشأن ﴿ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ بذلك ﴿ وَ ﴾ اذكر ﴿ يَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ ﴾

قوله: ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ﴾ اللام لام الابتداء زحلقت الخبر. قوله: (**استفهام إنكاري**) أي والمعنى لا يصح منكم هذه الشهادة لأن المعبود واحد. قوله: ﴿قُلْ آنَّما هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ إنما أداة حصر، وما كافة، وهو مبتدأ، وإله خبره، وواحد صفته، وهو زيادة في الرد عليهم، وهو من حصر المبتدأ في الخبر.

قوله: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾ أي اليهود والنصارى، فالمراد بالكتاب التوراة والإنجيل. قوله: (**أي محمداً**) تفسير للضمير في ﴿يَعْرِفُونَهُ﴾، ويصح أن يرجع الضمير للقرآن أو لجميع ما جاء به رسول الله من التوحيد وغيره. قوله: ﴿كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ﴾ أي معرفة كمعرفتهم لأبنائهم، وهذا من التنزلات الربانية، وإلا فهم يعرفونه أشد من معرفتهم لأبنائهم لما روي أن عمر بن الخطاب سأل عبد الله ابن سلام بعد إسلامه عن هذه المعرفة، فقال: يا عمر لقد عرفته حين رأيته كما أعرف ابني، ولأنا أشد معرفة بمحمد مني بابني، فقال عمر: كيف ذلك؟ فقال أشهد أنه رسول الله حقاً ولا أدري ما تصنع النساء. قوله: ﴿الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ مبتدأ والجملة نعت للذين آتيناهم الكتاب، ويؤيده قول المفسر منهم.

قوله: ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ خبر المبتدأ وقرن بالفاء لما في المبتدأ من معنى الشرط وهو العموم، والمعنى أن من سبق في علم الله خسرانه، فلا يتأتى له الإيمان في الدنيا، وذلك أن الله جعل لكل إنسان منزلاً في الجنة ومنزلاً في النار، فإذا كان يوم القيامة جعل الله للمؤمنين منازل أهل النار في الجنة، ولأهل النار منازل أهل الجنة في النار، وقد علمت مما تقدم أن المؤمن واحد من ألف، فتكون منازل الكفار التي يرثها المؤمنون في الجنة لكل واحد تسعمائة منزل وتسعة وتسعون تضم لمنزله، ومنازل المؤمنين التي تركت لأهل النار منزل من ألف يزاد لهم، فيؤخذ منه أن الجنة واسعة جداً، وأن النار ضيقة جداً لا سيما مع عظم جسم الكافر فيها، حيث يكون ضرسه كأحد. قال تعالى ﴿وجنة عرضها السموات والأرض﴾ وقال تعالى: ﴿وإذا ألقوا منها مكاناً ضيقاً مقرنين﴾. قوله: (**به**) أي بمحمد أو بالله أو بالقرآن أو بما جاء به محمد. قوله: (**أي لا أحد**) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري بمعنى النفي، والمعنى ليس أحد أظلم ممن فعل واحداً من الأمرين الافتراء والتكذيب، فما بالك بمن جمع بينهما كالمشركين وأهل الكتاب، فإن كلاً منهما وقع منه الأمران. قوله: ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ أي لا يفوزون بمطلوبهم. وقوله: (**بذلك**) أي بسبب ما ذكر وهو الافتراء أو التكذيب.

قوله: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ﴾ ظرف متعلق بمحذوف قدره المفسر، والضمير في نحشرهم عائد على الخلق مسلمهم وكافرهم، ويصح عوده على المشركين، فقوله بعد ذلك ﴿ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ إظهار في محل الإضمار زيادة في التشنيع عليهم. قوله: ﴿جَمِيعاً﴾ حال من ضمير نحشرهم. قوله: ﴿ثُمَّ نَقُولُ﴾ أتى

توبيخاً ﴿ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ ﴿٢٢﴾ أنهم شركـاء الله ﴿ ثُمَّ لَمْ تَكُن ﴾ بالتـاء والياء ﴿ فِتْنَتُهُمْ ﴾ بالنصب والرفع أي معذرتهم ﴿ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ﴾ أي قـولهم ﴿ وَٱللَّهِ رَبِّنَا ﴾ بـالجر نعت والنصب نداء ﴿ مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾ ﴿٢٣﴾ قال تعالى ﴿ ٱنظُرْ ﴾ يا محمد ﴿ كَيْفَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ﴾ بنفي الشرك عنهم ﴿ وَضَلَّ ﴾ غاب ﴿ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴾ ﴿٢٤﴾ ـه على الله من الشركاء ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ﴾ إذا قرأت ﴿ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً ﴾ أغطية لـ ﴿ أَن ﴾ لا ﴿ يَفْقَهُوهُ ﴾ يفهموا

بثم إشارة إلى أن السؤال بعد الحشر، والحشر يطول على الكفار قدر خمسين ألف سنة والمقصود من ذلك ردعهم وزجرهم لعلهم يؤمنون في الدنيا فتأمنون من ذلك اليوم وهوله، والقول إن كان على ألسنة الملائكة فظاهر، وإن كان من الله مباشرة ورد علينا قوله تعالى: ﴿ولا يكلمهم الله يوم القيامة﴾ وقد يجاب بأن المعنى لا يكلمهم كلام رضا ورحمة. **قوله**: ﴿**أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ**﴾ إن قلت: مقتضى هذه الآية أن الشركاء ليسوا حاضرين معهم، ومقتضى قوله تعالى ﴿واحشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله﴾ أنهم حاضرون معهم، فكيف الجمع بينهما؟ اجيب بأن السؤال واقع بعد التبري الكائن من الجانبين، وانقطاع ما بينهم من الأسباب والعلائق وأضيفوا لهم، لأن شركتها بتسميتهم وتقولهم. قال تعالى: ﴿وما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم﴾ الآية. قوله: (**أنهم شركاء لله**) قدره إشارة إلى أن مفعولي ﴿**تَزْعُمُونَ**﴾ محذوفان، وهذه الجملة سدت مسدهما. قوله: (**بالتاء والياء**) فعلى قراءة التاء يصح رفع ﴿**فِتْنَتُهُمْ**﴾ اسم تكن، و ﴿**إِلَّا أَنْ قَالُوا**﴾ خبرها ونصبها خبر تكن مقدم، وإلا أن قالوا اسمها مؤخر، ويتعين جر ﴿**رَبِّنَا**﴾ وعلى قراءة الياء إلا نصب فتنتهم خبر يكن مقدم، وإلا أن قالوا اسمها مؤخر، ويتعين نصب ربنا، فالقراءات ثلاث وكلها سبعية، خلافاً لما توهمه المفسر. قوله: (**أي معذرتهم**) أي جوابهم، وسماه فتنة لأنه كذب محض لا نفع به، بل به الفضائح.

قوله: ﴿**مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ**﴾ إن قلت: كيف الجمع بين ما هنا وبين قوله ولا يكتمون الله حديثاً. قلت: أولا ينكرون الإشراك ويحلفون على عدم وقوعه منهم، ثم يستشهد الله الأعضاء فتنطق الجوارح، فحينئذ يودون لو تسوى بهم الأرض ولا يكتمون الله حديثاً، فهم أولاً يظنون أن إنكارهم نافع، فحين تشهد أعضاؤهم يتمنون أن لو كانوا أتراباً ولم يكتموا شيئاً. قوله: ﴿**عَلَى أَنْفُسِهِمْ**﴾ إنما نسبه لهم وإن كان في الحقيقة كذباً على الله، لأن ضرره عاد إليهم. قوله: (**من الشركاء**) بيان لما.

قوله: ﴿**وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ**﴾ سبب نزولها: أنه اجتمع أبو سفيان وأبو جهل والوليد بن المغيرة والنضر بن الحرث وعتبة وشيبة ابنا ربيعة وأمية بن خلف والحرث بن عامر، يستمعون القرآن فقالـوا للنضر: يا أبا قتيبة ما يقول محمد؟ قال ما أدري ما يقول، غير أني أراه يحرك لسانه ويقول أساطير الأولين، مثل ما كنت أحدثكم عن القرون الماضية، وكان النضر كثير الحديث عن القرون الماضية وأخبارها، فقال أبو سفيان: إني أرى بعض ما يقول حقاً، فقال أبو جهل: كلا لا نقر بشيء من هذا، وفي رواية الموت أهون علينا من هذا. وأفرد يستمع مـراعاة للفظ من، وسيأتي في يونس مراعاة معناها، والحكمة في مراعاة لفظها هنا، أن ما هنا في قوم قليلين، وفيما يأتي في الكفار جميعاً. قوله: ﴿**أَكِنَّةً**﴾ جمع كنان وهو الوعاء

القرآن ﴿ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٗاۚ ﴾ صمماً فلا يسمعونه سماع قبول ﴿ وَإِن يَرَوۡاْ كُلَّ ءَايَةٖ لَّا يُؤۡمِنُواْ بِهَاۚ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ ﴾ ما ﴿ هَٰذَآ ﴾ القرآن ﴿ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ﴾ أكاذيب ﴿ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴾ ٢٥ كالأضاحيك والأعاجيب جمع أسطور بالضم ﴿ وَهُمۡ يَنۡهَوۡنَ ﴾ الناس ﴿ عَنۡهُ ﴾ عن اتباع النبي ﷺ ﴿ وَيَنۡـَٔوۡنَ ﴾ يتباعدون ﴿ عَنۡهُۖ ﴾ فلا يؤمنون به وقيل نزلت في أبي طالب كان ينهى عن أذاه ولا يؤمن به ﴿ وَإِن ﴾ ما ﴿ يُهۡلِكُونَ ﴾ بالنأي عنه ﴿ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ ﴾ لأن ضرره عليهم ﴿ وَمَا يَشۡعُرُونَ ﴾ ٢٦ بذلك ﴿ وَلَوۡ تَرَىٰٓ ﴾ يا محمد ﴿ إِذۡ وُقِفُواْ ﴾ عرضوا ﴿ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيۡتَنَا ﴾ للتنبيه ﴿ لَيۡتَنَا نُرَدُّ ﴾ إلى الدنيا ﴿ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ ٢٧ برفع الفعلين استئنافاً

الجامع الذي يحفظ فيه الشيء ويجمع على أكنان، والمراد بها هنا الغطاء الساتر. قوله: **(فلا يسمعونه)** أي القرآن. قوله: **﴿حَتَّى إِذَا جَاؤُكَ﴾** حتى ابتدائية. وقوله: **﴿يُجَادِلُونَكَ﴾** حال من الواو في جاؤوك. وقوله: **﴿يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾** جواب إذا. قوله: **(كالأضاحيك)** جمع أضحوكة بالضم، وكذا **(الأعاجيب)** أي فالمشهور أن أساطير في جمعه ومفرده كالأضاحيك والأعاجيب. قوله: **﴿هُمْ يَنْهَوْنَ﴾** أي الكفار ينهون عن اتباع النبي، أو عن سماع القرآن. قوله: **(أي عن اتباع النبي)** أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف. قوله: **(وقيل نزلت في أبي طالب)** أي وعليه فجمع الضمير باعتبار اتباعه. قوله: **(كان ينهى عن أذاه)** أي وكان يخاطب النبي عليه الصلاة والسلام بقوله:

ولقد علمت بأن دين محمد ... من خير أديان البرية دينا
لولا الملامة أو حذار مسبة ... لوجدتني سمحا بذاك مبينا
فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة ... حتى أوسد في التراب رهينا

وهذا القول لابن عباس وعمرو بن دينار وسعيد بن جبير، والقول بأنها نزلت في المشركين لجماعة منهم الكلبي والحسن، والأقرب لسياق ما قبلها وما بعدها المعنى الأولى فتأمل. قوله: **(بذلك)** أي بإهلاكهم أنفسهم، قوله: **﴿وَلَوْ تَرَى﴾** المقصود من ذلك حكاية ما سيقع من الكفار يوم القيامة وتسلية للنبي وأصحابه، والمعنى لو تبصر بعينك يا محمد ما يقع لهؤلاء في الآخرة، لرأيت أمراً عظيماً تتسلى به عن الدنيا، فالخطاب لسيدنا محمد كما قال المفسر. إن قلت: هذا يقتضي أن رسول الله لم يطلع على ذلك، مع أنه لم يخرج من الدنيا حتى أحاط بوقائع الدنيا والآخرة. أجيب: بأن هذا قبل إعلام الله له بالآخرة. وأجيب أيضاً بأن الخطاب له والمراد غيره، ورأى إما بصرية وهو الأقرب أو قلبية، والمعنى لو صرفت فكرك الصحيح في تدبير حالهم لازددت يقيناً، ولو يحتمل أنها حرف امتناع، فيكون قوله ترى بمعنى رأيت، وإذ على بابها من المعنى، فيكون عبر بالماضي لتحقق الحصول، ويحتمل أنها بمعنى إن الشرطية وإذ بمعنى إذا، فيكون مستقبلاً، والأقرب الأول. قوله: **(للتنبيه)** أي لدخولها على الحرف.

قوله: **﴿لَيْتَنَا نُرَدُّ﴾** ليت حرف تمن، ونا اسمها، وجملة نرد خبرها. قوله: **(برفع الفعلين استئنافاً)** أي واقع في جواب سؤال مقدر تقديره ماذا تفعلون لو رددتم، فقوله **﴿وَلَا نُكَذِّبَ﴾** خبر محذوف تقديره

ونصبهما في جواب التمني ورفع الأول ونصب الثاني وجواب لو رأيت أمراً عظيماً قال تعالى ﴿ بَلْ ﴾ للإضراب عن إرادة الإيمان المفهوم من التمني ﴿ بَدَا ﴾ ظهر ﴿ لَهُم مَّا كَانُواْ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ ﴾ يكتمون بقولهم والله ربنا ما كنا مشركين بشهادة جوارحهم فتمنوا ذلك ﴿ وَلَوْ رُدُّواْ ﴾ إلى الدنيا فرضاً ﴿ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ ﴾ من الشرك ﴿ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾ ﴿٢٨﴾ في وعدهم بالإيمان ﴿ وَقَالُوٓاْ ﴾ أي منكر والبعث ﴿ إِنْ ﴾ ما ﴿ هِيَ ﴾ أي الحياة ﴿ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴾ ﴿٢٩﴾ ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ ﴾ عرضوا ﴿ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ﴾ لرأيت أمراً عظيماً ﴿ قَالَ ﴾ لهم على لسان الملائكة توبيخاً ﴿ أَلَيْسَ هَٰذَا ﴾ البعث والحساب ﴿ بِٱلْحَقِّ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ﴾ إنه لحق ﴿ قَالَ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ ﴿٣٠﴾ به في الدنيا ﴿ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ ﴾ بالبعث ﴿ حَتَّىٰٓ ﴾ غاية للتكذيب ﴿ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ ﴾ القيامة ﴿ بَغْتَةً ﴾ فجأة ﴿ قَالُواْ يَٰحَسْرَتَنَا ﴾ هي شدة التألم ونداؤها مجاز أي

ونحن لا نكذب، وكذا قوله ﴿وَنَكُونَ﴾. قوله: **(وبنصبهما في جواب التمني)** أي بأن مضمرة بعد واو المعية، أن وما دخلت عليه في تأويل مصدر معطوف على مصدر مصيد من الكلام السابق، وتقدير الكلام فقالوا نتمنى على الله ردنا مع عدم تكذيب منا وحصول إيمان. قوله: **(ورفع الأول)** أي على الاستئناف. وقوله: **(ونصب الثاني)** أي بأن مضمرة وجوباً بعد واو المعية في جواب التمني، وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر معطوف على مصدر مصيد من الكلام السابق، تقديره نتمنى على الله مع كوننا من المؤمنين، وجملة ولا نكذب معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه، فهذه قراءات ثلاث وكلها سبعية، وقرىء شذوذاً بنصب الأول ورفع الثاني وتوجيهه كما علمت. قوله: **(للإضراب)** أي الإبطالي، والمعنى ليس الأمر كما قالوا من أنهم لو ردوا لآمنوا، بل إنما حملهم على ذلك فضيحتهم بشهادة أعضائهم. قوله: **﴿مَا كَانُوا يُخْفُونَ﴾** أي وهو الشرك. قوله: **(بقولهم)** الباء سببية. قوله: **(بشهادة جوارحهم)** متعلق ببدا. قوله: **(فتمنوا ذلك)** أي فراراً من العذاب لا محبة في الإيمان.

قوله: **﴿لَعَادُوا﴾** جواب لو. قوله: **(في وعدهم بالإيمان)** أي الذي وقع منهم بالتمني. قوله: **﴿وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا﴾** يحتمل أنه معطوف على لعادوا، فهو من جملة جواب له، ويحتمل أنه كلام مستأنف في خصوص منكري البعث وهذا هو المتبادر من المفسر، وإن نافية بمعنى ما، وهي مبتدأ، وحياتنا خبره والمعنى أنهم قالوا ليس لنا حياة غير هذه الحياة التي نحن فيها، وما نحن بمبعوثين بعد الموت. قوله: **﴿عَلَى رَبِّهِمْ﴾** أي على حسابه وسؤاله، فالكلام على حذف مضاف.

قوله: **﴿قَالَ﴾ (لهم)** أي لمنكري البعث الذين قالوا **﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا﴾**. قوله: **(على لسان الملائكة)** دفع بذلك ما يقال إن الله لا ينظر اليهم ولا يكلمهم. قوله: **﴿قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا﴾** جواب مؤكد باليمين. قوله: **﴿بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾** أي بسبب الذي كنتم تكفرون به أو بسبب كفركم. قوله: **(غاية للتكذيب)** أي لا للخسران فإنه لا غاية له. قوله **﴿السَّاعَةُ﴾** المراد بها مقدمات الموت، فالمراد أن حزنهم الدائم يحصل لهم عند خروج أرواحهم. قوله: **﴿بَغْتَةً﴾** حال من فاعل جاءتهم، والتقدير جاءتهم مباغتة، أو من مفعوله، والتقدير جاءتهم حال كونهم مبغوتين. قوله: **﴿يَا حَسْرَتَنَا﴾** يا حرف نداء،

هذا أوانك فاحضري ﴿ عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا ﴾ قصرنا ﴿ فِيهَا ﴾ أي الدنيا ﴿ وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ﴾ بأن تأتيهم عند البعث في أقبح صورة وأنتنه ريحاً فتركبهم ﴿ أَلَا سَاءَ ﴾ بئس ﴿ مَا يَزِرُونَ ﴾ ﴿٣١﴾ يحملون حملهم ذلك ﴿ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ﴾ أي الاشتغال بها ﴿ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ﴾ وأما الطاعات وما يعين عليها فمن أمور الآخرة ﴿ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ ﴾ وفي قراءة ولدار الآخرة أي الجنة ﴿ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ ﴾ الشرك ﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ ﴿٣٢﴾ بالياء والتاء ذلك فيؤمنون ﴿ قَدْ ﴾ للتحقيق ﴿ نَعْلَمُ إِنَّهُ ﴾ أي الشأن ﴿ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ ﴾ لك من التكذيب ﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ ﴾ في

وحسرتنا منادى منصوب بفتحة ظاهرة لأنه مضاف لنا. قوله: (**هي شدة التألم**) أي التلهف والتحسر على ما فات. قوله: (**ونداؤها مجاز**) أي تنزيلاً لها منزلة العاقل، لأنه لا ينادى حقيقة إلا العاقل، والمقصود التنبيه على أن هذا الكافر من شدة هوله لم يفرق بين خطاب العاقل وغيره، ومثله، يا ويلنا فتأمل.

قوله: ﴿**عَلَى مَا فَرَّطْنَا**﴾ أي من الأعمال الصالحة في الدنيا. قوله: ﴿**وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ**﴾ لجملة حالية من الواو في قالوا. قوله: (**بأن تأتيهم الخ**) ورد أن المؤمن إذا خرج من قبره استقبله أحسن شيء صورة وأطيب ريحاً، فيقول: هل تعرفني؟ فيقول لا، فيقول أنا عملك الصالح فاركبني فقد طال ما ركبتك في الدنيا، فذلك قوله تعالى﴿يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفداً﴾يعني ركباناً، وأما الكافر فيستقبله أقبح شيء صورة وأنتنه ريحاً، فيقول: هل تعرفني؟ فيقول لا فيقول أنا عملك الخبيث طالما ركبتني في الدنيا فأنا أركبك فذلك قوله تعالى﴿وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم﴾. قوله: (**أي الاشتغال فيها**) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف، والمعنى أن الاشتغال في الحياة الدنيا عن خدمة الله وطاعته لعب ولهو، وليس المراد أن مطلق الحياة الدنيا لعب ولهو، بل ما قرب منها إلى الله فهو مزرعة للآخرة، وما أبعد منها عنه فهو حسرة وندامة.

قوله: ﴿**خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ**﴾ أي لأن منافعها خالصة من الكدورات وعزها دائم. قوله: ﴿**أَفَلا تَعْقِلُونَ**﴾ الهمزة داخلة على محذوف، والفاء عاطفة على ذلك المحذوف، والتقدير ألا يتفكرون فلا يعقلون. قوله: (**بالياء والتاء**) أي فهما قراءتان سبعيتان.

قوله: ﴿**قَدْ نَعْلَمُ**﴾ المقصود من هذه الآية وما بعدها تسلية النبي ﷺ على ما وقع من الكفار من التكذيب وغيره، وتهديد لهم لعلهم يرجعون، وقد للتحقيق، نظير قوله تعالى﴿قد يعلم الله المعوقين﴾. قوله: ﴿**إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ**﴾ بكسر الهمزة لدخول اللام المعلقة لنعلم عن العمل في حيزها، قال ابن مالك:

وكسروا من بعد فعل علقا ... باللام كاعلم إنه لذو تقى

وإن حرف توكيد، والهاء اسمها، واللام لام الابتداء زحلقت للخبر لئلا يتوالى حرفا تأكيد، ويحزنك خبرها، و﴿**الَّذِي**﴾ فاعل يحزن و﴿**يَقُولُونَ**﴾ صلتها، والعائد محذوف تقديره يقولونه، والجملة من إن واسمها وخبرها في محل نصب سدت مسد مفعولي نعلم، فإن التعليق إبطال العمل لفظاً لا محلاً كما هو مقرر. قوله: ﴿**فَإِنَّهُمْ لا يُكَذِّبُونَكَ**﴾ الفاء للتعليل، والمعنى لا تحزن من تكذيبهم لك، واصبر ولا تكن في ضيق مما يمكرون، فإنهم لا يكذبونك في الباطن، بل يعتقدون صدقك، وإنما تكذيبهم عناد

السر لعلمهم أنك صادق وفي قراءة بالتخفيف أي لا ينسبونك إلى الكذب ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ وضعه موضع المضمر ﴿بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ القرآن ﴿يَجۡحَدُونَ﴾ ﴿٣٣﴾ يكذبون ﴿وَلَقَدۡ كُذِّبَتۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِكَ﴾ فيه تسلية للنبي ﷺ ﴿فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمۡ نَصۡرُنَاۚ﴾ بإهلاك قومهم فاصبر حتى يأتيك النصر بإهلاك قومك ﴿وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ﴾ مواعيده ﴿وَلَقَدۡ جَآءَكَ مِن نَّبَإِيْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ ﴿٣٤﴾ ما يسكن به قلبك ﴿وَإِن كَانَ كَبُرَ﴾ عظم ﴿عَلَيۡكَ إِعۡرَاضُهُمۡ﴾ عن الإسلام

وجحود. قوله: **(في السر)** دفع بذلك ما يقال إن بين ما هنا وبين قوله: ﴿**وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ آللهِ يَجْحَدُونَ**﴾ تنافياً، وحاصل الجواب أن المنفي التكذيب في السر، والمثبت التكذيب في العلانية. قوله: **(وفي قراءة بالتخفيف)** أي مع ضم الياء وسكون الكاف وهي سبعية أيضاً. قوله: **(أي لا ينسبونك إلى الكذب)** هذا يناسب كلاً من القراءتين، والمعنى لا يعتقدون تكذيبك باطناً، ولذا قال أبو جهل للنبي ﷺ: إنا لا نكذبك، ولكن نكذب الذي جئت به. قوله: **(وضعه موضع المضمر)** أي زيادة في التقبيح والتشنيع عليهم. قوله: ﴿**يَجْحَدُونَ**﴾ الجحد الإنكار مع العلم، والمعنى أنهم أنكروا آيات الله مع علمهم بأن ما جاء به صدق. قوله: **(يكذبونك)** أي في العلانية قوله: **(فيه تسلية)** وذلك لأن البلوى إذا عمت هانت.

قوله: ﴿**فَصَبَرُوا**﴾ الفاء سببية، وصبروا معطوف على ﴿**كُذِّبَتْ**﴾. قوله: ﴿**عَلَى مَا كُذِّبُوا**﴾ متعلق بصبروا، والمعنى صبروا على تكذيبهم. قوله: ﴿**وَأُوذُوا**﴾ يصح عطفه على كذبت، والمعنى كذبت وأوذوا فصبروا، ويصح عطفه على صبروا، والمعنى كذبت رسل فصبروا وأوذوا مع حصول الصبر منهم، ويصح عطفه على قوله ما كذبوا، والمعنى صبروا على تكذيبهم وإيذائهم. قوله: ﴿**حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا**﴾ غاية في الصبر، والمعنى غاية صبرهم نصر الله لهم. قوله: **(مواعيده)** أي مواعيد الله بالنصر، قال تعالى: ﴿ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين إنهم لهم المنصورون﴾، وقال تعالى: ﴿كتب الله لأغلبن أنا ورسلي﴾.

قوله: ﴿**وَلَقَدْ جَاءَكَ**﴾ اللام موطئة لقسم محذوف، وجاء فعل ماض، والفاعل محذوف يعلم من السياق قدره المفسر بقوله ما يسكن به قلبك، وقوله ﴿**مِنْ نَّبَإِىْ ٱلْمُرْسَلِينَ**﴾ بيان للمحذوف، ويحتمل أن من زائدة على مذهب الأخفش ونبأ المرسلين فاعل، ويحتمل أن من اسم بمعنى بعض هي الفاعل، والمعنى ولقد جاءك بعض أخبار المرسلين الذين كذبوا أوذوا فصبروا، فتسل ولا تحزن فإن الله ناصرك كما نصرهم.

قوله: ﴿**وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ**﴾ سبب نزولها: أن الحرث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف جاء رسول الله ﷺ في نفر من قريش، فقالوا يا محمد ائتنا بآية من عند الله كما كانت الأنبياء تفعل فإنا نصدقك، فأبى الله أن يأتيهم بآية مما اقترحوا فأعرضوا عنه، فشق ذلك عليه لما أنه شديد الحرص على إيمان قومه، فكان إذا سألوه آية يود أن ينزلها الله طمعاً في إيمانهم فنزلت. وإن حرف شرط، وكان فعل ماض فعل الشرط، واسمها ضمير الشأن، وكبر فعل ماض، وإعراضهم فاعله، والجملة خبر كان، والأقرب أن إعراضهم اسم كان مؤخراً، وجملة كبر خبرها مقدم، وفاعل كبر ضمير يعود على إعراضهم، وهو وإن كان مؤخراً لفظاً إلا أنه مقدم رتبة.

لحرصك عليهم ﴿ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ نَفَقًا ﴾ سرباً ﴿ فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا ﴾ مصعداً ﴿ فِى ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ ۚ ﴾ مما اقترحوا فافعل المعنى أنك لا تستطيع ذلك فاصبر حتى يحكم الله ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ﴾ هدايتهم ﴿ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ۚ ﴾ ولكن لم يشأ ذلك فلم يؤمنوا ﴿ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ ٣٥ بذلك ﴿ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ﴾ دعاءك إلى الإيمان ﴿ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ ﴾ سماع تفهم واعتبار ﴿ وَٱلْمَوْتَىٰ ﴾ أي الكفار شبههم بهم في عدم السماع ﴿ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ﴾ في الآخرة ﴿ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ ٣٦ يردون

قوله: ﴿فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ﴾ هذه الجملة شرطية، وجوابها محذوف تقديره فافعل، والشرط وجوابه جواب الشرط الأول، والمعنى إن عظم عليك إعراضهم، ولم تكتف بالمعجزات التي ظهرت على يديك فإن استطعت أن تأتيهم بآية فافعل. قوله: (سرباً) بفتحات شق في الأرض، والنفق السرب النافذ في الأرض، ومنه النافقاء أحد أبواب حجرة اليربوع، وذلك أن اليربوع يحفر في الأرض سرباً ويجعل له بابين أو ثلاثة، النافقاء والقاصعاء والرامياء، ثم يدقق بالحفر ما يقارب وجه الأرض، فإذا نابه أمر، دفع تلك القشرة الدقيقة وخرج. والمعنى إن شئت أن تتحيل على إتيان آية لقومك على طبق ما اقترحوا فافعل، وهذا عتاب لرسول الله على التعلق بإيمانهم، وترق له إلى المقام الأكمل الذي هو التسليم له.

قوله: ﴿فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ﴾ أي من تحت الأرض أو من فوق السماء. قوله: **(هدايتهم)** أي جمعهم على الهدى. قوله: **(ولكن لم يشأ ذلك)** هذا استثناء نقيض المقدم، فينتج نقيض التالي إن كان بينهما تساوٍ كما هنا، نظير لو كانت الشمس طالعة كان النهار موجوداً، وقد أشار لمعنى النتيجة بقوله فلم يؤمنوا، وإلا فالنتيجة فلم يجمعهم على الهدى. قوله: **﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَاهِلِينَ﴾** أي الذين لا تسليم لهم، فلا تتعب نفسك في تطلب ما اقترحوه فإنهم لا يؤمنون.

قوله: **﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾** هذا من جملة التسلية لرسول الله، والمعنى لا تحزن على عدم إيمانهم، فإنما يستجيب لك ويمتثل أمرك، ويقبل المواعظ الذين يسمعون سماع قبول، والذين لا يسمعون يبعثهم الله فيجازيهم على ما صدر منهم، فللنار أهل، وللجنة أهل، فمن خلق الله فيه الهدى انتفع بالمواعظ وآمن، ومن خلق فيه الضلال فلا تزيده المواعظ والآيات إلا ضلالاً، وهذه الآية في الحقيقة استدراك على قوله: **﴿وَلَوْ شَاءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَى﴾**. فالمعنى لم يشأ جمعهم على الهدى، بل قسم الخلق قسمين: قسم للجنة، وقسم للنار. قوله: **(دعاءك إلى الإيمان)** هذا هو مفعول يستجيب، والسين والتاء لتأكيد الإجابة، والمراد بالذين يسمعون من سبقت لهم السعادة في الأزل، فما يظهر منهم من الإيمان هو على طبق ما سبق. قوله: **(أي الكفار)** أشار بذلك إلى أن قوله **﴿وَٱلْمَوْتَى﴾** مقابل قوله **﴿الَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾**.

قوله: **﴿يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ﴾** أي يحييهم، وقوله **(في الآخرة)** إشارة للحشر، أن المراد بالبعث الإحياء بعد الموت، وهذا هو الأقرب، وقيل معنى يبعثهم يحيي قلوبهم بالإيمان، فهو بشارة لرسول الله بأن أعداءه يؤمنون، ولكن يرده الحصر المتقدم، وأيضاً من آمن فهو داخل في قوله الذين يسمعون. قوله: **(بأعمالهم)** الباء إما سببية أو بمعنى على، والمراد بالأعمال الكفر والمعاصي، وقوله: **﴿ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾** أي يوقفون

فيجازيهم بأعمالهم ﴿ وَقَالُواْ ﴾ أي كفار مكة ﴿ لَوْلَا ﴾ هلا ﴿ نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾ كالناقة والعصا والمائدة ﴿ قُلْ ﴾ لهم ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ﴾ بالتشديد والتخفيف ﴿ ءَايَةً ﴾ مما اقترحوا ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ﴿٣٧﴾ أن نزولها بلاء عليهم لوجوب هلاكهم إن جحدوها ﴿ وَمَا مِن ﴾ زائدة ﴿ دَآبَّةٍ ﴾ تمشي ﴿ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ ﴾ في الهواء ﴿ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ﴾ في تدبير خلقها ورزقها وأحوالها ﴿ مَّا فَرَّطْنَا ﴾ تركنا ﴿ فِي ٱلْكِتَٰبِ ﴾ اللوح المحفوظ ﴿ مِن ﴾ زائدة ﴿ شَيْءٍ ﴾ فلم

للحساب والجزاء، وأما البعث فهو الإحياء بعد الموت فتغايرا. قوله: **﴿وَقَالُوا﴾** هذا إنكار منهم لما جاء به من المعجزات الباهرة، حيث جعلوا ما جاء به سحراً وكهانة وطلبوا غيره. قوله: **(كالناقة والعصا)** أي والنار لإبراهيم، وإلانة الحديد لداود، وغير ذلك من معجزات الأنبياء الظاهرة، فنزلوا معجزاته ﷺ منزلة العدم، حتى طلبوا معجزة على صدقه، ولكنهم من عمى قلوبهم، لم يفرقوا بين معجزاته ومعجزات غيره، فإن معجزاته أعلى وأجل، قال العارف البرعي:

وإن قابلت لفظه لن تراني ... بما كذب الفؤاد فهمت معنى

وقال أيضاً:

وإن يك خاطب الأموات عيسى ... فإن الجذع حن له وأنّ

إلى آخر ما قال. قوله: **(بالتشديد والتخفيف)** أي فيها قراءتان سبعيتان. قوله: **(أن نزولها الخ)** هذه الجملة في محل نصب مفعول يعلمون. قوله: **(بلاء عليهم)** أي لعدم إيمانهم وانتفاعهم بها. قوله: **(لوجوب هلاكهم)** أي بحسب جري عادة الله، بأن من اقترح آية وجاءته ولم يؤمن بها أهلكه الله، فعدم إجابتهم لما اقترحوا رحمة بالأمة المحمدية جميعاً لأن الله منَّ على نبيه ببقائها إلى يوم القيامة، ولو أجاب المتعنتين بعين ما طلبوا، لانقرضت الأمة كما انقرض من تعنت قبلهم.

قوله: **﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ﴾** كلام مستأنف مسوق لبيان كمال قدرته تعالى وسعة علمه وتدبيره. قوله: **(تمشي)** قدره خاصاً لدلالة مقابلة وهو قوله يطير عليه، قال العلماء: جميع ما خلقه الله عز وجل لا يخرج عن المشي والطيران، وألحقوا حيوان البحر بالطير لأنه يسبح في الماء، كما أن الطير يسبح في الهواء. قوله: **﴿فِي الأَرْضِ﴾** خصها بالذكر لأن المشاهد أقطع لحجة الخصم، وإلا فسكان السماء كذلك. قوله: **﴿بِجَنَاحَيْهِ﴾** صفة كاشفة، نظير قوله: نظرت بعيني وسمعت بأذني.

قوله: **﴿إِلَّا أُمَمٌ﴾** أي طوائف وجماعات أمثالكم، أي كل نوع على صفة وطريقة وشكل كما أنكم كذلك، فمن الدواب العزيز والذليل والمرزوق بسهولة وبتعب والقوي والضعيف والكبير والصغير والمتحيل في الرزق وغير المتحيل كبني آدم. قوله: **(في تدبير خلقها)** أي وتصريفه فيها في كل لحظة، بجلب المنافع لها، ودفع المضار عنها، ولطفه بها، فلا يشغله شأن عن شأن، قال تعالى: ﴿ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة﴾. قوله: **(وأحوالها)** أي من إحيائها وإماتتها وإعزازها وإذلالها ونحو ذلك، وكذلك تعرف ربها وتوحده، كما أنتم تعرفونه وتوحدونه، ولم يوجد كافر إلا من الجن والآدميين، وإلا فجميع المخلوقات عقلاء، وغيرهم مجبولون على التوحيد، قال تعالى: ﴿وإن من شيء إلا يسبح بحمده﴾

نكتبه ﴿ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾ ﴿٣٨﴾ فيقضي بينهم ويقتص للجماء من القرناء ثم يقول لهم كونوا تراباً ﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا ﴾ القرآن ﴿ صُمٌّ ﴾ عن سماعها سماع قبول ﴿ وَبُكْمٌ ﴾ عن النطق بالحق ﴿ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ ﴾ الكفر ﴿ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ ﴾ إضلاله ﴿ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ ﴾ هدايته ﴿ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ ﴾ طريق ﴿ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ ﴿٣٩﴾ دين الإسلام ﴿ قُلْ ﴾ يا محمد لأهل مكة ﴿ أَرَءَيْتَكُمْ ﴾ أخبروني ﴿ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ ﴾ في الدنيا ﴿ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ ﴾ القيامة المشتملة عليه بغتة ﴿ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ ﴾ لا ﴿ إِن

وإنما كفر من كفر من الجن والإنس عناداً. قوله: **(اللوح المحفوظ)** أي من الشيطان، ومن التغيير والتبديل، وهو من درة بيضاء فوق السماء السابعة، طوله ما بين السماء والأرض، وعرضه ما بين المشرق والمغرب، فحيث أريد بالكتاب اللوح المحفوظ، فالعموم ظاهر، فإن فيه تبيان كل شيء ما كان وما يكون وما هو كائن، وقيل المراد بالكتاب القرآن، وعليه فالمراد بقوله: **﴿مَا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾** أي ويحتاج إليه الخلق في أمورهم.

قوله: **﴿ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾** أي يجمعون، وهذا بيان لأحوالهم في الآخرة إثر بيان أحوالهم في الدنيا. قوله: **(فيقضي بينهم)** أي الأمم عقلاء أو غيرهم. قوله: **﴿للجماء﴾** أي وهي معدومة القرون، وهذا كله لإظهار العدل، فحيث لم يترك غير العقلاء فكيف بالعقلاء، فلا بد من الحشر والحساب والجزاء، إما بالعدل، وإما بالفضل. قوله: **﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾** أي أعرضوا عنها ولم يؤمنوا بها. قوله: **﴿فِي الظُّلُمَاتِ﴾** هو معنى قوله في الآية الأخرى، عمي فهم صم القلوب عميها بكمها، فلا يتأتى منهم انتفاع ولا اعتبار، ولا يصل اليهم نور أبداً. قوله: **(الكفر)** أي فهو ظلمات معنوية، فمثل الكافر كمثل رجل أعمى أصم أبكم في ظلمات فلا يهتدي إلى مقصوده، كما أن الكافر كذلك.

قوله: **﴿مَنْ يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ﴾** هذا دليل لما قبله، ومفعول يشأ في كل محذوف قدره المفسر بقوله إضلاله وبقوله هدايته، والمعنى أن الاضلال والاهتداء بتقدير الله، فمن أراد الله هدايته، سهل له أسبابها، وجعله منهمكاً في طاعته، وإن وقعت منه معصية وفق للتوبة منها، ومن أراد الله إضلاله، حجبه عن نوره، وتعسرت عليه أسباب الطاعة، حتى لو وقعت منه طاعة، تكون معلولة غير مقبولة، وما في هذه الآية هو معنى قوله تعالى في الآية الأخرى﴿فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام﴾ الآية. **﴿قُلْ﴾** **(يا محمد)** أي على سبيل التخويف والتوبيخ على الكفر بالله. قوله: **(أخبروني)** هكذا فسرت الرؤية في هذه الآية ونظائرها بالإخبار، والأصل في الرؤية العلم أو الإبصار، فأطلق العلم أو الإبصار، وأريد لازمه وهو الإخبار، لأن الإنسان لا يخبر إلا بما علمه أو أبصره، واستعملت الهمزة التي هي في الأصل لطلب العلم أو الإبصار في طلب الإخبار ففيه مجازان، ورأى فعل ماض، والتاء فاعل، والكاف مفعول أول على حذف مضاف، والجملة الاستفهامية في محل المفعول الثاني، والتقدير أرأيتم عبادتكم غير الله هل تنفعكم، والمعنى أخبروني يا أهل مكة، إن أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة بسرعة، أتدعون إلهاً غير الله يكشف عنكم ما نزل بكم، وجواب الاستفهام لا يدعون غير الله، فإذا كان كذلك فهو أحق بأن يفرد بالعبادة.

قوله: **﴿إِنْ أَتَاكُمْ﴾** جواب الشرط محذوف تقديره فمن تدعون. قوله: **(في الدنيا)** أي كالصاعقة

كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ ﴿٤٠﴾ في أن الأصنام تنفعكم فادعوها ﴿ بَلْ إِيَّاهُ ﴾ لا غيره ﴿ تَدْعُونَ ﴾ في الشدائد ﴿ فَيَكْشِفُ ﴾ الله ﴿ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ ﴾ أن يكشفه عنكم من الضر ونحوه ﴿ إِن شَآءَ ﴾ كشفه ﴿ وَتَنسَوْنَ ﴾ تتركون ﴿ مَا تُشْرِكُونَ ﴾ ﴿٤١﴾ معه من الأصنام فلا تدعونه ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن ﴾ زائدة ﴿ قَبْلِكَ ﴾ رسلاً فكذبوهم ﴿ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ ﴾ شدة الفقر ﴿ وَٱلضَّرَّآءِ ﴾ المرض ﴿ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴾ ﴿٤٢﴾ يتذللون فيؤمنون ﴿ فَلَوْلَآ ﴾ فهلا ﴿ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا ﴾ عذابنا ﴿ تَضَرَّعُواْ ﴾ أي لم يفعلوا ذلك مع قيام المقتضي له ﴿ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ فلم تلن للإيمان ﴿ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ ﴿٤٣﴾ من المعاصي فأصروا عليها ﴿ فَلَمَّا نَسُواْ ﴾ تركوا ﴿ مَا ذُكِّرُواْ ﴾ وعظوا وخوفوا ﴿ بِهِۦ ﴾ من البأساء والضراء فلم يتعظوا ﴿ فَتَحْنَا ﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿ عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ ﴾ من النعم استدراجاً لهم ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ ﴾ فرح بطر ﴿ أَخَذْنَٰهُم ﴾ بالعذاب ﴿ بَغْتَةً ﴾

والصيحة. قوله: (المشتملة عليه) أي على العذاب، لأن الكافر لا يشاهد من حين موته إلا العذاب الدائم، وأسهله خروج الروح. قوله: (بغتة) أي سرعة.

قوله: ﴿أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ﴾ الهمزة للاستفهام الإنكاري وغير معمول لتدعون وهو صفة لموصوف محذوف والتقدير أتدعون إلهاً غير الله. قوله: (فادعوها) قدره إشارة إلى أن جواب الشرط محذوف. قوله: ﴿بَلْ إِيَّاهُ﴾ اضراب انتقالي عن النفي الذي علم من الاستفهام. قوله: (في الشدائد) أي كالمرض والفقر وغير ذلك.

قوله: ﴿إِنْ شَاءَ﴾ جوابه محذوف لفهم المعنى ودلالة ما قبله عليه، أي إن شاء أن يكشفه كشفه، وإن لم يشأ كشفه فلا يكشفه، فليست إجابة الدعاء وعداً لا يخلف، وهذا مخصوص بدعاء الكفار، وأما دعاء المؤمنين فهو مجاب بالوعد الذي لا يخلف، لكن على ما يريد الله، إما بعين المطلوب أو بغيره، فلا منافاة بين ما هنا وبين قوله تعالى: ﴿أدعوني أستجب لكم﴾. قوله: ﴿وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾ أي حين نزول الشدائد بهم لا يلتفتون إلى أصنامهم، بل لا يدعون إلا الله.

قوله: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا﴾ هذا تسلية لرسول الله ﷺ. قوله: (فكذبوهم) قدره إشارة إلى أن قوله ﴿فَأَخَذْنَاهُمْ﴾ مرتب على محذوف. قوله: ﴿يَتَضَرَّعُونَ﴾ من التضرع وهو التذلل والخضوع. قوله: (فهلا) أشار بذلك إلى أن لولا للتحضيض. قوله: (أي لم يفعلوا ذلك) أي التضرع، وأشار بذلك إلى أن التحضيض بمعنى النفي. قوله: (مع قيام المقتضى له) أي وهو البأساء والضراء. قوله: ﴿وَلٰكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ أي لم يقع منهم تضرع ولا خضوع، بل ظهر منهم خلاف ذلك بسبب قسوة قلوبهم. قوله: (فلم تلن للإيمان) أشار إلى أن القسوة نشأ عنها الكفر، كما أن التضرع ينشأ عنه الإيمان.

قوله: ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أي الذين كانوا يعملونه أو عملهم. قوله: (فأصروا عليها) أي على المعاصي، ولم يتعظوا بما نزل بهم من الباساء والضراء. قوله: (بالتخفيف والتشديد) أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: ﴿حَتَّى إِذَا فَرِحُوا﴾ غاية للفتح، والمعنى أن من خالف أمر الله وطغى يستدرجه الله بالنعم ويمده بالعطايا الدنيوية، فإذا فرح بذلك كان عاقبة أمره أخذه أخذ عزيز

فجأة ﴿ فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴾ ﴿٤٤﴾ آيسون من كل خير ﴿ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ﴾ أي آخرهم بأن استؤصلوا ﴿ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ ﴿٤٥﴾ على نصر الرسل وإهلاك الكافرين ﴿ قُلْ ﴾ لأهل مكة ﴿ أَرَءَيْتُمْ ﴾ أخبروني ﴿ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ ﴾ أصمكم ﴿ وَأَبْصَٰرَكُمْ ﴾ أعماكم ﴿ وَخَتَمَ ﴾ طبع ﴿ عَلَىٰ قُلُوبِكُم ﴾ فلا تعرفون شيئاً ﴿ مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ﴾ بما أخذه منكم بزعمكم ﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ﴾ نبين ﴿ ٱلْءَايَٰتِ ﴾ الدلالات على وحدانيتنا ﴿ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴾ ﴿٤٦﴾ يعرضون عنها فلا يؤمنون ﴿ قُلْ ﴾ لهم ﴿ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً ﴾ ليلاً أو نهاراً ﴿ هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ ﴿٤٧﴾ الكافرون أي ما يهلك إلا هم ﴿ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ ﴾ من آمن

مقتدر. قوله: ﴿فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ إذا فجائية أي فاجأهم الإبلاس بمعنى اليأس من كل خير. قوله: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ الدابر التابع من خلف، يقال دبر الولد، والده، ودبر فلان القوم، تبعهم، فمعنى دابرهم آخرهم، وهو كناية عن الاستئصال، فلذلك قال بأن استؤصلوا، أي فلم يبق منهم أحد. قوله: ﴿وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ﴾ هذا حمد من الله لنفسه على هلاك الكفار ونصر الرسل، وفيه تعليم للمؤمنين أنهم يشكرون الله على ذلك، إذ هو نعمة عظيمة.

قوله: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾ هذا تنزل من الله سبحانه وتعالى لكفار مكة لإقامة الحجة عليهم قبل أخذهم. قوله: (أخبروني) تقدم أن استعمال رأى في الإخبار مجاز، وأصل استعمالها في العلم أو في الإبصار، وتقدم أنها تطلب مفعولين: الأول محذوف لدلالة مفعولي أخذ وهو سمعكم وأبصاركم عليه، فهو من باب التنازع أعمل الثاني وأضمر في الأول وحذف لأنه فضلة، والمفعول الثاني هو قوله ﴿مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ﴾ الخ. قوله: ﴿سَمْعَكُمْ﴾ أفرده وجمع ما بعده، لأن السمع مصدر لا يثنى ولا يجمع كما تقدم في البقرة. قوله: ﴿وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ﴾ المراد بالقلوب العقول أي أذهب عقولكم وصيركم كالبهائم فلا تعقلون شيئاً. قوله: (بما أخذه) أشار بذلك إلى أنه أفرد باعتبار ما ذكر، والمعنى من إله غير الله بزعمكم يأتيكم بأي واحد مما أخذ منكم. قوله: (بزعمكم) متعلق بقوله من إله غير الله فالمناسب تقديمه.

قوله: ﴿ٱنْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلآيَاتِ﴾ هذا تعجيب لرسول الله من عدم اعتبارهم بتلك الآيات الباهرة وكيف منصوب على التشبيه بالحال، والمعنى أنظر يا محمد تصريفنا الآيات على أي كيفية. قوله: ﴿أَرَأَيْتَكُمْ﴾ أي أخبروني، والمفعول الأول الكاف على حذف مضاف أي أنفسكم، والمفعول الثاني جملة الاستفهام. قوله: ﴿عَذَابُ ٱللَّهِ﴾ أي كالصيحة والصواعق. قوله: (ليلاً أو نهاراً) لف ونشر مرتب، وهذا التفسير لابن عباس، وقيل البغتة الذي يأتي من غير سبق علامة، والجهر الذي يأتي مع سبق علامة كان كل بالليل أو النهار. قوله: (الكافرون) أشار بذلك إلى أن المراد هلاك سخط وغضب، فاندفع ما يقال إن المصيبة إذا أتت فلا تخص الكافر بل تعم الطائع، فالجواب أن هلاك الكفار سخط وغضب، وهلاك المؤمن إثابة ورفع درجات، والاستثناء مفرغ، والاستفهام إنكاري بمعنى النفي كما أشار له المفسر.

قوله: ﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ هذا بيان لوظائف المرسلين، والمعنى أن المرسلين منصبهم البشارة لمن آمن، والنذارة لمن كفر، وليسوا قادرين على إيجاد نفع أو ضر، وإنما جعلهم الله سبباً لذلك. قوله:

بالجنة ﴿ وَمُنذِرِينَ ﴾ من كفر بالنار ﴿ فَمَنْ ءَامَنَ ﴾ بهم ﴿ وَأَصْلَحَ ﴾ عمله ﴿ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ في الآخرة ﴿٤٨﴾ ﴿ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِـَٔايَـٰتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ ﴿٤٩﴾ يخرجون عن الطاعة ﴿ قُل ﴾ لهم ﴿ لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ اللَّهِ ﴾ التي منها يرزق ﴿ وَلَآ ﴾ أني ﴿ أَعْلَمُ الْغَيْبَ ﴾ ما غاب عني ولم يوح إلي ﴿ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ ﴾ من الملائكة ﴿ إِنْ ﴾ ما ﴿ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى الْأَعْمَىٰ ﴾ الكافر ﴿ وَالْبَصِيرُ ﴾ المؤمن لا ﴿ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴾ ﴿٥٠﴾ في ذلك فتؤمنون ﴿ وَأَنذِرْ ﴾ خوف ﴿ بِهِ ﴾ أي القرآن ﴿ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ ﴾ أي غيره ﴿ وَلِىٌّ ﴾ ينصرهم ﴿ وَلَا شَفِيعٌ ﴾ يشفع لهم وجملة النفي حال من ضمير يحشروا وهي محل الخوف والمراد بهم المؤمنون العاصون ﴿ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ ﴿٥١﴾ الله بإقلاعهم عما هم فيه وعمل الطاعات ﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَوٰةِ وَالْعَشِىِّ يُرِيدُونَ ﴾ بعبادتهم ﴿ وَجْهَهُۥ ﴾

(في الآخرة) احتراز لبيان أن عدم الخوف والحزن هو في الآخرة فقط، وأما الدنيا فهي محل الخوف والحزن لأنها سجن المؤمن. قوله: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا﴾ مقابل قوله فمن آمن كأنه قال فالذين آمنوا وأصلحوا الخ، وهذا يؤيد أن من موصولة. قوله: ﴿بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ الباء سببية وما مصدرية، أي بسبب فسقهم، والفسق الخروج عن الطاعة كلاً أو بعضاً، فالكافر فاسق لخروجه عن طاعة الله بالكلية.

قوله: ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ﴾ هذا مرتب على قوله ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ﴾ كأنه قال ليس على الرسول إلا البشارة والنذارة، وليس من وظيفته إجابتهم عما سألوه عنه ولا فعل ما طلبوه منه لأنه ليس عنده خزائن الله الخ. قوله: ﴿خَزَائِنُ اللَّهِ﴾ أي لا أدعي أن مقدرات الله من أرزاق وغيرها مفوضة إلي حتى تطلبوا مني قلب الجبال ذهباً وغير ذلك. قوله: ﴿وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ﴾ أي ما غاب عني من أفعال الله حتى تسألوني عن وقت الساعة أو وقت نزول العذاب.

قوله: ﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ﴾ أي حتى تكلفوني بصفات الملائكة، كالصعود للسماء، وعدم المشي في الأسواق، وعدم الأكل والشرب. وهذه الآية نزلت حين قالوا له: إن كنت رسولاً فاطلب منه أن يوسع علينا ويغني فقرنا، فأخبر أن ذلك بيد الله لا بيده بقوله: ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ﴾، وقالوا له أيضاً: أخبرنا بمصالحنا ومضارنا في المستقبل حتى نتهيأ لذلك، فنحصل المصالح وندفع المضار، فقال لهم: ولا أعلم الغيب فأخبركم بما تريدون، وقالوا له: ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق ويتزوج النساء، فقال لهم: ولا أقول لكم إني ملك. قوله: ﴿أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ الهمزة داخلة على المحذوف، والفاء عاطفة على ذلك المحذوف، والتقدير ألا تسمعون الحق فلا تتفكرون. قوله: (فتؤمنون) معطوف على تتفكرون وليس جواباً للنفي وإلا لنصب.

قوله: ﴿وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ﴾ محط الأمر قوله لعلهم يتقون، والمعنى أن إنذارك لا ينفع إلا المؤمن العاصي الخائف، وأما الكافر المعاند فلا ينفع فيه إلا الإنذار، فلا ينافي أنه مأمور بإنذار كل مخالف أفاد الإنذار أو لا، وإنما ذلك بيان للذين ينفع فيهم الإنذار. قوله: (والمراد بهم) أي بالذين يخافون.

قوله: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ أي لا تبعدهم عن مجلسك ولا عن القرب منك. قوله:

تعالى لأشياء من أعراض الدنيا وهم الفقراء وكان المشركون طعنوا فيهم وطلبوا أن يطردهم ليجالسوه وأراد النبي ﷺ ذلك طمعاً في إسلامهم ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن﴾ زائدة ﴿شَيْءٍ﴾ إن كان باطنهم غير مرضي ﴿وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ﴾ جواب النفي ﴿فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ إن فعلت ذلك ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا﴾ ابتلينا ﴿بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾ أي الشريف

﴿يَدْعُونَ﴾ أي يعبدون. قوله: ﴿بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾ خص هذين الوقتين لأن في الأول صلاة الصبح وفي الثاني صلاة العصر، وقد قيل إن كلاً هي الصلاة الوسطى. قوله: **(لأشياء)** مفعول لمحذوف تقديره لا يريدون شيئاً. قوله: **(من أعراض الدنيا)** يصح ضبطه بالعين المهملة وبالغين المعجمة، والثاني أولى لشموله للأموال وغيرها. قوله: **(وهم الفقراء)** أي كعمار بن ياسر وبلال وصهيب. قوله: **(وكان المشركون طعنوا فيهم)** هذا إشارة لسبب نزولها. وحاصلة كما قال الخازن: إنه جاء الأقرع بن حابس التيمي، وعتبة بن حصن الفزاري، وعباس بن مرداس، وهم من المؤلفة قلوبهم، فوجدوا النبي ﷺ جالساً مع ناس من ضعفاء المؤمنين، كعمار بن ياسر وصهيب وبلال، فلما رأوهم حوله حقروهم وقالوا يا رسول الله لو جلست في صدرالمسجد وأبعدت عنا هؤلاء ورائحة جبابهم، وكانت عليهم جبب من صوف ولها رائحة كريهة لمداومة لبسها لعدم غيرها، لجالسناك وأخذنا عنك، فقال النبي ما أنا بطارد المؤمنين، قالوا فإنا نحب أن تجعل لنا مجلساً تعرف به العرب فضلنا، فإن وفود العرب تأتيك فنستحي أن ترانا مع هؤلاء الأعبد، فإذا نحن جئناك فأقمهم عنا، فإذا نحن فرغنا فاقعد معهم إن شئت، قال نعم، قالوا فاكتب لنا عليك بذلك كتاباً، فأتى بالصحيفة ودعا علياً ليكتب، فنزل جبريل بقوله: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ﴾ الآية، فألقى رسول الله ﷺ الصحيفة ثم دعانا وهو يقول: سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة، فكنا نقعد معه، وإذا أراد أن يقوم قام وتركنا، فأنزل الله ﴿واصبر نفسك﴾ الآية، فكان يقعد معنا بعد ذلك وندنو منه، حتى كادت ركبنا تمس ركبته، فإذا بلغ الساعة التي يريد أن يقوم فيها قمنا وتركناه حتى يقوم اهـ.

قوله: ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ هذ كالتعليل لما قبله، والمعنى لا تؤاخذ بذنوبهم ولا بما في قلوبهم إن أرادوا بصحبتك غير وجه الله، وهذا على فرض تسليم ما قاله المشركون، وإلا فقد شهد الله أولاً لهم بالإخلاص، وما نافية مهملة، وعليك جار ومجرور خبر مقدم، وشيء مبتدأ مؤخر، ومن صلة، ومن حسابهم متعلق بمحذوف حال، وهذا نظير قوله في الآية الأخرى ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾. قوله: ﴿وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ يقال في إعرابها ما قيل فيما قبلها، إلا أن قوله من حسابك بيان لقوله من شيء وليس حالاً، وفي هاتين الجملتين من أنواع البديع رد الصدر على العجز، كقولهم: عادات السادات سادات العادات والتتميم، وإلا فأصل التعليل قد حصل بالجملة الأولى. قوله: **(جواب النفي)** أي المرتب على النهي، وقوله: ﴿فَتَكُونَ﴾ معطوفاً على قوله: ﴿فَتَطْرُدَهُمْ﴾. قوله: **(إن فعلت ذلك)** أي طردهم.

قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ الكاف في محل نصب نعت لمصدر محذوف، والتقدير ومثل ذلك الفتون المتقدم

بالوضيع والغني بالفقير بأن قدمناه بالسبق إلى الإيمان ﴿لِّيَقُولُوٓاْ﴾ أي الشرفاء والأغنياء منكرين ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ﴾ الفقراء ﴿مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنۢ بَيۡنِنَآ﴾ بالهداية أي لو كان ما هم عليه هدى ما سبقونا إليه قال تعالى ﴿أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَعۡلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ﴾ ﴿٥٣﴾ له فيهديهم بلى ﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلۡ﴾ لهم ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡۖ كَتَبَ﴾ قضى ﴿رَبُّكُمۡ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَ أَنَّهُۥ﴾ أي الشأن وفي قراءة بالفتح بدل من الرحمة ﴿مَنۡ عَمِلَ مِنكُمۡ سُوٓءَۢا بِجَهَٰلَةٖ﴾ منه حيث ارتكبه ﴿ثُمَّ تَابَ﴾ رجع ﴿مِنۢ بَعۡدِهِۦ﴾ بعد عمله عنه ﴿وَأَصۡلَحَ﴾ عمله ﴿فَأَنَّهُۥ﴾ أي والله ﴿غَفُورٞ﴾ له ﴿رَّحِيمٞ﴾ ﴿٥٤﴾ به وفي قراءة بالفتح أي فالمغفرة له ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ كما بينا ما ذكر ﴿نُفَصِّلُ﴾ نبين ﴿ٱلۡأٓيَٰتِ﴾ القرآن ليظهر الحق فيعمل به ﴿وَلِتَسۡتَبِينَ﴾ تظهر ﴿سَبِيلُ﴾ طريق ﴿ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ ﴿٥٥﴾ فتجتنب وفي قراءة بالتحتانية وفي أخرى

من أخبار الأمم الماضية فتنا بعض هذه الأمة ببعض. قوله: **(والغني بالفقير)** أي ففتنة الغني بالفقير لسبق الفقير إلى الإيمان، وفتنة الفقير بالغني زينة الدنيا يتمتع فيها مع كفره. قوله: **(بأن قدمناه بالسبق إلى الإيمان)** بيان لفتنة الأغنياء بالفقراء. قوله: **﴿لِيَقُولُوا﴾** اللام يصح أن تكون لام كي أو لام الصيرورة والعاقبة. قوله: **(منكرين)** أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري بمعنى النفي على سبيل التهكم. قوله: **(قال تعالى)** أي رداً عليهم. قوله: **(بلى)** جواب الاستفهام التقريري.

قوله: **﴿وَإِذَا جَاءَكَ﴾** هذا من تتمة ما نزل في الفقراء. قوله: **﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ﴾** وصفهم أولاً بالعبادة وثانياً بالإيمان إظهاراً لمزاياهم. قوله: **﴿فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾** الخ، أي اذكر لهم هذه الآية إلى قوله: **﴿غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾** في وقت مجيئهم إليك، وهذا السلام يحتمل أنه سلام التحية أمر أن يبدأهم به إذا قدموا عليه خصوصية لهم، وإلا فسنة السلام أن تكون أولاً من القادم، وعليه فتكون الجملة إنشائية، ويحتمل أنه سلام الله عليهم إكراماً لهم أمر بتبليغه لهم، وعليه فتكون الجملة خبرية لفظاً ومعنى، وسلام مبتدأ، وعليكم خبره، وسوغ الابتداء بالنكرة كونه دعاء، والدعاء من المسوغات.

قوله: **﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ﴾** أي ألزم نفسه تفضلاً منه وإحساناً. قوله: **(وفي قراءة بالفتح)** أي وهي سبعية أيضاً، والحاصل أن القراءات ثلاث، فتحهما وكسرهما، وفتح الأولى وكسر الثانية، وكلها سبعية فأما الفتح فيهما فالأولى بدل من الرحمة، والثانية في محل رفع مبتدأ، والخبر محذوف، أي فغفرانه ورحمته حاصلان له، وأما الكسر فيهما فالأولى مستأنفة جيء بها كالتفسير لما قبلها، والثانية مستأنفة أيضاً بمعنى أنها في صدر جملة وقعت خبراً لمن الموصولة، وأما على فتح الأولى وكسر الثانية، فالأولى بدل، والثانية استئناف، فتأمل فإنه زبدة احتمالات كثيرة. قوله: **(بدل من الرحمة)** أي بدل شيء من شيء. قوله: **﴿بِجَهَالَةٍ﴾** الجار والمجرور متعلق بمحذوف حال من فاعل **﴿عَمِلَ﴾**، والتقدير عمل سوءاً حال كونه جاهلاً بما يترتب على معاصيه من العقاب غافلاً عن جلال الله، وفيه إشارة إلى أن المؤمن لا يقع منه الذنب إلا في حال جهله وغفلته، وهذه الآية لا تخص الفقراء الذين كانوا في زمنه ﷺ، بل هي عامة لكل من تاب إلى يوم القيامة، ولعموم بشارتها افتتح بها أبو الحسن الشاذلي حزبه.

قوله: **﴿وَلِتَسْتَبِينَ﴾** معطوف على محذوف قدره المفسر بقوله ليظهر الحق، فطريق الهدى واضحة،

بالفوقانية ونصب سبيل خطاب للنبي ﷺ ﴿ قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ ﴾ تعبدون ﴿ مِن دُونِ اللَّهِ قُل لَّا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ ﴾ في عبادتها ﴿ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا ﴾ إن اتبعتها ﴿ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴾ ﴿٥٦﴾ ﴿ قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ ﴾ بيان ﴿ مِّن رَّبِّي وَ ﴾ قد ﴿ كَذَّبْتُم بِهِ ﴾ بربي حيث أشركتم ﴿ مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ ﴾ من العذاب ﴿ إِنِ ﴾ ما ﴿ الْحُكْمُ ﴾ في ذلك وغيره ﴿ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ ﴾ القضاء ﴿ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ ﴾ ﴿٥٧﴾ الحاكمين وفي قراءة يقص أي يقول ﴿ قُل ﴾ لهم ﴿ لَّوْ أَنَّ عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ﴾ بأن أعجله لكم وأستريح ولكنه عند الله ﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ ﴾ ﴿٥٨﴾ متى يعاقبهم ﴿ وَعِندَهُ ﴾ تعالى ﴿ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ ﴾ خزائنه أو الطرق الموصلة إلى

وطريق الضلال واضحة، لما في الحديث «تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها ونهارها كليلها لا يضل عنها إلا هالك». قوله: (**وفي قراءة بالتحتانية**) أي ورفع سبيل، فالقراءات ثلاث وكلها سبعية، ففي الفوقانية الرفع والنصب، وفي التحتانية الرفع لا غير. قوله: (**خطاب للنبي**) أي والمعنى لتعلم سبيلهم فتعاملهم بما يليق بهم.

قوله: ﴿**قُلْ إِنِّي نُهِيتُ**﴾ هذا أمر من الله لنبيه أن يخاطب الكفار الذين طمعوا في دخول رسول الله ﷺ في دينهم ويرد عليهم بذلك. قوله: ﴿**نُهِيتُ**﴾ أي نهاني ربي بواسطة الدليل العقلي والسمعي، لدلالة كل منهما على أن الله واحد لا شريك له، متصف بكل كمال مستحيل عليه كل نقص. قوله: (**تعبدون**) هذا أحد إطلاقات الدعاء، وبه فسر في غالب القرآن لأنه يشمل الطلب وغيره. قوله: ﴿**قُلْ لَا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ**﴾ جمع هوى سمي بذلك لأنه يهوى بصاحبه إلى المهالك، وهذه الجملة تأكيد لما قبلها. قوله: ﴿**إِذاً**﴾ حرف جواب وجزاء، ولا عمل لها لعدم وجود فعل تعمل فيه. قوله: (**إن اتبعتها**) أي الأهواء وهو بيان لمعنى إذاً. قوله: ﴿**وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ**﴾ تأكيد لما قبلها. قوله ﴿**قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ**﴾ هذا زيادة في قطع طمعهم الفاسد، والمعنى لا تطمعوا في دخولي دينكم لأني على بينة من ربي، ومن كان كذلك كيف يخدع ويتبع الضلال، وهذا نظير قوله تعالى: ﴿وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه﴾. قوله: (**بيان**) أي دليل واضح. قوله: ﴿**وَكَذَّبْتُمْ بِهِ**﴾ أي بوحدانيته، والجملة حالية، ويشير لذلك تقدير المفسر قد.

قوله: ﴿**مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ**﴾ ما الأولى نافية والثانية موصولة، وقوله: (**من العذاب**) بيان لما الثانية. وسبب نزولها أن رسول الله ﷺ كان يخوفهم بنزول العذاب عليهم، وكانوا يستعجلون به استهزاء كما في آية الأنفال﴿وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك﴾ الآية. قوله: ﴿**يَقُصُّ الْحَقَّ**﴾ قدر المفسر القضاء إشارة إلى أنه منصوب على أنه صفة لمصدر محذوف، ويحتمل أنه ضمنه معنى ينفذ فعداه إلى المفعول به، ويحتمل أنه منصوب بنزع الخافض أي بالحق. قوله: (**وفي قراءة يقص**) من قص الأثر تتبعه، وقص الحديث قاله.

قوله: ﴿**لَوْ أَنَّ عِنْدِي**﴾ أي لو كان الأمر مفوضاً إليَّ. قوله: ﴿**مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ**﴾ أي من العذاب. قوله: (**بأن أعجله**) بيان قوله: ﴿**لَقُضِيَ الْأَمْرُ**﴾ والضمير عائد على ما تستعجلون. قوله: (**متى يعاقبهم**)

علمه ﴿لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾ وهي الخمسة التي في قوله: (إن الله عنده علم الساعة) الآية كما رواه البخاري ﴿وَيَعْلَمُ مَا﴾ يحدث ﴿فِى ٱلْبَرِّ﴾ القفار ﴿وَٱلْبَحْرِ﴾ القرى التي على الأنهار ﴿وَمَا تَسْقُطُ

أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضافين، والتقدير والله أعلم بوقت عقوبة الظالمين، فلا يستعجلوا ذلك، فإنه لا حق بهم إن لم يتوبوا، وإنما تأخيره من حلم الله عليهم، فلولا حلمه ما بقي أحد، قال تعالى: ﴿ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن﴾ فمن القبيح بعض العامة حلم الله يفتت الأكباد. إن قلت مقتضى هذه الآية أنه لو كان الأمر مفوضاً له في تعذيبهم لعجله واستراح، ومقتضى ما ورد من إتيان ملك الجبال يستشيره في أنه يطبق عليهم الأخشبين أنه لم يرض وقال أرجو أن يخرج من ذريتهم من يؤمن بالله فحصل التنافي. أجيب: بأن ما في الآية بالنظر لأصل البشرية، لأن البشر يتأثر بالضر والنفع، وما في الحديث إنما هو رحمة من الله ألقاها عليه فرحمهم الله بها، قال تعالى: ﴿فبما رحمة من الله لنت لهم﴾ فرجع الأمر لله فتدبر.

قوله: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ﴾ لما بين سبحانه وتعالى أولاً أنه منفرد بايجاد كل شيء خيراً كان أو شراً لقوله: ﴿إن الحكم إلا لله﴾ الآية، بين ثانياً أنه منفرد بعلم الغيب بقوله: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ﴾ فهو كالدليل لما قبله كأنه قال العذاب والرحمة بقدرة الله، ولا يعلم وقت مجيء ذلك إلا الله لأن عنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو، وعنده خبر مقدم، ومفاتح الغيب مبتدأ مؤخر، وتقديم الظرف يؤذن بالحصر وهو منصب على الجميع، فلا ينافي أن بعض الأنبياء والأولياء يطلعه الله على بعض المغيبات الحادثة، قال تعالى: ﴿عالم الغيب فلا يظهر على غيبة أحداً إلا من ارتضى من رسول﴾ وأما من قال إن نبينا أو غيره أحاط بالمغيبات علماً كما أحاط علم الله بها فقد كفر. قوله: (**خزائنه**) أشار بذلك إلى أن مفاتح جمع مفتح بفتح فكسر كمخزن وزنا ومعنى العلوم المخزونة، وقوله: (**أو الطرق**) أي فهو جمع مفتح بكسر ففتح بمعنى الطرق التي توصل إلى تلك العلوم المخزونة الغيبية ﴿لَا يَعْلَمُهَآ﴾ أي الخزائن أو الطرق تفصيلاً إلا هو، وأما علمنا فيها فهو على سبيل الإجمال، وهو تأكيد لما علم من تقديم الظرف. قوله: (**علم الساعة**) أي وقت مجيئها وتفصيل ما يحصل فيها. قوله: (**الآية**) أي وهي: ﴿ينزل الغيث﴾ أي المطر، أي لا يعلم وقت مجيئه وعدد قطراته ونفع الناس به إلا الله، ﴿ويعلم ما في الأرحام﴾، أي من كونه ذكراً أو أنثى شقياً أو سعيداً يعيش أو يموت. ﴿وما تدري نفس ماذا تكسب غداً﴾ أي لا تعلم نفس ما يعرض لها في المستقبل من خير أو شر، وغير ذلك من الأحوال التي تطرأ على الأنفس، قال الشاعر:

وأعلم علم اليوم والأمس قبله ... ولكنني عن علم ما في غد عمى

(وما تدري نفس بأي أرض تموت﴾ أي بأي محل يكون قبض روحها فيه أو دفنها فيه، إن الله عليم خبير ببواطن الأشياء كظواهرها، وهذا التفسير لابن عباس، وقال الضحاك ومقاتل: مفاتح الغيب خزائنه الخفية في الأرض، والأقرب والأتم أن المراد بمفاتح الغيب الأمور المغيبة الخفية جميعها كانت الخمسة أو غيرها. قوله: ﴿مَا﴾ (**يحدث**) ﴿فِى ٱلْبَرِّ﴾ أي من خير أو شر. قوله: (**القرى التي على الأنهار**) أي فيعلم رزق أهلها وعددهم وغير ذلك، وقال جمهور المفسرين: المراد البر والبحر المعروفان، لأن جميع الأرض إما بر أو بحر، وفي كل عوالم وعجائب وسعها علمه وقدرته.

مِن ﴾ زائدة ﴿وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ﴾ عطف على ورقة ﴿ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ ﴿٥٩﴾ هو اللوح المحفوظ والاستثناء بدل اشتمال من الاستثناء قبله ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ ﴾ يقبض أرواحكم عند النوم ﴿ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم ﴾ كسبتم ﴿ بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ ﴾ أي النهار برد أرواحكم ﴿ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ﴾ هو أجل الحياة ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ﴾ بالبعث ﴿ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ ﴿٦٠﴾ فيجازيكم به ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ﴾ مستعلياً ﴿ فَوْقَ عِبَادِهِۦ

قوله: ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ﴾ أي من الشجر إلا يعلمها، أي وقت سقوطها والأرض التي تسقط عليها. قوله: ﴿وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ ٱلْأَرْضِ﴾ أي هي والتي يضعها والزارع للنبات فيعلم موضعها وهل تنبت أو لا، وقيل المراد بالحبة التي في الصخرة التي في الأرض التي قال فيها الله يا بني إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السموات أو في الأرض يأت بها الله وكل صحيح. قوله: ﴿وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ﴾ عطف عام، لأن جميع الأشياء إما رطبة أو يابسة. فإن قلت: إن جميع هذه الأشياء داخل تحت قوله وعنده مفاتح الغيب، فلم أفردها بالذكر؟ أجيب: بأنه من التفصيل بعد الإجمال، وقدم ذكر البر والبحر لما فيهما من جنس العجائب ثم الورقة لأنه يراها كل أحد، لكن لا يعلم عددها إلا الله، ثم ما هو أضعف من الورقة وهو الحبة، ثم ذكر مثالاً يجمع الكل وهو الرطب واليابس. قوله: **(عطف على ورقة)** أي الثلاثة معطوفة على ورقة، لكن لا يناسب تسليط السقوط عليها فيضمن السقوط بالنسبة للحبة والرطب واليابس معنى الثبوت. قوله: **(بدل اشتمال من الاستثناء قبله)** أي وهو قوله إلا يعلمها، وذلك لأن دائرة العلم أوسع من دائرة اللوح، فذات الله وصفاته أحاط بها العلم لا اللوح، والكائنات وما يتعلق بها أحاط بها اللوح والعلم، وهذا على أن المراد بالكتاب اللوح كما أفاده المفسر، وإن أريد بالكتاب علم الله يكون بدل كل من كل لزيادة التأكيد والإيضاح. قوله: **(يقبض أرواحكم)** ما ذكره المفسر بناء على أن الإنسان له روحان، روح تقبض بالنوم وتبقى روح الحياة فإذا أراد الله موته قبضهما جميعاً وعليه جملة من المفسرين ويشهد له آية الزمر، قال تعالى: ﴿الله يتوفى الأنفس حين موتها﴾ الآية، ويقرب هذا أحوال الأولياء لأن لهم حالة تسرح فيها أرواحهم وترى العجائب كالنائم، والمشهور أنها روح واحدة، ويكون معنى يتوفاكم يذهب شعوركم لأنهم عرفوا النوم بأنه فترة طبيعية تهجم على الشخص قهراً عليه، تمنع حواسه الحركة وعقله الادراك. قوله: ﴿وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ﴾ أي لأنه الخالق للأفعال والحركات والسكنات، فهو المغير للأشياء ولا يتغير، قال العارف:

ولي في خيال الظل أكبر عبرة ... لمن كان في بحر الحقيقة راقي
شخوص وأشكال تمر وتنقضي ... فتفنى جميعاً والمحرك باقي

قوله: ﴿ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ﴾ ثم في كل للترتيب الرتبي، لأن بعد النوم البعث بالإيقاظ إلى انقضاء الأجل ثم بعده البعث بالإحياء من القبور ثم الإخبار بما وقع من العباد. قوله: ﴿لِيُقْضَى أَجَلٌ﴾ الجمهور على بناء يقضى للمجهول، وأجل نائب فاعل والفاعل محذوف إما عائد على الله أو على الشخص، ومعنى قضاء الشخص أجله استيفاؤه إياه، وقرىء بالبناء للفاعل، وأجلاً مفعوله، والفاعل مستتر عائدة على الله. قوله: **(فيجازيكم به)** أي إن خيراً فخير، وإن شراً فشر. قوله: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ﴾ أي المستعلي الغالب على

﴿وَيُرۡسِلُ عَلَيۡكُمۡ حَفَظَةً﴾ ملائكة تحصي أعمالكم ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ تَوَفَّتۡهُ﴾ وفي قراءة توفاه ﴿رُسُلُنَا﴾ الملائكة الموكلون بقبض الأرواح ﴿وَهُمۡ لَا يُفَرِّطُونَ ٦١﴾ يقصرون فيما يؤمرون به

أمره الحاكم فلا معقب لحكمه، يعطي ويمنع، ويصل ويقطع، ويضر وينفع، فلا راد لما قضى، ولا ملجأ منه إلا إليه، فهو المتصرف في خلقه بجميع أنواع التصرفات، من إيجاد وإعدام، وإعزاز وإذلال، وغير ذلك. قوله: ﴿فَوۡقَ عِبَادِهِۦ﴾ أي فوقية مكانة أي شرف رفعة وعلو قدر تليق به، لا فوقية مكان لاستحالة اتصافه به.

قوله: ﴿وَيُرۡسِلُ﴾ معطوف على صلة أل كأنه قال وهو الذي يقهر ويرسل، وهذا من جملة قهره سبحانه وتعالى. قوله: (ملائكة تحصي أعمالكم) أي من خير وشر، لما ورد أن كل إنسان له ملكان، ملك عن يمينه، وملك عن شماله، فإذا عمل حسنة كتبها صاحب اليمين حالاً، وإذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال أصبر لعله يتوب منها، فإن لم يتب منها كتبها صاحب الشمال، قال العلماء يؤخر ست ساعات فلكية فإن تاب فيها لم تكتب هكذا، قال المفسر: وقيل المراد بالحفظة الملائكة الموكلون بحفظ ذوات العبيد من الحوادث والآفات، وهم عشرة بالليل وعشرة بالنهار، وقيل المراد ما هو أعم وهو الأتم. إن قلت: إن الله هو الحافظ فلم وكلت الملائكة بحفظ الشخص أجيب: بأن ذلك تكرمة لبني آدم وإظهاراً لفضلهم، والحكمة في كون الملائكة تكتب على الشخص ما صدر منه أنه إذا علم ذلك، ربما كان داعياً للخوف والانزجار عن فعل القبائح والمعاصي.

قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ﴾ حتى ابتدائية، والمعنى ينتهي حفظ الملائكة للأشخاص عند فراغ الأجل، فالملائكة مأمورون بحفظ ابن آدم حياً، فإذا فرغ أجله فقد انتهى حفظهم له. قوله: ﴿ٱلۡمَوۡتُ﴾ أي أسبابه. قوله: (وفي قراءة توفاه) أي بالامالة المحضة، وهي ما كانت للكسر أقرب، وهو إما ماض وحذفت التاء لأنه مجازي التأنيث، أو مضارع ويكون فيه حذف إحدى التاءين. قوله: ﴿رُسُلُنَا﴾ أي أعوان ملك الموت الموكلون بقبض الأرواح. إن قلت: قال تعالى: ﴿الله يتوفى الأنفس حين موتها﴾ وقال في الآية الأخرى ﴿قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم﴾ فكيف الجمع بين هاتين الآيتين وهذه، أجيب: بأن الله هو المتوفي حقيقة، فإذا حضر أجل العبد، اشتغلت أعوان ملك الموت بانتزاعها من الجسد، فإذا بلغت الحلقوم قبضها ملك الموت بيده، فهو القابض لجميع الأرواح، إن قلت: ورد في بعض الأحاديث وتول قبض أرواحنا عند الأجل بيدك أجيب: بأن معناه شهود الرب واستيلاء محبته على قلبه حتى يغيب عن إحساسه، فلا يشاهد ملك الموت حين قبض الروح، وإن كان هو القابض لها، وذلك في أهل محبة الله، ومن يموت شهيد حرب أو غريقاً أو حريقاً ونحوهم.

قوله: ﴿وَهُمۡ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ هذه الجملة حالية من رسلنا، أي والحال أنهم لا يقصرون في ذلك. فقد ورد: ما من أهل بيت شعر ولا مدر، إلا وملك الموت يطوف بهم مرتين. وورد: أن الدنيا كلها بين ركبتي ملك الموت، وجميع الخلائق بين عينيه، ويداه يبلغان المشرق والمغرب، وكل من نفد أجله يعرفه بسقوط صحيفته من تحت العرش عليها اسمه، فعند ذلك يبعث أعوانه من الملائكة ويتصرفون بحسب ذلك. وورد: أن ملك الموت يقبض الروح من الجسد ويسلمها إلى ملائكة الرحمة إن كان مؤمناً، أو إلى ملائكة العذاب إن كان كافراً ويقال معه سبعة من ملائكة الرحمة، وسبعة من ملائكة العذاب، فإذا قبض

﴿ ثُمَّ رُدُّوٓاْ ﴾ أي الخلق ﴿ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ﴾ مالكهم ﴿ ٱلْحَقِّ ﴾ الثابت العدل ليجازيهم ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ ﴾ القضاء النافذ فيهم ﴿ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴾ ﴿٦٢﴾ يحاسب الخلق كلهم في قدر نصف نهار من أيام الدنيا لحديث بذلك ﴿ قُلْ ﴾ يا محمد لأهل مكة ﴿ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ﴾ أهوالهما في أسفاركم حين ﴿ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا ﴾ علانية ﴿ وَخُفْيَةً ﴾ سراً تقولون ﴿ لَّئِنْ ﴾ لام قسم ﴿ أَنجَىٰنَا ﴾ وفي قراءة أنجانا أي الله ﴿ مِنْ هَٰذِهِۦ ﴾ الظلمات والشدائد ﴿ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ ﴿٦٣﴾ المؤمنين ﴿ قُلِ ﴾ لهم ﴿ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم ﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿ مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ﴾ غم سواها ﴿ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴾ ﴿٦٤﴾ به ﴿ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ ﴾ من السماء كالحجارة والصيحة ﴿ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ ﴾ كالخسف ﴿ أَوْ يَلْبِسَكُمْ ﴾ يخلطكم ﴿ شِيَعًا ﴾ فرقاً مختلفة الأهواء ﴿ وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ﴾ بالقتال، قال ﷺ لما نزلت هذا أهون وأيسر ولما نزل

نفساً مؤمنة، دفعها إلى ملائكة الرحمة فيبشرونها بالثواب ويصعدن بها إلى السماء، وإذا قبض نفساً كافرة، دفعها إلى ملائكة العذاب فيبشرونها بالعذاب ويفزعونها، ثم يصعدون بها إلى السماء، ثم ترد إلى سجين، وروح المؤمن إلى عليين.

قوله: ﴿ثُمَّ رُدُّوا﴾ معطوف على توفته، وأفرد أولاً لأن التوفي يكون لكل شخص على حدة، وجمع ثانياً لأن الرد يكون للجميع. قوله: (**مالكهم**) دفع بذلك ما يقال إن بين هذه الآية وآية ﴿وأن الكافرين لا مولى لهم﴾ تنافياً فأجاب بأن المراد بالمولى هنا المالك وبه هناك الناصر. قوله: **﴿أَلَا لَهُ الْحُكْمُ﴾** أي لا لغيره. قوله (**لحديث بذلك**) وفي رواية أنه تعالى يحاسب الكل في مقدار حلب شاة. قوله: **﴿قُلْ﴾** (**يا محمد**) أي توبيخاً لهم وردعاً. قوله: (**أهوالهما**) أي فالظلمات كناية عن الأهوال والشدائد التي تحصل في البر والبحر، وما مشى عليه المفسر أتم لشمولها للحقيقة وغيرها، وقيل المراد بالظلمات حقيقتها، فظلمات البر هي ما اجتمع من ظلمة الليل وظلمة السحاب، وظلمة البحر ما اجتمع فيه من ظلمة الليل وظلمة السحاب وظلمة الرياح العاصفة والأمواج الهائلة. قوله: **﴿وَخُفْيَةً﴾** الجمهور على ضم الخاء، وقرأ أبو بكر بكسرها، وقرأ الأعمش خيفة كالأعراف.

قوله: **﴿لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هٰذِهِ﴾** الجملة في محل نصب مقول القول كما قدره المفسر. قوله: (**والشدائد**) عطف تفسير. قوله: (**بالتخفيف والتشديد**) أي وكل منهما مع قراءة أنجيتنا بالتاء، وأما من قرأ أنجانا فيقرأ بالتشديد هنا لا غير، فالقراءات ثلاث وكلها سبعية.

قوله: **﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ﴾** هذا بيان لكونه قادراً على الإهلاك إثر بيان أنه المنجي من المهالك. قوله: (**كالحجارة**) أي التي نزلت على أصحاب الفيل، وقوله (**والصيحة**) أي صرخة جبريل التي صرخها على ثمود قوم صالح. قوله: (**كالخسف**) أي الذي وقع لقارون. قوله: **﴿شِيَعاً﴾** منصوب على الحال جمع شيعة وهي من يتقوى بهم الإنسان ويجمع على أشياع. قوله: (**فرقاً**) جمع فرقة وهي الجماعة. قوله: (**لما نزلت**) أي آية **﴿أَوْ يُلْبِسَكُمْ شِيَعاً وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ﴾**. قوله: (**أهون وأيسر**) أي مما قبله وهو

ما قبله أعوذ بوجهك رواه البخاري . وروى مسلم حديث سألت ربي أن لا يجعل بأس أمتي بينهم فمنعنيها . وفي حديث لما نزلت قال أما انها كائنة ولم يأت تأويلها بعد ﴿ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُصَرِّفُ ﴾ نبين لهم ﴿ ٱلۡأٓيَٰتِ ﴾ الدلالات على قدرتنا ﴿ لَعَلَّهُمۡ يَفۡقَهُونَ ﴾ ﴿٦٥﴾ يعلمون أن ما هم عليه باطل ﴿ وَكَذَّبَ بِهِۦ ﴾ بالقرآن ﴿ قَوۡمُكَ وَهُوَ ٱلۡحَقُّۚ ﴾ الصدق ﴿ قُل ﴾ لهم ﴿ لَّسۡتُ عَلَيۡكُم بِوَكِيلٖ ﴾ ﴿٦٦﴾ فأجازيكم إنما أنا منذر وأمركم إلى الله وهذا قبل الأمر بالقتال ﴿ لِّكُلِّ نَبَإٖ ﴾ خبر ﴿ مُّسۡتَقَرّٞۚ ﴾ وقت يقع فيه ويستقر ومنه عذابكم ﴿ وَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ﴾ ﴿٦٧﴾ تهديد لهم ﴿ وَإِذَا رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ

رضا بقضاء الله ، وإلا فقد استعاذ منه أولاً فلم يفد . قوله : **(ولما نزل ما قبله)** أي قوله : **﴿عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ﴾** الخ . قوله : **(أعوذ بوجهك)** أي فقال مرتين : مرة عند نزول قوله : **﴿عَذَاباً مِنْ فَوْقِكُمْ﴾** ، ومرة عند نزول قوله : **﴿أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾** . قوله : **(فمنعنيها)** أي منعني هذه المسألة ، بمعنى أنه لم يجبني في هذه الدعوة لما سبق في علمه من حصولها ، فكان أول ابتداء إذاقة البعض بأس البعض بعد موته ﷺ بخمس وعشرين سنة في وقعة علي ومعاوية ، وما زالت الفتن تتزايد إلى يوم القيامة . قوله : **(لما نزلت)** أي هذه الآية . قوله : **(قال أما إنها)** أما أداة استفتاح ، وإنها بكسر الهمزة ، والضمير عائد على الأمور الأربعة : عذاباً من فوقكم ، وعذاباً من تحت أرجلكم ، وتفريقكم شيعاً ، ونصب القتال بينكم ، فهذه الأربعة كائنة قبل يوم القيامة ، لكن الأخيران قد وقعا من منذ عصر الصحابة ، والأولان تفضل الله بتأخير وقوعهما إلى قرب قيام الساعة ، هكذا ورد ، ولكن قال العلماء وإن كان الأخيران يقعان قرب قيام الساعة ، لكن العذاب بهما ليس عاماً كما وقع في الأمم الماضية . قوله : **(ولم يأت تأويلها)** الضمير يعود على الآية أو الأمور الأربعة ، أي صرفها عن ظاهرها ، بل هي باقية على ظاهرها ، لكن بالوجه الذي علمته .

قوله : **﴿وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ﴾** أي أنكره حيث قالوا : إنه سحر أو شر أو كهانة أو غير ذلك ، وما ذكره المفسر من أن الضمير عائد على القرآن هو أحد أقوال وهو أقربها ، وقيل الضمير عائد على العذاب ، وقيل على الحق ، وقيل على النبي وهو بعيد . قوله : **(الصدق)** أي لأنه منزل من عند الله وما كان من عند الله فهو صدق لا محالة . قوله : **(وهذا قبل الأمر بالقتال)** أشار بذلك إلى أنه منسوخ بآيات القتال ، ولكن المناسب للمفسر أن يقول فأقاتلكم بدل قوله فأجازيكم . والحاصل أن في الآية تفسيرين الأول أن الآية محكمة ، والمعنى لست مجازياً على أعمالكم في الآخرة ، والثانية أنها منسوخة ، والمعنى لست مقاتلاً لكم إن حصلت منكم المخالفة ، إذا علمت ذلك فالمفسر لفق بين التفسيرين .

قوله : **﴿لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ﴾** نزلت رداً لاستعجالهم العذاب الذي كان يعدهم به ، والمعنى لكل خبر من الأخبار رحمة وعذاباً ، زمن يقع فيه إما الدنيا أو الآخرة أو فيهما لا يعلمه إلا الله : قوله : **(وقت يقع فيه)** أشار بذلك إلى أن مستقر اسم زمان ، ويصح أن يكون مصدراً أو اسم مكان . قوله : **﴿وَإِذَا رَأَيْتَ﴾** رأى بصرية والذين مفعولها ، ويبعد كونها علمية ، لأنه يقتضي أن المفعول الثاني محذوف ، وحذفه إما شاذ أو ممنوع . قوله : **﴿يَخُوضُونَ﴾** الخوض في الأصل الدخول في الماء فيستعار للشروع والدخول في الكلام ، فشبه آيات الله بالبحر ، وطوى ذكر المشبه به ورمز له بشيء من لوازمه وهو الخوض ، فإثباته تخييل ، والجامع بينهما التعرض للهلاك في كل ، فإن الخائض للبحر الغريق متعرض للهلاك ، فكذلك المتعرض

فِيٓ ءَايَٰتِنَا ﴾ القرآن بالاستهزاء ﴿ فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ ﴾ ولا تجالسهم ﴿ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦۚ وَإِمَّا ﴾ فيه إدغام نون إن الشرطية في ما المزيدة ﴿ يُنسِيَنَّكَ ﴾ بسكون النون والتخفيف وفتحها والتشديد ﴿ ٱلشَّيۡطَٰنُ ﴾ فقعدت معهم ﴿ فَلَا تَقۡعُدۡ بَعۡدَ ٱلذِّكۡرَىٰ ﴾ أي تذكره ﴿ مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ ﴿٦٨﴾ فيه وضع الظاهر موضع المضمر وقال المسلمون إن قمنا كلما خاضوا لم نستطع أن نجلس في المسجد وأن نطوف فنزل ﴿ وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ ﴾ الله ﴿ مِنۡ حِسَابِهِم ﴾ أي الخائضين ﴿ مِّن ﴾ زائدة ﴿ شَيۡءٍ ﴾ إذا جالسوهم ﴿ وَلَٰكِن ﴾ عليهم ﴿ ذِكۡرَىٰ ﴾ تذكرة لهم وموعظة ﴿ لَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ﴾ ﴿٦٩﴾ الخوض ﴿ وَذَرِ ﴾ اترك ﴿ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ ﴾ الذي كلفوه ﴿ لَعِبٗا وَلَهۡوٗا ﴾ باستهزائهم به ﴿ وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ ﴾ فلا تتعرض لهم وهذا قبل الأمر بالقتال ﴿ وَذَكِّرۡ ﴾ عظ ﴿ بِهِۦٓ ﴾ بالقرآن الناس لـ ﴿ أَن ﴾ لا ﴿ تُبۡسَلَ نَفۡسُۢ ﴾ تسلم إلى الهلاك ﴿ بِمَا كَسَبَتۡ ﴾ عملت ﴿ لَيۡسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ أي غيره ﴿ وَلِيّٞ ﴾ ناصر ﴿ وَلَا شَفِيعٞ ﴾ يمنع عنها العذاب ﴿ وَإِن تَعۡدِلۡ كُلَّ عَدۡلٖ ﴾ تفد كل

للأباطيل في كلام الله.

قوله: ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ الخطاب له ولأصحابه، فالنهي عام وهو منسوخ بآية القتال. قوله: ﴿فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾ الضمير عائد على الآيات وذكر باعتبار كونها حديثاً. قوله: ﴿وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ﴾ الخطاب له والمراد غيره، لأن إنساء الشيطان له مستحيل عليه. قوله: **(بسكون النون والتخفيف)** أي للسين من أنساه أوقعه في النسيان، وقوله **(وفتحها)** أي النون وقوله **(والتشديد)** أي للسين من نساه فيتعدى بالهمزة والتضعيف، وهما قراءتان سبعيتان، ومفعول ينسينك محذوف تقديره النهي أو ما أمرك الله به. قوله: **(فيه وضع الظاهر الخ)** أي زيادة في التشنيع عليهم، وأتى في جانب الرؤية بإذا المفيدة للتحقيق، وفي جانب الانساء بإن المفيدة إشارة إلى أن خوضهم في الآيات محقق، وإنساء الشيطان غير محقق، بل قد يقع وقد لا يقع. قوله: **(وقال المسلمون)** بيان لسبب نزول الآية.

قوله: ﴿وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ الجار والمجرور خبر مقدم، و ﴿مِنْ شَيْءٍ﴾ مبتدأ مؤخر. قوله: **(إذا جالسوهم)** أي فالجلوس مع الخائضين غير ممنوع لكن بشرط عدم مسايرتهم لما هم عليه وبشرط وعظهم ونهيهم عن المنكر، فهو تخصيص للنهي المتقدم. قوله: ﴿وَلَٰكِنْ﴾ **(عليهم)** ﴿ذِكْرَى﴾ أشار بذلك إلى أن ذكرى مبتدأ خبره محذوف، ويصح أن يكون مفعولاً لمحذوف تقديره ولكن يذكرونهم ذكرى. قوله **(الذي كلفوه)** أي وهو دين الإسلام، ودفع بذلك ما يقال المشركون لا دين لهم من الأديان المشروعة، فكيف أضيف إليهم دين، وأخبر عنه أنهم اتخذوه لعباً ولهواً. قوله: **(وهذا قبل الأمر بالقتال)** أي فهو منسوخ بآياته، ويدخل في عموم هذه الآية، من اتخذ دين الإسلام لهواً ولعباً، وأحدث فيه ما ليس منه، كالخوارج وبعض من يدعي الانتساب إلى الصالحين، حيث جعلوا الطريقة الموصلة إلى الله طِبلاً وزمراً، وأحدثوا أموراً لا تحل في دين الله. قوله: ﴿أَنْ تُبْسَلَ﴾ علة لقوله: ﴿وَذَكِّرْ بِهِ﴾ على حذف لام العلة قدرها المفسر ولا مقدرة، والابسال هو تسليم النفس في الحرب للقتال، والباسل الشجاع الذي يلقي بنفسه للهلاك. قوله: ﴿لَيْسَ لَهَا﴾ إما إستئناف أو حال من نفس أو صفة لها. قوله: ﴿وَلِيٌّ﴾ اسم ليس، و ﴿لَهَا﴾ خبر مقدم و ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ حال من ولي. قوله: **(تفد كل فداء)** أي تفتد بكل فداء

فداء ﴿لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ﴾ ما تفدى به ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبْسِلُواْ بِمَا كَسَبُواْۖ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ﴾ ماء بالغ نهاية الحرارة ﴿وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ﴾ مؤلم ﴿بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ﴾ ﴿٧٠﴾ بكفرهم ﴿قُلْ أَنَدْعُواْ﴾ أنعبد ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا﴾ بعبادته ﴿وَلَا يَضُرُّنَا﴾ بتركها وهو الأصنام ﴿وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا﴾ نرجع مشركين ﴿بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ إلى الإسلام ﴿كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ﴾ أضلته ﴿ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ﴾ متحيراً لا يدري أين يذهب حال من الهاء ﴿لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ﴾ رفقة ﴿يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى﴾ أي ليهدوه إلى الطريق يقولون له ﴿ٱئْتِنَاۗ﴾ فلا يجيبهم فيهلك والاستفهام للإنكار وجملة التشبيه حال من ضمير نرد ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ﴾ الذي هو الإسلام ﴿هُوَ ٱلْهُدَىٰۖ﴾ وما عداه ضلال ﴿وَأُمِرْنَا

قوله: **(ما تفدى به)** أشار بذلك إلى أن الضمير في لا يؤخذ عائد على الفداء بمعنى المفدى به، فهو مصدر أريد به اسم المفعول.

قوله **﴿أُوْلَٰئِكَ الَّذِينَ﴾** اسم الإشارة مبتدأ خبره الاسم الموصول، و**﴿لَهُمْ شَرَابٌ﴾** مبتدأ وخبر والجملة إما خبر ثان أو حال من الضمير في أبسلوا، أو مستأنف بيان للإبسال. قوله: **(ماء بالغ نهاية الحرارة)** أي يقطع الأمعاء كما قال في الآية الأخرى﴿وسقوا ماء حميماً فقطع أمعاءهم﴾. قوله: **(بكفرهم)** أشار بذلك إلى أن ما مصدرية، والفعل في تأويل مصدر مجرور بالباء. قوله: **﴿قُلْ أَنَدْعُوا﴾** قيل سبب نزولها أن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق قبل إسلامه دعا والده إلى عبادة الأصنام، فنزلت الآية أمراً للنبي ﷺ أن يرد على عبد الرحمن ومن يقوله بقوله، وفيه اعتناء بشأن الصديق وإظهار لفضله، حيث وجه الأمر إلى رسول الله، وفي الواقع الأمر لأبي بكر، والمعنى لا يليق منا عبادة من لا ينفعنا إذا عبدناه، ولا يضرنا إذا تركناه. قوله: **﴿وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا﴾** معطوف على أندعوا، فهو داخل في حيز الاستفهام. قوله: **﴿بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ﴾** أي بعد وقت هداية الله لنا.

قوله: **﴿كَالَّذِي﴾** صفة لموصوف محذوف، أي نرد رداً مثل الذي استهوته، والاستهواء من الهوى وهو السقوط من علو إلى سفل، سمى الاضلال بذلك، لأن من سقط من علو إلى سفل ولم يجد محلاً يستند عليه هلك، فكذلك من ترك الدين القويم ولم يتبعه هلك ولا يجد ناصراً وقد صرح بالمراد من هذا التشبيه في قوله تعالى:﴿ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق﴾والحاصل أن المشرك بالله مع وجود من يدله على التوحيد، مثله مثل من اختطفته الشياطين وسارت به في المفاوز والمهالك، مع سماعه مناداة من يأخذ بيده ويخلصه منهم وهو مفرط وراض لنفسه بذلك، والمراد بالشياطين ما يشمل شياطين الإنس. قوله: **﴿فِي الْأَرْضِ﴾** متعلق باستهوته. قوله: **حال من الهاء)** أي في استهوته.

قوله **﴿لَهُ أَصْحَابٌ﴾** جملة في محل نصب صفة لحيران قوله: **(والاستفهام الخ)** أي وهو قوله أندعوا، والمعنى لا ينبغي غير الله بعد هدايته لنا، لأن من عبد غير الله بعد إيمانه بالله، كان كمثل من أخذته الشياطين فصار حيران لا يدري أين يتوجه، مع كون أصحابه يدعونه إلى الطريق المستقيم فلا يجيبهم. قوله: **﴿هُوَ الْهُدَى﴾** أي التوفيق والاستقامة والجملة المعرفة الطرفين تفيد الحصر، فهو بمعنى إن

﴿لِنُسۡلِمَ﴾ أي بأن نسلم ﴿لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ ﴿٧١﴾ ﴿وَأَنۡ﴾ أي بأن ﴿أَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُۚ﴾ تعالى ﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ﴾ ﴿٧٢﴾ تجمعون يوم القيامة للحساب ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۖ﴾ أي محقاً ﴿وَ﴾ اذكر ﴿يَوۡمَ يَقُولُ﴾ للشيء ﴿كُن فَيَكُونُۚ﴾ هو يوم القيامة يقول للخلق قوموا فيقوموا ﴿قَوۡلُهُ ٱلۡحَقُّۚ﴾ الصدق الواقع لا محالة ﴿وَلَهُ ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِۚ﴾ القرن النفخة الثانية من إسرافيل لا ملك فيه لغيره لمن الملك اليوم لله ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۚ﴾ ما غاب وما شوهد ﴿وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ﴾ في خلقه ﴿ٱلۡخَبِيرُ﴾ ﴿٧٣﴾ بباطن الأشياء كظاهرها ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذۡ

الدين عند الله الإسلام.

قوله: ﴿وَأُمِرۡنَا﴾ أي أمرنا الله بأن نسلم بمعنى نوحد وننقاد لرب العالمين. قوله: ﴿وَأَنۡ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ قدر المفسر الباء إشارة إلى أنه معطوف على أن نسلم، فهو داخل تحت الأمر أيضاً، وفيه التفات من التكلم للخطاب، وعطف التقوى عليه من عطف العام، وخص الصلاة بعد الإسلام لأنها أعظم أركانه. قوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ﴾ هذا دليل للأمر المتقدم وموجب لامتثاله، والمعنى امتثلوا أوامره واجتنبوا نواهيه، لأنكم تجمعون إليه ويحاسبكم. قوله: **(أي محقاً)** أشار بذلك إلى أن الجار والمجرور متعلق بمحذوف حال، أي حال كونه محقاً أي موصوفاً بالحقية وهو وجوب الوجود الذي لا يقبل الزوال، ويحتمل أن يكون المعنى محقاً لا هازلاً ولا عابثاً، بل خلقهما لحكم ومصالح لعباده، ويؤيد هذا المعنى قوله تعالى: ﴿وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين﴾.

قوله: ﴿يَوۡمَ يَقُولُ﴾ معمول محذوف قدره المفسر بقوله اذكر والواو للاستئناف. قوله: ﴿يَقُولُ كُنۡ﴾ هذا كناية عن سرعة الإيجاد، وهو تقريب للعقول، وإلا فلا كاف ولا نون، قال تعالى: ﴿وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب﴾. قوله: ﴿فَيَكُونُ﴾ كل من كن ويكون تام يكتفي بالمرفوع، و **(هو)** ضمير يعود على جميع ما يخلقه الله. قوله: **(يقول للخلق)** أي جميعهم من مبدأ الدنيا إلى منتهاها، من العالم العلوي والسفلي. قوله: ﴿الۡحَقُّ﴾ يصح أن يكون مبتدأ وخبراً أو مبتدأ، والحق نعته خبره قوله يوم يقول. قوله: **(لا محالة)** أي لا بد من وقوعه وهو بفتح الميم مصدر ميمي، وأما بضم الميم فمعناه الباطل، وليس مراداً هنا. قوله: ﴿يَوۡمَ يُنۡفَخُ﴾ إما ظرف لقوله: ﴿وَلَهُ الۡمُلۡكُ﴾ وخص بذلك وإن كان الملك لله مطلقاً، لأنه في ذلك الوقت لا يملك أحد شيئاً مما كان يملكه في الدنيا، قال تعالى: ﴿ولقد جئتموها فرادى كما خلقناكم أول مرة﴾ أو خبر عن الملك والتقدير ينفخ في الصورة له أو بدل من يوم يقول.

قوله: ﴿فِي الصُّورِ﴾ هو نائب الفاعل. قوله: **(القرن)** أي المستطيل، قال مجاهد: الصور قرن كهيئة البوق، وفيه جميع الأرواح وفيه ثقب بعددها، فإذا نفخ خرجت كل روح من ثقبة ووصلت لجسدها فتحله الحياة، فالإحياء يحصل بإيجاد الله عند النفخ لا بالنفخ، فهو سبب عادي. قوله: **(النفخة الثانية)** أي وأما الأولى فعندها يموت كل ذي روح. قال تعالى: ﴿ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون﴾. قوله: **(وما غاب وما شوهد)** أي بالنسبة، وإلا فالكل عند الله شهادة ولا يغيب عليه شيء، بل ما في تخوم الأرضين والسماوات بالنسبة له كما على ظهرها سواء بسواء. قوله: ﴿وَهُوَ الۡحَكِيمُ الۡخَبِيرُ﴾ كالدليل لما قبله.

﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ﴾ هو لقبه واسمه تارخ ﴿أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً﴾ تعبدها استفهام توبيخ ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ﴾ باتخاذها ﴿فِى ضَلَٰلٍ﴾ عن الحق ﴿مُّبِينٍ ۝٧٤﴾ بين ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ كما أريناه إضلال أبيه وقومه ﴿نُرِىٓ إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ﴾ ملك ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ ليستدل به على وحدانيتنا ﴿وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ۝٧٥﴾ بها وجملة وكذلك وما بعدها اعتراض وعطف على قال ﴿فَلَمَّا جَنَّ﴾

قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ﴾ الظرف معمول لمحذوف قدره المفسر بقوله اذكر، والجملة معطوفة على جملة﴿قل أندعوا من دون الله﴾، والمعنى قل يا محمد لكفار مكة أندعوا من دون الله ما ينفعنا ولا يضرنا، واحتج عليهم بما وقع لإبراهيم مع قومه حيث شنع على عبادة الأصنام. قوله: (**واسمه تاريخ**) يقرأ بالخاء المعجمة والحاء المهملة، وقيل إن آزر اسمه تارخ لقبه، وهو جمع بين قولين، وتارخ بدل أو عطف بيان، وآزر من الأزر وهو العيب، لأنه قام به العيب حيث عبد الأصنام أو العوج، ولا شك أنه قام به الأمران العيب والعوج. قوله: ﴿أَصْنَاماً﴾ المراد بها ما صور على هيئة الإنسان وعبد من دون الله، كانت من خشب أو حجر أو ذهب أو فضة أو غير ذلك، وأصناماً مفعول أول لتتخذ، وآلهة مفعول ثان. قوله: (**تعبدها**) أي أنت وقومك الذين هم الكنعانيون. قوله: (**استفهام توبيخ**) أي على سبيل الإنكار. قوله: ﴿إِنِّي أَرَاكَ﴾ أي أعلمك، فالكاف مفعول أول، وفي ضلال مبين مفعول ثان، ومقتضى هذه الآية وآية مريم، أن آزر أبا إبراهيم كان كافراً، وهو يشكل على ما قاله المحققون أن نسب رسول الله ﷺ محفوظاً من الشرك، فلم يسجد أحد من آبائه من عبد الله إلى آدم لصنم قط، وبذلك قال المفسر في قوله تعالى: ﴿وتقلبك في الساجدين﴾وقال البوصيري في الهمزية:

وبدا للوجود منك كريم من كريم آباؤه كرماء

وأجيب عن ذلك بأن حفظهم من الإشراك ما دام النور المحمدي في ظهرهم، فإذا انتقل جاز أن يكفروا بعد ذلك، كذا قال المفسرون هنا، وهذا على تسليم أن آزر أبوه، وأجاب بعضهم أيضاً بمنع أن آزر أبوه بل كان عمه وكان كافراً وتارخ أبوه مات في الفترة ولم يثبت سجوده لصنم، وإنما سماه أباً على عادة العرب من تسمية العم أباً، وفي التوراة اسم أبي إبراهيم تارخ. قوله: (بين) أي ظاهر لا شك فيه. قوله: (**كما أريناه إضلال أبيه قومه**) أي بسبب تعليمه التوحيد وكونه مجبولاً عليه، لما ورد أنه حين نزل من بطن أمه قام على قدميه وقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت، الحمد لله الذي هدانا لهذا. قوله: (**ملك**) أشار بذلك إلى أن المراد بالملكوت الملك، والتاء فيه للمبالغة كالرغبوت والرهبوت والرحموت، من الرغبة والرهبة والرحمة، وعلى هذا فالملكوت والملك واحد، وللصوفية فرق بين الملك والملكوت، فالملك ما ظهر لنا، والملكوت ما خفي عنا كالسماوات وما فيها إذ علمت ذلك، فالأولى إبقاؤه على ظاهره لما ورد أنه أقيم على صخرة وكشف له من السماوات حتى العرش والكرسي وما في السموات من العجائب، وحتى رأى مكانه في الجنة، فذلك قوله تعالى: ﴿وآتيناه أجره في الدنيا﴾ وكشف له عن الأرض حتى نظر إلى أسفل الأرضين ورأى ما فيها من العجائب، وهذا يفيد أن الرؤية بصرية لا علمية. قوله: (**ليستدل به على وحدانيتنا**) أي ليعلم قومه كيفية الاستدلال على ذلك لا لتوحيد نفسه، فإن توحيده بالمشاهدة لا بالدليل. قوله: ﴿وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾ معطوف على محذوف قدره المفسر بقوله ليستدل الخ. قوله: (**اعتراض**) أي بين قوله﴿وإذ قال إبراهيم﴾وبين الاستدلال عليهم.

أظلم ﴿ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ﴾ قيل هو الزهرة ﴿ قَالَ ﴾ لقومه وكانوا نجامين ﴿ هَٰذَا رَبِّي ﴾ في زعمكم ﴿فَلَمَّآ أَفَلَ﴾ غاب ﴿قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْأَفِلِينَ ﴾ ﴿٧٦﴾ أن أتخذهم أرباباً لأن الرب لا يجوز عليه التغيير والانتقال لأنهما من شأن الحوادث فلم ينجع فيهم ذلك ﴿ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا ﴾ طالعاً ﴿ قَالَ ﴾ لهم ﴿ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي ﴾ يثبتني على الهدى ﴿ لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴾ ﴿٧٧﴾ تعريض لقومه بأنهم على ضلال فلم ينجع فيهم ذلك ﴿ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً

قوله: ﴿فَلَمَّا جَنَّ﴾ من الجنة وهي الستر، وحاصل ذلك أن نمروذ بن كنعان كان يدعو الناس إلى عبادته، وكان له كهان ومنجمون، فقالوا له إنه يولد في بلدك هذه السنة غلام يغير دين أهل الأرض، ويكون هلاكك وزوال ملكك على يديه، فأمر بذبح كل غلام يولد في تلك السنة، وأمر بعزل النساء عن الرجال، وجعل على كل عشرة رجلاً يحفظهم، فإذا حاضت المرأة خلوا بينها وبين زوجها، لأنهم كانوا لا يجامعون في الحيض فإذا طهرت من الحيض حالوا بينهما، فخرج نمروذ بالرجال في البرية وعزلهم عن النساء تخوفاً من ذلك المولود، فمكث بذلك ما شاء الله، ثم بدت له حاجة إلى المدينة فلم يأمن عليها أحداً من قومه إلا آزر، فبعث إليه فأحضره عنده وقال له: إن لي إليك حاجة أحب أوصيك بها، ولم أبعثك فيها إلا لثقتي بك، فأقسمت عليك أن لا تدنو من أهلك، فقال آزر أنا أشح على ديني من ذلك، فأوصاه بحاجته فدخل المدينة وقضى حاجة الملك، ثم دخل على أهله فلم يتمالك نفسه حتى واقع زوجته فحملت من ساعتها بإبراهيم، فلما دنت ولادتها خرجت هاربة مخافة أن يطلع عليها فيقتل ولدها، فلما وضعته جعلته في نهر يابس، ثم لفته في خرقة وتركته، قيل أخبرت أباه به، وقيل لا، وكانت تختلف إليه لتنظر ما فعل، فتجده حياً وهو يمص من أصبع ماء، ومن أصبع لبناً، ومن أصبع سمناً، ومن أصبع عسلاً، ومن أصبع تمراً، وكان إبراهيم يشب في اليوم كالشهر، وفي الشهر كالسنة، فمكث خمسة عشر شهراً، قالوا فلما شب إبراهيم وهو في السرب قال لأمه من ربي قالت أنا، قال فمن ربك قالت أبوك، قال فمن رب أبي قالت اسكت، ثم رجعت إلى زوجها فقالت أرأيت الغلام الذي كنا نحدث أنه يغير دين أهل الأرض، ثم أخبرته بما قال، فأتاه أبوه آزر فقال إبراهيم: يا أبتاه من ربي قال أمك، قال فمن رب أمي قال أنا، قال فمن ربك قال نمروذ قال فمن رب نمروذ فلطمه لطمة وقال له اسكت. ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَباً﴾ الآية، واختلف في وقت هذا القول، هل كان قبل البلوغ والرسالة أو بعدهما، والصحيح أنه بعد البلوغ وإيتاء الرسالة، وما وقع من إبراهيم إنما هو مجاراة لقومه واستدراج لهم، لأجل أن يعرفهم جهلهم وخطأهم في عبادة غير الله، وليس إثباته الربوبية لهذه الأجرام على حقيقة حاشاه من ذلك، لأن الأنبياء معصومون من الجهل قبل النبوة وبعدها، لأن توحيدهم بالشهود على طبق ما جبلت عليه أرواحهم من يوم ألست بربك. قوله: (قيل هو الزهرة) خصها لأنها أضوأ الكواكب وهي في السماء الثالثة. قوله: **(وكانوا نجامين)** أي عالمين بالنجوم أو عابدين لها. قوله: (في زعمكم) أي فالجملة خبرية على حسب زعمهم، لا على حسب الواقع واعتقاد إبراهيم. قوله: (غاب) يقال أفل الشيء أفولاً. قوله: **(التغير والانتقال)** أي لأن الأفول حركة، الحركة تقتضي حدوث المتحرك وإمكانه، فيمتنع أن يكون إلهاً. قوله: (فلم ينجع) أي لم يؤثر ويفد، وهو من باب خضع، يقال نجع نجوعاً ظهر أثره. قوله: ﴿بَازِغاً﴾ حال

﴿قَالَ هَٰذَا﴾ ذكره لتذكير خبره ﴿رَبِّي هَٰذَآ أَكۡبَرُۖ﴾ من الكوكب والقمر ﴿فَلَمَّآ أَفَلَتۡ﴾ وقويت عليهم الحجة ولم يرجعوا ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ٧٨﴾ بالله من الأصنام والأجرام المحدثة المحتاجة إلى محدث فقالوا له ما تعبد قال ﴿إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ﴾ قصدت بعبادتي ﴿لِلَّذِي فَطَرَ﴾ خلق ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ﴾ أي الله ﴿حَنِيفٗاۖ﴾ مائلاً إلى الدين القيم ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٧٩﴾ به ﴿وَحَآجَّهُۥ قَوۡمُهُۥۚ﴾ جادلوه في دينه وهددوه بالأصنام أن تصيبه بسوء إن تركها ﴿قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي﴾ بتشديد النون وتخفيفها بحذف إحدى النونين وهي نون الرفع عند النحاة ونون الوقاية عند القراء

من القمر والبزغ الطلوع.

قوله: ﴿قَالَ هٰذَا رَبِّي﴾ أي بزعمكم كما تقدم. قوله: **(يثبتني على الهدى)** إنما قال ذلك لأن أصل الهدى حاصل للأنبياء بحسب الفطرة والخلقة فلا يتصور نفيه. قوله: **(تعريض لقومه)** إنما عرض بضلالهم في أمر القمر، لأنه أيس منهم في أمر الكوكب، ولو قاله في الأول لما أنصفوه، ولهذا صرح في الثالثة بالبراءة منهم وأنهم على شرك، أي فالتعريض هنا لاستدراج الخصم إلى الإذعان والتسليم، قوله: **(فلم ينجع فيهم ذلك)** أي الدليل المذكور. قوله: **(لتذكير خبره)** أي وهو ربي وهذا كالمتعين، لأن المبتدأ والخبر عبارة عن شيء واحد، والرب سبحانه وتعالى مصان عن شبهة التأنيث، ألا تراهم قالوا في صفته علام ولم يقولوا علامة، وإن كان علامة أبلغ تباعداً عن علامة التأنيث.

قوله: ﴿هٰذَا أَكْبَرُ﴾ أي جرماً وضوءاً، وسعة جرم الشمس مائة وعشرون سنة كما قاله الغزالي وفي رواية أنها قدر الأرض مائة وستين مرة، والقمر قدرها مائة وعشرين مرة. قوله: ﴿مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ ما مصدرية، أي بريء من إشراككم، أو موصولة أي من الذي تشركونه مع الله فحذف العائد. قوله: **(والأجرام)** عطف عام لأنها تشمل الأصنام والنجوم. قوله: **(قصدت بعبادتي)** أي فليس المراد بالوجه الجسم المعروف، بل المراد به القلب، وإنما عبر المفسر بالقصد، لأن القصد والنية محلهما القلب، وإنما انتفى الوجه الحسي لاستحالة الجهة على الله. قوله: **(خلق)** ﴿السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ أي وما فيهما، ومن جملته معبوداتكم العلوية والسفلية، لقد أبطل السفلية بقوله إني أراك وقومك في ضلال مبين، والعلوية بقوله لما جن عليه الليل الخ. قوله: ﴿حَنِيفاً﴾ حال من التاء في وجهت.

قوله: ﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ﴾ روي أنه لما شب إبراهيم وكبر، جعل آزر يصنع الأصنام ويعطيها له ليبيعها، فيذهب بها وينادي يا من يشتري ما يضره ولا ينفعه، فلا يشتريها أحد، فإذا بارت عليه ذهب بها إلى نهر وضرب فيه رؤوسها وقال لها اشربي استهزاء بقومه، حتى إذا فشا فيهم استهزاؤه جادلوه، وذلك قوله تعالى: ﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ﴾ الخ. قوله: **(وهددوه)** عطف تفسير على **(جادلوه)** أي فمحاجتهم كانت بالتهديد لا بالبرهان لعدمه عندهم ومحاجة إبراهيم كانت بالبرهان ففرق بين المقامين. قوله: **(أن تصيبه بسوء)** أي كخبل وجنون.

قوله: ﴿قَالَ أَتُحَاجُّوني﴾ الخ، استئناف وقع جواباً لسؤال نشأ من حكاية محاجتهم، كأنه قيل فماذا قال حين حاجوه. قوله: **(بتشديد النون)** أي لإدغام نون الرفع في نون الوقاية. وقوله: **(تخفيفها)** أي تخلصاً من اجتماع مشددين في كلمة واحدة وهما الجيم والنون. قوله: **(عند النحاة)** أي كسيبويه وغيره من

أتجادلونني ﴿فِي﴾ وحدانية ﴿ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ﴾ تعالى اليها ﴿وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ﴾ ـه ﴿بِهِۦٓ﴾ من الأصنام أن تصيبني بسوء لعدم قدرتها على شيء ﴿إِلَّآ﴾ لكن ﴿أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيْـًٔا﴾ من المكروه يصيبني فيكون ﴿وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ أي وسع علمه كل شيء ﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ ﴿٨٠﴾ هذا فتؤمنون ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ﴾ بالله وهي لا تضر ولا تنفع ﴿وَلَا تَخَافُونَ﴾ أنتم من الله ﴿أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ﴾ في العبادة ﴿مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ﴾ بعبادته ﴿عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا﴾ حجة وبرهاناً وهو القادر على كل شيء ﴿فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ﴾ أنحن أم أنتم ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ﴿٨١﴾ من الأحق به أي وهو نحن فاتبعوه قال تعالى ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟﴾ يخلطوا ﴿إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ أي شرك كما فسر بذلك في حديث الصحيحين ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ﴾ من العذاب ﴿وَهُم

البصريين، مستدلين بأنها نائبة عن الضمة، وهي قد تحذف كما في قراءة أبي عمرو ينصركم ويأمركم بالإسكان، فكذا ما ناب عنها. قوله: (عند القراء) أي مستدلين بأن الثقل إنما حصل بها. قوله: ﴿وَقَدْ هَدَانِ﴾ يرسم بلا ياء لأنها من ياءات الزوائد، وفي النطق يجب حذفها في الوقف، ويجوز إثباتها وحذفها في الوصل، وجملة وقد هدان في محل نصب على الحال من الياء في أتحاجوني، والمعنى أتحاجوني في الله حال كوني مهدياً من عنده، وحجتكم لا تجدي شيئاً لأنها داحضة.

قوله: ﴿مَا تُشْرِكونَ بِهِ﴾ أشار إلى أن ما موصولة، فالهاء في به تعود على ما، والمعنى ولا أخاف الذي تشركون الله به أو تعود على الله، والمحذوف هو العائد على ما. قوله: (لكن) أشار بذلك إلى أن الاستثناء منقطع، لأن المشيئة ليست مما يشركون به. قوله: (يصيبني) صفة ليشاء وهو إشارة إلى تقدير مضاف، أي إلا أن يشاء ربي إصابة شيء لي، وقوله: (فيكون) بالنصب عطف على مدخول أن أو بالرفع استئناف، أي فهو يكون محول عن الفاعل كما يفيده المفسر نحو﴿اشتعل الرأس شيباً﴾ والجملة كالتعليل. قوله: ﴿عِلْماً﴾ تمييز محول عن الفاعل كما يفيده المفسر نحو﴿اشتعل الرأس شيباً﴾ والجملة كالتعليل للاستثناء قوله: ﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة عليه، أي أتعرضون عن التأمل في أن آلهتكم جمادات لا تضر ولا تنفع فلا تتذكرون بطلانها.

قوله: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ﴾ استئناف مسوق لنفي الخوف عنه بالطريق الإلزامي بعد نفيه بحسب الواقع في سابقاً﴿ولا أخاف ما تشركون به﴾والاستفهام للتعجب. قوله: ﴿مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ﴾ مفعول لأشركتم. قوله: ﴿فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ﴾ أي من الموحد والمشرك. قوله: ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ إن شرطية وجوابها محذوف، قدره المفسر بقوله فاتبعوه.

قوله: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ الخ، يحتمل أن يكون من كلام إبراهيم، أو من كلام قومه، أو من كلام الله تعالى، أقوال للعلماء، فإن قلنا إنها من كلام إبراهيم، كان جواباً عن السؤال في قوله فأي الفريقين الخ وكذا قلنا إنها من كلام قومه، ويكونون أجابوا بما هو حجة عليهم، وعلى هذين الاحتمالين فهو خبر لمحذوف، وإن كان من كلام الله تعالى لمجرد الإخبار، كان الموصول مبتدأ، وأولئك مبتدأ ثان، والأمن مبتدأ ثالث، ولهم خبره، والجملة خبر أولئك، وأولئك وخبره خبر الأول. قوله: (في حديث الصحيحين) أي ففيهما عن ابن مسعود قال: لما نزلت الذين ﴿آمَنُوا﴾ الخ، شق ذلك على المسلمين وقالوا أينا لم يظلم

مُّهۡتَدُونَ ﴾ ﴿٨٢﴾ ﴿ وَتِلۡكَ ﴾ مبتدأ ويبدل منه ﴿ حُجَّتُنَآ ﴾ التي احتج بها إبراهيم على وحدانية الله من أفول الكواكب وما بعده والخبر ﴿ ءَاتَيۡنَٰهَآ إِبۡرَٰهِيمَ ﴾ أرشدناه لها حجة ﴿ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦۚ نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ ﴾ بالإضافة والتنوين في العلم والحكمة ﴿ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ ﴾ في صنعه ﴿ عَلِيمٞ ﴾ ﴿٨٣﴾ بخلقه ﴿ وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ ﴾ ابنه ﴿ كُلًّا ﴾ منهما ﴿ هَدَيۡنَاۚ وَنُوحًا هَدَيۡنَا مِن قَبۡلُۖ ﴾ أي قبل

نفسه، فقال رسول الله ﷺ ليس ذلك إنما هو للشرك، ألم تسمعوا قول لقمان لابنه: ﴿يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم﴾ وهذا ما ذهب إليه أهل السنة، وذهب المعتزلة إلى أن المراد بالظلم في الآية المعصية لا الشرك، بناء على أن خلط أحد الشيئين بالآخر يقتضي اجتماعهما، ولا يتصور خلط الإيمان بالشرك، لأنهما ضدان لا يجتمعان، وأجاب أهل السنة بأن الإيمان قد يجامع الشرك، ويراد بالإيمان مطلق التصديق، سواء كان باللسان أو بغيره، وكذا إن أريد به تصديق القلب، لجواز أن يصدق المشرك بوجود الصانع دون وحدانيته، كما قال تعالى: ﴿وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون﴾ أفاده زاده على البيضاوي.

قوله: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا﴾ أعرب المفسر اسم الاشارة مبتدأ، وحجتنا بدل منه، وجملة ﴿آتَيْنَاهَا﴾ خبر المبتدأ. وقوله: ﴿عَلَى قَوْمِهِ﴾ متعلق بمحذوف حال من الهاء في آتيناها، وهو أحسن الأعاريب وقيل إن تلك حجتنا مبتدأ وخبر، وآتيناها خبر ثان، وعلى قومه متعلق بحجتنا، واسم الإشارة عائد على قوله ﴿فلما جن عليه الليل﴾ إلى هنا، أو من قوله ﴿كذلك نرى إبراهيم﴾ إلى هنا. وقوله: **(من أفول الكواكب)** أي التي هي الزهرة والقمر والشمس. قوله: **(وما بعده)** أي وهو قوله ﴿وحاجه قومه﴾ الخ.

قوله: ﴿آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ﴾ أي بوحي أو الهام. قوله: **(حجة)** ﴿عَلَى قَوْمِهِ﴾ قدره المفسر إشارة إلى أن الجار والمجرور متعلق بمحذوف حال من الهاء في آتيناها. قوله: ﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ﴾ مفعول نشاء محذوف تقديره رفعها. قوله: **(بالإضافة والتنوين)** أي فهما قراءتان سبعيتان فعلى الإضافة المفعول به هو درجات وعلى التنوين هو من نشاء، ودرجات ظرف لنرفع، والتقدير نرفع من نشاء في درجات. قوله: **(في العلم والحكمة)** قيل هي النبوة، فالعطف مغاير، وقيل العلم النافع، فالعطف خاص على عام اعتناء بشرف نفع العلم وإظهاراً لفضله. قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ﴾ أي يضع الشيء في محله، وهو كالدليل لما قبله، والمعنى أن الله لا معقب لحكمه، فيرفع من يشاء، ويضع من يشاء، لا اعتراض عليه، فإنه ﴿حَكِيمٌ﴾ يضع الشيء في محله، ﴿عَلِيمٌ﴾ لا يخفى عليه شيء.

قوله: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحٰقَ﴾ الخ، لما أنعم الله على إبراهيم عليه السلام بالنبوة والعلم، ورفع درجاته حيث جاهد في الله حق جهاده، أتم الله عليه النعمة، بأن وهب له إسحاق ويعقوب وإسماعيل وجعل في ذريته النبوة إلى يوم القيامة، واسحاق هو من سارة، وجملة وهبنا معطوفة على قوله: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا﴾ عطف فعلية على اسمية، والمقصود من تلاوة هذه النعم على محمد تشريفه، لأن شرف الوالد يسري للولد. قوله: ﴿كُلًّا هَدَيْنَا﴾ أي للشرع الذي أوتيه. قوله: ﴿وَنُوحاً هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ﴾ نوح هو ابن لمك بفتح اللام وسكون الميم وبالكاف، وقيل ملكان بفتح الميم وسكون اللام، وبالنون بعد الكاف ابن

إبراهيم ﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ ﴾ أي نوح ﴿ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ ﴾ ابنه ﴿ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ ﴾ بن يعقوب ﴿ وَمُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ وَكَذَٰلِكَ ﴾ كما جزيناهم ﴿ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ ﴿٨٤﴾ ﴿ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ ﴾ ابنه ﴿ وَعِيسَىٰ ﴾ ابن مريم يفيد أن الذرية تتناول أولاد البنت ﴿ وَإِلْيَاسَ ﴾ ابن أخي هارون أخي موسى ﴿ كُلٌّ ﴾ منهم ﴿ مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴾ ﴿٨٥﴾ ﴿ وَإِسْمَـٰعِيلَ ﴾ بن إبراهيم ﴿ وَٱلْيَسَعَ ﴾ اللام زائدة ﴿ وَيُونُسَ وَلُوطًا ﴾ بن هاران أخي إبراهيم ﴿ وَكُلًّا ﴾ منهم ﴿ فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ ﴿٨٦﴾ بالنبوة ﴿ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّـٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ﴾ عطف على كلاً أو نوحاً ومن للتبعيض لأن بعضهم لم يكن له ولد وبعضهم كان في ولده كافر ﴿ وَٱجْتَبَيْنَـٰهُمْ ﴾ اخترناهم ﴿ وَهَدَيْنَـٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ ﴿٨٧﴾ ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ الدين الذي هدوا إليه ﴿ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ ﴾ فرضاً ﴿ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟

متوشلخ، بضم الميم وفتح التاء الفوقية والواو، وسكون الشين المعجمة وكسر اللام، وبالخاء المعجمة ابن ادريس.

قوله: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِ﴾ يحتمل أن الضمير عائد على نوح، لأنه أقرب مذكور واختاره المفسر، ويحتمل أنه عائد على إبراهيم، لأنه المحدث عنه، ويبعده ذكر لوط في الذرية، مع أنه ليس ذرية إبراهيم، بل هو ابن هارون وهو أخو إبراهيم. قوله: ﴿وَأَيُّوبَ﴾ هو ابن أموص بن رازح بن عيص بن اسحاق. قوله: ﴿وَمُوسَى﴾ هو ابن عمران بن يصهر بن لاوي بن يعقوب، وقوله: ﴿وَهٰرُونَ﴾ أي وهو أخو موسى وكان أسن منه بسنة. قوله: ﴿نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ أي المؤمنين، أي فمن اتبعهم في الإيمان ألحق بهم ورفع الله درجاته. قوله: **(يفيد أن الذرية الخ)** أي لأن عيسى لا أب له.

قوله: ﴿وَإِلْيَاسَ﴾ **(ابن أخي هرون)** وقيل هو إدريس فله اسمان وهو خلاف الصحيح، لأن إدريس أحد أجداد نوح وليس من الذرية، والياس بهمز أوله وتركه وهو ابن ياسين بن فنحاص بن عيزار ابن هارون بن عمران، وهذا هو الصحيح، فالصواب للمفسر حذف لفظة أخي. قوله: ﴿وَٱلْيَسَعَ﴾ الجمهور على أنه بلام واحدة ساكنة وفتح الياء، وقرىء بلام مشددة وياء ساكنة، وهو ابن أخطوب ابن العجوز.

قوله: ﴿وَيُونُسَ﴾ هو ابن متى وهي أمه. قوله: ﴿وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَالَمِينَ﴾ أي على سائر الأولين والآخرين. قوله: **(عطف على كلاً)** أي والعامل فيه فضلنا، وقوله: **(أو نوحاً)** أي العامل فيه هدينا، والأقرب الأول. قوله: **(ومن للتبعيض)** هذا ظاهر في الآباء والأبناء لا الإخوان فإنهم كلهم مهديون. قوله: **(لأن بعضهم لم يكن له ولد الخ)** هذا تعليل لكون من للتبعيض، وقد خصه المفسر بالذرية، ويقال مثله في الآباء. والحاصل أنه ذكر في هذه الآيات من الأنبياء الذين يجب الإيمان بهم تفصيلاً ثمانية عشر، وبقي سبعة وهم محمد ﷺ وإدريس وشعيب وصالح وهود ذو الكفل وآدم، فتكون الجملة خمسة وعشرين مذكورين في القرآن يجب الإيمان بهم تفصيلاً، وبقي ثلاثة مذكورون في القرآن واختلف في نبوتهم، لقمان وذو القرنين والعزيز، من أنكر وجودهم كفر، ومن أنكر نبوتهم لا يكفر. قوله: **(الذي هدوا إليه)** أي وهو التوحيد. قوله: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا﴾ **(فرضاً)** أشار بذلك إلى الشرك مستحيل

يَعۡمَلُونَ ﴾ ﴿٨٨﴾ ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾ بمعنى الكتب ﴿ وَٱلۡحُكۡمَ ﴾ الحكمة ﴿ وَٱلنُّبُوَّةَۚ فَإِن يَكۡفُرۡ بِهَا ﴾ أي بهذه الثلاثة ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ أي أهل مكة ﴿ فَقَدۡ وَكَّلۡنَا بِهَا ﴾ أرصدنا لها ﴿ قَوۡمٗا لَّيۡسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴾ ﴿٨٩﴾ هم المهاجرون والأنصار ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ﴾ هم ﴿ ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ﴾ طريقهم من التوحيد والصبر ﴿ ٱقۡتَدِهۡۗ ﴾ بهاء السكت وقفاً ووصلاً وفي قراءة بحذفها وصلاً ﴿ قُل ﴾ لأهل مكة ﴿ لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ ﴾ أي القرآن ﴿ أَجۡرًاۖ ﴾ تعطونيه ﴿ إِنۡ هُوَ ﴾ ما القرآن ﴿ إِلَّا ذِكۡرَىٰ ﴾ عظة ﴿ لِلۡعَٰلَمِينَ ﴾ ﴿٩٠﴾ الإنس والجن ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ﴾ أي اليهود ﴿ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ ﴾ أي ما عظموه حق

عليهم، فلو غير مقتضيه للوقوع أو هو خطاب لهم والمراد غيرهم.

قوله: ﴿**أُوْلَٰئِكَ**﴾ أي الأنبياء المتقدمون وهم الثمانية عشر. قوله: (**الحكمة**) أي العلم النافع أي المراد بالحكم الفصل بين الناس والقضاء بينهم. قوله: ﴿**فَقَدْ وَكَّلْنَا**﴾ أي وفقنا وأعددنا للقيام بحقوقها، وهذا التعليل لجواب الشرط محذوف تقديره فلا ضرر عليك لأننا قد وكلنا الخ، وفي هذه وعد من الله بنصره وإظهار دينه. قوله: ﴿**لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ**﴾ أي بل هم مستمرون على الإيمان بها، والمعنى لا تحزن يا محمد على كفر أهل مكة، فإن من كفر منهم وباله على نفسه، وأما آيات الله فقد جعل لها أهلاً يؤمنون بها ويعملون إلى يوم القيامة. قوله: (**من التوحيد الخ**) دفع ذلك ما يقال إن هذه الآية تقتضي أن رسول الله تابع لغيره من الأنبياء، مع أن شرعه ناسخ لجميع الشرائع، وأن كلهم ملتمسون منه، فأجاب بأن الاقتداء في التوحيد الصبر على الأذى، لا في فروع الدين. قوله: (**وقفاً ووصلاً**) أما الوقف فظاهر، وأما الوصل فإجراء له مجرى الوقف، قال ابن مالك:

وربما أعطى لفظ الوصل ما للوقف نثراً وفشا منتظما

قوله: (**الإنس والجن**) أي ففي الآية دليل على عموم رسالته للعالمين إلى يوم القيامة، وقد احتج العلماء بهذه على أن رسول الله ﷺ أفضل من جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وبيانه أن جميع خصال الكمال وصفات الشرف كانت متفرقة فيهم، فكان نوح صاحب احتمال أذى على قومه وإبراهيم صاحب كرم وبذل ومجاهدة في سبيل الله عز وجل، وإسحاق ويعقوب وأيوب وأصحاب صبر على البلاء والمحن، وداود وسليمان أصحاب شكر على النعم، ويوسف جمع بين الصبر والشكر، وموسى صاحب الشريعة الظاهرة والمعجزات الباهرة، وزكريا ويحيى وعيسى والياس من أصحاب الزهد في الدنيا، واسماعيل صاحب صدق الوعد، ويونس صاحب تضرع وإخبات، ثم إن الله أمر نبيه أن يقتدي بهم في جميع تلك الخصال المحمودة المتفرقة فيهم، فثبت بهذا أنه أفضل الأنبياء لما اجتمع فيه من هذه الخصال والله أعلم اهـ من الخازن.

لكن قد يقال إن المزية لا تقتضي الأفضلية، ولذا قال أشياخنا المحققون إنه وإن كان جامعاً لجميع ما تفرق في غيره، لتفضيله من الله لا بتلك المزايا، فقد فاقهم فضلاً ومزايا.

ـ تتمة ـ بين آدم ونوح ألف ومائة سنه وعاش آدم تسعمائة وستين سنة وكان بين إدريس ونوح ألف سنة، وبعث نوح لأربعين سنة، ومكث في قومه ألف سنة إلا خمسين، وعاش بعد الطوفان ستين سنة،

عظمته أو ما عرفوه حق معرفته ﴿ إِذْ قَالُواْ ﴾ للنبي ﷺ وقد خاصموه في القرآن ﴿ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍۗ قُلْ ﴾ لهم ﴿ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُۥ ﴾ بالياء والتاء في المواضع الثلاثة ﴿قَرَاطِيسَ﴾ أي يكتبونه في دفاتر مقطعة ﴿تُبْدُونَهَا﴾ أي ما يحبون إبداءه

وقيل بعث نوح وهو ابن ثلاثمائة وخمس وخمسين، وإبراهيم ولد على رأس ألفي سنة من آدم، وبينه وبين نوح عشرة قرون، وعاش إبراهيم مائة وخمساً وسبعين، وولده إسماعيل عاش مائة وثلاثين سنة، وكان له حين مات أبوه تسع وثمانون سنة، وأخوه إسحاق ولد بعده بأربع عشر سنة، وعاش مائة وثمانين سنة، ويعقوب بن اسحاق عاش مائة وسبعاً وأربعين، ويوسف بن يعقوب بن اسحاق عاش مائة وعشرين سنة، وبينه وبين موسى أربعمائة سنة، وبين موسى وإبراهيم خمسمائة وخمس وستون سنة، وولده سليمان عاش نيفاً وخمسين سنة، وبينه وبين مولد النبي ﷺ نحو ألف وسبعمائة سنة، وأيوب عاش ثلاثاً وستين سنة، وكانت مدة بلائه سبع سنين انتهى من التحبير في علم التفسير للسيوطي.

قوله: ﴿وَمَا قَدَرُوا ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ استئناف مسوق لبيان أوصاف اليهود، وقدر من باب نصر، يقال قدر الشيء إذا سبره وحرزه ليعرف مقداره، والمعنى لم يعترفوا بقدر الله، وهذا الكلام إنما هو تنزل مع اليهود، وإلا فالخلائق لم يعظموا الله حق تعظيمه ولم يعرفوه حق معرفته. واعلم أن هنا معنيين: الأول أن معنى وما قدروا الله حق قدره، أي ما عرفوه المعرفة التي تليق به، وهذه لا يصل إليها أحداً أبداً، ففي الحديث: «سبحانك ما عرفناك حق معرفتك يا معروف لا أحصى ثنا عليك أنت كما أثنيت على نفسك» وهذا منتف في حق كل مخلوق، فلا خصوصية لليهود، الثاني أن معنى وما قدروا الله حق قدره، أنهم لم يعظموه ولم يعرفوه على حسب ما أمروا به، وهذا لم يقع من اليهود، وإنما هو واقع من المؤمنين وهذا هو المراد هنا.

قوله: ﴿إِذْ قَالُوا﴾ إما ظرف لقدروا أو تعليل له. قوله: (**وقد خاصموه في القرآن**) أي كفنحاص ابن عازوراء ومالك بن الصيف، فقد جاء يخاصم النبي ﷺ، فقال له النبي أنشدك الله الذي أنزل التوراة على موسى، هل تجد فيها أن الله تعالى يبغض الحبر السمين أي العالم الجسيم، وكان مالك المذكور كذلك، وكان فيها ما ذكر، فقال نعم، وكان يجب إخفاء ذلك، لكن أقر لإقسام النبي عليه السلام، فقال له النبي أنت حبر سمين، فغضب وقال ما أنزل الله على بشر من شيء، فقال أصحابه الذين معه ويحك ولا على موسى، فقال والله ما أنزل الله على بشر من شيء، فلما سمعت اليهود تلك المقالة غضبوا عليه وقالوا أليس الله أنزل التوراة على موسى فلم قلت هذا، قال اغضبني محمد فقلته، فقالوا وأنت إذا غضبت تقول على الله غير الحق، فعزلوه من الحبرية وجعلوا مكانه كعب بن الأشرف.

قوله: ﴿نُوراً﴾ حال إما من به والعامل فيها جاء، أو من الكتاب والعامل فيه أنزل، ومعنى نوراً بيناً في نفسه، وهدى مبيناً لغيره، وللناس متعلق بهدى. قوله: ﴿تَجْعَلُونَهُ﴾ حال ثانية، وجعل بمعنى صير، فالهاء مفعول أول، وقراطيس مفعول ثان على حذف مضاف، أي ذا قراطيس أو في قراطيس أو بولغ فيه. قوله: (**بالياء والتاء**) فعلى التاء يكون خطاباً لليهود، وعلى الياء التفات من الخطاب للغيبة. قوله: (**في المواضع الثلاثة**) أي يجعلون ويبدون ويخفون. قوله: (**مقطعة**) أي مفصولاً بعضها من بعض،

منها ﴿ وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ﴾ مما فيها كنعت محمد ﷺ ﴿ وَعُلِّمْتُم ﴾ أيها اليهود في القرآن ﴿ مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ﴾ من التوراة ببيان ما التبس عليكم واختلفتم فيه ﴿ قُلِ ٱللَّهُ ﴾ أنزله إن لم يقولوه لا جواب غيره ﴿ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ ﴾ باطلهم ﴿ يَلْعَبُونَ ﴾ (٩١) ﴿ وَهَٰذَا ﴾ القرآن ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ قبله من الكتب ﴿ وَلِتُنذِرَ ﴾ بالتاء والياء عطف على معنى ما قبله أي أنزلناه للبركة والتصديق ولتنذر به ﴿ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾ أي أهل مكة وسائر الناس ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾ (٩٢) خوفاً من عقابها ﴿ وَمَنْ ﴾ أي لا أحد

ليتمكنوا من إخفاء ما أرادوا إخفاءه. قوله: ﴿وَتُخْفُونَ كَثِيراً﴾ أي لم يظهروه، بمعنى لم يكتبوه أصلاً أو كتبوه وأخفوه عن ملوكهم وسفلتهم، وجعلوا ذلك سراً بينهم. قوله: (**كنعت محمد**) أي وكآية الرجم، وآية إن الله يبغض الحبر السمين.

قوله: ﴿وَعُلِّمْتُمْ﴾ يحتمل أن الخطاب لليهود كما قال المفسر، وتكون الجملة حالية، والمعنى تبدونها وتخفون كثيراً. والحال أن محمداً أعلمكم في القرآن بأشياء في التوراة، ما لم تكونوا تعلموها أنتم ولا آباؤكم، ويحتمل أن الخطاب لقريش، وتكون الجملة مستأنفة معترضة بين السؤال والجواب. قوله: ﴿قُلِ اللهُ﴾ يحتمل أنه مبتدأ خبره محذوف تقديره أنزله، وعليه درج المفسر وهو الأولى، لأن السؤال جملة اسمية، فيكون الجواب كذلك، ويحتمل أنه فاعل بفعل محذوف تقديره أنزله الله، وقد صرح بالفعل في قوله تعالى: ﴿ليقولن خلقهن العزيز العليم﴾. قوله: ﴿فِي خَوْضِهِمْ﴾ إما متعلق بذرهم أو بيلعبون، ومعنى يلعبون يستهزؤون ويسخرون.

قوله: ﴿وَهٰذَا كِتَابٌ﴾ مبتدأ وخبر، و﴿أَنْزَلْنَاهُ﴾ صفة أولى، و﴿مُبَارَكٌ﴾ صفة ثانية، و﴿مُصَدِّقُ الذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ صفة ثالثة. قوله: (**القرآن**) لغة من القرء وهو الجمع، واصطلاحاً اللفظ المنزل على رسول الله ﷺ للإعجاز بأقصر سورة منه المتعبد بتلاوته، وهذا رد عليهم حيث قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء. قوله: ﴿مُبَارَكٌ﴾ أي كله خير لمن آمن به، وشر على من كفر به، ومن بركته بقاء الدنيا، وإنبات الأرض، وإمطار السماء، ولذا إذا رفع القرآن تأتي ريح لينة فيموت بها كل مؤمن ويبقى الكفار، فبقاء الخير في الأرض مدة بقاء القرآن فيها.

قوله: ﴿مُصَدِّقُ الذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ أي موافق للكتب التي قبله في التوحيد والتنزيه، والمعنى أنه دال على صدقها وأنها من عند الله. قوله: (**بالتاء والياء**) أي فهما قراءتان سبعيتان، فعلى التاء يكون خطاباً للنبي، وعلى الياء يكون الضمير عائد على القرآن. قوله: (**أي أنزلناه للبركة**) هذه العلة مأخوذة من الوصف بالمشتق، لأن تعليق الحكم به يؤذن بالعلية. قوله: (**أي أهل مكة**) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف، أي أهل أم القرى وهي مكة. قوله: (**وسائر الناس**) أشار بذلك إلى أنه ليس المراد بمن حولها ما قال ربها من البلاد، بل المراد جميع البلاد، لأن مكة وسط الدنيا، واقتصر على الانذار لأنه هو الموجود في صدر الإسلام، إذا ليس ثم مؤمن يبشر.

قوله: ﴿وَالَّذِينَ﴾ مبتدأ، و﴿يُؤْمِنُونَ﴾ صلته، و﴿بِالآخِرَةِ﴾ متعلق بيؤمنون، وقوله: ﴿يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ خبره، ولم يتحد المبتدأ والخبر لتغاير متعلقيهما، والمعنى والذين يؤمنون بالآخرة إيماناً معتداً به،

﴿ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴾ بادعاء النبوة ولم ينبأ ﴿ أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ ﴾ نزلت في مسيلمة ﴿ وَ ﴾ من ﴿ مَن قَالَ ﴾ ﴿ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ ﴾ وهم المستهزئون قالوا لو نشاء لقلنا مثل هذا ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ ﴾ يا محمد ﴿ إِذِ الظَّالِمُونَ ﴾ المذكورون ﴿ فِي غَمَرَاتِ ﴾ سكرات ﴿ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ ﴾ اليهم بالضرب والتعذيب يقولون لهم تعنيفاً ﴿ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ ﴾ إلينا

محصورون في الذين يؤمن بالقرآن، فخرجت اليهود فلا يعتد بإيمانهم بالآخرة لعدم إيمانهم بالقرآن قوله: ﴿وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ جملة حالية من فاعل يؤمنون، وخص الصلاة بالذكر لأنها أشرف العبادات. قوله: (خوفاً من عقابها) أي الآخرة. قوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾ من اسم استفهام مبتدأ، وأظلم خبره، و ﴿كَذِباً﴾ تمييز، وأشار بقوله: (أي لا أحد) إلى أن الاستفهام إنكاري بمعنى النفي.

قوله: ﴿أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ﴾ أو للتنويع والعطف مغاير، وليس من عطف الخاص على العام، ولا من عطف التفسير، لأن ذلك لا يكون بأو. قوله: ﴿وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ﴾ أي من قبل الله، بل استهوته الشياطين، وسلب الله عقله، وختم على سمعه وقلبه، وجعل على بصره غشاوة حيث قال لما نزلت سورة الكوثر، أنزلت علي سورة مثلها، إنا أعطيناك العقعق فصل لربك وازعق إن شانئك هو الأبلق، وغير ذلك من الخرافات التي قالها مسيلمة الكذاب، فإن الآية نزلت فيه كما قال المفسر، وقد ورد أنه أرسل لرسول الله ﷺ كتاباً مع رسولين يذكر فيه: من عند مسيلمة رسول الله، إلى محمد رسول الله، أما بعد، فإن الأرض بيننا نصفين، فلما وصله الكتاب قال للرسولين أتشهدان له بالرسالة؟ فقالا نعم، فقال رسول الله: لولا أن الرسل لا تقتل لضربت أعناقكما، وكتب له: من عند محمد رسول الله، إلى مسيلمة الكذاب، أما بعد، فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين.

قوله: ﴿وَ﴾ (من) ﴿مَنْ قَالَ﴾ قدره المفسر إشارة إلى أنه معطوف على المجرور بمن. قوله: (وهم المستهزئون) أي كعقبة بن أبي معيط وأبي جهل وأضرابهما، وما ذكره المفسر هو المشهور، وقيل نزلت في عبد الله بن أبي سرح، كان من كتبة الوحي ثم ارتد وقال سأنزل مثل ما أنزل الله، ثم رجع للإسلام فأسلم قبل فتح مكة والنبي ﷺ نازل بمر الظهران، وقد دخل في حكم هذه الآية كل من افترى على الله كذباً في أي زمان إلى يوم القيامة. قوله: ﴿وَلَوْ تَرَى﴾ لو حرف شرط وجوابها محذوف، قدره المفسر فيما يأتي بقوله لرأيت أمراً فظيعاً، وترى بصرية ومفعولها محذوف تقديره الظالمين، وإذ ظرف لترى، والتقدير ولو ترى الظالمين وقت كونهم في غمرات الموات الخ. قوله: (المذكورون) أي مسيلمة الكذاب المستهزئون، والأحسن أن يراد ما هو أعم. قوله: ﴿فِي غَمَرَاتِ﴾ جمع غمرة من الغمر وهو الستر، يقال غمرة الماء إذا ستره، سميت السكرة بذلك لأنها تستر العقل وتدهشه.

قوله: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ﴾ تقدم أن الكافر موكل به سبع من الملائكة يعذبونه عند خروج روحه، لأن الكافر يكره لقاء الله، فتأبى روحه الخروج فيخرجونها كرهاً. إن قلت: إن المؤمن يكره الموت أيضاً. أجيب: بأن المؤمن وإن أحب الحياة وكره الموت لكن ذلك قبل احتضاره ومعاينته ما أعد الله له من النعيم الدائم، وأما إذا شاهد ذلك هانت عليه الدنيا وأحب الموت ولقاء الله، وأما الكافر فعند خروج روحه حين يشاهد ما أعد له من العذاب الدائم يزداد كراهة في الموت، وعلى ذلك يحتمل ما ورد: من

لنقبضها ﴿ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ ﴾ الهوان ﴿ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ﴾ بدعوى النبوة والإيحاء كذباً ﴿ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾ ﴿٩٣﴾ تستكبرون عن الإيمان بها وجواب لو: لرأيت أمراً فظيعاً ﴿ وَ ﴾ يقال لهم إذا بعثوا ﴿ لَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ ﴾ منفردين عن الأهل والمال والولد ﴿ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ أي حفاة عراة غرلا ﴿ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ ﴾ أعطيناكم من الأموال ﴿ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ ﴾ في الدنيا بغير اختياركم ﴿ وَ ﴾ يقال لهم توبيخاً ﴿ مَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ﴾ الأصنام ﴿ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ ﴾ أي في استحقاق عبادتكم ﴿ شُرَكَٰٓؤُا۟ ﴾ لله ﴿ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ ﴾ وصلكم أي تشتت جمعكم وفي قراءة بالنصب ظرف أي وصلكم بينكم ﴿ وَضَلَّ ﴾ ذهب ﴿ عَنكُم

أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه. قوله: (**يقولون لهم تعنيفاً**) أي لأن الإنسان لا يقدر على إخراج روحه، وإنما ذلك لأجل تعنيفهم، ويحتمل أن معنى ﴿**أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ**﴾ نحوها من العذاب الذي حل بكم تهكماً بهم.

قوله: ﴿**الْيَوْمَ**﴾ ظرف لقوله: ﴿**تُجْزَوْنَ**﴾ فالوقف ثم على قوله أنفسكم، وأل في اليوم للعهدي اليوم المعهود وهو يوم خروج أرواحهم، ويحتمل أن المراد باليوم يوم القيامة، والأحسن أن يراد ما هو أعم. قوله: (**الهوان**) أي الذل والصغار، لا عذاب التطهير كما يقع لبعض عصاة المؤمنين، لأن كل عذاب يعقبه عفو، فلا يقال له هون، وإنما يقال لعذاب الكافر. قوله: ﴿**بِمَا كُنْتُمْ**﴾ الباء سببية، وما مصدرية، أي بسبب كونكم تقولون الخ. قوله: (**بدعوى النبوة الخ**) هذا راجع لقوله: ﴿ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو قال أوحي إلي ولم يوح إليه شيء﴾. قوله: ﴿**وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ**﴾ أي وبسبب كونكم تستكبرون عن آياته، فالجار والمجرور متعلق بتستكبرون، وهو راجع لقوله ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله، ففيه لف ونشر مرتب، وهذا باعتبار سبب النزول، وإلا فكل كافر يقال له ذلك عند الموت.

قوله: ﴿**وَ**﴾ (**يقال لهم**) اختلف في تعيين القائل، فقيل الله سبحانه، وقيل الملائكة ترجماناً عن الله وهذا مرتب على الخلاف هل الله يكلمهم أو لا. قوله: ﴿**فُرَادَى**﴾ جمع فرداً وفريداً وفردان بمعنى منفردين خالين عن الدنيا ومتاعها. قوله: (**حفاة عراة**) أي وذلك عند الحساب، فلا ينفي أنهم يخرجون من القبور بالأكفان، فإذا حشروا ودنت الشمس من الرؤوس تطايرت الأكفان. قوله: (**غرلاً**) بضم الغين المعجمة وسكون الراء المهملة، جمع أغرل كحمر جمع أحمر، أي غير مقطوعين القلفة.

قوله: ﴿**وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ**﴾ الجملة حالية من فاعل جئتمونا، وقوله: ﴿**وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ**﴾ متعلق بتركتم. قوله: (**أي في استحقاق عبادتكم**) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضافين. قوله: ﴿**بَيْنَكُمْ**﴾ على قراءة الرفع هو فاعل تقطع، والبين بمعنى الوصل وهو المراد هنا، ويراد منه البعد من باب تسمية الأضداد. قوله: (**وفي قراءة بالنصب**) أي وهي سبعية أيضاً، والفاعل على هذه القراءة ضمير يعود على الوصل المفهوم من قوله: ﴿**شُفَعَاءَكُمْ**﴾ و ﴿**شُرَكَاءُ**﴾ لأن بين الشفيع والمشفوع له إيصال، و ﴿**بَيْنَكُمْ**﴾ ظرف له، والتقدير تقطع الوصل فيما بينكم فقول المفسر (**أي وصلكم**) تفسير للضمير

﴿مَا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ ﴿٩٤﴾ في الدنيا من شفاعتها ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ﴾ شاق ﴿ٱلْحَبِّ﴾ عن النبات ﴿وَٱلنَّوَىٰ﴾ عن النخل ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾ كالإنسان والطائر من النطفة والبيضة ﴿وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ﴾ النطفة والبيضة ﴿مِنَ ٱلْحَىِّ ذَٰلِكُمُ﴾ الفالق المخرج ﴿ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ ﴿٩٥﴾ فكيف تصرفون عن الإيمان مع قيام البرهان ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ﴾ مصدر بمعنى الصبح أي شاق عمود الصبح وهو أول ما يبدو من نور النهار عن ظلمة الليل ﴿وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا﴾ يسكن فيه الخلق

المستتر. قوله: ﴿مَا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ ما اسم موصول فاعل ﴿ضَلَّ﴾، وكنتم تزعمون صلته، والعائد محذوف تقديره وضل عنكم الذي كنتم تزعمونه شفيعاً ونافعاً.

قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ﴾ لما تقدم ذكر التوحيد، وما يتعلق به أتبعه بذكر ما يدل على ذلك، والمراد بالحب ما لا نوى له يرمى، كالقمح والشعير والفول، وبالنوى ضد الحب، كالرطب والمشمش والنبق، فانحصر ما يخرج من الأرض في هذين النوعين، وإضافة فالق للحب يحتمل أنها محضة، ففالق بمعنى فلق، فهو بمعنى الصفة المشبهة وهو الأقرب، ويحتمل أنها لفظية، والمراد فالق في الحال والاستقبال. قوله: **(شاق)** فسر الفلق بالشق لأنه المشهور في اللغة، ولأنه أقرب عبرة وأكثر فائدة، وقال ابن عباس إن فالق بمعنى خالق. قوله: **(عن النخل)** مراده به كل ما له نوى.

قوله: ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾ يحتمل أنه خبر ثان لأن، ويحتمل أنه كلام مستأنف كالعلة لما قبله، والمراد بالحي كل ما ينمو كان ذا روح أو لا كالحيوان والنبات، وبالميت ما لا ينمو كان أصله ذا روح أم لا كالنطفة والحبة، فتسمية النبات حياً مجاز بجامع قبول الزيادة في كل. قوله: **(من النطفة والبيضة)** لف ونشر مرتب، وأدخلت الكاف جميع ما يخرج من النطفة والبيضة، فجميع الحيوانات لا تخلو عن هذين الشيئين، فجميع الطيور من البيض وما عداها من النطفة.

قوله: ﴿وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَيِّ﴾ إنما عبر باسم الفاعل مع العطف، إشارة إلى أنه كلام آخر معطوف فالق وليس بياناً له، وإلا لأتى بالفعل. قوله: ﴿مِنَ ٱلْحَيِّ﴾ أي كالإنسان والطائر، ويشمل عموم هذه الآية المسلم والكافر، فيخرج الحي كالمسلم من الميت كالكافر وبالعكس. قوله: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ﴾ أتى بذلك وإن علم من قوله إن الله فالق لأجل الرد على من كفر بقوله ﴿فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾. قوله: **(فكيف تصرفون عن الإيمان)** أي لا وجه لصرفكم عن الإيمان بالله مع اعترافكم بأنه الخالق لجميع الأشياء، فهو استفهام انكاري بمعنى النفي. قوله: **(مصدر)** أي لأصبح بمعنى الدخول في الصباح وليس مراداً، بل المراد الصبح نفسه، فلذا فسره حيث أطلق المصدر وهو الإصباح، وأراد أثره وهو الصبح، والإصباح بكسر الهمزة وقرىء شذوذاً بفتحها، وعليه يكون جمع صبح نحو قفل وأقفال، ويرد وأبراد، وظاهر الآية مشكل، لأن الانفاق يكون للظلمة لا للصبح. وأجيب: بأن الكلام على حذف مضاف، والأصل فالق ظلمة الإصباح بمعنى الصبح، أو يراد فالق الإصباح بمعنى عمود الصبح، وهو الفجر الكاذب عن ظلمة الليل، ثم يعقبه الفجر الصادق، فهو فالق الإصباح الأول عن ظلمة آخر الليل، وعن بياض النهار أيضاً، ويفيد هذا المفسر أو يفسر فالق بخالق، وسماه فلقاً مشاكلة لما قبله، وكل صحيح. قوله: **(وهو أول ما يبدو من النهار)** أي وهو الفجر الكاذب. قوله: **(عن ظلمة الليل)** متعلق بشاق.

من التعب ﴿وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ﴾ بالنصب عطفاً على محل الليل ﴿حُسۡبَانٗاۚ﴾ حساباً للأوقات أو الباء محذوفة وهو حال من مقدر أي يجريان كما في آية الرحمن ﴿ذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ﴾ في ملكه ﴿ٱلۡعَلِيمِ﴾ ﴿٩٦﴾ بخلقه ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهۡتَدُواْ بِهَا فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۗ﴾ في الأسفار ﴿قَدۡ فَصَّلۡنَا﴾ بينا ﴿ٱلۡأٓيَٰتِ﴾ الدلالات على قدرتنا ﴿لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾ ﴿٩٧﴾ يتدبرون ﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَكُم﴾ خلقكم ﴿مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ﴾ هي آدم ﴿فَمُسۡتَقَرّٞ﴾ منكم في الرحم ﴿وَمُسۡتَوۡدَعٞۗ﴾ منكم في الصلب وفي قراءة بفتح القاف أي مكان قرار لكم ﴿قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَفۡقَهُونَ﴾ ﴿٩٨﴾ ما يقال لهم ﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجۡنَا﴾ فيه التفات عن الغيبة

قولنا: ﴿سَكَناً﴾ أي محل واستراحة. قوله: (يسكن فيه الخلق) أي جميعها حتى الهوام والمياه. قوله: (عطفاً على محل الليل) أي وهو النصب حسباناً معطوف على سكناً ففيه العطف على معمولي عامل واحد وهو جاعل، والتقدير: وجاعل الشمس والقمر حسباناً وذلك جائز باتفاق. قوله: ﴿حُسْبَاناً﴾ مصدر حسب وكذا الحسبان بكسر الحاء والحساب فله ثلاثة مصادر. قوله: (حساباً للأوقات) أي ضبطاً لها، أي علامة ضبط، لكن الشمس يتم دورانها في سنة والقمر في شهر، وذلك لنفع العباد دنياً وديناً، قال تعالى (وهو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نوراً وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب﴾. قوله: (أو الباء محذوفة) أي فهو منصوب بنزع الخافض. قوله: (وهو حال من مقدر) لو قال متعلق بقدر لكان أحسن، لأنك إذا تأملت تجد المحذوف هو الحال، على أن جاعل بمعنى خالق، وأما إن جعل بمعنى صير فهو مفعول ثان، وهو إشارة لتقدير ثان في الآية. قوله: ﴿الْعَزِيزِ﴾ أي الغالب على أمره. قوله: ﴿الْعَلِيمِ﴾ أي ذو العلم التام.

قوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ﴾ أي خلق، و ﴿لَكُمُ﴾ متعلق بجعل، و ﴿لِتَهْتَدُوا﴾ بدل من لكم بدل اشتمال، فلم يلزم عليه تعلق جر في جر متحدي اللفظ، والمعنى بعامل واحد، ونظيره قوله تعالى ﴿لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفاً من فضة﴾ فلبيوتهم بدل من لمن يكفر بإعادة العامل. قوله: ﴿أَنْشَأَكُمْ﴾ إنما عبر به لموافقة ما يأتي في قوله (وأنشأنا من بعدهم)، وقوله ﴿وهو الذي أنشأ جنات﴾. قوله: (هي آدم) أي فكل أفراد النوع الإنساني منه.

قوله: ﴿فَمُسْتَقِرٌّ﴾ بالكسر اسم فاعل وصف، والمعنى منكم من استقر في الرحم، وعبر في جانبه بالاستقرار، لأن زمن بقاء النطفة في الرحم أكثر من زمن بقائها في الصلب. قوله: (وفي قراءة بفتح القاف) أي وأما مستودع فليس فيه إلا فتح الدال، لكن على قراءة الكسر يكون معنى مستودع شيء مودوع وهو النطفة، وعلى الفتح مكان استيداع وهو الصلب. قوله: ﴿يَفْقَهُونَ﴾ أي يفهمون الأسرار والدقائق، وعبر هنا يفقهون إشارة إلى أن أطوار الإنسان وما احتوى عليه الإنسان أمر خفي تتحير فيه الألباب، بخلاف النجوم فأمرها ظاهر مشاهد، فعبر فيها بيعلمون.

قوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ لما امتن سبحانه وتعالى على عباده أولاً: بالإيجاد حيث قال ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ امتن ثانياً بإنزال الماء الذي به حياة كل شيء ونفعه، وهو الرزق المشار إليه بقوله تعالى ﴿وفي السماء رزقكم﴾. قوله: (فيه التفات) أي ونكتته الاعتناء بشأن ذلك المخرج،

﴿بِهِۦ﴾ بالماء ﴿نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ ينبت ﴿فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ﴾ أي النبات شيئاً ﴿خَضِرًا﴾ بمعنى أخضر ﴿نُّخْرِجُ مِنْهُ﴾ من الخضر ﴿حَبًّا مُّتَرَاكِبًا﴾ يركب بعضه بعضاً كسنابل الحنطة ونحوها ﴿وَمِنَ ٱلنَّخْلِ﴾ خبر ويبدل منه ﴿مِن طَلْعِهَا﴾ أول ما يخرج منها والمبتدأ ﴿قِنْوَانٌ﴾ عراجين ﴿دَانِيَةٌ﴾ قريب بعضها من بعض ﴿وَ﴾ أخرجنا به ﴿جَنَّٰتٍ﴾ بساتين ﴿مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا﴾ ورقهما حال ﴿وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ﴾ ثمرهما ﴿ٱنظُرُوٓاْ﴾ يا مخاطبين نظر اعتبار ﴿إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ﴾ بفتح الثاء والميم وبضمهما وهو جمع ثمرة كشجرة وشجر وخشبة وخشب ﴿إِذَآ أَثْمَرَ﴾ أول ما يبدو كيف هو ﴿وَ﴾ إلى ﴿يَنْعِهِۦٓ﴾ نضجه إذا أدرك كيف يعود ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَأَيَٰتٍ﴾ دلالات على قدرته تعالى

إشارة إلى أن نعمه عظيمة. قوله: ﴿بِهِ﴾ الباء للسببية. قوله: ﴿فَأَخْرَجْنَا﴾ بيان لما أجمل أو لا. قوله: ﴿خَضِراً﴾ يقال خضر الشيء فهو خضر وأخضر، كعور فهو عور وأعور، وقدر المفسر (**شيئاً**) إشارة إلى أن خضراً صفة لموصوف محذوف.

قوله: ﴿وَمِنَ النَّخْلِ﴾ شروع في تفصيل حال الشجر، بعد ذكر عموم النبات، لمزيد الرغبة فيه. قوله: (**ويبدل منه**) أي بدل بعض من كل. قوله: (**أول ما يخرج منها**) أي قبل انفلاق الكيزان عنه، فإذا انفلقت عنه سمي عذقاً. قوله: ﴿قِنْوَانٌ﴾ جمع قنو كصنو وصنوان، وهذا الجمع يلتبس بالمثنى دون حالة الوقت، ويتميز المثنى بكسر نونه، والجمع بتوارد حركات الإعراب عليه وبالإضافة، فتحذف نون المثنى دون الجمع، فنقول هذا قنواك، وفي الجمع هذه قنوانك، وبالنسب فإذا نسبت إلى المثنى رددته إلى المفرد فقلت قنوي، وإذا نسبت إلى الجمع أبقيته على حاله فقلت قنواني. قوله: (**عراجين**) جمع عرجون قيل هي الشماريخ، وقيل هي السائط، ولا شك أن الشماريخ قريب بعضها من بعض، والسبائط كذلك، واعلم أن أطوار النخل سبع كالإنسان، يجمعها قولك طاب زبرت، فأولها الطلع، ثم الاغريض، ثم البلح، ثم الزهو، ثم البسر، ثم الرطب، ثم التمر، وفي الحديث «أكرموا عمتكم النخلة» ولهذه الأمور قدم على ما بعده.

قوله: ﴿وَجَنَّاتٍ﴾ معطوف على نبات، من عطف الخاص على العام، والنكتة مزيد الشرف لكونها من أعظم النعم، وكذا قوله: ﴿الزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ﴾ معطوفان على النبات. ويكون قوله: ﴿وَمِنَ النَّخْلِ﴾ الخ معترضاً بين المعطوف والمعطوف عليه اعتناء بشأن النخل لعظم منته، ويصح عطف جنات على خضر، وهذا على قراءة الجمهور، وقرى شذوذاً برفع جنات والزيتون والرمان، وخرج على أنه مبتدأ، والخبر محذوف تقديره ومن الكرم جنات. قوله: ﴿مُشْتَبِهاً﴾ يقال مشتبه ومتشابه بمعنى. قوله: (**نظر اعتبار**) أي تفكروا في مصنوعاته لتعلموا أن ربكم هو القادر المريد لما يشاء، فتفردوه بالعبادة ولا تشركوا به شيئاً. قوله: (**وهو جمع ثمرة**) أي المفتوح والمضموم، وقوله: (**كشجرة وشجر**) راجع للمفتوح، وقوله: (**وخشبة وخشب**) راجع للمضموم، فهو لف ونشر مرتب. قوله: ﴿وَيَنْعِهِ﴾ مصدر ينع بكسر النون ينع بفتحها كتعب يتعب ويصح العكس، وقرىء بضم الياء، والمعنى تفكروا وتأملوا ابتداء الثمر، حيث يكون بعضه مراً وبعضه ملحاً لا ينتفع بشيء منه، وانتهاؤه إذا نضج فإنه يعود حلواً تسقى بماء واحد، ونفضل بعضها على بعض في الأكل.

على البعث وغيره ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿٩٩﴾ خصوا بالذكر لأنهم المنتفعون بها في الايمان بخلاف الكافرين ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ﴾ مفعول ثان ﴿شُرَكَاءَ﴾ مفعول أول ويبدل منه ﴿الْجِنَّ﴾ حيث أطاعوهم في عبادة الأوثان ﴿وَ﴾ قد ﴿خَلَقَهُمْ﴾ فكيف يكونون شركاءه ﴿وَخَرَقُوا﴾ بالتخفيف والتشديد أي اختلقوا ﴿لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ حيث قالوا عزير ابن الله والملائكة بنات الله ﴿سُبْحَانَهُ﴾ تنزيهاً له ﴿وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ ﴿١٠٠﴾ بأن له ولداً هو ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ مبدعهما من غير مثال سبق ﴿أَنَّىٰ﴾ كيف ﴿يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ﴾ زوجة ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ من شأنه أن يخلق ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ﴿١٠١﴾ ﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ﴾

قوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ﴾ الإشارة إلى جميع ما تقدم من قوله ﴿إن الله فالق الحب والنوى﴾ إلى هنا. قوله: (**لأنهم المنتفعون بها**) أشار بذلك إلى أن ظهور الأدلة لا تفيد ولا تنفع، إلا إذا كان العبد مؤمناً، وأما من سبق له الكفر، فلا تنفعه الآيات ولا يهتدي بها. قوله: ﴿**وَجَعَلُوا**﴾ الضمير لعبدة الأصنام، وهذا إشارة إلى أنهم قابلوا نعم الله العظيمة بالإشراك. قوله: (**مفعول ثان**) هذه طريقة في الإعراب، وهناك طريقة أخرى وهي أن ﴿لِلَّهِ﴾ متعلق بمحذوف حال، والجن مفعول أول مؤخر، و (**شركاء**) مفعول ثان مقدم. قوله: ﴿**الْجِنَّ**﴾ قيل المراد بهم الشياطين، وإلى هذا يشير المفسر بقوله: (**حيث أطاعوهم الخ**). وقيل المراد بهم نوع من الملائكة كانوا يعبدونهم، لاعتقادهم أنهن بنات الله.

قوله: ﴿**وَخَلَقَهُمْ**﴾ الضمير يصح أن يكون عائداً على الجن، وعليها المفسر، ويصح أن يعود على الجميع، والجملة حال من الجن، ولذا قدر المفسر (**قد**). قوله: ﴿**وَخَرَقُوا**﴾ الضمير عائد على اليهود والنصارى ومشركي العرب، فاليهود والنصارى نسبوا له البنين، ومشركو العرب نسبوا له البنات، فالكلام على التوزيع. قوله: (**اختلفوا**) يقال اختلق وخلق وخرق وافترى وافتعل وخرص بمعنى كذب، وقرىء شذوذاً بالحاء المهملة والفاء من التحريف وهو التزوير لأن المحرف مزور مغير للحق بالباطل. قوله: (**حيث قالوا عزير ابن الله**) كان عليه أن يقول والمسيح ابن الله ليكون قد جمع مقالة الفرق الثلاثة، فاليهود قالوا عزير ابن الله، والنصارى قالوا المسيح ابن الله، والمشركون قالوا الملائكة بنات الله. قوله: ﴿**بَدِيعُ السَّمٰوَاتِ**﴾ خبر لمحذوف قدره المفسر بقوله هو.

قوله: ﴿**أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ**﴾ أنى منصوبة على التشبيه بالحال، وله خبر يكون مقدم وولد اسمها مؤخر، ويصح أن تكون تامة وولد فاعلها، والمعنى: كيف يوجد له ولد، والحال أنه لم تكن له صاحبة، مع كونه الخالق لكل شيء. قوله: (**من شأنه أن يخلق**) دفع بذلك ما يقال إن من جملة الشيء ذاته وصفاته، فيقتضي أنها مخلوقة مع أن ذلك مستحيل. فأجاب المفسر: بأن ذلك عام مخصوص بما من شأنه أن يخلق، وهو ما عدا ذاته وصفاته. قوله: ﴿**ذَٰلِكُمُ**﴾ مبتدأ، و ﴿**اللَّهُ**﴾ خبر أول، و ﴿**رَبُّكُمْ**﴾ خبر ثان، و ﴿**لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ**﴾ خبر ثالث، و ﴿**خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ**﴾ خبر رابع، وقوله: ﴿**فَاعْبُدُوهُ**﴾ مفرع على ما ذكر من هذه الأوصاف، فالمعنى أن المتصف بالألوهية، الخالق لكل شيء، هو أحق بالعبادة وحده. فقوله: ﴿**خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ**﴾ توطئة لقوله: ﴿**فَاعْبُدُوهُ**﴾. وأما قوله: ﴿**وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ**﴾ فهو رد لما زعموه من

وحدوه ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ۝١٠٢﴾ حفيظ ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ أي لا تراه وهذا مخصوص لرؤية المؤمنين له في الآخرة لقوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة وحديث الشيخين إنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر وقيل المراد لا تحيط به ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ أي يراها ولا تراه ولا يجوز في غيره أو يدرك البصر وهو لا يدركه أو يحيط به علماً ﴿وَهُوَ اللَّطِيفُ﴾ بأوليائه

الولد له سبحانه وتعالى. قوله: ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ أي متصرف في خلقه ومتولي أمورهم، فالواجب قصر العبادة عليه، وتفويض الأمور إليه.

قوله: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ﴾ جمع بصر وهو حاسة النظر، أي القوة الباصرة، ويطلق على العين نفسها من إطلاق الحال وإرادة المحل. فوله: **(وهذا مخصوص)** أي نفي الرؤية عام مخصوص برؤية المؤمنين ربهم في الآخرة، لأن الفعل إذا دخل عليه النفي يكون من قبيل العام. قوله: **(لرؤية المؤمنين)** علة لقوله مخصوص، وقوله: **(لقوله تعالى)** علة للعلة. قوله: **(ناضرة)** أي قامت بها النضارة، وهي البهجة والحسن، وقوله: **(ناظرة)** أي باصرة للذات المقدس. قوله: **(ليلة البدر)** أي ليلة أربعة عشر. قوله: **(وقيل المراد الخ)** أي وعلى هذا فالنفي باق على عمومه فلا يحيط به بصر أحد أبداً، لا في الدنيا ولا في الآخرة، فلا ينافي أن المؤمنين يرونه في الآخرة، لكن بلا كيف ولا انحصار لوجود أدلة عقلية ونقلية، أما النقلية فالكتاب والسنة والإجماع، والعقلية منها أن الله علق رؤيته على استقرار الجبل وهو جائز، والمعلق على الجائز جائز، ومنها لو كانت الرؤية ممتنعة لما سألها موسى عليه السلام، إذ لا يجوز على النبي سؤال المحال إذ هو جهل، ويستحيل على النبي الجهل، ومنها أن يقال الله موجود، فكل موجود يصح أن يرى، فالله يصح أن يرى، خلافاً للمعتزلة والمرجئة والخوارج حيث أحالوا الرؤية، مستدلين بظاهر هذه الآية وبقولهم إن الرؤية تستلزم المقابلة واتصال أشعة بصر الرائي بالمرئي، فيلزم أن يكون المرئي جسماً، وتعالى الله عن الجسمية، ورد كلامهم بما علمت، وبأن هذا التلازم عادي لا عقلي، ويجوز تخلف العادة. قوله: **(لا تحيط به)** أي لا تبلغ كنه حقيقة ذاته وصفاته أبصار ولا بصائر.

قوله: ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ﴾ فيه تفسيران أيضاً، الأول يراها، والثاني يحيط بها على أسلوب ما تقدم. قوله: **(ولا يجوز في غيره الخ)** أي لأن رؤية كل منهما لصاحبه غير مستحيلة، وما جاز على أحد المثلين يجوز على الآخر. قوله: **(أو يحيط به علماً)** هذا هو التفسير الثاني. قوله: ﴿وَهُوَ اللَّطِيفُ﴾ من لطف بمعنى احتجب، فلا يحيط به بصر ولا بصيرة، فقوله راجع لقوله: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ﴾، وقوله: ﴿الْخَبِيرُ﴾ راجع لقوله: ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ﴾ فهو لف ونشر مرتب، وهذا هو المناسب هنا، فقول المفسر **(بأوليائه)** يقتضي أن معنى ﴿اللَّطِيفُ﴾ الرؤوف المحسن، وهو وإن كان مناسباً في نفسه، إلا أنه غير ملائم هنا. فتحصل مما تقدم أن الرؤية بالبصر في الآخرة للمؤمنين، وقع فيها خلاف بين المعتزلة وأهل السنة، وتقدم أن الحق مذهب أهل السنة، وأما رؤية قلوب العارفين له في الدنيا بمعنى شهود القلب له في كل شيء فهو جائز، بل هو مطلبهم وغاية مقصودهم ومناهم قال العارف:

أنلنا مع الأحباب رؤيتك التي   إليها قلوب الأولياء تسارع

﴿ ٱلْخَبِيرُ ﴾ ﴿١٠٣﴾ بهم قل يا محمد ﴿ قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ ﴾ حجج ﴿ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ ﴾ ها فآمن ﴿فَلِنَفْسِهِۦ﴾ أبصر لأن ثواب إبصاره له ﴿وَمَنْ عَمِىَ﴾ عنها فضل ﴿فَعَلَيْهَا﴾ وبال إضلاله ﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾ ﴿١٠٤﴾ رقيب لأعمالكم إنما أنا نذير ﴿ وَكَذَٰلِكَ ﴾ كما بينا ما ذكر ﴿نُصَرِّفُ﴾ نبين ﴿ ٱلْءَايَٰتِ﴾ ليعتبروا ﴿وَلِيَقُولُوا۟﴾ أي الكفار في عاقبة الأمر ﴿دَرَسْتَ﴾ ذاكرت أهل الكتاب وفي قراءة درست أي كتب الماضين وجئت بهذا منها ﴿ وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ ﴿١٠٥﴾ ﴿ ٱتَّبِعْ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ﴾ أي القرآن ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ ﴿١٠٦﴾ ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُوا۟

وكذا رؤياه في المنام. قوله: ﴿بَصَائِرُ﴾ جمع بصيرة وهي النور الباطني الذي ينشأ عنه العلوم والمعارف. قوله: (حجج) جمع حجة وهي الأدلة، وسميت الحجج بصائر، لأنها تنشأ عنها من باب تسمية المسبب باسم السبب. قوله: ﴿فَمَنْ أَبْصَرَ﴾ (ها) قدر المفسر الضمير إشارة إلى أن المفعول محذوف. قوله: ﴿فَلِنَفْسِهِ﴾ (أبصر) قدر المفسر متعلق الجار والمجرور فعلاً ماضياً مؤخراً، وهو غير مناسب للزوم زيادة الفاء، بل المناسب تقديره اسماً مبتدأ، والجار والمجرور خبره، والتقدير فابصاره لنفسه، وكذا يقال في قوله: ﴿وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا﴾. قوله: (لأن ثواب إبصاره) أي نفعه فلا يعود على الله من الطاعة نفع، ولا يصل له من المعصية ضر. قوله: ﴿وَمَنْ عَمِيَ﴾ (عنها) أي عن البصائر بمعنى الحجج.

قوله: ﴿وَكَذٰلِكَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ﴾ الكاف في محل نصب نعت لمصدر محذوف تقديره نصرف الآيات في غير هذه السور تصريفاً، مثل التصريف في هذه السورة. قوله: (كما بينا ما ذكر) أي الأحكام المذكورة. قوله: (نبين) ﴿الآيَاتِ﴾ هذا وعد من الله بإكمال الدين وإظهاره، فلذا كان نزول قوله تعالى: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾ من مبشرات الوفاء لرسول الله. قوله: (ليعتبروا) أي لتقوم بهم العبرة أي الاتعاظ، فيميزوا الحق من الباطل، وقدره المفسر لعطف قوله: ﴿وَلِيَقُولُوا﴾ عليه. قوله: (في عاقبة الأمر) أشار بذلك إلى أن اللام في ﴿وَلِيَقُولُوا﴾ لام العاقبة والصيرورة نظير قوله تعالى: ﴿فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً﴾، وقيل إن اللام للعلة حقيقة، والمعنى نصرف الآيات ليعتبر الذين آمنوا ويزدادوا بها إيماناً، وليقول الذين كفروا درست ليزدادوا كفراً، ونظيره قوله تعالى: ﴿فأما الذين آمنوا فزادتهم إيماناً وهم يستبشرون وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجساً إلى رجسهم﴾. قوله: ﴿دَارَسْتَ﴾ كقاتلت، من المدارسة، والمعنى تذاكرت مع أهل الكتاب فتعلمت منهم تلك القصص. قوله: (وفي قراءة درست) أي قرأت الكتب، وبقي قراءة ثالثة سبعية أيضاً: وهي درست بفتح الدال والراء والسين، أي عفت وبليت وتكررت على الأسماع. قوله: (وجئت بهذا منها) راجع لكل من القراءتين.

قوله: ﴿وَلِنُبَيِّنَهُ﴾ أي الآيات، وذكر باعتبار معناها وهو القرآن. قوله: ﴿اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ﴾ لما ذكر الله سبحانه وتعالى قبائح المشركين وتكذيبهم لرسول الله، أخذ يسلي رسوله بقوله: اتبع، أي دم على ذلك، ولا تبال بكفرهم، ولا تلتفت لقولهم، وما اسم موصول، والعائد محذوف، ونائب فاعل أوحي ضمير مستتر عائد على ما، وإليك متعلق بأوحي، ومن ربك متعلق بمحذوف حال، ومن لابتداء الغاية، والتقدير اتبع الذي أوحي إليك هو أي القرآن، حال كونه ناشئاً وصادراً من ربك، ويصح أن تكون

﴿وَمَا جَعَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ رقيباً فنجازيهم بأعمالهم ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ١٠٧﴾ فتجبرهم على الإيمان وهذا قبل الأمر بالقتال ﴿وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ ـهم ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي الأصنام ﴿فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدْوًۢا﴾ اعتداء وظلماً ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ أي جهلاً منهم بالله ﴿كَذَٰلِكَ﴾ كما زينا لهؤلاء ما

مصدرية، ونائب الفاعل هو الجار والمجرور، والتقدير اتبع الإيحاء الجائي إليك من ربك.

قوله: ﴿لَا إِلَهَ إِلا هُوَ﴾ جملة معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه لتأكيد التوحيد. قوله: ﴿وَأَعْرِض عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ أي لا تتعرض لهم ولا تقاتلهم، وهذا على أنها منسوخة كما يأتي للمفسر، وقيل إن الآية محكمة، والمعنى لا تلتفت إلى رأيهم، ولا تغتظ من أقوالهم وإشراكهم، لأن ذلك بمشيئة الله، ومثل ذلك يقال: إذا أجمع خلق على ضلالة لا يستطاع ردها، ففي الحديث «إذا رأيتم الأمر لا تستطيعون رده فاصبروا حتى يكون الله هو الذي يغيره». قوله: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ﴾ مفعول ثان محذوف تقديره عدم إشراكهم. قوله: ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾ تأكيد لما قبله، أي لست حفيظاً مراقباً لهم فتجبرهم على الإيمان. قوله: (وهذا قبل الأمر بالقتال) أشار بذلك إلى أن الآية منسوخة، واسم الإشارة عائد على قوله: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ الخ.

قوله: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ سبب نزولها أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿وإنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم﴾ كثر سب المسلمين للأصنام، فتحزب المشركون على كونهم يسبون الله نظير سب المسلمين لأصنامهم، فنزلت الآية، وقيل: إن أبا طالب حضرته الوفاة، فقالت قريش انطلقوا بنا لندخل على هذا الرجل، فلنأمره أن ينهى عنا ابن أخيه، فإنا نستحي أن نقتله بعد موته فتقول العرب كان عمه يمنعه، فلما مات قتلوه. فانطلق أبو سفيان، وأبو جهل، والنضر بن الحرث، وأمية وأبي ابنا خلف، وعقبة بن أبي معيط، وعمرو بن العاص، والأسود بن أبي البحتري، إلى أبي طالب، فقالوا: يا أبا طالب أنت كبيرنا وسيدنا، وإن محمداً قد آذانا وآذى آلهتنا، فنحب أن تدعوه فتنهاه عن ذكر آلهتنا، وندعه وإلهه، فدعاه فجاء النبي ﷺ فقال له أبو طالب: إن هؤلاء قومك وبنو عمك، فقال رسول الله ﷺ: وما يريدون؟ قالوا: نريد أن تدعنا وآلهتنا، وندعك وإلهك، فقال له أبو طالب: قد أنصفك قومك فاقبل منهم، فقال النبي: أرأيتم إن أعطيتم هذا، فهل أنتم معطي كلمة، إن تكلمتم بها ملكتم العرب، ودانت لكم العجم، وأدت لكم الخراج؟ قال أبو جهل: نعم وأبيك لنعطينكها وعشرة أمثالها فما هي؟ فقال: قولوا لا إله إلا الله، فأبوا ونفروا، فقال أبو طالب قل غيرها يا ابن أخي، فقال: يا عم ما أنا بالذي أقول غيرها، ولو أتوني بالشمس فوضعوها في يدي ما قلت غيرها، فقالوا لتكفن عن شتمك آلهتنا أو نسبن من يأمرك فنزلت. قوله: ﴿الَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ أي يعبدون، وقدر المفسر الضمير إشارة إلى أن مفعول يدعون محذوف. قوله: ﴿فَيَسُبُّوا اللَّهَ﴾ أي فيترتب على ذلك سب الله فسب الأصنام وإن كان جائزاً، إلا أنه عرض له النهي بسبب ما ترتب عليه من سب الله، ففي الحقيقة النهي عن سب الله. قوله: (اعتداء) أشار بذلك إلى أن ﴿عَدْواً﴾ مصدر، ويصح أن يكون حالاً مؤكدة، لأن السب لا يكون إلا عدواناً. قوله: (أي جهلاً منهم بالله) أي بما يجب في حقه.

هم عليه ﴿ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ﴾ من الخير والشر فأتوه ﴿ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ ﴾ في الآخرة ﴿ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ ﴿١٠٨﴾ فيجازيهم به ﴿ وَأَقْسَمُوا۟ ﴾ أي كفار مكة ﴿ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ﴾ أي غاية اجتهادهم فيها ﴿ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ ﴾ مما اقترحوا ﴿ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ ﴾ لهم ﴿ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ ينزلها كما يشاء وإنما أنا نذير ﴿ وَمَا يُشْعِرُكُمْ ﴾ يدريكم بإيمانهم إذا جاءت أي أنتم لا تدرون ذلك ﴿ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ ﴿١٠٩﴾ لما سبق في علمي وفي قراءة بالتاء خطاباً للكفار وفي أخرى بفتح أن بمعنى لعل أو معمولة لما قبلها ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ ﴾ نحول قلوبهم عن الحق فلا يفهمونه

قوله: ﴿كَذٰلِكَ زَيَّنَّا﴾ نعت لمصدر محذوف، أي زينا لهؤلاء أعمالهم تزييناً مثل تزييننا لكل أمة عملهم. قوله: **(من الخير والشر)** أشار بذلك إلى أن الآية رد على المعتزلة الزاعمين أن الله لا يريد الشرور ولا القبائح. قوله: ﴿**ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ**﴾ مرتب على محذوف قدره المفسر بقوله: **(فأتوه)**.

قوله: ﴿**وَأَقْسَمُوا**﴾ أي حلفوا. قوله: **(غاية اجتهادهم)** أي لأنهم كانوا يحلفون بآبائهم وآلهتهم، فإذا أرادون تغليظ اليمين حلفوا بالله. قوله: ﴿**لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ**﴾ حكاية عنهم، وإلا فلفظهم لئن جاءتنا آية. قوله: **(مما اقترحوا)** أي طلبوا، وذلك أن قريشاً قالوا: يا محمد إنك تخبرنا أن موسى كان له عصا يضرب بها الحجر، فتنفجر منه اثنتا عشرة عيناً، وتخبرنا أن عيسى كان يحيي الموتى، فائتنا بآية حتى نصدقك ونؤمن بك، فقال رسول الله: أي شيء تحبون: قالوا تجعل لنا الصفا ذهباً، وابعث لنا بعض موتانا نسأله عنك، أحق ما تقول أم باطل؟ وأرنا الملائكة يشهدون لك، فقال رسول الله: إنْ فعلت ما تقولون تصدقونني؟ قالوا: نعم والله لئن فعلت لنتبعنك أجمعين، وسأل المسلمون رسول الله أن ينزلها عليهم حتى يرضوا، فقام رسول الله يدعو أن يجعل الصفا ذهباً فقال جبريل: لك ما شئت إنْ شئت يصبح ذهباً، ولكن إن لم يصدقوك لنعذبنهم، وإن شئت تركتهم حتى يتوب تائبهم، فقال رسول الله ﷺ بل يتوب تائبهم، فنزلت الآية.

قوله: ﴿**لَيُؤْمِنَنَّ بِهَا**﴾ جواب القسم، وحذف جواب الشرط لدلالة جواب القسم عليه. قوله: ﴿**قُلْ إِنَّمَا الآيَاتُ عِنْدَ اللهِ**﴾ أي لا عندي، فالقادر على إنزالها هو الله، وينزلها على حسب ما يريد. قوله: ﴿**وَمَا يُشْعِرُكُمْ**﴾ ما اسم استفهام مبتدأ، وجملة يشعر خبرها، والكاف مفعول أول، والثاني محذوف قدره المفسر بقوله: ﴿**بإيمانهم**﴾ والخطاب للمؤمنين، أي وما يعلمكم أيها المؤمنون بإيمانهم، وقوله: ﴿**أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ**﴾ بكسر استئناف مسوق لقطع طمع المؤمنين من إيمان المشركين، وتكذيب للمشركين في حلفهم. قوله: **(أي أنتم لا تدرون)** أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري بمعنى النفي. قوله: **(وفي قراءة بالتاء)** ظاهره أن هذه القراءة مع كسر إن وليس كذلك بل هي مع الفتح، فالمناسب تأخيرها عن قوله: **(وفي أخرى بفتح أن)**، فالقراءات ثلاث: الكسر مع الياء لا غير، والفتح إما مع الياء أو التاء. قوله: **(بمعنى لعل)** أي ومجيء أي بمعنى لعل كثير شائع في كلام العرب، والترجي في كلام الله مثل التحقيق، فهي مساوية لقراءة الكسر. قوله: **(أو معمولة لما قبلها)** أي على أنها المفعول الثاني، ولا إما صلة أو داخلة على محذوف، والتقدير إذا جاءت لا تعلمون أنهم يؤمنون أو المقابل محذوف، والتقدير إذا جاءت لا يؤمنون أو يؤمنون، وهو إخبار عن الكفار عن قراءة الياء،

﴿وَأَبْصَـٰرَهُمْ﴾ عنه فلا يبصرونه فلا يؤمنون ﴿كَمَا لَمْ يُؤْمِنُواْ بِهِۦٓ﴾ أي بما أنزل من الآيات ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ﴾ نتركهم ﴿فِى طُغْيَـٰنِهِمْ﴾ ضلالهم ﴿يَعْمَهُونَ﴾ ﴿١١٠﴾ يترددون متحيرين ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ كما اقترحوا ﴿وَحَشَرْنَا﴾ جمعنا ﴿عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا﴾ بضمتين جمع قبيل أي فوجاً فوجاً وبكسر القاف وفتح الباء أي معاينة فشهدوا بصدقك ﴿مَّا كَانُواْ لِيُؤْمِنُوٓاْ﴾ لما سبق في علم الله ﴿إِلَّآ﴾ لكن ﴿أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ إيمانهم فيؤمنون ﴿وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾ ﴿١١١﴾ ذلك ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا﴾ كما جعلنا هؤلاء أعداءك ويبدل منه ﴿شَيَـٰطِينَ﴾ مردة

وخطاب لهم على قراءة التاء.

قوله: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ﴾ باستئناف مسوق لبيان أن خالق الهدى والضلال هو الله لا غيره، فمن أراد له الهدى حول قلبه له، ومن أراد الله شقاوته حول قلبه لها. قوله: ﴿كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ﴾ مرتبط بمحذوف قدره المفسر بقوله فلا يؤمنون، والمعنى تحول قلوبهم عن الإيمان ثانياً، كما حولناها أولاً عند نزول الآيات لو نزلت، أي فهم لا يؤمنون على كل حال. قوله: ﴿نَذَرُهُمْ﴾ عطف على لا يؤمنون. قوله: ﴿يَعْمَهُونَ﴾ إما حال أو مفعول ثان، لأن الترك بمعنى التصيير، وعمه من باب تعب إذا ترددت متحيراً، مأخوذ من قولهم أرض عمهاء، إذا لم يكن فيها أمارات تدل على النجاة.

قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا﴾ هذه زيادة في الرد عليهم، وتفصيل ما أجمل في قوله وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون. قوله: **(كما اقترحوا)** أي طلبوا بقولهم: لولا أنزل علينا الملائكة، وقولهم: فاتوا بآياتنا قوله: ﴿كُلَّ شَيْءٍ﴾ أي من أصناف المخلوقات، كالوحوش والطيور. قوله: **(بضمتين جمع قبيل)** أي كنصيب ونصب، وقضيب وقضب. قوله: **(أي فوجاً فوجاً)** تفسير لقبيل، وأما قبلاً فمعنـاه أفواجـاً أفواجاً، وعلى هذه القراءة فنصب قبلاً على الحال. قوله: **(وبكسر القاف وفتح الباء)** أي وهي سبعية أيضاً. قوله: **(أي معاينة)** أي فيقال فلان قبل فلان، أي مواجهه ومعاينه وهو مصدر منصوب على الحال، أي معاينين ومشافهين لكل شيء، وصاحب الحال الهاء في عليهم.

قوله: ﴿مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا﴾ جواب لو، واللام في ليؤمنوا لام الجحود، ويؤمنوا منصوب بأن مضمرة وجوباً بعد لام الجهود، وخبر كان محذوف تقديره ما كانوا أهلاً للإيمان. قوله: ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ قدر المفسر **(لكن)** إشارة إلى أن الاستثناء منقطع كما هو عادته، وذلك لأن المشيئة ليست من جنس إرادتهم، وقال بعضهم: إن الاستثناء متصل، والمعنى ما كانوا ليؤمنوا في حال من الأحوال، إلا في حال مشيئة الله لهم بالإيمان. قوله: ﴿يَجْهَلُونَ﴾ **(ذلك)** أي يجهلون أن ظهور الآيات يوجب الإيمان، لو لم تصحبه مشيئة الله، وهو توبيخ لهم حيث أقسموا بالله جهد أيمانهم، أنه إذا جاءتهم الآيات يؤمنون، مع أنه سبق في علم الله شقاؤهم، ومن هنا لا ينبغي ترك المشيئة والاعتماد على الأسبـاب، فقد يـوجد السبب ولا يـوجد المسبب.

قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا﴾ هذا تسلية لرسول الله على ما وقع منهم من العداوة، والكاف داخلة على المشبه وهي بمعنى مثل. والمعنى مثل ما جعلنا لك أعداء من قومك، جعلنا لكل نبي عدواً الخ، فتسل ولا تحزن، وجعل بمعنى صير، فتنصب مفعولين: الأول ﴿عَدُوًّا﴾ مؤخـراً، والثاني ﴿لِكُـلِّ نَبِيٍّ﴾ مقدم،

﴿ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي ﴾ يوسوس ﴿ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ ﴾ مموهة من الباطل ﴿ غُرُورًا ﴾ أي ليغروهم ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ﴾ أي الايحاء المذكور ﴿ فَذَرْهُمْ ﴾ دع الكفار ﴿ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾ ﴿١١٢﴾ من الكفر وغيره مما زين لهم وهذا قبل الأمر بالقتال ﴿ وَلِتَصْغَىٰٓ ﴾ عطف على غروراً أي تميل ﴿ إِلَيْهِ ﴾ أي الزخرف ﴿ أَفْـِٔدَةُ ﴾ قلوب ﴿ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا۟ ﴾ يكسبوا ﴿ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴾ ﴿١١٣﴾ من الذنوب فيعاقبوا عليه. ونزل لما طلبوا من النبي ﷺ أن يجعل بينه وبينهم حكماً قل ﴿ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِي ﴾ أطلب ﴿ حَكَمًا ﴾ قاضياً بيني وبينكم

و ﴿شَيَاطِينَ الإِنْسِ وَالْجِنِّ﴾ بدل، وهذا ما درج عليه المفسر، وقيل إن عدواً مفعول ثان، وشياطين مفعول أول، ولكن نبي متعلق بمحذوف حال من عدواً. قوله: ﴿لِكُلِّ نَبِيٍّ﴾ أي وإن لم يكن رسولاً، ولذا ورد أن الكفار قتلوا في يوم واحد سبعين نبياً. قوله: **(مردة)** جمع ما رد وهو المتمرد المستعد للشر، وقدم شياطين الإنس لأنها أقوى في الإيذاء، قال ابن مالك بن دينار: إن شيطان الإنس أشد علي من شيطان الجن، وذلك إذا تعوذت بالله ذهب عني شيطان الجن، وشيطان الإنس يجيئني فيجرني إلى المعاصي. وقال الغزالي: كن من شياطين الجن في أمان، واحذر من شياطين الإنس، فإن شياطين الإنس أراحوا شياطين الجن من التعب. وهذا على أن المراد شياطين من الإنس وشياطين من الجن، وقيل إن الشياطين كلهم من إبليس، وذلك أنه فرق أولاده فرقتين. ففرقة توسوس للإنس، وتسمى شياطين الإنس، وفرقة توسوس لصلحاء الجن، وتسمى شياطين الجن، وكل صحيح.

قوله: ﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ﴾ أي وهو شيطان الجن، وقوله: ﴿إِلَى بَعْضٍ﴾ أي وهو شيطان الإنس، قال تعالى: ﴿كمثل الشيطان إذ قال للانسان أكفر فلما كفر قال إني بريء منك﴾. قوله: **(من الباطل)** بيان لزخرف القول، وأشار به إلى أن المراد بالزخرف المموه الظاهر الفاسد الباطل. قوله: **(أي ليغروهم)** أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿غروراً﴾ مفعول لأجله. قوله: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ﴾ مفعول شاء محذوف تقديره عدم فعلهم.

قوله: ﴿وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ ما اسم موصول أو نكرة موصوفة، وجملة يفترون صلة أو صفة، والعائد محذوف تقديره فذرهم والذي يفترونه، أو مصدرية والتقدير فذرهم وافتراءهم. قوله: **(وهذا قبل الأمر بالقتال)** أي فهي منسوخة. قوله: **(عطف على غروراً)** أي فاللام للتعليل، وما بين الجملتين اعتراض، والتقدير يوحي بعضهم إلى بعض للغرور قوله: ﴿وَلِيَرْضَوْهُ﴾ أي يحبوه لأنفسهم. قوله: **(من الذنوب)** بيان لما، وقوله: **(فيعاقبوا)** أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف، والتقدير وليقترفوا عقاب ما هم مقترفون. قوله: **(لما طلبوا)** ﴿أن يجعل بينه وبينهم حكماً﴾ أي من أحبار اليهود، أو من أساقفة النصارى، ليخبرهم بما في كتابهم من أوصاف النبي وأمره.

قوله: ﴿أفغير الله﴾ الهمزة داخلة على محذوف، والفاء عاطفة على ذلك المحذوف، والتقدير أميل لزخارفكم التي زينها الشيطان. فغير الله أبتغي حكماً، وغير مفعول لأبتغي، وحكماً حال أو تمييز، أو حكماً مفعول وغير حال، والحكم أبلغ من الحاكم لأن الحكم من تكرر منه الحكم، وأما الحاكم فيصدق ولو

﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ القرآن ﴿مُفَصَّلٗاۚ﴾ مبيناً فيه الحق من الباطل ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ التوراة كعبد الله بن سلام وأصحابه ﴿يَعۡلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٞ﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿مِّن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ﴾ ﴿١١٤﴾ الشاكين فيه والمراد بذلك التقرير للكفار أنه حق ﴿وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ بالأحكام والمواعيد ﴿صِدۡقٗا وَعَدۡلٗاۚ﴾ تمييز ﴿لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦۚ﴾ بنقص أو خلف ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لما يقال ﴿ٱلۡعَلِيمُ﴾ ﴿١١٥﴾ بما يفعل ﴿وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ أي الكفار ﴿يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾ دينه ﴿إِن﴾ ما ﴿يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ في مجادلتهم لك في أمر الميتة إذا قالوا ما قتل الله أحق أن تأكلوه مما قتلتم ﴿وَإِنۡ﴾ ما ﴿هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ﴾ ﴿١١٦﴾ يكذبون في

بمرة، أو لأن الحكم لا يجوز أصلاً، والحاكم قد يجور. قوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ﴾ الجملة حالية كأنه قال: أفغير الله أطلب حكماً، والحال أن الله هو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلاً، فالذي يشهد لي هو القرآن، وأما الكتب القديمة فإنها وإن كانت تشهد له أيضاً، لكن لما غيروا وبدلوا، صارت غير معول عليها. قوله: **(وأصحابه)** أي ممن أسلم من علماء اليهود.

قوله: ﴿**يَعْلَمُونَ أَنَّه**﴾ أي الكتاب. قوله: **(بالتخفيف والتشديد)** أي فهما قراءتان سبعيتان، قوله: ﴿**بِالْحَقِّ**﴾ متعلق بمحذوف حال، والتقدير أنه منزل من ربك حال كونه متلبساً بالحق. قوله: **(والمراد بذلك التقرير الخ)** دفع بذلك ما يقال إن الشك مستحيل على النبي، فكيف ينهى عما يستحيل وصفه به، فأجاب بما ذكر، وأجيب أيضاً بأنه من باب التعريض للكفار بأنهم هم الممترون، فالخطاب له والمراد غيره.

قوله: ﴿**وَتَمَّتْ كَلِمَاتُ رَبِّكَ**﴾ أي القرآن وفيها قراءتان: الجمع والإفراد، فالجمع ظاهر، والإفراد على إرادة الجنس والماهية، وترسم بالتاء المجرورة على كل من القراءتين، وهكذا كل ما قرىء بالجمع والإفراد إلا موضعين: أحدهما في يونس في قوله تعالى: ﴿وإن الذين حقت عليهم كلمة ربك﴾ وثانيهما في غافر في قوله تعالى: ﴿وكذلك حقت كلمة ربك﴾ فاختلف فيها المصاحف، فبعضهم بالتاء المجرورة، وبعضهم بالتاء المربوطة. قوله: **(بالأحكام والمواعيد)** راجع لقوله: ﴿**صِدْقاً وَعَدْلاً**﴾ على سبيل اللف والنشر المشوش، ولو أخره لكان أحسن، والمعنى: تمت كلمات ربك من جهة الصدق، كالأخبار والمواعيد، والعدل كالأحكام فلا جور فيها، وهذا إخبار من الله بحفظ القرآن من التغيير والتبديل، كما وقع في الكتب المتقدمة، وذلك سر قوله تعالى: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ وقوله تعالى: ﴿وقرآناً فرقناه لتقرأه على الناس على مكث﴾. قوله: **(تمييز)** أي على التوزيع، أي صدقاً في مواعيده وعدلاً في أحكامه، ويصح أن يكون حالاً من ربك، ويؤول المصدر باسم الفاعل، أي حال كونه صادقاً وعادلاً.

قوله: ﴿**لاَ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ**﴾ هذا كالتوكيد لقوله: ﴿**تَمَّتْ كَلِمَاتُ رَبِّكَ**﴾، وقوله: **(بنقص أو خلف)** راجع لقوله: ﴿**صِدْقاً وَعَدْلاً**﴾ على سبيل اللف والنشر المرتب. قوله: **(أي الكفار)** تفسير للأكثر. قوله: ﴿**إِنْ يَتَّبِعُونَ**﴾ قدر المفسر ما إشارة إلى أن إن نافية بمعنى ما. قوله: **(إذ قالوا الخ)** إشارة لسبب نزول هذه الآية وما بعدها، وذلك أن المشركين قالوا للنبي: أخبرنا عن الشاة إذا ماتت من قتلها؟ فقال:

ذلك ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ﴾ أي عالم ﴿مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ ﴿١١٧﴾ فيجازي كلا منهم ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾ أي ذبح على اسمه ﴿إِن كُنتُم بِـَٔايَٰتِهِۦ مُؤْمِنِينَ﴾ ﴿١١٨﴾ ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾ من الذبائح ﴿وَقَدْ فَصَّلَ﴾ بالبناء للمفعول وللفاعل في الفعلين ﴿لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ﴾ في آية حرمت عليكم الميتة ﴿إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾ منه فهو أيضاً حلال لكم المعنى لا مانع لكم من أكل ما ذكر وقد بين لكم المحرم أكله وهذا ليس منه ﴿وَإِنَّ

الله قتلها. قالوا: أنت تزعم أن ما قتلت أنت وأصحابك حلال، وما قتلها الكلب والصقر حلال، وما قتله الله حرام، فكيف تدعون أنكم تعبدون الله ولا تأكلون ما قتله ربكم؟ فما قتله الله أحق أن تأكلوه مما قتلتم أنتم. قوله: ﴿إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ الخرص في الأصل الحزر والتخمين، ومنه خرص النخلة، وقوله: **(يكذبون)** سمى الخرص كذباً لأن فيه تتبع الظنون الكاذبة. قوله: **(في ذلك)** أي في قولهم ما قتل الله أحق أن تأكلوه مما قتلتم. قوله: **(أي عالم)** دفع بذلك ما يقال إن أفعل التفضيل بعض ما يضاف إليه، فأجاب: بأن اسم التفضيل مؤول اسم الفاعل. وأجيب أيضاً: بأن قوله: ﴿مَنْ يَضِلُّ﴾ مفعول لمحذوف تقديره يعلم من يضل، أو منصوب بنزع الخافض، والتقدير بمن يضل يدل عليه قوله بعد ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾.

قوله: ﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللهِ عَلَيْهِ﴾ هذا رد لقولهم المتقدم، فإن الميتة لم يذكر عليها اسم الله، فعند مالك الوجوب مع الذكر، وعند الشافعي السنية، والمراد بذكر اسم الله هنا، عدم ذكر اسم غيره كالأصنام، ليدخل ما إذا نسي التسمية فإنها تؤكل، وسيأتي إيضاح ذلك. قوله: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا﴾ هذا تأكيد لإباحة ما ذبح على اسم الله، وما اسم استفهام مبتدأ، ولكم خبره، والتقدير أي شيء ثبت لكم في عدم أكلكم الخ.

قوله: ﴿وَقَدْ فَصَّلَ﴾ أي بين وميز، والواو للحال. قوله: **(بالبناء للمفعول وللفاعل)** أي فهما قراءتان سبعيتان، وبقي ثالثة، وهي بناء الأول للفاعل، والثاني للمفعول. قوله: **(في الفعلين)** أي فصل وحرم. قوله: **(في آية حرمت عليكم الميتة)** أي التي ذكرت في المائدة، وفي المقام إشكال أورده فخر الدين الرازي، وهو أن سورة الأنعام مكية، وسورة المائدة مدنية، من آخر القرآن نزولاً بالمدينة. وأجيب: بأن الله علم أن سورة المائدة متقدمة على سورة الأنعام في الترتيب لا في النزول، فبهذا الاعتبار حسنت الحوالة عليها لسبقية علم الله بذلك، وقال بعضهم: الأولى أن يقال وقد فصل لكم الخ أي في قوله: ﴿قل لا أجد فيما أوحي إلي محرماً﴾ الآية، وهذه وإن كانت مذكورة بعد، إلا أنه لا يمنع الاستدلال بها للاتحاد في وقت النزول.

قوله: ﴿إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾ استثناء منقطع، لأن ما اضطر إليه ليس داخلاً في المحرم. قوله: **(فهو أيضاً حلال لكم)** أي وهل يشبع ويتزود منها، ويقتصر على ما يسد الرمق، خلاف بين العلماء. قوله: **(المعنى لا مانع الخ)** أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري. قوله: **(وهذا ليس منه)** أي من المحرم، وأما ما لم ينص على حرمته ولا حله من قبيل الحل، لأنه ذكر أشياء واستثنى الحرام منها، فالحرام معدود معروف، فمثل القهوة والدخان غير محرم، إلا أن يطرأ له ما يحرمه، كالاسراف وتغييب العقل. وحاصل

﴿كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ﴾ بفتح الياء وضمها ﴿بِأَهْوَآئِهِم﴾ بما تهواه أنفسهم من تحليل الميتة وغيرها ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ يعتمدونه في ذلك ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُعْتَدِينَ﴾ ﴿١١٩﴾ المتجاوزين الحلال إلى الحرام ﴿وَذَرُوا﴾ اتركوا ﴿ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ﴾ علانيته وسره والإثم قيل الزنا وقيل كل معصية ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ﴾ في الآخرة ﴿بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ﴾ ﴿١٢٠﴾ يكتسبون ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾ بأن مات أو ذبح على اسم غيره وإلا فما ذبحه المسلم ولم يسم فيه عمداً أو

ذلك أن يقال: إن اعتاد ذلك وصار دواء فهو جائز، ولكن بقدر الضرورة، وإن كان يضر جسمه أو يسرف فيه فهو حرام، وإن اشتغل به عن عبادة مندوبة فهو مكروه، فكثرته إما حرام أو مكروه. قوله: **(بفتح الياء)** أي من ضل اللازم، بمعنى قام به الضلال في نفسه، وقوله: **(وضمها)** أي من أضل الرباعي، بمعنى أوقع غيره في الضلال. قوله: **﴿بِأَهْوَائِهِمْ﴾** الباء سببية، وفي قوله: **﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾** متعلق بمحذوف حال، والمعنى يضلون في أنفسهم، أو يوقعون غيرهم في الضلال، بسبب اتباعهم أهواءهم، ملتبسين بغير علم. قوله: **(وغيرها)** أي كالدم ولحم الخنزير، إلى آخر ما ذكر في آية المائدة. قوله: **﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ﴾** أي فيجازيهم على اعتدائهم.

قوله: **﴿وَذَرُوا﴾** الأمر للمكلفين من الإنس والجن وهو للوجوب. قوله: **(علانيته وسره)** لف ونشر مرتب. قوله: **(قيل الزنا)** أي وكان العرب يحبونه، وكان الشريف منهم يستحي من إظهاره فيفعله سراً، وغير الشريف لا يستحي من ذلك فيظهره، فأنزل الله تحريمه ظاهراً وباطناً. قوله: **(وقيل كل معصية)** أي فالظاهر منها: كالزنا والسرقة وبقية معاصي الجوارح الظاهرية، والباطن منها: كالكبر والحقد والحسد والعجب والرياء وحب الرياسة وغير ذلك من المعاصي القلبية، وهذا التفسير هو الأقرب، وإن كان الأول موافقاً لسبب النزول، لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب. قوله: **﴿سَيُجْزَوْنَ﴾ (في الآخرة)** أي بالعذاب الدائم إن كان مستحلاً، أو بالعذاب مدة، ويخرج إن لم يكن مستحلاً، ومات من غير توبة ولم يعف الله عنه، فإن تاب الكافر قبل قطعاً، وإن تاب المسلم فقيل كذلك، وقيل تقبل ظناً. إن قلت: لأي شيء اختلف في توبة المسلم دون الكافر؟ وأجيب: بأن رحمة الله سبقت غضبه، فلو جاز عدم القبول لتوبة الكافر، لكان مخلداً في النار، مع أن رحمته غلبت غضبه. وأما المؤمن فهو مقطوع له بالجنة، فلو لم يقبل توبته وعذبه، فلا بد له من الرحمة، انتهاء غاية ما هناك عذابه تطهير له.

قوله: **﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾** اختلف في تفسير هذه الآية، فقال بعض المجتهدين غير الأربعة: الآية عامة في كل شيء، فأي شيء لم يذكر اسم الله عليه لا يجوز أكله، وقال بعضهم: الآية مخصوصة بالذبيحة، فمن ترك التسمية عمداً أو نسياناً لا تؤكل ذبيحته، وقال بعضهم: إن تركها عمداً لا تؤكل، وإن تركها نسياناً أو عجزاً كخرس أكلت، وبه قال مالك وأبو حنيفة، وقال بعضهم: التسمية سنة، فإن تركها عمداً أو نسياناً أكلت، وبه قال الإمام الشافعي، وعن الإمام أحمد روايتان: الأولى يوافق فيها مالكاً، والثانية يوافق فيها الشافعي، إذا علمت ذلك فمحمل الآية ما أهل به لغير الله فقط، لأنه المفسر به الفسق فيما يأتي في قوله تعالى: ﴿أو فسقاً أهل لغير الله به﴾. وأما حكم الميتة فمعلوم من غير هذا الموضع، وحملها المفسر عليهما معاً وهما طريقتان. قوله: **(أو ذبح على اسم غيره)** أي

نسياناً فهو حلال قاله ابن عباس وعليه الشافعي ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ أي الأكل منه ﴿لَفِسْقٌ﴾ خروج عما يحل ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ﴾ يوسوسون ﴿إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ﴾ الكفار ﴿لِيُجَٰدِلُوكُمْ﴾ في تحليل الميتة ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ﴾ فيه ﴿إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ ﴿١٢١﴾ ونزل في أبي جهل وغيره ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا﴾ بالكفر ﴿فَأَحْيَيْنَٰهُ﴾ بالهدى ﴿وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ﴾ يتبصر به الحق من غيره وهو الإيمان ﴿كَمَن مَّثَلُهُۥ﴾ مثل زائدة أي كمن هو ﴿فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ وهو الكافر لا ﴿كَذَٰلِكَ﴾

وإن لم يذكر اسم غير الله، وأما الكتابي إذا لم يذكر اسم الله ولم يهل به لغيره، فإنها تؤكل، فإن جمع الكتابي بين اسم الله واسم غيره أكلت ذبيحته عند مالك، لأن اسم الله يعلو ولا يعلى عليه، وأما المسلم إن جمع بينهما على وجه التشريك في العبودية، فهو مرتد لا تؤكل ذبيحته. قوله: **(وعليه الشافعي)** أي **فالتسمية عنده سنة**. **قوله**: **(أي الأكل منه)** أي المفهوم من لا تأكلوا على حد ﴿أعدلوا هو الأقرب للتقوى﴾ أي العدل المفهوم من اعدلوا.

قوله: ﴿**وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ**﴾ أي إبليس وجنوده من الجن. قوله: **(الكفار)** أي وهم شياطين الإنس. قوله: ﴿**لِيُجَادِلُوكُم**﴾ تعليل ﴿**لَيُوحُونَ**﴾ وذلك أن المشركين قالوا يا محمد أخبرنا عن الشاة إذا ماتت من قتلها؟ فقال: الله قتلها، قال: أتزعم أن ما قتلت أنت وأصحابك حلال، وما قتله الله حرام فنزلت. قوله: ﴿**إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ**﴾ أي لأن من أحل شيئاً مما حرم الله، أو حرم شيئاً مما أحل الله فهو مشرك، لأنه أثبت حاكماً غير الله، ولا شك أنه إشراك. قوله: **(وغيره)** أي كعمر بن الخطاب أو حمزة أو عمار بن ياسر أو النبي ﷺ، ولكن العبرة بعموم اللفظ فهذا المثل للكافر والمسلم، وسبب نزولها على القول بأنها في أبي جهل وحمزة، أن أبا جهل رمى النبي ﷺ بفرث؛ فأخبر حمزة بما فعل أبو جهل، وكان حمزة قد رجع من صيد وبيده قوس، وحمزة لم يكن مؤمناً إذ ذاك، فأقبل حمزة غضبان حتى علا أبا جهل وجعل يضربه بالقوس، وجعل أبو جهل يتضرع إلى حمزة ويقول: يا أبا يعلى ألا ترى ما جاء به؟ سفه عقولنا، وسب آلهتنا، وخالف أباءنا، فقال حمزة: ومن أسفه منكم عقولاً تعبدون الحجارة من دون الله، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، فأسلم حمزة يومئذ فنزلت الآية.

قوله: ﴿**أَوْ مَنْ كَانَ مَيْتاً**﴾ الهمزة داخلة على محذوف، والواو عاطفة على ذلك المحذوف تقديره أيستويان، ومن كان ميتاً الخ، ومن اسم شرط مبتدأ، وكان فعل الشرط واسمها مستتر، وميتاً خبرها وقوله: ﴿**فَأَحْيَيْنَاهُ**﴾ جواب الشرط، وقوله: ﴿**كَمَنْ مَثَلُهُ**﴾ خبر المبتدأ. قوله: **(بالهدى)** أي الإيمان. قوله: **(مثل زائدة)** أي لأن المثل هو الصفة، والمستقر في الظلمات ذواتهم لا صفاتهم. قوله: ﴿**لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا**﴾ هذا إخبار من الله بعدم إيمان أبي جهل رأساً، ولكن تقدم أن العبرة بعموم اللفظ. قوله: **(لا)** أي لا يستويان، وأشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري. قوله: **(كما زين للمؤمنين الإيمان)** أي لقوله تعالى: ﴿ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم﴾. قوله: ﴿**زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ أي والمزين لهم حقيقة هو الله، ويصح نسبة التزيين إلى الشياطين من حيث الإغواء والوسوسة.

قوله: ﴿**وَكَذٰلِكَ**﴾ الكاف اسم بمعنى مثل، والمعنى ومثل ما جعلنا في مكة كبراءها وعظماءها المجرمين، جعلنا في كل قرية كبراءها وعظماءها مجرميها، فذلك سنة الله أنه جعل أول من يقتدي بالرسل

كما زين للمؤمنين الإيمان ﴿زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ ١٢٢ من الكفر والمعاصي ﴿وَكَذَلِكَ﴾ كما جعلنا فساق مكة أكابرها ﴿جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا﴾ بالصد عن الإيمان ﴿وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ﴾ لأن وباله عليهم ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ ١٢٣ بذلك ﴿وَإِذَا جَاءَتْهُمْ﴾ أي أهل مكة ﴿ءَايَةٌ﴾ على صدق النبي ﷺ ﴿قَالُوا لَن نُّؤْمِنَ﴾ به ﴿حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ﴾ من الرسالة والوحي إلينا لأنا أكثر مالاً وأكبر سناً قال تعالى ﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ

الضعفاء والمعارضين المنكرين الكبراء، ليكون عز الرسل بربهم ظاهراً وباطناً، وكل آية وردت في ذم الكفار تجر بذيلها على عصاة المؤمنين، فإن المباشر للظلم والفجور أكابر كل قرية ومدينة كما هو مشاهد.
قوله: **(فساق مكة)** هو معنى مجرميها، وحل المفسر يفيد أن مجرميها مفعول أول مؤخر، وأكابر مفعول ثان مقدم، وفي كل قرية ظرف لغو متعلق بجعلنا، وهو أحد أعاريب أربعة، الثاني: أن قوله في كل قرية مفعول ثان مقدم، وأكابر مفعول أول مؤخر وهو مضاف لمجرميها، وأخر المفعول الأول لأن فيه ضميراً يعود على المفعول الثاني، فلو قدم لعاد الضمير على متأخر لفظاً ورتبة، وقد أشار ابن مالك لذلك بقوله:

كذا إذا عاد عليه مضمر مما به عنه مبيناً يخبر

فيصير المعنى وكذلك جعلنا عظماء المجرمين كائنين في كل قرية. الثالث: أن في كل مفعول ثان، وأكابر مفعول أول، ومجرميها بدل من أكابر، ولم يضف لئلا يلزم عليه إضافة الصفة للموصوف وهو لا يجوز عند البصريين. الرابع: أن أكابر مفعول أول مضاف لمجرميها، وفي كل قرية ظرف لغو متعلق بجعلنا، والمفعول الثاني محذوف تقديره فساقاً، ورد بأن هذا التقدير لا فائدة فيه ولا محوج له، فالأحسن الثلاثة الأول. قوله: ﴿لِيَمْكُرُوا فِيهَا﴾ اللام إما لام العاقبة والصيرورة نظير ﴿فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً﴾، أو لام العلة بمعنى الحكمة، وأما قولهم تنزه الله عن العلة، فمعناه العلة الباعثة على الفعل ليتكمل به، وأما الحكم فلا تخلو أفعال الله عنها، ﴿سبحانك ما خلقت هذا عبثاً﴾ والمكر والخديعة والحيلة والغدر والفجور وترويج الباطل، وهذه الأشياء لا تقبل عادة إلا من الكبراء. قوله: **(بالصد عن الإيمان)** أي لما ورد أن كل طريق من طرق مكة كان يجلس عليه أربعة، يصرفون الناس عن الإيمان بالنبي ﷺ، ويقولون هو كذاب ساحر كاهن. قوله: **(لأن وباله عليهم)** أي وبال مكرهم لاحق بهم، قال تعالى: ﴿ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله﴾ وقال أيضاً: ﴿سيصيب الذين أجرموا صغار عند الله﴾ الآية.
قوله: ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ **(بذلك)** أي لم يعلموا بأن وباله عليهم.

قوله: ﴿إِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ﴾ نزلت في الوليد بن المغيرة حيث قال للنبي: لو كانت النبوة حقاً لكنت أنا أولى بها منك، لأني أكبر سناً وأكثر منك مالاً، وقيل في أبي جهل حيث قال: زاحمنا بنو عبد مناف في الشرف، حتى صرنا كفرسي رهان، قالوا منا نبي يوحى إليه، والله لا نؤمن به ولا نتبعه أبداً، إلا أن يأتينا وحي كما يأتيه. قوله: ﴿آيَةٌ﴾ أي معجزة، كانشقاق القمر، وحنين الجذع، ونبع الماء. قوله: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ﴾ أي نصدق برسالته. قوله: ﴿مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ﴾ قال بعضهم: يسن الوقف عليه هنا، ويستجاب الدعاء بين هاتين الجلالتين، وذكر بعضهم له دعاء مخصوصاً وهو: اللهم من الذي دعاك فلم تجبه، ومن الذي استجارك فلم تجره، ومن الذي سألك فلم تعطه، ومن الذي استعان بك فلم تعنه،

رِسَالَتَهُۥ﴾ بالجمع والإفراد وحيث مفعول به لفعل دل عليه أعلم أي يعلم الموضع الصالح لوضعها فيه فيضعها وهؤلاء ليسوا أهلاً لها ﴿سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟﴾ بقولهم ذلك ﴿صَغَارٌ﴾ ذل ﴿عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَمْكُرُونَ ﴿١٢٤﴾﴾ أي بسبب مكرهم ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾ بأن يقذف في قلبه نوراً فينفسح له ويقبله كما ورد في حديث ﴿وَمَن يُرِدْ﴾ الله

ومن الذي توكل عليك فلم تكفه، يا غوثاه يا غوثاه يا غوثاه، بك أستغيث، أغثني يا مغيث، واهدني هداية من عندك، واقض حوائجنا، واشف مرضانا، واقض ديوننا، واغفر لنا ولآبائنا ولأمهاتنا، بحق القرآن العظيم، والرسول الكريم، برحمتك يا أرحم الراحمين اهـ. قوله: **(قال تعالى)** أي رداً عليهم. قوله: **(لفعل دل عليه أعلم)** دفع بذلك ما يقال من أن حيث مفعول به وليست ظرفاً، لأنها كناية عن الذات التي قامت بها الرسالة، واسم التفضيل لا ينصب المفعول به، فأجاب بما ذكر. وأجيب أيضاً: بأن اسم التفضيل ليس على بابه بل هو مؤول باسم الفاعل وهذا أولى، لأن ما لا تقدير فيه خير مما فيه تقدير، وأيضاً يدفع توهم المشاركة بين علم القديم والحادث، والحاصل أن اسم التفضيل في أسماء الله وصفاته، كأكرم وأعلم وأعظم وأجل ليس على بابه. قوله: **(والموضع الصالح لوضعها فيه)** أي الذات تستحق الرسالة وهو محمد ﷺ. قوله: **﴿ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟﴾** أي وماتوا على الكفر.

قوله: **﴿صَغَارٌ﴾** كسحاب مصدر صغر كتعب، معناه الذل والهوان، وأما الصغر ضد الكبر، فيقال فيه صغر بالضم فهو صغير. قوله: **﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾** إما ظرف ليصيب أو لصغار، والعندية مجازية كناية عن الحشر، والوقوف بين يديه، والحساب والجزاء. قوله: **(أي بسبب مكرهم)** أشار بذلك إلى أن الباء سببية وما مصدرية.

قوله: **﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ﴾** أعلم أن الله سبحانه وتعالى جعل خلقه في الأزل قسمين: شقي وسعيد، وجعل لكل أمة علامة تدل عليه، فعلامة السعادة شرح الصدر للإسلام، وقبوله لما يرد عليه من النور والأحكام، وعلامة الشقاوة ضيق الصدر، وعلامة قبوله لذلك، وجعل لكل قسم في الآخرة دار يسكنونها، فلأهل السعادة الجنة ونعيمها، ولأهل الشقاوة النار وعذابها، لما في الحديث «إن الله خلق خلقاً وقال هؤلاء للجنة ولا أبالي، وخلق خلقاً وقال هؤلاء للنار ولا أبالي» فذكر في هذه الآية علامة كل قسم، فإذا رزق الله العبد شرح الصدر وأسكنه حلاوة الإيمان، فليعلم أن الله أعظم عليه النعمة. وبضدها تتميز الأشياء. ومن اسم شرط، ويرد فعل الشرط، ويشرح جوابه. قوله: **﴿يَهْدِيَهُۥ﴾** أي يوصله للمقصود، وليس المراد الدلالة لأنها هي شرح الصدر.

قوله: **﴿يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ﴾** الشرح في الأصل التوسيع، والمراد هنا لازمه، وهو أن يقذف الله في قلب الشخص النور، حتى تكون أحواله مرضية لله، لأنه يلزم من الوسع قبول ما يحل فيه. قوله: **(كما ورد في حديث)** أي وهو أنه لما نزلت هذه الآية، سئل رسول الله ﷺ عن شرح الصدر فقال: هو نور يقذفه الله في قلب المؤمن، فينشرح له وينفتح، قيل فهو لذلك أمارة؟ قال نعم الإنابة إلى دار الخلود، والتجافي عن دار الغرور، والاستعداد للموت قبل نزول الموت، وفي رواية قبل لقى الموت.

﴿أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا﴾ بالتخفيف والتشديد عن قبوله ﴿حَرَجًا﴾ شديد الضيق بكسر الراء صفة وفتحها مصدر وصف به مبالغة ﴿كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ﴾ وفي قراءة يصاعد وفيهما إدغام التاء في الأصل في الصاد في أخرى بسكونها ﴿فِي ٱلسَّمَآءِۚ﴾ إذا كلف الإيمان لشدته عليه ﴿كَذَٰلِكَ﴾ الجعل ﴿يَجۡعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجۡسَ﴾ العذاب أو الشيطان أي يسلطه ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ لَا﴾ ﴿يُؤۡمِنُونَ﴾ ١٢٥ ﴿وَهَٰذَا﴾ الذي أنت عليه يا محمد ﴿صِرَٰطُ﴾ طريق ﴿رَبِّكَ مُسۡتَقِيمٗاۗ﴾ لا عوج فيه ونصبه على الحال المؤكدة للجملة والعامل فيها معنى الإشارة ﴿قَدۡ فَصَّلۡنَا﴾ بينا ﴿ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَذَّكَّرُونَ﴾ ١٢٦ فيه إدغام

قوله: ﴿وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ﴾ أي يمنعه عن الوصول، ويسكنه دار العقاب، ويطرده عن رحمته ومن اسم شرط، ويرد فعل الشرط، ويجعل جوابه، وجعل بمعنى صير، فصدره مفعول أول، وضيقاً مفعول ثان، وحرجاً صفته. والمعنى: أن من أراد الله شقاوته، وطرده عن رحمته، ضيق قلبه، فلا يقبل شيئاً من أصول الإسلام ولا من فروعه، ولو قطع إرباً إرباً، وعلامة ذلك إذا ذكر التوحيد نفر قلبه واشمأز، وإن نطق بلسانه كأهل النفاق، قال تعالى: ﴿وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة﴾ الآية. قوله: **(بالتخفيف والتشديد)** أي كميت وميت قراءتان سبعيتان. قوله: **(شديد الضيق)** أي زائدة، فلا يقبل شيئاً من الهدى أصلاً. قوله: **(بكسر الراء صفة)** أي اسم فاعل كفرح فهو فرح. قوله: **(وصف به مبالغة)** أي أو على حذف مضاف، أي ذا حرج على حد زيد عدل.

قوله: ﴿كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ﴾ أي يتكلف الصعود فلا يستطيعه. قوله: **(وفيهما إدغام التاء في الأصل)** أي بعد قلبها صاداً فأصل الأولى يتصعد، وأصل الثانية يتصاعد، وهاتان القراءتان مع تشديد ضيقاً، وكسر راء حرجاً أو فتحها. وأما قوله: **(وفي أخرى بسكونها)** فهي قراءة من خفف ضيقاً ويفتح حرجاً فالمخفف للمخفف، والمشدد للمشددة. قوله: **(لشدته عليه)** أي لتعسر الإيمان عليه، فإن القلب بيد الله يسكن فيه أي الأمرين شاء، وليس مملوكاً لصاحبه، وحينئذ فلا ينبغي له أن يأمن لما هو في قلبه من الإيمان ومحبة الله ورسوله، ومن هنا علمنا الله طلب الهداية على سبيل الدوام مع كونها حاصلة بقوله: ﴿اهدنا الصراط المستقيم) وبقوله: ﴿ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا﴾ الآية، وقال رسول الله ﷺ: «اللهم يا مقلب القلوب والأبصار ثبت قلبي على دينك». ولذا خاف العارفون ولم يسكنوا إلى علم ولا عمل، لما علموا أن القلوب بيد الله يقلبها كيف يشاء، ولا يأمنون حتى تقبض أرواحهم على الإيمان، ولكن شأن الكريم، أن من تمم له نعمة الإيمان لا يسلبها منه، لأنه وعد منه وهو لا يخلف. قوله: **(أي يسلطه)** أي الشيطان وهو تفسير للجعل على التفسير الثاني، وأما تفسيره على الأول فمعناه يلقى ويصيب. قوله: **(الذي أنت عليه)** أي وهو الإسلام. قوله: ﴿صِرَاطُ رَبِّكَ﴾ شبه دين الإسلام بالصراط المستقيم لا اعوجاج فيه، واستعار اسم المشبه به للمشبه على طريق الاستعارة التصريحية الأصلية. قوله: **(ونصبه على الحال المؤكدة للجملة)** المناسب أن يقول المؤكدة لصراط، لأن الحال المؤكدة للجملة عاملها مضمر، قال ابن مالك:

وإن تؤكد جملة فمضمر عاملها ولفظها يؤخر

فينافيه قوله: **(والعامل فيها معنى الإشارة)**. قوله: **(معنى الإشارة)** المناسب أن يقول: والعامل

التاء في الأصل في الذال أي يتعظون وخصوا بالذكر لأنهم هم المنتفعون ﴿ لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ ﴾ أي السلامة وهي الجنة ﴿ عِندَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ ﴿١٢٧﴾ ﴿ وَ ﴾ اذكر ﴿ يَوْمَ يَحْشُرُهُمْ ﴾ بالنون والياء أي الله الخلق ﴿ جَمِيعًا ﴾ ويقال لهم ﴿ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ﴾

فيها اسم الإشارة، باعتبار ما فيه من معنى الفعل وهو أسير. قوله: (فيه إدغام التاء في الأصل) أي بعد قلبها ذالاً. قوله: (وخصوا بالذكر لأنهم المتفعون) أي المؤتمرون بأمره، المنتهون بنهيه، وهم الصالحون المتقون، فبقاء القرآن دليل على بقاء جماعة على قدم النبي بدليل هذه الآية ﴿الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً﴾ ولا عبرة بمن يقول عدمت الصالحون، وربما قال أنا لم أر أحداً منهم. فقد قال ابن عطاء الله: أولياء الله عرائس مخدرة، ولا يرى العرائس المجرمون.

قوله: ﴿لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ﴾ الجار والمجرور خبر مقدم، ودار السلام مبتدأ مؤخر، والجملة يحتمل أن تكون مستأنفة واقعة في جواب سؤال مقدر تقديره وما جزاء من ينتفع بالذكرى، فأجاب بقوله لهم دار السلام، ويحتمل أن يكون حالاً من القوم أو صفة لهم، والتقدير قد فصلنا الآيات لقوم يذكرون، حال كونهم لهم دار السلام، أو موصوفين بكونهم لهم دار السلام. قوله: (أي السلامة) أي من جميع المخاوف والمكاره، لأن بدخولها يحصل الأمن التام من جميع المكاره حتى الموت ويصح المراد بالسلام التحية الواقعة من الله والملائكة، قال تعالى: ﴿تحيتهم فيها سلام﴾ وقال: ﴿والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم﴾ وقال: ﴿لا يسمعون فيها لغواً ولا تأثيماً إلا قيلا سلاماً سلاماً﴾. قوله: (وهي الجنة) أشار بذلك إلى أن المراد بدار السلام ما يعمل باقي الجنان، وليس المراد خصوص الدار المسماة بدار السلام.

قوله: ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ العندية عندية شرف، بمعنى أنها منسوبة لله خاصة وليس لأحد فيها منة، أو المعنى أن من دخلها كان في حضرة ربه، لا يشهد شيئاً سواه، ولا يحجب بنعيمها عن مولاه، بل كلما ازداد من الجنة نعيماً، ازداد قرباً من الله، وزالت الحجب عن قلبه بخلاف الدنيا، إذا اشتغل بشيء من زينتها بعد عن الله، فلكما ازداد فيها شغلاً، ازداد فيها بعداً عن الله، فلا يخلص منها إلا من جاهد نفسه وخرج عن هواه. قوله: ﴿وَهُوَ وَلِيُّهُمْ﴾ الجملة حالية، والمعنى ناصرهم ومتولي أمورهم، وقوله: ﴿بِما كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ الباء سببية وما مصدرية، والتقدير بسبب عملهم السابق، تولاهم وأدخلهم حضرة قربه. قوله: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ﴾ يوم ظرف معمول لمحذوف قدره المفسر بقوله اذكر. قوله: (بالنون والياء) أي فيها قراءتان سبعيتان. قوله: (أي الله) تفسير للضمير على قراءة الياء والنون على القراءة الأخرى. قوله: (الخلق) أي جميع الحيوانات عقلاء وغيرهم. قوله: ﴿جَمِيعاً﴾ توكيد للضمير أو حال منه.

قوله: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ﴾ معمول المحذوف قدره المفسر بقوله: (ويقال لهم) وليس معمولاً لنحشرهم بل هما جملتان، وهذا الخطاب بعد جمع الخلائق في الموقف، وتصيير غير العاقل تراباً، وقوله: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ﴾ المعشر الجماعة والجمع معاشر، والمراد بالجن الشياطين. قوله: ﴿قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُمْ﴾ السين والتاء لتأكيد الكثرة. قوله: (باغوائكم) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف، والتقدير قد استكثرتم من إغواء الإنس.

باغوائكم ﴿ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم ﴾ الذين أطاعوهم ﴿ مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ ﴾ انتفع الإنس بتزيين الجن لهم الشهوات والجن بطاعة الإنس لهم ﴿ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ﴾ وهو يوم القيامة وهذا تحسر منهم ﴿ قَالَ ﴾ تعالى لهم على لسان الملائكة ﴿ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ ﴾ مأواكم ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ من الأوقات التي يخرجون فيها لشرب الحميم فإنه خارجها كما قال ثم إن مرجعهم لإلى الجحيم وعن ابن عباس أنه فيمن علم الله أنهم يؤمنون فما بمعنى من ﴿ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ ﴾ في صنعه ﴿ عَلِيمٌ ﴾ ﴿١٢٨﴾ بخلقه ﴿ وَكَذَٰلِكَ ﴾ كما متعنا عصاة الإنس والجن بعضهم ببعض ﴿ نُوَلِّى ﴾ من الولاية ﴿ بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا ﴾ أي على بعض ﴿ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ ﴿١٢٩﴾ من

قوله: ﴿وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ ٱلْإِنسِ﴾ لعل وجه الاقتصار على كلام الإنس، الإشارة إلى أن الجن بهتوا فلم يردوا جواباً، وقوله من الإنس في محل نصب على الحال. قوله: ﴿رَبَّنَا﴾ منادى حذف منه حرف النداء.
قوله: (**انتفع الإنس بتزيين الجن لهم الشهوات**) أي التي تنوعت فيها الإنس من سحر وكهانة، ودعوى ألوهية، ودعوى نبوة، وسائر الأديان والعقائد الباطلة، ومن ذلك كان الرجل في الجاهلية، إذا سافر فنزل بأرض قفراء، خاف على نفسه من الجن فقال: أعوذ بسيد هذا الوادي من شر سفهاء قومه فيبيت في جوارهم. قوله: (**بطاعة الإنس لهم**) أي في هذه الأمور المزينة، فاستمتاع الجن بالإنس بالسلطنة التي تولوها عليهم حيث امتثلوا أوامرهم، وكانوا من حزبهم ودخلوا في جاههم. قوله: ﴿**الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا**﴾ أي الذي قدرته لنا. قوله: (**وهذا تحسر منهم**) أي ما وقع منهم من تلك المقالة تحسر وتحزن على ما سلف منهم، من طاعة الشيطان واتباع الهوى قوله: (**على لسان الملائكة**) مرور على القول بأن الله لا يكلمهم يوم القيامة أصلاً.

قوله: ﴿**خَالِدِينَ فِيهَا**﴾ حال من الكاف في مثواكم. قوله: (**من الأوقات التي يخرجون فيها**) تبع المفسر في ذلك شيخه الجلال المحلي في تفسير سورة الصافات، وهو مخالف لظاهر قوله تعالى: ﴿ويريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها﴾ والأحسن أن يقال إلا ما شاء الله من الأوقات التي ينقلون في فيها من النار إلى الزمهرير، فينقلون من عذاب النار، ويدخلون وادياً فيه الزمهرير، وهو شدة البرد، ما يقطع بعضهم من بعض، فيطلبون الرد إلى الجحيم، كما ذكر في حواشي البيضاوي. قوله: (**لشرب الحميم**) أي وهو ماء شديد الحرارة يقطع الأمعاء، وذلك حين يستغيثون من شر النار، يطلبون الماء ليبرد عنهم تلك الحرارة، قال تعالى: ﴿وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه﴾. وقوله: (**وعن ابن عباس الخ**) أي فيحمل على من مات مؤمناً وهو مصر على المعاصي، ونفذ فيه الوعيد، ويكون المراد من النار دار العذاب، وإن لم تكن دار خلود كجهنم لعصاة المؤمنين. قوله: ﴿**حَكِيمٌ**﴾ (**في صنعه**) أي يضع الشيء في محله. قوله: ﴿**عَلِيمٌ**﴾ (**بخلقه**) أي فيجازي كلاً على عمله.

قوله: ﴿**نُوَلِّي**﴾ أي نسلط ونؤمر. قوله: ﴿**بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ**﴾ الباء سببية، وما مصدرية، والمعنى كما متعنا الإنس والجن بعضهم ببعض، نسلط بعض الظالمين على بعض، بسبب كسبهم من المعاصي، فيؤخذ الظالم بالظالم، لما في الحديث «ينتقم الله من الظالم بالظالم ثم ينتقم من كليهما» ولما في الحديث أيضاً «كما تكونوا يولى عليكم» ومن هذا المعنى قول الشاعر:

المعاصي ﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ﴾ أي من مجموعكم أي بعضكم الصادق بالإنس أو رسل الجن نذرهم، الذين يستمعون كلام الرسل فيبلغون قومهم ﴿يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ شَهِدۡنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَاۖ﴾ أن قد بلغنا قال تعالى: ﴿وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا﴾ فلم يؤمنوا ﴿وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰفِرِينَ ١٣٠﴾ ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي إرسال الرسل ﴿أَن﴾ اللام مقدرة وهي مخففة أي لأنه ﴿لَّمۡ يَكُن رَّبُّكَ مُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ﴾

وما من يد إلا يد الله فوقها وما ظالم إلا سيبلى بظالم

قوله: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ﴾ هذا زيادة في التوبيخ عليهم، لأن الله سبحانه وتعالى أولاً وبخ الفريقين بتوجيه الخطاب للجن، وثانياً خاطبهم جميعاً ووبخهم. قوله: (**أي من مجموعكم**) دفع بذلك ما يقال إن ظاهر الآية يقتضي أن من الجن رسلاً، مع أن الرسالة مختصة بالإنس، فليس من الجن بل ولا من الملائكة رسل، فأجاب: بأن المراد من مجموعكم الصادق بالإنس، ونظير ذلك قوله تعالى: ﴿ويخرج منهما اللؤلؤ والمرجان﴾ أي من أحدهما وهو الملح، وقوله تعالى: ﴿وجعل القمر فيهن نوراً﴾ أي في إحداهن وهي سماء الدنيا. قوله: (**أو رسل الجن نذرهم**) أشار بذلك إلى جواب آخر، وهو تسليم أن هناك رسلاً من الجن، لكنهم رسل الرسل الذين يسمعون من النبي المواعظ والأحكام، ويبلغون قومهم ذلك، قال تعالى: ﴿وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضي ولوا إلى قومهم منذرين﴾ الآية، وقال تعالى: ﴿قل أوحي إلي أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآناً عجباً يهدي إلى الرشد﴾ الآيات، فيكون المعنى على ذلك: ألم يأتكم رسل منكم، أي من الإنس يبلغونكم عن الله، ومن الجن يبلغونكم عن الرسل؟ والمراد جنس الرسل الصادق بالواحد، وهو سيدنا محمد ﷺ لأنه لم يرسل لهم غيره، وأما حكم سليمان فيهم، فحكم سلطنة وملك لا حكم رسالة، وأما قوله تعالى حكاية عن الجن: ﴿يا قومنا إنا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى﴾ فلا يلزم من علمهم بموسى وسماعهم لكتابه، أن يكونوا مكلفين به.

قوله: ﴿يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي﴾ القص معناه الحديث، أي يحدثونكم بآياتي على وجه البيان. قوله: ﴿وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هٰذَا﴾ أي يخوفونكم يوم القيامة، والمعنى يحذرونكم من مخالفة الله توجب الخوف يوم القيامة. قوله: ﴿أن قد بلغنا﴾ يصح بناؤه للفاعل والمفعول. قوله: ﴿وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ عطف سبب على مسبب، أو علة على معلول.

قوله: ﴿وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾ كرر شهادتهم على أنفسهم لاختلاف المشهود به، فأولاً شهدوا بتبليغ الرسل لهم، وثانياً شهدوا بكفرهم زيادة في التقبيح عليهم، والمقصود من ذكر ذلك الاتعاظ به، والتحذير من فعل مثل ذلك. إن قلت: إن شهادتهم بكفرهم تدل على أنهم أقروا به، وهو مناف لقوله تعالى: ﴿والله ربنا ما كنا مشركين﴾ أجيب: بأن مواقف القيامة مختلفة فأولاً حين يرون المؤمنين توزن أعمالهم، ويمشون على الصراط لدخول الجنة، ينكرون الاشراك، طمعاً في دخولهم في زمرة المؤمنين، فحينئذ يختم على أفواههم، وتنطق أعضاؤهم قهراً عليهم وتقر بالكفر. قوله: ﴿ذٰلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ﴾ اسم الاشارة مبتدأ، وأن لم يكن خبره، واللام محذوفة، وأن مخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن كما قال

﴿بِظُلْمٍ﴾ منها ﴿وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ﴾ ﴿١٣١﴾ لم يرسل إليهم رسولاً يبين لهم ﴿وَلِكُلٍّ﴾ من العاملين ﴿دَرَجَاتٌ﴾ جزاء ﴿مِمَّا عَمِلُوا﴾ من خير وشر ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٣٢﴾ بالياء والتاء ﴿وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ﴾ عن خلقه وعبادتهم ﴿ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ يا أهل مكة بالإهلاك ﴿وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ﴾ من الخلق ﴿كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ﴾ ﴿١٣٣﴾ أذهبهم ولكنه أبقاكم رحمة لكم ﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ﴾ من الساعة والعذاب ﴿لَآتٍ﴾ لا محالة ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ ﴿١٣٤﴾ فائتين عذابنا ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ﴾ حالتكم ﴿إِنِّي عَامِلٌ﴾ على حالتي ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ﴾ موصولة مفعول العلم ﴿تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ﴾ أي العاقبة

المفسر، والتقدير ذلك ثابت لأنه لم يكن الخ. قوله: ﴿لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى﴾ أي لغلبة رحمته، لا ينزل العذاب على من خالف وعصى، حتى يتكرر عليهم الانذار والتخويف. قوله: ﴿بِظُلْمٍ﴾ **(منها)** الباء سببية، وقدر المفسر قوله منها إشارة إلى أن الجار والمجرور متعلق بمحذوف حال من القرى، والمعنى لم يكن **مهلك** أهل القرى بسبب وقوع ظلم منها، والحال أن أهلها لم يرسل لهم رسول. قوله: **(من العاملين)** أي طائعين أو عاصين. قوله: **(جزاء)** دفع بذلك ما يقال إن الدرجات بالجيم للطائعين فينا في العموم المتقدم. فأجاب بأن المراد بالدرجات الجزاء، وهو صادق بالدرجات والدركات. وأجيب أيضاً: بأن في الكلام اكتفاء أي ودركات على حد سرابيل تقيكم الحر أي والبرد. قوله: **(بالياء والتاء)** أي فهما قراءتان سبعيتان.

قوله: ﴿وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ﴾ هذا مرتب على ما قبله، جواب عما يقال حيث كان لكل من الطائعين والعاصين جزاء لا مفر لهم منه، فما وجه إمهالهم وعدم تعجيل ذلك لهم؟ فأجاب: بأنه الغني، فلا ينتفع بطاعة الطائع، ولا تضره معصية العاصي، وربك مبتدأ، والغني خبره، و﴿ذُو الرَّحْمَةِ﴾ خبر ثان ويصح أن يكون الغني وذو الرحمة صفتين له، وجملة: ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ خبره. قوله: ﴿ذُو الرَّحْمَةِ﴾ أي ومن أجل ذلك بقاء الخلق من غير استئصال الهلاك لهم. قوله: **(بالإهلاك)** أي جملة واحدة، بحيث لم يبق منهم أحد كعاد وثمود.

قوله: ﴿وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ﴾ أي ينشيء ويوجد بعد إذهابكم ما يشاء. قوله: ﴿مِنْ ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ﴾ أي وهم أهل سفينة نوح وذريتهم من بعدهم من القرون إلى زمنكم. قوله: **(ولكنه أبقاكم رحمة لكم)** أي لوجود نبيكم، لأنه بعث رحمة لا عذاباً. قوله: **(من الساعة)** بيان لما. قوله: ﴿لَآتٍ﴾ خبر إن مرفوع بضمة مقدرة على الياء المحذوفة لالتقاء الساكنين كقاض.

قوله: ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ أي فارين من عذابنا، بل هو مدرككم لا محالة. قوله: ﴿اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ﴾ هذا أمر تهديد وزجر، نظير قوله تعالى: ﴿اعلموا ماشئتم﴾، وقوله عليه الصلاة والسلام «إذا لم تستح فاصنع ما شئت» والمكانة إما من التمكن وهو الاستطاعة فتكون الميم أصلية، أو من الكون بمعنى الحالة فتكون زائدة، والمفسر جعلها بمعنى الحالة. قوله: ﴿مَنْ﴾ **(موصولة مفعول العلم)** أي ﴿وَتَكُونُ﴾ صلتها، و﴿عَاقِبَةُ الدَّارِ﴾ اسمها، و﴿لَهُ﴾ خبرها، وعلم عرفانية متعدية لواحد، ويصح أن

المحمودة في الدار الآخرة أنحن أم أنتم ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ﴾ يسعد ﴿ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١٣٥﴾﴾ الكافرون ﴿وَجَعَلُوا۟﴾ أي كفار مكة ﴿لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ﴾ خلق ﴿مِنَ ٱلْحَرْثِ﴾ الزرع ﴿وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا﴾ يصرفونه إلى الضيفان والمساكين ولشركائهم نصيباً يصرفونه إلى سدنتها ﴿فَقَالُوا۟ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ﴾ بالفتح والضم ﴿وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا﴾ فكانوا إذا سقط في نصيب الله من نصيبها التقطوه أو في نصيبها شيء من نصيبه تركوه وقالوا إن الله غني عن هذا كما قال تعالى ﴿فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ﴾ أي لجهته ﴿وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ سَآءَ﴾ بئس ﴿مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾﴾ حكمهم هذا ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ كما زين لهم ما ذكر ﴿زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ﴾

تكون من استفهامية مبتدأ، وجملة تكون مع اسمها وخبرها المبتدأ، والمبتدأ والخبر في محل نصب سدت مسد مفعول: ﴿**تَعْلَمُونَ**﴾. قوله: (**أي العاقبة المحمودة في الدار**) أشار بذلك إلى أن الإضافة على معنى في، والمراد بالعاقبة المحمودة الراحة التامة والسرور الكامل. قوله: (**أنحن أم أنتم**) هذا يناسب كون من استفهامية لا موصولة، وإلا لو جعلها موصولة لقال فسوف تعلمون الفريق الذي له عاقبة الدار. قوله: ﴿**إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ**﴾ استئناف كأنه واقع في جواب سؤال مقدر تقديره ما عاقبتهم، فقال إنه لا يفلح الظالمون.

قوله: ﴿**وَجَعَلُوا لِلَّهِ**﴾ هذا من جملة قبائحهم وخسران عقولهم، وجعل فعل ماض، والواو فاعل، و﴿**لِلَّهِ**﴾ جار ومجرور متعلق بمحذوف مفعول ثان مقدم، ﴿**وَنَصِيباً**﴾ مفعول أول مؤخر، ﴿**وَمِمَّا ذَرَأَ**﴾ متعلق بجعلوا. قوله: ﴿**مِنَ الْحَرْثِ**﴾ متعلق بمحذوف حال من مما ذرأ. قوله: (**الزرع**) أي ما يزرع كان حباً أو غيره. قوله: ﴿**وَالْأَنْعَامِ**﴾ أي الإبل والبقر والغنم. قوله: (**ولشركائهم**) متعلق بمحذوف تقديره وجعلوا لشركائهم، وأشار المفسر بذلك إلى أن في الآية اكتفاء بدليل التفصيل بعد ذلك بقوله وهذا لشركائنا. قوله: (**إلى سدنتها**) أي خدمتها.

قوله: ﴿**فَقَالُوا**﴾ هذا تفريع على الشق المذكور والشق المطوي. قوله: ﴿**بِزَعْمِهِمْ**﴾ الزعم الكذب ومصبه قوله بعد: ﴿**وَهَٰذَا لِشُرَكَائِنَا**﴾ فمحط الكذب التنصيف، حيث جعلوا نصف ما خلق الله وأنشأه من الحرث والأنعام له، ونصفه لشركائهم، وحق الجميع أن يكون لله، ويحتمل أن الزعم من حيث ادعائهم الملك وإنشاء الجعل من عندهم، والملك في الحقيقة لله. قوله: (**بالفتح والضم**) أي فهما قراءتان سبعيتان: الأولى لغة أهل الحجاز، والثانية لغة بني أسد، وفي لغة بالكسر، لكن لم يقرأ بها، والكل بمعنى واحد. قوله: (**فكانوا إذا سقط في نصيب الله شيء من نصيبها التقطوه**) أي وكانوا إذا رأوا ما عينوه لله أزكى، بدلوه بما لآلهتهم، وإن رأوا ما لآلهتهم أزكى تركوه حباً لها، وإذا هلك ما جعلوه لها، أخذوا بدله مما جعلوه لله، ولا يفعلون ذلك فيما جعلوه لله. قوله: (**أي لجهته**) أي لجهة مراضيه، وإلا فيستحيل على الله الوصول والجهة. قوله: ﴿**سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ**﴾ ساء فعل ماض، وما اسم موصول فاعل، ويحكمون صلته، والمخصوص بالذم محذوف قدره المفسر بقوله حكمهم، وقوله: (**هذا**) بدل من حكمهم، لأن حكمهم مبتدأ، والجملة قبله خبره.

قوله: ﴿**وَكَذَٰلِكَ**﴾ الجملة معطوفة على الجملة قبلها، والكاف بمعنى مثل. قوله: ﴿**زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ**

بالوأد ﴿شُرَكَآؤُهُمْ﴾ من الجن بالرفع فاعل زين وفي قراءة ببنائه للمفعول ورفع قتل ونصب الأولاد به وجر شركائهم بإضافته وفيه الفصل بين المضاف والمضاف إليه بالمفعول ولا يضر وإضافة القتل إلى الشركاء لأمرهم به ﴿لِيُرْدُوهُمْ﴾ يهلكوهم ﴿وَلِيَلْبِسُواْ﴾ يخلطوا ﴿عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٧﴾ ﴿وَقَالُواْ هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ﴾ حرام ﴿لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ﴾ من خدمة الأوثان وغيرهم ﴿بِزَعْمِهِمْ﴾ أي لا حجة لهم فيه ﴿وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا﴾ فلا تركب كالسوائب

ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ زين بالبناء للفاعل، ولكثير متعلق بزين، ومن المشركين صفة لكثير، و ﴿**قَتْلَ**﴾ بالنصب مفعول لزين، وهو مضاف لأولادهم، وشركاؤهم بالرفع فاعل زين، وقرأ ابن عامر من السبعة زين بالبناء للمفعول، وقتل بالرفع نائب فاعل زين، و ﴿**أَوْلَادِهِمْ**﴾ بالنصب مفعول المصدر الذي هو قتل، وقتل مضاف، وشركائهم مضاف إليه، ولا يضر الفصل بين المضاف والمضاف إليه بمعمول المضاف، لأنه ليس أجنبياً، والمضر الفصل بالأجنبي، وهذه القراءة متواترة صحيحة موافقة للنحو، خلافاً لمن شذ وعاب على من قرأ بها، كيف وهو أعلى القراءة سنداً، وأقدمهم هجرة، وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي زين مبنياً للمفعول، وقتل نائب الفاعل، وأولادهم بالجر مضاف لقتل، وشركاؤهم بالرفع فاعل، قال ابن مالك:

وبعد جره الذي أضيف له ... كمثل بنصب أو برفع عمله

وقرأ أهل الشام كقراءة ابن عامر، إلا أنهم خفضوا الأولاد أيضاً، على أن شركاءهم صفة لهم، بمعنى أنهم يشركونهم في المال والنسب، وقرأ فرقة من أهل الشام، زين بكسر الزاي بعدها ياء ساكنة مبني للمفعول كقيل ربيع، وقتل نائب الفاعل، وأولادهم بالنصب، وشركائهم بالجر، وتوجيهها معلوم مما تقدم، فجملة القراءات خمس: اثنتان سبعيتان وهما اللتان مشى عليهما المفسر، وثلاثة شواذ. قوله: (**بالوأد**) هو دفن الإناث بالحياة مخافة الفقر والعار، قال تعالى ﴿وإذا المؤودة سئلت بأي ذنب قتلت﴾. قوله: (**من الجن**) أي الملابسين للأصنام. قوله: (**ولا يضر**) رد على من منع ذلك وعاب على ابن عامر. قوله: (**وإضافة القتل**) مبتدأ، وقوله: (**لأمرهم به**) خبره، ومباشر القتل هو كثير من المشركين. قوله: ﴿**لِيُرْدُوهُمْ**﴾ علة للتزيين، وقوله: ﴿**وَلِيَلْبِسُوا**﴾ معطوف على ليردوهم، وهو من لبس بفتح الباء يلبس بكسرها لبساً بمعنى خلط. قوله: ﴿**وَلَوْ شَاءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ**﴾ مفعول محذوف تقديره عدم فعلهم، والمعنى لو أراد الله عدم التزيين والقتل ما فعلوه، لأن الله هو الموجد للخير والشر، وإنما الخلق أسباب ظاهرية في الخير والشر، وإلا فمرجع الكل إلى الله، ومن هنا قول سيدي إبراهيم الدسوقي: من نظر للخلق بعين الشريعة مقتهم، ومن نظر إليهم بعين الحقيقة عذرهم، وقال بعض العارفين:

الكل تقديره مولانا وتأسيسه ... فاشكر لمن قد وجب حمده وتقديسه
وقل لقلبك إذا زادت وساويسه ... إبليس لما طغى من مكان إبليسه

قوله: ﴿**فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ**﴾ أي اتركهم وافتراءهم. قوله: ﴿**وَقَالُوا**﴾ هذا نوع آخر من أنواع قبائحهم، وقوله: ﴿**هَٰذِهِ أَنْعَامٌ**﴾ الخ الاشارة إلى ما جعلوه لآلهتهم. قوله: ﴿**حِجْرٌ**﴾ بمعنى محجور، كذبح بمعنى مذبوح أي ممنوعة. قوله: ﴿**لَا يَطْعَمُهَا**﴾ أي لا يأكلها، والضمير عائد على الأنعام والحرث. قوله: (**وغيرهم**) أي من الرجال دون النساء. قوله: ﴿**بِزَعْمِهِمْ**﴾ حال من فاعل قالوا. قوله:

والحوامي ﴿وَأَنْعَٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا﴾ عند ذبحها بل يذكرون اسم أصنامهم ونسبوا ذلك إلى الله ﴿ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِ ۚ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ ﴿١٣٨﴾ عليه ﴿وَقَالُوا۟ مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ المحرمة وهي السوائب والبحائر ﴿خَالِصَةٌ﴾ حلال ﴿لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا﴾ النساء ﴿وَإِن يَكُن مَّيْتَةً﴾ بالرفع والنصب مع تأنيث الفعل وتذكيره ﴿فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ ۚ سَيَجْزِيهِمْ﴾ الله ﴿وَصْفَهُمْ ۚ﴾ ذلك بالتحليل والتحريم أي جزاءه ﴿إِنَّهُۥ حَكِيمٌ﴾ في صنعه ﴿عَلِيمٌ﴾ ﴿١٣٩﴾ بخلقه ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓا۟﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿أَوْلَٰدَهُمْ﴾ بالوأد ﴿سَفَهًۢا﴾ جهلاً ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا۟ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ﴾ مما ذكر ﴿ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ ۚ قَدْ ضَلُّوا۟ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ﴾ ﴿١٤٠﴾ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ﴾ خلق ﴿جَنَّٰتٍ﴾ بساتين ﴿مَّعْرُوشَٰتٍ﴾ مبسوطات على الأرض كالبطيخ ﴿وَغَيْرَ

(كالسوائب والحوامي) أي والبحائر. قوله: **(ونسبوا ذلك)** أي التقسيم إلى الأقسام الثلاثة، بأن قالوا: قسم حجر أي ممنوع منه بالكلية، وقسم لا يركب وإن كان يجوز أخذ لبه وأولاده، وقسم لا يذكر اسم الله عليه عند الذبح، وإنما يذكر اسم الصنم، وقوله: ﴿**ٱفْتِرَآءً**﴾ معمول لمحذوف قدره المفسر بقوله ونسبوا **ذلك**. قوله: ﴿**بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ**﴾ أي بسبب افترائهم.

قوله: ﴿**وَقَالُوا**﴾ هذا إشارة لنوع آخر من أنواع قبائحهم. قوله: ﴿**مَا فِي بُطُونِ هٰذِهِ ٱلْأَنْعَامِ**﴾ أي نتاج الأنعام والسوائب والبحائر، فما ولد منها حياً فهو حلال للذكور خاصة، وما ولد منها ميتاً فهو حلال للذكور والإناث. قوله: ﴿**خَالِصَةٌ**﴾ خبر عن ما باعتبار معناها، وقوله: ﴿**وَمُحَرَّمٌ**﴾ خبر عنها باعتبار لفظها. قوله: **(مع تأنيث الفعل)** أي باعتبار معنى ما وهو الأجنة، وهذا على النصب، وأما على الرفع فباعتبار تأنيث الميتة، وقوله: **(وتذكيره)** أي باعتبار لفظ ما على قراءة النصب، وباعتبار أن تأنيث الميتة مجازي على قراءة الرفع، فالقراءات أربع وكلها سبعية، وكان ناقصة في النصب، واسمها ضمير يعود على ما، وتامة في الرفع فاعلها ميتة. قوله: ﴿**فَهُمْ فِيهِ**﴾ أي ذكورهم وإناثهم يأكلون منه جميعاً. قوله: ﴿**وَصْفَهُمْ**﴾ أي جزاء وصفهم، والمراد بوصفهم التحليل والتحريم الذي اخترعوه، فالباء في قوله: **(بالتحليل والتحريم)** لتصوير الوصف. قوله: ﴿**إِنَّهُ حَكِيمٌ**﴾ تعليل لمجازاته إياهم، أي فمن أجل حكمته وعلمه لا يترك جزاءهم.

قوله: ﴿**قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوا**﴾ أي في الدنيا باعتبار السعي في نقص عددهم وإزالة ما أنعم الله به عليهم، وفي الآخرة باستحقاق العذاب الأليم. قوله: **(بالتخفيف والتشديد)** أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: **(جهلاً)** روى البخاري عن ابن عباس قال: إذا سرك أن تعلم جهل العرب، فاقرأ ما فوق الثلاثين والمائة من الأنعام: ﴿وقد خسر الذين﴾ إلى قوله ﴿وما كانو مهتدين﴾. قوله: ﴿**وَحَرَّمُوا**﴾ معطوف على قتلوا، فهو صلة ثانية. قوله: ﴿**ٱفْتِرَاءً**﴾ معمول لحرموا. قوله: ﴿**قَدْ ضَلُّوا**﴾ أي عن الطريق المستقيم، وقوله: ﴿**مَا كَانُوا مُهْتَدِينَ**﴾ فيه إعلام بأن هؤلاء الذين فعلوا هذا الفعل، يموتون على الضلال، كأن الله يقول لنبيه: لا تعلق آمالك بهداهم.

قوله: ﴿**وَهُوَ ٱلَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ**﴾ هذا امتنان من الله على عباده وبيان أن كل نعمة منه. قوله: ﴿**جَنَّاتٍ**﴾ المراد بها جميع ما ينبت أعم من أن يكون بساتين، أو لا بدليل ما بعده من باب تسمية الكل

﴿مَعۡرُوشَٰتٖ﴾ بأن ارتفعت على ساق كالنخل ﴿وَ﴾ أنشأ ﴿ٱلنَّخۡلَ وَٱلزَّرۡعَ مُخۡتَلِفًا أُكُلُهُۥ﴾ ثمره وحبه في الهيئة والطعم ﴿وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهٗا﴾ ورقهما حال ﴿وَغَيۡرَ مُتَشَٰبِهٖۚ﴾ طعمهما ﴿كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ﴾ قبل النضج ﴿وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ﴾ زكاته ﴿يَوۡمَ حَصَادِهِۦۖ﴾ بالفتح والكسر من العشر أو نصفه ﴿وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ﴾ بإعطاء كله فلا يبقى لعيالكم شيء ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾ ﴿١٤١﴾

باسم جزئه الأشرف، أو أطلق الخاص وأراد العام، فلا مفهوم لقول المفسر: **(بساتين)**. قوله: **﴿كالبطيخ﴾** أي والعنب إذا لم يوضع على عريش. قوله: **(كالنخل)** أي وغيره مما له ساق يرتفع به، كالجميز والنبق والعنب إذا وضع على عريش والحبوب، وقيل المعروشات المرتفعات على ساق، وغير المعروشات ما لا ساق له، عكس ما ذكر المفسر.

قوله: **﴿وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ﴾** قدر المفسر: **(أنشأ)** إشارة إلى أنه معطوف على جنات، عطف خاص على عام، والنكتة عموم النفع بالنخل والزرع لإقامتهما بنية الآدمي، فهما يغنيان عن غيرهما، وغيرهما لا يغني عنهما، والمراد بالزرع جمع الحبوب التي يقتات بها. قوله: **﴿مُخْتَلِفاً أُكُلُهُ﴾** فالمعنى أنشاء مقدراً في علمه سبحانه أن أكله مختلف، والأكل بالضم المأكول، أي مأكول لكل منهما، مختلف في الصفة والطعم واللون والرائحة. قوله: **(ثمره وحبه)** لف ونشر مرتب.

قوله: **﴿وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ﴾** معطوف أيضاً على جنات، وخصهما لأنهما أشرف الثمار بعد النخل. قوله: **﴿مُتَشَابِهاً﴾** هو بمعنى مشتبهاً المتقدم، إلا أن القراءة سنة متبعة. قوله: **(طعمهما)** أي ولونهما وريحهما وجرمهما. قوله: **﴿كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ﴾** هذا أمر إباحة. قوله: **(قبل النضج)** أي استوائه ووجوب الزكاة فيه، فلا تتوقف إباحة الأكل على الوصول إلى حد وجوب الزكاة فيه، وهو النضج أو التهيؤ له، ولا يحسب عليه شيء للفقراء، أما بعد النضج فكل ما أكله حسبت عليه زكاته. قوله: **(زكاته)** هذا تفسير ابن عباس وأنس بن مالك، واستشكل بأن السورة مكية، وفرض الزكاة كان المدينة في السنة الثالثة من الهجرة. وأجب بأن الآية مدنية، وقيل المراد بالحق إطعام من حضر، وترك ما سقط من الزرع والثمر للفقراء، وهو قول الحسن وعطاء ومجاهد، وعلى هذا القول فقيل الأمر للوجوب، ويكون منسوخاً بآية الزكاة، وقيل للندب ويكون محكماً.

قوله: **﴿يَوْمَ حَصَادِهِ﴾** أي زمن تيسر الاخراج منه، وهو ظاهر فيما لا يتوقف على تصفية، كالعنب والزيتون والنخل، وأما ما يحتاج إلى تصفية كالحبوب فيقال إن يوم ظرف متسع، فيشمل مدة الحصاد والدراس، أو يقال إن يوم متعلق بمحذوف تقديره وآتوا حقه الذي وجب يوم حصاده، وهو لا ينافي أن إخراج الحق بعد التصفية إن توقف عليها. قوله: **(بالفتح والكسر)** أي فهما قراءتان سبعيتان بمعنى واحد. قوله: **(من العشر)** أي فيما سقي بالسيح، أو نصفه أي فيما سقي بآلة.

قوله: **﴿وَلَا تُسْرِفُوا﴾** أي تتجاوزوا الحد بإخراجه كله للفقراء أو بعد الاخراج من أصله، أو بإنفاقه في المعاصي، والأقرب الأول الذي اقتصر عليه المفسر، لأن سبب نزولها: أن ثابت بن قيس صرم خمسمائة نخلة يوم أحد ففرقها ولم يترك لأهله شيئاً. قوله: **﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾** أي يعاقبهم.

المتجاوزين ما حد لهم ﴿ وَ ﴾ أنشأ ﴿ مِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ حَمُولَةً ﴾ صالحة للحمل عليها كالإبل الكبار ﴿ وَفَرۡشٗاۚ ﴾ لا تصلح له كالإبل الصغار والغنم سميت فرشاً لأنها كالفرش للأرض لدنوها منها ﴿ كُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ ﴾ طرائقه في التحريم والتحليل ﴿ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴾ ﴿١٤٢﴾ بين العداوة ﴿ ثَمَٰنِيَةَ أَزۡوَٰجٖۖ ﴾ أصناف بدل من حمولة وفرشاً ﴿ مِّنَ ٱلضَّأۡنِ ﴾ زوجين ﴿ ٱثۡنَيۡنِ ﴾ ذكر وأنثى ﴿ وَمِنَ ٱلۡمَعۡزِ ﴾ بالفتح والسكون ﴿ ٱثۡنَيۡنِۗ قُلۡ ﴾ يا محمد لمن حرم ذكور الأنعام تارة وإناثها أخرى ونسب ذلك إلى الله ﴿ ءَآلذَّكَرَيۡنِ ﴾ من الضأن والمعز ﴿ حَرَّمَ ﴾ الله عليكم ﴿ أَمِ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ ﴾ منهما ﴿ أَمَّا ٱشۡتَمَلَتۡ عَلَيۡهِ أَرۡحَامُ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۖ ﴾ ذكراً كان أو أنثى ﴿ نَبِّـُٔونِي بِعِلۡمٍ ﴾ عن كيفية تحريم ذلك ﴿ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾ ﴿١٤٣﴾ فيه المعنى من أين جاء التحريم فإن كان من قبل الذكورة

قوله: ﴿وَمِنَ ٱلْأَنْعَامِ﴾ معطوف على (جنات)، وإليه يشير المفسر حيث قدر (أنشأ)، وفي الحقيقة قوله: ﴿مِنَ ٱلْأَنْعَامِ﴾ متعلق بمحذوف حال من: ﴿حَمُولَةً﴾، لأنه نعت نكرة تقدم عليها، وحمولة هو المعطوف على جنات. قوله: **(صالحة للحمل عليها)** مشى المفسر على أن المراد بالحمولة الصالح للحمل والفرش وما عداه، والأحسن تفسير الحمولة بالكبار، أعم من أن تكون إبلاً أو بقراً أو غنماً، والفرش بالصغار منها، ويدل عليه قوله: ﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾، وقيل الحمولة كل ما حمل عليه من إبل وغيرها، والفرش ما اتخذ من الصوف والوبر والشعر. قوله: **(سميت)** أي الإبل الصغار والغنم.

قوله: ﴿كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ﴾ أي من جمع الثمار والأنعام والحرث. قوله: **(في التحريم والتحليل)** أي في الحرث والأنعام، بأن تحللوا شيئاً وتحرموا آخر، كما تقول المشركون. قوله: ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾ تعليل لما قبله. قوله: **(بين العداوة)** أي ظاهرها لوجود عداوته لأبينا آدم من قبل، واتصالها بأبنائه من بعده، ولذلك قيل: إن المولود في حال ولادته ينخسه الشيطان، فيصرخ عند ذلك من شدة عداوته.

قوله: ﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾ يطلق الزوج على الشيئين المتلازمين اللذين يحصل بينهما التناسل، وعلى أحدهما، وهو المراد هنا. قوله: **(بدل من حمولة وفرشاً)** أي بدل مفصل من مجمل. قوله: ﴿مِنَ الضَّأْنِ﴾ بدل من ثمانية أزواج على جواز الابدال من البدل. قوله: ﴿اثْنَيْنِ﴾ أي وهما الكبش والنعجة. وقوله: ﴿مِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ﴾ أي التيس والمعز. قوله: **(بالفتح والسكون)** أي فهما قراءتان سبعيتان قوله: **(لمن حرم ذكور الأنعام)** أي بعض ذكورها. وقوله: **(وإناثها)** أي بعض إناثها. قوله: ﴿آلذَّكَرَيْنِ﴾ بمد الهمزة الثانية مداً لازماً قدر ثلاث ألفات أو تسهيلها، وهو منصوب بالعامل الذي بعده وهو: ﴿حَرَّمَ﴾ قدم لأن مدخول الاستفهام له الصدارة. قوله: ﴿أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ﴾ أم عاطفة على الذكرين، وكذلك أم الثانية عاطفة على الموصولة على ما قبلها، ومحلها نصب أيضاً تقديره أم الذي اشتملت عليه، وأم في كل منهما متصلة مقابلة لهمزة الاستفهام.

قوله: ﴿نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ﴾ أي أخبروني خبراً ملتبساً بعلم ناشيء عن إخبار من الله بأنه حرم ما ذكره وهي جملة معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه، قصد بها إلزام الحجة لهم. قوله: **(عن كيفية تحريم ذلك)** أي جهته وسببه. قوله: **(فإن كان من قبل الذكورة الخ)** أي فإن كان سبب التحريم الذكورة، لزمكم تحريم

فجميع الذكور حرام أو الأنوثة فجميع الإناث أو اشتمال الرحم فالزوجان فمن أين التخصيص والاستفهام للإنكار ﴿وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ ۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۖ أَمْ﴾ بل ﴿كُنتُمْ شُهَدَآءَ﴾ حضوراً ﴿إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَا ۚ﴾ التحريم فاعتمدتم ذلك لا بل أنتم كاذبون فيه ﴿فَمَنْ﴾ أي لا أحد ﴿أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ بذلك ﴿لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ ﴿١٤٤﴾ ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ﴾ شيئاً ﴿مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ﴾ بالياء والتاء ﴿مَيْتَةً﴾ بالنصب وفي قراءة بالرفع مع التحتانية ﴿أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا﴾ سائلاً بخلاف غيره كالكبد والطحال ﴿أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ﴾ حرام ﴿أَوْ﴾ إلا

جميع الذكور، وإن كانت الأنوثة، لزمكم تحريم جميع الإناث، وإن كان ما اشتملت عليه الأرحام لزمكم تحريم الجميع، فلأي شيء خصصتم التحريم ببعض الذكور والإناث، فمن أين التخصيص، أي تخصيص تحريم البحائر والسوائب بالإبل، دون بقية النعم من البقر والغنم. قوله: **(والاستفهام للإنكار)** أي في المواضع الثلاثة. قوله: ﴿**أَمْ كُنْتُمْ**﴾ أم منقطعة، فلذا فسرها ببل والهمزة، فمدخولها جملة مستقلة، والمقصود بها التهكم بهم، حيث نسبهم إلى الحضور في وقت الإبصار. قوله: **(حضوراً)** أي حاضرين ومشاهدين تحريم البعض وتحليل البعض. قوله: **(لا)** أي لم تكونوا حاضرين، ولم يدل دليل على تحريم البعض وتحليل البعض. قوله: **(أي لا أحد)** أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري بمعنى النفي.

قوله: ﴿**لِيُضِلَّ النَّاسَ**﴾ متعلق بافترى. قوله: ﴿**بِغَيْرِ عِلْمٍ**﴾ متعلق بمحذوف حال من فاعل افترى، أي افترى حال كونه ملتبساً بغير علم بل جاهلاً. قوله: ﴿**إِنَّ آللَّهَ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّالِمِينَ**﴾ تعليل لما قبله، والمعنى لا يرشد الذين تعدوا حدود الله بالتحليل والتحريم إلى الصراط المستقيم لسابق الشقاوة لهم. قوله: ﴿**قُلْ لَا أَجِدُ**﴾ لما ألزمهم الله الحجة بأن التحريم عند أنفسهم لا من عند الله، أخبرهم بما ثبت تحريمه عن الله، فهو نتيجة ما قبله وثمرته، والمعنى قل يا محمد لكفار مكة لا أجد فيما أوحي إلي الخ. قوله: ﴿**فِيمَا أُوحِيَ إِلَيَّ**﴾ ما اسم موصول، وأوحي صلته، والعائد محذوف، والتقدير في الذي أوحاه الله إلي وهو القرآن. قوله: **(شيئاً)** ﴿**مُحَرَّماً**﴾ قدره المفسر إشارة إلى أن محرماً صفة لموصوف محذوف. قوله: ﴿**عَلَى طَاعِمٍ**﴾ متعلق بمحرماً. وقوله: ﴿**يَطْعَمُهُ**﴾ من باب لهم، ومعنى طاعم آكل، ويطعمه يأكله. قوله: ﴿**إِلَّا أَنْ يَكُونَ**﴾ اسمها ضمير مستتر عائد على الشيء المحرم، و ﴿**مَيْتَةً**﴾ بالنصب خبرها، فذكر باعتبار ما عاد عليه الضمير، وهذا على قراءة الياء، وأما على التاء فالتأنيث باعتبار خبر يكون وهو ميتة، وهاتان قراءتان على نصب ميتة، وأما رفعها ففيه قراءة واحدة بالفوقانية فتكون تامة وميتة فاعل. إذا علمت ذلك فقول المفسر: **(وفي قراءة بالرفع مع التحتانية)** سبق قلم، والصواب الفرقانية، وهذا الاستثناء يصح أن يكون متصلاً باعتبار عموم الأحوال أو منقطعاً، لأنه مستثنى من محرماً وهو ذات، والمستثنى كونه ميتة، وهو معنى، فيس من جنس المستثنى منه، والأقرب كونه متصلاً.

قوله: ﴿**أَوْ دَماً**﴾ بالنصب عطف على ميتة في قراءة النصب، وعلى المستثنى في قراءة الرفع. قوله: ﴿**مَسْفُوحاً**﴾ من السفح هو السيلان أو الصب، والدم المسفوح نجس من سائر الحيوانات، ولو من سمك وذباب، وعند أبي حنيفة لا دم للسمك أصلاً، بدليل أنه إذا نشف صار أبيض. قوله: **(كالكبد**

أن يكون ﴿فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِۦ﴾ أي ذبح على اسم غيره ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ﴾ إلى شيء مما ذكر فأكله ﴿غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ﴾ له ما أكل ﴿رَّحِيمٌ ﴿١٤٥﴾﴾ به ويلحق بما ذكر بالسنة كل ذي ناب من السباع ومخلب من الطير ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا﴾ أي اليهود ﴿حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ﴾ وهو ما لم تفرق أصابعه كالإبل والنعام ﴿وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا﴾ الثروب وشحم الكلى ﴿إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا﴾ أي ما علق بها منه ﴿أَوِ﴾ حملته ﴿الْحَوَايَا﴾ الامعاء جمع

والطحال) أي فإنهما طاهران، لما في الحديث «أحلت لنا ميتتان ودمان السمك والجراد والكبد والطحال».
قوله: **﴿فَإِنَّهُ﴾** أي لحم الخنزير، وخص اللحم بالذكر، وإن كان باقيه كذلك لاعتنائهم به أكثر من باقيه.
قوله: **(حرام)** الأوضح أن يقول نجس، لأن التحريم علم من الاستثناء.

قوله: **﴿أَوْ فِسْقاً﴾** عطف على ميتة، وهو على حذف مضاف، أي ذا فسق، أو جعل نفس الفسق مبالغة، على حد زيد عدل. وقوله: **﴿لِغَيْرِ اللهِ بِهِ﴾** صفة لفسقاً. قوله: **(أي ذبح على اسم غيره)** أي قرباناً كما يتقرب إلى الله، كان ذلك الغير صنماً أو غيره. قوله: **﴿فَمَنِ اضْطُرَّ﴾** أي أصابته الضرورة. قوله: **(مما ذكر)** أي من الميتة وما بعدها. قوله: **﴿غَيْرَ بَاغٍ﴾** تقدم في سورة البقرة، أنه فسر لنا الباغي بالخارج على المسلمين، والعادي بقاطع الطريق، لأن مع كل مندوحة وهي التوبة، فإذا تاب كل جاز له الأكل، وتقدم الخلاف في المضطر، هل له أن يشبع ويتزود، وهو مشهور مذهب مالك، أو يقتصر على سد الرمق، وهو مشهور مذهب الشافعي.

قوله: **﴿فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ﴾** تعليل لجواب الشرط المحذوف تقديره فلا إثم عليه. قوله: **(ويلحق بما ذكر)** كان المناسب تقديمه على قوله: فمن اضطر. قوله: **(كل ذي ناب)** أي كالسبع والضبع والثعلب والهر والذئب، وقوله: **(ومخلب من الطير)** كالصقر والنسر والوطواط، وهذا مذهب الإمام الشافعي، وأما عند مالك: فجميع الطيور يجوز أكلها ما عدا الوطواط فيكره أكله، وجميع السباع مكروهة ما عدا الكلب الأنسي والقرد، ففيهما قولان بالحرمة والكراهة، وأما الخيل والبغال والحمير الانسية، فمشهور مذهب مالك أنها محرمة، ومشهور مذهب الشافعي إباحة الخيل دون البغال والحمير.

قوله: **﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا﴾** الجار والمجرور متعلق بحرمنا، وهادوا صلة الذين سموا بذلك، لأنهم هادوا بمعنى رجعوا عن عبادة العجل. قوله: **﴿كُلَّ ذِي ظُفُرٍ﴾** القراء السبعة على ضم الظاء والفاء، وقرىء شذوذاً بسكون الفاء وبكسر الظاء والفاء وبسكون الفاء، وبقي في الظفر لغة خامسة لم يقرأ بها: أظفور وجمع الأولى أظفار، والأخيرة أظافير قياساً، وأظافر سماعاً. قوله: **(كالإبل)** أدخلت الكاف الأوز والبط. قوله: **﴿وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ﴾** متعلق بحرمنا. قوله: **(الثروب)** جمع ثرب كفلس، شحم رقيق يغشى الكرش والامعاء، ولكن المراد بها هنا الشحم الذي على الكرش فقط، وإلا ناقض ما بعده. قوله: **(وشحم الكلى)** جمع كلوة أو كلية. قوله: **﴿إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا﴾** ما اسم موصول في محل نصب على الاستثناء أو نكرة موصولة وجملة حملت ظهورهما صلة أو صفة، والعائد محذوف.

قوله: **﴿أَوِ الْحَوَايَا﴾** معطوف على ظهورهما، وسميت بذلك لأنها محتوية على الفضلات لأنها تنحل في الكرش، ثم إذا صفيت استقرت في الأمعاء، أو لأنها محتوية بمعنى ملتفة كالحلقة. قوله: **(الأمعاء)** أي

حاوياء أو حاوية ﴿ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ﴾ منه هو شحم الألية فإنه أحل لهم ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ التحريم ﴿ جَزَيْنَٰهُم ﴾ به ﴿ بِبَغْيِهِمْ ﴾ بسبب ظلمهم بما سبق في سورة النساء ﴿ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴾ ﴿١٤٦﴾ في إخبارنا ومواعيدنا ﴿ فَإِن كَذَّبُوكَ ﴾ فيما جئت به ﴿ فَقُل ﴾ لهم ﴿ رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ ﴾ حيث لم يعاجلكم بالعقوبة وفيه تلطف بدعائهم إلى الإيمان ﴿ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ ﴾ عذابه إذا جاء ﴿ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ ﴿١٤٧﴾ ﴿ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا ﴾ نحن ﴿ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ ﴾ فإشراكنا وتحريمنا بمشيئته فهو راض به قال تعالى ﴿ كَذَٰلِكَ ﴾ كما كذب هؤلاء ﴿ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ

المصارين، والمعنى أن الشحم الذي تعلق بالظهور، أو احتوت عليه المصارين، أو اختلط بعظم كلحم الألية جائز لهم. قوله: **(جمع حاوياء)** أي كقاصعاء وقواصع، وقوله: **(أو حاوية)** أي كزاوية وزوايا، وقيل جمع حوية كهدية. قوله: **(وهو شحم الألية)** بفتح الهمزة. قوله: **(بما سبق في سورة النساء)** أي في قوله: ﴿فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله﴾ إلى أن قال: ﴿فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم﴾. قوله: **(في إخبارنا ومواعيدنا)** أي بأن سبب ذلك التحريم هو بغيهم، لا كما قالوا حرمها إسرائيل على نفسه فنحن مقتدون به، فقد كذبوا في ذلك، بل لم يطرأ التحريم إلا بعد موسى، ولم يكن ذلك محرماً على أحد قبلهم، لا في شرع إبراهيم ولا غيره، وإنما حرم إسرائيل على نفسه بالخصوص الإبل من أجل شفائه من عرق النساء الذي كان به، وقد تقدم الرد عليهم أيضاً في قوله تعالى: ﴿كل الطعام كان حلاً لبني إسرائيل﴾. قوله: **(حيث لم يعاجلكم بالعقوبة)** أي فإمهاله للكافر من سعة رحمته، فإذا تاب خلده في الرحمة. قوله: **(وفيه تلطف الخ)** دفع ذلك ما يقال: إن مقتضى الظاهر فقل ربكم ذو عقاب شديد، فأجاب: بأنه تلطف بدعائهم إلى الإيمان ليطمع النائب ولا ييأس.

قوله: ﴿**وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ**﴾ هذا من جملة المقول أيضاً، والمعنى لا يرد عذابه عمن لم يتب ومات على الكفر، فأطمعهم في الرحمة بالجملة الأولى، وبقي الاغترار بالجملة الثانية. قوله: ﴿**سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا**﴾ هذا اخبار من الله لنبيه بما يقع منهم في المستقبل، وقد وقع كما حكاه الله عنهم في سورة النحل بقوله تعالى: ﴿وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء﴾ الخ، وإنما قالوه إظهاراً لكونهم على الحق، لا اعتذاراً من ارتكاب هذه القبائح، مدعين أن المشيئة لازمة للرضا، فلا يشاء إلا ما يرضاه، وقد وقع الكفر بمشيئته فهو راض به، فكيف تقول يا محمد إنا نعذب على شيء أراده الله منا ورضيه؟ وحاصل رد تلك الشبه، أن تقول لا يلزم من المشيئة الرضا، بل يشاء القبيح ولا يرضاه، ويشاء الحسن ويرضاه، فكل شيء بمشيئته تعالى.

قوله: ﴿**لَوْ شَاءَ ٱللَّهُ**﴾ أي عدم إشراكنا، فمفعول المشيئة محذوف، وهذه المقدمة صادقة، لكنهم توصلوا بها إلى مقدمة كاذبة قدرها المفسر بقوله: **(فهو راض به)** قوله: ﴿**وَلَا آبَاؤُنَا**﴾ معطوف على الضمير في إشراكنا، والفاصل موجود وهو لا النافية، وتقدير المفسر نحن بيان للضمير في إشراكنا لا لصحة العطف، إذ يكفي أي فاصل، قال ابن مالك:

وإن على ضمير رفع متصل عطف فافصل بالضمير المنفصل

أو فاصل ما. قوله: **(فهو راض به)** هذا هو نتيجة قولهم: ﴿**لَوْ شَاءَ ٱللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا**﴾. قوله: **(قال**

مِن قَبۡلِهِمۡ﴾ رسلهم ﴿حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأۡسَنَاۗ﴾ عذابنا ﴿قُلۡ هَلۡ عِندَكُم مِّنۡ عِلۡمٖ﴾ بأن الله راض بذلك ﴿فَتُخۡرِجُوهُ لَنَآۖ﴾ أي لا علم عندكم ﴿إِن﴾ ما ﴿تَتَّبِعُونَ﴾ في ذلك ﴿إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ﴾ ما ﴿أَنتُمۡ إِلَّا تَخۡرُصُونَ﴾ ﴿١٤٨﴾ تكذبون فيه ﴿قُلۡ﴾ إن لم تكن لكم حجة ﴿فَلِلَّهِ ٱلۡحُجَّةُ ٱلۡبَٰلِغَةُۖ﴾ التامة ﴿فَلَوۡ شَآءَ﴾ هدايتكم ﴿لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾ ﴿١٤٩﴾ ﴿قُلۡ هَلُمَّ﴾ أحضروا ﴿شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ يَشۡهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَاۖ﴾ الذي حرمتموه ﴿فَإِن شَهِدُواْ فَلَا تَشۡهَدۡ مَعَهُمۡۚ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ﴾ ﴿١٥٠﴾ يشركون ﴿قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ﴾ أقرأ ﴿مَا حَرَّمَ

تعالى) أي تسلية له عليه الصلاة والسلام. قوله: **(كما كذب هؤلاء)** أي مثل ما كذبوك ولم يصدقوك بما جئت به، كذب الأمم السابقة أنبياءهم. قوله: **﴿حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا﴾** غاية للتكذيب أي استمروا على التكذيب حتى ذاقوا الخ. قوله: **﴿مِنْ عِلْمٍ﴾** من زائدة، وعلم مبتدأ مؤخر، وعند ظرف خبر مقدم، والمعنى هل عندكم من شيء تحتجون به على ما زعمتم من أن الله راض بأفعالكم فتظهروه لنا؟. قوله: **(أي لا علم عندكم)** أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري بمعنى النفي. قوله: **﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾** جواب شرط مقدر، قدره المفسر بقوله: **(إن لم يكن لكم حجة)**. قوله: **(التامة)** أي وهي إرسال الرسل وإنزال الكتب، ومعنى التامة الكاملة التي لا يعتريها نقص ولا خفاء. قوله: **(هدايتكم)** قدره إشارة إلى أن مفعول شاء محذوف. قوله: **﴿لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾** أي ولكنه لم يشأ ذلك فلم يحصل، ومحط التعليق على هداية الجميع، وأما هداية البعض فقد حصلت.

قوله: **﴿قُلْ هَلُمَّ﴾** فيها لغتان: لغة أهل الحجاز عدم إلحاقها شيئاً من العلامات، فهي بلفظ واحد للمذكر والمؤنث والمثنى والمجموع والقرآن جاء عليها، وعلى ذلك فهي اسم فعل بمعنى احضروا، ولغة تميم وهي إلحاقها العلامات، فتقول هلموا وهلمي وهلما وهلمن، وعليها فهي فعل أمر، وهذا الأمر لمزيد التبكيت لهم، وإقامة الحجة عليهم. قوله: **﴿فَإِنْ شَهِدُوا﴾** أي بعد مجيئهم وحضورهم. قوله: **﴿فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ﴾** أي لا تصدقهم ولا تمل لقولهم، وهذا خطاب له والمراد غيره لاستحالته عليه. قوله: **﴿وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾** معطوف على قوله: **﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا﴾**. قوله: **﴿وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾** الجملة حالية ومعنى يعدلون يسوون به غيره، والمعنى لا تتبع الذين يجمعون بين التكذيب بآيات الله، وبين الكفر بالآخرة، وبين الإشراك بالله في أهوائهم.

قوله: **﴿قُلْ تَعَالَوْا﴾** لما أقام الله سبحانه وتعالى الحجة على الكفار، بأنه لا تحليل ولا تحريم إلا بما أحله الله أو حرمه كأن سائلاً قال: وما الذي حرمه وأحله؟ فقال سبحانه: **﴿قُلْ تَعَالَوْا﴾** الخ، وتعالوا فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعل، وهو في الأصل موضوع لطلب ارتفاع من مكان سافل إلى مكان عال، ثم استعمل في الاقبال والحضور مطلقاً، وآثرها إشارة إلى أنهم في أسفل الدركات، وهو يطلبهم للرفع والعلو من أخس الأوصاف إلى أكملها وأعلاها، كأنه قال اقبلوا إلى المعالي، لأن من سمع أحكام الله وقبلها بنصح، كان في أعلى المراتب. قوله: **﴿أَتْلُ﴾** جواب الأمر مجزوم بحذف الواو، والضمة دليل عليها، وقيل جواب لشرط محذوف تقديره إن تأتوا أتل، أي أقرأ ما حرم الله عليكم.

رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا ﴾ مفسرة ﴿ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَ ﴾ أحسنوا ﴿ بِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ ﴾ بالوأد ﴿ مِنْ ﴾ أجل ﴿ إِمْلَاقٍ ﴾ فقر تخافونه ﴿ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ ﴾ الكبائر كالزنا ﴿ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾ أي علانيتها وسرها ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾ كالقود وحد الردة ورجم المحصن ﴿ ذَٰلِكُمْ ﴾ المذكور ﴿ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ

قوله: ﴿مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ﴾ ما اسم موصول، وحرم صلته، والعائد محذوف، وربكم فاعل حرم، وقوله: ﴿عَلَيْكُمْ﴾ تنازعه كل من أتل وحرم، أعمل الثاني، واضمر في الأول وحذف لأنه فضلة. وحاصل ما ذكر في هاتين الآيتين عشرة أشياء: خمسة بصيغ النهي، وخمسة بصيغ الأمر، وقدم المنهي عنه لأن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح، ولأن المنهي عنه مأمور باجتنابه مطلقاً، والمأمور به على حسب الاستطاعة لما في الحديث «ما نهيتكم عنه فاجتنبوه وما أمرتكم به فائتوا منه ما استطعتم». ووسط بينهما الأمر ببر الوالدين اعتناء بشأنه، لكونه أعظم الواجبات بعد التوحيد، وهذه العشرة لا تختلف باختلاف الأمم والأعصار، بل أجمع عليها جميع أهل الأديان، قال ابن عباس: هذه آيات محكمات، لم ينسخهن شيء في جميع الكتب، وهن محرمات على بني آدم كلهم، وهن أم الكتاب، من عمل بهن دخل الجنة، ومن تركهن دخل النار. قوله: ﴿أَنْ﴾ (مفسرة) أي وضابطها موجود، وهو أن يتقدمها جملة فيها معنى القول دون حروفه، واستشكل بأن هذا يقتضي أن جميع ما يأتي محرم، مع أن بعضه مأمور بفعله على سبيل الوجوب. أجيب بأجوبة منها: أن التحريم في المنهي عنه ظاهر وفي المأمور به باعتبار أضدادها، فالمعنى حرم فعلاً وهي المنهيات، أو تركاً وهي المأمورات، ومنها أن في الكلام حذف الواو مع ما عطفت، والتقدير ما حرم ربكم عليكم وما أمركم به، ثم فرع بعد ذلك على المذكور والمحذوف، والأقرب الأول.

قوله: ﴿لَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً﴾ أي لا في الأقوال، ولا في الأفعال، ولا في الاعتقادات. قوله: ﴿إِحْسَاناً﴾ مفعول مطلق لفعل محذوف قدره المفسر بقوله: (أحسنوا) والمراد بالوالدين الأب والأم وإن علياً. قوله: (بالوأد) تقدم أنه الدفن بالحياة. قوله: ﴿مِنْ إِمْلَاقٍ﴾ يطلق بمعنى الفقر والافلاس والإفساد، والمراد هنا الأول. قوله: نحن ﴿نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ هذا في معنى التعليل للنهي المتقدم، والمعنى لا تقتلوا أولادكم من أجل حصول فقر، لأن رزقكم ورزقهم علينا لا على غيرنا، وقال هنا: ﴿مِنْ إِمْلَاقٍ﴾، وقال في الإسراء: ﴿خشية إملاق﴾، لأن ما هنا في الفقر الحاصل بالفعل، وما في الإسراء في الفقر المتوقع، فهو خطاب للأغنياء، وقدم هنا خطاب الآباء، وهناك ضمير الأولاد قيل تفننا، وقيل قدم هنا خطاب الآباء تعجيلاً لبشارة الآباء الفقراء بأنهم في ضمان الله، وقدم هناك ضمير الأولاد، لتطمئن الآباء بضمان رزق الأولاد، فهذه الآية تفيد النهي للآباء عن قتل الأولاد، وإن كانوا متلبسين بالفقر، والأخرى عن قتلهم وإن كانوا موسرين، ولكن يخافون وقوع الفقر. قوله: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ﴾ هذا أعم مما قبله، لأن من جملة الفواحش قتل الأولاد. قوله: (أي علانيتها) أي كالقتل والزنا والسرقة وجميع المعاصي الظاهرية، وقوله: (وسرها) أي كالرياء والعجب والكبر والحسد وجميع المعاصي القلبية.

قوله: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ﴾ عطف خاص على عام، ونكتته الاستثناء بعدة. قوله: ﴿الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ﴾ مفعول حرم محذوف أي قتلها. قوله: ﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ في محل نصب على الحال، أو صفة لمصدر

﴿ تَعۡقِلُونَ ﴾ (١٥١) تتدبرون ﴿ وَلَا تَقۡرَبُواْ مَالَ ٱلۡيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي ﴾ أي بالخصلة التي ﴿ هِيَ أَحۡسَنُ ﴾ وهي ما فيه صلاحه ﴿حَتَّىٰ يَبۡلُغَ أَشُدَّهُۥۖ﴾ بأن يحتلم ﴿وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ﴾ بالعدل وترك البخس ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۖ﴾ طاقتها في ذلك فإن أخطأ في الكيل والوزن والله يعلم صحة نيته فلا مؤاخذة عليه كما ورد في حديث ﴿وَإِذَا قُلۡتُمۡ﴾ في حكم أو غيره ﴿فَٱعۡدِلُواْ﴾ بالصدق ﴿ وَلَوۡ كَانَ ﴾ المقول له أو عليه ﴿ ذَا قُرۡبَىٰۖ ﴾ قرابة ﴿ وَبِعَهۡدِ ٱللَّهِ أَوۡفُواْۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾ (١٥٢) بالتشديد تتعظون والسكون ﴿وَأَنَّ﴾ بالفتح على تقدير اللام والكسر استئنافاً

محذوف، والتقدير ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا ملتبسين بالحق، أو قتلاً ملتبساً بالحق، وهو استثناء مفرع، أي لا تقتلوها في حال من الأحوال، إلا في حال ملابستكم بالحق. قوله: **(كالقود)** أي القصاص، وقوله: **(وحد الردة)** أي لما في الحديث «من بدل دينه فاقتلوه». وقوله: **(ورجم المحصن)** أي بشروطه، وهو وما قبله المذكورة في الفروع.

قوله: **﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ﴾** مبتدأ وخبر، وقوله: **(المذكور)** إشارة إلى أن اسم الإشارة عائد على ما تقدم من الأمور. قوله: **﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾** ختم هذه الآية بذلك، لأنها اشتملت على خمسة أشياء عظام، والوصية فيها أبلغ منها في غيرها، لعموم نفعها في الدين والدنيا، فختمها بالعقل الذي هو مناط التكليف. قوله: **(أي بالخصلة التي)** **﴿هِيَ أَحْسَنُ﴾** أشار بذلك إلى أنه نعت لمصدر محذوف، والمعنى لا تقربوا مال اليتيم في حالة من الحالات، إلا في الحالة التي هي أحسن لليتيم.

قوله: **﴿حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾** غاية لما يفهم من النهي، كأنه قال: احفظوه إلى بلوغ أشده، فسلموه له حينئذ. قوله: **(بأن يحتلم)** هذا تفسير لبلوغ الأشد، باعتبار أول زمانه، وسيأتي في الأحقاف تفسيره باعتبار آخره وهو ثلاث وثلاثون سنة، لأن الأشد هو قوة الإنسان وشدته ومبدؤه البلوغ، وينتهي لثلاث وثلاثين سنة. قوله: **﴿بِالْقِسْطِ﴾** متعلق بمحذوف إما حال من فاعل: **﴿أَوْفُوا﴾**، أو من مفعوله أي أوفوهما حال كونكم مقسطين، أو حال كونهما تامين. قوله: **(وترك البخس)** أي النقص في الكيل أو الوزن. قوله: **(فلا مؤاخذة عليه)** أي لا إثم، ولكنه يضمن ما أخطأ فيه، لأن العمد والخطأ في أموال الناس سواء.

قوله: **﴿وَإِذَا قُلْتُمْ﴾** المراد بالقول ما يعم الفعل، وقوله: **﴿فَاعْدِلُوا﴾** **(بالصدق)** أي لا تتركوه في القول ولا في الفعل، وإنما خص القول تنبيهاً بالأدنى على الأعلى. قوله: **﴿وَبِعَهْدِ اللَّهِ﴾** إما مضاف لفاعله أي ما عهده إليكم، أو لمفعوله أي ما عاهدتم الله عليه. قوله: **﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾** ختمها بذلك لأن هذه الأمور خفية غامضة، لا بد فيها من الاجتهاد والتذكر. قوله: **(والسكون)** صوابه والتخفيف، إذ لم يقرأ بسكون الذال، فمن شدد قلب التاء ذالاً وأدغمها في الأخرى، ومن خفف حذف إحدى التاءين. قوله: **(بالفتح)** أي مع التشديد أو التخفيف، وقوله: **(والكسر)** أي مع التشديد لا غير، فالقراءات ثلاث وكلها سبعية. قوله: **(على تقدير اللام)** أي على كل من الوجهين، وحينئذ تكون الواو عاطفة من عطف العلة على المعلول، والتقدير كلفتم بهذا الذي وصاكم به من أول الربع إلى هنا، أو من أول السورة إلى هنا، لأن هذا صراطي. قوله: **(استئنافاً)** أي واقعاً في جواب سؤال مقدر، ومع ذلك فيها معنى التعليل، كأن

﴿هَٰذَا﴾ الذي وصيتكم به ﴿صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا﴾ حال ﴿فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ﴾ الطرق المخالفة له ﴿فَتَفَرَّقَ﴾ فيه حذف إحدى التاءين تميل ﴿بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ دينه ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ ﴿١٥٣﴾ ﴿ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ التوراة وثم لترتيب الأخبار ﴿تَمَامًا﴾ للنعمة ﴿عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ﴾ بالقيام به ﴿وَتَفْصِيلًا﴾ بياناً ﴿لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ يحتاج إليه في الدين ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم﴾ أي بني إسرائيل ﴿بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ﴾ بالبعث ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿١٥٤﴾ ﴿وَهَٰذَا﴾ القرآن ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ﴾

قائلاً قال: لأي شيء كلفنا بما تقدم؟ فقيل في الجواب: أن هذا صراطي مستقيماً، ثم أعلم أنه على قراءة التشديد، فاسم الإشارة اسم أن وصراطي خبرها، وعلى قراءة التخفيف فاسمها ضمير الشأن، واسم الإشارة مبتدأ، وصراطي خبره، والجملة خبر إن، ومستقيماً حال من صراطي على كل حال. قوله: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا﴾ يصح أن يرجع اسم الإشارة إلى ما تقدم من أول الربع أو من أول السورة. قوله: ﴿صِرَاطِي مُسْتَقِيماً﴾ أي ديني لا اعوجاج فيه، فشبه الدين القويم بالصراط، بمعنى الطريق بجامع أن كلاً يوصل للمقصود، واستعار اسم المشبه به للمشبه على طريق الاستعارة التصريحية الأصلية.

قوله: ﴿فَاتَّبِعُوهُ﴾ أي اسلكوه ولا تحودوا عنه فتقعوا في الهلاك، روى الدارقطني عن ابن مسعود قال: خط لنا رسول الله ﷺ يوماً خطاً ثم قال: هذا سبيل الله، ثم خط خطوطاً عن يمينه وخطوطاً عن شماله ثم قال: هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليها، ثم قرأ هذه الآية، وفي رواية أنه خط خطاً وخط خطين عن يمينه، وخط خطين عن شماله، ثم وضع يده في الخط الأوسط فقال: هذا سبيل الله ثم تلا هذه الآية. قوله: **(الطرق المخالفة)** أي الأديان المباينة له، فشبه الأديان الباطلة بالطرق المعوجة بجامع أن كلاً يوصل صاحبه إلى المهالك، واستعير اسم المشبه به للمشبه. قوله: ﴿فَتَفَرَّقَ﴾ بالنصب بأن مضمرة في جواب النهي.

قوله: ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ أي ما مر من اتباع دينه وترك غيره من الأديان. قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ أي تمتثلون المأمورات، وتجتنبون المنهيات، وأتى بالتقوى هنا، لأن الصراط المستقيم جامع للتكاليف، وقد أمر باتباعه، ونهى عن الطرق المعوجة، فناسب ذكر التقوى. قوله: **(وثم لترتيب الاخبار)** أي الترتيب في الذكر لا في الزمان، وهو جواب عما يقال إن إيتاء موسى الكتاب، كان قبل نزول القرآن، فكيف يعطف بثم المفيدة للترتيب والتراخي؟ وأجيب أيضاً: بأن ثم لمجرد العطف كالواو، فلا ترتيب فيها ولا تراخي. قوله: ﴿تَمَاماً﴾ مفعول لأجله، أي آتيناه الكتاب لأجل تمام النعمة الخ. قوله: **(للنعمة)** أي الدنيوية والأخروية.

قوله: ﴿عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ﴾ متعلق بتماماً، ومعنى أحسن قام به الحسن وهو الصفات الجميلة، وقوله: **(بالقيام به)** سبب لكونه قام به الحسن، والمعنى تماماً على المحسن منهم بسبب قيامه به، أي اتباعه له، وامتثاله مأموراته واجتنابه منهياته. قوله: ﴿وَتَفْصِيلاً﴾ عطف على: ﴿تَمَاماً﴾. قوله: **(أي بني إسرائيل)** أي المدلول عليهم بذكر موسى والكتاب. قوله: ﴿بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ﴾ متعلق بيؤمنون، قدم عليه للفاصلة.

قوله: ﴿وَهَٰذَا كِتَابٌ﴾ مبتدأ وخبر، وجملة ﴿أَنْزَلْنَاهُ﴾ نعت أول لكتاب، و ﴿مُبَارَكٌ﴾ نعت ثان

﴿فَاتَّبِعُوهُ﴾ يا أهل مكة بالعمل بما فيه ﴿وَاتَّقُوا﴾ الكفر ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ ﴿١٥٥﴾ أنزلناه لـ ﴿أَن﴾ لا ﴿تَقُولُوا إِنَّمَا أُنزِلَ الْكِتَابُ عَلَىٰ طَائِفَتَيْنِ﴾ اليهود والنصارى ﴿مِن قَبْلِنَا وَإِن﴾ مخففة واسمها محذوف أي إنا ﴿كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ﴾ قراءتهم ﴿لَغَافِلِينَ﴾ ﴿١٥٦﴾ لعدم معرفتنا لها إذ ليست بلغتنا ﴿أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ﴾ لجودة أذهاننا ﴿فَقَدْ جَاءَكُم بَيِّنَةٌ﴾ بيان ﴿مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ﴾ لمن اتبعه ﴿فَمَنْ﴾ أي لا أحد ﴿أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ﴾ أعرض ﴿عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ﴾ أي أشده ﴿بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ﴾ ﴿١٥٧﴾ ﴿هَلْ يَنظُرُونَ﴾ ما ينتظر المكذبون ﴿إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمُ﴾ بالتاء والياء ﴿الْمَلَائِكَةُ﴾ لقبض أرواحهم ﴿أَوْ يَأْتِيَ

له، أي كثير الخير والمنافع ديناً ودنياً، والمعنى: هذا القرآن العظيم، كتاب أنزلناه من اللوح المحفوظ ليلة القدر إلى سماء الدنيا في بيت العزة، ثم نزل مفرقاً على حسب الوقائع، مبارك كثير الخير والمنافع في الدنيا بالشفاء به، والأمن من الخسف والمسخ والضلال والآخرة، بتلقي السؤال عن صاحبه وشهادته له، وكونه ظلة على رأسه في حر الموقف، والرقي به إلى الدرجات العلا. قوله: **(يا أهل مكة)** قصر الخطاب عليهم لأنهم هم المعاندون في ذلك الوقت. قوله: **(بالعمل بما فيه)** بيان لاتباعه.

قوله: **﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾** أي تصيبكم الرحمة في الدنيا والآخرة. قوله: **﴿أَنْ تَقُولُوا﴾** مفعول لأجله، والعامل محذوف قدره المفسر بقوله: **(أنزلناه)**، ولا يصح أن يكون العامل أنزلناه المذكور، لأنه يلزم عليه الفصل بين العامل والمعمول بأجنبي، وهو لفظ مبارك، وقدر المفسر لا، لأن الإنزال علة لعدم القول لا للقول، وقال بعضهم: إن الكلام على حذف مضاف أي كراهة أن تقولوا وكل صحيح. قوله: **﴿إِنَّمَا أُنْزِلَ الْكِتَابُ﴾** أي جنسه الصادق بالتوراة والإنجيل. قوله: **﴿وَإِنْ﴾** **(مخففة)** أي من الثقيلة. قوله: **(واسمها محذوف)** الخ فيه شيء، وذلك لأن إن المكسورة إذا خففت ودخلت على فعل ناسخ مثل كنا أهملت، فلا عمل لها، ووجب اقتران الخبر باللام، وذلك كما في هذه الآية. قوله: **(قراءتهم)** أي لكتبهم، والمعنى لا نفهم معانيها، لأنها بالعبرانية أو السريانية، ونحن عرب لا نفهم إلا اللغة العربية. قوله: **﴿لَغَافِلِينَ﴾** أي لا نعلمها، والمقصود قطع حجتهم وعذرهم بانزال القرآن بلغتهم، والمعنى نزلنا القرآن بلغتهم، لئلا يقولوا يوم القيامة إن التوراة والإنجيل أنزلا على طائفتين من قبلنا بلغتهما فلم نفهم ما فيهما.

قوله: **﴿أَوْ تَقُولُوا﴾** عطف على المنفي وهو قطع لعذرهم أيضاً. قوله: **﴿لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ﴾** أي إلى الحق والطريق المستقيم. قوله: **﴿فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ﴾** أي لا تعتذروا بذلك فقد جاءكم قوله: **(أي لا أحد)** أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري بمعنى النفي. قوله: **﴿سُوءَ الْعَذَابِ﴾** أي العذاب السيىء بمعنى الشديد. قوله: **﴿بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ﴾** الباء سببية، وما مصدرية، أي بسبب إعراضهم وتكذيبهم بآيات الله.

قوله: **﴿هَلْ يَنْظُرُونَ﴾** استفهام إنكاري بمعنى النفي، وهو مزيد تخويف وتحذير لمن بقي على الكفر. إن قلت: إن ظاهر الآية يقتضي أنهم مصدقون بهذه الأشياء حتى أثبت لهم انتظار أحدها، أجيب بأن هذه الأشياء لما كانت محتمة، عوملوا معاملة المنتظر، ولم يعول على اعتقادهم، فالمعنى لا مفر لهم من

﴿ رَبُّكَ ﴾ أي أمره بمعنى عذابه ﴿ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ﴾ أي علاماته الدالة على الساعة ﴿ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ﴾ وهي طلوع الشمس من مغربها كما في حديث الصحيحين ﴿ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ ﴾ الجملة صفة نفس ﴿ أَوْ ﴾ نفساً لم تكن ﴿ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ﴾

ذلك. قوله: **(ما ينتظر المكذبون)** أي من أهل مكة وغيرهم. قوله: **(بالتاء والياء)** أي فهما قراءتان سبعيتان، لأن جمع التكسير يجوز تأنيثه وتذكيره، تقول: قام الرجال، وقامت الرجال. قوله: **﴿الْمَلَائِكَةُ﴾** أي عزرائيل وأعوانه، أو ملائكة العذاب، لما تقدم أن الكافر موكل بأخذ روحه سبع من ملائكة العذاب. قوله: **(أي أمره)** أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف، ودفع بذلك توهم حقيقة الإتيان، وهو الانتقال من مكان إلى آخر، إذ هو مستحيل على الله تعالى. قوله: **(بمعنى عذابه)** أي المعجل لهم، إما بالسيف أو غيره. قوله: **(الدالة على الساعة)** أي على قربها، والعلامات الكبرى عشرة وهي: الدجال، والدابة، وخسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، والدخان، وطلوع الشمس من مغربها، ويأجوج ومأجوج، ونزول عيسى، ونار تخرج من قعر عدن تسوق الناس إلى المحشر.

قوله: **﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾** يوم معمول لينفع على الصحيح من أن ما بعد لا يعمل فيما قبلها. قوله: **(وهو طلوع الشمس من مغربها)** ورد أن رسول الله ﷺ قال يوماً: أتدرون أين تذهب هذه الشمس إذا غربت؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: إنها تذهب إلى مستقرها تحت العرش فتخر ساجدة، فلا تزال كذلك حتى يقال لها ارتفعي فارجعي من حيث جئت، فتصبح طالعة من مطلعها، وهكذا كل يوم، فإذا أراد الله أن يطلعها من مغربها حبسها، فتقول يا رب إن مسيري بعيد، فيقول لها اطلعي من حيث غربت، فقال الناس: يا رسول الله، هل لذلك من آية؟ فقال: آية تلك الليلة أن تطول قدر ثلاث ليال، فيستيقظ الذين يخشون ربهم، فيصلون ثم يقضون صلاتهم، والليل مكانه لم ينقض، ثم يأتون مضاجعهم فينامون، حتى إذا استيقظوا والليل مكانه خافوا أن يكون ذلك بين يدي أمر عظيم، فإذا أصبحوا أطال عليهم طلوع الشمس، فبينما هم ينتظرونها، إذا طلعت عليهم من قبل المغرب. قوله: **(كما في حديث الصحيحين)** أي وهو كما في البخاري عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها» وروي أن أول الآيات ظهور الدجال، ثم نزول عيسى، ثم خروج يأجوج ومأجوج، ثم خروج الدابة، ثم طلوع الشمس من مغربها، وهو أول الآيات العظام المؤذنة بتغير أحوال العالم العلوي، وذلك أن الكفار يسلمون في زمن عيسى، فإذا قبض ومن معه من المسلمين، رجع أكثرهم إلى الكفر، فعند ذلك تطلع الشمس من مغربها.

قوله: **(لَا يَنْفَعُ نَفْساً﴾** أي كافرة أو مؤمنة عاصية، ويكون قوله: **﴿لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ﴾** راجعاً للأولى، وقوله: **﴿أَوْ كَسَبَتْ﴾** راجعاً للثانية، ويكون التقدير لا ينفع نفساً كافرة لم تكن آمنت من قبل إيمانها الآن، ولا ينفع نفساً مؤمنة توبتها من المعاصي، فقوله: **﴿أَوْ كَسَبَتْ﴾** معطوف على: **﴿آمَنَتْ﴾**، وحينئذ فيكون في الكلام حذف قد علمته. قوله: **(الجملة صفة نفس)** أي جملة لم تكن آمنت من قبل، وجاز الفصل بين الصفة والموصوف لأنه بالفاعل وهو ليس بأجنبي. قوله: **﴿أَوْ﴾ (نفساً لم تكن) ﴿كَسَبَتْ﴾** أشار بذلك إلى

طاعة أي لا تنفعها توبتها كما في الحديث ﴿ قُلِ ٱنتَظِرُوٓاْ ﴾ أحد هذه الأشياء ﴿ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴾ ﴿١٥٨﴾ ذلك ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ ﴾ باختلافهم فيه فأخذوا بعضه وتركوا بعضه ﴿ وَكَانُواْ شِيَعًا ﴾ فرقاً في

أن المعطوف في الحقيقة محذوف هو معطوف على المنفي. قوله: (كما في الحديث) روي عن صفوان بن عسال المرادي قال: قال رسول الله ﷺ: «باب من قبل المغرب، مسيرة عرضه أربعون أو سبعون سنة، خلقه الله تعالى يوم خلق السماوات والأرض مفتوحاً للتوبة، لا يغلق حتى تطلع الشمس منه». وورد أن من الاشراط العظام، طلوع الشمس من مغربها، وخروج دابة الأرض، وهذان أيهما سبق الآخر، فالآخر على أثره». وورد «صبيحة تطلع الشمس من مغربها، يصير في هذه الأمة قردة وخنازير، وتطوى الدواوين، وتجف الأقلام، لا يزاد في حسنة، ولا ينقص من سيئة، ولا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل، أو كسبت في إيمانها خيراً». وورد «لا تزال الشمس تجري من مطلعها إلى مغربها، حتى يأتي الوقت الذي جعله الله غاية لتوبة عباده، فتستأذن الشمس من أين تطلع، ويستأذن القمر من أين يطلع، فلا يؤذن لهما، فيحبسان مقدار ثلاث ليال للشمس، وليلتين للقمر، فلا يعرف مقدار حبسهما إلا قليل من الناس، وهم أهل الأوراد وحملة القرآن، فينادي بعضهم بعضاً، فيجتمعون في مساجدهم بالتضرع والبكاء والصراخ بقية تلك الليلة، ثم يرسل الله جبريل إلى الشمس والقمر، فيقول إن الرب تعالى يأمركما أن ترجعا إلى مغاربكما فتطلعا منه لا ضوء لكما عندنا ولا نور، فتبكي الشمس والقمر من خوف يوم القيامة وخوف الموت، فترجع الشمس والقمر فيطلعان من مغربهما، فبينما الناس كذلك يتضرعون إلى الله، والغافلون في غفلاتهم، إذ نادى مناد: ألا إن باب التوبة قد أغلق، والشمس والقمر قد طلعا من مغاربهما فينظر الناس وإذا بهما أسودين كالعكمين، أي الغرارتين العظميتين، لا ضوء لهما ولا نور، فذلك قوله: ﴿وجمع الشمس والقمر﴾ فيرتفعان مثل البعيرين المقرنين، ينازع كل منهما صاحبه استباقاً، ويتصايح أهل الدنيا، وتذهل الأمهات عن أولادها، وتضع كل ذات حمل حملها، فأما الصالحون والأبرار، فإنهم ينفعهم بكاؤهم يومئذ، ويكتب لهم عبادة، وأما الفاسقون والفجار، فلا ينفعهم بكاؤهم يومئذ، ويكتب عليهم حسرة، فإذا بلغت الشمس والقمر وسط السماء، جاءهما جبريل فأخذ بقرونهما فردهما إلى المغرب، فيغربهما في باب التوبة، ثم يرد المصراعين فيلتئم ما بينهما وتصيران كأنهما لم يكن فيهما صدع ولا خلل، فإذا أغلق باب التوبة، لم يقبل لعبد بعد ذلك توبة، ولا تنفعه حسنة يعملها بعد ذلك إلا ما كان قبل ذلك، فإنه يجري لهم». وورد: «أن الدنيا تمكث بعد طلوع الشمس من مغربها مائة وعشرين سنة، يتمتع المؤمنون فيها أربعين سنة، لا يتمنون شيئاً إلا أعطوه، ثم يعود فيهم الموت ويسرع، فلا يبقى مؤمن، ويبقى الكفار يتهارجون في الطرق كالبهائم، حتى ينكح الرجل المرأة في وسط الطريق، يقوم واحد عنها وينزل واحد، وأفضلهم من يقول لو تنحيتم عن الطريق لكان أحسن، فيكونون على مثل ذلك، حتى لا يولد لأحد من نكاح، ثم يعقم الله النساء ثلاثين سنة، ويكون كلهم أولاد زنا، شرار الناس عليهم تقوم الساعة. قوله: ﴿قُلِ ٱنْتَظِرُوا﴾ أمر تهديد على حد اعملوا ما شئتم.

قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ﴾ الأقرب كما قال المفسر، أنها نزلت في اليهود والنصارى لما ورد: قام فينا رسول الله فقال: «ألا إن من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على اثنتين وسبعين ملة، وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين، اثنتان وسبعون في النار، وواحدة في الجنة وهي الجماعة، وفي رواية:

ذلك وفي قراءة فارقوا أي تركوا دينهم الذي أمروا به وهم اليهود والنصارى ﴿ لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ﴾ فلا تتعرض لهم ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ﴾ يتولاه ﴿ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم ﴾ في الآخرة ﴿ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ ﴿١٥٩﴾ فيجازيهم به وهذا منسوخ بآية السيف ﴿ مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ ﴾ أي لا إله إلا الله ﴿ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ﴾ أي جزاء عشر حسنات ﴿ وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا ﴾ أي جزاءه ﴿ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ ﴿١٦٠﴾ ينقصون من جزائهم شيئاً ﴿ قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ ويبدل

«من كان على ما أنا عليه وأصحابي». قوله: (**فأخذوا بعضه**) أي كما حكاه الله عنهم بقوله في سورة النساء: ﴿ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض﴾. قوله: (**وفي قراءة**) أي وهي سبعية أيضاً. قوله: ﴿**لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ**﴾ أي لست مأموراً بقتالهم، وهذا ما مشى عليه المفسر من أنها منسوخة، وقيل إنها محكمة، والمعنى أنت بريء منهم ومن أفعالهم، لقطع نسبهم منك بكفرهم. قوله: (**فيجازيهم به**) أي بفعلهم. قوله: (**وهذا**) أي قوله: ﴿**لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ**﴾. قوله: ﴿**مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ**﴾ أي يوم القيامة. قوله: ﴿**فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا**﴾ هذا إخبار بأقل المضاعفة، وإلا فقد جاء مضاعفة الحسنة بسبعين وسبعمائة وبغير حساب، واعلم أن المضاعفة تابعة للإخلاص، فكل من عظم إخلاصه، كانت مضاعفة حسناته أكثر، ومن هنا قوله عليه الصلاة والسلام: «الله الله في أصحابي، لا تتخذوهم غرضاً من بعدي، فوالذي نفسي بيده، لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه». وفسر الحسنة بلا إله إلا الله، وهو أحد تفسيرين، والآخر أن المراد بها كل ما أمر الله به، فيشمل الذكر والصلاة والصدقة، وغير ذلك من أنواع البر، وهو الأولى، لأنه أراد خصوص ما ينجي من الشرك، فذلك جزاؤه دخول الجنة، وإن أراد الذكر بها فلا مفهوم لها، لأن العبرة بعموم اللفظ، وأفرد في الحسنة والسيئة، لأنه لو جمع لربما توهم أن الجزاء إجمالي، بحيث يعطي في نظير حسناته كلها عشرة أمثالها، بل الجزاء لكل فرد من أفراد الحسنات والسيئات، لأن الحسنات تتفاوت، فربما جوزي على بعضها عشراً وعلى بعضها أكثر. قوله: ﴿**أَمْثَالِهَا**﴾ جمع مثل إن قلت: إنه مذكر، فكان مقتضاه تأنيث العدد، قال ابن مالك:

ثلاثة بالتاء قل للعشرة ... في عد ما آحاده مذكره ... في الضد جرد الخ.

وأجيب بأنه جرد التاء مراعاة لإضافة مثل لضمير الحسنة، فكأنه اكتسب التأنيث من المضاف إليه، أو يقال إن أمثال صفة لموصوف محذوف تقديره عشر حسنات أمثالها، فجرد العدد من التاء مراعاة الموصوف المحذوف، وإلى هذا الثاني أشار المفسر بقوله: (**أي جزاء عشر حسنات**). قوله: ﴿**وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ**﴾ أي الشرك على ما قال المفسر، حيث فسر الحسنة بلا إله إلا الله، أو ما هو أعم وهو الأولى. قوله: ﴿**فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا**﴾ أي إن مات غير تائب وجوزي، وإلا فأمره مفوض لربه، فإن شاء عذبه، وإن شاء عفا عنه، وأما إن مات تائباً فلا سيئة له، لأنه من المحبوبين لله والمحبوب لا سيئة له، قال تعالى: ﴿إن الله يحب التوابين﴾، وقال عليه الصلاة والسلام: «التائب من الذنب كمن لا ذنب له». قوله: ﴿**وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ**﴾ أي العاملون للحسنات والسيئات. قوله: (**ينقصون من جزائهم**) هذا بالنظر لجزاء الحسنات، أي ولا يزاد في سيئات أهل العقاب، فالظلم نقص المحسن والزيادة في المسيء، وتسميته ظلماً

من محله ﴿ دِينًا قِيَمًا ﴾ مستقيماً ﴿ مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ ﴿١٦١﴾ ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي ﴾ عبادتي من حج وغيره ﴿ وَمَحْيَايَ ﴾ حياتي ﴿ وَمَمَاتِي ﴾ موتي ﴿ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ ﴿١٦٢﴾ ﴿ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ﴾ في ذلك ﴿ وَبِذَٰلِكَ ﴾ أي التوحيد ﴿ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ ﴿١٦٣﴾ من هذه الأمة ﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِي رَبًّا ﴾ إلهاً أي لا أطلب غيره ﴿ وَهُوَ رَبُّ ﴾ مالك ﴿ كُلِّ شَيْءٍ ۚ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ ﴾ ذنباً ﴿ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ ﴾ تحمل نفس ﴿ وَازِرَةٌ ﴾ آثمة ﴿ وِزْرَ ﴾ نفس ﴿ أُخْرَىٰ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم

تنزل منه سبحانه وتعالى، وإلا فالظلم التصرف في ملك الغير، ولا ملك لأحد منه تبارك وتعالى، وأما الزيادة في الحسنات فليس بظلم، بل هو تفضل منه وإحسان، واعلم: أن الحسنة تتفاوت، والسيئة كذلك، فليس من تصدق بدرهم كمن تصدق بدينار وهكذا، وليس من فعل صغيرة كمن فعل كبيرة وهكذا، فعشرة أمثال الحسنة من شكلها، ومثل السيئة من شكلها، واعلم أيضاً: أن هذا الجزاء لمن فعل الحسنة والسيئة، وأما من هم بحسنة ولم يعملها، كتبت له حسنة واحدة، ومن هم بسيئة ولم يعملها، فإن تركها خوف الله كتبت حسنة، وإن تركها لا لذلك، لم تكتب شيئاً، لما في الحديث: «قال الله تعالى: إذا تحدث عبدي بحسنة ولم يعملها، فأنا أكتبها له حسنة حتى يعملها، فإن عملها، فأنا أكتبها له بعشر حسنات، وإذا تحدث عبدي بسيئة ولم يعملها، فأنا أغفرها له حتى يعملها، فإن عملها فأنا أكتبها له بمثلها». قوله: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي﴾ إن حرف توكيد ونصب، والياء اسمها، وجملة هداني ربي خبرها، وهدى فعل ماض، والياء مفعول أول، و ﴿إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ مفعول ثان، و ﴿رَبِّي﴾ فاعل، والمعنى: قل يا محمد لكفار مكة، إنني أرشدني ربي ووصلني إلى دين مستقيم لا اعوجاج فيه. قوله: **(ويبدل من محله)** أي محل: إلى صراط مستقيم، وهو النصب، لأنه المفعول الثاني. قوله: ﴿قِيماً﴾ نعت لديناً، أي لا اعوجاج فيه. قوله: ﴿مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾ بدل ﴿دِيناً﴾ أي دينه وشريعته وما أوحي به إليه. قوله: ﴿حَنِيفاً﴾ حال من إبراهيم، أي مائلاً عن الضلال إلى الاستقامة. قوله: ﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ عطف حال على أخرى، وفيه تعريض بخروج جميع من خالف دين الإسلام عن إبراهيم. قوله: **(عبادتي)** أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿وَنُسُكِي﴾ عطف عام على خاص.

قوله: ﴿وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي﴾ قرأ نافع بسكون ياء محياي، وفتح ياء مماتي، والباقون بالعكس. قوله: ﴿لِلهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ﴾ الجار والمجرور متعلق بمحذوف خبر إن، ولكن يقدر بالنسبة للعبادة خالصة، وبالنسبة للحياة والموت مخلوقة. قوله: **(في ذلك)** أي الصلاة والنسك والمحيا والممات. قوله: ﴿وَأَنَا أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ أي المنقادين لله، واستشكل بأنه تقدمه الأنبياء وأممهم، وأجاب المفسر بأن الأولية بالنسبة لأمته. وأجيب أيضاً بأن الأولية بالنسبة لعالم الذر فهي حقيقة.

قوله: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللهِ﴾ نزلت لما قال الكفار: يا محمد ارجع إلى ديننا، وغير منصوب بأبغي، و ﴿رَبّاً﴾ تمييز، وقوله: **(إلهاً)** تفسير لرباً. قوله: **(أي لا أطلب)** أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري بمعنى النفي. قوله: ﴿وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾ الجملة حالية، والمعنى لا يليق أن أتخذ إلهاً غير الله، والحال أنه مالك كل شيء. قوله: ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا﴾ رد لقولهم اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم،

مَّرۡجِعُكُمۡ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ﴾ ﴿١٦٤﴾ ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمۡ خَلَٰٓئِفَ ٱلۡأَرۡضِ ﴾ جمع خليفة أي يخلف بعضكم بعضاً فيها ﴿ وَرَفَعَ بَعۡضَكُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ ﴾ بالمال والجاه وغير ذلك ﴿لِّيَبۡلُوَكُمۡ﴾ ليختبركم ﴿فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ﴾ أي أعطاكم إياه ليظهر المطيع منكم والعاصي ﴿ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلۡعِقَابِ ﴾ لمن عصاه ﴿وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٞ﴾ للمؤمنين ﴿ رَّحِيمُۢ ﴾ ﴿١٦٥﴾ بهم.

أي يكتب علينا ما عملتم من الخطايا. قوله: ﴿إِلَّا عَلَيْهَا﴾ أي إلا في حال كونه مكتوباً عليها لا على غيرها.

قوله: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ﴾ أي ولا غير وازرة، وإنما قيد بالوازرة موافقة لسبب النزول، وهو أن الوليد بن المغيرة كان يقول للمؤمنين: اتبعوا سبيلي أحمل عليكم أوزاركم، وهو وازر. قوله: ﴿وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ إن قلت: كيف هذا مع قوله تعالى:﴿وليحملن أثقالكم وأثقالاً مع أثقالهم﴾، وقوله عليه الصلاة والسلام: «من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة»؟ أجيب بأن ما هنا محمول على من لم يتسبب فيه بوجه، وفي الآية الأخرى والحديث محمول على من تسبب فيه، فعليه وزر المباشرة، ووزر التسبب، ووزر الفاعل لا يفارقه. قوله: ﴿فَيُنَبِّئُكُمْ﴾ أي يخبركم ويعلمكم. قوله: ﴿بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ أي من الأديان والملل. قوله: **(أي يخلف بعضكم بعضاً فيها)** أشار بذلك إلى أن إضافة خلائف للأرض على معنى في.

قوله: ﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ﴾ أي خالف بين أحوالكم، حيث جعل منكم الحسن والقبيح، والغني والفقير، والعالم والجاهل، والقوي والضعيف، ﴿لِيَبْلُوَكُمْ فِيمَا آتَاكُمْ﴾ وليس عجزاً عن مساواتكم، فإنه منزه عنه سبحانه. قوله: **(ليختبركم)** أي يعاملكم معاملة المختبر، وإلا فلا يخفى عليه شيء. قوله: **(أي أعطاكم إياه)** أي من الغنى والفقر، ليتبين الصابر والشاكر من غيرهما. قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ﴾ إن قلت: إن الله حليم لا يعجل بالعقوبة على من عصاه، فكيف وصف بكونه سريع العقاب؟ أجيب: بأن كل آت قريب، أو المعنى سريع العقاب إذا جاء وقته، وأكد الجملة الثانية هنا باللام، وفي الأعراف الجملتين، لأن الوعيد المتقدم هنا،أخف من الوعيد المتقدم هناك، فالوعيد هنا هو قوله:﴿ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها﴾، وأما في الأعراف فهو قوله: ﴿وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس﴾، وقوله: ﴿كونوا قردة خاسئين﴾، فالمقام هنا لغلبة الرحمة، فلذلك أكدت دون العقاب، وأما هناك فالمقام لهما، فلذلك أكدا معاً. قوله: ﴿وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ جعل خبر إن في هذه الآية من الصفات الذاتية الواردة على بناء المبالغة، وأكده باللام، وجعل خبر إن السابقة، صفة جارية على غير من هي له، للتنبيه على أنه تعالى غفور رحيم بالذات مبالغ فيهما، ومعاقب بالعرض، مسامح في العقوبة، ومعنى بالذات مغفرته ورحمته لا تتوقف على تأهل من العبد، ومعنى بالعرض أن عقابه لا يكون إلا بعد صدور ذنب فتأمل.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سُورَةُ الأَعْرَافِ

مكيّة

إلا (واسألهم عن القرية) الثمان أو الخمس آيات وهي مائتان وخمس أو ست آيات

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ ﴿الٓمٓصٓ﴾ (١) الله أعلم بمراده بذلك هذا ﴿كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ خطاب للنبي ﷺ ﴿فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ﴾ ضيق ﴿مِّنْهُ﴾ أن تبلغه مخافة أن تكذب ﴿لِتُنذِرَ﴾ متعلق بأنزل أي للانذار ﴿بِهِۦ وَذِكْرَىٰ﴾ تذكرة ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (٢) به قل لهم ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الأعراف مكية

إلا (واسألهم عن القرية) الثمان أو الخمس آيات وهي مائة وخمس أو ست آيات

سميت بذلك لذكر أهل الأعراف فيها من باب تسمية الشيء بجزئه. قوله: **(مكية)** تقدم أن المكي ما نزل قبل الهجرة وإن بأرض المدينة. قوله: **(الثمان)** أي ومنتهاها: ﴿إنا لا نضيع أجر المصلحين﴾، وقوله: **(أو الخمس)** أي ومنتهاها: ﴿إنه لغفور رحيم﴾. قوله: **(الله أعلم بمراده بذلك)** هذا أحد أقوال تقدم جملة منها، وقد ذكر هذا القول في الخازن بقوله هي حروف مقطعة استأثر الله بعلمها، وهي سره في كتابه العزيز. قوله: **(هذا)** ﴿كِتَابٌ﴾ قدره إلى أن كتاب خبر لمحذوف، واسم الإشارة عائد على القرآن بمعنى القدر الذي نزل منه، وجملة: ﴿أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾ نعت لكتاب قصد به تشريف النازل والمنزل عليه. قوله: ﴿فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ﴾ لا ناهية، و ﴿يَكُنْ﴾ مجزوم بها، و ﴿فِي صَدْرِكَ﴾ خبرها مقدم، و ﴿حَرَجٌ﴾ اسمها مؤخر، و ﴿مِنْهُ﴾ صفة لحرج، وهو نهي عن المسبب، وفي الحقيقة النهي عن أسباب الحرج، والمعنى: لا تتعاط أسباباً توجب الحرج. قوله: **(أن تبلغه)** أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف، أي من تبليغه، ويصح أن الضمير عائد على المنزل أو الانزال أو الانذار.

قوله: ﴿لِتُنْذِرَ﴾ من الإنذار، وهو التخويف من عذاب الله بسبب مخالفته. قوله: **(متعلق بأنزل)** أي واللام للتعليل، فهو مفعول لأجله، وإنما جر باللام لفقد بعض الشروط، لأنه اختلف مع عامله في الزمان والفاعل، لأن زمن الإنزال غير زمن الإنذار، فاعل الإنزال: الله تعالى، وفاعل الإنذار: النبي ﷺ. قوله: ﴿وَذِكْرَى﴾ إما في محل نصب عطف على تنذر، أو في محل رفع خبر لمحذوف

﴿مِّن رَّبِّكُمْ﴾ أي القرآن ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟﴾ تتخذوا ﴿مِن دُونِهِۦٓ﴾ أي الله أي غيره ﴿أَوْلِيَآءَ﴾ تطيعونهم في معصيته تعالى ﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝٣﴾ بالتاء والياء تتعظون وفيه إدغام التاء في الأصل في الذال وفي قراءة بسكونها وما زائدة لتأكيد القلة ﴿وَكَم﴾ خبرية مفعول ﴿مِّن قَرْيَةٍ﴾ أريد أهلها ﴿أَهْلَكْنَٰهَا﴾ أردنا إهلاكها ﴿فَجَآءَهَا بَأْسُنَا﴾ عذابنا ﴿بَيَٰتًا﴾ ليلاً ﴿أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ ۝٤﴾ نائمون بالظهيرة والقيلولة استراحة نصف النهار وإن لم يكن معها نوم أي مرة جاءها ليلاً ومرة نهاراً ﴿فَمَا

تقديره هو ذكرى، أو في محل جر عطف على المصدر المنسبك من أن المقدرة بعد اللام والفعل، والتقدير أنزل للإنذار والتذكير. ولما كان النبي مكلفاً بالتبليغ للكفار، وإن لم يتعظوا به، أسند الإنذار له، ولما كانت الموعظة والتذكر قائمة بالمؤمنين عند سماعه، أسندت لهم، فالواعظ للكفار من غيرهم، والواعظ للمؤمنين من أنفسهم، وحيث كان القرآن منزلاً لإنذار الكفار واتعاظ المؤمنين، فلا يحل إخراجه عما أنزل له، كأن يقرأه الشخص في الطرقات لطلب الدنيا، أو ليتغنى به حيث يكون المقصود من القرآن الدنيا أو التلذذ بالصوت الحسن كما يتلذذ بالغناء، فإن ذلك من الضلال المبين الموجب للعقوبة.

قوله: ﴿**ٱتَّبِعُوا**﴾ أمر لجميع المكلفين أو للكافرين. قوله: ﴿**مِنْ رَبِّكُمْ**﴾ إما متعلق بأنزل أو بمحذوف حال من الموصول. قوله: ﴿**مِنْ دُونِهِ**﴾ إما متعلق بقوله: ﴿**لَا تَتَّبِعُوا**﴾، والمعنى لا تعدلوا عنه إلى غيره من الشياطين أو الكهان، أو حال من ﴿**أَوْلِيَاءَ**﴾، لأنه نعت نكرة قدم عليها، والمعنى لا تتولوا من دونه أحداً من شياطين الإنس والجن، ليحملوكم على الأهواء والبدع. قوله: (**بالتاء**) أي مع تشديد الذال بعدها، وقوله: (**والياء**) أي قبل التاء مع تخفيف الذال، وقوله: (**وفيه إدغام التاء**) راجع إلى القراءة الأولى، وقوله: (**وفي قراءة بسكونها**) صوابه بتخفيفها وفيه حذف إحدى التاءين فالقراءات ثلاث، وكلها سبعية. قوله: (**وما زائدة لتأكيد القلة**) أي وقليلاً نعت مصدر محذوف، أي تذكراً قليلاً أو نعت ظرف زمان محذوف، أي زماناً قليلاً، والمصدر أو الظرف منصوب بالفعل بعده. قوله: ﴿**وَكَمْ**﴾ (**خبرية**) أي بمعنى كثيراً، ولم ترد في القرآن إلا هكذا، ويجب لها الصدارة لكونها على صورة الاستفهامية.
قوله: (**مفعول**) أي لفعل محذوف يفسره قوله: ﴿**أَهْلَكْنَاهَا**﴾ من باب الاشتغال، والتقدير وكم من قرية أهلكناها، ويصح أن يكون كم مبتدأ، وجملة ﴿**أَهْلَكْنَاهَا**﴾ خبر و ﴿**مِنْ قَرْيَةٍ**﴾ تمييز لكم على كل حال.
قوله: (**أريد أهلها**) أي فأطلق المحل، وأريد الحال فيه، فهو مجاز مرسل. قوله: (**أردنا إهلاكها**) جواب عما يقال إن الإهلاك مسبب عن البأس الذي هو العذاب، وظاهر الآية يقتضي أن العذاب مسبب عن الإهلاك، فأجاب بأن الكلام فيه حذف. قوله: ﴿**بَيَاتاً**﴾ يحتمل أنه حال، والتقدير جاءها بأسنا حال كونه بياتاً أي في البيات بمعنى الليل، أو ظرف وهو المتبادر من عبارة المفسر.

قوله: ﴿**أَوْ هُمْ قَائِلُونَ**﴾ أو للتنويع، والجملة حالية معطوفة على ما قبلها، والواو مقدرة وإنما حذفت لدفع الثقل باجتماع حرفي عطف في الصورة، وقائلون من قال يقيل، كباع يبيع، فألفه منقلبة عن ياء، بخلاف قال من القول، فهي منقلبة عن واو. قوله: (**والقيلولة استراحة نصف النهار**) هذا قول ثان في تفسيرها فتحصل أن القيلولة فيها قولان: النوم وقت الظهر، أو الاستراحة في وسط النهار، وإن لم يكن معها نوم. قوله: (**أي مرة جاءها ليلاً**) الخ هذا تفسير مراد للآية، وقوله: (**جاءها**) أي جاء بعضها ليلاً

كَانَ دَعْوَىٰهُمْ ﴾ قولهم ﴿ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴾ ٥ ﴿ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ ﴾ أي الأمم عن إجابتهم الرسل وعملهم فيما بلغهم ﴿وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ ٦ عن الإبلاغ ﴿ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ ﴾ لنخبرنهم عن علم بما فعلوه ﴿وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ﴾ ٧ عن إبلاغ الرسل والأمم الخالية فيما عملوا ﴿ وَٱلْوَزْنُ ﴾ للأعمال أو لصحائفها بميزان له لسان وكفتان كما ورد في حديث، كائن ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ أي يوم السؤال المذكور وهو يوم القيامة ﴿ ٱلْحَقُّ ﴾ العدل صفة لوزن ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ بالحسنات ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ ٨ الفائزون ﴿ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ بالسيئات

كقوم لوط، وقوله: **(ومرة نهاراً)** أي كقوم شعيب. قوله: **﴿فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ﴾** أي استغاثتهم وتضرعهم، أو المراد قولهم على سبيل التحسر والتندم. قوله: **﴿إِذ جَاءَهُمْ﴾** ظرف لقوله: **﴿دَعْوَاهُمْ﴾**. قوله: **﴿إِلَّا أَنْ قَالُوا﴾** أي إلا قولهم: **﴿إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾** والمعنى أنهم لم يقدروا على دفع العذاب عنهم، وإنما ذلك تحسر وندامة طمعاً في الخلاص.

قوله: **﴿فَلَنَسْأَلَنَّ﴾** اللام موطئه لقسم محذوف، والتقدير والله لنسألن، وهذا إشارة لعذابهم في الآخرة، إثر بيان عذابهم في الدنيا، والمقصود من سؤال الأمم زيادة الأمم الافتضاح لهم، ومن سؤال الرسل: رفع قدرهم، وزيادة شرفهم، وتبكيت الأمم حيث كذبوهم. قوله: **﴿بِعِلْمٍ﴾** متعلق بمحذوف حال من فاعل نقصن، والتقدير فلنقصن عليهم حال كوننا مصحوبين بعلم، وهذا حيث سكتت الرسل عن الجواب، ﴿وقالوا لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت علام الغيوب﴾. قوله: **﴿وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ﴾** توكيد لما قبله. قوله: **(فيما عملوا)** في بمعنى عن، أي عملوا. قوله: **﴿وَالْوَزْنُ﴾** مبتدأ، وقوله: **﴿يَوْمَئِذٍ﴾** خبره، و **﴿الْحَقُّ﴾** نعته، وهذا هو إعراب المفسر، ويصح أن يكون **﴿الْحَقُّ﴾** خبر المبتدأ، و **﴿يَوْمَئِذٍ﴾** ظرف منصوب على الظرفية، وهذا الوزن بعد أخذ الصحف والحساب، ثم بعد الوزن يكون المرور على الصراط، وهو مختلف باختلاف أحوال العباد. قوله: **(للأعمال أو لصحائفها)** هذا إشارة لقولين: فعلى الأول تصور الأعمال الصالحة بصورة نيرة حسنة وتوضع في كفة الحسنات، وتصور الأعمال السيئة بصورة مظلمة قبيحة وتوضع في كفة السيئات، وبقي قول ثالث: وهو أن الوزن للذوات لما في الحديث: «إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة». قوله: **(وكفتان)** بكسر الكاف وفتحها في المثنى والمفرد والجمع، كفف بالكسر لا غير.

قوله: **﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾** الخ، اعلم أن الناس في القيامة ثلاث فرق: متقون لا كبائر لهم، ومخلطون، وكفار، فأما المتقون فإن حسناتهم توضع في الكفة النيرة، وصغائرهم إن كانت لهم في الكفة الأخرى، فلا يجعل الله لتلك الصغائر وزناً، وتكفر صغائرهم باجتنابهم الكبائر، ويؤمر بهم إلى الجنة، وينعم كل على حسب أعماله. وأما الكفار فإنهم يوضع كفرهم في الكفة المظلمة، ولا توجد لهم حسنة توضع في الكفة الأخرى فتبقى فارغة، فيأمر الله بهم إلى النار، وهذان الصنفان هما المذكوران في القرآن صراحة في آيات الوزن. وأما الذين خلطوا، فقد ثبت في السنة أن حسناتهم توضع في الكفة النيرة، وسيئاتهم في الكفة المظلمة، فإن كانت الحسنات أثقل ولو بأقل قليل أو ساوت أدخلوا الجنة، وإن كانت

﴿ فَأُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم ﴾ بتصييرها إلى النار ﴿ بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَظۡلِمُونَ ﴾ ﴿٩﴾ يجحدون ﴿ وَلَقَدۡ مَكَّنَّٰكُمۡ ﴾ يا بني آدم ﴿ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَجَعَلۡنَا لَكُمۡ فِيهَا مَعَٰيِشَۗ ﴾ بالياء أسباباً تعيشون بها جمع معيشة ﴿قَلِيلٗا مَّا﴾ لتأكيد القلة ﴿تَشۡكُرُونَ﴾ ﴿١٠﴾ على ذلك ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَٰكُمۡ﴾ أي أباكم آدم ﴿ ثُمَّ صَوَّرۡنَٰكُمۡ ﴾ أي صورناه أو أنتم في ظهره ﴿ ثُمَّ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ ﴾ سجود تحية بالإنحناء

السيئات أثقل ولو بأقل قليل أدخلوا النار إلا أن يعفو الله، هذا إن كانت كبائرهم فيما بينهم وبين الله. وأما إن كانت عليهم تبعات، وكانت لهم حسنات كثيرة، فإنه يؤخذ من حسناتهم فيرد على المظلوم، وإن لم يكن لهم حسنات أخذ من سيئات المظلوم، فيحمل على الظالم من أوزار من ظلمه، ثم يعذب إلا أن يرضي الله عنه خصماءه. قوله: **(بالحسنات)** أي بسبب ثقلها في الميزان، ورجحانها على السيئات. قوله: **(بالسيئات)** أي بسبب رجحانها على الحسنات. قوله: **﴿بِمَا كَانُوا﴾** متعلق بخسروا، وما مصدرية، و **﴿بِآيَاتِنَا﴾** متعلق بيظلمون قدم عليه للفاصلة، وقوله: **(يجحدون)** أشار بذلك إلى أنه ضمن الظلم معنى الجحد فعداه بالباء.

قوله: **﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ﴾** الخ لما بين سبحانه وتعالى عاقبة من استمر على الكفر، ومن استمر على الإيمان، ذكر ما أفاض عليهم من النعم الموجبة للشكر. قوله: **﴿مَعَايِشَ﴾ (بالياء)** أي باتفاق السبعة، لأن الياء أصلية إذ هي جمع معيشة، وأصلها معيشة بسكون العين وكسر الياء أو ضمها، نقلت كسرة الياء إلى الساكن قبلها، أو قلبت ضمة الياء كسرة ثم نقلت إلى ما قبلها، وحيث كانت الياء في المفرد أصلية فإنها تبقى في الجمع، وقرىء شذوذاً بالهمزة تخريجاً على زيادة الياء وأصالة الميم، وأما إن كانت الياء في المفرد زائدة، فإنها تكون في الجمع همزة، كصحائف وصحيفة. قال ابن مالك:

والمد زيد ثالثاً في الواحد همزاً يرى في مثل كالقلائد

قوله: **(أسباباً تعيشون بها)** أي تحيون فيها كالمأكل والمشرب وما به تكون الحياة. قوله: **(لتأكيد القلة)** أي زائدة لتأكيد القلة، والمعنى أن الشاكر قليل، قال تعالى: ﴿وقليل من عبادي الشكور﴾. قوله: **﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ﴾** الخ تذكير لنعمة عظيمة على آدم، سارية إلى ذريته موجبة لشكرها. قوله: **(أي أباكم آدم)** أي حين كان طيباً غير مصور. قوله: **(أي صورناه)** أي حين كان بشراً بتخطيطه وشق حواسه، وإنما جعل المفسر الكلام على حذف مضاف لأجل أن يصح الترتيب بثم، وإنما ينسب الخلق والتصوير للخاطبين إعطاء لمقام الامتنان حقه، وتأكيداً لوجوب الشكر عليهم بالرمز، إلى أن لهم حظاً من خلق أبيهم وتصويره، لأنهما من الأمور السارية في الذرية جميعاً. قوله: **(أو أنتم في ظهره)** هكذا في نسخة بأو، وفي أخرى بالواو، فعلى الأول يكون جواباً ثانياً. والحاصل أن الناس اختلفوا في **﴿ثُمَّ﴾** في هذين الموضعين، فمنهم من لم يلتزم فيها ترتيباً، وجعلها بمنزلة الواو، وأبقى الآية على ظاهرها، ومنهم من قال هي للتريث الزماني، وجعل الكلام على حذف مضاف في الخلق والتصوير. قوله: **(سجود تحية بالانحناء)** أشار بذلك إلى أن المراد السجود اللغوي وهو الانحناء، كسجود إخوة يوسف وأبويه له، وقد كان تحية للملوك في الأمم السابقة، وعليه فلا إشكال، وقال بعضهم: إن السجود شرعي بوضع الجبهة على الأرض لله وآدم قبلة كالكعبة، ويحتمل أن السجود على ظاهره لآدم، وقولهم إن السجود لغير الله كفر محله

﴿فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ﴾ أبا الجن كان بين الملائكة ﴿لَمۡ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ۝١١﴾ ﴿قَالَ﴾ تعالى ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا﴾ زائدة ﴿تَسۡجُدَ إِذۡ﴾ حين ﴿أَمَرۡتُكَۖ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ۝١٢﴾ ﴿قَالَ فَٱهۡبِطۡ مِنۡهَا﴾ أي من الجنة وقيل من السماوات ﴿فَمَا يَكُونُ﴾ ينبغي ﴿لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخۡرُجۡ﴾ منها ﴿إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ۝١٣﴾ الذليلين ﴿قَالَ أَنظِرۡنِيٓ﴾ أخرني ﴿إِلَىٰ يَوۡمِ

إن كان من هوى النفس لا بأمر الله، ونظير ذلك تعظيمنا مشاعر الحج فتأمل.

قوله: ﴿**فَسَجَدُوا**﴾ أي قبل دخول الجنة، وأول من سجد: جبريل ثم ميكائيل ثم إسرافيل ثم عزرائيل ثم الملائكة المقربون، واختلف في مدة السجود، فقيل مائة سنة، وقيل خمسمائة سنة، وقيل غير ذلك. قوله: (**أبا الجن**) هذا أحد قولين، والثاني هو أبو الشياطين، فرقة من الجن لم يؤمن منهم أحد. قوله: (**كان بين الملائكة**) أشار بذلك إلى أن الاستثناء منقطع، وأنه ليس من الملائكة، قال في الكشاف: لما اتصف بصفات الملائكة جمع معهم في الآية واحتيج إلى استثنائه، ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿إلا إبليس كان من الجن﴾ وقال بعضهم إنه من الملائكة، فالاستثناء متصل وقوله تعالى كان من الجن أي في الفعل، والمعول عليه الأول.

قوله: ﴿**مَا مَنَعَكَ**﴾ ما استفهامية للتوبيخ في محل رفع بالابتداء، والجملة بعدها خبر، و ﴿**أَنْ**﴾ في محل نصب أو جر، لأنها على حذف حرف الجر و ﴿**إِذْ**﴾ منصوب بتسجد، والتقدير أي شيء منعك من السجود حين أمرتك. قوله: (**زائدة**) أي لتأكيد معنى النفي في منعك، فهو كما في ص بحذفها وهو الأصل، لأن القرآن يفسر بعضه بعضاً. قوله: ﴿**خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ**﴾ هذه الجملة لا محل لها من الإعراب، لأنها كالتفسير والبيان لما قبلها من دعوى الخيرية.

فائدة: قال هنا: ﴿**مَا مَنَعَكَ**﴾، وفي سورة الحجر قال: ﴿يا إبليس مالك أن لا تكون مع الساجدين﴾ وفي سورة صۤ ﴿مامنعك أن تسجد لما خلقت بيدي﴾ الآية، اختلاف العبارات عند الحكاية، دل على أن اللعين قد أدرج في معصية واحدة ثلاثة معاص: مخالفة الأمر، ومفارقة الجماعة، والاستكبار مع تحقير آدم، وشبهة الخيرية أن النار جسم لطيف نوراني، والطين جسم كثيف ظلماني، وما كان لطيفاً نورانياً، خير مما كان كثيفاً ظلمانياً، ولما كان ما احتج به على ربه باطلاً، لكون الطين فيه منافع كثيرة وفوائد جمة، ويتوقف عليه نظام العالم لاحتياجه اليه، ولما ينشأ عنه من النبات والماء اللذين هما غذاء العالم السفلي، والنار منافعها قليلة، ولا يتوقف عليها نظام العالم، لوجود كثير منه غير محتاج لها، ولا لما يسوى بها، رد عليه المولى بأشنع رد، وأجابه بجواب السائل المتعنت المتكبر بقوله: ﴿**فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا**﴾ الآية.

قوله: ﴿**قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا**﴾ الفاء لترتيب الأمر على ما ظهر من مخالفة اللعين. قوله: (**أي من الجنة**) أي وعليه فبقي في السماوات خارج الجنة. قوله: (**وقيل من السموات**) أي فلم يبق له استقرار في العالم العلوي أصلاً. قوله: ﴿**أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا**﴾ أي ولا في غيرها، ففي الكلام اكتفاء، لأن الكبر مذموم مطلقاً. قوله: (**الذليلين**) تفسير للصاغرين من الصغار، وهو بالفتح الذل والضيم. قوله: ﴿**قَالَ أَنْظِرْنِي**﴾ لما كره اللعين إذاقة الموت، طلب البقاء والخلود إلى يوم البعث، ومن المعلوم أن لا موت بعد، فقصد استمرار

﴿يُبۡعَثُونَ﴾ ﴿١٤﴾ أي الناس ﴿قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ﴾ ﴿١٥﴾ وفي آية أخرى ﴿إلى يوم الوقت المعلوم﴾ أي وقت النفخة الأولى ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي﴾ أي باغوائك لي والباء للقسم وجوابه ﴿لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ﴾ أي لبني آدم ﴿صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ ﴿١٦﴾ أي على الطريق الموصل إليك ﴿ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ﴾ أي من كل جهة فأمنعهم عن سلوكه قال ابن عباس ولا يستطيع أن يأتي من فوقهم لئلا يحول بين العبد وبين رحمة الله تعالى ﴿وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ﴾ ﴿١٧﴾ مؤمنين ﴿قَالَ ٱخۡرُجۡ مِنۡهَا مَذۡءُومٗا﴾ بالهمزة معيباً أو ممقوتاً ﴿مَّدۡحُورٗاۖ﴾ مبعداً عن الرحمة ﴿لَّمَن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ﴾ من الناس واللام للابتداء أو موطئة للقسم وهو ﴿لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾ ﴿١٨﴾ أي منك بذريتك ومن الناس وفيه تغليب الحاضر على الغائب وفي الجملة معنى

الحياة في الدنيا والآخرة، فأجابه الله لا على مراده، بل أمهله إلى النفخة الأولى، ولا نجاه له من الموت ولا من العذاب. قوله: **(أي وقت النفخة الأولى)** أي لا وقت النفخة الثانية التي طلبها اللعين.

قوله: **﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي﴾** الخ غرضه بهذا أخذ ثأره منهم، لأنه لما طرد ومقت بسببهم، أحب أن ينتقم منهم أخذاً بالثأر. قوله: **(والباء للقسم)** أي وما مصدرية، وما بعدها مسبوك بها، يشير له قول المفسر بإغوائك لي، ويصح أن تكون للسببية. قوله: **(أي على الطريق الخ)** أشار به إلى أن صراط منصوب على نزع الخافض. قوله: **﴿مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾** أي من الجهات التي يعتاد الهجوم منها، وهي الجهات الأربع، ولذلك لم يذكر الفوق والتحت، وأما الفوق فلكونه لما يمكنه أن يحول بين العبد ورحمة ربه، كما قال ابن عباس، وأما التحت فلكبره لا يرضى أن يأتي من ذلك، ويكثر إتيانه من أمام وخلف، ويضعف في اليمين واليسار لحفظ الملائكة، وذكر بعضهم حكمة أخرى لعدم مجيئه من تحت، لكون الآتي من تحت إنما يريد الازعاج، وهو يريد التأليف للغاوية، والأول أقرب، وإنما عدى الفعل في الأولين بمن الابتدائية، لأن شأن التوجه منهما بخلاف الأخيرين، فالآتي منهما كالمنحرف لليسار. قوله: **﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾** يحتمل أنه من الوجدان بمعنى اللقاء فيتعدى لواحد، وشاكرين حال، ويحتمل أنه بمعنى العلم فيتعدى لاثنين.

قوله: **﴿قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْؤوماً﴾** تأكيد لما تقدم، ومذؤوم بالهمزة من ذأمه يذأمه ذأماً إذا عابه ومقته، أي أخرج ممقوتاً معاباً عليك. قوله: **(مبعداً عن الرحمة)** أي لأن الدحر الطرد والإبعاد، يقال دحره يدحره دحراً ودحوراً، ومنه قوله تعالى: ﴿ويقذفون من كل جانب دحوراً﴾ وهما حالان من فاعل أخرج. قوله: **(واللام للابتداء)** أي داخلة على المبتدأ، فمن اسم موصوف مبتدأ، و **﴿تَبِعَكَ﴾** صلته، و **﴿مِنْهُمْ﴾** متعلق بتبعك، وقوله: **﴿لأَمْلأَنَّ﴾** جواب قسم محذوف بعد قوله: **﴿مِنْهُمْ﴾** والقسم وجوابه في محل رفع خبر المبتدأ. قوله: **(أو موطئة للقسم)** والتقدير والله لمن تبعك، ومن اسم شرط مبتدأ، ولأملأن جواب القسم المدلول عليه بلام التوطئة، وجواب الشرط محذوف لسد جواب القسم مسده. قوله: **(وفيه تغليب الحاضر)** أي وهو إبليس، وقوله: **(على الغائب)** أي وهو الناس. قوله: **(وفي الجملة)** أي وهي: **﴿لأَمْلأَنَّ﴾** وقوله: **(معنى جزاء من)** أي على كونها شرطية، وتقديره أعذبه.

جزاء من الشرطية أي من تبعك أعذبه ﴿ وَ ﴾ قال ﴿ يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ ﴾ تأكيد للضمير في اسكن ليعطف عليه ﴿ وَزَوْجُكَ ﴾ حواء بالمد ﴿ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ ﴾ بالأكل منها وهي الحنطة ﴿ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ ﴿١٩﴾ ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَـٰنُ ﴾ إبليس ﴿ لِيُبْدِيَ ﴾ يظهر

قوله: ﴿وَيَا آدَمُ﴾ تقدير المفسر قال يفيد أنه معطوف على: ﴿آخْرُجْ﴾ مسلط عليه عامله، عطف قصة على قصة، ويصح عطفه على قوله: ﴿ثم قلنا للملائكة اسجدوا﴾ فيكون مسلطاً عليه، قلنا وربما كان هذا أقرب من حيث المناسبة، والأول أقرب من حيث قرب المعطوف من المعطوف عليه، وهذا القول يحتمل أنه واقع من الله مباشرة أو على لسان ملك. قوله: **(تأكيد للضمير في اسكن)** أي وليس هو الفاعل، لأن فاعل فعل الأمر واجب الاستتار، وقوله: **(ليعطف عليه)** ﴿وَزَوْجُكَ﴾ جواب عما يقال لم أتى بالضمير المنفصل. قوله: **(حواء)** سميت بذلك لأنها خلقت من حي وهو آدم، وذلك أن آدم لما أسكن الجنة، مشى فيها مستوحشاً، فلما نام خلقت من ضلعه القصير من شقه الأيسر، ليسكن إليها ويأنس بها، فلما استيقظ ورآها مال إليها، فقالت له الملائكة: يا آدم حتى تؤدي مهرها، فقال: وما مهرها؟ فقالوا: ثلاث صلوات أو عشرون صلاة على النبي ﷺ. إن قلت: إن شرط المهر أن يكون متمولاً، وهذا ليس بمتمول. أجيب: بأن هذا الشرط في شرع محمد، ولم يكن في شرع آدم، وأيضاً الآمر هو الله وهو يحكم لا معقب لحكمه، وأيضاً من خصائص رسول الله ﷺ أن يزوج بلا مهر أصلاً، فلما كان هو الواسطة في ذلك، عد كأنه هو العاقد لهما، وإنما كان خصوص الصلاة على النبي ﷺ إشارة إلى أنه ﷺ هو الواسطة العظمى في كل نعمة وصلت لكل أحد، حتى أبيه آدم، وأمر الله آدم بالسكون في الجنة، قيل قبل دخول الجنة، فتوجيه الخطاب لحواء باعتبار تعلق علم بها، فإنها لم تكن خلقت إذ ذاك، وقيل بعد الدخول وهو المعتمد، وعليه فيكون المراد من الأمر بالسكون الاستمرار.

قوله: ﴿فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ أي في أي مكان، وفي الكلام حذف بعد من، والأصل فكلا من ثمارها حيث شئتما، وترك رغداً من هذا اكتفاء بذكره في البقرة، وأتى بالفاء هنا، وفي البقرة بالواو وتفننا وإشارة إلى أن كلاً من الحرفين بمعنى الآخر، وقيل إن الواو تفيد الجمع المطلق، والفاء تفيد الجمع على سبيل التعقيب، فالمفهوم من الفاء نوع داخل تحت المفهوم من الواو فلا منافاة، وما ذكره شيخ الإسلام من الجواب بعيد، كما تقدم لنا في البقرة فانظره. بقي شيء آخر وهو أنه وجه الخطاب أولاً لآدم، وثانياً لهما، وحكمة ذلك أن حواء في السكنى تابعة لآدم، فوجه الخطاب في السكنى لآدم، وأما في الأكل من حيث شاءا، والنهي عن قربان الشجرة فقد اشتركا فيه، فلذا وجه الخطاب لهما معاً.

قوله: ﴿وَلَا تَقْرَبَا﴾ يقال قربت الأمر أقربه من باب تعب، وفي لغة من باب قتل، قرباناً بالكسر فعلته أو دانيته، وحينئذ يكون النهي عن القربان، أبلغ من النهي عن الأكل بالفعل. قوله: **(وهي الحنطة)** وقيل الكرم، وقيل التين، وقيل البلح، وقيل الأترج، والمشهور ما قاله المفسر. قوله: ﴿مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ أي لأنفسهما. قوله: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ﴾ الوسوسة: الحديث الخفي الذي يلقيه الشيطان في قلب الانسان على سبيل التكرار. إن قلت: إن الأنبياء معصومون من وسوسة الشيطان، وظاهر الآية يقتضي أن الشيطان وسوس لآدم. أجيب: بأنه لم يباشر آدم بالوسوسة، وإنما باشر حواء، وهي باشرت آدم بذلك، قال محمد بن قيس: ناداه ربه يا آدم لم أكلت منها وقد نهيتك؟ قال: أطعمتني

﴿ لَهُمَا مَا وُرِيَ ﴾ فوعل من المواراة ﴿ عَنْهُمَا مِن سَوْءَاتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّآ ﴾ كراهة ﴿ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ ﴾ وقرىء بكسر اللام ﴿ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴾ ﴿٢٠﴾ أي وذلك لازم عن الأكل منها كما في آية أخرى (هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى) ﴿ وَقَاسَمَهُمَآ ﴾ أي أقسم لهما بالله ﴿ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ﴾ ﴿٢١﴾ في ذلك ﴿ فَدَلَّاهُمَا ﴾ حطهما عن منزلتهما ﴿ بِغُرُورٍ ﴾ منه

حواء، قال لحواء: لم أطعمتيه؟ قالت: أمرتني الحية، قال للحية: لم أمرتيها؟ قالت: أمرني إبليس، قال الله: أما أنت يا حواء فلأدمينك كل شهر كما أدميت الشجرة، وأما أنت يا حية فأقطع رجليك فتمشين على وجهك وليشدخن رأسك كل من لقيك، وأما أنت يا إبليس فملعون. إن قلت: كيف وسوس لهما وهو خارج الجنة؟ أجيب: بأن وسوسته وإن كانت خارج الجنة، إلا أنها وصلت لهما بقوة جعلها الله له على ذلك، أو أنه تحيل على دخول الجنة بدخوله في جوف الحية ووسوس لهما، وقوله: ﴿**الشَّيْطَانُ**﴾ من شاط بمعنى احترق، أو من شطن بمعنى بعد، قوله: (**إبليس**) أي من أبلس إبلاساً بمعنى يائس، لأنه آيس من رحمة الله، وقد تقدم في البقرة جملة أسمائه فانظرها.

قوله: ﴿**لِيُبْدِيَ لَهُمَا**﴾ هذا من جملة أغراضه في الوسوسة، فتكون اللام للتعليل، ويحتمل أنها للعاقبة، وأن غرضه في الوسوسة خصوص غضب الله عليهما وطردهما من الجنة. قوله: ﴿**مَا وُورِيَ عَنْهُمَا**﴾ أي غطى وستر عنهما، واختلف في ذلك اللباس، فقيل غطاء على الجسد من جنس الأظفار فنزع عنهما وبقيت الأظفار في اليدين والرجلين، تذكرة وزينة وانتفاعاً، ولذلك قالوا إن النظر للأظفار في حال الضحك يقطعه، وقيل كان نوراً، وقيل كان من ثياب الجنة. قوله: (**فوعل**) أشار بذلك إلى أن الواو الثانية زائدة، وحينئذ فلا يجب قلب الأولى همزة، وإنما يجب لو كانت الثانية أصلية. قوله: ﴿**مِنْ سُوْآتِهِمَا**﴾ عورتهما سميت بذلك لأن كشفها يسيء صاحبها.

قوله: ﴿**وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا**﴾ معطوف على وسوس بيان له. قوله: ﴿**أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ**﴾ بفتح اللام أي لم ينهكما عن الأكل منها إلا كراهة أن تكونا من الملائكة، أو تكونا من الخالدين في الجنة فالمعنى الذي أدعاه لهما، أن الأكل منها سبب لأن يكونا من الملائكة وسبب للخلود فيها. قوله: (كراهة) أفاد المفسر أن الاستثناء مفرغ وهو مفعول من أجله، قدره البصريون: ﴿**إِلَّا**﴾ (**كراهة**) ﴿**أَن تَكُونَا**﴾ الخ، وقدره الكوفيون أن لا تكونا، وتقدير البصريين أولى، لأن إضمار الاسم أحسن من اضمار الحرف. قوله: (**وقرىء بكسر اللام**) أي شذوذاً، ويؤيده قوله تعالى في موضع آخر ﴿هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى﴾ فالملك بالضم يناسب الملك بالكسر. قوله: (**أي وذلك**) أي أحد الأمرين. وقوله: (**لازم**) أي ناشيء (**عن الأكل منها**)، وقضية هذه الآية على قراءة الكسر، عدم اجتماع الأمرين، وقضية الآية الأخرى وهي ﴿هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى﴾ اجتماعهما، وأجيب بأن أو بمعنى الواو، وحكمة ترغيبهما في الملكية، أن الملائكة خصوا بالقرب من العرش، ولهم المنزلة عند الله.

قوله: ﴿**وَقَاسَمَهُمَا**﴾ معطوف على ﴿**فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ**﴾ وإنما أقسم لهما لأجل تأكيد إضلاله، فهو أول من حلف كاذباً، بل هو أول من عصى الله مطلقاً. قوله: (**أي أقسم لهما بالله**) أي وقبلا منه القسم، فالمفاعلة باعتبار ذلك، وإلا فالواقع أنها ليست على بابها، لأن الحالف هو فقط. قوله: (في ذلك)

﴿ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ ﴾ أي أكلا منها ﴿ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا ﴾ أي ظهر لكل منهما قبله وقبل الآخر ودبره وسمى كل منهما سوأة لأن انكشافه يسوء صاحبه ﴿ وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ ﴾ أخذا يلزقان ﴿ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ﴾ ليستترا به ﴿ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ ﴿٢٢﴾ بين العداوة والاستفهام للتقرير ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا ﴾ بمعصيتنا ﴿ وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ ﴿٢٣﴾ ﴿ قَالَ ٱهْبِطُوا۟ ﴾ أي آدم وحواء بما اشتملتما عليه من ذريتكما

أي ما ذكر من كونهما يلحقان بالملائكة ويكونان من الخالدين. قوله: ﴿فَدَلَّاهُما﴾ التدلي النزول من أعلى لأسفل. قوله: (حطهما عن منزلتهما) أي الحسنة، لأن غروره تسبب عنه نزولهما من الجنة إلى الأرض لا المعنوية، بل رتبتهما عند الله لم تنقص بل ازدادت. قوله: ﴿بِغُرُورٍ﴾ الباء سببية، والغرور تصوير الباطل بصورة الحق.

قوله: ﴿فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ﴾ من الذواق وهو تناول الشيء ليعرف طعمه، وفيه إشارة إلى أنهما لم يتناولا منها كثيراً، لأن شأن من ذاق الشيء أن يقتصر على ما قل منه. قوله: ﴿بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُما﴾ أي سقط عنهما لباسهما فبدت الخ. قوله: (ودبره) أي الآخر، وأما دبر نفسه فلا يظهر له، إلا إن التفت له وتعاناه. قوله: (يسوء صاحبه) أي يوقعه في السوء. قوله: ﴿وَطَفِقَا﴾ من باب طرب، أي شرعا وأخذا. قوله: ﴿يَخْصِفَانِ﴾ من خصف النعل خرزه والمراد يلزقان بعضه على بعض لأجل الستر. قوله: ﴿عَلَيْهِما﴾ أي القبل والدبر. قوله: ﴿مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ﴾ قيل ورق التين وقيل ورق الموز.

قوله: ﴿نَادَاهُما رَبُّهُما﴾ يحتمل على لسان ملك أو مباشرة. قوله: ﴿أَلَمْ أَنْهكُما﴾ إما تفسير للنداء فلا محل له من الاعراب، أو مقول لقول محذوف، والتقدير قائلاً: ﴿أَلَمْ أَنْهَكُمَا﴾ الخ، قوله: ﴿وَأَقُلْ لَكُما﴾ أي كما في آية طه: ﴿فقلنا يا آدم إن هذا عدو لك ولزوجك﴾ الآية. قوله: (بين العداوة) لكما حيث امتنع من السجود له، ورضي بالطرد والبعد. قوله: (استفهام للتقرير) أي وهو حمل المخاطب على الإقرار، والمعنى أقر بذلك على حد: ﴿ألم نشرح لك صدرك﴾.

قوله: ﴿قالاَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا﴾ هذا إخبار من الله عن آدم وحواء باعترافهما وندمهما على ما وقع منهما، وإنما عاتبهما الله على ذلك، وإن كان ليس بمعصية حقيقة، لأن حسنات الأبرار سيئات المقربين، وليس ذلك بقادح في عصمة آدم، لأن المستحيل على الأنبياء تعمد المخالفة، وأما الخطأ في الاجتهاد والنسيان الرحماني فهو جائز عليهم، ونظير ذلك ما وقع في قصة ذي اليدين، حيث سلم رسول الله من ركعتين، فقال له ذي اليدين: أقصرت الصلاة أم نسيت يا رسول الله؟ فقال: كل ذلك لم يكن، فقال: بل بعض ذلك قد كان الحديث، وقال رسول الله ﷺ: «لم أنس ولكن أنسي لأسن» وحكمة الأكل من الشجرة ما ترتب على ذلك من وجود الخلق وعمارة الدنيا، فأنساه الله لأجل حصول تلك الحكمة البالغة، فمن نسب التعمد والتجرؤ لآدم فقد كفر، كما أن من نفى عنه اسم العصيان فقد كفر لمصادمة آية: ﴿وعصى آدم ربه فغوى﴾ فالمخلص من ذلك أن يقال إن معصيته ليست كالمعاصي، وتقدم تحقيق هذا المقام في سورة البقرة فانظره.

قوله: ﴿وَإِنْ لَـم تَغْفِرْ لَنَا﴾ شرط حذف جوابه اكتفاء بجواب القسم. قوله: (بما اشتملتما عليه

﴿بَعۡضُكُمۡ﴾ بعض الذرية ﴿لِبَعۡضٍ عَدُوّٞ﴾ من ظلم بعضهم بعضاً ﴿وَلَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُسۡتَقَرّٞ﴾ مكان استقرار ﴿وَمَتَٰعٌ﴾ تمتع ﴿إِلَىٰ حِينٖ﴾ ﴿٢٤﴾ تنقضي فيه آجالكم ﴿قَالَ فِيهَا﴾ أي الأرض ﴿تَحۡيَوۡنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنۡهَا تُخۡرَجُونَ﴾ ﴿٢٥﴾ بالبعث بالبناء للفاعل والمفعول ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا﴾ أي خلقناه لكم ﴿يُوَٰرِي﴾ يستر ﴿سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ﴾ هو ما يتجمل به من الثياب ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ﴾ العمل الصالح والسمت الحسن بالنصب عطف على لباساً والرفع مبتدأ خبره جملة ﴿ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ دلائل قدرته ﴿لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ﴾ ﴿٢٦﴾ فيؤمنون فيه التفات

من ذريتكما) أي فهذا هو وجه الجمع في الآية، وقيل إن الجمع باعتبار آدم وحواء والحية وإبليس. ويكون قوله: ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ باق على ظاهره لأن إبليس والحية عدو لآدم وحواء. قوله: (مكان استقرار) أي وهو المكان الذي يعيش فيه الإنسان، والمكان الذي يدفن فيه. قوله: ﴿قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ﴾ أصله تحييون كترضيون، تحركت الياء الثانية وانفتح ما قبلها قلبت ألفاً، ثم حذفت لالتقاء الساكنين. قوله: (بالبناء للفاعل الخ) أي في ﴿تُخْرَجُونَ﴾ وأما ﴿تَحْيَوْنَ﴾ و ﴿تَمُوتُونَ﴾ فللفاعل لا غير.

قوله: ﴿يَا بَنِي آدَمَ﴾ لما قدم قصة آدم وحواء وما أنعم به عليهما، وفتنة الشيطان لهما خاطب أولاد آدم عموماً بتذكير نعمه عليهم وحذرهم من اتباع الشيطان لأنه عدو لأبيهم، والعداوة للآباء متصلة للأبناء. قوله: ﴿قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاساً﴾ أي أنزلنا أسبابه من السماء وهو المطر، فينشأ عنه النبات الذي يكون منه اللباس كالقطن والكتان، وتعيش به الحيوانات التي يكون منها الصوف والشعر والوبر والحرير. قوله: ﴿سَوْآتِكُمْ﴾ أي عوراتكم، أي فهو نعمة. قوله: ﴿وَرِيشاً﴾ معطوف على ﴿لِبَاساً﴾ وعبر عنه بالريش، لأن الريش زينة الطائر، كما أن اللباس زينة الآدميين، والمعنى أن الله تعالى منَّ على بني آدم بلباسين: لباساً يواري سوآتهم، ولباساً ريشاً أي زينة، ويصح أن يكون معطوفاً على: ﴿يُوَارِي﴾ فيكون وصف اللباس بشيئين: كونه يواري سوآتكم، وكونه زينة لكم، ويؤخذ من الآية أن لبس لباس الزينة غير مذموم، والمراد الزينة التي لم تخالف الشرع وهذا إن صح القصد بأن لم يقصد الفخر ولا العجب بها، كما أن التقشف في اللباس غير مذموم إن كان خالياً من الأغراض الفاسدة، بأن لم يقصد به دعوى الولاية أو إظهار الفقر لأجل أن يتصدق عليه، وبالجملة فالمدار على حسن القصد تجمل بالثياب أو تخشن فيها، وفي هذا المعنى قال بعضهم:

ليس التصوف لبس الصوف والخلق	بل التصوف حسن الصمت والخلق
فالبس من اللبس ما تختار أنت وقم	جنح الظلام وأجر الدمع في الغسق
قرب لابس الديباج مشغله	حب الذي خلق الإنسان من علق
وكم فتى لابس للخيش تحسبه	تاج وذلك عند العارفين شقي
فإن ذلك لم يحجبه ملبسه	وذا مع اللبس مأسور فلم يفق

قوله: ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَى﴾ أي الناشىء عنها أو الناشئة عنه. قوله: (العمل الصالح) أي المنجي من العذاب، لأن الإنسان يكسى من عمله يوم القيامة. قوله: (خبره جملة) ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ﴾ أي فاسم الإشارة مبتدأ ثان، وخير خبره، والجملة من المبتدأ الثاني، وخبره خبر الأول، واسم الإشارة عائد على قوله:

عن الخطاب ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ﴾ يضلكم ﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾ أي لا تتبعوه فتفتنوا ﴿كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم﴾ بفتنته ﴿مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ﴾ حال ﴿عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۚ إِنَّهُۥ﴾ أي الشيطان ﴿يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ﴾ جنوده ﴿مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ﴾ للطافة أجسادهم أو عدم ألوانهم ﴿إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ

﴿**وَلِبَاسُ التَّقْوَى**﴾ وإنما كان خيراً لأنه يستر من فضائح الآخرة، وفي الحديث: «إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، وإنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم» فإذا كان كذلك، فينبغي للإنسان أن يشتغل بتحسين ظاهره بالأعمال الصالحة، وباطنه بالإخلاص، فإنه محل نظر الله منه، ولذلك قال العارف البكري: إلهي زين ظاهري بامتثال ما أمرتني به ونهيتني عنه، وزين سري بالأسرار وعن الأغيار فصنه. قوله: ﴿**ذٰلِكَ مِنْ آيَاتِ آللهِ**﴾ اسم الإشارة عائد على اللباس المنزل بأقسامه. قوله: (**فيه التفات عن الخطاب**) أي وكان مقتضى الظاهر لعلكم تذكرون، ونكتته دفع الثقل في الكلام.

قوله: ﴿**يَا بَنِي آدَمَ**﴾ لما ذكرهم نعمة اللباس، نبههم على أن الشيطان حسود وعدو لهم، كما أنه عدو لأبيهم. قوله: ﴿**لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ**﴾ هو نهي له صورة، وفي الحقيقة نهي لبني آدم عن الاصغاء لفتنته واتباعه، فليس المراد النهي عن تسلطه، إذ لا قدرة لمخلوق على منع ذلك، لأنه قضاء مبرم، بل المراد النهي عن الميل اليه، وإلى ذلك أشار المفسر بقوله: (**أي لا تتبعوه فتفتنوا**). قوله: ﴿**كَما أَخْرَجَ**﴾ الكاف بمعنى مثل صفة لمصدر محذوف، وما مصدرية تسبك مع ما بعدها بمصدر، والتقدير فتنة مثل فتنة إخراج أبويكم، والجامع بينهما زوال النعم في كل. قوله: ﴿**أَبَوَيْكُمْ**﴾ أي آدم وحواء. قوله: (**بفتنته**) الباء سببية. قوله: (**حال**) أي من ﴿**أَبَوَيْكُمْ**﴾ أو من ضمير ﴿**أَخْرَجَ**﴾ وكل صحيح، فإن الجملة مشتملة على ضمير الأبوين وعلى ضمير الشيطان، وإسناد النزع اليه باعتبار كونه سبباً فيه، والنزع أخذ الشيء بسرعة وقوة، ومنه قوله تعالى: ﴿تنزع الناس كأنهم أعجاز نخل متقعر﴾، وفيه إشارة إلى أن من اتبع الشيطان، تزول نعمه بسرعة وقوة. وأتى بالمضارع حكاية للحال الماضية استحضاراً للصورة العجيبة.

قوله: ﴿**إِنَّهُ يَرَاكُمْ**﴾ تعليل للتحرز من الشيطان اللازم للنهي، كأنه قيل: فاحذروه لأنه يراكم الخ. قوله: ﴿**وَقَبِيلُهُ**﴾ معطوف على الضمير المتصل في ﴿**يَرَاكُمْ**﴾ واتى بالضمير المنفصل، وإن كان قد حصل الفصل بالكاف زيادة في الفصاحة، والقبيل اسم لما اجتمع من شتات الخلق، ولذلك فسره بالجنود، والقبيلة الجماعة من أب واحد. قوله: ﴿**مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ**﴾ ﴿**مِنْ**﴾ ابتدائية، و ﴿**حَيْثُ**﴾ ظرف مكان، التقدير إنه يراكم رؤية مبتدأة من مكان لا ترونهم فيه. قوله: (**للطافة أجسادهم**) فأجسامهم كالهواء، نعلمه ونتحققه ولا نراه للطافته وعدم تلونه، هذا وجه عدم رؤيتنا لهم. وأما وجه رؤيتهم لنا فكثافة أجسادنا وتلوننا، وأما رؤية بعضهم لبعض فحاصلة لقوة في أبصارهم. وهذا حيث كانوا بصورتهم الأصلية، وأما إذا تصوروا بغيرها فتراهم، لأن الله جعل لهم قدرة على التشكيل بالصورة الجميلة أو الخسيسة، وتحكم عليهم الصورة كما في الأحاديث الصحيحة. فالآية ليست على عمومها والفرق بينهم وبين الملائكة، أن الملائكة لا يتشكلون إلا في الصور الجميلة ولا تحكم عليهم بخلاف الجن وقد ورد أن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم، وجعلت صدر بني آدم مساكن لهم، إلا من عصمه الله، كما قال تعالى: ﴿والذي يوسوس في صدور الناس﴾ فهم يرون بني آدم، وبنو آدم لا يرونهم. قال

﴿أَوْلِيَآءَ﴾ أعواناً وقرناء ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿٢٧﴾ ﴿وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً﴾ كالشرك وطوافهم بالبيت عراة قائلين لا نطوف في ثياب عصينا الله فيها فنهوا عنها ﴿قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا﴾ فاقتدينا بهم ﴿وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ﴾ أيضاً ﴿قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ ﴿٢٨﴾ أنه قاله استفهام إنكار ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِٱلْقِسْطِ ۖ﴾ العدل ﴿وَأَقِيمُوا۟﴾ معطوف على معنى بالقسط أي قال أقسطوا وأقيموا أو قبله فاقبلوا مقدراً ﴿وُجُوهَكُمْ﴾ لله ﴿عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ أي أخلصوا له سجودكم ﴿وَٱدْعُوهُ﴾ اعبدوه ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۚ﴾ من الشرك ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ﴾ خلقكم ولم تكونوا شيئاً ﴿تَعُودُونَ﴾ ﴿٢٩﴾ أي يعيدكم أحياء يوم القيامة ﴿فَرِيقًا﴾ منكم ﴿هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ ۗ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي غيره ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾ ﴿٣٠﴾ ﴿يَٰ

مجاهد: قال إبليس جعل لنا أربع نرى ولا نرى، ونخرج من تحت الثرى، ويعود شيخنا شاباً. وقال مالك ابن دينار: إن عدواً يراك ولا تراه لشديد المجاهدة، إلا من عصمه الله.

قوله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ﴾ أي صيرناهم أعواناً لغير المؤمنين ومكناهم من إغوائهم. فتحرزوا منهم. قوله: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً﴾ هذه الآية نزلت في كفار مكة، كانوا يطوفون عراة رجالهم بالنهار، ونساؤهم بالليل، فكان أحدهم إذا قدم حاجاً أو معتمراً يقول: لا ينبغي أن أطوف في ثوب قد عصيت فيه ربي، فيقول من يعيرني إزاراً. فإن وجد وإلا طاف عرياناً، وإذا فرض وطاف في ثياب نفسه، ألقاها إذا قضى طوافه وحرمها على نفسه. قوله: ﴿قَالُوا وَجَدْنَا﴾ الخ أي محتجين بهذين الأمرين: تقليد الآباء، والافتراء على الله. قوله: ﴿قُلْ إِنَّ اللهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ﴾ أي رد لمقالتهم الثانية، وترك الأولى لوضوح فسادها.

قوله: ﴿أَتَقُولُونَ عَلَى اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ أي لأنكم لم تسمعوه مشافهة، ولم تأخذوه عن الأنبياء الذين هم وسائط بين الله وخلقه. قوله: (استفهام إنكاري) أي وتوبيخ وفيه معنى النهي. قوله: (معطوف على معنى بالقسط) دفع بذلك ما يقال إن قوله: ﴿أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ﴾ خبر. وقوله: ﴿وَأَقِيمُوا﴾ إنشاء ولا يصح عطف الانشاء على الخبر. فأجاب بجوابين: الأول أن أقيموا معطوف على المعنى، والتقدير قال أقسطوا وأقيموا. الثاني أن الكلام فيه حذف، والتقدير قل أمر ربي بالقسط فاقبلوا وأقيموا. قوله: (أي أخلصوا له سجودكم) أي صلاتكم، ففيه تسمية الكل باسم أشرف أجزائه، لأن أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد.

قوله: ﴿وَادْعُوهُ﴾ عطف عام. قوله: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ كلام مستأنف مسوق للرد على منكري البعث أي يعيدكم أحياء بالأرواح والأجساد بعينها. قوله: ﴿فَرِيقاً هَدَى﴾ فريقاً معمول لهدى، وفريقاً الثاني معمول لمقدر من قبيل الاشتغال موافق في المعنى، والتقدير وأضل فريقاً حق عليهم الضلالة، أي ثبت في الأزل ضلالهم. قوله: ﴿إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا﴾ علة لقوله: ﴿حَقَّ عَلَيْهِمُ﴾ قوله: ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ أي يظنون أنهم على هدى، والحال أنه ليسوا كذلك.

بَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ ﴾ أي ما يستر عورتكم ﴿ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ ﴾ عند الصلاة والطواف ﴿ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ ﴾ ما شئتم ﴿ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴾ ﴿٣١﴾ ﴿ قُلۡ ﴾ إنكاراً عليهم ﴿ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ ﴾ من اللباس ﴿ وَٱلطَّيِّبَٰتِ ﴾ المستلذات ﴿ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا ﴾ بالاستحقاق وإن شاركهم فيها غيرهم ﴿ خَالِصَةٗ ﴾ خاصة بهم بالرفع والنصب حال

قوله: ﴿يَا بَنِي آدَمَ﴾ الخ سبب نزولها كما قال ابن عباس: أن العرب كانوا يطوفون بالبيت عراة، الرجال بالنهار والنساء بالليل، يقولون لا نطوف في ثياب عصينا الله فيها، وكانوا لا يأكلون في أيام حجهم إلا قوتاً، ولا يأكلون لحماً ولا دسماً، يعظمون بذلك حجهم، فهم المسلمون أن يفعلوا كفعلهم. قوله: **(ما يستر عورتكم)** راعى في هذا المحل سبب النزول، وأصل الواجب وعموم اللفظ يفيد أن المطلوب في الصلاة والطواف ومشاهد الخير جميل الثياب كما هو المندوب شرعاً تأمل. قوله: ﴿عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ المسجد في الأصل موضع السجود، ثم أطلق وأريد منه نفس الصلاة والطواف، من باب تسمية الحال باسم المحل، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فالذي ينبغي للأمة التجمل بالثياب عند حضور مشاهد الخير مع القدرة.

قوله: ﴿وَكُلُوا وَآشْرَبُوا﴾ أي من الحلال فإنه رأس التقوى. قوله: ﴿وَلَا تُسْرِفُوا﴾ أي بأن تحرموا الحلال كما كانوا يفعلون من امتناعهم من اللحم والدسم، أو تحلوا الحرام أو تتجاوزوا الحد في الأكل والشرب، كالتعمق في ذلك أو الإكثار المضر، لما في الحديث: «ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه» لأن ما زاد على ثلث البطن لا يعود على الشخص إلا بالضرر، لما في الحديث: «أصل كل داء البردة وهي إدخال الطعام على الطعام» فالمناسب أن لا يأكل حتى يجوع، وأن يقوم ونفسه تشتهي، فإن ملك النفس عن الإسراف في المباح، أكبر دليل على ملكها عن الحرام. قوله: ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ أي يعاقبهم على ذلك ولا يرضى فعلهم. قوله: **(إنكاراً عليهم)** أي وتوبيخاً لهم، وحيث كان إنكارياً فلا جواب له.

قوله: ﴿الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ﴾ أي التي خلقها لهم من النبات، كالقطن والكتان. ومن الحيوان كالحرير والصوف. ومن المعادن، كالدروع، وكلها جائزة للرجال والنساء، ما عدا الحرير الخالص للرجال فإنه يحرم عليهم إجماعاً، وأما ما اختلط بالحرير وغيره ففي خلاف بين العلماء بالكراهة والحرمة والجواز، والمعتمد عدم الحرمة. قوله: ﴿قُلْ هِيَ﴾ أي الزينة من الثياب والطيبات من الرزق. قوله: **(بالاستحقاق)** أي الأصلي، وأما مشاركة غيرهم لهم فهو بطريق التبع، وهذا جواب عما يقال: إن المشاهد أن الكافر يستمتع بالزينة والمستلذات أكثر من المسلم، فكيف يقال إنها: ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا﴾ فأجاب بما ذكر، ويؤيد هذا المعنى قوله تعالى: ﴿وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلداً آمناً وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر قال ومن كفر فأمتعه قليلاً﴾ الآية، ولذا لا يعاقبون عليها، لأن الله خلقها لهم بطريق الأصالة ليستعينوا بها على طاعاته، ولذا إذا عدمت المؤمنون في آخر الزمان تقوم القيامة، إذ لم يبق مستحق للنعم. قوله: **(خاصة بهم)** أي لا يشاركهم فيها غيرهم. قوله: **(بالرفع)** أي خبر ثان. قوله: **(والنصب حال)** أي من الضمير في الخبر في المحذوف، والتقدير هي كائنة: ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا﴾ حال كونها خالصة لهم يوم القيامة، وإنما كانت خالصة للمؤمنين يوم القيامة، لأن

﴿يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ﴾ نبينها مثل ذلك التفصيل ﴿لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾ ﴿٣٢﴾ يتدبرون فإنهم المنتفعون بها ﴿قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ﴾ الكبائر كالزنا ﴿مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ﴾ أي جهرها وسرها ﴿وَٱلۡإِثۡمَ﴾ المعصية ﴿وَٱلۡبَغۡيَ﴾ على الناس ﴿بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ﴾ هو الظلم ﴿وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ﴾ بإشراكه ﴿سُلۡطَٰنٗا﴾ حجة ﴿وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ ﴿٣٣﴾ من تحريم ما لم يحرم وغيره ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٞۖ﴾ مدة ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ لَا يَسۡتَأۡخِرُونَ﴾ عنه ﴿سَاعَةٗ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ﴾ ﴿٣٤﴾ عليه ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا﴾ فيه إدغام نون إن الشرطية في ما المزيدة ﴿يَأۡتِيَنَّكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي فَمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ الشرك ﴿وَأَصۡلَحَ﴾ عمله ﴿فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ

رحمة الله تنفرد بالمؤمنين، وغضبه ينفرد بالكافرين، قال تعالى: ﴿وامتازوا اليوم أيها المجرمون﴾. قوله: **﴿كَذٰلِكَ نُفَصِّلُ الآياتِ﴾** أي نبينها ونوضحها في غير هذا الموضع، مثل ذلك التفصيل والتوضيح في هذا الموضع. قوله: **﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾** أي إنه مستحق للعبادة. قوله: **(فإنهم المنتفعون بها)** أي وغيرهم لا يعبأ به ولا يخاطب. قوله: **(كالزنا)** أي والقتل وسلب الأموال وسائر أنواع الفسق بالجارحة. قوله: **(أي جهرها وسرها)** المراد بالجهر المعاصي الظاهرية، كالقتل وشرب الخمر، وسر المعاصي الباطنية القلبية، كالعجب والكبر والرياء. قوله: **﴿وَالإِثْمَ﴾** عطف عام على خاص، وما بعده عطف خاص على عام لمزيد الاعتناء بشأنه. قوله: **(هو الظلم)** أي للناس، إما بالقتل، أو سلب الأموال، أو التكلم في أعراضهم أو غير ذلك، وقوله: **﴿بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾** إيضاح لمعنى: **﴿الْبَغْيَ﴾** فهو صفة كاشفة. قوله: **﴿مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً﴾** ما نكرة بمعنى شيء، أي شيئاً سواه تعالى. قوله: **(حجة)** أي دليلاً، لأن دليل الوحدانية لله أبطل الشرك لغيره. قوله: **(وغيره)** أي كتحليل الحرام، ويدخل في ذلك المفتي بالكذب. قوله: **﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾** أي لكل فرد من أفراد الأمة. قوله: **(مدة)** أي وقت معين. قوله: **﴿سَاعَةً﴾** أي شيئاً قليلاً من الزمن، فالمراد بالساعة الساعة الزمانية، وقوله: **﴿لَا يَسْتَأْخِرونَ﴾** جواب إذا، وقوله: **﴿وَلَا يَسْتَقْدِمونَ﴾** مستأنف أو معطوف على الجملة الشرطية، ولا يصح عطفه على قوله: **﴿لَا يَسْتَأْخِرونَ﴾** لأن المعطوف على الجواب جواب، وجواب إذا يشترط أن يكون مستقبلاً، والاستقدام بالنسبة لمجيء الأجل ماض، فلا يصح ترتبه على الشرط.

قوله: **﴿يَا بَنِي آدَمَ﴾** هذا خطاب عام لكل من لآدم عليه ولادة من أول الزمان لآخره، ولكن المقصود من كان في زمنه ﷺ، وفي هذه الآية دليل على عموم رسالته، لأن الله خاطب من أجله عموم بني آدم. قوله: **(في ما المزيدة)** أي للتأكيد. قوله: **﴿يَأْتِيَنَّكُمْ﴾** فعل الشرط مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة في محل جزم، وجملة: **﴿فَمَنِ اتَّقَى﴾** إلى **﴿خَالِدُونَ﴾** جواب الشرط، والرابط محذوف تقديره فمن اتقى منكم، ومن يحتمل أن تكون شرطية، واتقى فعل الشرط، وجملة: **﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾** جوابه، ويحتمل أنها موصولة، واتقى صلتها، وجملة: **﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾** خبرها، وقرن بالفاء لما في المبتدأ من معنى العموم. قوله: **﴿مِنْكُمْ﴾** أي من جنسكم يا بني آدم، وإنما كان من جنسهم، لأنه أقطع لعذرهم وحجتهم. قوله: **﴿يَقُصُّونَ﴾** أي يقرؤون ويتلون. قوله: **﴿آيَاتِي﴾** أي القرآنية وغيرها. قوله: **﴿فَمَنِ اتَّقَى﴾** **(الشرك)** أشار بذلك إلى أن المراد بالتقوى هنا التقوى العامة، وهي اتقاء الشرك

يَحْزَنُونَ ﴾ ﴿٣٥﴾ ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا﴾ تكبروا ﴿عَنْهَا﴾ فلم يؤمنوا بها ﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ ﴿٣٦﴾ ﴿ فَمَنْ ﴾ أي لا أحد ﴿ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴾ بنسبة الشريك والولد إليه ﴿ أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ﴾ القرآن ﴿ أُولَٰئِكَ يَنَالُهُمْ ﴾ يصيبهم ﴿ نَصِيبُهُم ﴾ حظهم ﴿ مِّنَ الْكِتَابِ ﴾ مما كتب لهم في اللوح المحفوظ من الرزق والأجل وغير ذلك ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا ﴾ أي الملائكة ﴿ يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا ﴾ لهم تبكيتاً ﴿ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ ﴾ تعبدون ﴿ مِن دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا ﴾ غابوا ﴿ عَنَّا ﴾ فلم نرهم ﴿ وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ ﴾ عند الموت ﴿ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴾ ﴿٣٧﴾ ﴿ قَالَ ﴾ تعالى لهم يوم القيامة ﴿ ادْخُلُوا فِي ﴾ جملة ﴿ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ

بالإيمان لقرينة. قوله: ﴿وَأَصْلَحَ﴾ وأعلى منها تقوى الخواص، وهي ترك المعاصي، وأعلى منها ترك الأغيار، وهي كل مشغل عن الله، ولهذه المرتبة أشار العارف بقوله:

ولو خطرت لي في سواك إرادة   على خاطري يوماً حكمت بردتي

قوله: ﴿وَأَصْلَحَ﴾ (عمله) أي بأن ترك المعاصي أو كل مشغل عن الله فهو صادق بتقوى الخواص وخواص الخواص. قوله: (في الآخرة) أي وأما في الدنيا فلا يفارقهم الخوف ولا الحزن، لتذكرهم الموت وأحوال الآخرة، ولو جاءتهم البشرى من الله، فالحزن دأب الصالحين في الدنيا لزيادة درجاتهم. قوله: (فلم يؤمنوا بها) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف، أي (تكبروا) عن الإيمان بها. قوله: (أي لا أحد) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري بمعنى النفي. قوله: (بنسبة الشريك) الباء سببية، والمعنى لا أحد أظلم ممن افترى على الله كذباً، بسبب نسبة الشريك لله، ككفار مكة حيث أشركوا مع الله الأصنام، والنصارى واليهود حيث نسبوا له الولد. قوله: ﴿أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾ وإن لم ينسب الشريك له، لأنه لا يلزم من التكذيب بالآيات نسبة الشريك له، وأما نسبة الشريك فيلزم معها التكذيب بالآيات.

قوله: ﴿أُولَٰئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ﴾ أي في الدنيا. قوله: ﴿مِنَ الْكِتَابِ﴾ من ابتدائية متعلقة بمحذوف حال من نصيبهم، وقوله: (مما كتب لهم) بيان للنصيب. قوله: (من الرزق) أي على حسبه من سعة وضيق، وكونه من حلال أو حرام، وقوله: (والأجل) أي من قصر أو من طول، وقوله: (وغير ذلك) أي كالعمل، وكما أن ذلك مكتوب في اللوح المحفوظ، مكتوب في صحف الملائكة وهو في بطن أمه، فتحصل أن ما قسم له في الحياة الدنيا لا يغيره كفر ولا إسلام. قوله: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ﴾ حتى إما ابتدائية أو جارة. قوله: (الملائكة) قيل إنهم عزرائيل وأعوانه، لقبض أروحهم، وقيل إنهم ملائكة العذاب، وتقدم أنهم سبع موكلون بأخذ روح الكافر بعد قبضها للعذاب. قوله: (تبكيتاً) أي توبيخاً وتقريعاً. قوله: ﴿مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ﴾ أي الآلهة التي كنتم تعبدونها في الدنيا فتمنعكم الآن من العذاب. قوله: (فلم نرهم) أي مع شدة احتياجنا إليهم في هذا الوقت. قوله: ﴿وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾ كلام مستأنف إخبار من الله بإقرارهم على أنفسهم بالكفر، ولا تعارض بين هذا وبين قوله: ﴿والله ربنا ما كنا مشركين﴾ لأن مواقف القيامة مختلفة.

قوله: ﴿قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ﴾ أي لهؤلاء الذين افتروا على الله الكذب وكذبوا بآياته. قوله: ﴿فِي أُمَمٍ﴾ في بمعنى مع، أي ادخلوا مصاحبين لأمم، وهو حال من فاعل ادخلوا، وتسمى حالاً منتظرة،

﴿ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِي ٱلنَّارِ﴾ متعلق بادخلوا ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ﴾ النار ﴿لَّعَنَتْ أُخْتَهَا﴾ التي قبلها لضلالها بها ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ﴾ تلاحقوا ﴿فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ﴾ وهم الاتباع ﴿لِأُولَىٰهُمْ﴾ أي لأجلهم وهم المتبوعون ﴿رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا﴾ مضعفاً ﴿مِّنَ ٱلنَّارِ قَالَ﴾ تعالى ﴿لِكُلٍّ﴾ منكم ومنهم ﴿ضِعْفٌ﴾ عذاب مضعف ﴿وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ۝٣٨﴾ بالياء والتاء ـ ما لكل فريق ﴿وَقَالَتْ أُولَىٰهُمْ لِأُخْرَىٰهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ﴾ لأنكم لم تكفروا بسببنا فنحن وأنتم سواء، قال تعالى لهم ﴿فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ۝٣٩﴾ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُواْ﴾ تكبروا ﴿عَنْهَا﴾ فلم يؤمنوا بها ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ﴾ إذا عرج بأرواحهم إليها بعد الموت فيهبط بها إلى سجين بخلاف المؤمن فتفتح له ويصعد بروحه إلى السماء السابعة كما ورد

لأنهم عند الدخول لم يكونوا مصاحبين للأمم، وقوله: ﴿قَدْ خَلَتْ﴾ صفة أولى لأمم، وقوله: ﴿مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ صفة ثانية، وقوله: ﴿مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ﴾ صفة ثالثة، وقوله: ﴿فِي النَّارِ﴾ في للظرفية فاندفع ما يقال يلزم عليه تعلق حرفي جر متحدي اللفظ، والمعنى بعامل واحد. قوله: ﴿قَدْ خَلَتْ﴾ أي سبقت ومضت. قوله: ﴿فِي النَّارِ﴾ المراد بها دار العقاب بجميع طباقها.

قوله: ﴿لَعَنَتْ أُخْتَهَا﴾ أي في الدين. قوله: (التي قبلها) أي في التلبس بذلك الدين، فالنصارى تلعن النصارى، واليهود تلعن اليهود، والمجوس تلعن المجوس، وهكذا كل من اقتدى بغيره في دين باطل. قوله: ﴿ادَّارَكُوا﴾ أصله تداركوا، قلبت التاء دالاً وأدغمت في الدال، وأتى بهمزة الوصل توصلاً للنطق بالساكن. قوله: ﴿أُخْرَاهُمْ﴾ أي المتأخرون عنهم في الزمن، فأخرى تأنيث آخر مقابل أول، لا تأنيث آخر الذي بمعنى غير. قوله: (وهم الأتباع) أي كانوا في زمنهم أو تأخروا بعدهم. قوله: (أي لأجلهم) أشار بذلك إلى أن اللام في: ﴿لِأُولَاهُمْ﴾ للتعليل وليست للتبليغ، لأن الخطاب مع الله لا معهم. قوله: (وهم المتبوعون) أي الرؤساء. قوله: ﴿ضِعْفاً﴾ ضعف الشيء في الأصل أقل ما يتحقق فيه مثل ذلك الشيء، والمراد هنا الزيادة إلى غير نهاية بدليل قول المفسر مضعفاً.

قوله: ﴿لِكُلٍّ ضِعْفٌ﴾ أما المتقدمون فلضلالهم وإضلالهم، وأما المتأخرون فلكفرهم وتقليدهم. قوله: (بالياء والتاء) أي فهما قراءتان سبعيتان، فعلى التاء يكون خطاباً للأخرى، أو للأحياء الذين في الدنيا، وعلى الياء يكون إخباراً عن المتقدمين والمتأخرين. قوله: (ما لكل فريق) أشار بذلك إلى أن مفعول: ﴿يَعْلَمُونَ﴾ محذوف. قوله: ﴿لِأُخْرَاهُمْ﴾ اللام هنا للتبليغ، لأن الخطاب معهم. قوله: (لأنكم لم تكفروا بسببنا) أي بل كفرتم اختياراً، لا انا حملناكم على الكفر وأكرهناكم عليه، لأنه لا يمكن الجبر على الكفر لتعلقه بالقلب. قوله: (قال تعالى لهم) هذه إحدى طريقتين، والأخرى أنه من كلام الرؤساء للأتباع. قوله: ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ أي بسبب كسبكم من الكفر والمخالفة.

قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ أي وماتوا على ذلك. قوله: (فلم يؤمنوا بها) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف، والتقدير تكبروا عن الإيمان بها. قوله: ﴿لَا تُفَتَّحُ﴾ بالبناء للمفعول إما بالتاء أو الياء مع التخفيف أو التشديد وكلها سبعية. قوله: (إذا عرج بأرواحهم) ومثلها دعاؤهم وأعمالهم. قوله: (إلى سجين) وهو واد في جهنم أسفل الأرض السابعة، تسجن به أرواح الكفار، وقيل: هو كتاب

في حديث ﴿ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ﴾ يدخل ﴿ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ﴾ ثقب الإبرة وهو غير ممكن فكذا دخولهم ﴿ وَكَذَٰلِكَ ﴾ الجزاء ﴿ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ ﴿٤٠﴾ بالكفر ﴿ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ ﴾ فراش ﴿ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ﴾ أغطية من النار جمع غاشية وتنوينه عوض من الياء المحذوفة ﴿ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ ﴿٤١﴾ ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ مبتدأ وقوله ﴿ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا

جامع لأعمال الشياطين والكفرة، وأما عليون فقيل: هو كتاب جامع لأعمال الخير من الملائكة ومؤمني الثقلين، وقيل: هو مكان في الجنة في السماء السابعة تحت العرش. قوله: **(ويصعد بروحه إلى السماء السابعة)** أي وترى مقعدها في الجنة وترجع مسرورة، فعند ذلك يرى البشر والنور على جسمها. قوله: **(كما ورد في الحديث)** أي وهو كما قال رسول الله ﷺ في قبض روح الكافر، ويخرج معها ريح كأنتن جيفة وجدت على وجه الأرض، فيصعدون بها فلا يمرون على ملأ الملائكة إلا قالوا: ما هذه الروح الخبيثة؟ فيقولون: فلان بن فلان بأقبح أسمائه التي يسمى بها في الدنيا، فيستفتحون فلا يفتح لهم، ثم قرأ رسول الله ﷺ لا: ﴿**تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّماء**﴾.

قوله: ﴿**وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ**﴾ أي بعد الموت. قوله: ﴿**حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ**﴾ الولوج الدخول بشدة، والجمل: الذكر من الإبل، وخص بذلك لأنه أعظم جسم عند العرب، فجسم الجمل من أعظم الأجسام، وثقب الإبرة من أضيق المنافذ، وهو تعليق جائز على مستحيل، والمعلق على المستحيل مستحيل، فاستفيد من ذلك أن دخول الكفار الجنة مستحيل. قوله: ﴿**فِي سَمِّ الْخِيَاطِ**﴾ السم مثلث السين، لكن القراء السبعة على الفتح، وقرىء شذوذاً بالضم والكسر وجمعه سمام، وأما ما يقتل فهو مثلث أيضاً، إلا أن جمعه سموم، والخياط هو الآلة التي يخاط بها، ويقال لها مخيط أيضاً. قوله: ﴿**وَكَذٰلِكَ**﴾ **(الجزاء)** أي المتقدم، وهو عدم فتح أبواب السماء لهم، وعدم دخول الجنة. قوله: ﴿**نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ**﴾ أي كما جزينا هؤلاء، نجزي كل من اتصف بالإجرام من مبدأ الزمان إلى منتهاه.

قوله: ﴿**لَهُمْ**﴾ أي للذين كذبوا واستكبروا. قوله: ﴿**مِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ**﴾ الجار والمجرور خبر مقدم، وغواش مبتدأ مؤخر مرفوع بضمة مقدرة على الياء المحذوفة لالتقاء الساكنين، منع من ظهورها الثقل، والمعنى أن النار محيطة بهم من كل جانب، وقد ورد أن سقف النار من نحاس، وأرضها من رصاص، وحيطانها من كبريت، ووقودها الناس والحجارة. قوله: **(وتنوينه عوض من الياء المحذوفة)** هذا بناء على الصحيح من أن الإعلال مقدم على منع الصرف، فأصله غواش بالتنوين، استثقلت الضمة على الياء فحذفت، فاجتمع ساكنان الياء والتنوين فحذفت لالتقائهما، ثم لوحظ أن الكلمة ممنوعة من الصرف، فحذف تنوين الصرف فخيف من رجوع الياء، فأتى بالتنوين عوضاً عنها، وأما تصريفها على أن منع الصرف مقدم على الإعلال، فأصلها غواشي بترك التنوين، استثقلت الضمة على الياء فحذفت ثم أتى بالتنوين عوضاً عن الحركة التي هي الكلمة فالتقى ساكنان الياء والتنوين حذفت لالتقائهما. قوله: ﴿**وَكَذٰلِكَ**﴾ أي مثل الجزاء المتقدم. قوله: ﴿**نَجْزِي الظَّالِمِينَ**﴾ عبر عنهم أولاً بالمجرمين، وهنا بالظالمين، إشارة إلى أنهم اتصفوا بالأمرين معاً.

قوله: ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُوا**﴾ لما ذكر وكيد الكافرين، أتبعه بذكر وعد المؤمنين على حكم عادته سبحانه

إِلَّا وُسْعَهَآ ﴾ طاقتها من العمل اعتراض بينه وبين خبره وهو ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ ﴿٤٢﴾ ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ ﴾ حقد كان بينهم في الدنيا ﴿ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ ﴾ تحت قصورهم ﴿ ٱلْأَنْهَٰرُۖ وَقَالُواْ ﴾ عند الاستقرار في منازلهم ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا ﴾ العمل الذي هذا جزاؤه ﴿ وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُۖ ﴾ حذف جواب لولا لدلالة ما قبله عليه ﴿ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّۖ وَنُودُوٓاْ أَن ﴾ مخففة أي إنه أو مفسرة في المواضع الخمسة ﴿ تِلْكُمُ

في كتابه، والاسم موصول مبتدأ، و ﴿آمَنُوا﴾ صلته ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ معطوف عليه، وقوله: ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا﴾ اعتراض بين المبتدأ والخبر وهو قوله: ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ ٱلْجَنَّةِ﴾ وهذا ما مشى عليه المفسر تبعاً لأكثر علماء المعاني، وقال بعضهم: ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا﴾ خبر، والرابط محذوف، أي لا نكلف منهم. قوله: ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا﴾ أي ما يسعها من الأعمال، وما يسهل عليها ودخل في طوقها وقدرتها، وكل هذا تفضل منه سبحانه وتعالى. قوله: (اعتراض) وحكمته تبكيت الكفار وتنبيههم على أن الجنة مع عظم قدرها، يتوصل إليها بالعمل السهل من غير كلفة ولا مشقة. إن قلت ورد أن الجنة حفت بالمكاره، فكيف تقولون إن الجنة يتوصل إليها بالعمل السهل؟ أجيب بأن المراد بالمكاره مخالفة شهوات النفس، وهي في طاقة العبد، فالمراد بالعمل السهل ما كان في طاقة العبد كان فعلاً أو تركاً.

قوله: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ﴾ أي خلقناكم في الجنة مطهرين منه، لا أنهم دخلوا الجنة به ثم نزع، وحكمه نزع الغل من صدور أهل الجنة، أن كل أحد منهم أعطي فوق أمانيه أضعافاً مضاعفة. قوله: (حقد كان بينهم في الدنيا) الحقد هو ضيق الصدر من الغير، وهو رأس الحسد، وهو معصية قلبية تجب التوبة منه، ومجاهدة النفس لتخلص منه، ومن هنا افترق كبار الصالحين من صغارهم. واعلم أن الناس ثلاثة أقسام: قسم خلصت قلوبهم من الأمراض الباطنية، فهم في الدنيا كأهل الجنة في الجنة، يحبون للناس ما يحبونه لأنفسهم، وهم الأنبياء ومن كان على قدمهم، وقسم لم تخلص قلوبهم، غير أنهم لم يرضوا لأنفسهم بذلك، ويلومون أنفسهم على ما في قلوبهم، وهؤلاء المجاهدون لأنفسهم، ولا يؤاخذون بذلك حينئذ، وقسم لم تخلص قلوبهم، وهم راضون لأنفسهم بذلك، وهؤلاء فساق يجب عليهم مجاهدة نفوسهم في تخليصهم من تلك الآفات. قوله: (تحت قصورهم) أي بجانب جدارها، وليس المراد أنها تجري من تحت الجدار.

قوله: ﴿الَّذِي هَدَانَا﴾ أي أرشدنا ووفقنا. قوله: (العمل الذي هذا جزاؤه) كذا في نسخة، وفي نسخة أخرى لعمل هذا جزاؤه، وفي أخرى لهذا العمل هذا جزاؤه. قوله: ﴿وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ﴾ بالواو ودونها قراءتان سبعيتان، والجملة إما مستأنفة أو حالية على كل. قوله: (لدلالة ما قبله عليه) أي وهو قوله: ﴿وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ﴾ والتقدير ولولا هداية الله لنا موجودة ما اهتدينا.

قوله: ﴿لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾ هذا إقسام من أهل الجنة شكراً لنعم الله وتحدثا بها، والمعنى أن ما أخبرونا به في الدنيا من الثواب حق وصدق لمشاهدتنا له عياناً. قوله: ﴿وَنُودُوا﴾ يحتمل أن المنادي هو الله ويحتمل أنه الملائكة. قوله: (مخففة) أي واسمها ضمير الشأن، وخبرها الجملة بعدها. قوله: (أو مفسرة) أي لأنه تقدمها جملة فيها معنى القول دون حروفه، وهو قوله: ﴿وَنُودُوا﴾. قوله: (في

﴿ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾ ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ﴾ تقريراً وتبكيتاً ﴿أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا﴾ من الثواب ﴿حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ﴾ كم ﴿رَبُّكُمْ﴾ من العذاب ﴿حَقًّا قَالُوا۟ نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ﴾ نادى مناد ﴿بَيْنَهُمْ﴾ بين الفريقين أسمعهم ﴿أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ ﴿ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ﴾ الناس ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ دينه ﴿وَيَبْغُونَهَا﴾ أي يطلبون السبيل ﴿عِوَجًا﴾ معوجة ﴿وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ كَٰفِرُونَ ﴿٤٥﴾﴾ ﴿وَبَيْنَهُمَا﴾ أي أصحاب الجنة والنار ﴿حِجَابٌ﴾ حاجز قيل هو سور الأعراف ﴿وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ﴾ وهو سور الجنة ﴿رِجَالٌ﴾ استوت حسناتهم وسيئاتهم كما في الحديث ﴿يَعْرِفُونَ كُلًّۢا﴾ من أهل الجنة والنار ﴿بِسِيمَىٰهُمْ﴾ بعلامتهم

المواضع الخمسة) أي من هنا إلى قوله: ﴿**أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَاءِ**﴾. قوله: ﴿**تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ**﴾ اسم الإشارة مبتدأ، والجنة خبر، وقوله: ﴿**أُورِثْتُمُوهَا**﴾ حال من الجنة، أو الجنة نعت لاسم الإشارة وأورثتموها خبره، وأتى باسم الإشارة البعيدة إشارة لعظم رتبتها ومكانتها على حد ذلك الكتاب.

قوله: ﴿**أُورِثْتُمُوهَا**﴾ أي من الكفار، لأن الله خلق في الجنة منازل للكفار بتقدير إيمانهم، فمن لم يؤمن منهم جعل منزلة لأهل الجنة فكل واحد من أهل الجنة يأخذ منازل تسعمائة وتسعة وتسعين من أهل النار تضم لمنزله، فيجتمع له ألف منزل، فلما كان الغالب منها ميراثاً أطلق على جميعها اسم الميراث، وحكمة إطلاق اسم الارث عليها، أن الكفار سماهم الله أمواتاً بقوله: ﴿أموات غير أحياء﴾ المؤمنين أحياء، ومن المعلوم أن الحي يرث الميت.

قوله: ﴿**بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾ الباء سببية، وما مصدرية، أي بسبب عملكم. إن قلت ورد في الحديث أن رسول الله ﷺ قال: «لن يدخل الجنة أحد بعمله، قيل ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله برحمته». أجيب بأن الآية محمولة على العمل المصحوب بالفضل، والحديث محمول على العمل المجرد عنه. قوله: ﴿**وَنَادَىٰ أَصْحَابُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَابَ ٱلنَّارِ**﴾ إن قلت: إذا كانت الجنة في السماء والنار في الأرض، فكيف يسمعون النداء؟ أجيب: بأن القيامة خارقة للعادة، فلا مانع من وصول النداء لهم، وهذا النداء من كل فرد من أفرد أهل الجنة، لكل فرد من أفراد أهل النار، لأن مقابلة الجمع بالجمع تقتضي القسمة على الآحاد. قوله: ﴿**مَا وَعَدَكُمْ رَبُّكُمْ حَقًّا**﴾ تسميته وعداً مشاكلة، وإلا فالاخبار بالشر إيعاد لا وعد، وقدر المفسر الكاف إشارة إلى أن مفعول وعد محذوف، وقوله: **(من العقاب)** بيان لما. قوله: **(نادى مناد)** قيل هو إسرافيل، وقيل غيره من الملائكة. قوله: **(أسمعهم)** تفسير لقوله: ﴿**بَيْنَهُمْ**﴾.

قوله: ﴿**ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ**﴾ نعت للظالمين. قوله: **(معوجة)** أي مائلة عن الحق، والمعنى أنهم يغيرون دين الله وطريقته التي شرع لعباده. قوله: **(حاجز)** أي يمنع وصول كل منهما للآخر. قوله: **(استوت حسناتهم وسيئاتهم)** هذا قول من ثلاثة عشر قولاً، وقيل: أولاد المشركين الذين ماتوا صغاراً، وقيل: أناس خرجوا للغزو في سبيل الله من غير إذن آبائهم ثم قتلوا، وقيل: ناس بروا آباءهم دون أمهاتهم وبالعكس، وقيل إنهم عدول القيامة يشهدون على الناس بأعمالهم وهم في كل أمة. قوله: **(كما في الحديث)** أي وهو أن الله يحاسب الناس يوم القيامة، فمن كانت حسناته أكثر بواحدة دخل الجنة، ومن

وهي بياض الوجوه للمؤمنين وسوادها للكافرين لرؤيتهم لهم إذ موضعهم عال ﴿ وَنَادَوْاْ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ﴾ قال تعالى ﴿ لَمْ يَدْخُلُوهَا ﴾ أي أصحاب الأعراف الجنة ﴿ وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴾ ﴿٤٦﴾ في دخولها قال الحسن لم يطمعهم إلا لكرامة يريدها بهم، وروى الحاكم عن حذيفة قال بينما هم كذلك إذ طلع عليهم ربك فقال قوموا ادخلوا الجنة فقد غفرت لكم ﴿ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَٰرُهُمْ ﴾ أي أصحاب الأعراف ﴿ تِلْقَآءَ ﴾ جهة ﴿ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُواْ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا ﴾ في النار ﴿ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ ﴿٤٧﴾ ﴿ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا ﴾ من أصحاب النار ﴿ يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَٰهُمْ قَالُواْ مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ ﴾ من النار ﴿ جَمْعُكُمْ ﴾ المال أو كثرتكم ﴿ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾ ﴿٤٨﴾ أي واستكباركم عن الإيمان ويقولون لهم مشيرين إلى ضعفاء المسلمين ﴿ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا

كانت سيئاته أكثر بواحدة دخل النار، ومن استوت حسناته وسيئاته كان من أصحاب الأعراف، فوقفوا على الأعراف، فإذا نظروا إلى أهل الجنة نادوهم: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ سلام عليكم، وإذا نظروا إلى أهل النار قالوا: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّالِمِينَ﴾ فهناك يقول الله تعالى: ﴿لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾ فكأن الطمع دخولاً.

قوله: ﴿وَنَادَوا﴾ أي أصحاب الأعراف. قوله: **(قال تعالى)** أشار بذلك إلى أن الوقف على قوله: ﴿عَلَيْكُمْ﴾ وقوله: ﴿لَمْ يَدْخُلُوهَا﴾ كلام مستأنف جواب عن سؤال مقدر، كأن قائلاً قال: وما صنع بأهل الأعراف؟ فأجيب بأنهم لم يدخلوها. قوله: **(إذ طلع عليهم ربك)** أي أزال عنهم الحجب حتى رأوه وسمعوا كلامه. قوله: **(فقال قوموا ادخلوا الجنة)** أي فينطلق بهم إلى نهر الحياة، حافتاه قضب الذهب مكلل باللؤلؤ، ترابه المسك فيلفوا فيه، فتصلح ألوانهم وتبدو في نحورهم شامة بيضاء يعرفون بها، يسمون مساكين أهل الجنة.

قوله: ﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ﴾ عبر بالصرف دون النظر، إشارة إلى أن نظرهم إلى أهل النار غير مقصود، لأن رؤية العذاب وأهله تسيء للناظرين، بخلاف النظر للنعيم وأهله، ففيه مسرة للناظرين، فلذا لم يعبر في جانبه بالصرف بل قيل: ﴿وَنَادَوا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾. قوله: ﴿تِلْقَاءَ﴾ بالمد والقصر قراءتان سبعيتان، وهي ظرف مكان بمعنى جهة، ويستعمل مصدراً كالتبيان، ولم يجيء من المصادر على التفعال بالكسر غير التلقاء والتبيان والزلزال، وبعضهم ألحق التكرار بذلك. قوله: **(في النار)** أي لا ابتداء مع العصاة، ولا دواماً مع الكفار. قوله: ﴿رِجَالاً﴾ أي كانوا عظماء في الدنيا، كأبي جهل، والوليد ابن المغيرة، وعقبة بن أبي معيط، وأضرابهم. قوله: ﴿بِسِيمَاهُمْ﴾ أي علامتهم، وتقدم أنها سواد الوجه للكفار.

قوله: ﴿مَا أَغْنَى عَنْكُمْ﴾ يحتمل أن ما استفهامية، أي: أي شيء أغنى عنكم جمعكم، ويحتمل أنها نافية، أي لم يغن عنكم جمعكم ولا استكباركم شيئاً من عذاب الله. قوله: **(المال)** أشار بذلك إلى أن جمع مصدر مضاف لفاعله، ومفعوله محذوف قدره بقوله المال، وقوله: **(أو كثرتكم)** إشارة لتفسير ثان لجمعكم، فيكون معناه جماعتكم. قوله: **(أي واستكباركم)** سبك المصدر بما بعد كان جرياً على قول من

يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍ﴾ قد قيل لهم ﴿ٱدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ ﴿٤٩﴾ وقرىء أدخلوا بالبناء للمفعول ودخلوا فجملة النفي حال أي مقولاً لهم ذلك ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَـٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُواْ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾ من الطعام ﴿قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا﴾ منعهما ﴿عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ ﴿٥٠﴾ ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ﴾

يقول إن كان تجردت عن معنى الحديث وصارت لمجرد الربط، ولو مشى على مقابلة المشهور لقال وكونكم مستكبرين، وإنما حمل المفسر على ذلك الاختصار. قوله: **(مشيرين)** أي أهل الأعراف. قوله: **(إلى ضعفاء المسلمين)** أي الذين كانوا يعذبون في الدنيا، وكان المشركون يسخرون بهم، كصبيب وبلال وسلمان وخباب ونحوهم.

قوله: ﴿**أَهَٰؤُلَآءِ**﴾ استفهام تقرير وتوبيخ. قوله: ﴿**أَقْسَمْتُمْ**﴾ أي باللات والعزى، وقوله: ﴿**لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍ**﴾ هذا هو المقسم عليه، ويؤخذ من الآية أن أهل الأعراف ناظرون لأهل الجنة وأهل النار، وأن أهل النار ناظرون لأهل الأعراف وأهل الجنة، وهذا لمزيد الحسرة لهم، فهم يعذبون بالنار والتبكيت من أهل الأعراف. قوله: **(قد قيل لهم)** قدره إشارة إلى أن قوله: ﴿**ٱدْخُلُوا ٱلْجَنَّةَ**﴾ مقول لذلك القول المحذوف ليصح جعلها خبراً ثانياً، لأن الجملة الطلبية لا يصح وقوعها خبراً إلا إذا أولت بخبر. قوله: **(وقرىء ادخلوا الخ)** هاتان شاذتان على عادته، حيث يعبر عن الشاذ بقرىء، وعن السبعي بوفي قراءة، وعلى هاتين القراءتين فلا يحتاج لتقدير القول، لأن الجملة خبرية. قوله: **(جملة النفي)** أي جنسها الصادق بالجملتين وهما: ﴿**لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ**﴾. قوله: **(حال)** أي معمول لحال محذوفة، ففي كلامه تسمح، وهذا على القراءتين الشاذتين، وأما على القراءة السبعية فلا يحتاج لذلك.

قوله: ﴿**وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ**﴾ قاله ابن عباس رضي الله عنهما: لما صار أصحاب الأعراف إلى الجنة، طمع أهل النار في الفرج عنهم فقالوا: يا رب إن لنا قرابات من أهل الجنة، فائذن لنا حتى نراهم ونكلمهم، فيأذن لهم، فينظرون إلى قراباتهم في الجنة وما هم فيه من النعيم فيعرفونهم، وينظر أهل الجنة إلى قراباتهم من أهل النار فلم يعرفوهم لسواد وجوههم، فينادي أصحاب النار أصحاب الجنة بأسمائهم، فينادي الرجل أباه وأخاه فيقول: قد احترقت أفض علي من الماء، فيقال لهم: أجيبوهم، فيقولون: إن الله حرمهما على الكافرين. قوله: **(من الطعام)** أي الشامل للمشروب والمأكول، وحينئذ فيضمن: ﴿**أَفِيضُوا**﴾ معنى ألقوا، نظير علفتها تبناً وماء بارداً، و﴿**أَوْ**﴾ بمعنى الواو بدليل قوله: ﴿**حَرَّمَهُمَا**﴾ وإلا لو بقيت على بابها من التخيير لأعيد الضمير مفرداً. قوله: **(منعهما)** أي فالتعبير بالتحريم مجاز لانقطاع التكليف بالموت، ويعلم من هذا أنه لا يتأثر أهل الجنة بعذاب أهل النار لتقطع الأسباب بينهم، ونزع الرحمة من قلوب أهل الجنة لأهل النار لاستحقاقهم ما هم فيه من العذاب.

قوله: ﴿**الَّذِينَ ٱتَّخَذُوا**﴾ هذا وصف للكافرين. قوله: ﴿**لَهْواً وَلَعِباً**﴾ اللهو صرف الهم بما لا يحسن أن يصرف به، واللعب طلب الفرح بما لا يحسن أن يطلب به. قوله: ﴿**وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَاةُ الدُّنْيَا**﴾ أي شغلتهم بالطمع في طول العمر وحسن العيش. قوله: ﴿**فَالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ**﴾ ليس من كلام أهل الجنة، وإنما هو قول الرب جل جلاله، فالفاء واقعة في جواب شرط مقدر تقديره: فإذا كان حال الكافرين فاليوم

نتركهم في النار ﴿كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا﴾ بتركهم العمل له ﴿وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ ﴿٥١﴾
أي وكما جحدوا ﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُم﴾ أي أهل مكة ﴿بِكِتَابٍ﴾ قرآن ﴿فَصَّلْنَاهُ﴾ بيناه بالأخبار والوعد
والوعيد ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ حال أي عالمين بما فصل فيه ﴿هُدًى﴾ حال من الهاء ﴿وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾
﴿٥٢﴾ به ﴿هَلْ يَنظُرُونَ﴾ ما ينظرون ﴿إِلَّا تَأْوِيلَهُ﴾ عاقبة ما فيه ﴿يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ﴾ هو يوم القيامة
﴿يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ﴾ تركوا الإيمان به ﴿قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا
أَوْ﴾ هل ﴿نُرَدُّ﴾ إلى الدنيا ﴿فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ نوحد الله ونترك الشرك فيقال لهم لا
قال تعالى ﴿قَدْ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ﴾ أي صاروا إلى الهلاك ﴿وَضَلَّ﴾ ذهب ﴿عَنْهُم مَّا كَانُوا
يَفْتَرُونَ﴾ ﴿٥٣﴾ من دعوى الشريك ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ من

ننساهم. قوله: (**نتركهم في النار**) أشار بذلك إلى أن النسيان مستعمل في لازمه وهو الترك، لأن حقيقته مستحيلة على الله، فالمعنى نعاملهم معاملة الناسي من عدم الاعتناء بهم وتركهم في النار.

قوله: ﴿**كَمَا نَسُوا**﴾ الكاف تعليلية، وما مصدرية، أي لأجل نسيانهم. قوله: (**بتركهم العمل له**) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف تقديره كما نسوا العمل للقاء يومهم هذا. قوله: (**أي وكما جحدوا**) أشار بذلك إلى أن ما معطوف على الأولى مسلط عليه كاف التعليل، والمعنى نتركهم في النار لتركهم **العمل** ولجحدهم آياتنا. قوله: ﴿**فَصَّلْنَاهُ**﴾ القراءة السبعية بالصاد، وقرىء شذوذاً بالضاد المعجمة، أي فضلناه على غيره من الكتب السماوية: ﴿قوله بالأخبار والوعد﴾ أي وكذا بقية الأنواع التسعة التي جمعها بعضهم في قوله:

حلال حرام محكم متشابه ... بشير نذير قصة عظة مثل

قوله: (**حال**) أي من الفاعل، ويصح كونه حالاً من المفعول، والمعنى فصلناه حال كونه مشتملاً على علم. قوله: (**حال من الهاء**) أي أو من كتاب، وجاز ذلك لتخصيصه بالوصف. قوله: ﴿**هَلْ يَنظُرُونَ**﴾ أي أهل مكة. قوله: (**عاقبة ما فيه**) أي فهذا هو المراد بتأويله بمعنى ما يؤول إليه وعيد القرآن لهم. قوله: ﴿**الَّذِينَ نَسُوهُ**﴾ أي التأويل. قوله: ﴿**قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ**﴾ أي تبين صدقهم فيما جاؤوا به واعترفوا بذلك لمعاينة العذاب. قوله: ﴿**فَيَشْفَعُوا**﴾ منصوب بأن مضمرة في جواب الاستفهام، فهو عطف اسم مؤول على اسم صريح. قوله: ﴿**أَوْ**﴾ (**هل**) ﴿**نُرَدُّ**﴾ أشار بذلك أن جملة ﴿**نُرَدُّ**﴾ معطوفة على التي قبلها، والاستفهام مسلط عليها. قوله: ﴿**فَنَعْمَلَ**﴾ منصوب بأن مضمرة، جواب الاستفهام الثاني، والمعنى نطلب أحد أمرين: إما الشفاعة لنا فيما سبق منا، أو نرجع إلى الدنيا ونحسن العمل فيها. قوله: (**من دعوى الشريك**) أي من دعوى نفع الشريك، لأنهم كانوا يدعون أن الأصنام تنفعهم.

قوله: ﴿**إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ**﴾ أي لا غيره. قوله: ﴿**فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ**﴾ أي وأولها الأحد، وآخرها الجمعة، كما ورد أنه ابتدأ الخلق في يوم الأحد، وأنه خلق الأرض في يومين: الأحد والاثنين، والسماوات في يومين: الخميس والجمعة، وأنه خلق الجبال والوحوش والأشجار والزرع في: الثلاثاء والأربعاء، وروى مسلم والحاكم عن ابن عباس إن الله خلق الأرض يوم الأحد والاثنين، وخلق الجبال وما فيهن من منافع

أيام الدنيا أي في قدرها لأنه لم يكن ثم شمس ولو شاء خلقهن في لمحة والعدول عنه لتعليم خلقه التثبت ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ هو في اللغة سرير الملك استواء يليق به ﴿ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ﴾ مخففاً ومشدداً أي يغطي كلاً منهما بالآخر ﴿يَطْلُبُهُۥ﴾ يطلب كل منهما الآخر طلباً ﴿حَثِيثًا﴾ سريعاً ﴿ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ ﴾ بالنصب عطفاً على السماوات والرفع مبتدأ خبره ﴿ مُسَخَّرَٰتٍ ﴾

يوم الثلاثاء، وخلق يوم الأربعاء الصخر والماء والطين والعمران والخراب، وخلق يوم الخميس السماء، وخلق يوم الجمعة النجوم والشمس والقمر والملائكة إلى ثلاث ساعات بقين منه، فخلق الله في أول ساعة من هذه الثلاث ساعات الآجال، وفي الثانية ألقى الله الألفة على كل شيء مما ينتفع به الناس، وخلق في الثالثة آدم وأسكنه الجنة وأمر إبليس بالسجود له، وأخرجه منها في آخر ساعة، واستشكل ذلك بأنه لم يكن ثم شمس، والجواب بأن المراد في قدرها لا يجدي نفعاً إلا أن يقال: إن ذلك التقدير في علم الله، بحيث لو كانت الأيام موجودة لكانت كذلك، ثم اعلم أن ما هنا من الأحاديث موافق لما يأتي في سورة فصلت، من أن خلق الأرض مقدم على السماء، ولا تنافي بينه وبين ما يأتي في سورة النازعات في قوله تعالى: ﴿والأرض بعد ذلك دحاها﴾ المقتضى تقديم السماء على الأرض، لأن الدحي غير الخلق، فإن الأرض خلقت أولاً كرة، ثم بعد خلق السماء بسطت الأرض. قوله: **(أي في قدرها)** جواب عن سؤال مقدر أفاده المفسر بقوله: **(لأنه لم يكن ثم شمس)**. قوله: **(التثبت)** أي التمهل في الأمور وعدم العجلة. قوله: **(هو في اللغة سرير الملك)** أي وتسميته عرشاً، إنما هو بالنسبة لما عدا الراكب عليه لعلوه عليهم، وأما المراد به هنا فهو الجسم النوراني المرتفع على كل الأجسام المحيط بكلها. قوله: **(استواء يليق به)** هذه طريقة السلف الذين يفوضون علم المتشابه لله تعالى، وهذا نظير ما وقع لمالك بن أنس أنه سأله رجل عن قوله تعالى: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ فقال: الاستواء معلوم والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، أخرجوا عني هذا المبتدع، وأما طريقة الخلف فيؤولون الاستواء بالاستيلاء بمعنى الملك والتصرف، فالاستواء يطلق حقيقة على الركوب، وهو مستحيل على الله وعلى الاستيلاء والتصرف وهو المراد، قال الشاعر:

قد استوى بشر على العراق ... من غير سيف ودم مهراق

وقد أشار صاحب الجوهرة للطريقتين بقوله:

وكل نص أوهم التشبيها ... أوله أو فوض ورم تنزيها

قوله: **(مخففاً ومشدداً)** أي فهما قراءتان سبعيتان، وعليهما فالليل فاعل والنهار مفعول لفظاً ومعنى، ووجب تقديم ما هو فاعل معنى لئلا يلتبس، نحو أعطيت زيداً عمراً. قوله: **(أي يغطى كلاً منهما بالآخر)** يشير إلى أن في الآية حذفاً تقديره ويغشى النهار الليل، ويؤيده آية: ﴿يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل﴾. قوله: ﴿يَطْلُبُهُ حَثِيثاً﴾ أي ليس بينهما فاصل، والحث والحض بمعنى واحد، وهو الطلب بسرعة، وحثيثاً نعت مصدر محذوف، أي طلباً حثيثاً. قوله: **(بالنصب عطفاً على السماوات)** أي ونصب: ﴿مُسَخَّرَاتٌ﴾ على الحال من: ﴿الشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ﴾. قوله: **(والرفع)** أي فهما قراءتان سبعيتان.

مذللات ﴿بِأَمْرِهِۦٓ﴾ بقدرته ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ﴾ جميعاً ﴿وَٱلْأَمْرُ﴾ كله ﴿تَبَارَكَ﴾ تعاظم ﴿ٱللَّهُ رَبُّ﴾ مالك ﴿ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ ﴿٥٤﴾ ﴿ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا﴾ حال تذللاً ﴿وَخُفْيَةً﴾ سراً ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ ﴿٥٥﴾ في الدعاء بالتشدق ورفع الصوت ﴿وَلَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بالشرك والمعاصي ﴿بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا﴾ ببعث الرسل ﴿وَٱدْعُوهُ خَوْفًا﴾ من عقابه ﴿وَطَمَعًا﴾ في رحمته ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿٥٦﴾ المطيعين وتذكير قريب المخبر به عن رحمة لاضافتها إلى الله ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى

قوله: (مذللات) أي مسيرات، فحيث سيرها سارت، وفي هذا رد على الفلاسفة القائلين بتأثير الكواكب في العالم السفلي، فهي أسباب عادية توجد الأشياء عندها لا بها.

قوله: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ ألا للاستفتاح يؤتى بها مبدأ الكلام البليغ الذي يقصد به الرد على المنكر، والمراد بالخلق الإيجاد، وبالأمر التصرف، فهو منفرد بالإيجاد والتصرف فلا شريك له فيهما، وتصرف الحادث إنما هو بتصريف الله له، وليس لمخلوق استقلال بتصريف أبداً، وإنما العبيد مظاهر التصريف، فمن أكرمه أجرى جلب الخير ودفع الضر على يديه، كمعجزات الأنبياء وكرامات الأولياء، ومن أهانه أجرى الشرور على يده.

قوله: ﴿تَبَارَكَ﴾ فعل ماض جامد لا يتصرف، ومعناه تمجد وتنزه عن صفات الحدوث. قوله: ﴿ٱدْعُوا رَبَّكُمْ﴾ أمر لجميع العباد بالتوجه في الدعاء لله سبحانه وتعالى، أي فحيث علمتم أن الله هو المتصرف في خلقه إيجاداً وإعداماً وإعطاءً ومنعاً، فوجهوا إليه قلوبكم واسألوه بألسنتكم، وقد ذكر الله سبحانه وتعالى للدعاء أربعة شروط: التضرع والخفية والخوف والطمع. قوله: (حال) أي من الفاعل في: ﴿ٱدْعُوا﴾ أي ادعوا حال كونكم متضرعين متذللين، لأن الدعاء إذا كان مع التذلل كان للإجابة أقرب. قوله: (سراً) أي باسماع نفسه، لأن الله تعبدنا بالدعاء كما تعبدنا بالقراءة، فلا يكفي مرور الدعاء على قلبه. واعلم أن الإنسان إذا كان وحده، فالسر أفضل له إن كان ينشط في ذلك إلا فالجهر أفضل له كالجماعة. قوله: (بالتشدق) هو كثرة الكلام من غير حضور في القلب فهو راجع لقوله: ﴿تَضَرُّعاً﴾ وقوله: (ورفع الصوت) هو راجع لقوله: ﴿وَخُفْيَةً﴾. قوله: ﴿خَوْفاً﴾ الخوف غم يحصل من أمر مكروه يقع في المستقبل.

قوله: ﴿وَطَمَعاً﴾ الطمع توقع أمر محبوب يحصل في المستقبل، ومنه رجاء الإجابة، ففي الحديث: «ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة» وفي الحديث أيضاً: «ما من عبد يرفع يديه ويقول يا رب إلا ويستحي الله أن يردهما صفرين» فاستفيد من هذا أنه ينبغي للداعي الخوف والرجاء، فيجعلهما كجناحي الطائر، إن مال أحدهما سقط. قوله: (المطيعين) أي ولو بالتوبة، فالمطلوب تقديم التوبة على الدعاء ليقع الدعاء من قلب طاهر، فيكون أقرب للإجابة. قوله: (وتذكير قريب) جواب عما يقال إن: ﴿قَرِيبٌ﴾ في الأصل وصف في المعنى لرحمة وهي مؤنثة، فكان حقه التأنيث. فأجاب بأنه اكتسب التذكير من المضاف إليه، وهو لفظ الجلالة، أو يقال: ﴿إِنَّ رَحْمَةَ﴾ مجازي التأنيث فيوصف بالمذكر، أو يقال إن معنى الرحمة الثواب وهو مذكر فوصفه بالمذكر من حيث المعنى.

يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦۖ﴾ أي متفرقة قدام المطر وفي قراءة بسكون الشين تخفيفاً وفي أخرى بسكونها وفتح النون مصدراً وفي أخرى بسكونها وضم الموحدة بدل النون أي مبشراً ومفرد الأولى نشور كرسول والأخيرة بشير ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتۡ﴾ حملت الرياح ﴿سَحَابٗا ثِقَالٗا﴾ بالمطر ﴿سُقۡنَٰهُ﴾ أي السحاب وفيه التفات عن الغيبة ﴿لِبَلَدٖ مَّيِّتٖ﴾ لا نبات به أي لإحيائها ﴿فَأَنزَلۡنَا بِهِ﴾ بالبلد ﴿ٱلۡمَآءَ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ﴾ بالماء ﴿مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ كَذَٰلِكَ﴾ الإخراج ﴿نُخۡرِجُ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾ من قبورهم بالإحياء ﴿لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٥٧﴾ فتؤمنون ﴿وَٱلۡبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ﴾ العذب التراب ﴿يَخۡرُجُ نَبَاتُهُۥ﴾ حسناً ﴿بِإِذۡنِ رَبِّهِۦۖ﴾ هذا مثل للمؤمن يسمع الموعظة فينتفع بها ﴿وَٱلَّذِي خَبُثَ﴾ ترابه ﴿لَا

قوله: ﴿**وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ**﴾ معطوف على قوله: ﴿**إن ربكم الله**﴾ الآية، والرياح جمع ريح، وهي أربعة: الصبا والدبور والجنوب والشمال، فالصبا تثير السحاب وهي من مطلع الشمس، والشمال تجمعه وهي من تحت القطب، والجنوب تدره وهي من جهة القبلة، والدبور تفرقه وهي من مغرب الشمس، وفي رواية الرياح ثمانية، أربعة عذاب: العاصف والقاصف والصرصر والعقيم، وأربعة رحمة: الناشرات والمرسلات والنازعات والمبشرات. قوله: (**متفرقة**) هذا التفسير لم يوافقه عليه أحد، بل بعض المفسرين قال: إن معنى نشراً منتشرة متسعة أو ناشرة للسحاب. قوله: (**قدام المطر**) في الكلام استعارة مكنية، حيث شبهت الرحمة بمعنى المطر بسلطان يقدم وله مبشرات، وطوى ذكر المشبه به ورمز له بشيء من لوازمه، وهو قوله: ﴿**بَيْنَ يَدَيْ**﴾ فإثباته تخييل. قوله: (**تخفيفاً**) أي بحذف ضمة الشين، وهي سبعية أيضاً كاللتين بعدها. قوله: (**بسكونها وفتح النون**) أي وإفراد الريح. قوله: (**نشراً**) أي إما بمعنى اسم الفاعل أو اسم المفعول، أي ناشرة للسحاب أو منشورة. قوله: (**ومفرد الأولى**) أي ضم الشين ومثلها سكونها، فمفرد الاثنين واحد.

قوله: ﴿**حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ**﴾ غاية لإرسال الرياح. قوله: ﴿**سَحَاباً**﴾ هو ثمر شجرة في الجنة. قوله: (**بالمطر**) متعلق بثقالاً والباء للسببية. قوله: (**عن الغيبة**) أي إلى التكلم، إذ كان مقتضى الظاهر فساقه. قوله: (**لا نبات فيه**) أي فموت الأرض كناية عن عدم النبات بها. قوله: (**بالبلد**) أشار بذلك إلى أن الضمير في: (**به**) عائد على البلد، والباء بمعنى في، وقوله: (**بالماء**) يشير إلى أن الضمير عائد على الماء، والباء سببية، ويصح عوده على البلد، وتكون الباء بمعنى في. قوله: ﴿**كَذٰلِكَ**﴾ (**الإخراج**) أي فالتشبيه مطلق الإخراج من العدم، فمن كان قادراً على إخراج الثمار من الأرض، سيما أرض الجبال التي شأنها عدم إنبات شيء من الثمار، قادر على إحياء الموتى من قبورهم فهو رد على منكري البعث.

قوله: ﴿**وَالْبَلَدُ**﴾ أي الأرض. قوله: (**حسناً**) أخذه من قوله: ﴿**لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِداً**﴾. قوله: ﴿**بِإِذْنِ رَبِّهِ**﴾ أي بإرادته ولم يذكر ذلك في المقابل وإن كان بإذنه أيضاً تعليماً لعباده الأدب، حيث أسند لنفسه الخير دون الشر وإن كان منه أيضاً لما ورد: إن الله جميل يحب الجمال، ولقوله تعالى: ﴿بيدك الخير﴾ ولم يقل وبيدك الشر، فلا يجوز أن يقال سبحان من خلق القرد، ولا سبحان من دبب الشوك. قوله: (**هذا مثل للمؤمن**) أي ولعمله، فمثل المؤمن كمثل الأرض الطيبة، ومثل المواعظ والقرآن كمثل الماء، فكما أن

نباته ﴿إِلَّا نَكِدًا﴾ عسراً بمشقة وهذا مثل للكافر ﴿كَذَٰلِكَ﴾ كما بينا ما ذكر ﴿نُصَرِّفُ﴾ ﴿ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾ ﴿٥٨﴾ الله فيؤمنون ﴿لَقَدْ﴾ جواب قسم محذوف ﴿أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ بالجر صفة لإله والرفع بدل من محله ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾ إن عبدتم غيره ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ ﴿٥٩﴾ هو يوم القيامة ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ﴾ الأشراف ﴿مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ ﴿٦٠﴾ بين ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ﴾ هي أعم من الضلال فنفيها أبلغ من نفيه ﴿وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ ﴿٦١﴾ ﴿أُبَلِّغُكُمْ﴾ بالتخفيف والتشديد

الماء إذا نزل على الأرض الطيبة أنبتت طيباً، كذلك المواعظ والقرآن إذا نزلت على قلب المؤمن أنبتت الطاعات والصفات الحميدة. قوله: ﴿**إلّا نَكِداً**﴾ أي إلا نباتاً نكد عديم النفع، ونصب نكداً على الحال، أو نعت مصدر محذوف، أي إلا خروجاً نكداً وهو من باب تعب.

قوله: ﴿**لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً**﴾ المقصود من ذكر تلك القصص تسلية النبي ﷺ وتركت الواو هنا، وذكرت في سورة هود والمؤمنون، لعدم تقدم ما يعطف عليه هنا بخلاف ما يأتي، ونوح اسمه عبد الغفار ابن ملك بفتح الميم وسكونها ابن متوشلخ بن أخنوخ، وهو إدريس، بعث على رأس أربعين سنة على الصحيح، وقيل على رأس خمسين، وقيل مائتين وخمسين، وقيل مائة سنة، ومكث في قومه تسعمائة وخمسين، وعاش بعد الطوفان مائتين وخمسين، فجملة عمره ألف ومائتان وأربعون، بناء على الصحيح من أنه بعث على رأس الأربعين، وكان بحاراً، وصنع السفينة في عامين، ولقب بنوح لكثرة نوحه على نفسه، حيث دعا على قومه فهلكوا، وقيل لمراجعته ربه في شأن ولده كنعان، وقيل لأنه مر على كلب مجذوم فقال له: اخسأ يا قبيح، فأوحى الله إليه أعبتني أم عبت الكلب. وقدم قصة نوح لأن قومه أول من كفر واستحق العذاب. قوله: (**جواب قسم محذوف**) إنما أتى بالقسم هنا للرد على المنكرين ومما يجب التأكيد فيه. قوله: ﴿**إِلَى قَوْمِهِ**﴾ القوم في الأصل: قبيلة الرجل وأقاربه الذين اجتمعوا معه في جد واحد، ويطلق القوم مجازاً على من عاشرهم الرجل وسكن عندهم، وإن لم يكونوا أقارب له. قوله: ﴿**اعْبُدُوا اللهَ**﴾ أي وحدوه. قوله: ﴿**مَا لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرُهُ**﴾ استئناف مسوق لبيان وجه إفراده بالعبادة. قوله: (**صفة لإله**) أي مراعاة للفظه. قوله: (**بدل من محله**) أي لأن محله رفع بالابتداء ومن زائدة.

قوله: ﴿**إِنِّي أَخَافُ**﴾ علة ثانية للأمر بالعبادة، والمعنى اعبدوا الله لأنه ليس لكم إله غيره، ولأني أتحقق نزول عذاب الآخرة بكم إن خالفتم ذلك، إما عاجلاً في الدنيا أو آجلاً في الآخرة. قوله: ﴿**قَالَ الْمَلأُ**﴾ بالهمز والقصر، سموا بذلك لأنهم يملأون المجالس بأجسامهم، والقلوب بهيبتهم، والعيون بأبهتهم. قوله: ﴿**مِنْ قَوْمِهِ**﴾ لم يقل الذين كفروا مثل ما قيل في قوم هود، لأن ذلك كان في مبدأ رسالته ولم يكن ثم مؤمن، هكذا قيل، والأحسن أن يقال حذفه منه لعلمه مما يأتي في الآية الأخرى. قوله: ﴿**في ضَلَالٍ مُبِينٍ**﴾ أي حيث عدل عن عبادة آلهتهم المجمعين عليها المذكورين في سورة نوح في قوله تعالى: ﴿وقالوا لا تذرن آلهتكم﴾ الآية. قوله: (**هي أعم من الضلال**) أي لأن الضلال هو الخروج عن الحق من كل وجه، والضلالة هي الخروج عن الحق ولو بوجه. قوله: (**فنفيها أبلغ**) أي لأنها نكرة في سياق النفي فتعم.

﴿ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنصَحُ ﴾ أريد الخبر ﴿ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ ﴿٦٢﴾ ﴿ أَ ﴾ كذبتم ﴿ وَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ ﴾ موعظة ﴿ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ ﴾ لسان ﴿ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ﴾ العذاب إن لم تؤمنوا ﴿ وَلِتَتَّقُوا۟ ﴾ الله ﴿ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ ﴿٦٣﴾ بها ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ ﴾ من الغرق ﴿ فِى ٱلْفُلْكِ ﴾ السفينة ﴿ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ﴾ بالطوفان ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ ﴾ ﴿٦٤﴾ عن الحق ﴿ وَ ﴾ أرسلنا ﴿ إِلَىٰ عَادٍ ﴾ الأولى ﴿ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ ﴾ وحدوه ﴿ مَا لَكُم مِّنْ

قوله: ﴿وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ﴾ قد وقع الاستدراك أحسن موقع، لكونه بين ضدين: نفي الضلالة المتوهم ثبوتها، وثبوت الرسالة المتوهم نفيها. قوله: (**بالتخفيف والتشديد**) أي فهما قراءتان سبعيتان.

قوله: ﴿رِسَالَاتِ رَبِّي﴾ الجمع باعتبار تعدد الأزمنة، والمراد بالرسالات المرسل بها التي هي الأحكام. قوله: ﴿وَأَنْصَحُ لَكُمْ﴾ النصح يتعدى بنفسه باللام، وهو إرادة الخير للغير كما يريده لنفسه. قوله: ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ أي من الأحكام التي تأتيه عن الله أو من العذاب الذي يحل بهم إن لم يؤمنوا. قوله: (**كذبتم**) أشار بذلك إلى أن الهمزة داخلة على محذوف، والواو عاطفة على ذلك المحذوف. قوله: (**موعظة**) أي تخوفكم من عذاب الله إن لم تؤمنوا. قوله: ﴿لِيُنْذِرَكُمْ﴾ علة للمجيء، وقوله: ﴿وَلِتَتَّقُوا﴾ مرتب على الإنذار، وقوله: ﴿وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ مرتب على التقوى، فهذا الترتيب في أحسن البلاغة، وعبر في جانب الرحمة بالترجي، إشارة إلى أن الرحمة أمرها عزيز لا تنال بالعمل، بل بفضل الله. قوله: (**العذاب**) قدره إشارة إلى أن مفعول ينذر محذوف. قوله: ﴿وَلِتَتَّقُوا﴾ (**الله**) قدره إشارة إلى أن مفعول تتقوا محذوف أيضاً.

قوله: ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ أي استمروا على تكذيبه. قوله: ﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ قيل كانوا أربعين رجلاً وأربعين امرأة، وقيل تسعة: أولاده الثلاثة: سام وهو أبو العرب، وحام وهو أبو السودان، ويافث وهو أبو الترك، وستة من غيرهم. قوله: ﴿فِي ٱلْفُلْكِ﴾ يطلق على المفرد والجمع والمذكر والمؤنث. ووزن المفرد قفل والجمع أسد. قوله: (**السفينة**) وكان طولها ثلثمائة ذراع، وسمكها ثلاثين ذراعاً وعرضها خمسين، وطبقاتها ثلاث: السفلى للوحوش والدواب، والوسطى للانس، والعليا للطيور. وركبها في عاشر رجب، واسترت على الجودي في عاشر المحرم. قوله: ﴿بِآيَاتِنَا﴾ أي الدالة على التوحيد، وهي معزات نوح. قوله: ﴿عَمِينَ﴾ أصله عميين حذفت الياء الأولى تخفيفاً، وهو جمع عم يقال لأعمى البصيرة، وأما عميان فجمع أعمى يقال لأعمى البصر.

قوله: ﴿وَإِلَى عَادٍ﴾ جرت عادة الله في كتابه، أنه إذا كان للمرسل اليهم اسم ذكرهم به، وإلا عبر بقوله قومه، وقدر المفسر: (**أرسلنا**) إشارة إلى أن ﴿أَخَاهُمْ﴾ معطوف على نوحاً، والعامل فيه: (**أرسلنا**) المتقدم، والجار والمجرور معطوف على قوله إلى قومه، فتكون الواو عاطفة عطف قصة على قصة، وهكذا يقال في باقي القصص. قوله: (**الأولى**) يحترز به عن عاد الثانية فإنها قوم صالح. قوله: ﴿أَخَاهُمْ هُوداً﴾ سمى أخاهم لأنه من جنسهم واجتمع معهم في جد، لأن عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح، فسميت القبيلة باسم جدهم، وهود بن عبدالله بن رباح بن الخلود بن عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح، وقيل ابن شالح بن أرفخشذ بن سام بن نوح، فعلى الأول قد اجتمع معهم في عاد، وعلى الثاني لا،

إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ ﴿٦٥﴾ تخافونه فتؤمنون ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ﴾ جهالة ﴿وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ ﴿٦٦﴾ في رسالتك ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ ﴿٦٧﴾ ﴿ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴾ ﴿٦٨﴾ مأمون على الرسالة ﴿ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ ﴾ لسان ﴿ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ ﴾ في الأرض ﴿ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً ﴾ قوة وطولاً وكان طويلهم مائة ذراع وقصيرهم ستين ﴿فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ﴾ نعمه ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ ﴿٦٩﴾ تفوزون ﴿قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا

وإنما اجتمع معهم في سام، وكان بين هود ونوح ثمانمائة سنة، وبين القبيلتين مائة سنة، وعاش أربعمائة وأربع وستين سنة، وعاد يجوز صرفه باعتبار كونه اسماً للحي، ومنعه باعتبار كونه اسماً للقبيلة، وهذا من حيث العربية، وأما في القرآن فلم يقرأ بمنع الصرف.

قوله: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ﴾ أتى في قصة نوح بالفاء لأنه كان مسارعاً في دعوتهم إلى الله غير متوان كما حكى في سورة نوح، قال تعالى: ﴿قال رب إني دعوت قومي ليلاً ونهاراً﴾ بخلاف هود. قوله: ﴿مَا لَكُمْ مِنْ إِله غَيْرُهُ﴾ أي لأنه الخالق للعالم المتصرف فيه. قوله: ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ الهمزة داخلة على محذوف، والفاء عاطفة على ذلك المحذوف، والتقدير أتركتم التفكر في مصنوعات الله أفلا تتقون. قوله: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ صفة للملأ كاشفة، لأن هذه المقالة لا تقع من مؤمن، ولذا تركت من قصة نوح لعلمها مما هنا. قوله: ﴿إِنَّا لَنَرَاكَ﴾ رأى هنا علمية، فمفعولها الأول الكاف، والثاني متعلق بالجار والمجرور. قوله: ﴿فِي سَفَاهَةٍ﴾ الحكمة في تعبير قوم هود بالسفاهة، وقوم نوح بالضلال، أن نوحاً لما خوف قومه بالطوفان، وجعل يصنع الفلك، نسبوه للضلال، حيث أتعب نفسه في عمل سفينة في أرض لا ماء بها ولا طين، وهود لما نهاهم عن عبادة الأصنام صموداً وصمداً وهبا ونسب من يعبدها للسفه، خاطبوه بمثل ما خاطبهم به.

قوله: ﴿وَلَكِنِّي رَسُولٌ﴾ تقدم أن مثل هذا الاستدراك وقع أحسن موقع، لكنه وقع بين ضدين. قوله: ﴿أُبَلِّغُكُمْ﴾ بالتخفيف والتشديد قراءتان سبعيتان. قوله: ﴿وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ﴾ الحكمة في تعبير هود بالجملة الاسمية، ونوح بالجملة الفعلية، أن هوداً كان نصوحاً مع التراخي، ومعلوم أن ذلك يدل عليه بالجملة الاسمية، ونوح كان مكرراً للنصح، وذلك يدل عليه بالجملة الفعلية، لأن الفعل للتجدد. قوله: (مأمون على الرسالة) أي فلا أزيد ولا أنقص.

قوله: ﴿أَوَعَجِبْتُمْ﴾ الهمزة داخلة على محذوف تقديره أكذبتموني وعجبتم. قوله: ﴿ذِكْرٌ﴾ أي موعظة تخوفكم من عذاب الله. قوله: ﴿إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ﴾ إذ ظرف مفعول لاذكروا، أي اذكروا وقت جعلكم، والمقصود ذكر النعمة لا ذكر وقتها. قوله: ﴿بَسْطَةً﴾ بالسين والصاد قراءتان سبعيتان ومعناهما واحد. قوله: (قوة وطولاً) أي ومالاً. قوله: (مائة ذراع الخ) الذي قاله المحلي في سورة الفجر، إن طويلهم كان أربعمائة ذراع بذراع نفسه، وفي رواية خمسمائة ذراع، وقصيرهم ثلاثمائة ذراع، وكان رأس الواحد منهم قدر القبة العظيمة، وكانت عينه بعد موته تفرخ فيها الضباع. قوله: ﴿آلَاءَ اللهِ﴾ جمع إلى بكسر الهمزة وضمها، كحمل وقفل، أو بكسر ففتح كضلع، أو بفتحتين كقفا. قوله: (تفوزون) أي

﴿لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ﴾ نترك ﴿مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾ به من العذاب ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ ﴿٧٠﴾ في قولك ﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ﴾ وجب ﴿عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ﴾ عذاب ﴿وَغَضَبٌ أَتُجَٰدِلُونَنِى فِىٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ﴾ أي سميتم بها ﴿أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم﴾ أصناماً تعبدونها ﴿مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا﴾ أي بعبادتها ﴿مِن سُلْطَٰنٍ﴾ حجة وبرهان ﴿فَٱنتَظِرُوٓاْ﴾ العذاب ﴿إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ﴾ ﴿٧١﴾ ذلكم بتكذيبكم لي فأرسلت عليهم الريح العقيم ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ﴾ أي هوداً ﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ﴾ من المؤمنين ﴿بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ﴾ القوم ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ أي استأصلناهم ﴿وَمَا كَانُواْ مُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٧٢﴾ عطف على كذبوا ﴿وَ﴾ أرسلنا ﴿إِلَىٰ ثَمُودَ﴾ بترك الصرف مراداً به القبيلة ﴿أَخَاهُمْ صَٰلِحًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ﴾ معجزة ﴿مِّن

برضا الله وزيادة النعم، لأن شكر النعم مما يديمها ويزيدها.

قوله: ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا﴾ أي جواباً بالنصحة لهم. قوله: **(وجب)** أي حق وثبت، والتعبير بالماضي إشارة إلى أنه واقع لا محالة. قوله: ﴿وَغَضَبٌ﴾ عطف سبب على مسبب. قوله: ﴿فِي أَسْمَاءٍ﴾ أي مسميات. قوله: **(أصناماً)** قدره إشارة إلى مفعول سميتموها الثاني. قوله: **(فأرسلت عليهم الريح العقيم)** وكانت باردة ذات صوت شديد لا مطر فيها، وكانت وقت مجيئها في عجز الشتاء وابتدأتهم صبيحة الأربعاء لثمان بقين من شوال، وسخرت عليهم سبع ليال وثمانية أيام، فأهلكت رجالهم ونساءهم وأولادهم وأموالهم، بأن رفعت ذلك في الجو فمزقته، وفي رواية بعث الله عز وجل الريح العقيم، فلما دنت منهم نظروا إلى الإبل والرجال تطير بهم الريح بين السماء والأرض، فلما رأوها بادروا إلى البيوت فدخلوها وأغلقوا الأبواب، فجاءت الريح فقلعت أبوابهم ودخلت عليهم فأهلكتهم فيها، ثم أخرجتهم من البيوت، فلما أهلكتهم أرسل الله عليهم طيراً أسود فنقلتهم إلى البحر فألقتهم فيه، وقيل إن الله تعالى أمر الريح فأمالت عليهم الرمال، فكانوا تحت الرمال سبع ليال وثمانية أيام يسمع لهم أنين تحت الرمل. ثم أمر الريح فكشفت عنهم الرمل ثم احتملتهم فرمت بهم في البحر. قوله: ﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ أي وكانوا شرذمة قليلة يكتمون إيمانهم، وسبب نجاتهم أنهم دخلوا في حظيرة فصار يدخل عليهم من الريح ما يلتذون به، ثم بعد ذلك أتوا مكة مع هود، فعبدوا الله فيها حتى ماتوا. قوله: **(أي استأصلناهم)** أي لم نبق منهم أحداً. قوله: **(عطف على كذبوا)** أي وفائدته وإن علم منه الإشارة إلى أن الله علم عدم إيمانهم، وأنهم لو بقوا ما آمنوا، أي فلا تحزن عليهم أيها السامع.

قوله: ﴿وَإِلَى ثَمُودَ﴾ تقدم أنه معطوف على قوله: ﴿لقد أرسلنا نوحاً﴾ عطف قصة على قصة، وثمود قبيلة سموا باسم جدهم ثمود بن عابر بن سام بن نوح. قوله: **(بترك الصرف)** أي للعلمية والتأنيث. ولو أريد به الحي لصرف.

قوله: ﴿أَخَاهُمْ﴾ أي في النسب لأنه ابن عبيد بن آسف بن ماسح بن عبيد بن حاذر بن ثمود المتقدم، وكان بين صالح وهود مائة سنة، وعاش صالح مائتين وثمانين سنة. قوله: ﴿صَالِحاً﴾ بدل من أخاهم أو عطف بيان عليه. ﴿مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ علة لقوله: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ﴾. وقوله: ﴿قَدْ جَاءَتْكُمْ﴾

رَبِّكُمْ﴾ على صدقي ﴿هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً﴾ حال عاملها معنى الإشارة وكانوا سألوه أن يخرجها لهم من صخرة عينوها ﴿فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِيٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ﴾ بعقر أو ضرب ﴿فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ﴿٧٣﴾ ﴿وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ﴾ في الأرض ﴿مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ﴾ أسكنكم ﴿فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا﴾ تسكنونها في الصيف ﴿وَتَنْحِتُونَ﴾ من ﴿ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا﴾ تسكنونها في الشتاء ونصبه على الحال المقدرة ﴿فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ ﴿٧٤﴾ ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ﴾ تكبروا عن الإيمان به ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟

علة لمحذوف، والتقدير امتثلوا ما أمرتكم به، لأنه قد جاءتكم بينة على صدقي. قوله: ﴿**هَٰذِهِ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ آيَةً**﴾ كلام مستأنف بيان للمعجزة، والإضافة للتشريف واسم الإشارة مبتدأ و ﴿**نَاقَةُ ٱللَّهِ**﴾ خبر ومضاف اليه ﴿**وَلَكُمْ**﴾ جار ومجرور متعلق بمحذوف حال من: ﴿**آيَةً**﴾ لأنه نعت نكرة تقدم عليها أو خبر ثان و ﴿**آيَةً**﴾ حال والعامل فيها محذوف تقديره أشير، وقد أشار له المفسر بقوله: (**حال عاملها معنى الإشارة**) وهذا القول وقع من صالح بعد نصحهم، كما قال تعالى في سورة هود: ﴿هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها﴾ الآيات. قوله: (**من صخرة عينوها**) وكان يقال لها الكاثبة، وكانت منفردة في ناحية الجبل، فقالوا أخرج لنا من هذه الصخرة ناقة تكون على شكل البخت، وتكون عشراء جوفاء وبراء، أي ذات جوف واسع ووبر وصوف، فدعا الله فتمخضت الصخرة تمخض النتوج بولدها، فانصدعت عن ناقة عشراء جوفاء كما وصفوا، لا يعلم ما بين جنبيها إلا الله تعالى، فعند خروجها ولدت ولداً مثلها في العظم، فمكثت الناقة مع ولدها ترعى وتشرب إلى أن عقروها.

قوله: ﴿**فَذَرُوهَا تَأْكُلْ**﴾ مرتب على كونها آية من آيات الله. قوله: ﴿**تَأْكُلْ فِي أَرْضِ ٱللَّهِ**﴾ أي وتشرب. قوله: ﴿**فَيَأْخُذَكُمْ**﴾ بالنصب في جواب النهي، والتعقيب ظاهر، لأنهم لم يلبثوا إلا ثلاثة أيام، رأوا فيها أمارات العذاب، كما يأتي في سورة هود. قوله: ﴿**عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ أي مؤلم. قوله: ﴿**وَٱذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ**﴾ تذكير لهم بنعم الله التي أنعمها عليهم. قوله: (**في الأرض**) قدره المفسر إشارة إلى أن في الآية الحذف من الأول لدلالة الثاني عليه.

قوله: ﴿**وَبَوَّأَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ**﴾ أي أرض الحجر بكسر الحاء، مكان بين الحجاز والشام. قوله: ﴿**تَتَّخِذُونَ**﴾ أي تعملون وتصنعون، واتخذ يصح أن يكون متعدياً لواحد، فمن سهولها متعلق باتخذ، أو لاثنين فمن سهولها متعلق بمحذوف مفعول ثان. قوله: ﴿**مِنْ سُهولِهَا**﴾ جمع سهل وهو المكان المتسع الذي لا جبل به، ومن بمعنى في، أي تصنعون في الأرض السهلة القصور، ويصح أن تكون من للابتداء، أي تتخذون من السهول، أي الأراضي اللينة القصور، أي طوبها وطينها، والأقرب الأول، وسميت القصور بذلك لقصر أيدي الفقراء عن تحصيلها.

قوله: ﴿**وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتاً**﴾ يصح أن يكون المعنى على إسقاط الخافض أي من: ﴿**ٱلْجِبَالِ**﴾ و ﴿**بُيُوتاً**﴾ مفعول ﴿**تَنْحِتُونَ**﴾، ويصح أن يكون ﴿**ٱلْجِبَالَ**﴾ مفعولاً به، و ﴿**بُيُوتاً**﴾ حال مقدرة كما قال المفسر، لأن الجبال لا تصير بيوتاً إلا بعد نحتها، وهو إن كان جامداً، إلا أنه مؤول بالمشتق أي مساكن. قوله: ﴿**مُفْسِدِينَ**﴾ حال مؤكدة لعاملها، لأن العثو هو الفساد. قوله: (**تكبروا**) أشار بذلك إلى أن السين

﴿لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ﴾ أي من قومه بدل مما قبله بإعادة الجار ﴿أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ إليكم ﴿قَالُوٓاْ﴾ نعم ﴿إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ﴾ ﴿٧٥﴾ ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾ ﴿٧٦﴾ وكانت الناقة لها يوم في الماء ولهم يوم فملوا ذلك ﴿فَعَقَرُواْ ٱلنَّاقَةَ﴾ عقرها قدار بأمرهم بأن قتلها بالسيف ﴿وَعَتَوْاْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُواْ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾ به من العذاب على قتلها ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ ﴿٧٧﴾ ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ﴾ الزلزلة الشديدة من الأرض والصيحة

زائدة. قوله: **(عن الإيمان به)** أي بصالح. قوله: **(بدل مما قبله بإعادة الجار)** أي بدل كل من كل، إن كان الضمير في: ﴿**مِنْهُمْ**﴾ عائداً على القوم، ويكون جميع المستضعفين آمنوا وبدل بعض من كل، إن كان الضمير عائداً على المستضعفين، ويكون بعض المستضعفين آمنوا، والله أعلم بحقيقة الحال. قوله: ﴿**أَتَعْلَمُونَ**﴾ مفعول قول المستكبرين. قوله: ﴿**قَالُوا**﴾ **(نعم)** قدره المفسر إشارة إلى أن هذا حق الجواب، وإنما عدلوا عنه مسارعة إلى تحقيق الحق وإظهار إيمانهم، وتنبيهاً على أن رسالته واضحة لا تخفى، فلا ينبغي السؤال عنها فهذا الجواب تبكيت لهم.

قوله: ﴿**قَالَ الَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا**﴾ إظهار في محل الإضمار تبكيتاً لهم. قوله: ﴿**إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ**﴾ لم يقولوا إنا بما أرسل به، إظهاراً لمخالفتهم إياهم تعنتاً وعناداً. قوله: **(وكانت الناقة لها يوم في الماء)** أي فإذا كان يومها وضعت رأسها في البئر، فما ترفعه حتى تشرب جميع ما فيها ثم تتبجبج، فيحلبون ما شاؤوا حتى يملأوا أوانيهم فيشربون ويدخرون.

قوله: ﴿**فَعَقَرُوا النَّاقَةَ**﴾ أي في يوم الأربعاء، فقال لهم صالح: تصبحون غداً وجوهكم مصفرة ثم تصبحون في يوم الجمعة وجوهكم محمرة، ثم تصبحون يوم السبت وجوهكم مسودة. فأصبحوا يوم الخميس قد اصفرت وجوههم، فأيقنوا العذاب، ثم احمرت في يوم الجمعة فازداد خوفهم، ثم اسودت يوم السبت فتجهزوا للهلاك، فأصبحوا يوم الأحد وقت الضحى، فكفنوا أنفسهم تحنطوا كما يفعل بالميت وألقوا بأنفسهم إلى الأرض، فلما اشتد الضحى، أتتهم صيحة عظيمة من السماء فيها صوت كل صاعقة، وصوت في ذلك الوقت كل شيء له صوت مما في الأرض، ثم تزلزلت بهم الأرض حتى هلكوا جميعاً، وأما ولد الناقة فقيل إنه فر هارباً، فانفتحت له الصخرة التي خرجت منها أمة فدخلها وانطبقت عليه، قال بعض المفسرين: إنه الدابة التي تخرج قرب القيامة، وقيل إنهم أدركوه وذبحوه. قوله: **(عقرها قدار)** أي ابن سالف، وكان رجلاً أحمر أزرق العينين قصيراً، وكان ابن زانية، ولم يكن لسالف، وهو أشقى الأولين كما ورد في الحديث. قوله: **(بأن قتلها بالسيف)** أي فالمراد بالعقر النحر، ففيه إطلاق السبب على المسبب، لأن العقر ضرب قوائم البعير أو الناقة لتقع فتنحر.

قوله: ﴿**وَقَالُوا يَا صَالِحُ**﴾ أي على سبيل التهكم والاستهزاء. قوله: ﴿**بِمَا تَعِدُنَا**﴾ **(به)** قدره إشارة إلى أن العائد محذوف، وكان الأولى أن يقدر ضمير نصب، بأن يقول تعدناه لئلا يلزم حذف العائد المجرور بالحرف من غير اتحاد متعلقهما. قوله: ﴿**فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ**﴾ أي بعد مضي ثلاثة أيام، والتعقيب

من السماء ﴿ فَأَصْبَحُواْ فِي دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴾ ﴿٧٨﴾ باركين على الركب ميتين ﴿فَتَوَلَّىٰ﴾ أعرض صالح ﴿ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴾ ﴿٧٩﴾ ﴿ وَ ﴾ اذكر ﴿لُوطًا﴾ ويبدل منه ﴿ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ ﴾ أي أدبار الرجال ﴿ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ ﴿٨٠﴾ الإنس والجن ﴿إِنَّكُمْ﴾ بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية وإدخال الألف بينهما على الوجهين ﴿لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴾ ﴿٨١﴾ متجاوزون

ظاهر، لأن الثلاثة أيام مقدمات الهلاك. قوله: **(والصيحة من السماء)** أشار بذلك إلى أن في الآية اكتفاء، لأن عذابهم كان بهما معاً. قوله: **﴿فِي دَارِهِمْ﴾** أي أرضهم، فالمراد بهم الجنس.

قوله: **﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ﴾** أي بعد أن هلكوا وماتوا توبيخاً، كما خاطب النبي ﷺ الكفار من قتلى بدر حين ألقوا في القليب، فقال عمر: يا رسول الله كيف تكلم أقواماً قد جيفوا؟ فقال ﷺ: ما أنت بأسمع لما أقول منهم ولكن لا يجيبون، وقيل: خاطبهم قبل موتهم وقت ظهور العلامات فيهم، عليه: يكون في الآية تقديم وتأخير تقديره: فتولى عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربي، ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين، فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين. قوله: **﴿وَ﴾ (اذكر)** خطاب لسيدنا محمد ﷺ، وقدره ولم يقدر أرسلنا، مع أنه يكون موافقاً لما قبله وما بعده، لأنه يوهم أن وقت الارسال قال لقومه ما ذكر، مع أنه ليس كذلك، بل أمرهم أولاً بالتوحيد، ثم بين لهم فروع شريعته، ولوط بن هاران أخي إبراهيم الخليل عليهما السلام، وكان إبراهيم ولوط ببابل بالعراق، فهاجر إلى الشام فنزل إبراهيم بأرض فلسطين، ونزل لوط بالأردن وهي قرية بالشام، فأرسله الله إلى أهل سذوم، بالذال المعجمة على وزن رسول، وهي بلد بحمص.

قوله: **﴿أَتَأْتُونَ ٱلْفَاحِشَةَ﴾** استفهام توبيخ وتقريع لأنها من أعظم الفواحش، ولذا كان حدها عند أبي حنيفة الرمي من شاهق جبل، وعند مالك الرجم مطلقاً فاعلاً أو مفعولاً أحصنا أو لم يحصنا. قوله: **﴿مَا سَبَقَكُمْ﴾** الخ تأكيد للإنكار عليهم، لأن مباشرة القبح قبيحة، واختراعه أقبح. قوله: **(الإنس والجن)** أي وجميع البهائم، بل هذه الفعلة لم توجد في أمة إلا في قوم لوط وفساق هذه الأمة المحمدية. وكان قوم لوط يتباهون بالضراط في المجالس أيضاً، كما قال تعالى: ﴿وتأتون في ناديكم المنكر﴾ وهو فاحشة عظيمة أيضاً. قوله: **(بتحقيق الهمزتين)** حاصل ما أفاده المفسر، أن القراءات أربع: تحقيق الهمزتين، وتسهيل الثانية من غير إدخال ألف بين الهمزتين أو بإدخالها، ولكن الحق أن إدخال الألف بين الهمزتين المحققتين غير سبعية، وإنما هي لهشام، وبقي قراءة سبعية أيضاً وهي بهمزة واحدة على الخبر المستأنف بيان لتلك الفاحشة، وهي لنافع وحفص عن عاصم، فتحصل أن القراءات خمس، أربع سبعية وواحدة غير سبعية.

قوله: **﴿شَهْوَةً﴾** أي لأجل الشهوة. قوله: **﴿مِنْ دُونِ النِّسَاءِ﴾** إما حال من: **﴿الرِّجَالَ﴾** أو من الواو في تأتون، وحكمه التوبيخ على هذا الفعل القبيح، أن الله تعالى خلق الإنسان، وركب فيه شهوة النكاح لبقاء النسل وعمران الدنيا، وجعل النساء محلاً للشهوة والنسل، فإذا تركهن الإنسان، فقد عدل

الحلال إلى الحرام ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوهُم﴾ أي لوطاً وأتباعه ﴿مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ ﴿٨٢﴾ من أدبار الرجال ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ ﴿٨٣﴾ الباقين في العذاب ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا﴾ هو حجارة السجيل فأهلكتهم ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ ﴿٨٤﴾ ﴿وَ﴾ أرسلنا ﴿إِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ﴾ معجزة ﴿مِّن رَّبِّكُمْ﴾ على صدقي ﴿فَأَوْفُوا۟﴾ أتموا ﴿ٱلْكَيْلَ

ما أحل له وتجاوز الحد، لوضعه الشيء في غير محله، لأن الأدبار ليست محلاً للولادة التي هي المقصودة بالذات.

قوله: ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ﴾ القراءة على نصب جواب خبراً لكان، واسمها أن وما دخلت عليه، وقرأ الحسن بالرفع اسم كان، وأن وما دخلت عليه خبرها، وما مشى عليه الجماعة أفصح عربية، لأن الأعراف وقع اسماً، والواو هنا للتعقيب لحلولها محل الفاء في النمل والعنكبوت، لأن جوابهم لم يتأخر عن نصيحته والحصر نسبي، والمراد أنه لم يقع منهم جواب عن نصح وموعظة، فلا ينافي أنهم زادوا في الجواب من الكلام القبيح. قوله: ﴿مِنْ قَرْيَتِكُمْ﴾ أي سذوم. قوله: ﴿إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ قالوا ذلك استهزاء.

قوله: ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ﴾ أي ابنته، لأنه لم ينج من العذاب إلا وهو وابنتاه لإيمانهما به، فخرج لوط من أرضه، وطوى الله له الأرض في وقته حتى نجا ووصل إلى إبراهيم، وسيأتي تمام القصة في سورة هود، وإنما ذكرت هنا اختصاراً. قوله: **(الباقين في العذاب)** أي لأن الغبر من باب قعد، يستعمل بمعنى البقاء في الزمان المستقبل، وبمعنى المكث في الزمان الماضي، والمراد الأول. قوله: ﴿وَأَمْطَرْنَا﴾ يقال غالباً في الرحمة مطر، وفي العذاب أمطر، وعلى كل هو متعد ينصب المفعول. قوله: **(هو حجارة السجيل)** أي وكانت معجونة بالكبريت والنار، وهلكوا أيضاً بالخسف، قال تعالى: ﴿فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها﴾، ورد أن جبريل رفع مدائنهم إلى السماء، وكانت خمسة، وأسقطها مقلوبة إلى الأرض، وأمطر عليهم الحجارة متتابعة في النزول عليها اسم كل من يرمي بها، وقيل إن الحجارة لمن كان مسافراً منهم، والخسف لمن كان في المدائن.

قوله: ﴿فَانْظُرْ﴾ لكل سامع يتأتى منه النظر والتأمل، ليحصل الاعتبار بما وقع لهؤلاء القوم. قوله: ﴿وإلى مَدْيَنَ﴾ معطوف على قوله: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً﴾ عطف قصة على قصة، ولذا قدر المفسر أرسلنا ومدين اسم قبيلة شعيب، واسم لقريته أيضاً، بينها وبين مصر ثمانية مراحل، سميت باسم أبيهم مدين ابن إبراهيم الخليل عليه السلام، وشعيب بن ميكائيل بن بشجر بن مدين بن إبراهيم الخليل، فشعيب أخوهم في النسب، وليس من أنبياء بني إسرائيل، وقوله: ﴿شُعَيْباً﴾ بدل من أخاهم، أو عطف بيان عليه، وأرسل شعيب أيضاً إلى أصحاب الأيكة، وهي شجر ملتف بعضه ببعض بالقرب من مدين، قال تعالى: ﴿كذب أصحاب الأيكة المرسلين﴾. قوله: **(معجزة)** لم تذكر تلك المعجزة في القرآن، وقيل المراد بها نفسه، بمعنى أن أوصافه لا يمكن معارضتها، وقيل المراد بها. قوله: ﴿فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ﴾ الخ، بمعنى ما يترتب عليها من العز للمطيع، والذل والعقاب للمخالف.

﴿وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا۟﴾ تنقصوا ﴿ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بالكفر والمعاصي ﴿بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا﴾ ببعث الرسل ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ المذكور ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾﴾ مريدي الإيمان فبادروا اليه ﴿وَلَا تَقْعُدُوا۟ بِكُلِّ صِرَٰطٍ﴾ طريق ﴿تُوعِدُونَ﴾ تخوفون الناس بأخذ ثيابهم أو المكس منهم ﴿وَتَصُدُّونَ﴾ تصرفون ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ دينه ﴿مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ﴾ بتوعدكم إياه بالقتل ﴿وَتَبْغُونَهَا﴾ تطلبون الطريق ﴿عِوَجًا﴾ معوجة ﴿وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ وَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾﴾ قبلكم بتكذيبهم رسلهم أي آخر أمرهم من الهلاك ﴿وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا۟﴾ به ﴿فَٱصْبِرُوا۟﴾ انتظروا ﴿حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَا﴾ وبينكم بإنجاء المحق وإهلاك المبطل ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾ أعدلهم ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ﴾

قوله: ﴿فَأَوْفُوا ٱلْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ﴾ أي وكانت عادتهم نقص الكيل والميزان. قوله: ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾ هذا لازم لقوله: ﴿فَأَوْفُوا ٱلْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ﴾ لأن الشخص إذا لم يوف الكيل والميزان لغيره فقد نقصه من الثمن، وكذلك إذا استوفى الكيل والميزان لنفسه، فقد نقص الغير من الثمن. قوله: ﴿بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ ورد أنه قبل بعث شعيب لهم، كانوا يفعلون المعاصي، ويستحلون المحارم، ويسفكون الدماء، فلما بعث شعيب أصلح الله به الأرض، وهكذا كل نبي بعث إلى قومه. قوله: (مريدي الإيمان) جواب عما يقال إنهم لم يكونوا مؤمنين إذ ذاك. قوله: (فبادروا اليه) جواب الشرط، وما قبله دليل الجواب. قوله: ﴿بِكُلِّ صِرَاطٍ﴾ أي محسوس بدليل ما بعده. قوله: (تخوفون الناس) قدره إشارة إلى أن مفعول: ﴿تُوعِدُونَ﴾ محذوف. قوله: (بأخذ ثيابهم) ورد أنهم كانوا يجلسون على الطريق، ويقولون لمن يريد شعيباً: إنه كذاب ارجع لا يفتنك عن دينك، فإن آمنت به قتلناك.

قوله: ﴿مَنْ آمَنَ﴾ هذا مفعول: ﴿تَصُدُّونَ﴾. قوله: (تطلبون الطريق) أي المعبر عنه بالسبيل، وهو الطريق المعنوي الذي هو الذين، والمعنى تعدلوا عن الصراط المستقيم إلى الاعوجاج.

قوله: ﴿وَٱذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ﴾ ﴿إِذْ﴾ ظرف معمول لقوله: ﴿وَٱذْكُرُوا﴾ أي اذكروا وقت كونكم قليلاً إلخ، والمراد اذكروا تلك النعمة العظيمة. قوله: ﴿قَلِيلًا﴾ أي في العدة والعدد والضعف، وقوله: ﴿فَكَثَّرَكُمْ﴾ أي فزاد عددكم وقوتكم، فكانوا أغنياء أقوياء ذوي عدد كثير بوجود شعيب بينهم، ولذا لما فر موسى هارباً من فرعون، نزل عند شعيب فطمأنه وأمن روعه، قال تعالى حكاية عن شعيب: ﴿قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين﴾. قوله: ﴿عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ أي وأقربهم إليكم قوم لوط، فانظروا ما نزل بهم. قوله: ﴿وَطَائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا﴾ في الكلام الحذف من الثاني لدلالة الأول عليه، والتقدير وطائفة منكم لم يؤمنوا بالذي أرسلت به.

قوله: ﴿فَاصْبِرُوا﴾ يجوز أن يكون الضمير للمؤمنين من قومه، وأن يكون للكافرين منهم، وأن يكون للفريقين وهذا هو الظاهر، فأمر المؤمنين بالصبر ليحصل لهم الظفر والغلبة، والكافرين بالصبر لسوء عاقبة أمرهم، وهو نظير قوله تعالى: ﴿فتربصوا إنا معكم متربصون﴾. قوله: (وبينكم) لا حاجة له، لأن الضمير عائد على شعيب وعليهم، والمعنى حتى يقضي الله بين الفريقين المؤمنين والكفار. قوله: ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ التعبير باسم التفضيل، باعتبار أنه الحاكم حقيقة، وغيره حاكم مجازاً، ومن كان له

عن الإيمان ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ﴾ ترجعن ﴿فِى مِلَّتِنَا﴾ ديننا وغلبوا في الخطاب الجمع على الواحد لأن شعيباً لم يكن في ملتهم قط وعلى نحوه أجاب ﴿قَالَ أَ﴾ نعود فيها ﴿وَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾﴾ لها استفهام إنكار ﴿قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ﴾ ينبغي ﴿لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا﴾ ذلك فيخذلنا ﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا﴾ أي وسع علمه كل شيء ومنه حالي وحالكم ﴿عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ رَبَّنَا ٱفْتَحْ﴾ احكم ﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴿٨٩﴾﴾ الحاكمين ﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ﴾ أي قال بعضهم لبعض ﴿لَئِنِ﴾ لام قسم ﴿ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٩٠﴾﴾ ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ﴾ الزلزلة الشديدة ﴿فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩١﴾﴾ باركين

الحكم بالأصالة والحقيقة، خير ممن كان له الحكم مجازاً.

قوله: ﴿قَالَ الْمَلأُ﴾ أي جواباً لما قاله لهم. قوله: ﴿يَا شُعَيْبُ﴾ إنما وسطوا اسمه بين المعطوف والمعطوف عليه، زيادة في القباحة والشناعة منهم. قوله: **(وغلبوا في الخطاب الجمع على الواحد الخ)** جواب عما يقال: إن شعيباً لم يسبق له الدخول في ملتهم، وإنما حمل المفسر على هذا الجواب تفسيره العود بالرجوع، وقال بعضهم إن عاد تأتي بمعنى صار، وعلى هذا فلا إشكال ولا جواب. قوله: **(وعلى نحوه)** أي التغليب. قوله: ﴿أَ﴾ **(نعود فيها)** أشار بذلك إلى أن الهمزة داخلة على محذوف والواو عاطفة على ذلك المحذوف.

قوله: ﴿وَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ﴾ الهمزة لإنكار الوقوع، وكلمة: ﴿لَوْ﴾ في مثل هذا المقام، ليست لبيان انتفاء شيء في الزمن الماضي لانتفاء غيره فيه، بل هي لمجرد الربط والمبالغة في انتفاء العود، والمعنى لا تطمعوا في عودنا مختارين ولا مكرهين فتأمل. قوله: ﴿إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ﴾ شرط حذف جوابه لدلالة قوله قد افترينا عليه. قوله: ﴿وَمَا يَكُونُ لَنَا﴾ أي لا يصح ولا يليق لنا أن نعود فيها في حال من الأحوال، إلا في حال مشيئة الله لنا. قوله: ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا﴾ يصح أن يكون متصلاً، والمستثنى منه عموم الأحوال أو منقطعاً، وهذا الاستثناء محض رجوع إلى الله وتفويض الأمر إليه، وقد جازاهم الله بأن كفاهم شر أعدائهم، وأخذهم أخذ عزيز مقتدر. قوله: **(أي وسع علمه)** أشار بذلك إلى أن: ﴿عِلْماً﴾ تمييز محول عن الفاعل. قوله: ﴿وَبَيْنَ قَوْمِنَا﴾ أي الكفار، وإنما أعرض عن مكالمتهم ورجع لله متضرعاً لما ظهره له من شدة عنادهم وتعنتهم في كفرهم.

قوله: ﴿وَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الخ إنما قال بعضهم لبعض هذه المقالة، خوفاً على بعضهم من الميل لشعيب، حيث توعدوه بما تقدم، فلم يبال بهم. قوله: ﴿إِنَّكُمْ إِذاً لَخَاسِرُونَ﴾ أي في الدنيا بفوات ما يحصل لكم بالبخس والتطفيف، وجملة: ﴿إِنَّكُمْ إِذاً لَخَاسِرُونَ﴾ جواب القسم، وحذف جواب الشرط لدلالة جواب القسم عليه. قوله: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾ ذكر هنا وفي العنكبوت الرجفة، وذكر في سورة هود: ﴿وأخذ الذين ظلموا الصيحة﴾ أي صيحة جبريل عليهم من السماء، وجمع بينهما بأن الرجفة في المبدأ، والصيحة في الاثناء فتأمل، وأما أهل الأيكة فأهلكوا بالظلة، كما سيأتي في سورة الشعراء.

على الركب ميتين ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيۡبٗا﴾ مبتدأ خبره ﴿كَأَن﴾ مخففة واسمها محذوف أي كأنهم ﴿لَّمۡ يَغۡنَوۡاْ﴾ يقيموا ﴿فِيهَاۚ﴾ في ديارهم ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيۡبٗا كَانُواْ هُمُ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ ﴿٩٢﴾ التأكيد بإعادة الموصول وغيره للرد عليهم في قولهم السابق ﴿فَتَوَلَّىٰ﴾ أعرض ﴿عَنۡهُمۡ وَقَالَ يَٰقَوۡمِ لَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَنَصَحۡتُ لَكُمۡۖ﴾ فلم تؤمنوا ﴿فَكَيۡفَ ءَاسَىٰ﴾ أحزن ﴿عَلَىٰ قَوۡمٖ كَٰفِرِينَ﴾ ﴿٩٣﴾ استفهام بمعنى النفي ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّبِيٍّ﴾ فكذبوه ﴿إِلَّآ أَخَذۡنَآ﴾ عاقبنا ﴿أَهۡلَهَا بِٱلۡبَأۡسَآءِ﴾ شدة الفقر ﴿وَٱلضَّرَّآءِ﴾ المرض ﴿لَعَلَّهُمۡ يَضَّرَّعُونَ﴾ ﴿٩٤﴾ يتذللون فيؤمنون ﴿ثُمَّ بَدَّلۡنَا﴾ أعطيناهم ﴿مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ﴾ العذاب ﴿ٱلۡحَسَنَةَ﴾ الغنى والصحة ﴿حَتَّىٰ عَفَواْ﴾ كثروا ﴿وَّقَالُواْ﴾ كفراً للنعمة ﴿قَدۡ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ﴾ كما مسنا وهذه عادة الدهر وليست بعقوبة من الله فكونوا على ما أنتم عليه قال تعالى ﴿فَأَخَذۡنَٰهُم﴾ بالعذاب ﴿بَغۡتَةٗ﴾ فجأة ﴿وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾ ﴿٩٥﴾ بوقت مجيئه قبله ﴿وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ﴾ المكذبين ﴿ءَامَنُواْ﴾ بالله ورسلهم ﴿وَٱتَّقَوۡاْ﴾ الكفر والمعاصي ﴿لَفَتَحۡنَا﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ بالمطر ﴿وَٱلۡأَرۡضِ﴾ بالنبات ﴿وَلَٰكِن كَذَّبُواْ﴾

قوله: ﴿**كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا**﴾ أي كأنهم لم يلبثوا في ديارهم أصلاً لأنهم استؤصلوا بالمرة. قوله: (**وغيره**) أي وهو ضمير الفصل.

قوله: ﴿**وَقَالَ يَا قَوْمِ**﴾ ما تقدم من كون القول بعد هلاكهم أو قبله في قصة صالح يجري هنا. قوله: ﴿**فَكَيْفَ آسَى**﴾ أصله أأسى بهمزتين، قلبت الثانية ألفاً. قوله: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ**﴾ جملة مستأنفة قصد بها التعميم بعد ذكر بعض الأمم بالخصوص، وإنما خص ما تقدم بالذكر لمزيد تعنتهم وكفرهم. قوله: (**فكذبوه**) قدره إشارة إلى أن الكلام فيه حذف لأن قوله: ﴿**إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا**﴾ لا يترتب على الإرسال، وإنما يترتب على التكذيب. قوله: ﴿**لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ**﴾ أصله يتضرعون قلبت التاء ضاداً وأدغمت في الضاد، وإنما قرىء بالفك في الأنعام لأجل مناسبة الماضي في قوله تضرعوا بخلاف ما هنا، فجيء به على الأصل.

قوله: ﴿**ثُمَّ بَدَّلْنَا**﴾ أي استدراجاً لهم. قوله: (**العذاب**) أي الفقر والمرض. قوله: (**الغنى والصحة**) لف ونشر مرتب. قوله: (**كفراً للنعمة**) أي تكذيباً لأنبيائهم. قوله: (**وهذه عادة الدهر**) هذا من جملة مقولهم. قوله: (**فكونوا على ما أنتم عليه**) هذا من جملة قول بعضهم لبعض. قوله: ﴿**فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً**﴾ مرتب على قوله: ﴿**وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا**﴾ الخ. قوله: ﴿**وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ**﴾ أي لعدم تقدم أسبابه لهم، وهذه الآية بمعنى آية الأنعام، قال تعالى: ﴿فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء﴾ الآية.

قوله: ﴿**وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى**﴾ جمع قرية، والمراد جميع القرى المتقدم ذكرهم وغيرهم. قوله: (**ورسلهم**) أي أهل القرى، وفي نسخة ورسله أي الله. قوله: ﴿**وَاتَّقَوْا**﴾ عطف على: ﴿**آمَنُوا**﴾ عطف عام على خاص، لأن التقوى امتثال المأمورات، ومن جملتها الإيمان. قوله: (**بالتخفيف والتشديد**) أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: ﴿**بَرَكَاتٍ**﴾ جمع بركة، وهي زيادة الخير في الشيء. قوله: ﴿**وَلَكِنْ كَذَّبُوا**﴾

الرسل ﴿فَأَخَذْنَـٰهُم﴾ عاقبناهم ﴿بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾﴾ ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ﴾ المكذبون ﴿أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا﴾ عذابنا ﴿بَيَـٰتًا﴾ ليلاً ﴿وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾﴾ غافلون عنه ﴿أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى﴾ نهاراً ﴿وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾﴾ ﴿أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِ﴾ استدراجه إياهم بالنعمة وأخذهم بغتة ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾﴾ ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ﴾ يتبين ﴿لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ﴾ بالسكنى ﴿مِنۢ بَعْدِ﴾ هلاك ﴿أَهْلِهَآ أَن﴾ مخففة واسمها محذوف فاعل أي أنه ﴿لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَـٰهُم﴾ بالعذاب ﴿بِذُنُوبِهِمْ﴾ كما أصبنا من قبلهم والهمزة في المواضع الأربعة للتوبيخ والفاء والواو الداخلة عليها للعطف وفي قراءة بسكون الواو في الموضع الأول عطفاً بأو ﴿وَ﴾ نحن ﴿نَطْبَعُ﴾ نختم ﴿عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ الموعظة سماع تدبر ﴿تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ﴾ التي مر ذكرها ﴿نَقُصُّ عَلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿مِنْ أَنۢبَآئِهَا﴾ أخبار أهلها ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ﴾ المعجزات الظاهرات ﴿فَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ﴾ عند مجيئهم ﴿بِمَا كَذَّبُواْ﴾ كفروا به ﴿مِن قَبْلُ﴾ قبل مجيئهم بل استمروا على الكفر ﴿كَذَٰلِكَ﴾ الطبع ﴿يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿١٠١﴾﴾ ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم﴾ أي الناس ﴿مِّنْ عَهْدٍ﴾ أي وفاء بعهدهم يوم أخذ الميثاق ﴿وَإِن﴾ مخففة

أي لم يؤمنوا ولم يتقوا. قوله: ﴿بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ أي بسبب كسبهم من الكفر والمعاصي.

قوله: ﴿أَفَأَمِنَ﴾ الهمزة مقدمة من تأخير والفاء عاطفة على قوله: ﴿فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً﴾ وما بينهما اعتراض، وهذه طريقة الجمهور، وعند الزمخشري أن الهمزة داخلة على محذوف، وما بعدها معطوف على ذلك المحذوف، ولكنه في هذا الموضع وافق الجمهور في كشافه. قوله: ﴿بَيَاتاً﴾ حال من ﴿بَأْسُنَا﴾ وجملة ﴿وَهُمْ نَائِمُونَ﴾ حال من ضمير ﴿يَأْتِيَهُمْ﴾. قوله: ﴿وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ أي يشتغلون بما لا يعنيهم. قوله: ﴿مَكْرَ ٱللهِ﴾ المكر في الأصل الخديعة والحيلة، وذلك مستحيل على الله، وحينئذ فالمراد بالمكر أن يفعل بهم فعل الماكر، بأن يستدرجهم بالنعم أولاً ثم يأخذهم أخذ عزيز مقتدر.

قوله: ﴿لِلَّذِينَ يَرِثُونَ﴾ أي وهم كل قوم جاؤوا بعد هلاك من قبلهم، كعاد وثمود وقوم لوط وأصحاب مدين والأمة المحمدية، فإن كل فرقة من هؤلاء تبين لها الإصابة بذنوبهم، حيث شاء الله ذلك. قوله: (فاعل) أي المصدر المأخوذ منها ومن جواب لو هو الفاعل، والتقدير أو لم يتبين بالعذاب لو شئنا الإصابة. قوله: ﴿لَوْ نَشَاءُ﴾ أي إصابتهم، فمفعول نشاء محذوف. قوله: (في المواضع الأربعة) أي وأولها ﴿أو أمن أهل القرى﴾ وآخرها ﴿أَوْ لَمْ يَهْدِ﴾ فإنان بالفاء واثنان بالواو. قوله: (الداخلة) أي الهمزة، وقوله: (عليها) أي الفاء والواو. قوله: (في الموضع الأول) أي من موضعي الواو، وقوله: ﴿وَنَطْبَعُ﴾ قدر المفسر: (نحن) إشارة إلى أنه مستأنف منقطع عما قبله.

قوله: ﴿تِلْكَ ٱلْقُرَى نَقُصُّ﴾ اسم الإشارة مبتدأ، و ﴿ٱلْقُرَى﴾ بدل أو عطف بيان و ﴿نَقُصُّ﴾ خبره. قوله: (التي مر ذكرها) أي وهي قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وقوم شعيب. قوله: ﴿مِنْ أَنْبَائِهَا﴾ أي بعض أخبارها وما وقع لها. قوله: ﴿لِيُؤْمِنُوا﴾ اللازم زائدة لتوكيد النفي. قوله: (عند مجيئهم) أي الرسل. قوله: (قبل مجيئهم) أي بالمعجزات بعد إرسالهم للخلق. قوله: (أي للناس) أشار

﴿وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ ﴾ ﴿١٠٢﴾ . ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم﴾ أي الرسل المذكورين ﴿مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ التسع ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ﴾ قومه ﴿فَظَلَمُواْ﴾ كفروا ﴿بِهَا فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ ﴿١٠٣﴾ بالكفر من إهلاكهم ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرْعَوْنُ إِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ ﴿١٠٤﴾ إليك فكذبه فقال أنا ﴿حَقِيقٌ﴾ جدير ﴿عَلَىٰٓ أَن﴾ أي بأن ﴿لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾ وفي قراءة بتشديد الياء فحقيق مبتدأ خبره أن وما بعده ﴿قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِىَ﴾ إلى الشام ﴿بَنِىٓ

بذلك إلى أن هذه الجملة غير مرتبطة بما قبلها، ويصح أن الضمير عائد على الأمم، فيكون بينهما ارتباط.

قوله: ﴿**وَأَنْ وَجَدْنَا**﴾ أي علمنا، فأكثر مفعول أول، وفاسقين مفعول ثان، واللام فارقة، والمراد: ليظهر متعلقي علمنا للخلق على حد لنعلم أي الحزبين أحصى. قوله: ﴿**لَفَاسِقِينَ**﴾ أي خارجين عن طاعتنا بترك الوفاء بالعهد. قوله: (**أي الرسل المذكورين**) أي وهم نوح وهود وصالح ولوط وشعيب. قوله: ﴿**مُوسَى**﴾ وعاش مائة وعشرين سنة، وبينه وبين يوسف أربعمائة سنة، وبين موسى وإبراهيم سبعمائة سنة. قوله: (**التسع**) أي وهي: والعصا واليد البيضاء والسنون المجدبة والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمس، وكلها مذكورة في هذه السورة إلا الطمس ففي سورة يونس، قال تعالى: ﴿ربنا اطمس على أموالهم﴾. قوله: ﴿**إِلَى فِرْعَوْنَ**﴾ هذا لقبه، واسمه الوليد بن مصعب بن الريان، ففرعون في الأصل علم شخص، ثم صار لقباً لكل من ملك مصر في الجاهلية، وعاش من العمر ستمائة وعشرين سنة، ومدة ملكه أربعمائة سنة، لم ير مكروهاً قط، وكنيته أبو مرة، وقيل أبو العباس، وهو فرعون الثاني، وفرعون الأول أخوه، واسمه قابوس بن مصعب ملك العمالقة، وفرعون إبراهيم النمرود، وفرعون هذه الأمة أبو جهل.

قوله: ﴿**فَظَلَمُوا**﴾ ضمن ظلموا معنى كفروا فعداه بالباء ويصح أن تكون الباء سببية، والمفعول محذوف تقديره ظلموا أنفسهم بسببها، أي بسبب تكذيبهم بها. قوله: ﴿**كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ**﴾ كيف اسم استفهام خبر كان مقدم عليها وعاقبة اسمها وإنما قدم لأن الاستفهام له الصدارة. قوله: ﴿**وَقَالَ مُوسَى**﴾ تفصيل لما أجمل أولاً، لأن التفصيل بعد الإجمال أوقع في النفس، وهذا القول وما بعده، إنما وقع بعد كلام طويل، حكاه الله في سورة الشعراء بقوله تعالى: ﴿فائتينا فرعون فقولا إنا رسول رب العالمين﴾ الآيات، وقوله تعالى: ﴿قال فرعون وما رب العالمين﴾ الآيات، وفي طه أيضاً. قوله: (**فكذبه**) قدره إشارة إلى أن جملة: ﴿**حَقِيقٌ**﴾ مرتبة على محذوف.

قوله: ﴿**حَقِيقٌ**﴾ خبر لمحذوف قدره المفسر بقوله: (**أنا**). قوله: (**أي بأن**) أشار بذلك إلى أن: ﴿**عَلَى**﴾ بمعنى الباء. قوله: ﴿**إِلاَّ الْحَقَّ**﴾ مقول القول، وهو مفرد في معنى الجملة، ويصح أن يكون صفة لمصدر محذوف مفعول مطلق تقديره إلا القول الحق. قوله: (**وفي قراءة**) أي وهي سبعية أيضاً. قوله: (**مبتدأ**) أي وسوغ الابتداء به العمل في الجار والمجرور، فإن على متعلق بحقيق. قوله: ﴿**فَأَرْسِلْ مَعِيَ**﴾ (**إلى الشام**) أي وسبب سكناهم بمصر مع أن أصلهم من الشام، أن الأسباط أولاد يعقوب جاؤوا مصر لأخيهم يوسف، فمكثوا وتناسلوا في مصر، فلما ظهر فرعون استعبدهم واستعملهم في الأعمال الشاقة،

﴿إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ ﴿١٠٥﴾ وكان استعبدهم ﴿قَالَ﴾ فرعون له ﴿إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ﴾ على دعواك ﴿فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ ﴿١٠٦﴾ فيها ﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾ ﴿١٠٧﴾ حية عظيمة ﴿وَنَزَعَ يَدَهُۥ﴾ أخرجها من جيبه ﴿فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ﴾ ذات شعاع ﴿لِلنَّٰظِرِينَ﴾ ﴿١٠٨﴾ خلاف ما كانت عليه من الأدمة ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ﴾ ﴿١٠٩﴾ فائق في علم السحر وفي الشعراء أنه من قول فرعون نفسه فكأنهم قالوه معه على سبيل التشاور ﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ ﴿١١٠﴾ ﴿قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ﴾ أخر أمرهما ﴿وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ﴾ ﴿١١١﴾ جامعين ﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ﴾ وفي قراءة سحار ﴿عَلِيمٍ﴾ ﴿١١٢﴾ يفضل موسى في علم السحر فجمعوا ﴿وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓا۟ إِنَّ﴾ بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية وإدخال

فأحب موسى أن يخلصهم من ذلك الأسر. قوله: (استعبدهم) أي جعلهم عبيداً بسبب استخدامه إياهم.

قوله: ﴿إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ شرط حذف جوابه لدلالة ما قبله عليه. قوله: ﴿ثُعْبَانٌ مُبِينٌ﴾ الثعبان ذكر الحيات، وصفت هنا بكونها ثعباناً، وفي آية أخرى: ﴿كأنها جان﴾، والجان الحية الصغيرة، ووجه الجمع أنها كانت في العظم كالثعبان العظيم، وفي خفة الحركة كالحية الصغيرة. ورد أنه لما ألقى العصا، صارت حية عظيمة صفراء شقراء، فاتحة فمها، بين لحييها ثمانون ذراعاً، وارتفعت من الأرض، قدر ميل، وقامت على ذنبها واضعة لحيها الأسفل في الأرض، والأعلى على سور القصر، وتوجهت نحو فرعون لتأخذه، فوثب هارباً وأحدث، أي تغوط في ثيابه بحضرة قومه في ذلك اليوم أربعمائة مرة، واستمر معه هذا المرض، وهو الإسهال إلى أن غرق، مع كونه لا يتغوط إلا في كل أربعين يوماً مرة، وقيل إنها أدخلت قبة القصر بين أنيابها، وحملت على الناس فانهزموا، ومات منهم خمسة وعشرون ألفاً، ودخل فرعون البيت وصاح: يا موسى أنشدك بالذي أرسلك أن تأخذها، وأنا أؤمن بربك وأرسل معك بني إسرائيل، فأمسكها بيده فعادت كما كانت.

قوله: ﴿وَنَزَعَ يَدَهُ﴾ أي اليمنى. قوله: (ذات شعاع) أي نور يغلب على ضوء الشمس. قوله: (من الأدمة) أي السمرة. قوله: (وفي الشعراء أنه) أي هذا القول. قوله: (فكأنهم قالوه معه) هذا بيان لوجه الجمع بين ما هنا وبين ما يأتي في الشعراء. قوله: ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ يصح أن يكون من كلام فرعون ويكون معناه تشيرون، ويصح أن يكون من كلام الملأ له، والجمع للتعظيم على عادة خطاب الملوك، والأول أقرب. قوله: ﴿أَرْجِهْ﴾ فيه ست قراءات سبعية، ثلاثة مع الهمز، وهي كسر الهاء من غير إشباع وضمها مع الإشباع وعدمه، وثلاث من غير همز، وهي إسكان الهاء وكسرها بإشباع وبدونه.

قوله: ﴿وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ﴾ أي مدائن صعيد مصر، وكان رؤساء السحرة بأقصى صعيد مصر. قوله: (وفي قراءة سحار) أي بالامالة وتركها فتكون القراءات ثلاثاً وكلها سبعية. قوله: (فجمعوا) أي وكانوا اثنين وسبعين، وقيل اثنى عشر ألفاً، وقيل خمسة عشر ألفاً، وقيل سبعين ألفاً، وقيل ثمانين ألفاً، وقيل بضعاً وثمانين ألفاً. قوله: (بتحقيق الهمزتين الخ) كلامه يفيد أن هنا قراءتين فقط مع أنها أربع،

ألف بينهما على الوجهين ﴿ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴾ ١١٣ ﴿ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴾ ١١٤ ﴿ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ ﴾ عصاك ﴿ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ ﴾ ١١٥ ما معنا ﴿ قَالَ أَلْقُواْ ﴾ أمر للإذن بتقديم إلقائهم توصلاً به إلى إظهار الحق ﴿ فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ ﴾ حبالهم وعصيهم ﴿ سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ ﴾ صرفوها عن حقيقة إدراكها ﴿ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ ﴾ خوفوهم حيث خيلوها حيات تسعى ﴿ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴾ ١١٦ ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ ﴾ بحذف إحدى التاءين في الأصل تبتلع ﴿ مَا يَأْفِكُونَ ﴾ ١١٧ يقلبون بتمويههم ﴿ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ ﴾ ثبت وظهر ﴿ وَبَطَلَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ ١١٨ من السحر ﴿ فَغُلِبُواْ ﴾ أي فرعون وقومه ﴿ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُواْ

فكان عليه أن يقول: وإدخال ألف بينهما وتركه، وبقيت خامسة: وهي إن بهمزة واحدة. قوله: ﴿**قَالَ نَعَمْ**﴾ أي لكم الأجر. قوله: ﴿**وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ**﴾ أي في المنزلة عندي، بحيث تكونون أول من يدخل عندي وآخر من يخرج.

قوله: ﴿**قَالُوا يَا مُوسَى**﴾ الخ، إما أن يكون ذلك تأدباً من السحرة مع موسى، وقد جوزوا عليه بالإيمان والنجاة من النار، وإما أن يكون ذلك على عادة أهل الصنائع أو عدم مبالاة بموسى، لاعتمادهم على غلبتهم. قوله: ﴿**إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ**﴾ الخ، أن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مفعول لمحذوف تقديره اختر إما لقاءك. قوله: (**أمر للإذن**) جواب عما يقال كيف أمرهم بالسحر وأقرهم عليه؟ فأجاب بأن ذلك للتوصل إلى إظهار الحق. قوله: (**عن حقيقة إدراكها**) أي عن إدراك حقيقتها.

قوله: ﴿**بِسِحْرٍ عَظِيمٍ**﴾ أي عند السحر، وفي باب السحر، وإن كان حقيراً في نفسه، وذلك أنهم ألقوا حبالاً غلاظاً وأخشاباً طوالاً، وطلوا تلك الحبال بالزئبق، وجعلوا داخل تلك الأخشاب الزئبق أيضاً. فلما أثر فيها حر الشمس تحركت والتوى بعضها على بعض، حتى تخيل للناس أنها حيات، وكانت سعة الأرض ميلاً في ميل، وكانت الواقعة في اسكندرية، فلما ألقى موسى عصاه، بلغ ذنبها وراء البحر، ثم فتحت فاهاً ثمانين ذراعاً، فكانت تبتلع حبالهم وعصيهم واحداً واحداً، حتى ابتلعت الكل وقصدت القوم الذين حضروا ذلك المجتمع، ففزعوا ووقع الزحام، فمات منهم خمسة وعشرون ألفاً، ثم أخذها موسى فصارت في يده عصاً كما كانت، فلما رأى السحرة ذلك، عرفوا أنه أمر من السماء وليس بسحر، فخروا لله ساجدين، وقالوا: لو كان ما صنع موسى سحراً لبقيت حبالنا وعصينا، وكانت حمل ثلثمائة بعير، فعدمت بقدرة الله تعالى.

قوله: ﴿**وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى**﴾ أي بعد أن ألقى السحرة حبالهم وعصيهم، أوحى الله إلى موسى على لسان جبريل حيث قال له كما في سورة طه: ﴿قلنا لا تخف إنك أنت الأعلى﴾ الآية. قوله: ﴿**تَلْقَفُ**﴾ أي تأخذ وتبتلع بسرعة. قوله: (**في الأصل**) أي وأصلها تتلقف، حذفت إحدى التاءين تخفيفاً، وهذه قراءة الجمهور، وفي قراءة بإدغام التاء في التاء، وفي قراءة تلقف من لقف كعلم، فتكون القراءات ثلاثاً وكلها سبعية. قوله: ﴿**مَا يَأْفِكُونَ**﴾ أي يكذبون، فالإفك الكذب. قوله: (**بتمويههم**) أي تزيينهم الباطل بصورة الحق.

قوله: ﴿**وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ أي ظهر بطلانه. قوله: ﴿**هُنَالِكَ**﴾ أي في ذلك المكان وهو

صاغر ﴿١١٩﴾ صاروا ذليلين ﴿وَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَـٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾
رَبِّ مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ﴿١٢٢﴾ لعلمهم بأن ما شاهدوه من العصا لا يتأتى بالسحر ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ
ءَامَنتُم﴾ بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ألفاً ﴿بِهِۦ﴾ بموسى ﴿قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ﴾ أنا ﴿لَكُمْ إِنَّ هَـٰذَا﴾
الذي صنعتموه ﴿لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِي ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُواْ مِنْهَآ أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾ ما ينالكم مني
﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَـٰفٍ﴾ أي يد كل واحد اليمنى ورجله اليسرى ﴿ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ
أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾ قَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا﴾ بعد موتنا بأي وجه كان ﴿مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ راجعون في الآخرة
﴿وَمَا تَنقِمُ﴾ تنكر ﴿مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَـٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا﴾ عند فعل ما توعده
بنا لئلا نرجع كفاراً ﴿وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ﴾ له ﴿أَتَذَرُ﴾ تترك

اسكندرية. قوله: ﴿انْقَلَبُوا صَاغِرِينَ﴾ أي فرعون وقومه غير السحرة، فإنه لم يصبهم صغار، بل أصابهم العز الأبدي بإيمانهم بالله وحده. قوله: ﴿سَاجِدِينَ﴾ حال من السحرة، وقوله: ﴿قَالُوا آمَنَّا﴾ في موضع الحال من الضمير في **ساجدين**، والتقدير قائلين في حال سجودهم: ﴿آمَنَّا﴾ الخ.

قوله: ﴿رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾ بدل من رب العالمين، أو عطف بيان، أو نعت جيء به، لدفع إيهام فرعون الناس أنه رب العالمين، حيث قال للسحرة: إياي تعنون، فدفعوا ذلك بقولهم: ﴿رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾. قوله: **(بتحقيق الهمزتين)** أي همزة الاستفهام والهمزة الزائدة في الفعل، وقوله: **(وإبدال الثانية)** أي في الفعل وإن كانت ثالثة فهي فاء الكلمة، وفي قراءة سبعية أيضاً بحذف همزة الاستفهام، وفي قراءة بتحقيق الأولى وتسهيل الثانية، وإبدال الثالثة ألفاً، وفي قراءة بقلب الأولى واواً في الوصل، وتسهيل الثانية، وقلب الثالثة ألفاً، فالقراءات أربعة وكلها سبعية.

قوله: ﴿قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ﴾ أصله أأذن، أبدلت الثانية ألفاً على القاعدة المشهورة، والمعنى أحصل منكم الإيمان **قبل** حصول الإذن مني؟ لا يليق منكم ذلك، والفعل مضارع منصوب بأن. قوله: ﴿إِنَّ هٰذَا لَمَكْرٌ﴾ أي حيلة وخديعة. قوله: ﴿مَكَرْتُمُوهُ﴾ أي تواطأتم عليه قبل مجيئكم إلينا، وقصد بذلك اللعين، تثبيت القبط بهاتين الشبهتين اللتين ألقاهما عليهم وهما قوله: ﴿إِنَّ هٰذَا لَمَكْرٌ﴾، وقوله: ﴿لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا﴾. قوله: **(ما ينالكم مني)** قدره إشارة إلى أن مفعول: ﴿تَعْلَمُونَ﴾ محذوف. قوله: ﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ﴾ هذا بيان لوعيده الذي توعدهم به، وهل فعل ما توعدهم به أو لا؟ خلاف، بل قال بعضهم إنه لم يفعل بدليل قوله تعالى: ﴿أنتما ومن اتبعكما الغالبون﴾، قوله: ﴿مِنْ خِلَافٍ﴾ الجار والمجرور في محل نصب على الحال أي مختلفة. قوله: **(بأي وجه كان)** أي سواء كان بقتلك أو لا، وفي آية طه: ﴿وإنما تقضي هذه الحياة الدنيا﴾.

قوله: ﴿وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا﴾ أي تكره منا فقوله: ﴿إِلَّا أَنْ آمَنَّا﴾ أن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مفعول به لتنقم، والمعنى وما تكره منا إلا إيماننا، ويصح أن يكون المعنى: وما تعذبنا بشيء من الأشياء إلا لأجل إيماننا، فيكون مفعولاً لأجله. قوله: ﴿لَمَّا جَاءَتْنَا﴾ أي حين أتتنا من عنده. قوله: **(عند فعل ما توعده بنا)** أي ما توعدنا به وهو القطع من خلاف والتصليب، ففي العبارة قلب. قوله: **(نرجع كفاراً)** علة لقوله: ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً﴾. قوله: ﴿وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ أي ثابتين على الدين الحق غير مغيرين

﴿ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ بالدعاء إلى مخالفتك ﴿ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ﴾ وكان صنع لهم أصناماً صغاراً يعبدونها وقال أنا ربكم وربها ولذا قال أنا ربكم الأعلى ﴿ قَالَ سَنُقَتِّلُ ﴾ بالتشديد والتخفيف ﴿ أَبْنَآءَهُمْ ﴾ المولودين ﴿ وَنَسْتَحْيِۦ ﴾ نستبقي ﴿ نِسَآءَهُمْ ﴾ كفعلنا بهم من قبل ﴿ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴾ ﴿١٢٧﴾ قادرون ففعلوا بهم ذلك فشكا بنو إسرائيل ﴿ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا ﴾ على أذاهم ﴿ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا ﴾ يعطيها ﴿ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَٱلْعَٰقِبَةُ ﴾ المحمودة ﴿ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ ﴿١٢٨﴾ الله ﴿ قَالُوٓا أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ ﴿١٢٩﴾ فيها ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ ﴾ بالقحط ﴿ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾ ﴿١٣٠﴾ يتعظون فيؤمنون ﴿ فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ ﴾ الخصب والغنى ﴿ قَالُوا لَنَا هَٰذِهِۦ ﴾ أي نستحقها ولم يشكروا عليها ﴿ وَإِن تُصِبْهُمْ

ولا مبدلين.

قوله: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ﴾ أي المصرون على الكفر، فإنه حين آمنت به السحرة، آمن من بني إسرائيل ستمائة ألف. قوله: ﴿وَيَذَرَكَ﴾ معطوف على: ﴿لِيُفْسِدُوا﴾ والمعنى أتترك موسى وقومه ليفسدوا في الأرض وليتركك وآلهتك، والاستفهام إنكاري، والمعنى لا يليق ذلك. قوله: ﴿وَآلِهَتَكَ﴾ بالجمع في قراءة الجمهور، لأنه جعل آلهة يعبدها قومه، وجعل نفسه هو الإله الأعلى، قال تعالى: ﴿فحشر فنادى فقال أنا ربكم الأعلى﴾ وقرىء شذوذاً وآلهتك بتاء التأنيث، لأنه كان يعبد الشمس. قوله: **(أصناماً صغاراً)** أي على صورة الكواكب. قوله: **(بالتشديد والتخفيف)** أي فيهما قراءتان سبعيتان. قوله: **(المولودين)** أي الصغار. قوله: ﴿وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ﴾ أي للخدمة. قوله: **(من قبل)** أي قبل مولد موسى.

قوله: ﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ﴾ أي تسلية لهم. قوله: ﴿ٱسْتَعِينُوا بِاللَّهِ﴾ أي اطلبوا الإعانة منه سبحانه. قوله: ﴿يُورِثُهَا﴾ الجملة حالية من لفظ الجلالة، وقوله: ﴿مَنْ يَشَاءُ﴾ مفعول ثان، والمفعول الأول الهاء. قوله: ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ **(الله)** قدره إشارة إلى أن مفعول المتقين محذوف. قوله: ﴿قَالُوا أُوذِينَا﴾ أي بالقتل للأولاد واستبقاء النساء للخدمة. قوله: ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا﴾ أي بالرسالة، وكان فرعون يستعملهم في الأعمال الشاقة نصف النهار، فلما بعث موسى وجرى بينهم ما جرى، استعملهم جميع النهار، وأعاد القتل فيهم. قوله: ﴿كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ **(فيها)** أي من الإصلاح والإفساد.

قوله: ﴿وَلَقَدْ﴾ اللام موطئة لقسم محذوف تقديره والله لقد أخذنا أي ابتلينا، وهذا شروع في تفصيل مبادي هلاك فرعون وقومه لتكذيبهم بالآيات البينات. قوله: ﴿بِالسِّنِينَ﴾ جمع سنة، ومن المعلوم أنه يجري مثل جمع المذكر السالم في إعرابه بالواو رفعاً، وبالياء نصباً وجراً، وتحذف نونه للإضافة، ففي الحديث: «اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف» ويقل إعرابه كحين. قوله: **(بالقحط)** أي احتباس المطر. قوله: ﴿وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ أي إتلافها بالآفات.

قوله: ﴿فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ﴾ أشار بذلك إلى أنهم باقون في غيهم وضلالهم، لم يتعظوا ولم

﴿سَيِّئَةٌ﴾ جدب وبلاء ﴿يَطَّيَّرُواْ﴾ يتشاءموا ﴿بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ﴾ من المؤمنين ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ﴾ شؤمهم ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ يأتيهم بـه ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿١٣١﴾ أن ما يصيبهم من عنـده ﴿وَقَالُواْ﴾ لموسى ﴿مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿١٣٢﴾ فـدعا عليهم ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ﴾ وهـو ماء دخـل بيوتهم ووصـل إلى حلوق الجالسـين سبعة أيـام

ينزجروا عما هم عليه. قوله: **(أي نستحقها)** أي بحولنا وقوتنا. قوله: **﴿يَطَّيَّرُوا﴾** أصله يتطيروا، أدغمت التاء في الطاء، والتطير في الأصل: أن يفرق الشيء بين القوم ويطير لكل واحد ما يخصه، فيشمل النصيب الحسن السيىء، ثم غلب على الحظ، والنصيب السيىء والحكمة في التعبير في جانب الحسنة بـإذا المفيـدة للتحقيق، وتعريفها في جانب السيئة بأن المفيدة للشك، وتنكيرها الإشارة إلى أن رحمة الله تغلب غضبه، وأنها صادرة منه سبحانه وتعالى، وإن لم يتأهل لها العبد، بخلاف السيئة فصدورها منه نادر ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون.

قوله: **﴿أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ﴾** ألا أداة استفتاح يؤتى بها اعتناء بما بعدها للرد عليهم. قوله: **(شؤمهم)** أي عذابهم الذي تشاءموا به. قوله: **﴿عِنْدَ اللهِ﴾** أي لا عند موسى، فليس له مدخل في إيجاد ذلك. قوله: **(يأتيهم به)** أي جزاء لأعمالهم السيئة. قوله: **﴿وَلٰكِنَّ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾** يفيد أن الأقل يعلم أن فرعون كاذب وموسى صادق، وإنما كفرهم محض عناد. قوله: **﴿قَالُوا﴾** أي فرعون وقومه. قوله: **﴿مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ﴾** الخ. مهما اسم شرط جازم، وتأت فعل الشرط مجزوم بحذف الياء والكسرة دليل عليها، ونا مفعول و **﴿مِنْ آيَةٍ﴾** بيان لمهما، وبه متعلق بتأت، وضميرها راجع لمهما، و **﴿لِتَسْحَرَنَا﴾** متعلق بتـأتنا و **﴿بِهَا﴾** متعلق **﴿بِتَسْحَرَنَا﴾**، وقوله: **﴿فَمَا﴾** الفاء واقعة في جواب الشرط، وما نافية و **﴿نَحْنُ﴾** مبتدأ و **﴿بِمُؤْمِنِينَ﴾** خبر مرفوع بواو مقدرة، منع من ظهورها اشتغال المحل بالفاء التي جلبها حرف الجـر الزائد، والجملة في محل جزم جواب الشرط. قوله: **(فدعا عليهم)** قال سعيد بن جبير: لما آمنت السحرة ورجع فرعون مغلوباً، أبى هو وقومه إلا الإقامة على الكفر والتمادي على الشر، فتابع الله عليهم الآيات، فأخذهم الله أولاً بالسنين وهو القحط ونقص الثمرات، وأراهم قبل ذلك من المعجزات اليد والعصا فلم يؤمنوا، فدعا عليهم موسى وقال: يا رب إن عبدك فرعون علا في الأرض وبغى وعتا، وإن قومه قد نقضوا العهد، فخذهم بعقوبة تجعلها عليهم نقمة، ولقومي عظة، ولمن بعدهم آية وعبرة، ففعل الله بهم ما سيذكر.

قوله: **﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ﴾** أي ماء من السماء، والحال أن بيوت القبط مشتبكة ببيوت بني إسرائيل، فامتلأت بيوت القبط، حتى قاموا في الماء إلى تراقيهم، ومن جلس منهم غرق، ولم يدخل من ذلك الماء في بيوت بني إسرائيل شيء، وركب ذلك الماء على أرضهم فلم يقدروا على الحرث، ودام عليهم سبعة أيام من السبت إلى السبت، فاستغاثوا بموسى، فـأزال الله عنهم المطر، وأرسـل الريـح فجففت الأرض، وخرج من النبات ما لم ير مثله قط، فقالوا هذا الذي جزعنا منه خير لـنا لكـنا لم نشعر، فلا والله لا نؤمن بك ولا نرسل معك بني إسرائيل، فأقاموا شهراً في عافية. قوله: **(إلى حلوق الجالسين)** في كلام غيره إلى حلوق القائمين، ومن جلس غرق كما علمت.

﴿وَٱلْجَرَادَ﴾ فأكل زرعهم وثمارهم كذلك ﴿وَٱلْقُمَّلَ﴾ السوس أو هو نوع من القراد فتتبع ما تركه الجراد ﴿وَٱلضَّفَادِعَ﴾ فملأت بيوتهم وطعامهم ﴿وَٱلدَّمَ﴾ في مياههم ﴿ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ﴾ مبينات ﴿فَٱسْتَكْبَرُوا۟﴾ عن الإيمان بها ﴿وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ۝١٣٣﴾ ﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ﴾ العذاب ﴿قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ﴾ من كشف العذاب عنا إن آمنا ﴿لَئِن﴾ لام قسم ﴿كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ۝١٣٤﴾ ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا﴾ بدعاء موسى

قوله: ﴿وَالْجَرَادَ﴾ أي واستمر من السبت إلى السبت، يأكل زروعهم وثمارهم وأوراق أشجارهم، وابتلى الجراد بالجوع فكانت لا تشبع ولم تصب بني إسرائيل، فعظم الأمر عليهم، فضجوا من ذلك وقالوا: يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك، لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك، ولنرسلن معك بني إسرائيل، فأشار موسى بعصاه نحو المشرق والمغرب، فرجعت الجراد من حيث جاءت، فأقاموا شهراً في عافية، ثم رجعوا إلى أعمالهم الخبيثة. قوله: ﴿وَالْقُمَّلَ﴾ مشى المفسر على أنه السوس أو نوع من القراد، وقيل إنه القمل المعروف بدليل قراءة الحسن، والقمل بفتح القاف وسكون الميم، وقيل هو البراغيث، فأكل ما أبقاه الجراد، وكان يدخل بين ثوب أحدهم وجلده فيمصه، وكان أحدهم يأكل الطعام فيمتلىء قملاً، فاستمر ذلك سبعة أيام من السبت إلى السبت، فضجوا واستغاثوا فرفع عنهم، ثم أقاموا شهراً في عافية، ثم رجعوا لأخبث ما كانوا عليه.

قوله: ﴿وَالضَّفَادِعَ﴾ جمع ضفدع كدرهم وزبرج. قوله: (فملأت بيوتهم وطعامهم) أي وكان الواحد منهم يجلس في الضفادع إلى رقبته ويهم أن يتكلم فيثب الضفدع في فيه، وكان يملأ قدورهم ويطفىء نيرانهم، وكان أحدهم يضطجع فيركبه الضفدع فيكون عليه ركاماً حتى لا يستطيع أن ينقلب إلى شقه الآخر، ورد أن الضفادع كانت برية، فلما أرسلها الله سمعت وأطاعت، فجعلت تلقي نفسها في القدور وهي تغلي، وفي التنانير وهي تفور، فأثابها الله بحسن طاعتها برد الماء، فصارت من حينها تسكن الماء، ثم ضجوا وشكوا لموسى وقالوا ارحمنا هذه المرة، فما بقي إلا أن نتوب ولا نعود بعد ما أقامت عليهم سبعة أيام، من السبت إلى السبت، فدعا الله موسى فكشف الله عنهم ذلك، واستمروا شهراً في عافية ثم عادوا.

قوله: ﴿وَالدَّمَ﴾ أي وكان أحمر خالصاً، فصارت مياههم كلها دماً، فما يستقون من بئر ولا نهر إلا وجدوه دماً، فأجهدهم العطش جداً، حتى أن القبطية تأتي للمرأة من بني إسرائيل فتقول لها اسقيني من مائك، فتصب لها من قربتها فيعود في الإناء دماً، حتى كانت القبطية تقول للاسرائيلية اجعليه في فيك ثم مجيه في فيّ، فتأخذه في فيها ماء، وإذا مجته فيها صار دماً، واعترى فرعون العطش، حتى إنه ليضطر إلى مضغ الأحجار الرطبة، فإذا مضغها صار دماً، فمكثوا على ذلك سبعة أيام، من السبت إلى السبت، فشكوا لموسى فكشف عنهم.

قوله: ﴿آيَاتٍ﴾ حال من الخمسة المذكورة. قوله: ﴿مُفَصَّلَاتٍ﴾ أي مفرقات، فكانت كل واحدة تمكث سبعة أيام، وبين كل واحدة وأخرى شهراً. قوله: ﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ هٰذَا﴾ موزع على الخمسة، فكانوا كلما ضجوا قالوا هذه المقالة. قوله: (من كشف العذاب) بيان لما. قوله: ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا﴾

﴿ عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴾ ﴿١٣٥﴾ ينقضون عهدهم ويصرون على كفرهم ﴿فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ ﴾ البحر الملح ﴿ بِأَنَّهُمْ ﴾ بسبب أنهم ﴿ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴾ ﴿١٣٦﴾ لا يتدبرونها ﴿ وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ ﴾ بالاستعباد وهم بنو إسرائيل ﴿ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ﴾ بالماء والشجر صفة لـلأرض وهي الشام ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ وهي قوله ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض الخ ﴿ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ ﴾ على أذى عدوهم ﴿ وَدَمَّرْنَا ﴾ أهلكنا ﴿مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ ﴾ من العمارة ﴿وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ ﴾ ﴿١٣٧﴾ بكسر الراء وضمها يرفعون من البنيان ﴿ وَجَٰوَزْنَا ﴾ عبرنا ﴿ بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ ﴾ فمروا ﴿ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ ﴾ بضم الكاف وكسرها ﴿ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ﴾ يقيمون على عبادتها ﴿ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا ﴾ صنماً نعبده ﴿ كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ

أي في كل واحدة من الخمس. قوله: ﴿إِلَى أَجَلٍ هُمْ بَالِغُوهُ﴾ أي وهو وقت إغراقهم. قوله: ﴿فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ أي أردنا الانتقام منهم، لأن الانتقام هو الإغراق، فلا يحسن دخول الفاء بينهما.

قوله: ﴿مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا﴾ أي نواحيها وجميع جهاتها. قوله: **(صفة للأرض)** فيه أنه يلزم عليه الفصل بين الصفة والموصوف بالمعطوف وهو أجنبي، والأولى أن يكون صفة للمشارق والمغارب. قوله: **(وهو الشام)** الحامل له على هذا التفسير قوله تعالى: ﴿التي باركنا فيها﴾ وهذا الوصف لا يعين هذا المعنى، بل يمكن تفسير الأرض بأرض مصر كما هو السياق، وقد بارك الله فيها بالنيل وغيره، ويؤيده قوله تعالى: ﴿كم تركوا من جنات وعيون﴾ إلى أن قال: ﴿كذلك وأورثناها قوماً آخرين﴾ وكذلك آية الشعراء، وقد اختار ما قلناه جملة من المفسرين، وقال بعضهم: المراد بمشارق الأرض الشام، ومغاربها مصر، فإنهم ورثوا العمالقة في الشام، وورثوا الفراعنة في مصر. قوله: ﴿كَلِمَتُ﴾ ترسم هذه بالتاء المجرورة لا غير وما عداها في القرآن بالهاء على الأصل. قوله: ﴿بِمَا صَبَرُوا﴾ أي بسبب صبرهم.

قوله: ﴿وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ﴾ أي أهلكنا وخربنا الذي كان يصنعه فرعون وقومه. قوله: ﴿وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾ هذا آخر قصة فرعون وقومه. قوله: **(بكسر الراء وضمها)** قراءتان سبعيتان. قوله: **(من البنيان)** أي كصرح هامان وغيره من جميع ما أسسوه بأرض مصر. قوله: ﴿وَجَاوَزْنَا﴾ شروع في قصة بني إسرائيل، وما وقع من كفر النعمة والقبائح، والمقصود من ذلك تسلية النبي ﷺ وتخويف أمته من أن يفعلوا مثل فعلهم. قوله: **(عبرنا)** العبر هو الانتقال من جانب لآخر، لانتقالهم من الجانب الشرقي للغربي. قوله: **(بضم الكاف وكسرها)** أي من بابي نصر وضرب، وهما قراءتان سبعيتان.

قوله: ﴿عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ﴾ قيل هي حجارة على صور البقر، وقيل بقر حقيقة، وكان هؤلاء القوم العاكفون من الكنعانيين الذين أمر موسى بقتالهم بعد ذلك. قوله: ﴿قَالُوا يَا مُوسَى﴾ القائل بعضهم لا جميعهم. قوله: ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهاً﴾ قيل إنهم مرتدون بهذه المقالة لقصدهم بذلك عبادة الصنم حقيقة، وقيل ليسوا مرتدين، بل هم جاهلون جهلاً مركباً، لاعتقادهم أن عبادة الصنم بقصد التقرب إلى الله

﴿تَجۡهَلُونَ﴾ ﴿١٣٨﴾ حيث قابلتم نعمة الله عليكم بما قلتموه ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٞ﴾ هالك ﴿مَّا هُمۡ فِيهِ وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ ﴿١٣٩﴾ ﴿قَالَ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡغِيكُمۡ إِلَٰهٗا﴾ معبوداً وأصله أبغي لكم ﴿وَهُوَ فَضَّلَكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ ﴿١٤٠﴾ في زمانكم بما ذكره في قوله ﴿وَ﴾ اذكروا ﴿إِذۡ أَنجَيۡنَٰكُم﴾ وفي قراءة أنجاكم ﴿مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَسُومُونَكُمۡ﴾ يكلفونكم ويذيقونكم ﴿سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ﴾ أشده وهم ﴿يُقَتِّلُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ وَيَسۡتَحۡيُونَ﴾ يستبقون ﴿نِسَآءَكُمۡۚ وَفِي ذَٰلِكُم﴾ الانجاء أو العذاب ﴿بَلَآءٞ﴾ إنعام أو ابتلاء ﴿مِّن رَّبِّكُمۡ عَظِيمٞ﴾ ﴿١٤١﴾ أفلا تتعظون فتنتهون عما قلتم ﴿وَوَٰعَدۡنَا﴾ بألف ودونها ﴿مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيۡلَةٗ﴾ نكلمه عند انتهائها بأن يصومها وهي ذو القعدة فصامها فلما تمت أنكر

تعالى لا تضرهم في الدين، وعلى كل فهذه المقالة في شرعنا ردة، والجار والمجرور مفعول ثان، والهاء مفعول أول، وقوله: ﴿كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ صفة لإلهاً، وما اسم موصول، ولهم صلتها، وآلهة بدل الضمير المستتر في لهم، والتقدير اجعل إلهاً لنا كالذي استقر لهم الذي هو آلهة. قوله: ﴿إِنَّ هٰؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَا هُمْ فِيهِ﴾ جملة مستأنفة قصد بها توبيخهم وزجرهم. قوله: ﴿مَا هُمْ فِيهِ﴾ أي من الدين الباطل، وهو عبادة الأصنام.

قوله: ﴿قَالَ أَغَيْرَ آللهِ﴾ الاستفهام للانكار والتوبيخ. قوله: ﴿أَبْغِيكُمْ﴾ أي أطلب واقصد لكم. قوله: (وأصله أبغي لكم) أي فحذف الجار فاتصل الضمير. قوله: ﴿وَهُوَ فَضَّلَكُمْ﴾ الجملة حالية من لفظ الجلالة. قوله: (في زمانكم) أي بإنجائكم وإغراق عدوكم، وإنزال المن والسلوى عليكم، وليس تفضيلهم على جميع العالمين، فإن أمة محمد ﷺ أفضل من جميع الأمم. قوله: ﴿وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ﴾ هذا من كلام موسى، فإسناد الإنجاء إليه مجاز، لكونه على يده وسبباً فيه حيث ضرب بعصاه البحر فانفلق. قوله: (وفي قراءة أنجاكم) أي وهي ظاهرة، فإن الفاعل ضمير عائد على الله، وهما قراءتان سبعيتان. قوله: ﴿يَسُومُونَكُمْ﴾ من السوم وهو الآذاقة.

قوله: ﴿يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءَكُمْ﴾ قدر المفسر (هم) إشارة إلى أن يقتلون بيان ليسومونكم. قوله: ﴿وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾ أي لخدمتهم. قوله: (الانجاء أو العذاب) أشار بذلك إلى اسم الإشارة يصح عوده على الإنجاء ومعنى كونه بلاء أنه يختبرهم هل يشكرون فيؤجروا، أو يكفرون فيعاقبوا، وعوده على العذاب ظاهر، فالابتلاء كما يكون في الشر، يكون في الخير، قال تعالى: ﴿ونبلوكم بالشر والخير فتنة﴾ فالشكر على النعمة موجب لزيادتها كما أن الصبر على البلايا، موجب لرضا الله، قال تعالى: ﴿وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا اليه راجعون﴾. قوله: (بألف ودونها) أي فهما قراءتان سبعيتان، فعلى الألف من المواعدة، وهي مفاعلة من الجانبين، فمن الله الأمر، ومن العبد القبول، وعلى حذف الألف، فالوعد من الله لا غير وهو ظاهر.

قوله: ﴿ثَلَاثِينَ لَيْلَةً﴾ إنما عبر بالليالي دون الأيام، مع أن الصيام في الأيام، لأن موسى كان صائماً تلك المدة ليلاً ونهاراً مواصلاً وحرمة الوصال على غير الأنبياء، فعبر بالليالي لدفع توهم اقتصاره على صوم النهار فقط، قال المفسرون إن موسى عليه الصلاة والسلام وعد بني إسرائيل إذا أهلك الله تعالى عدوهم

خلوف فمه فاستاك فأمره الله بعشرة أخرى ليكلمه بخلوف فمه كما قال تعالى ﴿وَأَتۡمَمۡنَٰهَا بِعَشۡرٖ﴾ من ذي الحجة ﴿فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ﴾ وقت وعده بكلامه إياه ﴿أَرۡبَعِينَ﴾ حال ﴿لَيۡلَةٗۚ﴾ تمييز ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ﴾ عند ذهابه إلى الجبل للمناجاة ﴿ٱخۡلُفۡنِي﴾ كن خليفتي ﴿فِي قَوۡمِي وَأَصۡلِحۡ﴾ أمرهم ﴿وَلَا تَتَّبِعۡ سَبِيلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ ﴿١٤٢﴾ بموافقتهم على المعاصي ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا﴾ أي للوقت الذي وعدناه بالكلام فيه ﴿وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ بلا واسطة كلاماً سمعه من كل جهة ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ﴾ نفسك ﴿أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي﴾ أي لا تقدر على رؤيتي والتعبير به دون لن أرى يفيد

فرعون، أن يأتيهم بكتاب من عند الله فيه بيان ما يأتون وما يذرون، فلما أهلك الله فرعون، سأل موسى ربه أن ينزل عليه الكتاب الذي وعد به بني إسرائيل، فأمره أن يصوم ثلاثين يوماً فصامها، فلما تمت أنكر خلوف فمه، فاستاك بعود خرنوب، وقيل أكل من ورق الشجر، فقالت الملائكة كنا نشم من فيك رائحة المسك فأفسدته بالسواك، فأمره الله أن يصوم عشر ذي الحجة، فكان فتنة بني إسرائيل في تلك العشر قوله: (أنكر خلوف فمه) أي كره رائحة فمه من أثر الصوم، وهو بضم الخاء واللام معنا والرائحة. قوله: ﴿وَأَتْمَمْنَاهَا﴾ أي المواعدة المأخوذة من قوله: ﴿وَوَاعَدْنَا﴾. قوله: ﴿أَرْبَعِينَ﴾ (حال) أي من ميقات.

قوله: ﴿وَقَالَ مُوسَى﴾ الواو لا تقتضي ترتيباً ولا تعقيباً، لأن تلك الوصية كانت قبل ذهابه وصيامه. قوله: ﴿وَأَصْلِحْ﴾ (أمرهم) أي أمر بني إسرائيل ولا تغفل عنهم. قوله: ﴿لَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا﴾ قال أهل التفسير: لما جاء موسى لميقات ربه، تطهر طهر ثيابه وصام، ثم أتى طور سيناء، فأنزل الله ظلة غشيت الجبل على أربع فراسخ من كل ناحية، وطرد عنه الشيطان وهو أم الأرض، ونحى عنه المكلفين، وكشط له السماء، فرأى الملائكة قياماً في الهواء، ورأى العرش بارزاً، وأدناه ربه حتى سمع صريف الأقلام على الألواح وكلمه وكان جبريل معه، فلم يسمع ذلك الكلام، فاستحلى موسى كلام ربه، فاشتاق إلى رؤيته، فقال: ﴿رَبِّ أَرِنِي﴾ الخ. قوله: (أي للوقت) أي وكان يوم الخميس يوم عرفة، فكلمه الله فيه وأعطاه التوراة صبيحة يوم الجمعة يوم النحر. قوله: ﴿وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ أي أزال الحجاب عنه، حتى سمع كلامه بجميع أجزائه من جميع جهاته، لا أن الله أنشأ له الكلام، لأن الله سبحانه وتعالى دائماً متكلم يستحيل عليه السكوت والآفة، ولم يصل لنا معنى ما فهمه موسى من تلك المكالمة.

قوله: ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِي﴾ لما سمع الكلام هام واشتاق إلى رؤية الذات، فسأل الله أن يزيل عنه حجاب البصر، كما أزال الله عنه حجاب السمع، إذ لا فرق بين الحاستين، فقد سأل جائزاً لأن كل من جاز سماع كلامه جازت رؤية ذاته. قوله: (نفسك) قدره إشارة إلى أن مفعول أرني محذوف. قوله: ﴿أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾ جواب الشرط، ولا يقال إن الشرط قد اتحد مع الجواب، لأن المعنى هيئني لرؤيتك ومكني منها، فإن تفعل بي ذلك أنظر إليك. قوله: ﴿لَنْ تَرَانِي﴾ أي لا طاقة لك على رؤيتي في الدنيا، وهذا لا يقتضي أنها مستحيلة عقلاً، وإلا لما علقت على جائز وهو استقرار الجبل.

إمكان رؤيته تعالى ﴿وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ﴾ الذي هو أقوى منك ﴿فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ﴾ ثبت ﴿مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى﴾ أي تثبت لرؤيتي وإلا فلا طاقة لك ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ﴾ أي ظهر من نوره قدر نصف أنمله الخنصر كما في حديث صححه الحاكم ﴿لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾ بالقصر والمد أي مدكوكاً مستوياً بالأرض ﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾ مغشياً عليه لهول ما رأى ﴿فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ﴾ تنزيهاً لك ﴿تُبْتُ إِلَيْكَ﴾ من سؤال ما لم أومر به ﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾﴾ في زماني ﴿قَالَ﴾ تعالى ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ﴾ اخترتك ﴿عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ أهل زمانك ﴿بِرِسَٰلَٰتِى﴾ بالجمع والإفراد ﴿وَبِكَلَٰمِى﴾ أي تكليمي إياك ﴿فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ﴾ من الفضل ﴿وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ لأنعمي ﴿وَكَتَبْنَا

قوله: ﴿**وَلٰكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ**﴾ هذا من تنزلات الحق لموسى، وتسلية له على ما فاته من الرؤية، وهذا الجبل كان أعظم الجبال واسمه زبير. قوله: (**الذي هو أقوى منك**) أي فحجبه عن الرؤية رحمة به، لعدم طاقة الجبل على ذلك فضلاً عن موسى. قوله: (**أي ظهر من نوره**) أي نور جلال عرشه، وفي رواية أمر الله الملائكة السماوات السبع بحمل عرشه، فلما بدا نور عرشه، انصدع الجبل من عظمة الرب سبحانه وتعالى. قوله: (**نصف أنملة الخنصر**) وفي رواية منخر الثور، وفي رواية قدر سم الخياط، وفي رواية قدر الدرهم. قوله: (**بالقصر والمد**) أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: (**مستويا بالأرض**) أي بعد أن كان علياً مرتفعاً، وقيل تفرق ستة أجبل، فوقع ثلاثة بالمدينة وهي أحد وورقان ورضوى، وثلاثة بمكة: ثبير وثور وحراء.

قوله: ﴿**وَخَرَّ مُوسَى صَعِقاً**﴾ أي سقط مغشياً عليه ذاهباً عن حواسه، ولذا لا يصعق عند النفحة. قوله: ﴿**فَلَمَّا أَفَاقَ**﴾ أي برد حواسه. قوله: (**من سؤال ما لم أومر به**) أي وليس المراد طلب الرؤية معصية، وإنما هو من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين. قوله: (**في زماني**) دفع بذلك ما يقال: إن قبله من المؤمنين كثيراً من الأنبياء والأمم، وفي القصة أن موسى عليه السلام، كان بعدما رجع من المكالمة، لا يستطيع أحد أن ينظر إليه لما غشي وجهه من النور، ولم يزل على وجهه برقع حتى مات، وقالت له زوجته أنا لم أرك منذ كلمك ربك، فكشف لها عن وجهه، فأخذها مثل شعاع الشمس، فوضعت يدها على وجهها وخرجت ساجدة، وقالت: ادع الله أن يجعلني زوجتك في الجنة، قال ذلك لك إن لم تتزوجي بعدي، فإن المرأة لآخر أزواجها، وورد أيضاً أنه مكث زمناً طويلاً كلما سمع كلام الناس تقايأ.

قوله: ﴿**قَالَ يَا مُوسَى**﴾ هذا تسلية على ما قاله من الرؤية. قوله: (**أهل زمانك**) دفع بذلك ما يقال: إن من جملة الناس سيدنا محمد ﷺ وإبراهيم الخليل، فيقتضي أنه مختار عليهما، فأجاب: بأن المراد بالناس أهل زمانه أنبياء أو غيرهم، ولذلك كانت أنبياء بني إسرائيل يتعبدون بالتوراة. قوله: (**بالجمع**) أي باعتبار تعدد الأحكام الموحى بها. قوله: (**والأفراد**) أي مراداً بها المعنى المصدري أي إرسالي، وهما قراءتان سبعيتان. قوله: ﴿**وَبِكَلَامِي**﴾ اسم مصدر بمعنى التكليم، أي تكليمي إياك مباشرة بلا واسطة، ويصح أن يراد بالكلام التوراة، كما يقال للقرآن كلام الله، يقال للتوراة أيضاً كلام الله، لأنها أفضل كتاب أنزل من السماء بعد القرآن. قوله: (**لأنعمي**) جمع نعمة ويجمع أيضاً على نعم.

لَهُۥ فِي ٱلۡأَلۡوَاحِ ﴾ أي ألواح التوراة وكانت من سدر الجنة أو زبرجد أو زمرد سبعة أو عشرة ﴿ مِن كُلِّ شَيۡءٖ ﴾ يحتاج إليه في الدين ﴿ مَّوۡعِظَةٗ وَتَفۡصِيلٗا ﴾ تبييناً ﴿ لِّكُلِّ شَيۡءٖ ﴾ بدل من الجار والمجرور قبله ﴿ فَخُذۡهَا ﴾ قبله قلنا مقدراً ﴿ بِقُوَّةٖ ﴾ بجد واجتهاد ﴿ وَأۡمُرۡ قَوۡمَكَ يَأۡخُذُواْ بِأَحۡسَنِهَاۚ سَأُوْرِيكُمۡ دَارَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴾ ﴿١٤٥﴾ فرعون وأتباعه وهي مصر لتعتبروا بهم ﴿ سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ ﴾ دلائل قدرتي من

قوله: ﴿**وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ**﴾ أي وكان طول اللوح منها اثني عشر ذراعاً، وقيل عشرة على طول موسى، والكاتب لها هو الله بلا واسطة. قوله: (**من سدر الجنة**) أي خشبها المسمى بالسدر، والشاقق لها هو الله بلا واسطة. قوله: (**أو زمرد**) وقيل من ياقوتة حمراء. قوله: (**سبعة أو عشرة**) وقيل تسعة، وقيل اثنان، ويكون المراد بالجمع ما فوق الواحدة، قال الربيع بن أنس: نزلت التوراة وهي وقر سبعين بعيراً، يقرأ الجزء منها في سنة، ولم يحفظها إلا أربعة: موسى ويوشع بن نون وعزير وعيسى عليهم السلام، وقال الحسن: هذه الآية في التوراة بألف آية. قوله: (**بدل**) أي قوله: ﴿**مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً**﴾ بدل من محل قوله: ﴿**مِنْ كُلِّ شَيْءٍ**﴾ وهو النصب، وقوله: ﴿**لِكُلِّ شَيْءٍ**﴾ متعلق بتفصيلاً. قوله: (**قبله قلنا مقدراً**) أشار بذلك إلى أن هذا المحذوف معطوف على ﴿**كَتَبْنَا**﴾. قوله: (**بجد واجتهاد**) أي لا بتراخ وكسل، فإن العلم لا يأتي إلا للمجد المشتاق، كان كسبياً أو وهبياً فلا بد لمتعاطي العلم من الكد والتعب ومخالفة النفس، قال بعضهم:

بقدر الكد تكتسب المعالي ... ومن طلب العلا سهر الليالي
تروم العز ثم تنام ليلا ... يغوص البحر من طلب اللآلي

وقال بعض العارفين:

فجد بالروح والدنيا خليلي ... كذا الأوطان كي تدرك سناه

وهذا الخطاب لموسى، والمراد غيره، لأنه هو آخذ بقوة واجتهاد. قوله: ﴿**بِأَحْسَنِهَا**﴾ أي بالأحوط منها، لأن فيها عزائم ورخصاً، وفاضلاً ومفضولاً، وجائزاً ومندوباً، فأمر قومك يأخذوا بأحوطها، بأن يتبعوا العزائم، ويتركوا الرخص، وذلك كالقود والعفو الانتصار والصبر، فالأخذ بالعفو أحسن من القود، والصبر أحسن من الانتصار، أو يقال إن اسم التفضيل ليس على بابه أي بحسنها، والإضافة بيانية، والمعنى يعملون بجميع ما فيها.

قوله: ﴿**سَأُوْرِيكُمْ**﴾ الخطاب لموسى ومن تبعه، فالكاف مفعول أول، و﴿**دَارَ**﴾ مفعول ثان، والمعنى أملككم إياها، بدليل قراءة من قرأ سأورثكم بالثاء المثلثة. قوله: (**وهي مصر**) هذا هو الأقرب، وقيل المراد بدار الفاسقين، ديار عاد، وثمود، وقوم لوط، وقوم نوح. قوله: (**ليعتبروا بهم**) أي ففي الآية إشارة إلى أنهم إن خالفوا فعل بهم كما فعل بفرعون وقومه، وهكذا كل ظالم فاجر، ولو من المسلمين، إذ بغى واعتدى وتكبر وتجبر، يمهل مدة ثم تصير دياره بلاقع، فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، ويؤيده قوله تعالى: ﴿فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم كذلك نجزي القوم المجرمين﴾.

قوله: ﴿**سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ**﴾ أي أقسي قلوبهم وأطمسها عن فهم آياتي، فلا يتفكرون ولا

المصنوعات وغيرها ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾ بأن أخذلهم فلا يتفكرون فيها ﴿ وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ﴾ طريق ﴿ ٱلرُّشْدِ ﴾ الهدى الذي جاء من عند الله ﴿ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ﴾ يسلكوه ﴿ وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلْغَيِّ ﴾ الضلال ﴿ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَٰلِكَ ﴾ الصرف ﴿ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴾ ﴿١٤٦﴾ تقدم مثله ﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلْأَخِرَةِ ﴾ البعث وغيره ﴿ حَبِطَتْ ﴾ بطلت ﴿ أَعْمَٰلُهُمْ ﴾ ما عملوه في الدنيا من خير كصلة رحم وصدقة فلا ثواب لهم لعدم شرطه ﴿ هَلْ ﴾ ما ﴿ يُجْزَوْنَ إِلَّا ﴾ جزاء ﴿ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ ﴿١٤٧﴾ من التكذيب والمعاصي ﴿ وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ ﴾ أي بعد ذهابه إلى المناجاة ﴿ مِنْ حُلِيِّهِمْ ﴾ الذي استعاروه من قوم فرعون بعلة عرس فبقي عندهم ﴿ عِجْلًا ﴾ صاغه لهم منه السامري ﴿ جَسَدًا ﴾

يتدبرون. قوله: ﴿بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ حال من ﴿ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ﴾ أي حال كونهم متلبسين بالدين الغير الحق. قوله: ﴿وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا﴾ أي لوجود الطبع على قلوبهم، وفي الآية إشارة إلى أن المتكبر المعترض، لا يستفيد نوراً ولا خيراً من الذي اعترض وتكبر عليه. قوله: ﴿بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا﴾ أي بسبب تكذيبهم. قوله: **(تقدم مثله)** أي في قوله: ﴿فأغرقناهم في اليم﴾، ﴿**بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ**﴾. قوله: ﴿**وَالَّذِينَ كَذَّبُوا**﴾ مبتدأ، وجملة: ﴿**حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ**﴾ خبره. قوله: **(لعدم شرطه)** أي الثواب وهو الإيمان، فالإيمان شرط في الثواب لأنه مقدار من الجزاء، يعطى للمؤمنين في مقابلة أعمالهم الحسنة، فأعمال الكفار الحسنة، لا تتوقف على نية يجازون عليها في الدنيا، أو يخفف عنهم من العذاب غير الكفر، لكنه لا يقال له ثواب، كذا قرر الأشياخ. قوله: ﴿**هَلْ يُجْزَوْنَ**﴾ استفهام إنكاري بمعنى النفي، ولذا أشار له المفسر بقوله: **(ما)**.

قوله: ﴿**وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى**﴾ عطف قصة على قصة، والواو لا تقتضي ترتيباً ولا تعقيباً، لأن عبادتهم العجل كانت زمن المكالمة في مدة العشرة الأيام الزائدة فوق الثلاثين. قوله: ﴿**مِنْ حُلِيِّهِمْ**﴾ جمع حلي بفتح فسكون، وأصله حلوى، اجتمعت الواو والياء وسبقت أحدهما بالسكون، قلبت الواو ياء وأدغمت في الياء، وقلبت ضمة اللام كسرة لتصح الياء. قوله: **(الذي استعاروه من قوم فرعون)** أي قبل غرقهم. قوله: **(فبقي عندهم)** أي ملكاً لبني إسرائيل، كما ملكوا غيرهم من أموالهم وديارهم، ولذا أضافه الله لهم، وأما قول المفسر: **(استعاروه)** فهو باعتبار ما كان.

قوله: ﴿**عِجْلًا**﴾ وهذا العجل قد حرقه موسى عليه السلام ونسفه في البحر، كما قصه الله تعالى في سورة طه. قوله: **(صاغه لهم منه السامري)** واسمه موسى، كان ابن زنا، وضعته أمه في جبل، فأرسل الله إليه جبريل فصار يرضعه من أصبعه، فكان يعرفه إذا نزل إلى الأرض، فلما نزل جبريل يوم غرق فرعون، وكان راكباً فرساً، فكان كل شيء وطئته بحافرها يخضر ويثمر، ففطن موسى السامري لذلك، وعلم أن هذا التراب له أثر، فأخذ شيئاً منه وادخره، فلما توجه موسى للمناجاة صنع لهم العجل ووضع التراب في فيه فصار له خوار، فقال: هذا إلهكم وإله موسى، فنسي كما في سورة طه، وكان موسى السامري منافقاً، وانظر إلى من رباه جبريل حيث كان منافقاً، وإلى من رباه فرعون حيث كان مرسلاً،

بدل لحماً ودماً ﴿لَّهُۥ خُوَارٌۚ﴾ أي صوت يسمع انقلب كذلك بوضع التراب الذي أخذه من حافر فرس جبريل في فمه فإن أثره الحياة فيما يوضع فيه ومفعول اتخذ الثاني محذوف أي إلهاً ﴿أَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًاۘ﴾ فكيف يتخذ إلهاً ﴿ٱتَّخَذُوهُ﴾ إلهاً ﴿وَكَانُواْ ظَٰلِمِينَ ١٤٨﴾ باتخاذه ﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِيٓ أَيْدِيهِمْ﴾ أي ندموا على عبادته ﴿وَرَأَوْاْ﴾ علموا ﴿أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّواْ﴾ بها وذلك بعد رجوع موسى ﴿قَالُواْ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا﴾ بالياء والتاء فيهما ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ١٤٩﴾ ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ﴾ من جهتهم ﴿أَسِفًا﴾ شديد الحزن ﴿قَالَ﴾ لهم ﴿بِئْسَمَا﴾ أي بئس خلافة ﴿خَلَفْتُمُونِي﴾ ها ﴿مِنۢ بَعْدِيٓۖ﴾ خلافتكم هذه حيث أشركتم ﴿أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْۖ﴾

فإن هذا دليل على أن السعادة والشقاوة بيد الله، فقد قال بعضهم:

إذا المرء لم يخلق سعيداً من الأزل ... فقد خاب من ربى وخاب المؤمل
فموسى الذي رباه جبريل كافر ... وموسى الذي رباه فرعون مرسل

قوله: **(بدل)** أي من ﴿**عِجْلًا**﴾ أو عطف بيان. **(لحماً ودماً)** تفسيراً لجسداً. قوله: ﴿**لَهُ خُوَارٌ**﴾ هذه قراءة العامة، وقرىء شذوذاً له جؤار بجيم فهمزة، وهو الصوت الشديد. قوله: **(فإن أثره الحياة)** أي بتأثير الله له. قوله: ﴿**أَلَمْ يَرَوْا**﴾ استفهام توبيخ وتقريع. قوله: ﴿**اتَّخَذُوهُ**﴾ كرره لمزيد التشنيع عليهم. قوله: ﴿**وَكَانُوا ظَالِمِينَ**﴾ أي أنفسهم أشد الظلم، حيث عبدوا غير الله. قوله: ﴿**وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ**﴾ فعل مبني للمجهول، والجار والمجرور نائب فاعل، وقرىء شذوذاً بالبناء للفاعل، فالفاعل ضمير يعود على الندم، وقرىء شذوذاً أيضاً، أسقط بضم الهمزة، والضمير عائد على الندم، والأصل على القراءة السبعية، سقطت أفواههم على أيديهم، ففي بمعنى على، وذلك من شدة الندم، فإن العادة أن الإنسان إذا ندم على شيء عض بفمه على يده، فسقوط الفم على اليد لازم للندم، فأطلق اللازم، وأريد الملزوم على سبيل الكناية، ولم تعرف هذه الكناية في لغة العرب إلا في القرآن.

قوله: ﴿**وَرَأَوْا**﴾ الجملة حالية. قوله: **(وذلك)** أي الندم. قوله: **(بعد رجوع موسى)** أي وإنما قدم ليتصل ما قالوه بما فعلوه. قوله: ﴿**لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا**﴾ الخ فيها قراءتان سبعيتان بالياء والتاء، فعلى قراءة الياء يكون ربنا مرفوعاً على الفاعلية، وعلى قراءة التاء يكون منصوباً على النداء. قوله: ﴿**وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى**﴾ أي من المناجاة. قوله: ﴿**غَضْبَانَ**﴾ أي لما فعلوه من عبادة العجل، وقد أخبره بذلك المولى حيث قال له كما في طه: ﴿فإنا قد فتنا قومك من بعدك﴾ الآية. قوله: ﴿**أَسِفاً**﴾ حال وكذا ﴿**غَضْبَانَ**﴾ فتكون حالاً متداخلة.

قوله: ﴿**بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي**﴾ بفعل ماض لإنشاء الذم، وما تمييز وقيل فاعل، وجملة ﴿**خَلَفْتُمُونِي**﴾ صفة لما، والمخصوص بالذم محذوف قدره المفسر بقوله خلافتكم هذه، والمعنى: بئس خلافة خلفتمونيها خلافتكم هذه. قوله: ﴿**مِنْ بَعْدِي**﴾ متعلق بخلفتموني. قوله: ﴿**أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ**﴾ أي تركتموه غير تام على تضمين عجل معنى سبق، أو المعنى: أعجلتم وعد ربكم الذي وعدنيه من الأربعين، وقدرتم

﴿ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ ﴾ ألواح التوراة غضباً لربه فتكسرت ﴿ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ ﴾ أي بشعره بيمينه ولحيته بشماله ﴿ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ﴾ غضباً ﴿ قَالَ ﴾ يا ﴿ ٱبْنَ أُمَّ ﴾ بكسر الميم وفتحها أراد أمي وذكرها أعطف لقلبه ﴿ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ ﴾ قاربوا ﴿ يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ ﴾ تفرح ﴿ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ ﴾ بإهانتك إياي ﴿ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ ﴿١٥٠﴾ بعبادة العجل في المؤاخذة ﴿ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى ﴾ ما صنعت بأخي ﴿ وَلِأَخِى ﴾ أشركه في الدعاء إرضاء له ودفعاً للشماتة فيه ﴿ وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ ﴿١٥١﴾ قال تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ ﴾ إلهاً ﴿ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ ﴾ عذاب ﴿ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ فعذبوا بالأمر بقتل أنفسهم وضربت عليهم الذلة إلى يوم القيامة ﴿ وَكَذَٰلِكَ ﴾ كما جزيناهم ﴿ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ ﴾ ﴿١٥٢﴾ على الله بـالإشراك وغيره ﴿ وَٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُوا۟ ﴾ رجعوا عنها ﴿ مِنۢ بَعْدِهَا وَءَامَنُوٓا۟ ﴾ بالله ﴿ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا ﴾ أي التوبة ﴿ لَغَفُورٌ ﴾ لهم ﴿ رَّحِيمٌ ﴾ ﴿١٥٣﴾ بهم ﴿ وَلَمَّا سَكَتَ ﴾ سكن ﴿ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ ﴾ التي ألقاها ﴿ وَفِى نُسْخَتِهَا ﴾ أي ما نسخ فيها أي

موتي وغيرتم بعدي، كما غيرت الأمم بعد أنبيائهم. قوله: ﴿وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ﴾ أي وكان حاملاً لها. قوله: (فتكسرت) هذا أحد الأقوال، وقيل إنه تكسر البعض وبقي البعض، وقيل المراد بإلقائها وضعها ليتفرغ لمكالمة أخيه، فلما فرغ أخذها بعينها ولم يذهب منها بشيء، كما حققه زاده على البيضاوي. قوله: (أي بشعره بيمينه) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف.

قوله: ﴿يَجُرُّهُ إِلَيْهِ﴾ حال من فاعل ﴿أَخَذَ﴾. قوله: (بكسر الميم وفتحها) أي فهما قراءتان سبعيتان، فأما قراءة الفتح، فعند البصريين مبني على الفتح لتركبه تركيب خمسة عشر، وعند الكوفيين ﴿ٱبْنَ﴾ منادى منصوب بفتحة ظاهرة، وهو مضاف لأم، مجرور بكسرة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم المنقلبة ألفاً المحذوفة للتخفيف، وبقيت الفتحة لتدل عليها، وأما على قراءة الكسر، فعند البصريين هو منادى مضاف لياء المتكلم المحذوفة تخفيفاً فهو كسر بناء، وعند الكوفيين كسرة إعراب، وحذفت الياء اكتفاء بالكسرة. قوله: (وذكرها أعطف) جواب عما يقال إن هارون شقيق موسى، فلم اقتصر في خطابه على الأم، وكان هارون كثير الحلم محبباً في بني إسرائيل، وهو أكبر من موسى بثلاث سنين. قوله: ﴿وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي﴾ أي بذلت وسعي في نصيحتهم، حتى قهروني وقاربوا قتلي. قوله: ﴿فَلَا تُشْمِتْ بِيَ ٱلْأَعْدَاءَ﴾ الشماتة فرح العدو بما ينال الشخص من المكروه.

قوله: ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي﴾ أي لما تبين له عذر أخيه، جمعه في الدعاء استعطافاً وإرضاء له. قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا ٱلْعِجْلَ﴾ أي وكانوا ستمائة ألف وثمانية آلاف، وبقي اثنا عشر ألفاً لم يعبدوه، لأن جملة من عبر البحر مع موسى ستمائة ألف وعشرون ألفاً. (قوله إلهاً) قدره إشارة إلى أن مفعول اتخذوا محذوف. قوله: ﴿سَيَنَالُهُمْ﴾ الاستقبال بالنسبة لخطاب موسى به، وأما بالنسبة لنزوله على نبينا فهو ماض. قوله: (رجعوا عنها) أي عن السيئات التي منها عبادة العجل.

قوله: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى ٱلْغَضَبُ﴾ أي بمراجعة هارون له، حيث ألان له الكلام واعتذر له، وفي الكلام استعارة بالكناية، حيث شبه الغضب بأمير قام على موسى، فأمره بالقاء الألواح والأخذ

كتب ﴿هُدًى﴾ من الضلالة ﴿وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾﴾ يخافون وأدخل اللام على المفعول لتقدمه ﴿وَاخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ﴾ أي من قومه ﴿سَبْعِينَ رَجُلًا﴾ ممن لم يعبد العجل بأمره تعالى ﴿لِّمِيقَاتِنَا﴾ أي للوقت الذي وعدناه بإتيانهم فيه ليعتذروا من عبادة أصحابهم العجل فخرج بهم ﴿فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾ الزلزلة الشديدة قال ابن عباس لأنهم لم يزايلوا قومهم حين عبدوا العجل قال وهم غير

برأس أخيه، وطوى ذكر المشبه به، ورمز له بشيء من لوازمه وهو السكوت، فإثباته تخييل، وفي السكوت استعارة تبعية، حيث شبه السكون بالسكوت، واستعير اسم المشبه به للمشبه، واشتق من السكوت سكت بمعنى سكن، على طريق الاستعاره التصريحية التبعية، وما وقع من موسى عليه السلام من الغضب ليس ناشئاً عن سوء خلق وعدم حلم، وإنما هو غضب لانتهاك حرمات الله ولا ينافي الحلم، قال بعضهم:

إذا قيل حلم قل فللحلم موضع   وحلم الفتى في غير موضعه جهل

وما قيل إن موسى لما كان قليل الحلم، أمره الله بإلانة الكلام لفرعون حيث قال له: ﴿فقولا له قولاً ليناً﴾، ومحمد عليه السلام لما كان كامل الحلم، أمره الله بالإغلاظ على الكفار حيث قال: ﴿واغلظ عليهم﴾ فهو باطل لا أصل له، وإنما الذي يقال إن كلاً كامل في الحلم، وكلاً إما مأمور بالإنة أو لا، فإذا تقرر الدين وثبت وأمروا بالجهاد، أمروا بالاغلاظ، هذا هو الحق، ومن نفى عن أحد منهم الحلم فقد كفر. قوله: ﴿وَفِي نُسْخَتِهَا﴾ أي كتابتها وتسميتها نسخة، باعتبار كتابتها من اللوح المحفوظ، وهذا على ما قاله، زاده من أن الألواح لم تتكسر، وأما على ما قاله ابن عباس من أنها تكسرت، فصام موسى أربعين يوماً فردت عليه في لوحين، فمعنى قوله: ﴿وَفِي نُسْخَتِهَا﴾ أي ما نسخ من الألواح التي كسرت في ألواح أخر، فتسميتها نسخة ظاهر لأن نسخ الشيء نقله. قوله: ﴿لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ أي وأما لغيرهم فليس فيه هدى ورحمة، وإنما هو وبال وخسران، فهي نظير القرآن مع المؤمن والمنافق، قال تعالى: ﴿فأما الذين آمنوا فزادتهم إيماناً وهم يستبشرون وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجساً إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون﴾. قوله: **(وأدخل اللازم على المفعول لتقدمه)** أي فضعف عن العمل فقوي باللام، والمعنى الذين هم يخافون ربهم، أي يخافون عقابه. قوله: **(أي من قومه)** أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿مِنْ قَوْمِهِ﴾ مفعول ثان مقدم منصوب بنزع الخافض، والمفعول الأول قوله: ﴿سَبْعِينَ﴾. قوله: ﴿سَبْعِينَ رَجُلاً﴾ أي من شيوخهم، روي أنه لم يجد إلا ستين شيخاً، فأوحى الله إليه أن يختار من الشباب عشرة فاختارهم فأصبحوا شيوخاً، فأمرهم موسى عليه السلام أن يصوموا ويتطهروا ويطهروا ثيابهم، ثم خرج بهم إلى الميقات هو طور سينا، فلما دنا موسى من الجبل، وقع عليه عامود من الغمام حتى أحاط بالجبل ودخل موسى فيه، وقال للقوم: ادنوا، فدنوا حتى دخلوا في الغمام ووقعوا سجداً، وسمعوا الله وهو يكلم موسى، يأمره وينهاه، فلما انكشف الغمام أقبلوا على موسى وقالوا: ﴿لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتهم الصاعقة﴾، وهي المرادة بالرجفة هنا وماتوا يوماً وليلة، وسبب أخذ الصاعقة لهم سؤالهم الرؤية، وهذا قول غير ابن عباس، وقال ابن عباس: إن السبعين الذين سألوا الرؤية، غير السبعين الذين ذهبوا للشفاعة، فالأولى: أخذتهم الصاعقة بسبب سؤالهم الرؤية، والثانية: أخذتهم الرجفة بسبب معاشرتهم لمن عبدوا العجل وسكوتهم

الذين سألوا الرؤية وأخذتهم الصاعقة ﴿ قَالَ ﴾ موسى ﴿ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ ﴾ أي قبل خروجي بهم ليعاين بنو إسرائيل ذلك ولا يتهموني ﴿ وَإِيَّٰيَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ﴾ استفهام استعطاف أي لا تعذبنا بذنب غيرنا ﴿ إِنْ ﴾ ما ﴿ هِيَ ﴾ أي الفتنة التي وقعت فيها السفهاء ﴿ إِلَّا فِتْنَتُكَ ﴾ ابتلاؤك ﴿ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ ﴾ إضلاله ﴿ وَتَهْدِي مَن تَشَآءُ ﴾ هدايته ﴿ أَنتَ وَلِيُّنَا ﴾ متولي أمورنا ﴿ فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ ﴾ (١٥٥) ﴿ وَٱكْتُبْ ﴾ أوجب ﴿ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْآخِرَةِ ﴾ حسنة ﴿ إِنَّا هُدْنَآ ﴾ تبنا ﴿ إِلَيْكَ قَالَ ﴾ تعالى ﴿ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ﴾ تعذيبه ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ ﴾ عمت ﴿ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ في الدنيا ﴿ فَسَأَكْتُبُهَا ﴾ في الآخرة ﴿ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (١٥٦) ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ﴾ محمداً ﷺ

عليه، وإلى هذا القول يشير المفسر بقوله: **(قال وهم غير الذين سألوا الرؤية)** الخ. قوله: **(ولم يزايلوا)** أي لم يفارقوا قومهم. قوله: **(وهم غير الذين سألوا الرؤية)** أي لأنهم لم يكونوا في ذلك الميعاد، بل كانوا مع موسى حين أخذ التوراة، فلما سمعوا كلام الله لموسى أقبلوا عليه وقالوا: أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة.

قوله: **﴿لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ﴾** مفعول المشيئة محذوف تقديره إهلاكهم. قوله: **(استفهام استعطاف)** أي طلب العفو والرحمة من الله. قوله: **(ابتلاؤك)** أي اختبارك ليتبين المطيع من العاصي. قوله: **﴿وَأَنْتَ خَيْرُ ٱلْغَافِرِينَ﴾** اسم التفضيل ليس على بابه أو على بابه باعتبار أن الغفر ينسب لغيره تعالى لكونه سبباً، وهو الغافر الحقيقي.

قوله: **﴿وَٱكْتُبْ﴾** أي حقق وأثبت، وهذا من جملة دعاء موسى، فأوله: **﴿أَنْتَ وَلِيُّنَا﴾** وآخره: **﴿إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ﴾**، وحينئذ فلا ينبغي جعل قوله: **﴿وَٱكْتُبْ لَنَا﴾** أول الربع. قوله: **﴿فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً﴾** أي ما تحمد عاقبته، كالعافية والإيمان والمعرفة، وقوله: **﴿وَفِي ٱلآخِرَةِ﴾** **(حسنة)** أي وهي الجنة، وما احتوت عليه من اللقاء والمشاهدة. قوله: **﴿إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ﴾** استئناف مسوق لتعليل الدعاء، أي لأننا **﴿هُدْنَا إِلَيْكَ﴾** أي رجعنا، من هاد يهود، إذا رجع. ولذلك سميت اليهود بذلك، وكان اسم مدح قبل نسخ شريعتهم، وبعد ذلك صار ذماً. قوله: **﴿قَالَ عَذَابِي﴾** جواب من الله لموسى. قوله: **﴿أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ﴾** أي في الدنيا، كقتل الذين عبدوا العجل أنفسهم، وفي الآخرة بالنار لمن كفر.

قوله: **﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾** ورد أنه لما نزلت هذه الآية، فرح إبليس وقال: قد دخلت في رحمة الله، فلما نزل **﴿فَسَأَكْتُبُهَا﴾** الخ أيس من ذلك، وفرحت اليهود وقالوا: نحن من المتقين الذين يؤتون الزكاة المؤمنين، فأخرجهم الله منها وأثبتها لهذه الأمة بقوله: **﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ﴾** الخ. قوله: **(في الدنيا)** أي فما من مسلم ولا كافر ولا مطيع ولا عاص إلا وهو متقلب في الرحمة. قوله: **﴿فَسَأَكْتُبُهَا﴾** أي أثبتها. قوله: **﴿لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾** أي يمتثلون الأوامر ويجتنبون النواهي. قوله: **﴿وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾** خصها بالذكر لمشتقها على النفوس، من حيث إن المال محبوب.

قوله: **﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ﴾** أي بالإيمان به بعد بعثته، والعمل بشريعته، ورد أن الله قال

﴿ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ﴾ باسمه وصفته ﴿يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ مما حرم في شرعهم ﴿وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ﴾ من الميتة ونحوها ﴿وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ﴾ ثقلهم ﴿وَٱلۡأَغۡلَٰلَ﴾ الشدائد ﴿ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ﴾ كقتل النفس في التوبة وقطع أثر النجاسة ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ﴾ منهم ﴿وَعَزَّرُوهُ﴾ وقروه ﴿وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ﴾ أي القرآن ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ ﴿١٥٧﴾ ﴿قُلۡ﴾ خطاب للنبي ﷺ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ فَـَٔامِنُواْ

لموسى: أجعل لك الأرض مسجداً وطهوراً تصلون حيث أدركتكم الصلاة، وأجعلكم تقرؤون التوراة عن ظهر قلب، يحفظها الرجل والمرأة، والحر والعبد، والصغير والكبير، فقال موسى ذلك لقومه فقالوا: لا نريد أن نصلي إلا في الكنائس، ولا نستطيع أن نقرأ التوراة عن ظهر قلب، ولا نقرؤها إلا نظراً، قال: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا﴾ إلى قوله: ﴿هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ فجعل هذه الأمور لهذه الأمة.

قوله: ﴿الْأُمِّيَّ﴾ أي الذي لا يقرأ ولا يكتب، نسب إما للأم لأنه باق على حالته التي ولد عليها، أو لأم القرى وهي مكة لكونه ولد بها. قوله: (**باسمه وصفته**) أي من كونه محمداً ولد بمكة، وهاجر إلى المدينة، يقبل الهدية، ويرد الصدقة، وهكذا من أوصافه وأخلاقه العظيمة، قال الخميس في تاريخه: إن محمداً مذكور في التوراة باللغة السريانية بلفظ المنحمنا، بضم الميم وسكون النون وفتح الحاء وكسر الميم الثانية وبعدها نون مشددة بعدها ألف، ومعناه محمد، وذكر الحسن عن كعب الأحبار، أن اسم النبي ﷺ عند أهل الجنة عبد الكريم، وعند أهل النار عبد الجبار، وعند أهل العرش عبد المجيد، وعند سائر الملائكة عبد الحميد، وعند الأنبياء عبد الوهاب، وعند الشياطين عبد القاهر، وعند الجن عبد الرحيم، وفي الجبال عبد الخالق، وفي البر عبد القادر، وفي البحر عبد المهيمن، وعند الهوام عبد الغياث، وعند الوحوش عبد الرزاق، وفي التوراة موذموذ، وفي الإنجيل طاب طاب، وفي الصحف عاقب، وفي الزبور فاروق، وعند الله طه ومحمد ﷺ اهـ بحروفه قوله: ﴿يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ الخ هذا وما بعده إلى ﴿الْمُفْلِحُونَ﴾ من جملة أوصافه المكتوبة في التوراة والإنجيل. قوله: (**مما حرم في شرعهم**) أي وهي لحوم الإبل وشحم الغنم والمعز والبقر. قوله: (**من الميتة ونحوها**) أي كالدم ولحم الخنزير. قوله: (**كقتل النفس**) أي وتعيين القصاص في القتل، وتحريم أخذ الدية، وترك العمل يوم السبت، وكون صلاتهم لا تجوز إلا في الكنائس، ونحو ذلك من الأمور الشاقة التي كلفوا بها، وتسميتها أغلالاً، لأن التحريم يمنع من الفعل، كما أن الأغلال تمنع منه. قوله: (**وقروه**) أي عظموه. قوله: ﴿وَنَصَرُوهُ﴾ أي أيدوه. قوله: ﴿الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ﴾ أي مقارناً لزمانه ومصحوباً به. قوله: (**أي القرآن**) تفسير للنور، سمي القرآن بذلك، لأنه ظاهر في نفسه مظهر لغيره، يهدي من الضلال المعنوي، كما أن النور يهدي من الضلال الحسي. قوله: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ أي الموصوفون بهذه الصفات، فائزون ظافرون بالنجاة من الأهوال، دنيا وأخرى.

قوله: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ أتى بهذه الآية دفعاً لما يتوهم أن الفوز مخصوص بمن تبعه من أهل الكتابين، فأفاد هنا أن الفوز ليس قاصراً عليهم، بل كل من تبعه حصل له الفوز، كان من أهل الكتابين

بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ﴾ القرآن ﴿وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ ترشدون ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ﴾ جماعة ﴿يَهْدُونَ﴾ الناس ﴿بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾﴾ في الحكم ﴿وَقَطَّعْنَٰهُمُ﴾ فرقنا بني إسرائيل ﴿ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ﴾ حال ﴿أَسْبَاطًا﴾ بدل منه أي قبائل ﴿أُمَمًا﴾ بدل مما قبله ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ﴾ في التيه ﴿أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ﴾ فضربه ﴿فَٱنۢبَجَسَتْ﴾ انفجرت ﴿مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ بعدد الأسباط ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ﴾ سبط منهم ﴿مَّشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَٰمَ﴾ في التيه من حر الشمس ﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ﴾ هما

أو لا، و ﴿النَّاس﴾ اسم جنس واحده إنسان. قوله: ﴿جَمِيعاً﴾ حال من ضمير ﴿إِلَيْكُمْ﴾.

قوله: ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمٰوَاتِ﴾ يصح رفع ﴿الَّذِي﴾ ونصبه على أنه نعت مقطوع، وجره على أنه نعت متصل، وقوله: ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ صلة الموصول لا محل لها من الإعراب، وقوله: ﴿لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ بيان للصلة. وقوله: ﴿يحيي ويميت﴾ بيان لقوله: ﴿لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ﴾، فكل واحدة من هذه الجمل، كالدليل لما قبلها، ولا محل لكل من الإعراب، لأن الصلة لا محل لها فكذا مبنيها. قوله: ﴿فَآمِنُوا بِاللهِ﴾ تفريع على ما تقدم، أي فحيث علمتم أن محمداً مرسل لجميع الناس، وأن الله له ملك السماوات والأرض لا إله إلا هو يحيي ويميت، وجب عليكم الإيمان بالله ورسوله، وفيه التفات من التكلم للغيبة، ونكتته التوطئة للاتصاف بقوله: ﴿النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ﴾ الخ. قوله: ﴿الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللهِ وَكَلِمَاتِهِ﴾ أي لأنه مرسل لنفسه. قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ أي تفلحون، والترجي في القرآن بمنزلة التحقيق، فهو بمعنى قوله فيما سبق. قوله: ﴿أُولٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾. قوله: (ترشدون) من باب تعب ونصر.

قوله: ﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ﴾ استئناف مسوق لدفع توهم أن قوم موسى لم يحصل لهم هدى، بل استمروا على ضلالهم، فدفع ذلك بأن بعضهم آمن بالنبي ﷺ وهم شرذمة قليلة، كعبد الله بن سلام وأضرابه. قوله: ﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ﴾ الهاء مفعوله، و ﴿اثْنَتَيْ عَشْرَةَ﴾ حال، و ﴿أَسْبَاطاً﴾ بدل كما قال المفسر، وتمييز العدد محذوف تقديره فرقة، ويصح أن قطع بمعنى صير، فالهاء مفعول أول، و ﴿اثْنَتَيْ عَشْرَةَ﴾ مفعول ثان، و ﴿أَسْبَاطاً﴾ بدل، وسبب تفرقهم كذلك، أن أولاد يعقوب كانوا كذلك. فكل سبط ينتمي لواحد منهم، والأسباط جمع سبط، وهو ولد الوالد، مرادف للحفيد، هكذا في كتب اللغة، وتفرقة بعض العلماء بين السبط والحفيد، بأن السبط ولد البنت، والحفيد ولد الولد اصطلاح. قوله: (أي قبائل) أي كالقبائل في التفرق والتعدد. قوله: (بدل مما قبله) أي فهو بدل من البدل.

قوله: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى﴾ أي حيث أمر بقتال الجبارين هو ومن معه من بني إسرائيل، ونقب عليهم اثنى عشر نقيباً، وأرسلهم يأتون له بأخبار الجبارين، فاطلعوا على أوصاف مهمولة لهم، فرجعوا وأخبروا موسى عليه السلام، فأمرهم بالكتم عن قومهم، فخانوا إلا اثنين منم، يوشع وكالب فجبنوا، فحرم الله عليهم دخول القرية أربعين سنة يتيهون في الأرض، فلما طالت عليهم المدة في التيه عطشوا، فطلبوا منه السقيا، فدعا الله موسى، فأمره بضرب الحجر بعصاه، وهذا الحجر هو الذي فر بثوبه حين اتهموه بالإدرة خفيف مربع كرأس الرجل. قوله: (فانبجست) أي انفجرت. قوله: ﴿مَشْرَبَهُمْ﴾ أي عينهم الخاصة بهم. قوله: ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ﴾ أي السحاب، يسير بسيرهم، ويضيء لهم بالليل

الترنجبين والطير السماني بتخفيف الميم والقصر وقلنا لهم ﴿كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ ﴿١٦٠﴾ ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُواْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ بيت المقدس ﴿وَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُواْ﴾ أمرنا ﴿حِطَّةٌ وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ﴾ أي باب القرية ﴿سُجَّدًا﴾ سجود انحناء ﴿نَّغْفِرْ﴾ بالنون والتاء مبنياً للمفعول ﴿لَكُمْ خَطِيٓـَٰٔتِكُمْ ۚ سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿١٦١﴾ بالطاعة ثواباً ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ﴾ فقالوا حبة في شعرة ودخلوا يزحفون على أستاههم ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا﴾ عذاباً ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَظْلِمُونَ﴾ ﴿١٦٢﴾ ﴿وَسْـَٔلْهُمْ﴾ يا محمد توبيخاً ﴿عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ﴾ مجاورة لبحر القلزم وهي أيلة ما وقع بأهلها

يسيرون بضوئه. قوله: (**الترنجبين**) هو شيء حلو، كان ينزل عليهم مثل الثلج، من الفجر إلى طلوع الشمس، فيأخذ كل إنسان صاعاً. قوله: (**والطير السماني**) أي فكانت ريح الجنوب تسوقه إليهم، فيأخذ كل منهم ما يكفيه. قوله: ﴿**مَا رَزَقْنَاكُمْ**﴾ وهو المن والسلوى. قوله: ﴿**وَمَا ظَلَمُونَا**﴾ أي لم يصل لنا منهم ظلم بفعلهم ذلك، فإن ذلك مستحيل.

قوله: ﴿**وَ**﴾ (**اذكر**) خطاب للنبي ﷺ. قوله: ﴿**وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ**﴾ أي بعد خروجهم من التيه قوله: (**بيت المقدس**) وقيل أريحاء، وقد ذكر القولين في البقرة، فعلى الأول يكون القائل الله على لسان موسى وهم في التيه، وعلى الثاني يكون على لسان يوشع، وهو المعتمد كما تقدم في البقرة. قوله: ﴿**وَقُولُوا حِطَّةٌ**﴾ قدر المفسر (**أمرنا**) إشارة إلى أن حطة خبر لمحذوف، ومعنى: أمرنا حطة أي طلبنا حطة الذنوب ومغفرتها. قوله: (**سجود انحناء**) أي فالمراد السجود اللغوي، بأن يكونوا على هيئة الراكعين. قوله: (**بالنون والتاء**) أي فهما قراءتان سبعيتان، ولكن على النون يقرأ: خطايا وخطيئات، وعلى التاء يقرأ: خطيئاتكم وخطيئتكم بالجمع والإفراد، فالقراءات أربع. قوله: ﴿**قَوْلاً غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ**﴾ أي ما أمروا به. قوله: (**فقالوا حبة الخ**) يحتمل أنه مجرد هذيان قصدوا به إغاظة موسى، ويحتمل أن يكون له معنى صحيح، كأنهم قالوا مطلوبنا حبة، يعني قمح في زكائب من شعر، وقد تقدم بسطه في البقرة. قوله: (**على أستاههم**) جمع ستة وهو الدبر. قوله: (**عذاباً**) أي وهو الطاعون، ومات منهم في وقت واحد سبعون الفاً. قوله: ﴿**بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ**﴾ أي بسبب ظلمهم، وقد غايرت هذه القصة ما في البقرة من عشرة أوجه قد تقدمت مفصلة، فراجعه إن شئت.

قوله: ﴿**وَٱسْأَلْهُمْ**﴾ أي اليهود الذين في المدينة، وسبب نزولها أن رسول الله ﷺ كان يوبخ اليهود على كفرهم، ويقول لهم أنتم قد تبعتم أصولكم في الكفر بأنبيائهم، فكانوا يقولون إن أصولنا لم تقع منهم مخالفة لربهم، ولا كفر بأنبيائهم، وكانوا يعرفون ما وقع لهذه القرية ويخفونه، ويعتقدون أنه لا علم لأحد غيرهم به، فنزلت الآية، فقصها رسول الله عليهم فبهتوا. إن قلت: إن السورة مكية، وهذا خطاب لأهل المدينة، فالجواب أنها مكية ما عدا تلك الآيات الثمانية التي أولها: ﴿**وَٱسْأَلْهُمْ**﴾ الخ فإنها مدنية كما تقدم. قوله: (**توبيخاً**) أي تقريعاً وتبكيتاً. قوله: ﴿**عَنِ ٱلْقَرْيَةِ**﴾ أي أهلها. وقوله: (**مجاورة لبحر القلزم**) أي عند العقبة بجانب القلعة.

﴿إِذْ يَعْدُونَ﴾ يعتدون ﴿فِى ٱلسَّبْتِ﴾ بصيد السمك المأمورين بتركه فيه ﴿إِذْ﴾ ظرف ليعدون ﴿تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا﴾ ظاهرة على الماء ﴿وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ﴾ لا يعظمون السبت أي سائر الأيام ﴿لَا تَأْتِيهِمْ﴾ ابتلاء من الله ﴿كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾ ﴿١٦٣﴾ ولما صادوا السمك افترقت القرية أثلاثاً ثلث صادوا معهم وثلث نهوهم وثلث أمسكوا عن الصيد والنهي ﴿وَإِذْ﴾ عطف على إذ قبله ﴿قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ﴾ لم تصد ولم تنه لمن نهى ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا۟﴾ موعظتنا ﴿مَعْذِرَةً﴾ نعتذر بها ﴿إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾ لئلا ننسب إلى تقصير في ترك النهي ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ ﴿١٦٤﴾ الصيد ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟﴾ تركوا ﴿مَا ذُكِّرُوا۟﴾ ما وعظوا ﴿بِهِۦٓ﴾

قوله: ﴿إِذْ يَعْدُونَ﴾ أي يتعدون الحدود، وكانوا في زمن داود عليه السلام، وسبب نهيهم عن الصوم يوم السبت، أن الله أمرهم على لسان داود، أن يتخذوا يوم الجمعة عيداً ينقطعون فيه لعبادة الله، فكرهوا ذلك واختاروا السبت، ومعناه في اللغة القطع، فهو إشارة إلى أنهم منقطعون عن كل خير، فلما شددوا امتحنهم الله بأن حرم عليهم صيد السمك يوم السبت، وأحله لهم باقي الاسبوع، فكانوا يوم السبت يجدون السمك متراكماً، وباقي الجمعة لم يجدوا منه شيئاً، ثم إن إبليس علمهم أن يصنعوا جداول البحر يوم السبت، فإذا جاء العصر وملئت الجداول بالسمك سدوا عليه وأخذوه يوم الأحد فافترقت القرية ثلاث فرق، وكانوا سبعين الفاً، ففرقة اصطادوا، وفرقة نهتهم وضربوا بينهم وبينهم سوراً، وفرقة لم تصد ولم تنه، فبعد أيام قلائل، مسخ من اصطاد قردة وخنازير، مكثوا ثلاثة أيام وماتوا، وأنجى الله الفرقة الناهية، والفرقة الثالثة وقع فيها خلاف بالإنجاء والإهلاك؛ والصحيح نجاتهم. قوله: ﴿حِيتَانُهُمْ﴾ جمع حوت، وأصل حيتان حوتان، وقعت الواو ساكنة بعد كسرة قلبت ياء. قوله: ﴿شُرَّعاً﴾ حال من فاعل ﴿تأتيهمْ﴾، أي قريبة من الساحل.

قوله: ﴿وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ﴾ أي لا يكون يوم سبت، والمعنى تأتيهم حيتانهم يوم السبت ظاهرة وغير يوم السبت لا تأتيهم، ولما كانت العبارة موهمة، قال المفسر أي سائر الأيام، أي باقيها. قوله: **(ابتلاء من الله)** علة لقوله: ﴿تَأْتِيهِمْ﴾ وقوله: ﴿لَا تَأْتِيهِمْ﴾. قوله: ﴿كَذٰلِكَ﴾ أي الابتلاء المتقدم. قوله: ﴿بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ أي يتجاوزون الحد. قوله: **(ثلث صادوا معهم)** المناسب حذف قوله معهم. قوله: **(عطف على إذ قبله)** أي وهو: ﴿إذيعدون﴾. قوله: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْماً﴾ إنما قصدوا بذلك اللوم على الناهين، حيث وعظوهم فلم يقبلوا منهم. قوله: ﴿أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيداً﴾ أو مانعة خلو تجوز الجمع، والمعنى مهلكهم في الدنيا، ومعذبهم في الآخرة.

قوله: ﴿قَالُوا مَعْذِرَةً﴾ قدر المفسر موعظتنا، إشارة إلى أن ﴿مَعْذِرَةً﴾ خبر لمحذوف، وفي قراءة النصب على المفعول من أجله، أي وعظناهم لأجل المعذرة. قوله: **(لئلا ننسب إلى تقصير)** أشار بذلك إلى أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب عليهم، ولذا ورد أنه مجمع عليه في جميع الشرائع. قوله: ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ إشارة إلى أنهم ظانون إفادة الموعظة، وهو عطف على المعنى، إذ التقدير موعظتنا للاعتذار: ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾. قوله: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ في الكلام حذف دل عليه قوله:

فلم يرجعوا ﴿أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ بالاعتداء ﴿بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ﴾ شديد ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾ ﴿١٦٥﴾ ﴿فَلَمَّا عَتَوْا۟﴾ تكبروا ﴿عَن﴾ ترك ﴿مَّا نُهُوا۟ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَـٰسِـِٔينَ﴾ ﴿١٦٦﴾ صاغرين فكانوها وهذا تفصيل لما قبله قال ابن عباس ما أدري ما فعل بالفرقة الساكتة وقال عكرمة لم تهلك لأنها كرهت ما فعلوه وقالت لم تعظون الخ. وروى الحاكم عن ابن عباس أنه رجع إليه وأعجبه ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ﴾ أعلم ﴿رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ﴾ أي اليهود ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ بالذل وأخذ الجزية فبعث عليهم سليمان وبعده بختنصر فقتلهم وسباهم وضرب عليهم الجزية فكانوا يؤدونها إلى المجوس إلى أن بعث نبينا ﷺ فضربها عليهم ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ﴾ لمن عصاه ﴿وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ﴾ لأهل طاعته ﴿رَّحِيمٌ﴾ ﴿١٦٧﴾ بهم ﴿وَقَطَّعْنَـٰهُمْ﴾ فرقناهم ﴿فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا﴾ فرقاً ﴿مِّنْهُمُ ٱلصَّـٰلِحُونَ وَمِنْهُمْ﴾ ناس ﴿دُونَ ذَٰلِكَ﴾

﴿أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ﴾ الخ، والتقدير فلما ذكر من تذكر ونسي من نسي أنجينا الخ. قوله: ﴿بَئِيسٍ﴾ فعيل من بؤس إذا اشتد، وقرىء بيئس على وزن ضيغم، وبئس بكسر الباء وسكون الهمزة أو قلبها ياء، وبيس بفتح الباء وتشديد الياء مكسورة، وبيس بفتح الباء وسكون الياء، وبائس على وزن فاعل، هكذا في البيضاوي، وليست كلها سبعية.

قوله: ﴿كُونُوا﴾ أمر تكوين لا قول، فهو كناية عن سرعة التصبير، إذ لا يكلف الشخص إلا بما يقدر عليه، وكونهم قردة ليس في طاقتهم. قوله: **(فكانوها)** أي: ﴿قِرَدَةً﴾ وقيل: إن شبابهم مسخوا قردة، وشيوخهم خنازير، وقيل: إن الذين مسخوا خنازير، هم أصحاب المائدة. قوله: **(وهذا)** أي قوله: ﴿فَلَمَّا عَتَوْا﴾ تفصيل لما قبله، وهو قوله: ﴿وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ الخ. قوله: **(لأنها كرهت ما فعلوه)** أي فهي داخلة تحت قوله: ﴿أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ﴾ فهي وإن لم تنه صريحاً لكنها نهت ضمناً. قوله: **(إنه رجع إليه)** أي إلى قول عكرمة.

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ﴾ إذ ظرف لمحذوف تقديره ذكر وقت إذ تأذن. قوله: **(أعلم)** مفعوله محذوف، والتقدير أعلم ربك أسلافهم. قوله: ﴿لَيَبْعَثَنَّ﴾ أي ليسلطن عليهم. قوله: ﴿مَنْ يَسُومُهُمْ﴾ أي يذيقهم. قوله: **(بختنصر)** علم مركب تركيباً مزجياً كبعلبك، فإعرابه على الجزء الثاني، والأول ملازم للفتح، وهو غير منصرف للعلمية، والتركيب المزجي. وبخت معناه في الأصل ابن، ونصر اسم صنم، سمي بذلك لأنه وجد وهو صغير مطروحاً عند ذلك الصنم. قوله: **(وسباهم)** أي سبى نساءهم وصغارهم. قوله: **(وضرب عليهم الجزية)** أي عن من لم يقاتل منهم. قوله: **(فضربها عليهم)** أي لا تزال كذلك إلى نزول عيسى، فلا يقبل منهم إلا الإسلام. قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ﴾ أي إذا تعلقت إرادته به، وإلا فهو واسع الحلم. قوله: ﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ﴾ أي بني إسرائيل الكائنين قبل زمن النبي ﷺ. قوله: ﴿وَمِنْهُمْ دُونَ ذٰلِكَ﴾ قدر المفسر **(ناس)** إشارة إلى أن ﴿دُونَ﴾ نعت لمنعوت محذوف، وهو كثير إذا كان التفصيل بمن، كقولهم: منا ظعن ومنا أقام، أي منا فريق ظعن، ومنا فريق أقام.

الكفار والفاسقون ﴿وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ﴾ بالنعم ﴿وَٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ بالنقم ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾﴾ عن فسقهم ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ التوراة عن آبائهم ﴿يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ﴾ أي حطام هذا الشيء الدنيء أي الدنيا من حلال وحرام ﴿وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا﴾ ما فعلناه ﴿وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ﴾ الجملة حال أي يرجون المغفرة وهم عائدون إلى ما فعلوه مصرون عليه وليس في التوراة وعد المغفرة مع الإصرار ﴿أَلَمْ يُؤْخَذْ﴾ استفهام تقرير ﴿عَلَيْهِم مِّيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ الإضافة بمعنى في ﴿أَن لَّا يَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ وَدَرَسُوا۟﴾ عطف على يؤخذ قرؤوا ﴿مَا فِيهِ﴾ فلم كذبوا عليه بنسبة المغفرة إليه مع الإصرار ﴿وَٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ الحرام ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ بالياء والتاء أنها خير فيؤثرونها على الدنيا ﴿وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ﴾ بالتشديد والتخفيف ﴿بِٱلْكِتَٰبِ﴾ منهم ﴿وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ كعبد الله بن سلام وأصحابه ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾﴾ الجملة خبر الذين وفيه وضع الظاهر موضع المضمر أي أجرهم ﴿وَ﴾

قوله: ﴿وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ﴾ أي اختبرناهم بالعطايا: كالنعم والعافية، والبلايا: كالنقم والأسقام والشدائد، ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ عما هم عليه من الكفر والمعاصي إلى طاعة ربهم، فلم يرجعوا. قوله: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ﴾ بسكون اللام للشر، وبفتحها للخير، يقال خلف سوء، وخلف صالح، وهذه صفة من كان في زمن النبي ﷺ إثر بيان صفات أسلافهم. قوله: (التوراة) أشار بذلك إلى أن أل في الكتاب للعهد. قوله: (عن آبائهم) أي أسلافهم سواء كانوا صلحاء أو لا. قوله: ﴿عَرَضَ هٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ﴾ سمي عرضاً لتعرضه للزوال، ففي الكلام استعارة تصريحية، حيث شبه متاع الدنيا بالعرض الذي لا يقوم بنفسه بجامع الزوال في كل، واستعير اسم المشبه به للمشبه.

قوله: ﴿وَيَقُولُونَ﴾ أي زيادة على طمعهم في الدنيا. قوله: ﴿سَيُغْفَرُ لَنَا﴾ أي لأنا أبناء الله وأحباؤه، وشأن الحبيب أن لا يعذب حبيبه. قوله: (مصرون عليه) أي لم يقلعوا عنه، فقد طمعوا في المغفرة مع فقد شروطها، إذ من أكبر شروطها الندم والإقلاع. قوله: ﴿مِيثَاقُ ٱلْكِتَابِ﴾ أي التوراة، والمعنى أخذ عليهم الميثاق في التوراة، أنهم لا يكذبون على الله، ولا يقولون إلا الحق. قوله: ﴿إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾ صفة لموصوف محذوف مفعول مطلق لقوله: ﴿أَنْ لَا يَقُولُوا﴾، والتقدير أن لا يقولوا على الله إلا القول الحق. قوله: (فلم كذبوا عليه) أي الله.

قوله: ﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ الهمزة داخلة على محذوف، والفاء عاطفة على ذلك المحذوف، والتقدير أتركوا التدبر والتفكر فلا يعقلون. قوله: (بالياء والتاء) أي فهما قراءتان سبعيتان، فعلى الياء يكون إخباراً عنهم، وعلى التاء يكون خطاباً لهم. قوله: (بالتشديد) أي يمسكون غيرهم بالكتاب، ويدلونه على طريق الهدى. قوله: (والتخفيف) أي يمسكون: ﴿بِالْكِتَابِ﴾، بمعنى يهتدون في أنفسهم. قوله: (منهم) أي من بني إسرائيل. قوله: ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَوٰةَ﴾ خصها بالذكر لأنها أعظم أركان الدين بعد التوحيد. قوله: (وفيه وضع الظاهرة موضع المضمر) أشار بذلك إلى أن الرابط هو لفظ ﴿ٱلْمُصْلِحِينَ﴾، لقيامه

اذكر ﴿ إِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ ﴾ رفعناه من أصله ﴿ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓاْ ﴾ أيقنوا ﴿ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ ﴾ ساقط عليهم بوعد الله إياهم بوقوعه إن لم يقبلوا أحكام التوراة وكانوا أبوها لثقلها فقبلوا وقلنا لهم ﴿ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ ﴾ بجد واجتهاد ﴿ وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ ﴾ بالعمل به ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ ﴿١٧١﴾ ﴿ وَ ﴾ اذكر ﴿ إِذْ ﴾ حين ﴿ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ﴾ بدل اشتمال مما قبله بإعادة الجار ﴿ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ بأن أخرج بعضهم من صلب آدم نسلاً بعد نسل كنحو ما يتوالدون كالذر بنعمان يوم

مقام الضمير على حد قول الشاعر: سعاد التي أضناك حب سعاداً، ونكتة ذلك الإشارة إلى شرفهم والاعتناء بهم.

قوله: ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا﴾ إذ ظرف معمول لمحذوف، قدره المفسر بقوله اذكر، والمقصود من ذلك الرد على اليهود والتقبيح عليهم، حيث قالوا: إن بني إسرائيل لم تصدر عنهم مخالفة الله. قوله: ﴿ٱلْجَبَلَ﴾ قيل هو الطور، وقيل هو جبل من جبال فلسطين، وقيل من جبال بيت المقدس، وفي آية النساء التصريح بالطور، وسبب رفع الجبل فوقهم، أن موسى لما جاءهم بالتوراة وقرأها عليهم، فلما سمعوا ما فيها من التغليظ، أبوا أن يقبلوا ذلك، فأمر الله الجبل فانقلع من أصله حتى قام على رؤوسهم مقدار عسكرهم، وكان فرسخاً في فرسخ وكان ارتفاعه على قدر قامتهم محاذياً لرؤوسهم كالسقيفة، فلما نظروا إلى الجبل فوق رؤوسهم خروا سجداً، فسجد كل واحد على خده وحاجبه الأيسر وجعل ينظر بعينه اليمنى إلى الجبل خوف أن يسقط عليه، ولذلك لا تسجد اليهود إلا على شق وجوههم الأيسر.

قوله: ﴿فَوْقَهُمْ﴾ الاحتجاج بذلك مع إشهادهم على أنفسهم بالتوحيد والتذكير به على لسان صاحب المعجزة قائم مقام ذكره في النفوس، إما حال منتظرة أو ظرف لنتقنا. قوله: ﴿كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ﴾ حال من الجبل. قوله: ﴿وَظَنُّوا﴾ الجملة حالية من الجبل، والتقدير ورفعناه فوقهم، والحال أنه مظنون وقوعه عليهم، ومعنى الظن اليقين كما قال المفسر. قوله: (وقلنا) قدره إشارة إلى أن قوله: ﴿خُذُوا﴾ معمول لمحذوف، وهو معطوف على ﴿نَتَقْنَا﴾.

قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ أي تتصفون بالتقوى، وهي امتثال المأمورات، واجتناب المنهيات، أو تجعلون بينكم وبين النار وقاية تحفظكم منها.

قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ﴾ عطف على قوله: ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا﴾ عطف قصة على قصة، وقدر المفسر اذكر إشارة إلى أن إذ ظرف معمول لمحذوف، والحكمة في تخصيص بني إسرائيل بهذه القصة، الزيادة في إقامة الحجة عليهم، حيث أعلمهم الله بأن أعلم نبيه بمبدأ العالم، فضلاً عن وقائعهم. قوله: (بدل اشتمال) أي من قوله: ﴿بَنِي آدَمَ﴾ والأوضح أنه بدل بعض من كل، لأن الظهور بعض بني آدم كضربت زيداً يده. قوله: (بأن أخرج بعضهم من صلب بعض) أي فأخرج أولاد آدم لصلبه من ظهره، ثم أخرج من ظهر أولاده لصلبه أولادهم، وهكذا على حسب الظهور الجسماني إلى يوم القيامة، وميز المسلم من الكافر، بأن جعل ذر المسلم أبيض، وذر الكافر أسود. روي أنهم لما اجتمعوا قال لهم: اعلموا أنه لا إله غيري، وأنا ربكم لا رب لكم غيري، فلا تشركوا بي شيئاً، فإني سأنتقم ممن أشرك بي ولم يؤمن، وإني مرسل إليكم

عرفة نصب لهم دلائل على ربوبيته وركب فيهم عقلاً ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ قال ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ﴾ أنت ربنا ﴿شَهِدْنَآ﴾ بذلك والإشهاد لـ ﴿أَن﴾ لا ﴿تَقُولُواْ﴾ بالياء والتاء في الموضعين أي الكفار ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا﴾ التوحيد ﴿غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾﴾ لا نعرفه ﴿أَوْ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ﴾ أي قبلنا ﴿وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ﴾ فاقتدينا بهم ﴿أَفَتُهْلِكُنَا﴾ تعذبنا ﴿بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ من آبائنا بتأسيس الشرك، المعنى لا يمكنهم الاحتجاج بذلك مع إشهادهم على أنفسهم بالتوحيد والتذكير به على لسان صاحب المعجزة قائم مقام ذكره في النفوس ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ﴾ نبينها مثل ما بينا الميثاق ليتدبروها ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧٤﴾﴾ عن كفرهم

رسلاً يذكرونكم عهدي وميثاقي، ومنزل عليكم كتاباً، فتكلموا جميعاً وقالوا: شهدنا أنك ربنا لا رب لنا غيرك، فأخذ بذلك مواثيقهم، ثم كتب الله آجالهم وأرزاقهم ومصائبهم، فنظر إليهم آدم عليه السلام، فرأى الغني والفقير، وحسن الصورة ودون ذلك، فقال: رب هلا سويت بينهم؟ فقال: إني أحب أن أشكر، فلما قررهم بتوحيده، وأشهد بعضهم على بعض، أعادهم ألى صلبه، فلا تقوم الساعة حتى يولد كل من أخذ منه الميثاق. قوله: **(كالذر)** قيل هو صغار النمل، وقيل هو الهباء الذي يطير في الشمس، وقيل غير ذلك. قوله: **(بنعمان)** مكان بجنب عرفة. قوله: **(وركب فيهم عقلاً)** أي وسمعاً وروحاً.

قوله: **﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾** أي قررهم، فإن الشهادة على النفس معناها الإقرار. قوله: **﴿بَلَى﴾** هي جواب للنفي، ولكنها تفيد إثباته، كان مجرداً أو مقروناً بالاستفهام التقريري كما هنا، ولذا قال عباس: لو قالوا نعم لكفروا، لأن نعم لتقرير ما قبلها مثبتاً أو منفياً، فكأنهم أقروا بأنه ليس بربهم، وإلى ذلك أشار العارف الأجهوري رضي الله عنه بقوله:

بل جواب النفي لكنه ... يصير إثباتاً كذا قرروا
نعم لتقرير الذي قبلها ... إثباتاً أو نفياً كذا حرروا

قوله: **﴿شَهِدْنَا﴾** يحتمل أن يكون من كلام الملائكة الذين استشهدهم الله على ذلك، فيكون الوقف على قول: **﴿بَلَى﴾**، ويحتمل أن يكون من كلام الذرية، ويكون المعنى أقررنا بذلك، وحينئذ فلا يصح الوقف على **﴿بَلَى﴾**. قوله: **(في الموضعين)** أي قوله: **﴿أَنْ يَقُولُوا﴾**، **﴿أَوْ يَقُولُوا﴾** والمناسب تأخير قوله: **(في الموضعين)** فعلى الياء يكون إخباراً عنهم، وعلى التاء يكون خطاباً لهم. قوله: **(فاقتدينا بهم)** أي فهم مؤاخذون بذلك ونحن معذورون. قوله: **(المعنى لا يمكنهم)** أي معنى الجملتين. قوله: **(مع إشهادهم على أنفسهم)** أي إقرارهم عليها. قوله: **(على لسان صاحب المعجزة)** أي وهم المرسلون وهو جواب عما يقال إن هذا العهد لا يذكره أحد اليوم.

قوله: **﴿وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾** عطف على قدره المفسر.

ـ **فائدة حسنة** ـ ذكر القطب الشعراني في رسالة سماها القواعد الكشفية في الصفات الإلهية: قد ذكر العلماء في قوله تعالى ﴿وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم﴾ الآية: اثني عشر سؤالاً، ونحن نوردها عليك مع الجواب عنها بما فتح الله به، الأول: أين موضع أخذ الله تعالى هذا العهد؟ والجواب:

أن الله أخذ ذلك عليهم ببطن نعمان، وهو واد بجنب عرفة، قاله ابن عباس وغيره، وقال بعضهم: أخذه بسرنديب من أرض الهند، وهو الموضع الذي هبط آدم فيه من الجنة، وقال الكلبي: كان أخذ العهد بين مكة والطائف، وقال الإمام علي بن أبي طالب: كان أخذ العهد في الجنة، وكل هذه الأمور محتملة، ولا يضرنا الجهل بالمكان بعد صحة الإعتقاد بأخذ العهد. الثاني: كيف استخرجهم من ظهره؟ والجواب: ورد في الصحيح أنه تعالى مسح ظهر آدم، وأخرج ذريته منه كلهم كهيئة الذر، ثم اختلف الناس، هل شق ظهره واستخرجهم منه؟ أو استخرجهم من بعض ثقوب رأسه، وكلا الوجهين بعيد، والأقرب كما قيل، أنه استخرجهم من مسام شعر ظهره، إذ تحت كل شعرة ثقبة دقيقة يقال لها سم، مثل سم الخياط في النفوذ لا في السعة، فتخرج الذرة الضعيفة منها، كما يخرج الصئبان من العرق السائل، وهذا غير بعيد في العقل، فيجب اعتقاد إخراجها من ظهر آدم كما شاء الله، ولا يجوز اعتقاد أنه تعالى مسح ظهر آدم على وجه المماسة، إذ لا اتصال بين الحادث والقديم. الثالث: كيف أجابوه تعالى: بلى، هل كانوا أحياء عقلاء، أم أجابوه بلسان الحال؟ والجواب أنهم أجابوه بالنطق وهم أحياء عقلاء، إذ لا يستحيل في العقل، أن الله يعطيهم الحياة والعقل والنطق مع صغرهم، فإن بحار قدرته تعالى واسعة، وغاية وسعنا في كل مسألة أن تثبت الجواز، ونكل علم كيفيتها إلى الله تعالى. الرابع: فإذا قال الجميع بلى، فلم قبل قوماً ورد آخرين؟ والجواب كما قال الحكيم الترمذي: أن الله تعالى تجلى للكفار بالهيبة فقالوا: بلى: مخافة، فلم يكن ينفعهم إيمانهم، فكان إيمانهم كإيمان المنافقين، وتجلى للمؤمنين بالرحمة، فقالوا: بلى، مطيعين مختارين، فنفعهم إيمانهم. الخامس: إذا سبق لنا عهد وميثاق مثل هذا، فلأي شيء لا نذكره اليوم؟ والجواب: أنا لم نتذكر هذا العهد، لأن تلك البنية قد انقضت وتغيرت أحوالها، بمرور الزمان عليها في أصلاب الآباء وأرحام الأمهات، ثم استحال تصويرها في الأطوار الواردة عليها، من العلقة والمضغة واللحم والعظم، وهذا كله مما يوجب النسيان، وكان علي كرم الله وجهه يقول: إني لأذكر العهد الذي عهد إلي ربي. وكان سهل التستري يقول: إني لأعرف تلامذتي من ذلك اليوم، ولم أزل أربيهم في الأصلاب حتى وصلوا إلي. السادس: هل كانت تلك الذرات مصورة بصورة الإنسان أم لا؟ والجواب: لم يبلغنا في ذلك دليل، إلا أن الأقرب للعقول، عدم الاحتياج إلى كونها بصورة الإنسان، إذ السمع والنطق لا يفتقران إلى الصورة، بل يقتضيان محلاً حياً لا غير. السابع: متى تعلقت الأرواح بالذوات التي هي الذرية، هل قبل خروجها من ظهره، أم بعد خروجها منه؟ والجواب: قال بعضهم إن الظاهر أنه تعالى استخرجهم أحياء، لأنه سماهم ذرية، والذرية هم الأحياء لقوله تعالى: ﴿وآية لهم أنا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون﴾. فيحتمل أن الله تعالى أدخل فيهم الأرواح وهم في ظلمات ظهر أبيهم، ثم أدخلها مرة أخرى وهم في ظلمات بطون أمهاتهم، ثم أدخلها مرة ثالثة وهم في ظلمات بطون الأرض، هكذا جرت سنة الله فسمى ذلك خلقاً. الثامن: ما الحكمة في أخذ الميثاق منهم؟ والجواب: أن الحكمة في ذلك، إقامة الحجة على من لم يوف بذلك. التاسع: هل أعادهم إلى ظهر آدم أحياء، أم استرد أرواحهم ثم أعادهم إليه أمواتاً؟ والجواب أن الظاهر أنه لما ردهم إلى ظهره، قبض أرواحهم، قياساً على ما يفعله بهم إذا ردهم إلى الأرض بعد الموت، فإنه يقبض أرواحهم ويعيدهم فيها. العاشر: أين رجعت الأرواح بعد

﴿وَٱتۡلُ﴾ يا محمد ﴿عَلَيۡهِمۡ﴾ أي اليهود ﴿نَبَأَ﴾ خبر ﴿ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا﴾ خرج بكفره

رد الذرات إلى ظهره؟ والجواب: أن هذه مسألة غامضة، لا يتطرق إليها النظر العقلي عندي بأكثر من أن يقال: رجعت لما كانت عليه قبل حلولها في الذوات، فمن رأى في ذلك شيئاً فليلحقه بهذا الموضع. الحادي عشر: قوله: ﴿وإذا أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم﴾، والناس يقولون: إن الذرية أخذت من ظهر آدم؟ والجواب: أنه تعالى أخرج من ظهر آدم بنيه لصلبه ثم أخرج بني بنيه من ظهور بنيه، فاستغنى عن ذكر إخراج بني آدم من آدم بقوله من بني آدم، إذ من المعلوم أن بني بنيه لا يخرجون إلا من بنيه، ومثال ذلك: من أودع جوهرة في صدفة، ثم أودع الصدفة في خرقة، ثم أودع الخرقة مع الجوهرة في حقه، ثم أودع الحقة في درج، ثم أودع الدرج في صندوق، فأخرج منه تلك الأشياء بعضها من بعض، ثم أخرج الجميع من الصندوق، فهذا لا تناقض فيه. الثاني عشر: في أي مكان أودع كتاب العهد والميثاق؟ والجواب: قد جاء في الحديث، أنه مودع في باطن الحجر الأسود، وأن للحجر الأسود عينين وفماً ولساناً، فإن قال قائل: هذا غير متصور في العقل، فالجواب: أن كل ما عسر على العقل تصوره يكفينا فيه الإيمان به، ورد معناه إلى الله تعالى ا هـ ملخصاً.

قوله: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ﴾ عطف على (واسألهم) عطف قصة على قصة. قوله: ﴿آيَاتِنَا﴾ أي وهي علوم الكتب القديمة، ومعرفة الاسم الأعظم، فكان يدعو به حيث شاء فيحصل بعينه، وكان يرى العرش وهو جالس مكانه، وكان في مجلس اثنا عشر ألف محبرة للمتعلمين الذين يكتبون عنه، وحاصل قصته على ما ذكره ابن عباس وغيره، أن موسى عليه السلام، لما قصد قتال الجبارين، ونزل أرض الكنعانيين من أرض الشام، أتى بلعم إليه وكان عنده الاسم الاعظم، فقالوا: إن موسى رجل حديد ومعه جند كثير، وإنه جاء يخرجنا من بلادنا ويقتلنا ويخليها لبني إسرائيل، وأنت رجل مجاب الدعوة، فاخرج فادع الله أن يردهم عنا، فقال: ويلكم نبي الله ومعه الملائكة والمؤمنون، فكيف أدعو عليهم وأنا أعلم من الله ما لا تعلمون، وإني إن فعلت ذهبت دنياي وآخرتي، فراجعوه وألحوا عليه، فقال: حتى أؤامر ربي، وكان لا يدعو حتى ينظر ما يؤمر به في المنام، فآمر ربه في الدعاء عليهم، فقيل له في المنام: لا تدع عليهم، فقال لقومه: إني قد آمرت ربي، وإني نهيت أن أدعو عليهم، فأهدوا إليه هدية فقبلها، وراجعوه فقال: حتى أؤامر ربي، فآمر فلم يؤمر بشيء، فقال: قد آمرت ربي فلم يأمرني بشيء، فقالوا له: ولو كره ربك أن تدعو لنهاك كما نهاك في المرة الأولى، فلم يزالوا يتضرعون إليه حتى فتنوه فافتتن، فركب أتانا له متوجهاً إلى جبل يطلعه على عسكر بني إسرائيل يقال له حسبان، فلما سار على أتانه غير بعيد ربضت، فنزل عنها وضربها، فقامت فركبها، فلم تسر به كثيراً حتى ربضت فضربها، وهكذا مراراً، فأذن الله تعالى لها في الكلام فأنطقها له، فكلمته حجة عليه فقالت: ويحك يا بلعم أين تذهب؟ أما ترى الملائكة أمامي تردني عن وجهي، ويحك تذهب إلى نبي الله والمؤمنين فتدعوا عليهم، فلم ينزجر، فخلى الله سبيل الأتان، فانطلقت حتى أشرف على جبل حسبان، فجعل يدعو عليهم، فلم يدع بشر إلا صرف الله به لسانه إلى قومه، ولا يدعو بخير لقومه إلا صرف الله به لسانه إلى بني إسرائيل، فقال له قومه: يا بلعم أتدري ما تصنع؟ إنما تدعو لهم وتدعو علينا، فقال: هذا ما لا أملكه، هذا شيء قد غلب الله عليه، فاندلع لسانه فوقع على صدره، فقال لهم: الآن قد ذهب مني الدنيا والآخرة، ولم يبق إلا المكر والخديعة،

كما تخرج الحية من جلدها وهو بلعم بن باعوراء من علماء بني إسرائيل سئل أن يدعو على موسى وأهدي إليه شيء فدعا فانقلب عليه واندلع لسانه على صدره ﴿فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ فأدركه فصار قرينه ﴿فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾ ﴿١٧٥﴾ ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ﴾ إلى منازل العلماء ﴿بِهَا﴾ بأن نوفقه للعمل ﴿وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ﴾ سكن ﴿إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ أي الدنيا ومال إليها ﴿وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾ في دعائه إليها فوضعناه ﴿فَمَثَلُهُۥ﴾ صفته ﴿كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ﴾ بالطرد والزجر ﴿يَلْهَثْ﴾ يدلع لسانه ﴿أَوْ﴾ إن ﴿تَتْرُكْهُ يَلْهَث﴾ وليس غيره من الحيوان كذلك وجملتا الشرط حال أي لاهثاً ذليلاً بكل حال والقصد التشبيه في الوضع والخسة بقرينة الفاء المشعرة بترتب ما بعدها على ما قبلها من الميل إلى الدنيا واتباع الهوى وبقرينة قوله ﴿ذَّٰلِكَ﴾ المثل ﴿مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ﴾ على اليهود ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ ﴿١٧٦﴾ يتدبرون فيها فيؤمنون ﴿سَآءَ﴾ بئس ﴿مَثَلًا ٱلْقَوْمُ﴾ أي مثل القوم ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ﴾ ﴿١٧٧﴾ بالتكذيب ﴿مَن يَهْدِ

فسأمكر لكم واحتال، احملوا النساء وزينوهن وأعطوهن السلع، ثم أرسلوهن إلى عسكر بني إسرائيل يبعنها فيه، ومروهن أن لا تمنع امرأة نفسها من رجل راودها، فإنه إن زنى رجل بواحدة كفيتموهم، ففعلوا، فلما دخل النساء العسكر، مرت امرأة من الكنعانيين على رجل من عظماء بني إسرائيل، وكان رأس سبط شمعون بن يعقوب، فقام إلى المرأة وأخذ بيدها حين أعجبه جمالها، ثم أقبل بها حتى وقف على موسى وقال: إني أظنك أن تقول هذا حرام عليك، قال: أجل هي حرام عليك لا تقربها، قال: فوالله لا نطيعك، ثم دخل بها قبته فوقع عليها فأرسل الله عليهم الطاعون في الوقت، فهلك منهم سبعون ألفاً في ساعة من النهار. قوله: **(من علماء بني إسرائيل)** أي بل قيل بنبوته والحق خلافه. لأن الأنبياء معصومون من كل ما يغضب الله تعالى. قوله: **(وأهدي إليه شيء)** أي في نظير الدعاء عليهم، وتسمى تلك الهدية رشوة، وهي محرمة في شرعنا، والذي ألجأه المنصب. قوله: **(واندلع لسانه)** أي تدلى. قوله: **﴿فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ﴾** هذا مبالغة في ذمه، حيث كان عالماً عظيماً، ثم صار الشيطان من أتباعه. قوله: **﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ﴾** مفعول المشيئة محذوف تقديره رفعته. قوله: **﴿بِهَا﴾** أي بسبب تلك الآيات. قوله: **(ولكنه أخلد)** أي مال واطمأن. قوله: **﴿كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ﴾** أي الذي هو أخس الحيوانات. قوله: **﴿إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ﴾** أي تشدد عليه وتجهده يلهث أي يخرج لسانه. قوله: **﴿أَوْ تَتْرُكْهُ﴾** أي من غير تشدد عليه. قوله: **(وليس غيره من الحيوانات كذلك)** أي بل غيره يلهث في حال التعب فقط. قوله: **(ما بعدها)** أي وهو الانسلاخ، وقوله: **(من الميل الخ)** بيان لما قبلها.

قوله: **﴿ذٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ﴾** أي اليهود الذين أوتوا التوراة، وفيها صفات النبي ﷺ وأخلاقه وشمائله، فغيروا وبدلوا. قوله: **﴿فَاقْصُصِ ٱلْقَصَصَ﴾** أي الذي أوحي إليك، ليعلموا أنك علمته من الوحي فيؤمنون. قوله: **(على اليهود)** لا مفهوم له، بل المراد اقصص القصص على أمتك ليتعظوا بذلك. قوله: **﴿سَاءَ مَثَلاً ٱلْقَوْمُ﴾** ساء فعل ماض لإنشاء الذم، و **﴿مَثَلاً﴾** تمييز **﴿ٱلْقَوْمُ﴾** فاعل على حذف مضاف تقديره مثل القوم، والخصوص بالذم محذوف تقديره مثلهم.

اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَن يُضْلِلْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ ﴿١٧٨﴾ ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا ﴾ خلقنا ﴿ لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا ﴾ الحق ﴿ وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا ﴾ دلائل قدرة الله بصر اعتبار ﴿ وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ﴾ الآيات والمواعظ سماع تدبر واتعاظ ﴿ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ ﴾ في عدم الفقه والبصر والاستماع ﴿ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ﴾ من الأنعام لأنها تطلب منافعها وتهرب من مضارها وهؤلاء يقدمون على النار معاندة ﴿ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾ ﴿١٧٩﴾ ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ﴾ التسعة والتسعون الوارد بها الحديث والحسنى مؤنث الأحسن ﴿ فَادْعُوهُ ﴾ سموه ﴿ بِهَا وَذَرُوا ﴾ اتركوا ﴿ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ ﴾ من ألحد ولحد يميلون عن الحق ﴿ فِي أَسْمَائِهِ ﴾ حيث اشتقوا منها أسماء لآلهتهم

قوله: ﴿**مَنْ يَهْدِ اللَّهُ**﴾ هذا رجوع للحقيقة وتسلية له ﷺ. قوله: ﴿**فَهُوَ الْمُهْتَدِي**﴾ بإثبات الياء وصلاً ووقفاً باتفاق القراء هنا. قوله: ﴿**وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً**﴾ أي بحكم القبضة الإلهية حين قبض قبضة، وقال: هذه للجنة ولا أبالي، وقبض قبضة وقال: هذه للنار ولا أبالي، وقوله: ﴿**كَثِيراً**﴾ يؤخذ منه أن أهل النار أكثر من أهل الجنة، وهو كذلك، لما تقدم من أن من كل ألف واحداً للجنة، والباقي للنار. قوله: (**الحق**) قدره هو، ونظيره في: ﴿**يُبْصِرُونَ**﴾ و﴿**يَسْمَعُونَ**﴾ إشارة إلى أن مفعول كل محذوف. قوله: ﴿**بَلْ هُمْ أَضَلُّ**﴾ إضراب انتقالي، ونكتة الاضراب أن الأنعام لا تدري العواقب، والعقلاء تعرفها، فقدومهم على المضار مع علمهم بعواقبها، أضل من قدوم الأنعام على مضارها. قوله: ﴿**أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ**﴾ أي قلباً وسمعاً وبصراً، وهذه علامة أهل النار المخلدين فيها.

قوله: ﴿**وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى**﴾ ذكرت في أربعة مواضع من القرآن: هنا، وفي آخر الإسراء، وفي أول طه، وفي آخر الحشر. قوله: (**الوارد بها الحديث**) أي وقد ورد بطرق مختلفة منها قوله ﷺ: «**إن لله تسعة وتسعين اسماً، مائة غير واحد، إنه وتر يحب الوتر وما من عبد يدعو بها إلا وجبت له الجنة**»، ومنها: «**إن لله تسعة وتسعين اسماً، من أحصاها دخل الجنة**»، ومنها: «**إن لله عز وجل تسعة وتسعين اسماً، مائة غير واحد، إن الله وتر يحب الوتر، من حفظها دخل الجنة**»، ومنها: «**إن لله مائة اسم غير اسم، من دعا بها استجاب الله له**» وكلها مذكورة في الجامع الصغير عن علي وعن أبي هريرة. والأسماء جمع اسم، وهو اللفظ الدال على المسمى، إما على الذات فقط، أو على الذات والصفات، والأخبار بأنها تسع وتسعون ليس حصراً، وإنما ذلك إخبار عن دخول الجنة بإحصائها أو استجابة الدعاء بها، وإلا فأسماء الله كثيرة، قال بعضهم: إن لله ألف اسم، وقال بعضهم: إن أسماءه على عدد أنبيائه، فكل نبي يستمد من اسم، ونبينا يستمد من الجميع. قوله: (**والحسنى مؤنث الأحسن**) أي ككبرى وصغرى، مؤنث الأكبر والأصغر، وإنما كانت حسنى، لأن الدال يشرف بشرف مدلوله. قوله: (**سموه**) ﴿**بِهَا**﴾ أي وقت دعائكم وندائكم وأذكاركم.

قوله: ﴿**وَذَرُوا**﴾ أمر للمكلفين. قوله: (**من ألحد ولحد**) أي رباعياً وثلاثياً، وهما قراءتان سبعيتان. قوله: (**يميلون عن الحق**) تفسير لكل من القراءتين، ومنه لحد الميت لأنه يمال بحفره إلى جنب القبر، بخلاف الضريح، فإنه الحفر في الوسط. قوله: (**حيث اشتقوا**) أي اقتطعوا، وهذا الإلحاد كفر، ويطلق الإلحاد على التسمية بما لم يرد، وهو بهذا المعنى حرام، لأن أسماءه توقيفية، فيجوز أن يقال يا جواد، ولا

كاللات من الله والعزى من العزيز ومناة من المنان ﴿ سَيُجْزَوْنَ ﴾ في الآخرة جزاء ﴿ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ ﴿١٨٠﴾ وهذا قبل الأمر بالقتال ﴿ وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴾ ﴿١٨١﴾ هم أمة محمد ﷺ كما في الحديث ﴿ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ﴾ القرآن من أهل مكة ﴿ سَنَسْتَدْرِجُهُم ﴾ نأخذهم قليلاً قليلاً ﴿ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ﴿١٨٢﴾ ﴿ وَأُمْلِي لَهُمْ ﴾ أمهلهم ﴿ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴾ ﴿١٨٣﴾ شديد لا يطاق ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا ﴾ فيعلموا ﴿ مَا بِصَاحِبِهِم ﴾ محمد ﷺ ﴿ مِنْ جِنَّةٍ ﴾ جنون ﴿ إِنْ ﴾ ما ﴿ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴾ ﴿١٨٤﴾ بين الإنذار ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ ﴾ ملك ﴿ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَ ﴾ في ﴿ مَا

يجوز أن يقال يا سخي، ويقال يا عالم دون عاقل، وحكيم دون طبيب، وهكذا. قوله: (جزاء) ﴿مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف، وقدر ليصح الكلام، إذ لا معنى لكونهم يجزون الذي كانوا يعملونه من الإلحاد، بل المراد جزاؤه. قوله: (وهذا قبل الأمر بالقتال) اسم الإشارة راجع لقوله: ﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾ فهذه الآية منسوخة بآية القتال.

قوله: ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا﴾ الجار والمجرور خبر مقدم، و ﴿أُمَّةٌ﴾ مبتدأ مؤخر. قوله: ﴿بِالْحَقِّ﴾ الباء للملابسة أي يهدون الناس ويرشدونهم ملتبسين بالحق. قوله: ﴿وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ أي بالحق يجعلون الأمور متعادلة مستوية، لا إفراط فيها ولا تفريط. قوله: (كما في الحديث) أي وهو قوله ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي على الحق إلى أن يأتي أمر الله» وعن معاوية وهو يخطب: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك»، وهذه الطائفة لا تختص بزمان دون زمان، ولا مكان دون مكان، بل هم في كل مكان وفي كل زمان، فالإسلام دائماً يعلون ولا يعلى عليه، وإن كثر الفساق وأهل الشر، فلا عبرة بهم، ولا صولة لهم، وفي هذا بشارة لهذه الأمة المحمدية، بأن الإسلام في علو وشرف، وأهله كذلك إلى قرب يوم القيامة، حتى تموت حملة القرآن والعلماء، وينزع القرآن من المصاحف، وتأتي الريح اللينة فيموت كل من كان فيه مثقال ذرة من الإيمان، ولا يكون هذا الأمر، إلا بعد وفاة عيسى عليه السلام.

قوله: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ مبتدأ خبره الجملة الاستقبالية بعده. قوله: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُمْ﴾ الاستدراج هو الاستصعاد درجة فدرجة، أو الاستنزال درجة بعد درجة. قوله: (نأخذهم قليلاً قليلاً) أي نمدهم بالعطايا شيئاً فشيئاً، وهم مقيمون على المعاصي، حتى ينتهي بهم الأمر إلى الهلاك، فهم يظنون أنهم في نعم، وهم في نقم، ولذا قيل: إذا رأيت الله أنعم على عبده وهو مقيم على معصيته، فاعلم أنه مستدرج له. قوله: ﴿إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ الكيد في الأصل المكر والخديعة، وذلك مستحيل على الله، بل المراد الاستدراج وكان شديداً، لأن ظاهره إحسان وباطنه خذلان.

قوله: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا﴾ الهمزة داخلة على محذوف، والواو عاطفة على ذلك المحذوف، والتقدير أعموا ولم يتفكروا. قوله: ﴿مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةٍ﴾ سبب نزولها ما روي أنه ﷺ صعد على الصفا فدعاهم فخذاً فخذاً، يا بني فلان، يحذرهم بأس الله، فقال بعضهم: إن صاحبكم لمجنون بات يهوت إلى الصباح، ومعنى يهوت يصوت، وإنما نسبوه إلى الجنون لمخالفته لهم في الأقوال والأفعال، فإنه كان موحداً مقبلاً على الله بكليته، معرضاً عن الدنيا وشهواتها، وهم ليسوا كذلك. قوله: (ملك) ﴿السَّمَوَاتِ

خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ ﴾ بيان لما فيستدلوا به على قدرة صانعه ووحدانيته ﴿ وَ ﴾ في ﴿ أَنْ ﴾ أي أنه ﴿ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ ﴾ قرب ﴿ أَجَلُهُمْ ﴾ فيموتوا كفاراً فيصيروا إلى النار فيبادروا إلى الإيمان ﴿ فَبِأَيِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ ﴾ أي القرآن ﴿ يُؤْمِنُونَ ﴾ ﴿١٨٥﴾ ﴿ مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِىَ لَهُۥ وَيَذَرُهُمْ ﴾ بالياء والنون مع الرفع استئنافاً والجزم عطفاً على محل ما بعد الفاء ﴿ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ ﴿١٨٦﴾ يترددون تحيراً ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ ﴾ أي أهل مكة ﴿ عَنِ ٱلسَّاعَةِ ﴾ القيامة ﴿ أَيَّانَ ﴾ متى ﴿ مُرْسَىٰهَا قُلْ ﴾ لهم

وَالْأَرْضِ﴾ إنما فسر الملكوت بالملك، لأن الملكوت ما غاب عنا، كالملائكة والعرش والكرسي، والمأمور بالنظر فيه عالم الملك وهو ما ظهر لنا. قوله: **﴿وَمَا خَلَقَ اللَّهُ﴾** قدر المفسر في إشارة إلى أنه معطوف على: **﴿مَلَكُوتِ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾**. قوله: **﴿وَأَنْ عَسَى﴾** قدر المفسر في إشارة إلى أن الجملة في محل جر عطفاً على ما قبلها، و **﴿أَنْ﴾** مخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن، وجملة: **﴿عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ﴾** خبرها.

قوله: **﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ﴾** الخ متعلق بيؤمنون، وهو استفهام تعجبي، والمعنى إذا لم يؤمنوا بهذا القرآن الذي هو أعظم المعجزات، فبأي آية ومعجزة يؤمنون بها. قوله: **﴿مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ﴾** تذييل لما قبله، خارج مخرج المثل. قوله: (**بالياء والنون**) أي مع الرفع، وبالياء لا غير مع الجزم، فالقراءات ثلاث وكلها سبعية، فعلى النون يكون التفاتاً من الغيبة للتكلم، لأن الاسم الظاهر من قبيل الغيبة. قوله: (**على محل ما بعد الفاء**) أي وهو الجزم، لأن جملة: **﴿فَلَا هَادِيَ لَهُ﴾** جواب الشرط في محل جزم.

قوله: **﴿يَسْئَلُونَكَ﴾** الضمير عائد على أهل مكة كما قال المفسر، لأن السورة مكية إلا ما تقدم من الثمان آيات، وهذا استئناف مسوق لبيان تعنتهم في كفرهم، لأنه ﷺ كان يخوفهم من الساعة وأهوالها. قوله: (**القيامة**) سميت ساعة إما لسرعة مجيئها، قال تعالى: ﴿وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب﴾ أو لسرعة حسابها، لأن الخلق جميعاً يحاسبون في قدر نصف يوم من نهار، أو لأنها ساعة عند الله لخفتها، وإن كانت في نفسها طويلة، لأن الأزمان عنده مستوية، ولها أسماء كثيرة، منها القيامة لقيام الناس لرب العالمين فيها، والقارعة لأنها تقرع القلوب بأهوالها، والحاقة لأنها ثابتة، والخافضة والرافعة لأنها تخفض أقواماً وترفع آخرين، والطامة لأنه لا يمكن ردها، والصامة لأنها تصم الآذان، والزلزلة لتزلزل الأرض والقلوب، ويوم الفرقة لتفرقهم في الجنة والنار، واليوم الموعود لأن الله وعد فيه أقواماً بالجنة، وأوعد أقواماً بالنار، ويوم العرض لعرض الناس على ربهم، ويوم المفر لقول الإنسان يومئذ أين المفر، واليوم العسير لشدة الحساب فيه، وزحمة الناس بعضهم على بعض، حتى يكون على القدم ألف قدم، وفي رواية سبعون ألف قدم على قدم، وتدنو الشمس من الرؤوس حتى يكون بينها وبين الرؤوس قدر المرود، إلى غير ذلك من أسمائها.

قوله: **﴿أَيَّان مُرْسَاهَا﴾** في الكلام استعارة بالكناية، حيث شبه الساعة بسفينة في البحر، وطوى ذكر المشبه به، ورمز له بشيء من لوازمه وهو الإرساء فذكره تخييل، وهذه الجملة من المبتدأ والخبر، بدل من الجار والمجرور قبله، والمعنى يسألونك عن وقت مجيء الساعة وهو في محل نصب، لأن الجار والمجرور

﴿ إِنَّمَا عِلْمُهَا ﴾ متى تكون ﴿ عِندَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا ﴾ يظهرها ﴿ لِوَقْتِهَا ﴾ اللام بمعنى في ﴿ إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ ﴾ عظمت ﴿ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ على أهلها لهولها ﴿ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ﴾ فجأة ﴿ يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ ﴾ مبالغ في السؤال ﴿ عَنْهَا ﴾ حتى علمتها ﴿ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ ﴾ تأكيد ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ﴿١٨٧﴾ أن علمها عنده تعالى ﴿ قُل لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا ﴾ أجلبه ﴿ وَلَا ضَرًّا ﴾ أدفعه ﴿ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ ﴾ ما غاب عني ﴿ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ ﴾ من فقر وغيره لاحترازي عنه باجتناب المضار ﴿ إِنْ ﴾ ما ﴿ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ ﴾ بالنار للكافرين

في محل نصب معمول ليسألونك. قوله: (متى تكون) أشار بذلك إلى أن الكلام فيه حذف مضاف، والتقدير إنما علم وقتها عند الله. قوله: (على أهلها) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف، و ﴿في﴾ بمعنى على، ويصح أن تبقى الآية على ظاهرها لأنه لا يطيقها شيء من السماوات لطيها، ولا الأرض لتبدلها، فهي شاقة مفزعة لكل ما سوى الله.

قوله: ﴿لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾ أي على حين غفلة، والحكمة في اخفائها ليتأهب لها كل أحد، كما أخفيت ساعة الإجابة يوم الجمعة ليعتنى باليوم كله، وليلة القدر في سائر الليالي، ليعتنى بجميع الليالي، والرجل الصالح في جميع الخلق ليعتقد الجميع، والصلاة الوسطى في جميع الصلوات للمحافظة على الجميع. قوله: ﴿كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا﴾ عن بمعنى الباء، والمعنى كأنك عالم بها ومتيقن لها. قوله: (تأكيد) أي لما قبله لبيان أنها من الأمر المكتوم الذي استأثر الله بعلمه، فلم يطلع عليه أحد إلا من ارتضاه من الرسل، والذي يجب الإيمان به، أن رسول الله لم ينتقل من الدنيا حتى أعلمه الله بجميع المغيبات التي تحصل في الدنيا والآخرة، فهو يعلمها كما هي عين يقين، لما ورد: «رفعت لي الدنيا فأنا أنظر فيها كما أنظر إلى كفي هذه»، وورد أنه اطلع على الجنة وما فيها، والنار وما فيها، وغير ذلك مما تواترت به الأخبار، ولكن أمر بكتمان البعض. قوله: ﴿لِنَفْسِي﴾ معمول لا أملك. قوله: ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ أي تمليكه لي فأنا أملكه.

قوله: ﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ﴾ الخ إن قلت: إن هذا يشكل مع ما تقدم لنا، أنه اطلع على جميع مغيبات الدنيا والآخرة، والجواب: أنه قال ذلك تواضعاً أو أن علمه بالمغيب كلا، علم من حيث إنه لا قدرة له على تغيير ما قدر الله وقوعه، فيكون المعنى حينئذ، لو كان لي علم حقيقي بأن أقدر على ما أريد وقوعه لاستكثرت الخ، إن قلت: إن دعاءه مستجاب لا يرد. أجيب: بأنه لا يشاء إلا ما يشاؤه الله، فلو اطلع على أن هذا الشيء مثلاً لا يكون كذا لا يوفق للدعاء له، إذ لا يشفع ولا يدعو إلا بما فيه إذن من الله، واطلاع منه على أنه يحصل ما دعا به، وهو سر قوله تعالى: ﴿ومن ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه﴾، وفي ذلك المعنى قال العارف:

وخصك بالهدى في كل أمر فلست تشاء إلا ما يشاء

وللخواص من أمته حظ من هذا المقام، ولذا قال العارف أبو الحسن الشاذلي: إذا أراد الله أمراً، أمسك ألسنة أوليائه عن الدعاء ستراً عليهم، لئلا يدعوا فلا يستجاب لهم فيفتضحوا. قوله: (للكافرين)

﴿وَبَشِيرٌ﴾ بالجنة ﴿لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ١٨٨﴾ ﴿هُوَ﴾ أي الله ﴿ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ﴾ أي آدم ﴿وَجَعَلَ﴾ خلق ﴿مِنۡهَا زَوۡجَهَا﴾ حواء ﴿لِيَسۡكُنَ إِلَيۡهَاۖ﴾ ويألفها ﴿فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا﴾ جامعها ﴿حَمَلَتۡ حَمۡلًا خَفِيفٗا﴾ هو النطفة ﴿فَمَرَّتۡ بِهِۦۖ﴾ ذهبت وجاءت لخفته ﴿فَلَمَّآ أَثۡقَلَت﴾ بكبر الولد في بطنها وأشفقا أن يكون بهيمة ﴿دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنۡ ءَاتَيۡتَنَا﴾ ولداً ﴿صَٰلِحٗا﴾ سوياً ﴿لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ١٨٩﴾ لك عليه ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا﴾ ولداً ﴿صَٰلِحٗا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ﴾ وفي قراءة بكسر الشين والتنوين أي شريكاً ﴿فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ﴾ بتسميته عبد الحرث ولا ينبغي أن يكون عبداً إلا لله وليس بإشراك في العبودية لعصمة آدم، وروى سمرة عن النبي ﷺ قال لما ولدت حواء طاف بها إبليس

أشار بذلك إلى أن في الآية اكتفاء. قوله: ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ خصوا بذلك لأنهم المنتفعون بذلك. قوله: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾ الخطاب لأهل مكة المعارضين المعاندين. قوله: ﴿مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ أي لأنه المالك المتصرف، وهذا أعظم دليل على انفراده بالوحدانية. قوله: **(أي آدم)** أي وهو مخلوق من الماء والطين، والماء والطين موجودان من عدم، فآل الأمر إلى أن آدم وأولاده موجودان من عدم.

قوله: ﴿وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ أي من الضلع الأيسر، فنبتت منه كما تنبت النخلة من النواة. قوله: **(حواء)** تقدم أنها سميت حواء لأنها خلقت من حي وهي آدم. قوله: ﴿لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ هذا هو حكمه كون حواء من آدم، فالحكمة في كونها منه، كونه يسكن إليها ويألفها لأنها جزء منه. قوله: **(ويألفها)** عطف تفسير. قوله: ﴿فَلَمَّا تَغَشَّاهَا﴾ التغشي كناية عن الجماع، وعبر به تعليماً لعباده الأدب. قوله: **(هو النطفة)** إن قلت: إن الجنة لا حمل فيها ولا ولادة. أجيب: بأن ذلك بعد هبوطهما إلى الأرض، وأما جماعه لها في الجنة فبغير نطفة ولا حمل منها ولا ولادة.

قوله: ﴿فَمَرَّتْ بِهِ﴾ أي ترددت بذلك الحمل لعدم المشقة الحاصلة منه. قوله: ﴿فَلَمَّا أَثْقَلَتْ﴾ أي صارت ذات ثقل أو دخلت في الثقل، كأصبح إذا دخل في الصباح. قوله: **(وأشفقا)** أي خافا، ورد أنه لما جاءها إبليس وقال لها: ما هذا الذي في بطنك؟ فقالت: لا أدري، فقال لها: يحتمل أن يكون كلباً أو حماراً أو غير ذلك، ويحتمل أن يخرج من عينك أو فمك أو تشق بطنك لإخراجه فخوفها بهذا كله، فعرضت الأمر على آدم، فدعوا ربهما إلى آخر الدعاء المذكور. قوله: ﴿لَئِنْ﴾ اللام موطئة لقسم محذوف تقديره والله. قوله: **(ولدا قدره)** إشارة إلى أن صالحاً صفة لموصوف محذوف مفعول ثان: لآتيتنا، لأنه بمعنى أعطيتنا. قوله: ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ أي نزيد في الشكر لأن الشكر يزيد ويعظم بزيادة النعم.

قوله: ﴿شُرَكَاءَ﴾ جمع شريك، والمراد بالجمع المفرد، بدليل القراءة الثانية. قوله: **(أي شريكاً)** تفسير لكل من القراءتين. قوله: **(بتسميته عبد الحرث)** أي والحرث كان اسماً لإبليس، فقصد اللعين بذلك انتسابه له وأنه عبده. قوله: **(وليس بإشراك في العبودية)** المناسب أو يقول في العبادة أو في المعبودية، وإنما هو إشراك في التسمية، وهو ليس بكفر بل تعمده حرام، لعدم تعظيمه شرعاً، وأما النسبة للمعظم شرعاً، كعبد النبي، وعبد الرسول، فقيل بالكراهة. والحاصل أن النسبة للمعظم شرعاً لا حرمة فيها، ولغيره حرام إن لم يعتقد المعبودية، وإلا كان كفراً في الجميع. قوله: **(وروى سمرة)** الحكمة في ذكر

وكان لا يعيش لها ولد فقال سميه عبد الحرث فإنه يعيش فسمته فعاش فكان ذلك من وحي الشيطان وأمره، رواه الحاكم وقال صحيح، والترمذي وقال حسن غريب ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ﴿١٩٠﴾ أي أهل مكة به من الأصنام والجملة مسببة عطف على خلقكم وما بينهما اعتراض ﴿أَيُشْرِكُونَ﴾ به في العبادة ﴿مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ ﴿١٩١﴾ ﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ﴾ أي لعابديهم ﴿نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ﴾ ﴿١٩٢﴾ بمنعها ممن أراد بهم سوءاً من كسر أو غيره والاستفهام للتوبيخ ﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ﴾ أي الأصنام ﴿إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ﴾ إليه ﴿أَمْ أَنتُمْ صَٰمِتُونَ﴾ ﴿١٩٣﴾ عن دعائهم ولا يتبعوه لعدم سماعهم ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ﴾ تعبدون ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ﴾ مملوكة ﴿أَمْثَالُكُمْ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ﴾ دعاءكم ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ ﴿١٩٤﴾ في أنها آلهة ثم بين غاية عجزهم وفضل عابديهم عليهم فقال ﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ أَمْ﴾ بل أ ﴿لَهُمْ أَيْدٍ﴾ جمع يد ﴿يَبْطِشُونَ بِهَآ أَمْ﴾ بل أ ﴿لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ أَمْ﴾ بل أ ﴿لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ استفهام إنكاري أي ليس لهم شيء من ذلك مما

هذه الرواية، أن هذا المقام زلت فيه اقدام العلماء، فمنهم من أصاب، ومنهم من أخطأ، فذكر هذه الرواية ليتضح المقام ويظهر الغث من السمين. قوله: (**كان لا يعيش لها ولد**) وذلك أنها ولدت قبل ذلك، عبد الله وعبيد الله وعبيد الرحمن فأصابهم الموت، وكان يلح عليها كل مرة، فألح عليها في الأخير، فسمته عبد الحرث كما أفادته رواية المفسر. قوله: (**والجملة**) أي قوله: ﴿**فَتَعَالَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾. قوله: (**مسببة**) عطف على قوله: (**خلقكم**) أي وليس لها تعلق بقصة آدم وحواء أصلاً، ويؤيد ذلك الجمع بعد التثنية، ولو كان راجعاً لها لثنى الضمير وقال يشركان. وفي قوله: ﴿**يُشْرِكُونَ**﴾ التفات من الخطاب إلى الغيبة.

قوله: ﴿**أَيُشْرِكُونَ**﴾ شروع في توبيخ أهل مكة على الاشراك. قوله: ﴿**وَإِنْ تَدْعُوهُمْ**﴾ هذا بيان لعجز الأصنام عما هو أدنى من النصر المنفي عنها، والخطاب للمشركين بطريق الالتفات اعتناء بمزيد التوبيخ، وقوله: ﴿**إِلَى ٱلْهُدَى**﴾ أي لكم، أي إن تدعوهم إلى أن يهدوكم لا يتبعوكم إلى مرادكم، ولا يجيبوكم كما يجيبكم الله. قوله: (**بالتخفيف والتشديد**) أي فهما قراءتان سبعيتان.

قوله: ﴿**سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ**﴾ استئناف مقرر لمضمون ما قبله، أي سواء عليكم في عدم الإفادة دعاؤكم لهم وسكوتكم عنه، فإنه لا يتغير حالكم في الحالين، كما لا يتغير حالهم عن حكم الجمادية. قوله: (**مملوكة**) دفع بذلك ما يقال إن الأصنام جمادات لا تعقل، فكيف توصف بأنها مثلكم؟ وأجيب: بأن المراد بكونهم أمثالكم، أنهم مملوكون مقهورون، لا يملكون ضراً ولا نفعاً، فالتشبيه من هذه الحقيقة لا بد من كل وجه. قوله: (**وفضل عابديهم**) إما بتشديد الضاد عطف على (**بين**) وبسكون الضاد عطف على (**غاية**) ومعنى فضلهم زيادتهم عليهم بهذه المنافع المذكورة. قوله: ﴿**أَمْ لَهُمْ**﴾ أشار المفسر إلى أن ﴿**أَمْ**﴾ منقطعة تفسر ببل، والهمزة والاضراب انتقالي من توبيخ لتوبيخ آخر. قوله: ﴿**يَبْطِشُونَ**﴾ من باب ضرب، وبها قرأ السبعة، وقرىء شذوذاً من باب قتل، والبطش هو الأخذ بعنف. قوله: (**استفهام إنكاري**) أي في

هو لكم فكيف تعبدونهم وأنتم أتم حالاً منهم ﴿قُلِ﴾ يا محمد ﴿ٱدۡعُواْ شُرَكَآءَكُمۡ﴾ إلى هلاكي ﴿ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ١٩٥﴾ تمهلون فإني لا أبالي بكم ﴿إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ﴾ متولي أموري ﴿ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ القرآن ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ١٩٦﴾ بحفظه ﴿وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَطِيعُونَ نَصۡرَكُمۡ وَلَآ أَنفُسَهُمۡ يَنصُرُونَ ١٩٧﴾ فكيف أبالي بهم ﴿وَإِن تَدۡعُوهُمۡ﴾ أي الأصنام ﴿إِلَى ٱلۡهُدَىٰ لَا يَسۡمَعُواْۖ وَتَرَىٰهُمۡ﴾ أي الأصنام يا محمد ﴿يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ﴾ أي يقاتلونك كالناظر ﴿وَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ ١٩٨﴾ ﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ﴾ أي اليسر من أخلاق الناس ولا تبحث عنها ﴿وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ﴾ المعروف ﴿وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ١٩٩﴾ فلا تقابلهم بسفههم ﴿وَإِمَّا﴾ فيه إدغام نون إن الشرطية في ما المزيدة ﴿يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ﴾ أي إن يصرفك عما أمرت به صارف

المواضع الأربعة، أي ليس لهم شيء من المنافع المذكورة.

قوله: ﴿قُلْ ٱدْعُوا شُرَكَاءَكُمْ﴾ أي واستعينوا بهم في عداوتي. قوله: ﴿كِيدُونِ﴾ قرىء بإثبات الياء وصلاً، وحذفها وقفاً، وبإثباتها في الحالين، وكلها سبعية، وفي القرآن: ﴿كِيدُونِ﴾ في ثلاثة مواضع، هنا وفي هود بإثبات الياء عند السبع في الحالين، وفي المرسلات بحذفها عند السبع في الحالين. قوله: ﴿إِنَّ وَلِيِّيَ﴾ العامة على تشديد الولي مضافاً لياء المتكلم المفتوحة، وفي بعض الطرق بياء واحدة مشددة مفتوحة. قوله: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ﴾ من تمام التعليل لعدم مبالاته بهم.

قوله: ﴿وَإِنْ تَدْعُوهُمْ﴾ أي أيها المشركون، أي تدعوا أصنامكم إلى أن يهدوكم لا يسمعوا دعاءكم، فضلاً عن المساعدة والإمداد، وهذا أبلغ من نفي الاتباع، وقوله: ﴿وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ﴾ الخ، بيان لعجزهم عن الأبصار بعد بيان عجزهم عن السمع، وبه يتم التعليل ورأى بصرية. قوله: ﴿خُذِ الْعَفْوَ﴾ هذا أمر من الله لنبيه ﷺ بمكارم الأخلاق، وحسن معاملة الكفار إثر بيان زجرهم وإفحامهم بالخطاب، ورد لما نزلت هذه الآية، سأل النبي ﷺ جبريل عن معناها، فقال حتى أسأل ربي، فذهب ثم رجع فقال: يا محمد، ربك يأمرك أن تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتعفو عمن ظلمك. قال جعفر الصادق: ليس في القرآن آية أجمع لمكارم الأخلاق من هذه الآية. قوله: **(أي اليسر من أخلاق الناس)** أي ما سهل منها. قوله: **(ولا تبحث عنها)** أي لا تفتش عن الأخلاق، بل اقبل ما ظهر، ودع ما بطن لله.

قوله: ﴿وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ﴾ أي ما عرف جنسه في الشرع. قوله: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ إن كان المراد بالجاهلين الكفار، وبالإعراض عدم مقاتلتهم، فالآية منسوخة بآية القتال، وإن كان المراد بالجاهلين، ضعفاء الإسلام وأجلاف العرب، وبالإعراض عدم تعنيفهم والاغلاظ عليهم، فالآية محكمة، وكلام المفسر يشهد للثاني، ومن معنى ذلك قوله تعالى: ﴿فاصفح الصفح الجميل﴾ وهو الذي لا عتاب بعده، وفي هذه الآية تعليم مكارم الأخلاق للعباد، فليس هذا الأمر من خصوصياته ﷺ.

قوله: ﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ﴾ سبب نزولها أنه ﷺ لما أمر بأخذ العفو، والأمر بالعرف، والإعراض عن الجاهلين، قال: وكيف بالغضب؟ فنزلت هذه الآية. والنزغ هو النخس، وهو في الأصل حث السائق

﴿ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ﴾ جواب الشرط وجواب الأمر محذوف يدفعه عنك ﴿ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ ﴾ للقول ﴿ عَلِيمٌ ﴾ (٢٠٠) بالفعل ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ ﴾ أصابهم ﴿ طَـٰٓئِفٌ ﴾ وفي قراءة طائف أي شيء ألم بهم ﴿ مِّنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ تَذَكَّرُواْ ﴾ عقاب الله وثوابه ﴿ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾ (٢٠١) المحق من غيره فيرجعون ﴿ وَإِخْوَٰنُهُمْ ﴾ أي إخوان الشياطين من الكفار ﴿ يَمُدُّونَهُمْ ﴾ أي الشياطين ﴿ فِى ٱلْغَىِّ ثُمَّ ﴾ هم ﴿ لَا يُقْصِرُونَ ﴾ (٢٠٢) يكفون عنه بالتبصر كما تبصر المتقون ﴿ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم ﴾ أي أهل مكة ﴿ بِـَٔايَةٍ ﴾ مما اقترحوا ﴿ قَالُواْ لَوْلَا ﴾ هلا ﴿ ٱجْتَبَيْتَهَا ﴾ أنشأتها من قبل نفسك ﴿ قُلْ ﴾ لهم ﴿ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ مِن رَّبِّى ﴾ وليس لي أن آتي من عند نفسي بشيء ﴿ هَـٰذَا ﴾ القرآن ﴿ بَصَآئِرُ ﴾ حجج ﴿ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (٢٠٣) ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ ﴾ عن الكلام ﴿ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (٢٠٤) نزلت في ترك الكلام في الخطبة وعبر عنها بالقرآن لاشتمالها عليه

للدابة على السير، والمراد منه الوسوسة، فشبهت الوسوسة بالنزغ بمعنى الحث على السير، واستعير اسم المشبه به للمشبه، واشتق من النزغ ينزغنك بمعنى يوسوس لك، والخطاب للنبي والمراد غيره، لأن الشيطان لا تسلط له عليه. قوله: ﴿**فَاسْتَعْذِ بِاللهِ**﴾ أي أطلب الاستعاذة بالله بأن تقول: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. قوله: (**جواب الشرط**) أي وقرن بالفاء لأنه جملة طلبية. قوله: ﴿**إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾ أي فيجيبك لما طلبت.

قوله: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا**﴾ أي الذين اتصفوا بامتثال الأوامر واجتناب النواهي. قوله: (**أي شيء ألم بهم**) تفسير للقراءتين، أي خاطر قليل من الشيطان، فإذا وسوس الشيطان لهم بفعل المعاصي، أو ترك الطاعات، تذكروا عقاب الله وثوابه، فرجعوا لما أمر الله به ونهى عنه. قوله: (**عقاب الله**) أي في متابعة الشيطان، وقوله: (**وثوابه**) أي في مخالفته. قوله: ﴿**وَإِخْوَانُهُمْ**﴾ مبتدأ، وجملة: ﴿**يَمُدُّونَهُمْ**﴾ خبر. قوله: (**أي إخوان الشياطين من الكفار**) أي والفساق، أشار بذلك إلى أن المراد بالإخوان الكفار والفساق، والضمير عائد على الشياطين.

قوله: ﴿**يَمُدُّونَهُمْ**﴾ الواو عائدة على الشياطين، والهاء عائدة على الكفار والفساق، فقد عاد ضمير الخبر على غير المبتدأ في المعنى. قوله: ﴿**ثُمَّ**﴾ (**هم**) أي الإخوان. قوله: ﴿**لَا يُقْصِرُونَ**﴾ أي لا يبعدون عن الغي. قوله: (**بالتبصر**) أي التأمل والتفكر، والمعنى أن الشياطين يمدون الكفار والفساق في الغي، حتى لا يكفون عنه ولا يتركونه، فجعل الله في هذه الآية للمتقين علامة، ولغيرهم علامة. قوله: ﴿**وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ**﴾ رجوع لخطاب كفار مكة. قوله: (**مما اقترحوا**) أي طلبوا. قوله: ﴿**لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا**﴾ أشار المفسر إلى أن لولا تحضيضية حيث قال هلا. قوله: (**أنشأتها**) أي اخترعتها واختلقتها. قوله: (**وليس لي أن آتي من عند نفسي بشيء**) أي لا يمكنني ذلك.

قوله: ﴿**بَصَائِرُ**﴾ أي سبب فيها، فسمى السبب وهو القرآن باسم المسبب وهو الحجج. قوله: ﴿**لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**﴾ خصوا بذلك لأنهم المنتفعون به. قوله: ﴿**فَاسْتَمِعُوا لَهُ**﴾ أي للقرآن. قوله: (**نزلت في ترك الكلام في الخطبة**) أي وهو واجب عند مالك والشافعي في القديم، ومذهب الشافعي في الجديد،

وقيل في قراءة القرآن مطلقاً ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ﴾ أي سراً ﴿تَضَرُّعًا﴾ تذللاً ﴿وَخِيفَةً﴾ خوفاً منه ﴿وَ﴾ فوق السر ﴿دُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ أي قصداً بينهما ﴿بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ﴾ أوائل النهار وأواخره ﴿وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾ ﴿٢٠٥﴾ عن ذكر الله ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ﴾ أي الملائكة ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ يتكبرون له ﴿عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ﴾ ينزهونه عما لا يليق به ﴿وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ﴾ ﴿٢٠٦﴾ أي يخصونه بالخضوع والعبادة فكونوا مثلهم.

الانصات سنة، والكلام مكروه. قوله: **(وقيل في قراءة القرآن مطلقاً)** أي فيحرم الكلام في مجلس القرآن للتخليط على القارىء، بل يجب الإنصات والاستماع، فإن أمن التخليط فلا حرمة، وما ذكره المفسر قولان من أربع، وثالثها نزلت في تحريم الكلام في الصلاة، لأنهم كانوا يتكلمون في الصلاة، رابعها أنها أنزلت في ترك الجهر بالقراءة خلف الإمام.

قوله: **﴿وَٱذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ﴾** أي بأي نوع من أنواع الذكر، كالتسبيح والتهليل والدعاء والقرآن وغير ذلك. وقوله: **(سراً)** أي إن لم يلزم عليه الكسل وإلا جهراً. قوله: **﴿تَضَرُّعاً وَخِيفَةً﴾** مفعولان لأجله أو حالان، أي متضرعين خائفين. قوله: **﴿وَدُونَ ٱلْجَهْرِ﴾** معطوف على قوله: **﴿فِي نَفْسِكَ﴾**. قوله: **﴿بِالْغُدُوِّ﴾** جمع غدوة، وهي من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، قوله: **﴿وَالآصَالِ﴾** جمع أصيل، وهو من العصر إلى الغروب، وإنما خص هذين الوقتين بالذكر، لأن الإنسان يقوم من النوم عند الغداة، فطلب أن يكون أول صحيفته ذكر الله، وأما وقت الآصال فلأن الإنسان يستقبل النوم وهو أخو الموت، فينبغي له أن يشغله بالذكر، خيفة أن يموت في نومه فيبعث على ما مات عليه، وقيل إن الأعمال تصعد في هذين الوقتين، وقيل لكراهة النفل في هذين الوقتين، فطلب بالذكر فيهما لئلا يضيع على الإنسان وقته. قوله: **﴿وَلَا تَكُنْ مِنَ ٱلْغَافِلِينَ﴾** خطاب للنبي والمراد غيره.

قوله: **﴿عِنْدَ رَبِّكَ﴾** العندية مكانة لا مكان، أو المراد عند عرش ربك، وهذا كالدليل لما قبله، أي فإذا كان دوام الذكر دأب من لم يجعل لهم على أعمالهم جنة ولا نار، فلتكونوا كذلك بالأولى. قوله: **(ينزهونه)** أي يعتقدون تنزيهه. قوله: **(أي يخصونه)** أخذ هذا الحصر من تقديم المعمول. قوله: **(بالخضوع)** تفسير للسجود، أي فالمراد بالسجود مطلق العبادة، لا خصوص السجود المعروف، وإنما خص السجود، لأن أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، وهذه أول سجدات القرآن المأمور بها عند التلاوة، والله أعلم.

تمَّ الجزء الثاني من كتاب حاشية الصاوي على تفسير الجلالين
ويليه الجزء الثالث وأوله سورة الأنفال

* * *

فهرس الجزء الثاني
من
حاشية الصاوي على تفسير الجلالين

الفهـرس

تفسير سورة المائدة

تفسير سورة الأنعام

تفسير سورة الأعراف

مؤسسة جواد للطباعة والتصوير
هاتف: ٨٣٨١٥٧-٨٣٧٧٠٢ - بيروت - لبنان